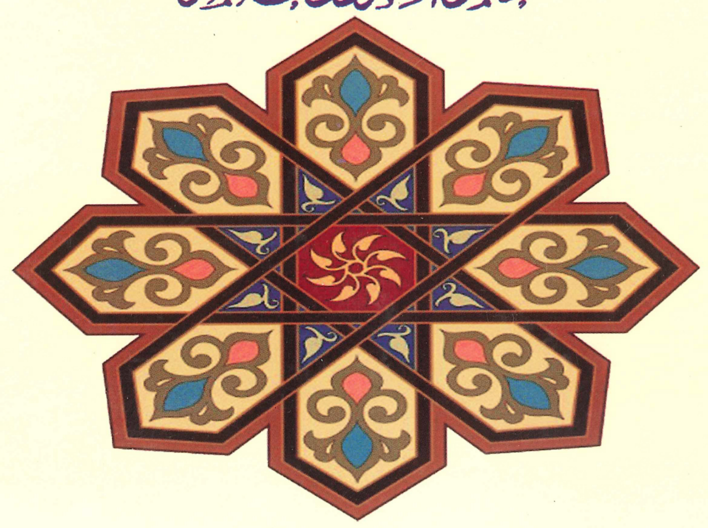
البلاذري

أنساب الأشراف

تحقيق





الجزء السابع



تحقيق وفهرسة : محمود الفردوس العظم

البلاذري

أنساب الأشراف

الجزء السابع

الأعياص

من ولد أمية الأكبر بن عبد شمس

الوليد وسليمان ابنا عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز
ويزيد وهشام ابنا عبد الملك ، والوليد بن يزيد ،
ويزيد بن الوليد ، ومروان بن محمد

دار اليقظة العربية

للتأليف والترجمة والنشر بسورية

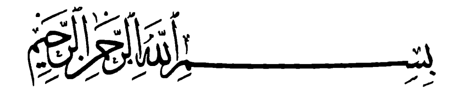
مؤسسة علمية ثقافية أسست عام ١٩٣٩ بدمشق

يعضدها

نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين

دمشق ـ شارع المتنبي ☎ ٢٢١٢٢٦٤

طبع بتاريخ شهر شباط ٢٠٠٠



المقدمة

كان بودي أن لا يتضخم هذا الجزء بهذا الشكل الكبير ، ولكن حرصي علىٰ أن لا أدخل جذماً في جذم ، ولا جماهيراً في جماهير ، ولا شعباً في شعب ، ولا قبيلةً في قبيلة ، ولا عمارةً في عمارة ، ولا بطناً في بطن ، ولا فخذاً في فخذ ، ولا عشيرةً في عشيرة ، ولا فصيلةً في فصيلة ، ولا رهطاً في رهط ؛ اضطرني إلىٰ أن يكون هذا الجزء بهذا الحجم الكبير ، أضف إلىٰ ذلك كثرة ما ورد فيه من الشعر والأعلام ، الأمر الذي زاد أيضاً من حجم الفهارس فقد ذُكر في هذا الجزء أكثر من ألفي بيت شعر .

لذلك أرجو من القارىء الكريم إن وجد في قراءة هذا الجزء شيئاً من الصعوبة في حمله أن يعذرني وله الفضل والمنّة والسلام .

محمود الفردوس العظم

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر الوليد بن عبد الملك

١ ـ أم الوليد ولاّدة بنت العباس بن جزئ بن الحارث بن زهير بن جَذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس .

وأمّ ولاّدة سوداء ، قال القعقاع بن خُليد [٦٨/٥٠٦] بن جَزئ للعباس : غششت أمير المؤمنين يا عدو الله حين زوجته ابنة السوداء .

وكانت عند الوليد نَفِيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأمها لبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فتوفيت وهي حامل فجعل ولدها يركض في بطنها ، فهمّ الوليد بأن يبقر بطنها حرصاً علىٰ أن يكون له منها وليد يبقىٰ بعده ، فلم يفعل .

وكانت عند الوليد آمنة بنت سعيد بن العاص ، ثم تزوجها خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيْد بن أبي العيص .

وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وأمها ليلىٰ بنت سهيل بن عامر من بني جعفر بن كلاب[١] .

وأم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان وهي أم عبد الرحمن .

وامرأة من بني فزارة وهي أم أبي عبيدة ، وعاتكة بنت عبد الله بن مُطيع[٢] .

---

(١) سيذكرها بعد بنت سهيل بن حنظلة .

(٢) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن جارية بن نفيلة بن عوف بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش وهو الذي فرّ يوم الحرة وقتل مع ابن الزبير بمكة ، وهو يقول : [من الرجز]

٢ ـ قال المدائني : كان الوليد تزوّج في خلافته ثلاثاً وستين امرأة ، فكان يطلق الثلاث والاثنتين والواحدة ، فقالت عاتكة بنت عبد الله بن مطيع لما تزوّجها : إنا اشترطنا على الجمّالين الرجعة ، فما رأيك ؟ قال : أقيمي ، فصبر عليها أربعة أشهرٍ ثم طلّقها .

٣ ـ فولد الوليد بن عبد الملك عبد العزيز ومروان وعنبسة ومحمداً ، أمّهم أمّ البنين بنت عبد العزيز ، وأمها ليلى بنت سهيل بن حنظلة بن طُفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وعبد الرحمن أمه أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، والعباس وكان أكبرهم وبه كان يكنى الوليد ويزيد وإبراهيم وروحاً وبشراً ومبشراً وصدقة ومسروراً وعمر ومسلمة وخالداً وتمّاماً وجزىءً ويحيى ومنصوراً ، لأمهاتٍ شتى ، وأبا عبيدة أمه من ولد سيّار الفزاري وأبا بكر .

٤ ـ قال المدائني : كان أبو عبيدة ضعيفاً وكان يقول الشعر ، فأرسل إليه هشام بن عبد الملك : لئن بلغني أنك قلت بيتاً لأزحمنّك زحمة سوءٍ . ويقال : لأحلقنّ جمّتك جمّة السوء ، وفيه يقول الشاعر :

[من البسيط]

أبو عبيدة سرّاق الفراريجِ

وكان أجمل ولد الوليد ، فلما كانت أيام أبي العباس لجأ إلى أخواله من فزراة فأخذ فقتل .

وأما إبراهيم بن الوليد فولي شهراً أو شهرين ثم خلع وسنذكر خبره إن شاء الله .

= أنا الذي فررت يوم الجرّهْ والشيخ لا يفر إلا مره
فاليوم أجزي كرّة بفرّه

وأما يزيد بن الوليد فإنه ولي أشهراً ثم مات وسنذكر خبره أيضاً .

قال المدائني : وأما يحيىٰ بن الوليد فقَتل حاجب بن حُمَيضة الكلابي ، من ولد ملاعب الأسنّة[1] وكان يشرب عنده ، فقال له : لِمَ جلد الوليد أباك ؟ فسكت فأعادها عليه ، فقال له : في أمّك فأمر به فألقي من فوق البيت ، فاستعدىٰ بنو كلاب هشاماً ، فكتب هشام إلىٰ عامل دمشق : أحلفْ خمسين رجلاً من بني الوليد بالله ما قتلوا ولا علموا قاتلاً ، فلم يحلفوا وحُمّلوا الديّة .

قال أبو الحسن : ولم يعقب تمّام ، وقال فيه الشاعر : [من البسيط]

بنو الوليد كرام في أرومتهم نالوا المكارم قِدماً غير تمّام

وكان مسرور ناسكاً كتب إلىٰ قتادة[2] بن دعامة ، فجعل قتادة يقول : كتب إليّ ابن أمير المؤمنين ، وكانت عنده ابنة الحجاج .

وكان بشر من فتيانهم ، وكان روح من علمائهم ، وكان عمر بن الوليد من رجالهم كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز فأغلظ له[3] ، فكتب إليه عمر

---

(١) ملاعب الأسنة : هو أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وقد أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لإرسال من يفقههم في الدين فأرسل إليهم فأخفر ذمته ابن أخيه عامر بن الطفيل فقتلهم في بئر معونة فغضب عامر لذلك .

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير وقيل قتادة بن دعامة بن عكابة ، حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدّثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه وكان يرىٰ القدر توفي سنة ثماني عشرة ومئة ـ سير أعلام النبلاء ج : ٥ ص : ٢٦٩ وما بعدها ـ .

(٣) كتاب عمر بن الوليد : أما بعد ، فقد أزريتَ بمن كان قبلك من الخلفاء ، وسرتَ بغير سيرتهم ، فقطعت ما أمر الله به أن يوصل ، وعملتَ بغير الحق في قرابتك ، وعمدتَ إلىٰ أموال قريش ومواريثهم وحقوقهم فأدخلتها بيت مالك ظلماً وجَوْراً وعدواناً ، فاتق الله يا ابن عبد العزيز ، فإنك توشك ألا تطمئن علىٰ منبرك . كتاب عمر بن عبد العزيز =

فوضعَ ذلك منه ، وقال الفرزدق يمدح عمر بن الوليد : [من الطويل]

إليكَ سَمَتْ يا ابنَ الوليد ركابُنا وركبانُها كانوا أجدَّ وأَجهدا
إلىٰ عُمرٍ أقبلْنَ معتَمداً بِهِ فنعمَ مناخُ الركبِ حينَ تَعمَّدا
فلم تجرِ إلاّ كنتَ في الخيرِ سابقاً ولا عُدتَ إلا كنتَ في العودِ أحمدا

وقال الفرزدق : [من الطويل]

كفىٰ عمرٌ ما كانَ يُخشىٰ انفتاقُهُ إذا نزلَتْ بالدّينِ إحدىٰ البَوائقِ
يلينُ لأَهل الدّينِ من لينِ قَلْبِهِ لهم وغليظٌ قلبُهُ للمُنافِقِ

وكان لعمر بن الوليد ستون ابناً يركبون معه إذا ركب ، وكان يقال له : فحل بني مروان .

وقال المدائني : كان أبو بكر بن الوليد مائقاً[١] : قال يوماً لرجل من كلب : ما أحسن الغرّة التي في يد فرسك[٢] ! وكان العباس بن الوليد فارسهم ، وله يقول الفرزدق : [من البسيط]

= في الردّ عليه : من عمر أمير المؤمنين إلىٰ ابن الوليد : سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، أما بعد ، فعهدي بك أنك كنت جبّاراً شقياً ، والآن تكتب إليّ تتهمني بالظلم ، لأنني حرمتك وأهل بيتك من مال المسلمين ما هو حق للضعيف والمسكين وابن السبيل ، ألا إن شئت أخبرتك بمن هو أظلم مني وأترك لعهد الله ، إنه أبوك الوليد ، الذي حين كان خليفة للمسلمين استعملك عليهم صبيّاً سفيهاً تحكم في أموالهم ودمائهم . فويل لك وويل لأبيك ما أكثر طلابكما وخصماء كما يوم القيامة ، وأظلم مني وأترك للعهد ، من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ، وأظلم مني وأترك للعهد ، من استعمل يزيد بن أبي مسلم علىٰ جميع المغرب يجبي المال الحرام ، ويسفك الدم الحرام ، ألا رويدك يا ابن الوليد ، فلو طالت بي حياة لأتفرغنّ لك ولأهل . .

(١) المائق : من الموق وهو الحمق ـ اللسان ـ .

(٢) غرّة الفرس : البياض الذي يكون في وجه الفرس ـ اللسان ـ.

إن أبـا الحـارثِ العبـاسَ نـأملُـهُ مثلُ السّماكِ الّذي لا يُخلفُ المَطَرا

وله يقول جرير بن عطيّة : [من البسيط]

إن النّدىٰ حـالـفَ العبـاسَ أَنَّ لَـهُ بيـتَ المكـارم ينمـىٰ جَـدّه صُعـدا
يُعطـي الجـزيـلَ بِـلا مَـنٍّ ولا نكـدٍ يكفـي العيـونَ إذا شـؤبُـوبهـا وَقَـدا
إن العـــدوَّ إذا رامـــوا قتـــاتَكُـــمُ لـم يلـقَ مَـنْ رامها وَصْماً ولا أَوَدا

٥ ـ فولد العباس المؤمّل والحارث ، أمهما ابنة قطري بن الفجاءة ، فلما وُلي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، قال : خلّ سبيلها وإلا رجمتك أو تزوجها فتزوجها ، وقد ذكرنا أمرها في خبر قطري .

وكان محمد بن الوليد سخيّاً ، يقول : أحبُّ أن أُسأل ، وله عقبٌ .

قال المدائني : كان لبني الوليد غاشية يأتونهم فيعطونهم .

قالوا : وكان عبد العزيز سيّد ولد الوليد بن عبد الملك ، وأراد الوليد أن يبايع لعبد العزيز بعد سليمان وزوّجه أم أيوب بنت سليمان ، وزوّج بعض بني سليمان من بعض بناته ، وقال له : اهد ابنتك إلىٰ عبد العزيز في داري لتكون عندي ، وحوّل بنيك إليّ لنضمّ إليهم بناتي ، استعطافاً له فأبىٰ سليمان عليه إرادته .

وقال الراجز وهو من عذرة[1] للوليد : [من الرجز]

يـا ليتهـا قـد خـرجـت مـن فمِـهِ إنَّ ولـــيَّ عهـــده ابـــنُ أمِّـــهِ
ثـــم ابنُـــه ولـــيُّ عهـدِ عمِّـــهِ قـــد رضـــيَ النـــاسُ بِـــهِ فسمِّـــهِ
خليفـــــةُ الله ولا تعمِّـــــهِ أبـــرز لنـــا يمينَـــه مـــن كُمِّـــهِ

(١) أي من بني عذرة بن سعد هذيم ـ وسعد حضنه عبد حبشي اسمه هذيم فغلب عليه ـ بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

أصبح فيضاً نُسقىٰ بجمّه[1]   به استقام الأمر في أسطمّه[2]

فرد عليه رجل من الأزد يقال له المثنىٰ :

عُذْريُّهم عضّ ببَظْرِ أمّه   إذ جعل الدرص[3] إلىٰ خِضَمّه

فلما ولي سليمان تلقّاه عبد العزيز، فقال: دفنت أم أيوب بنت سليمان ثم جئتني ، فقال : إن المصيبة بها عليّ أعظم ، قال: فنازعت الحارث ابن أمير المؤمنين الصلاة عليها ، قال : لم يبلغ من سفهي هذا كلّه .

وقال سليمان لعبد العزيز بن الوليد : والله لو كنتُ بايعت لك لقطعت يدك ، فلم يزل عبد العزيز طامعاً في الخلافة ، فلما مات سليمان وهو بالشام عقد ألويةً وشخص إلىٰ طبرية ودعا إلىٰ نفسه ، فقيل له : خالُك قد استُخْلِفَ فحلّ ألويته ورجع ، وقال له عمر حين بايعه : أبا عبد العزيز أردتَ أن تشقّ عصا المسلمين وتضرب بعضهم ببعض ، لقد كنتُ أربأ بك عن هذا الرأي ، فقال : يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي استنقذني بك ، لولا مكانك ما ملكها عليّ أحدٌ .

وكان يقال لو وضع بنو الوليد في كفّة ميزان وعبد العزيز في كفّة لرجح بهم عبد العزيز ، وكان سخيّاً وكان يقول لخاصّته : والله لا يرمقني رجل ببصره ولا يبسط إليّ لسانه إلا أعطيته فامنعوني أو دعوا ، وله يقول الشاعر :   [من الطويل]

أنت[4] ابنُ ليلىٰ الخيرِ خيرِ ظعينةٍ   وليلىٰ عَدِيٍّ لم تَلْدْكِ الزَّعانِفُ[5]

---

(١) هذا الشطر مكسور ويصح بقولنا : نستقي من جَمِّهِ .

(٢) البحر والحسب : وسطه ومجتمعه ـ اللسان ـ.

(٣) الدُّرْص : ولد الفأر واليربوع والدَّرص : الناقة السريعة .

(٤) لأَنْتَ يستقيم الوزن بزيادة اللام .

(٥) الزعانف : أجنحة السمك ، وزعانف كل شيء رديئه ورذاله ، والزعانف : الأحياء =

ليلىٰ عديّ[1] أم عبد العزيز بن مروان ليلىٰ بنت زبان بن الأصبغ ، وليلىٰ الأخرىٰ أمّ أم البنين[2] .

وقال المدائني : قال الجرمي عن أبيه : كنّا مع عبد العزيز بن الوليد وهو مريض فخرج إلىٰ منزلٍ كان ينزله ومعنا حِجر بن عقيل الرياحي ، فأنشده : [من الطويل]

فما أخرجَتْنا رغبةٌ عَنْ بِلادِنا ولكنَّ ما قد قدَّرَ اللهُ كائِنُ
لحينِ نفوسٍ لم نجد متأخّراً ولا تبعدن تلك النفوسَ الحوائنُ

فقلت : قطع الله لسانك ، فهلك عبد العزيز في وجهه ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك .

وكان الوليد بن عبد الملك ضمّ إلىٰ عبد العزيز ، أبا عبيدة محمد بن عمار بن ياسر .

وكان لعبد العزيز بن الوليد من الولد : عتيق وعبد الملك أمهما من ولد أبي بكر الصدّيق وكان له قَدْرٌ وكان لعبد الملك قدر ، وكان يكنىٰ أبا مروان ، وقال الشاعر : [من البسيط]

إنـي رأيتُ بني أمِّ البنين لَهمْ مجدٌ طويلٌ وفي أعمارهم قِصَرُ
مات الهُمامُ أبو مروان فاختشعَتْ كلبٌ وأيُّ بلاءٍ يبتلىٰ مُضَرُ

فقال الوليد ليزيد بن حصين بن نمير السكوني : بايع لعبد العزيز ،

= القليلة في الأحياء الكثيرة .

(١) ليلىٰ عدي : هي ليلي بنت زبّان بن الأصبغ بن ثمامة بن ميجاس بن هُذَيم بن عدي بن جناب ، وعدي بن جناب بطن من قبيلة كلب وهي أم عبد العزيز بن مروان ، ولذلك قال عدي أي نسبها إلىٰ البطن .

(٢) وليلىٰ الأخرىٰ أم أم البنين : وهذا خطأ وليلىٰ الخير هي ليلىٰ عدي وأم أم البنين هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

فقال : أما يميني فبايعت بها لسليمان فإن شئت بايعت لعبد العزيز بشمالي .

قالوا : وكان الوليد بن عبد الملك ، يقول : إذا احتلم الصبيّ من ولدي فضموا إليه مؤدباً ، له صلاح وفضل وشرف ، وضمّوا إليه عشرة يجالسونه ويكونون عيوناً عليه ، يحولون بينه وبين من يجالسه من أهل الدناءة والسخف ، وكان يقول : سيّدنا عبد العزيز وفتانا بشر وعالمنا روحٌ وفارسنا العباس [٦٨/٥٠٧] وفحلنا عمر .

وقال الوليد : من رأىٰ مثل ولدي عبد العزيز علىٰ دمشق ، والعباس علىٰ حمص ، وبشر علىٰ قنسرين ، وعمر علىٰ الأردن ، فقال له عبّاد بن زياد : وكان عبيد الله بن زياد علىٰ العراق وأخوه عثمان خليفته علىٰ أحد المصرين ، وعبّاد علىٰ سجستان وعبد الرحمن علىٰ خراسان : فسكت ، قالوا : وكان بنو الوليد ثمانية عشر سراةً ، فكانوا يركبون فإذا رجعوا مضوا مع أكبرهم إلىٰ منزله ، فإذا دخل انصرفوا مع الذي يليه إلىٰ آخرهم .

قالوا : وكان علىٰ شرط الوليد كعب بن حامد ، ثم عزله وولّىٰ أبا ناتل رياح بن عبدة الغساني ، ثم عزله وأعاد كعباً ، واستقضىٰ سليمان بن حبيب المحاربي[1] ، وولّىٰ عمرَ بن عبد العزيز المدينة ثم عزله واستعمل عثمان بن حيّان المريّ[2] ، فكان عليها حتىٰ مات الوليد .

المدائني وغيره قالوا : لما استخلف الوليد بن عبد الملك ولّىٰ عمر بن عبد العزيز المدينة وأمره أن يبني مسجدها ويجعله مئتي ذراع في

---

(١) المحاربي : نسبة إلىٰ بطن من قبيلة قريش وهو محارب بن فِهر الذي هو قريش .

(٢) المرّي : نسبة إلىٰ قبيلة مرّة وهو مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غَطفانْ بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

مئتي ذراع وبعث من الفعلة من الشام ، وكتب إلىٰ ملك الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، ويسأله أن يعينه في بناؤه فبعث إليه بمئة ألف مثقالٍ ذهباً ، وثمانمئة فاعل وبأربعين جملاً فُسيفساء فبنىٰ عمر المسجد وبنىٰ الوليد مسجد دمشق ، فقال لأصحابه أقسمت عليكم لما أتاني كل واحدٍ منكم بلبنة . فجعل رجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين ، فقال له : مِمّن أنت ؟ قال : من أهل العراق ، فقال : يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتىٰ في الطاعة .

قالوا : وأعطىٰ الوليد المجذومين وقال : لا تسألوا الناس ، وأعطىٰ كل مقعد خادماً وكل ضريرٍ قائداً .

وكان الوليد صاحب بناء واتخاذٍ لمصانع ، وكان عند أهل الشام أفضل خلفائهم .

فلما ولي سليمان كان صاحب نكاحٍ وطعام ، فكان الناس يتلاقون في زمن الوليد فيسألون عن البناء والمصانع وما أشبهه ، ويسألون في زمن سليمان عن التزويج والجواري والطعام ، وولي عمر بن عبد العزيز فكان الناس يتلاقون فيسألون عن الفقه والقرآن ، فيقول هذا متىٰ ختمت ويقول هذا كم تصوم من الشهر ؟ .

المدائني قال : كتب الوليد إلىٰ بعض عمال أبيه : أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر ما اختصّ الله به أمير المؤمنين من خلافته ، وأنك بايعت مَن قبلك فَحسُنت إجابتهم وسارعوا إلىٰ الطاعة ، وأمير المؤمنين يحمد الله علىٰ ما أكرمه به واصطنع ويسأله العون علىٰ ذلك ، وذكرت أنك بعثت إلىٰ أمير المؤمنين ببيعة مَن قبلك مع أبان بن سويد ، وهو في صالحي أهل بلاده وقد قدم علىٰ أمير المؤمنين بكتابك فأحسن صلته والسلام ، وكتب جناحٌ مولىٰ أمير المؤمنين ، وكان جناحٌ علىٰ رسائله وهو مولاه .

المدائني قال : خطب الوليد يوم جمعةٍ حتىٰ فاتت الصلاة ، فناداه رجلٌ : الصلاة وجلس فلم يُعرف ، فقال الوليد : أيها الناس والله ما نعاتبكم علىٰ العلانية ، وإنما نعاتبكم علىٰ أن تستروا لنا العداوة .

وقال الوليد : أنا أنفق علىٰ الكعبة وأكسوها وأطيّبها ، فعلام يأخذ بنو شيبة هداياها لأمنعهم إياها ، فبلغهم ذلك فأرمضهم .

وخرج الوليد حاجّاً فخرجوا يتلقونه فوجدوا الحجاج معه ، فقالوا له : أنت وإن كنت معزولاً عنا فإنك محمود عندنا ورحمتنا وحرّمتنا ما لا ننكر وقد بلغنا كذا وفزعنا إليك ، قال : إذا دخلتم علىٰ أمير المؤمنين فتحيّنوني عنده ثم سلموا عليه خالي الوجه ، ودعوني أكفيكموه ، ففعلوا فلما خرجوا قال الحجاج : علىٰ ما تدع هؤلاء وهدايا الكعبة ؟ قال : قد أجمعت علىٰ أخذها ، قال : افعل فإني كنت أشرت بها علىٰ أمير المؤمنين عبد الملك فلم يفعل ، فقال : أنا أبرأ إلىٰ الله مما برئ منه أمير المؤمنين عبد الملك ، وتركها لهم .

المدائني قال : قام رجل من أهل حمص إلىٰ الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إني أتيت ذنباً فاستغفر لي غفر الله لك ، فقال بعضهم : مقارئ يقوم أمير المؤمنين بنفسه .

وقال المدائني : قدم ذبيان بن نعيم بن حُصين العليمي[١] من كلب علىٰ الوليد ، فقال : يا أمير المؤمنين إني فرضت لنفسي فسلّم ذلك لي ، قال : وفي كم ؟ قال : في ستين ديناراً ، قال : قد أجزناها لك ، ثم بعثه إلىٰ عبد العزيز بن الوليد وهو علىٰ قنسرين[٢] وأوصاه به ، فكان يأذن

---

(١) نسبة إلىٰ عليم بطن من كلب وهو عليم بن جناب بن هُبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبَرَة .

(٢) قنسرين كورة بالشام منها حلب بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص وبعضهم يدخلها في العواصم وكانت جند من أجناد الشام .

لرجلين من قيس يقال لهما : راسب وسعيد قبله فغضب وكتب إلىٰ الوليد ، فقال : [من الطويل]

[و] أبلـغ أميـر المـؤمنيـن ودونَـهْ فَراسخ تطوي الطرفَ وهو حديدُ
بـأنّـي لـدىٰ عبـد العـزيـزِ مـؤخَّـرٌ يقــدَّمُ قبلــي راســبٌ وسعيــدُ

فكتب إلىٰ عبد العزيز أن يقدّمه .

وقـال هشـام بـن الكلبـي عـن أبيـه : إنمـا ضمّـه عبـد الملـك إلـىٰ عبد العزيز بن مروان فجفاه ، فكتب إلىٰ عبد الملك ، فكتب عبد الملك إلىٰ عبد العزيز ببرّه وصلته وتقديمه .

المدائني : إن الوليد قال لعبّاد بن زياد : أين كان زيادٌ من الحجاج ؟ فقال : إن الحجاج لمقدام ، قال : أين تدبيره من تدبيره ؟ قال : قدم زياد العراق علىٰ راحلته فضبطهم بمداراة ورفق وحسن سياسة ، وقدم الحجاج فكسر الخراج وأفسد قلوب الناس ، ولم يضبطهم بأهل الشام وأهل العراق ولو رام منهم ما رام زياد لم يفجأك شيءٌ دون قدومه عليك يوجف علىٰ قَعُوده .

وقالوا : استعمل الوليد عبد العزيز علىٰ بعض الشام ، فأتاه رجل فقال : نصيحة . قال : إن كانت لك رددناها عليك ، وإن كانت لنا فلا حاجة لنا فيها . قال : جارٌ لي أخلّ بمركزه ، قال : بئس الجار أنت ، نحن ناظرون فيما ذكرت فإن كنت صادقاً مقتناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك وإن أحببت أن نعفيك أعفيناك ، قال : اعفني ، قال : قد فعلت .

قال المدائني : كان عبد الملك استعمل أخاه محمداً علىٰ قنّسرين والجزيرة وأرمينيّة وأذربيجان ، فلما ظهر محمد علىٰ أرمينية وأذربيجان عزله عبد الملك عن قنسرين ، فلما مات عبد الملك استعمل الوليد علىٰ عمل محمد مسلمة بن عبد الملك ، فاضرّ مسلمة بمحمدٍ فدخل محمد

علىٰ الوليد ومعه ابنه مروان يتوكأ عليه ، فقال : إن أخي عبد الملك كان يصلني ويشركني في سلطانه ، حتىٰ ذهب لسبيله وقد بلغت من السن ما ترىٰ ، وأنا لك بمنزلة الوالد ، فطأطأ الوليد راسه ثم تمثل : [من الطويل]

[و] إنْ تَصْبِرا فالصّبرُ خيرُ مَغَبّةٍ وإنْ تجزَعا فالأمرُ ما تَرَيانِ

فقام محمد وهو يتمثل : [من البسيط]

فإن جزعنا فمثلُ الشّرِّ أجزَعَنا وإن صَبَرْنا فإنا معشرٌ صُبُرُ

ثم انصرف إلىٰ الرهاء فأقام بها حتىٰ مات .

المدائني عن أسامة بن زيد عن سعد بن إبراهيم ، قال : قيل لسعيد بن المسيّب : إن ابن شهاب حدث عن الوليد عن قَبيصة بن ذؤيب عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « لا ينبغي للخليفة أن يناشد » . فقال ابن المسيّب : لعنة الله علىٰ ابن شهاب إن كان حدّث بهذا ، لقد أعظم الدنيا أيحدّث الوليد بمثل هذا وهو يعرف الوليد ويحه ، أما سمع قول أخي بني كعب حين قال : [من الرجز]

لاهُمَّ إني ناشدٌ محمّدا حلفَ أبينا وأبيه الأتلدا

أفينا شد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولا يناشد الخليفة ؟

المدائني ، قال : قال أُسَيلم بن الأخيف للوليد قبل أن يلي : إذا ظننت ظناً فلا تحققه ، وإذا سألت الرجال فاسألهم عما تعلم فإنهم إذا رأوا سرعة فهمك ظنوا أنك فيما لا تعلم علىٰ حسب ذلك ، وأقلّ الكلام يقلّ لحنك ، وكان الوليد لحّاناً .

المدائني عن عامر بن عبد الأعلا ، قال : حُدِّث الوليد أن رجلاً جمع بين هند بن الخُسّ الإيادي[1] ويقال العمليقي وبين جمعة بنت عابس

---

(١) الإيادي : نسبة إلىٰ قبيلة إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان .

الإيادي ، فقيل لجمعة : أي الرجال أحبّ إليك ؟ قالت : الغليظ الكبد والظاهر الجَلَد الشديد الجذب بالمسَد ، ثم قيل لهند : أي الرجال أحبّ إليك ؟ قالت : القريب الأمد الواسع البلد الذي يُوفد ولا يفد ، فقال الوليد : من هذا الرجل ؟ فقال له هاشم بن عبد الأعلا الفزاري[١] : أنت يا أمير المؤمنين .

قالوا : وكتب الوليد بن عبد الملك ، ويقال سليمان إلىٰ عثمان بن حيّان المرّيّ وهو عامله علىٰ المدينة يأمره يُحصي المُخَنَّثين قبله فصحّف الكاتب فقرأ أخص المخنثين فخصىٰ عِدّة منهم ، فيهم الدلاّل فقال : الآن تمّ لي الخنث .

المدائني عن شراحيل بن علي ، قال : أمر الوليد وهو علىٰ المنبر بقراءة كتاب جاءه من الحجاج يذكر فيه طاعته ونصحته ، ويقول : إني أرجو بصدق نيّتي وخلوصها لأمير المؤمنين شفاعته لي ، فقال أبو معتمر الحمصي مقارّىٰ[٢] أمير المؤمنين [٦٨/٥٠٨] بنجو بنفسه .

قالوا : خرج الحجاج من العراق حاجّاً أو معتمراً فمرّ بالمدينة وعليها عمر بن عبد العزيز ، فقال : كيف أميركم ؟ فأثنوا عليه خيراً ، فقال : كيف هيبتكم له مع ما تذكرون من حسن سيرته ؟ قالوا : ما نقدر أن نملأ عيوننا منه إذا جالسناه ، قال : فما عقوبته ؟ قالوا : ما بين الخمس عشرة ضربة إلىٰ الثلاثين ، فقال : هذه الهيبة مع هذه العقوبة ؟ قالوا : نعم ، قال : الأمر لله ، لقد حذّرت أمير المؤمنين إياه وإن الوليد لأهل

---

(١) الفزاري نسبة إلىٰ قبيلة فزارة واسمه عمرو بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن النارس (عيلان) .

(٢) مقارّىٰ : من القَرْو : وهو شبه حوض مستطيل إلىٰ جنب حوض ضخم يُفرغ فيه من الحوض الضخم ترده الإبل والغنم وكأنه جعل الحجاج الحوض المستطيل يفرغ فيه من الحوض الضخم الذي هو الوليد .

للنصيحة ، فكتب الحجاج إلىٰ الوليد : إن أهل المدينة قد اتخذوا عمر بن عبد العزيز كهفاً وقد تحبب إلىٰ أهل المدينة فما يتقدّمه عندهم أحدٌ ، فعزل الوليد عمر عن المدينة وولّىٰ عليها عثمان بن حيّان المريّ ، وأُخبر عمرُ بن عبد العزيز بلحن الوليد ، فقال : إنه وإن لحن لجدّ الأجدّين .

وقرأ الوليد في الحاقّة ﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] ، فقال سليمان : وأنا والله وددتها ، وكان سليمان يسمع الوليد يلحن في خطبته فيقول : الله المستعان .

غُشي علىٰ الوليد فظنوه قد مات ودعاء الحجاج .

٦ ـ المدائني : قال : مرض الوليد بن عبد الملك فرهقته غشية فمكث عامّة يومه عندهم ميتاً فبُكي عليه ، وخرجت البُرد بموته فقدم رسولٌ علىٰ الحجاج بمثل ذلك فاسترجع ، ثم أمر بحبل فشُدّ في يده ثم أوثق إلىٰ إسطوانة وقال : اللهم لا تسلط عليّ من لا رحمة له ، وطال ما سألتك أن تُميتني قبل أمير المؤمنين . فبينا هو كذلك إذ قَدِم عليه بريد بإقامته ، فخرّ ساجداً وأعتق كلَّ مملوك له ، ويقال إنه قال : اللهم إني لم أَدْعُك في موطن أصابني فيه سوء إلا استجبت لي ، فقد سألتك أن تُقدّم يومي قبل يوم الوليد ، فلما جاءه البريد بعافيته خرّ ساجداً وأعتق كل مملوك له وتصدّق بصدقة كثيرة .

قالوا : ولما أفاق الوليد ، قال : ما أحدٌ أسرُّ بعافية أمير المؤمنين من الحجاج ، فورد كتابه بعد أيام بتهنئة الوليد بالعافية ، وبعث إليه بأبخات[2] من أبخات الهند ، ثم لم يمت الحجاج حتىٰ ثقل علىٰ الوليد .

---

(١) سورة الحاقة رقم : ٦٩ الآية رقم : ٢٧ .

(٢) البُخت والبُختية : هي الإبل الخراسانية وهي جمال طوال الأعناق وتجمع علىٰ بخت وبخات ـ اللسان ـ.

فقال خادمٌ للوليد : إني لأوضّيه يوماً لصلاة الغداة إذ مدّ يده فجعلت أصبّ عليها الماء وهو ساهٍ والماء يسيل ولا أقدر أن أتكلم ، ثم نضح الماء في وجهي وقال : أناعس أنت ؟ ثم رفع رأسه إليّ فقال : ويلك أتدري ما جاء الليلة ؟ قلت : لا ، قال : ويلك مات الحجاج فاسترجعت ، فقال : اسكت ، فما يسرّ مولاك أن في يده تفاحة يشتمها[١] وأنه لم يمت .

المدائني قال : قال الماجشون : لما مات الحجاج أتيت عمر بن عبد العزيز فأخبرته ، فقال : رغم أنفي لربّ لم يقطع مدتي حتىٰ أراني موت الحجاج ، فأتىٰ الوليد فأخبره فترحم عليه ، ثم قال لعمر : أما لقد كان حسن القول فيك يا أبا حفص ، وهل كان إلاّ منا أهل البيت .

وحدثني الحرمازي عن أبي عمرو المديني ، قال : لما مات الحجاج والوليد بن عبد الملك ، جعل الإماء والصبيان بالمدينة يقولون : يا مهلك الاثنان[٢] أهلك ذاك الإنسان ، يعنون عثمان بن حيّان ، وكان الوليد عزل عمر بن عبد العزيز وولاّه المدينة ، فلما عُزل عثمان قالوا : يا مهلك الاثنان أهلك ذاك الإنسان ، ومن ذاك الإنسان عثمان بن حيان .

بعض أفعال الوليد

٧ ـ المدائني : قال : قال سُليمان بن يسار للوليد : إن عمر بن الخطاب ، قال : وددت أني أنجو من الخلافة كفافاً لا عليّ ولا لي ، فقال : كذبت أو قال : كُذّبت .

---

(١) ما أندر وجود التفاح في ذلك الوقت حتىٰ قارنه أمير المؤمنين بسروره به علىٰ موت الحجاج وهو له محبّ .

(٢) خطأ نحوي : والصواب يا مُهلك الاثنين . ويجب أن يبقىٰ هكذا لأنه من كلام العامّة .

المدائني عن علي بن إبراهيم ، قال : قال الوليد : لا تحدّثونا عن عمر بن الخطاب فإن حديثه طعن علينا .

قال : وحجّ الوليد وحجّ محمد بن يوسف أخو الحجاج من اليمن وحمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين بنت عبد العزيز امرأة الوليد : اجعل لي هدية محمد بن يوسف ، فأمر بصرفها إليها ، فجاءت رسل إلىٰ محمد بن يوسف لقبض الهدايا ، فأبىٰ وقال : لا أسلمها حتىٰ يراها أمير المؤمنين ، فغضبت ودخلت علىٰ الوليد ، فقالت : لا حاجة لي في هدايا محمدٍ ، فإنه بلغني أنه أخذها من الناس ظلماً وغصباً وسخّرهم لعملها .

فلما حملها إلىٰ الوليد ، قال له : بلغني أنك اغتصبتها الناس وكلّفتهم عملها وظلمتهم ، فقال : معاذ الله ، قال : فاحلفْ خمسين يميناً بين الركن والمقام أنك ما ظلمت أحداً ولا أصبتها إلا من طيّب فحلف ، فقبلها الوليد وبعث بها إلىٰ أم البنين ، ومات محمد بن يوسف باليمن أصابه داء وقطع منه .

قالوا : وقدم علىٰ الوليد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، في رجالٍ من الأنصار ، وكان له فضل ودين ورأي وكان عظيم اللحية طويلها ، فقال له الوليد : أما تعمل طول لحيتك فقد غمتني لك ، اقبض قبضة ثم أخرىٰ وأمر أن يُجَزّ منها بعد قبضتين ففعل وكأنه لم يجزّ شيئاً ، فاغتمت الأنصار لذلك ، وبلغ الوليد اغتمامهم فاعتذر إليهم وقال : ما فعلت هذا استخفافاً ، وأجازه ووصله .

وكان قد أهدىٰ للوليد طيباً كبيراً ، يقال إنه بأربعين ألف درهم فقبله ثم ردّه عليه وقال : إن في لحيتك له موضعاً فاقسم منه ما شئت في أصحابك .

قالوا : وأتىٰ الوليد رجل من بني مخزوم[1] يسأله في دَيْن ، فقال : نعم إن كنت مستحقاً لذلك ، قال : يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي ، قال : أقرأت القرآن ؟ قال : لا ، قال : ادن مني فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه بعض قرعات ، ثم قال لرجلٍ : ضمّ إليك هذا فلا يفارقك حتىٰ يقرأ القرآن .

ثم قام إليه بعض ولد خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : يا أمير المؤمنين إن عليّ ديناً ، قال : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، فاستقراه عشر آيات من الأنفال وعشر آيات من براءة فقرأ ، فقال : نعم نقضي دينكم ونصل أرحامكم علىٰ هذا .

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد ، قال : مرّ الوليد يوماً بكتّاب فيه وصيفة فقال للمعلم : ما هذه ؟ قال : أعلمها الكتاب والقرآن ، قال : ويحك ليكن الذي يعلمها من الغلمان أصغر سناً منها .

المدائني ، قال : كان الوليد يمرّ بالبقّال فيقف عليه فيتناول حزمة من البقل ، فيقول : بكم هذه ؟ فيقال : بفلسين ، فيقول : زد فيها فإنك تربح .

قال المدائني : وأتىٰ رجل الوليد ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك تعيش أربعين سنة خليفة ، فقال الوليد : إن أمير المؤمنين لا يرضىٰ بضعف ذلك .

المدائني عن عقبة بن رؤبة ، قال ، قال رؤبة : أوفد إبراهيم بن عربي وفداً من اليمامة ، أنا وأبي وجرير فيهم إلىٰ الوليد ، فلما كنا بحوارين ،

---

(١) بني مخزوم : بطن من قريش وهو مخزوم بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) .

قال أبي : يا بني إنا قد أتينا هذا الرجل وقد ولدته كريمة من كرائم العرب ولم نذكرها بشييء ، فقلت : [من الرجز]

إلىٰ ابن مروان قريع الأنس وبنت عبّاسٍ[1] قريع عبس

وقلت أبياتاً ، فضرب [جرير] خيشوم راحلتي ، وقال : لأنا أحق بها منك ، قال : فدُعي بنا قبل جرير ثم خرجنا وما لنا عند جرير ذنب ، فقال : أما والله يا بني أمّ العجاج لئن وضعت كلكلي[2] عليكما لأطحنتكما طحناً لا يغني معه مقطّعتكما هذه شيئاً ، ويقال إن هذه الوفادة كانت إلىٰ عبد الملك .

المدائني قال : كان عند الوليد رجل من أخواله بني عبس فجعل يقع في بني أسد[3] فثقل ذلك علىٰ الوليد ، فقال الوليد لحاجبه أبغني رجلاً من بني أسدٍ طريفاً يكفني هذا العبسي ، فأتاه برجل منهم شاعر وأخبره بأمر العبسي والذي يريده . فقال العبسي : ممّن الرجل ؟ قال : من بني أسد وابترك[4] العبسي يقع في بني أسد ، ثم قال : من أيهم أنت ؟ قال : من بني الصيداء ، فقال : أتعرف قول الشاعر : [من الوافر]

إذا ما اللؤم حلّ بدار قومٍ هَداهُ إلىٰ بَني الصَيداءِ هادِ

فقال الأسدي : ممن أنت ؟ قال : من بني رواحة من عبس ، فقال الأسدي : ما أدري ما قال الشاعر ولكني أقول : [من الوافر]

---

(١) عباس لأن أم الوليد هي ولاّدة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جَذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطيعة بن عبس .

(٢) الكلكل : الصدر من كل شيء .

(٣) بنو أسد : هناك ثلاث قبائل بهذا الاسم ١ـ أسد بن ربيعة ، ٢ـ أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، ٣ـ أسد بن عبد العزىٰ بن قصي (من قريش) .

(٤) ابترك : ابتركت السماء : دام مطرها ـ اللسان ـ.

وإنَ اللّـؤمَ لـم يضلـلْ ولكـنْ أذاعتْـهُ رُواحَـةُ فـي البـلادِ
إذا عبسيّـة ولـدت غـلامـاً فبشّـرهـا بلـؤمٍ مُستقـادِ

حدّثنا أبو عدنان البصري عن الهيثم بن عدي : أن الوليد قال لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : أزوّجت الحجاج ابنتك ؟ قال : أبوك زوجها ، لم يقض ديني[1] فزوجتها وتمثل : [من الوافر]

[و] مـن يـكُ نـائياً ويكـنْ أخـوه أبـا لضحّـاكِ ينفشِـجُ[2] الشّمـالا

فكتب الوليد إلىٰ الحجاج يأمره بطلاقها ، فقال لها الحجاج : إن أمير المؤمنين قد كتب إليّ يأمرني بطلاقك ، فقالت : هو الله أبرّ بي ممّن زوجنيك ، فطلقها الحجاج وكان يجري عليها في كل شهر ألفي درهم[3] ، وبعث إلىٰ [٥٠٩/٦٨] أبيها بأجمال كسىً وعطر ومالٍ .

الوليد كان لحّانة

٨ ـ المدائني وغيره : أن الوليد خطب يوماً وتحت منبره أعرابي فسمعه يقول : إن علي بن أبو طالب كان لصاً من لصوص صُبَّ عليه شؤبوب[4] ، فقال الأعرابي : ما يقول هذا ؟ .

---

(١) يدل هذا القول علىٰ أن عبد الملك ما كان يعطي عبد الله بن جعفر مثلما كان يعطيه معاوية ويزيد بعده .

(٢) ينفشج : تفرج الناقة رجليها لأجل الحلب .

(٣) هذه القصة جاءت في الكامل للمبرد أنها كانت مع عبد الملك والحجاج وكان عبد الملك قد أذن للحجاج في ذلك . ودخل عليه خالد بن يزيد ليلاً وقال : كيف تأذن للحجاج في الزواج من بني هاشم ألا تعلم ما كان من البغض والكره بين آل أبي سفيان وآل الزبير فعندما تزوجت رملة بنت الزبير صار البغض حباً فكان عبد الملك متوكئاً فجلس وأرسل إلىٰ الحجاج بطلاقها حين قراءة كتابه ولا يراجعه . فطلقها ويقال لم يدخل بها .

(٤) شؤبوب : دفعة من المطر .

وقال الحرمازي : قال الوليد : إن ابن الزبير كان لص من لصوص ، وكان عليّ بن أبو طالب حمارٌ من حمر ، فقال الأعرابي : ما يقول صاحبكم هذا ؟ فقال له صاحبه : يذكر أضغاثاً كانت بينه وبينهم .

أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن عبد الملك مولىٰ قريش ، قال : أجرىٰ الوليد يوماً الخيل ، فقال : ردّ الفرسان الصادّان عن الميدان ، فقال عبّاد بن زياد : الفرسين الصادّين .

قال : وقال رجل لعبد الملك : أفسدت لسان الوليد ، فقال : ما ذاك إلاّ من حبّي له أشفقت عليه فلم أسترضع له في البادية .

وقال الوليد لسالم بن عبد الله بن عمر : ما أدْمُك ؟ قال : الخلّ والزيت ، قال : أفما تأجمهما[1] ؟ قال : بلىٰ ولكني إذا أجمتهما تركتهما وأكلت خبزاً قفاراً[2] حتىٰ أشتهيهما .

وقال المدائني : أغزا الوليد جيشاً في الشتاء فسلموا وغنموا ، فقال لعباد بن زياد : كيف ترىٰ ؟ وكأنه عرّض بقول زياد : جنّبوني عدوّين لا يُقاتلان : الشتاء وبطون الأودية ، فقال : يا أمير المؤمنين قد سلموا وأخطأت وما كل عورة تُصاب .

وقال المدائني : ركب الوليد فحدا به الحادي وهو من عُذرة : [من الرجز]

يـــا أيهـــا البكـــر لقـــد أراكـــا   تحلّ سهل الأرض في ممشاكا
ويحـك هـل تعلـم مـن عـلاكـا   خليفـــة الله الـــذي امتطـــاكـــا

وقدم الوليد مكة وطاف بالبيت ، ثم استند إلىٰ حائط يلي زمزم ،

---

(١) أجمّ الطعام واللبن وغيرهما يأجمه أجماً وأجمه أجماً : كرهه ومَلَّه من المداومة عليه .
(٢) خبز قُفارٌ : غير مأدوم ـ اللسان ـ.

والفضل بن العباس بن أبي لهب فيستقي من زمزم ، ويقول : [من الرجز]

يـا أيهـا السّـائـلُ عـن علـيٍّ تسـأَلُ عـنْ بـدرٍ لنـا بَـدْريِّ
مُـردّدٍ فـي المجـدِ بطحـيِّ[1] زمـزمُ يـا بـوركَ مـنْ طَـويِّ
بـوركـتَ للسّـاقـي وللمسقـيّ أسقـىٰ علـىٰ مـأثـرةِ النّبـيِّ

ثم أتىٰ الوليد منها بماء فشربه ومسح منه علىٰ وجهه .

حدثنا محمد بن الأعرابي ، قال : قال الأخطل[2] للوليد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين أصلح بين ابني نزار[3] ، فقال بَيْهس بن صُهَيب الجرمي[4] : لا أصلح الله بينهم ، فقال الأخطل : والله ما أدري ما تكره من ذاك ؟ فقال بيهس : وأنا والله ما أدري ما ينفعك من ذاك ؟ .

وقال كعب بن جعيل[5] يمدح الوليد : [من الكامل]

أَرجـو الخليفـةَ إذْ رحلـتُ أريـدُهُ والنّفـسُ تبلـغُ بـالـرحيـلِ مُنـاهـا
وإذا عقلـتُ عـن الـوليـدِ بـذمّـةٍ سكنتْ إليَّ جَوانحي وحَشاها

---

(١) بطحي : نسبة إلىٰ بطحاء مكة وقريش قسمين قريش البطحاء وقريش الظواهر فمن سكن داخل مكة سمي قريش البطحاء وبني أمية من قريش البطحاء .

(٢) الأخطل شاعر مشهور وهو شاعر بني أمية واسمه غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن سيحان بن عمرو بن فَدَوْكس بن عمرو بن مالك بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن دثار (تغلب) بن وائل .

(٣) ابني نزار : يقصد ربيعة ومضر حيث قيل ما زالت ربيعة غضبىٰ مذ بُعث النبي من مضر .

(٤) بيهس بن صهيب كان من أشراف أهل الشام وهو بيهس بن صهيب بن عامر بن ناتل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كبير بن غالب بن عدي بن شميس بن طرود بن قدامة بن جرم بن زبّان بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، وهو قحطاني ولذلك لا يريد الصلح بينهما .

(٥) كعب بن جعيل شاعر تغلبي وهو كعب بن جُعيل بن عُمير بن قمير بن عجرة بن عوف بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .

أنتَ الإمامُ ابنُ الإمامِ لأمّةٍ أَضحىٰ بكفّك فَقْرُها وَغِناها

وقال رجل من غطفان[1] في الوليد يمدحه : [من البسيط]

إنّي وإنْ قالَ أقوامٌ تكلّفني نَفْسي لأذكر مَنْهُ فوقَ ما ذكَروا
قالوا الفراتُ وما أرضىٰ به شَبَهاً ولن يُوازيَ جاري سيبِهِ البَحر

في أبيات ، فلم يعطه شيئاً ، فقال : [من المتقارب]

أَتيتُ الوليدَ فألفيتُه كما قد علمتُ غبيّاً بخيلا
بَطِيءَ العطاءِ عسيرَ القضا ء لا يفعل الخير إلا قليلا

وقال أيضاً :

أتيتُ الوليد فألفيته كما يعلم الناس وخماً وبيلا
فليتَ لنا خالداً بالوليدِ وعبدَالعزيزِ بيحيىٰ بديلا

ويعني خالد بن يزيد بن معاوية وعبد العزيز بن مروان ويحيىٰ بن الحكم .

وقال أبو قطيفة[2] للوليد : [من الطويل]

ألا أبلغ[3] أمير المؤمنين رسالةً فغير الّذي تأتي من الأمر أصوبُ
أفي اللهِ أن نُدْنا إذا ما فزعتمُ ونُقْصىٰ إذا ما تأمنون ونُحجبُ
وتجعلُ دوني من يودُّ لو أنكم ضِرامٌ بكفيّ قابِسٍ يتلهَّبُ
فها أنتمُ داويتمُ الكَلْمَ[4] ظاهراً فمن لقُروحٍ في الصُّدورِ تحرّبُ

---

(١) غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) بن مضر بن نزار .
(٢) أبو قطيفة الشاعر : هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط بن أبي عمرو بن أمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف .
(٣) هنا الشطر مكسور ويصح لو قلنا : وأبلغْ .
(٤) الكَلم : الجرح وجمعها كلوم وكِلام ـ اللسان ـ.

ومدحه الأخطل بشعرٍ يقول فيه : [من الوافر]

لقد وَلَدَتْ جَذيمةُ[1] من قريشٍ فتاها حين تحزبُها الأمورُ
وأسرعُها إلىٰ الأعداءِ سيراً إذا ما استُبطئ الفرسُ الجرورُ

وقال خالد بن خيّار : [من الطويل]

وعندَ الوليدِ إنْ أردْنا عطاءَهُ نوالٌ كثيرٌ دونَه البابُ يُقفلُ
إذا ما رمونا أن تجودَ سحابُهُ بخيرٍ أتتْ كفٌّ تضرُّ وتبخلُ

المدائني : أن أخا الأحوص[2] شهر علىٰ أخيه السيف بالمدينة ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الوليد ، فكتب إليه الوليد : أن اقطع يده فقطع عمر يده ، فتُعلّق علىٰ عمر بذلك .

قال : وكتب الوليد إلىٰ عمر أن اضرب خُبيباً لأنه كان يقول : ملك بني مروان زائل عن قريب ، وكان عنده أحاديث ، فضربه عمر لذلك فمرض وبَرِئَ ثم مرض فمات ، فظن عمر أنه مات من ضربه فأعتق ثلاثين رقبة ، ويقال إنه ضربه أربعين سوطاً وصبّ عليه جَرّة ماءٍ فمات ، فأعتق ثلاثين رقبةً .

قال : وقال بعضهم : لما قُتل عبد الله بن الزبير ، بايع عبد الله بن خازم السلمي صاحب خراسان لخُبَيب بن عبد الله بن الزبير ، فكان ذلك في نفس عبد الملك والوليد ، فلما ولي الوليد أراد فضحة خُبيب فكتب

---

(١) جذيمة : لأن أم الوليد هي ولاّدة بنت العباس بن جزئ بن الحارث بن زهير بن جذيمة جعل جذيمة البطن من قبيلة عبس .

(٢) الأحوص الشاعر المشهور وهو الأحوص واسمه عبد الله بن محمد بن عاصم ـ وهو الذي حمت جثته الدبر قتيلاً يوم بئر معونة ـ بن ثابت بن قيس (أبو الأقلح) بن عصمة بن مالك بن أمة بنُ ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصار .

إلىٰ عمر بن عبد العزيز بضرب خبيب ، قال المدائني : وهذا غلط لأن ابن خازم قُتل قبل مقتل ابن الزبير .

مشاتمة بين الوليد وعمر بن عبد العزيز

٨ ـ المدائني قال : أُدخل بعض الخوارج علىٰ الوليد بن عبد الملك فكلّمه فشتمه الخارجي وشتم أباه ، فقال الوليد لعمر بن عبد العزيز : ما ترىٰ ؟ قال : أظنه مغلوباً علىٰ عقله فإن فعلت ما يشبهك ويشبه من أنت منه خلّيته ، فقال الوليد لعمر : حروريٌّ والله ، قال عمر : مجنون والله ، فاخترط خالد بن الريّان سيفه وهو يرىٰ أن الوليد يأمره بقتل عمر ، فقام الوليد مغضباً فدخل علىٰ أم البنين أخت عمر ، فقال : ألا ترين إلىٰ ما قال لي أخوك الحروريّ الأحمق ، قالت : أنت أولىٰ بما قلت له ، ما أسقط عمر سقطةً مذ كان غلاماً ، وقال لعبد العزيز ابنها : اخرج إلىٰ خالد بن الريّان فاصرفه ، وقال عمر لخالد : أكنتَ قاتلي لو أمرك الوليد ؟ قال : أي والله ، قال : إنك لجريئ علىٰ طاعة المخلوق في معصية الخالق ، وأرسلت أم البنين إلىٰ خالد : أن اخرج من العسكر فخرج فكان مع سليمان في عسكره .

المدائني قال : خطب الوليد يوم جمعة وكان لحّاناً فقال أعرابي : لقد خلط بين وبرٍ وصوفٍ وأصاب .

الوليد يريد نزع ولاية العهد عن أخيه سليمان

٩ ـ قال الكلبي : كان الوليد وسليمان وليي عهد عبد الملك فأراد الوليد حين ولي أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان ، فأبىٰ سليمان فأراده علىٰ أن يجعله بعده فأبىٰ سليمان أيضاً ، فبذل له الوليد أموالاً عظيمة كبيرة علىٰ أن يفعل ذلك ، وكتب الوليد إلىٰ عمّاله أن يبايعوا لعبد العزيز ودعا الناس إلىٰ ذلك ، فلم يجيبوا إلا الحجاج وقتيبة بن مسلم ، وخواصٌّ من أصحابه .

فقال له عبّاد بن زياد : إن الناس لا يجيبونك إلىٰ هذا ، ولو أجابوك لم تأمنهم علىٰ الغدر بابنك ، فاكتب إلىٰ سليمان[1] فمُرْه بالقدوم عليك فإن لك عليه طاعةً ، فإذا قدم فأرِدْه علىٰ البيعة لعبد العزيز من بعده فإنه لن يقدم علىٰ الامتناع عليك وهو عندك ، فإذا أبىٰ كان الناس عليه .

فكتب الوليد إلىٰ سليمان يأمره بالقدوم عليه . فأبىٰ وتثاقل فعزم الوليد علىٰ المسير إليه وخلعه فأمر الناس بالتّأهب وأمر بحجرة[2] فأخرجت ، ومرض الوليد فمات قبل أن يسير .

وقال الوليد ليزيد بن حُصين بن نُمير السكوني[3] : بايع لعبد العزيز ، فقال : أما يميني فقد بايعَتْ لسليمان ، فإن شئت بايعت لعبد العزيز بشمالي .

وقال جرير[4] بن عطيّة للوليد : [من الطويل]

إذا قيلَ منْ أهلُ الخلافَةِ بعدَهُ أشارتْ إلىٰ عبدِ العزيزِ الأصابعُ

فوصله عبد العزيز وأمّه ، فلما قام سليمان خافه فأتاه ممتدحاً لأيوب فعفا عنه سليمان .

وقال كُثَير[5] : [من الطويل]

جمعتَ هواناً يا بنَ بيضاءَ حُرَّةٍ رجَىٰ مُلكَهُ لما استهلْ بالقَوابلِ

---

(١) كان سليمان مقيماً بالرملة من أرض فلسطين لأن أخاه الوليد ولاّه فلسطين .
(٢) حجرة : مؤنس الخيل .
(٣) السكوني : نسبة إلىٰ السكون (السكن) بن أشرس بن كنده .
(٤) جرير بن عطيّة الشاعر المشهور وهو جرير بن عطيّة بن حُذيفة (الخطفىٰ) بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب (البطن) بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .
(٥) كُثَير شاعر الحب الذي عرف بكُثير عَزّة : وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلّد بن سعيد بن سبيع بن جعثمة بن مُلَيح بن عمرو (خزاعة) بن ربيعة (لحي) بن حارثة بن عمرو مُزيقياء .

المدائني عن أبي اليقظان عن هشام بن حسان ، قال : أرسل الوليد إلىٰ رجل من أهل الشام كان ذا فضلٍ وعقل ، فقال له : ما عطاؤك ؟ قال : كذا ، فأضعفه له وأمر أن يُلحق عياله بشرف العطاء وقضىٰ دينه ، ثم قال له : إن أمير المؤمنين قد أحبّ أن يضمّك إلىٰ ولده ، ليأخذوا بهديك وينتفعوا بأدبك ، فامتنع عليه ، قال : لست أفرغ لهم ، قال : فيصيرون إليك في الجمعة يوماً ، قال : لا يمكنني .

فأسقط رزقه ، فلقيه رجل من أصحاب الوليد ، فقال : يا عبد الله ما دعاك إلىٰ الامتناع مما سألك أمير المؤمنين ، فقال ونظر إلىٰ دابّة ميّتة : والله لأن آتي هذه الجيفة غدوةً وعشيَّةً فأتمّعك[1] عليها ، أحبّ إليّ من أن أجيبه إلىٰ ما سأل ، قال : وكم يكفيك في كل شهر ، قال : خمسون درهماً ، قال : فهي لك ما بقيتَ .

قال المدائني[٥١٠/٦٨] : وقال في الوليد أبو عديّ عبد الله بن عديّ بن حارثة بن عبد العزىٰ بن عبد شمس : [من الخفيف]

عبدُ شمسٍ أبوكَ وَهْوَ أبونا ... لا نناديكَ من مكانٍ بعيدِ
والقراباتُ بيننا واشجاتٌ ... محكماتُ القُوىٰ بعقدٍ شديدِ
فَأَثبني ثوابَ مثلِكَ مثلي ... تلقَني للثوابِ غيرَ جَحودِ

---

(١) تمعك : تمرّغ ـ اللسان ـ.

وضّاح اليمن

١٠ ـ حدثني الحرمازي عن ابن زيالة وغيره ، قال : كانت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر بن عبد العزيز عند الوليد ، وكان معجباً بها محيطاً لها ، وكانت امرأة برزة عفيفة تحبّ الشعر .

فبعثت إلىٰ كُثَير : أن صفني وامدحني فكره ذلك ، فقالت له : قل الشعر في غاضرة جاريتي فذلك حين يقول : [من الوافر]

أَغـاضِـرُ لـو تـريـنَ غَـداةَ بِنْتُـمْ   جُنـودَ العـائـداتِ علـىٰ وِسـادي

وحجّت مع الوليد فرأت وضّاح[1] اليمن الشاعر أحدُ الأبناء وهو ينشد ، فأعجبها فأرسلت إليه ألا أصبحنا وأمرته فقال فيها شعراً ، فبعثت إليه بكسوة وجائزة .

فلما صارت إلىٰ الشام وهو معهم ، جعلت ترسل إليه فيدخل عليها سرّاً وهي من وراء الستر فينشدها ويحادثها ، وبلغ ذلك الوليد فغمّه ، فأمر خادماً أن يدخل عليها فإن وجد وضّاحاً عندها قتله ، فلما أحست أم البنين بالخادم أدخلت وضّاحاً صندوقاً وأقفلته ، فأخذ الخادم الصندوق وحفر حفرةً ودفن الصندوق فيها .

وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة عن ابن جُعْدُبة . قال : كان وضّاح من أبناء أهل

---

(١) وضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جمد ثم يختلف في نسبه فقوم يقولون : إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع وَهْرز لنصرة سيف بن ذي يزن علىٰ الحبشة وآخرون يقولون : إنه من آل خولان بن عمر من حمير ، وكان وضاح من المتعممين مقنعين عندما يردون مواسم العرب خوفاً من العين وحذراً من النساء لجمالهم .

اليمن وكان جميلاً وهو الذي يقول : [من المنسرح]

مـا لَـكَ وضّـاحُ دائـمَ الغَـزَلِ ألسـتَ تخشـىٰ تَقَـارُبَ الأَجَـلِ

وكانت أم البنين بنت المختزم امرأة جميلة فعشقها وأحبّته ، وكان زوجها من حمير فسمعها تقول : [من مجزوء الرجز]

يـا وجـه وضّـاحٍ لقـد أورثـت قلبـي حـزنـا
وكـان وضّـاح لنفسـي قـرح قلبـي شجنـا

فطلّقها ولها يقول وضّاح : [من الطويل]

وَأَنتِ الّتي كلّفتِني البردَ شَاتِيا وَأَوْرَدْتنيـهِ فـانظُـري أيَّ مَـوْرِدِ

وحجّت أمّ البنين فبلغ الوليد أمرها وهو حاج ، فبعث فتزوجها وحملها فاتبعها وضّاح .

قال أبو عبيدة : وحدثني جماعة من أهل العلم أن التي قُتل وضّاحٌ بسببها أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان .

قال : وقال ابن دأبٍ : أم البنين بنت المختزم امرأة كانت للوليد بن عبد الملك تزوجها من أهل البادية ، وكان وضاح اليمن قدم علىٰ الوليد قدوم الشعراء ، فعلقته أم البنين وبلغ الوليد أمره ففعل به خادمه ما فعل بأمره ، والأول أثبت ، ووضّاح الذي يقول : [من المنسرح]

مـا لـك وضّـاحُ دائـم الغـزلِ ألسـت تخشـىٰ تقـارب الأَجَـلِ

وحدثني الحرمازي ، قال : أم البنين الذي قتل الوضاح بسببها ابنة عبد العزيز بن مروان وابنة المختزم غيرها . وهي التي قال فيها عمر بن أبي ربيعة : [من المتقارب]

فلو كنتِ إذْ عِبتني في الجمالِ كـأُمِّ البنيـن ابنـةِ المختـرمْ

بعض تصرفات الوليد غير الحسنة

١١ ـ المدائني ، قال حجّ الوليد فنظر إلىٰ عمر بن أبي ربيعة[١] ، فقال له : من أنت ؟ قال : عمر بن أبي ربيعة ، قال : الشاعر ، قال : مثلي يا أمير المؤمنين لا ينسب إلىٰ الشعراء إنما إلىٰ بيته وآبائه ، قال : فأنشدنا فأنشده فبرّه .

المدائني قال : ناضل[٢] الوليد نَوْفلَ بن عبد الله فنضله نوفلُ ، فقال الوليد : رمية من غير رام ، قال : إنها من رامٍ أكثر .

قال وقدم الوليد بن عبد الملك بيت المقدس ، فنزل علىٰ قومٍ من غسان[٣] فذبحوا له الغنم والبقر والدجاج والفراخ والأوز والحجل ونحروا الجزور ، فجعلوا يلقون في قدور لهم عظام من كل ما ذبحوا ويخلطون ذلك فسمّي ذلك الطبيخ الغسانية مذ ذاك .

وقوم يقولون : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الشام أُتي بطعام ، فجعل يخلط بعض الألوان ببعضٍ فسمّي الخلط الغسّانيّة ، والأول أثبت .

المدائني عن علي بن سليم ، قال : كانت ابنة سعيد بن العاص عند الوليد ، فمات عبد الملك فلم تبك عليه ، فقال لها : ما منعك من البكاء علىٰ أمير المؤمنين ؟ فقالت : ما أقول له إلا أن أدعو الله أن يُحييه ويزيد

---

(١) عمر بن أبي ربيعة الشاعر الغزل المخزومي القرشي : وهو عمر بن عياش بن عمرو (أبي ربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) .

(٢) ناضل : باراه في الرمي ـ اللسان ـ.

(٣) غسان من الأزد وهم ملوك الشام قبل الإسلام ، وعندما رحلت الأزد من اليمن نزلت علىٰ ماء في وادي رماع بتهامة وفيه ماء يسمىٰ غسان فكل من شرب منه سمي غسان .

في سلطانه حتىٰ يقتل أخاً لي آخر ، فقال : أي والله لقد قتلناه وكسرنا ثناياه ، فقالت : قد علمتَ من شُقّت[1] استه ، فقال : ألحقي بأهلك ، قالت : ألذُّ من الرفاء والبنين .

قالوا : وقال الوليد لبُدَيْح غلام عبد الله بن جعفر : يا بديح خُذْ بنا في التّمنّي فوالله لأغلبنّك ، قال : ستعلم ، فقال الوليد : أبدأ أنت فتمنّ فإني سأتمنىٰ ضعف ما تتمنىٰ ، فقال بُدَيح : فإني أتمنّىٰ سبعين كفلاً من العذاب ، وان يلعنني الله لعناً كثيراً ، فقال : غلبتني قبّحك الله .

قالوا : ودخل علىٰ الوليد رجل من العرب يشكو خَتنه[2] ، فقال : إن خَتني أخذ مالي وظلمني ، قال : ومن خَتَنَك ؟ فظن أنه يسأله عمن أعذره ، فلم يجبه ، فقال عمر بن عبد العزيز : مَن خَتَنُك ؟ فقال : فلان بن فلان ، وقال الوليد لرجل دنا منه : قَبْلَكْ قَبْلك يريد مكانك .

موت الوليد بن عبد الملك

١٢ ـ حدثني هشام بن عمار الدمشقي عن مدرك بن جحوة : أن قوماً دخلوا علىٰ الوليد وعنده أخوه مسلمة فشكوا أمراً من أمرهم فلم يبيّنوا ولا أحسنوا العبارة عمّا في أنفسهم ، فتكلّم رجل منهم فأفصح وأوضح وعبّر عن نفسه وعن القوم . فقال مسلمة : ما شبّهت كلام هذا الرجل في أثر كلام القوم

---

(١) شقت استه تُعرّض به لأنه عندما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد الأشدق وثب من كان منتظره وعلىٰ رأسهم أخوه يحيىٰ علىٰ من بالقصر فصادفوا الوليد فضربوه فأصابوا إليته ثم أخذه الحرس وأخفوه في بيت الحريم وعندما علم عبد الملك قال : إن قتلوا الوليد فوالله قد أصابوا ثأرهم فاعلموه بنجاته ولذلك فهي تعرّض به بذلك .

(٢) خَتَنَه : الخَتَنُ أبو امرأة الرجل واخو امرأته وكل من كان من قبل امرأته والأحماء من قبل الزوج والأختان من قبل المرأة . والخِتان موضع القطع من الذكر وموضع القطع من نواة الجارية ويقال لقطعهما الإعذار والخفض .

إلاّ بسحابة لبّدت عجاجاً .

قالوا : ومرض الوليد فذكر له موسىٰ بن نُصَير طبيباً قدم به من المغرب روميّاً ، فأدخله إليه وعنده ابن رأس البغل ، ويقال ابن رأس الحمار وكان يعالجه وكان طبيب عبد العزيز بن مروان وكان من أهل الإسكندرية فتراطنا[1] بالروميّة ، فقال أحدهما لصاحبه : ما داؤه ؟ قال : السل ، قال : صدقت .

ودعا له صاحب موسىٰ بفرخ فطبخ ، وألقىٰ علىٰ مرقه دواء وحسّاه منه جُرَعاً فلم يلبث في جوفه وَقَاءَه ، فقال : لا أرىٰ هذا وافقك ، وعندي ما هو أسهل منه وأنا آتيك به في غدٍ فخرج من عنده ، وقال : والله لا يصبح حيّاً ، فمات في السحر .

توفي الوليد ويكنىٰ أبا العباس في سنة ست وتسعين وهو ابن تسع وأربعين ، وملك تسع سنين ، ودفن خارج الباب الصغير بدمشق وصلىٰ عليه عمر بن عبد العزيز ، فرثاه جرير ، فقال : [من البسيط]

إنّ الخليفَةَ قد وارتْ شمائلَهُ   غبراءُ ملحدةٌ في حالِها زَوَرُ
أضحت بنوه وقد حلّت مُصيبتُهمْ   مثلَ النّجومِ هَوىٰ من بَيْنها القَمَرُ
كانوا جميعاً فلم يدفع منيَّتَهُ   عبدُ العزيزِ ولا رَوْحٌ ولا عُمَرُ

وقال المدائني : لما قدم ابن حيّان المدينة والياً دخل دار مروان ، فقال : هذه المحلال المطعان ، ثم قال : [من البسيط]

مُجرّبٌ قد حَلَبْتُ الدَّهْرَ أشطُرَهُ   مُجَرَّسٌ[2] شَدَّ رأيٌ منه تَعليمُ

(١) رطن العجمي : تكلم بلغته والتراطن : كلام لا يفهمه الجمهور .

(٢) الجرس : مصدر الصوت والجرس : الصوت نفسه والجرس : الأصل ـ اللسان ـ.

فقيل له إن الوليدَ ثقيلٌ ، فقال : إن كان أمير المؤمنين ثقيلاً فإن سليمان لأخوه لأبيه وأمه ووليّ عهده ، ولقد هَدَّ ما ذكرتم ركني .

وقال هشام بن الكلبي : وِلي الوليد بن عبد الملك في شوال لعشرٍ خلون منه سنة ست وثمانين وولي تسع سنين وسبعة أشهر ، وتوفي يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلون من جمادي الآخرة سنة ستٍ وتسعين وهو ابن ثلاث واربعين سنةً .

المدائني قال : كان القعقاع بن خُليد عند الوليد بن عبد الملك وعنده ابن رأس الجالوت ، فقال الوليد : تزعمون أن في ولد داود علامة يعرفون بها ، فما هي ؟ قال : تنال يد أحدنا ركبته وهو قائم ، فقال القعقاع فيدي تنال ركبتي ، فقال الوليد : فافعل ، فذهب يفعل فضرط فعيّر بذلك شيبة بن الوليد بن القعقاع ، فقال الشاعر : [من البسيط]

يا شيبُ هل لَكَ في ألفٍ مُدرهَمَةٍ بضرطةٍ ليس في إرسالها حَرَجُ
كـذاك شيخُـكَ إذ أهـوىٰ بـرُكبَتِـهِ فَخانَ فقحتَهُ من ضَعْفِها الشَّرَجُ

الخوارج في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان

أمر زياد الأعسم

١٣ ـ قال أبو الحسن المدائني عن أصحابه : كان زياد الأعسم من بني عَصر بن عوف بن عمر[١] بن عبد القيس من أنفسهم ويقال كان مولىٰ لهم ، وكان يرىٰ رأي الأزارقة[٢] وكان يبيع الزيادي[٣] ، فلما قدم داود بن النعمان البصرة للتجهز ، قال لأصحابه : أريد أن أشتري غلالة تكون تحت درعي أجعلها كفناً ، فقال : من عنده غلالة رقيقة ؟ فقال زياد الأعسم وهو لا يعرفه وظنّ أنه بعض فتيان أهل البصرة وكان داود جميلاً : ناقتي عندي غلالة فإن شئت أن أبيعك إياها أرقّ من دينك فعلت ، فلم يكلّمه داود ومضىٰ .

فقال رجل لزياد : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا داود فاتبعه زياد فاعتذر إليه وواعده مكاناً يلقاه فيه ، فاتّعدا قصر أوسٍ فالتقيا من غدٍ ، فكلّمه داود فأجاب داود ورجع عن رأيه ، وأتىٰ المسجد الذي كان يصلّي فيه الأزارقة من أصحابه فأخذوه ، ويقال : إنه كان أباضيّاً[٤] .

وخرج الأعسم [٨٦/٥١١] في جماعة فيقال إن ابن زياد خرج إليهم

---

(١) يجب أن يكون من وهكذا في المخطوطين ابن لأن عَصَر بن عوف بن عمرو بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصىٰ بن عبد القيس . وهو سهو من الناسخ وعمرو وليس عمر .

(٢) نسبة إلىٰ الخارجي نافع بن الأزرق الحنفي أي من بني حنيفة بن لجيم .

(٣) لعلها الزوائد التي في مؤخر الرحل . وجاء في هامش مخطوط المغرب : الزيادي : ما يسوّق أو هي لبن الزبادي .

(٤) أباضيّاً : نسبة إلىٰ عبد الله بن أباض الخارجي . وهو من بني صَريم بن مقاعس واسمه الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

فقتلهم ، وقال زياد الأعسم حين خرج : [من الطويل]

تُعاتبُني عِرسي علىٰ أن أُطيعَها وقبلَ سُلَيمىٰ ما عَصَيْتُ الغَوانِيا
فكُفّي سُليمىٰ واتركي اللّومَ إنّني أَرىٰ فتنةً صمّاءَ تُبدي المخازِيا
وكيفَ قعودي والشّراةُ كما أَرىٰ عزيزٌ يلاقونَ البَلايا الدَّواهِيا

خبر الهيصم بن جابر

١٤ ـ وهو أبو بيهس أحد بني سعد بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة .

وقال أبو الحسن علي بن محمد عن أصحابه : طلب الحجاج أبا بيهس الهيصم بن جابر ، فهرب إلىٰ المدينة فطوّل شَعره ولعب بالحمام واختضب فلم يعرفه بها أحدٌ ، وطلبه الحجاج وسأل عنه فأعياه وجوده ، وبلغ الوليد بن عبد الملك أنه بالمدينة ، فكتب إلىٰ عثمان بن حيّان المريّ فيه ووصف له صفته وحِلاّه(١) .

فقرأ عثمان الكتاب علىٰ الناس والهيصم جالس ، فنظر إليه رجل إلىٰ جنبه ، فقال : إنك لصاحب الصِّفة وما أنا بمخلّيك ، قال : إنك إن فعلت أثمت واقترفت ذنباً عظيماً ، فأخذه وأتىٰ به عثمان ، فأقرّ أنه الهيصم ، فأعجبه ما رأىٰ منه فحبسه وكتب إلىٰ الوليد بأخذه إياه ، وكان عثمان بن حيان يرسل إليه في كل ليلة فيسامره ويحدثه وكان معجباً به ، فجاءه كتاب الوليد أن اقطع يديه ورجليه واقتله .

فقال له عثمان : أعهد عهدك فقد كتب أمير المؤمنين يأمر بقتلك ، فقال : أجميعاً أم متفرقاً ؟ قال : متفرقاً ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وقال له عثمان : هل لك من حاجة ؟ فأوصىٰ ببُنَيَّة له بالمدينة أن تردّ إلىٰ

---

(١) حِلاّه : الحِل الرجل المجاور بالمدينة أو بمكة أي مجاور لقبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أو للكعبة الشريفة .

أهله ، وأنفذ فيه أمر الوليد ، فمر به رجل حين قطعوا يديه ورجليه فشتمه ، فقال له أبو بيهس : إن كنت عربياً فإنك من هذيل فإنهم أسوأ قوم أخلاقاً[1] ، وإن كنت من العجم فإنك بربريّ ، ومرّ به عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقال : اصبر أبا بيهس ، فقال : لئن أمرت بالصبر إنك لجميل المَرْآة[2] عظيم حسن القدم في الإسلام ، وقتله عثمان بن حيّان ، فقال عويف القوافي أو غيره : [من الرجز]

إن ابنَ حَيّانٍ شَفَىٰ الصُّدورا   وأصبح في يثربٍ منيرا
قد أدرك الله به الثؤرورا   أتبع رأس هيصمٍ مِثجورا[3]
لصّين كانا أعلنا فجورا

وقال الهيثم هرب نبراس بن مالك العنزي من الحجاج وقد طلبه ، فبينا الحجاج يخطب إذ مثل بين يديه ، فأنشده شعراً له يظهر فيه التوبة ، فقال له الحجاج : الزم بابي ودعِ الطعن علىٰ الولاة ، فكان يضرب أعناق الخوارج بين يدي الحجاج

---

(١) كانت هذيل سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يُحلَّ لها الزنا فقال حسان بن ثابت :
سالَت هُذيلٌ رسول الله فاحشةً   ضلّت هَذيلٌ بما جاءت ولم تُصِبِ
تفاخر أسدي وهذيلي فرضيا برجل فقال للهذيلي كيف تكلم الناس وفيكم ثلاث خلال : كان منكم دليل الحبشة إلىٰ الكعبة ومنكم خولة ذات النحيين وسألتم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يحل لكم الزنا . الكامل للمبرد .

(٢) المَرْآة : مصدر الشيء المرئي ـ اللسان ـ.

(٣) مثجوراً : ثجر : الثجير ما عصر من العنب وهو تفل كل شيء معصور وشبه الرأس المقطوع بالتفل لأنه عصر من الدم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر سليمان بن عبد الملك

١٥ ـ وسليمان بن عبد الملك وأمّه أم الوليد ولاّدة بنت العباس بن جزيء ، ويكنىٰ أبا أيوب ، وكان فصيحاً نشأ في أخواله بني عبس[١] وكان أبيض جعداً ، ولي سنة ست وتسعين ، وكان جميل المذهب حسن السيرة ، أخرج المحبّسين وردّ المسيّرين وأنصف من الظالم وكان الوليد أخوه ولاّه فلسطين فأحدث مدينة الرملة وبنىٰ مسجدها ، وأتاه نعي الوليد وكان وليّ العهد بعده ، فخرج من فلسطين إلىٰ دمشق وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ومات بدابق ودفن بها وصلىٰ عليه عمر بن عبد العزيز وذلك في سنة تسع وتسعين وكان يوم مات ابن خمس وأربعين سنة .

فولد سليمان بن عبد الملك أيوب ، وأمه أم أبان بنت خالد بن الحكم بن أبي العاص ، وأمها أم عثمان بنت خالد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، ويحيىٰ وعبد الله أمهما عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ويزيد والقاسم وسعيداً أمهم أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعبد الواحد وعبد العزيز أمهما أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وداود ومحمداً وعُمر وعمراً وعبد الرحمن لأمّهات أولادٍ شتىٰ والحارث لأم ولد .

وأم أيوب كانت عند عبد العزيز بن الوليد فهلكت ، فجاء عبد العزيز إلىٰ سليمان زوجها[٢] فقال له سليمان : أدفنت أم أيوب ثم تأتيني ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا بها أعظم مصيبة منك ، قال : وبلغني أنك نازعت الحارث بن أمير المؤمنين في الصلاة عليها ، فقال : ما بلغ بي الجهل أن أفعل ذلك .

---

(١) عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٢) في كلا المخطوطين ابنها وهو سهو من الناسخ .

فأما أيوب بن سليمان فكان من فتيان قريش عفافاً وأدباً وكان أبوه قد بايع له بالعهد وكان مؤدّبه وحاضنه عبد الله بن عبد الأعلا الشاعر ، وقال فيه جرير : [من البسيط]

إنَّ الإمامَ الّذي تُرجا فواضلُهُ ... بعد الإمامِ وليُّ العهدِ أيّوبُ

وهلك في حياة أبيه ، وقال الفلتان أخو بني عبد الله بن دارم : [من البسيط]

من يَكُ جاراً لقومٍ لا وَفاءَ لَهُمْ ... فإنَّ جاري وليُّ العهد أَيُّوبُ

ورثاه عبد الله بن عبد الأعلا بقصيدة يقول فيها :

ولقد عجبتُ لِذي الشماتَةِ أَنْ رأىٰ ... جَزَعي ومن يَذُقِ الفيجعَةَ يَجْزَعِ

فاشمَتْ فقد قَرَعَ الحوادثُ فَرْوَتي ... وَاجذَلْ بِمَرْوَتِكَ الّتي لم تُقْرَعِ

إن تَبْقَ تَفْجَعْ بالأحبَّةِ كُلِّهم ... أو تُرْدِكَ الأحداثُ إن لم تُفْجَعِ

من لا تُخرِّمُهُ المنيّةُ لا يَزَلْ ... منها علىٰ خَوْفٍ لها وَتَوَقُّعِ

قد بانَ أيوبُ الّذي لفراقِهِ ... سَدَّ العدوَّ غَضاضتي وتخشّعي

أيوبُ كنتَ تجودُ عند سُؤالهمْ ... وتظَلُّ مُنخدِعاً وإنْ لم تُخْدَعِ

ولا عَقِب لأيوب .

بيعة عمر بن عبد العزيز

١٦ ـ وحدثني هشام بن عمار الدمشقي أبو الوليد عن مسلم بن أبي سليم الحمصي ، قال : خرج سليمان إلىٰ دابق ليُغزي الناس منها ، فأغزاهم وعليهم ابنه أيوب بن سليمان ومعه مسلمة بن عبد الملك ، وكان أيوب وليّ عهده فلما احتُضر سليمان قال : إن ابني أيوب بإزاء عدو ولا أدري ما حدث به ، وإن أهمل الأمر إلىٰ قدومه ضاع ، وانتشروا ولم تؤمن الفتنة علىٰ الناس في جميع الأمصار ، ولعل الحدثان أن يكون قد غاله علىٰ أني ولّيته العهد وأنا أظن أن عمري يطول وهو حَدثٌ ، فولّى

عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك من بعده وأيوب إن كان بعد يزيد .

وكره أن يخرجها من ولد عبد الملك فيحدثوا أحداثاً تدعو إلىٰ الفتنة . وصوّب رجاء بن حَيْوة[1] رأيه في ذلك ، وقوّىٰ عزمه ، وتوفىٰ أيوب في غزاته وقد أقبل وذلك حين شارف الثغر خارجاً أو داخلاً .

قال هشام : وقد يقول قوم إن نعي أيوب أتىٰ سليمان يوم مرض ففعل ما فعل .

وقال المدائني وأبو اليقظان : مات بالشام .

وأما محمد بن سليمان فكان صاحب فتوّة وباطل وقد أدرك الوليد بن يزيد . وأما عبد الواحد فولاه مروان بن محمد بن مروان مكة والمدينة ، فصلىٰ بالناس بالموسم ثم هرب من الأباضيّة حين خرجوا عليه ، فقال الشاعر : [من الكامل]

جاء الّذينَ يُخالفونَ بدينهمْ ... دينَ النَّبيِّ ففرَّ عبدُ الواحِدِ
تَرَكَ القتالَ وما بهِ من عِلَّةٍ ... إلا الوهونَ وعِرقَهُ من خالدِ[2]

---

(١) رجاء بن حيوة الفقيه المحدّث : وهو رجاء بن حيوة بن خنزل بن الأحنف بن السمط (تملك) بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن عمرو (مرتع) بن معاوية بن كندة (ثور) . وقد جاء في سير أعلام النبلاء طبعة مؤسسة الرسالة : ج : ٤ ص : ٥٥٧ رجاء بن حيوة الكندي الأزدي وذكر في الهامش ترجمة له في عدة كتب ومن الرجوع إليها يذكرون كندي فقط وهل يمكن لرجل أن يكون كندي وأزدي وكلاهما من أكبر القبائل وربما المحقق التبس عليه في كتاب تهذيب الكمال حيث جاء الكندي الفلسطيني ويقال الأردني فصحف الأردني بالأزدي والله أعلم .

(٢) في هامش مخطوط المغرب : يعني خالد بن أسيد . انتهىٰ ما في الهامش ، كانت أم عبد الواحد كما مر سابقاً أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أسيد وكان عبد العزيز بن=

وقتله صالح بن علي بن عبد الله وأخذ ماله بالشام .

وله عقب ومدحه ابن هرمة[(١)] ، فقال : [من المتقارب]

إذا قيل مَن خَيْرُ مَنْ يُرتَجىٰ لمُعْتَرٍّ فِهرٍ ومُحتاجِها
ومن يجعَلُ الخيلَ عِند الوغىٰ بألْجَامِها قبلَ إسراجِها
أشارتْ نساءُ بني مالكٍ إليه بِهِ قبلَ أزواجِها

وأما عبد الرحمن بن سليمان فهلك وهو شاب ، وأما الحارث بن سليمان فكان من رجالهم جلداً وذكراً وأدرك قتل الوليد بن يزيد ، وقال فيه الشاعر : [من الطويل]

كأنَّكَ بُرْدٌ ذو حواشٍ مُسهَّمٌ به حَرَقٌ قد شانَه وَهْوَ واسعُ
بَلَوْناكُمُ حتّىٰ عَرَفْنا خِيارَكُمْ فخيرُكُمُ رثُّ المروءَةِ راضِعُ

فقال هشام بن عبد الملك لهذا الشاعر : ويلك عممّت بني مروان ، فقال : لا ولكني عنيت بني سليمان . وأما يزيد بن سليمان ، فمات قبل المسوّدة[(٢)] ، وقَتلَ ابنه عبدُ الله بن علي ، وأما داود بن سليمان فهو الذي قال له رجل : هلك أبوك بشماً[(٣)] وهلكت أمك بغراً[(٤)] ، وكانت أم داود عطشت في طريق مكة فشربت الماء فأكثرت فماتت .

= عبد الله بن خالد بن أسيد هرب من حرب الخوارج وفض عسكره قطري بن الفجاءة وأخوه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد هرب من أبي فديك وفض عسكره لذلك قال له الشاعر عندما هرب من الخوارج فيك عرق لخالد بن أسيد .

(١) ابن هرمة شاعر مشهور قرشي وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن هذيل بن الربيع بن عامر بن صبح بن عدي من قيس بن الحارث بن فِهر الذي هو قريش .

(٢) شيعة بني العباس .

(٣) البشم : تخمة علىٰ الدَّسم .

(٤) البغر : الشرب فلا يرویٰ .

قالوا وكان الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم[1] أشارا على الوليد بتولية ابنه عبد العزيز العهد مكان سليمان أو بعده ، فحقد على قتيبة سليمانُ ، فلما استخلف سليمان ، قال قتيبة وهو بخراسان :

أيها الناس قد وليكم هبنّقة القيسي ، وذلك أن سليمان كان يعطي أهل الشرف واليسار والنباهة ولا يرفع خسيساً ولا يصطنع خاملاً ، وذلك [٦٨/٥١٢] أن هبنَّقة كان يخصّ سمان إبله بالمرعى والعلف ويضرّ بالمهازيل ، ويقول : أنا لا أصلح ما أفسده الله ، ولا أفسد ما أصلح ، فنسب قتيبة سليمان إلى الحمق ، وكان ذلك سبب مخالفة قتيبة حتى قتل بخراسان . وفي سليمان يقول الفرزدق : [من الكامل]

وإلى سليمانَ الّذي سكنتْ ... أروى الهضابِ لهُ من الذُّعْرِ
وتراجع الطرداء إذْ وثِقوا ... بالأَمْنِ من رُتْبيلَ والشَّجْرِ[2]
كنا نُناجي اللهَ نسألُهُ ... في الصُّبحِ والإسحارِ والعَصْرِ
ألا يُميتَك أو تكونَ لنا ... أنت الإمامُ وَواليَ الأمرِ
فَأَجابَ دعوتَنا وأنقَذنَا ... بخلافَةِ المهديِّ مِنْ ضُرِّ
إني لأرجو أن يُقيمَ لَنَا ... سُنَنَ الخلافَةِ من بَنى فِهْرِ

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

وكم أطلقَتْ كفّاكَ من قَيْدِ بائسٍ ... ومن عُقدَةٍ ما كانَ يُرجى انحلالُها

بعض ما جرى مع سليمان :

١٧ ـ المدائني عن عوانة قال : خرج سليمان بن عبد الملك

---

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان للوليد بن عبد الملك .

(٢) اشتجر القوم : تخالفوا ، وشجر بينهم الأمر : تنازعوا فيه ، وشجره بالرمح : طعنه ـ اللسان ـ

يستسقي ، فسمع أعرابياً يقول : [من الرجز]

يـا ربّنـا ربَّ العبـادِ مـالَكَـا قـد كنـتَ تَسقينـا فمـا بـدا لكـا

أنـزلْ علينـا الغيـثَ لا أبـا لكـا

فقال سليمان : صدق والله ما لله أبّ ولا صاحبة ولا ولد .

المدائني عن أبي اليمان القرشي ، قال : خطب سليمان بن عبد الملك ، فقال : اتخذوا كتاب الله إماماً وارضوا به حكماً واجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما قبله ، ولن ينسخه كتاباً بعده ، فما سمعتُ خطبةً أوجز منها .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش ، قال : قال سليمان بن عبد الملك يوماً : يا غلام ادع صالحاً ، فقال بعض الحرس : يا صالحاً ، فقال سليمان : أنقص من صالحك ألف ، فقال عمر بن عبد العزيز وأنت يا أمير المؤمنين فزد في ألفك ألفاً[1] .

المدائني عن الفضل بن الهيثم ، قال : دخل رجل على سليمان فتكلم فأراد أن يسبر عقله ، فإذا هو مضعوف ، فقال سليمان : زيادة منطقٍ على عقلٍ خدعه ، وزيادة عقل على منطق هُجْنة وأحسن من ذلك ما زان بعضه بعضاً .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم عن ابن عياش ، قال : قدم أبو السماك إلى سليمان بن عبد الملك فقال : إن أبينا هلك فوثب أخانا على ما لُنا فأخذه فانظر في أمرنا ، فقال سليمان : لا رحم الله أباك ولا عافى أخاك ولا ردّ عليك مالَك نحوّه عني[2] .

---

(١) كي يستقيم الإعراب ويكون الكلام صحيحاً يجب أن ينادي بعض الحرس : يا صالحُ ويجب أن يقول سليمان : أنقص من صالحك ألفاً .

(٢) كي يستقيم الإعراب ويكون الكلام صحيحاً يجب أن يقول : إن أبانا فوثب أخونا على مالِنا بالكسر فانظر في أمرنا . =

وقال المدائني : دخل أبو السربال الكلبي على سليمان قبل الخلافة وهو يتغدّى فدعاه للغداء ، فقال سليمان : ادنُ يا أبا السربال ، فقال : لا والله أو أعرف من أُكلاي ، قال : هذا ، قال : ومن هو ؟ قال : روح بن زنباع[1] ، قال : رجل والله ما اعتركت الأضياف على باب أبيه قطّ ، قال : فمن هذا ؟ قال : فلان ، قال : إنه لصغير القِمَّة ، ونظر إلى رجل من قريش أحمرَ أقيصر فقال أبو السربال : أما هذا فلا أسألك عنه هذا قيصر ، فضحك سليمان وجلس أبو السربال يأكل ، وجاءوا بفالوذجة فجلس سليمان يأكل بأصابعه كلّها ، فقال : يا أبا السربال دونك فإن هذا يزيد في الدماغ ، فقال : أصلح الله الأمير ، لو كان هذا كما قلت لكان رأسك مثل رأس البغل .

حدثني العمري عن الهيثم عن ابن عياش ، قال : تقدّم رجل إلى سليمان وهو بدابق ، فقال : يا أمير المؤمنين هلك أبينا وظلمنا أخينا فانظر في أمرنا نظر الله إليك ، فقال سليمان : نحّوه لعنة الله ، فنُحّي .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد عن أشياخ لهم : أن سليمان قال : الحسود لا يسود .

المدائني عن عامر بن حفصٍ ومسلمة : أن سليمان بن عبد الملك قال ليزيد بن أبي[2] مسلم لعن الله رجلاً ولاّك فأجرّك رسنك واختارك لأمرٍ من أمور المسلمين ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك رأيتني والأمر عني مدبر ، ولو رأيتني وهو عليّ مقبل عظم عندك ما ستصغرت ، وحسُن

---

(١) روح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان وهو روح بن زنباع بن روح بن سلامة بن حُداد بن حديدة ابن أمية بن القيس بن حماية بن وائل بن مالك بن زيد مناة بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن عمرو الذي هو جُذام .

(٢) يزيد بن أبي مسلم : حاجب الحجاج ، ثم ولاّه الوليد خراج مصر وأفريقيا .

ما استقبحت من أمري ، فقال : ما تقول في الحجاج ؟ فقال : يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك فضعه حيث شئت .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن الجريري ، قال : شكا سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، موسى شهوات إلى سليمان بن عبد الملك ، وأمّه آمنة بنت سعيد بن العاص بن سعيد أبي أحيحة ، وقال : هجاني فقال : لا أم لك لِمَ هجوته ، قال : يا أمير المؤمنين إنما فضلّت عليه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وذلك أني عشقت جاريةً بدمشق ، فسألته أن يبتاعها إلى بمئتي دينار فقال لي : بورك فيك ، فقال سليمان : ليس هذا موضع بورك فيك ، قال : وأتيت سعيد بن خالد بن عبد الله ، فدعا بمطرف خزٍّ وأمر جاريته فصرّت في كل زاوية منه مئتي دينار فمدحته ، فقال : قل ما شئت بعد هذا ، واستنشده ما قال ، فأنشده :

[من الطويل]

عَقيدُ النّدى ما عاشَ يرضى بهِ النّدى فإن ماتَ لم يرضَ الندى بعقيدِ
سعيدُ النّدى أعني سعيدَ بنَ خالدٍ أخا العُرفِ لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنّي أعنّي ابنَ عائِشَةَ الّذي كلا أبويه خالد بن أسيد

فقال سعيد بن خالد [من الوافر]

إذا كانَ الأميرُ عليكَ خَصْماً فلا تكثرْ فقد غَلبَ الأَميرُ

وأنشد : [من الوافر]

ونستَعدي الأميرَ إذا ظُلمنا فمن يُعدى إذا ظَلَم الأميرُ

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن كناسة قال : بعث يزيد بن المهلّب سَرِيعاً مولى عمرو بن حريث إلى سليمان ، قال سريع : فعلمت

أنه سيسألني عن المطر ، ولم أكن أرتق[١] بين كلمتين ، فأعطيت أعرابياً درهماً وقلت : كيف أقول إذا سئلت عن المطر ؟ قال : قل جاء مطر غزير درير فغمد الثرىٰ واخضرّ العمير واستأصل العرق . ولم أر وادياً إلاّ دارياً .

فلما دخلت على سليمان سألني عن المطر فقلت هذا الكلام ، فقال : هذا كلام لست بأبي عذره فاصدقني ، فحدّثته فضحك وضرب برجليه ، وقال : لقد أصبتَ ابن بجدتها[٢] .

المدائني عن مسلمة ، قال : زحل أيوب بن سليمان وهو عند أبيه ، فقال له : مالك يا بني ؟ قال : خدرت رجلي . فقال سليمان : يا بني اذكر أحبَّ الناس إليك[٣] ، فقال : على الله على محمد ، فقال سليمان : ابني سيد وإني عنه لفي غفلة ، وولاّه عهده .

يأتي الفرج من حيث لا تحتسب

١٨ ـ المدائني قال : كان محمد بن يزيد الأنصاري مع سليمان فوجهه إلى العراق حين ولي ، فأطلق أهل السجون وقسّم الأموال وضيّق على يزيد بن أبي مسلم وحمله إلى سليمان ، فظفر به يزيد بأفريقية عند المغرب في شهر رمضان فجعل يقول : اللهم احفظ لي إطلاقي الأسراء وإعطائي الفقراء .

فقال له يزيد : أمحمدٌ طال والله ما سألتُ الله أن يمكّنني منك بلا عهد ولا عقدٍ ، قال : وأنا والله قد سألته أن يجيرني منك ، قال يزيد : فوالله

---

(١) الرتق : ضد الفتق ـ اللسان ـ

(٢) يقال : هو ابن بَجْدَتها للعالم بالشيء المتقن له المميز له .

(٣) ما زال حتى الآن عندما تخدر الرجل تقول العامة : اذكر اسم حبيبك يفك الخدر .

ما أجارك ولا أعاذك ولا أجابك ، والله لا أريم مكاني حتى أقتلك وأقيمت الصلاة فبادر إليها، وكان أهل إفريقية قد أجمعوا على قتله فضربه رجل منهم بعمود على رأسه فقتله وقال لمحمد: اذهب حيث شئت.

كان سليمان نهماً بخيلاً على الطعام

١٩ ـ قالوا : وكان سليمان نَهِماً بخيلاً على الطعام ، فمد رجل يده إلى دجاجة كانت بين يديه ، فقال له : كُلْ مما بين يديك ، فقال : أوها هنا حمىً . فرمى بالدجاجة إليه ، وقال : كلها لا بارك الله لك فيها .

المدائني قال : قال سليمان ليزيد بن المهلب : أكره منك ثلاثاً : خفّك أبيض مثل ثوبك ، وطيبك يرى وطيب الرجل يوارى ، وأنك تكثر مس لحيتك ، فغير الخفّ والطيب ، ولم يدع مسّ لحيته ، وكان يزيد يقول : ما رأيت عاقلاً قط إلا ومُعَوّله[1] إذا فكر على لحيته .

المدائني قال : ضمّ سليمان بن عبد الملك عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى ابنه أيوب ، فأتاه فحجبه فجلس في بيته فتعتّب أيوب عليه فعاتبه عون فغضب فلامه ، فقال : ضممتني إلى رجل إذا أتيته حجب وإن جلست عنه عتب وإن عاتبته غضب .

حدثني أبو مسعود القتّات عن ابن الكلبي : أن قوماً وفدوا إلى سليمان ، فقال متكلمهم : إنا والله ما أتيناك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فدخلت علينا منازلنا ، وأما الرهبة فآمنناها فضلك وعدلك ، وقد حببّت لنا الحياة وهوّنت علينا الموت ، لأننا نثق بإحسانك لأنفسنا ونرجوك لمن تخلّف بعدنا من أعقابنا ، فأحسن صلتهم والنظر لهم .

---

(١) ومن قول العرب : معوّلي على فلان أي إتكالي عليه واستغاثتي به ـ اللسان ـ

قال ، وكان سليمان أكولاً يؤتى في [٦٨/٥١٣] كل يوم من صلاة الغداة بعشر رقاقات وخروفين عظيمين ودجاجتين سمينتين ، فيأكل ذلك كلّه بخلّ فيه الجذان ومري[١] .

وقال الواقدي : غزا سليمان الصائفة مسلمة بن عبد الملك وعلى الصائفة أيوب ابنه ، فلما جاوزوا الدرب مات ، ومات سليمان وقد نفذ مسلمة فأقفله عمر بن عبد العزيز .

المدائني قال : حجّ سليمان فقال لقيّمه على طعامه : أطعمني من خرفان المدينة أو قال من جَدا المدينة ، ودخل الحمام ثم خرج وقد شوي له أربعة وثمانون خروفاً أو جَدْياً ، فجعل القَيّم يأتيه بواحدٍ فيتناول جزماجه[٢] ويضرب بها شحم كليته ، فأكل أربعة وثمانين جرمازجة بشحم أربعة وثمانين كلية ، ثم قال : ادع بإغلام عمر بن عبد العزيز وأذن للناس ووضع الغداء فأكل معهم كما أكلوا .

وقال المدائني : حجّ سليمان فأتى الطائف فلقيه ابن أبي زهير الثقفي رجل من أهلها ، فسأله أن ينزل عليه ، فقال : إني أخاف أن أبهّتك ، فقال : قد رزق الله خيراً كثيراً ، فنزل عليه فجعل يأتيه من حائطه وهو فيه بخمس رمانات خمس رمانات حتى أكل مئة وسبعين رمانة ، ثم أتى بخروف وست دجاجات فأكل ذلك ، ثم أتى بمكوك زبيب فأكله ثم وُضع الطعام فأكل وأكل الناس ، وفتح ابن أبي زهير أبواب الحيطان فأحلّ الناس من الفاكهة ، فقال سليمان : قد أضررنا بالرجل وأقام بالطائف سبعاً ثم صار إلى مكة وقال لابن أبي زهير : الحقني فلم يفعل ، فقيل له

---

(١) الجذان ومري : هكذا في المخطوطين ولعلهما نوع من الرياحين لأن المرو : شجر طيب الريح ، وضرب من الرياحين .

(٢) هكذا جاءت في أصل المخطوطين .

لو لحقته ، قال : أقول ماذا ؟ أعطني ثمن طعامي .

وقال المدائني : خرج سليمان من منزله يريد منزل يزيد بن المهلب ، فقال يزيد : الغداء يا أمير المؤمنين ، قال : نعم فأكل أربعين دجاجة جردناج سوى ما أكل ذلك من الطعام .

وقال المدائني : أكل سليمان اثنين وثمانين ناهضاً[١] ، وفخارة فيها هريسة .

قال : وأتاه وهو بدابق رجل من النصارى كان منقطعاً إليه من قبل الولاية ، فقال له : هل أهديت لي شيئاً ؟ قال : نعم أهديت تيناً وبياضاً ، وأتاه بزبيل[٢] مملوءٍ بيضاً مطبوخاً وبزبيل مملوءٍ تيناً ، فجعل يقشر البيض ويأكل بيضة بتينة حتى أتى على الزبيلين ، ثم أتوه بقصعة مموءة مخّاً مخلوطاً بسكر ، فأكل ذلك وأتخم فمات .

المدائني قال : كان حنظلة بن عقال أكولاً ، فأكل عند سليمان وهو يرتجز : [من الرجز]

أعددتُ للفم عظيم الفَلَقِ ... يكاد أطراف الرغيف يلتقي

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن الضحّاك بن زمل : أن سليمان أتى بطبق عليه ثمانمئة من عيون البقر وهو الشاهلوخ ، فأكل جميع ما في الطبق ثم دعا بالغداء فأمعن كأنه لم يأكل شيئاً .

وقال الضحاك بن زِمل : قال سليمان حين نزل عقبة أفيق[٣] : هل

---

(١) **الناهض : الفرخ الذي استقل للنهوض ـ اللسان ـ.**

(٢) **الزَّبيل والزِّنبيل : القفة .**

(٣) **أَفِيق : قرية في حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق ـ معجم** البلدان ـ وهي فيق : قرية من قرىٰ الجولان . =

عندكم شيء ؟ فأتي بست دجاجات وفرخين وعشرة أرغفة في كل رغيف رطل ، فأكل وهو على بعيره ، إذا رجل يصيح : يا أمير المؤمنين إن عاملك على كذا ظلمني ، وهو يقول : كذبت لا أمّ لك ، ويأكل فلما فرغ قهم[1] عنه فأمر فكتب بإنصافه .

قال ، وقال الضحّاك : قال سليمان وذُكر عنده تشقيق الخُطَب والإسهاب في الكلام : من أكثر القول فأحسن قدر على أن يقلّ فيحسن ، وليس من قصّر فأحسن بقادر على أن يطيل فيحسن .

وحدّثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مولى لسليمان ، قال : كان سليمان يأكل بخمس أصابع ويجعل له منديل على صدره ومنديل على فخذيه ، وكان لا يرفع رأسه إذا أكل حتى يشرب عُسّاً[2] ضخماً فيه عسل سعتري[3] ، ربما استعان عليه بركبتيه أحياناً ، فإذا شرب تكلم .

فقام إليه رجل وهو يأكل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني زوجت ابني وليس عندي ما أجمع به أهله إليه ، فاسلفني عطائي من بيت المال ، فقال : ما يزال عاضٌ لبظر أمه يقوم إلينا فيفسد علينا طعامنا ، فتنحّى الشيخ وجلس ، فلما فرغ من طعامه ، قال : قلتَ ماذا لله أبوك ؟ فردّ عليه مسألته ، فقال : وكم عطاؤك لله أبوك ؟ قال : مئتا دينار ، قال : يا قسامة أعطه مئتي دينار ومئتي دينار ومئتي دينار وطوّل نفسه حتى انقطع . فنُظر فإذا جميع ذلك اثنين وسبعين ألف درهم ، ثم قال : أبا رُجَيّ رضيتَ ؟ قال : نعم ، فرضي الله عنك يا أمير المؤمنين ، قال : يا قسامة أضعفها له فأخذ مئة وأربعة وأربعين ألف درهم .

---

(١) قهم : أقهم عن الطعام وأقهىٰ أي أمسك وصار لا يشتهيه .

(٢) العُسّ : القدح الكبير .

(٣) السعتر : نبت وبعضهم يكتبه بالصاد ـ اللسان ـ.

فحدثني الحرمازي وأبو مسعود الكوفي ، قالا : قال سليمان بن عبد الملك لسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهما في الكعبة : يا أبا عمر اذكر لي حوائجك ، قال : إني لا أسأل في بيت الله غيره .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : انصرف سليمان من صلاة الجمعة فأكل شحم كُلى أربعين جَدْياً وصحفة مملوءةً مخّاً وغير ذلك ، ثم جامع وقام عن الجارية موعوكاً فمات بدابق ، وكان جميل الوجه حسن الخلق ، يقول : أنا الملك الشابْ .

قال الحزين[1] : [من الطويل]

فيا قومُ ما بالي وبالُ ابنِ نَوْفَلِ ... وبالُ بُكايَ نوفَلَ بنَ مُسَاحِقِ
ولكنّها كانتْ سوابقَ عَبرةٍ ... على نوفَلٍ من كاذبٍ غيرَ صادقِ
فهلاّ على قبرِ الوليدِ سَفَحْتَهَا ... وقبرِ سليمانَ الّذي عندَ دابِقِ

ولاة سليمان بن عبد الملك بعد موت الوليد

٢٠ ـ وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه وعوانة ، قالا : لما مات الحجاج وكان قد استخلف على حرب العراق يزيد بن أبي كبشة ، وعلى خراجها يزيد بن أبي مسلم مولاه ، فأقرّهما الوليد حتى مات ، وأقرّ عمال الحجاج ، وكان الوليد يقول : الحجاج جلدة ما بين عيني لا بل جلدة وجهي كلّه .

وكان موت الوليد للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك وهو بالرملة ، ولىّ يزيد بن أبي كبشه

---

(١) الحزين من شعراء الدولة الأموية حجازي مطبوع وكان هجّاء خبيث اللسان واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك بن حُريث بن جابر بن بكر بن يعمر بن عدي بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ويقال إنه مولىً .

صلاة العراق وحربها ، وصالح بن عبد الرحمن السجستاني مولى بني مرّة[1] بن عبيد خراج العراق ، وولى سليمان بعد أربعين يوماً من خلافته يزيدَ بن المهلب حرب العراق وخراجه ، واستعفاه من الخراج ، فأراد تولية يزيد بن أبي مسلم الخراج وقد كان ابن المهلب وصفه له بالعفاف ، فقال عمر بن عبد العزيز : أتولي ابن أبي مسلم ؟ قال : نعم ، إنه عفيف عن الدراهم ، فقال عمر : إن الشيطان أيضاً عفيف عن الدراهم لم يأخذ درهماً قطّ . فاستشار يزيد بن المهلب فيمن يولّيه خراج العراق ، فأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن وكان صالح كاتباً للحجاج بعد زدانفروخ بن بيزى كاتبه المجوسي .

وشخص يزيد بن المهلب إلى العراق ، وخراسان مضمومة إليه ، فلما قدم واسطاً وجد الجراح بن عبد الله الحكمي[2] على البصرة من قبل ابن أبي كبشة ، فكتب إليه بالقدوم عليه وولّى البصرة رجلاً من أصحابه .

وكتب إلى يزيد بن المهلب في الشخوص إلى خراسان لإصلاحها وتسكين الناس بها بعد الذي كان من أمر قتيبة[3] ما كان ، واستخلف يزيد بواسط الجراح بن عبد الله .

المدائني قال : أن يزيد بن المهلب كان عامل سليمان على العراق ، فولّى البصرة سفيان بن عمير الكندي فجاءته امرأة بزوجها تطالبه

---

(١) بني مرّة بن عبيد بن الحارث (مقاعس) بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(٢) الحكمي : نسبة إلىٰ الحكم بن سعد العشيرة . وهو الجراح بن عبد الله بن جُعادة بن أفلح بن الحارث بن دَوّة بن حرب بن سفيان (مظّة) بن سِلهم بن الحكم بن سعد العشيرة بن مالك (مَذْحِج) .

(٣) قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان أغرىٰ الوليد بالبيعة لابنه عبد العزيز ولم يبايع لسليمان وخرجَ عليه فقتل بخراسان .

بصداقها ، فقال مالها عندي شيء ، قال : فأين صداقها ؟ قال : أكله الذئب ، قال : فأنت والله ذلك الذئب أعطها صداقها .

المدائني قال : أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز : يا با حفص أيكون المؤمن في حال يعتدل فيها سروره ومكروهه ، فقال : يا أمير المؤمنين لا يستوي عند أحدٍ السرّاء والضّراء ولكن مُعوّل المؤمن الصبر .

المدائني قال : قال سليمان بن عبد الملك لمحمد بن مالك الهمداني[١] : قد رأيتُ ولد المهلب فكلهم جَزْلٌ ، فأخبرني عن المهلب ، فقال : كان لا يستنهض عن عجزٍ ولا يكفكف عن جهلٍ ولم أر بالعراق مثله .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة ، قال : قال سليمان بن عبد الملك : لله كلمةٌ ما قالها إلا حكيم وهي : لا ينفعك رأي من لا ينفعك ظنّه .

ما قيل في موت أيوب بن سليمان

٢١ ـ حدثني أبو الحسن المدائني ، قال : قال أبو جعفر المنصور : أما الوليد فكان مجنوناً وأما سليمان فكان نَهِماً همّه بطنه وفرجه ورجل القوم هشام .

المدائني عن خالد بن يزيد ، قال : جَزِع سليمان بن عبد الملك على

---

(١) نسبة إلىٰ قبيلة همدان ومحمد كان شريفاً وهو محمد بن مالك بن زبيد بن جبلة بن أشوع بن أيفع بن مَرثد بن مالك بن زيد بن مالك بن كثير بن عمرو بن مالك (خيوان) بن زيد بن مالك بن جُشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن أوسلة (همدان) .

ابنه أيوب ، فقال رجلٌ : يا أمير المؤمنين إن من حدّث نفسه بطول النِّفاق ولين المصائب لعازب الرأي ، فكأنّ ذلك عرف في سليمان .

المدائني ، قال : وقع بين سليمان بن عبد الملك وبين أخيه مروان بن عبد الملك في حياة عبد الملك شرٌّ ، فقال سليمان لمروان يا بن اللخناء[1] ، وفتح فمه ليجيبه وإلى جانبه عمر بن عبد العزيز فأمسك على فمه وقال : أخوك يا با عبد الملك وأما السن عليك ، فقال : يا با حفصٍ رددتَ في جوفي أحرّ من الجمر ، ومال لجنبه فمات ، وكان أخا يزيد بن عبد الملك لأمّه عاتكة بنت يزيد[٦٨/٥١٤] ، وفيه يقول جرير :

[من الطويل]

أبا خالدٍ فارقتَ مروانَ عَن رضىً   وكانَ يزينُ الأرضَ أن تنزلا معا
فسيروا فلا مروانَ للحيّ إذ شَتوا   ولا للرَّكْبِ إن أَمسَوْا مخيفينَ جُوَّعا

ونظر إليه عبد الملك يكفّن ، فقال : الحمد لله الذي رضّانا بموت أبنائنا ودفنهم .

وكتب إلى عبد الملك بعض ولد الحكم يعزّيه بمروان ، فكتب إليه عبد الملك :

كتبتَ تسألُ عن صَبري لِتَعْلَمَهُ   على الـرَّزِيَّةِ بـالمـأمـولِ مـروانِ
فقـد صبـرتُ بعـونِ اللهِ محتسبـاً   لمـوعـد الله مـن فـوزٍ ورضـوانِ

المدائني قال : الثبت أن أيوب بن سليمان توفي بالشام ولم يكن غازياً ، وإنما كان الغازي مسلمة بن عبد الملك ، وكان سليمان أراد أن يغزّيه على الجيش فمرض ، قال : فلما احتُضر أيوب دخل عليه وهو يجود بنفسه ومعه عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حَيْوة ، فجعل ينظر في

---

(١) الخن : النتن واللخناء : هي المرأة التي لم تختن ـ اللسان ـ.

وجهه فتخنقه العَبْرة ويردّها ، ثم نظر إلى عمر فقال : إنه والله ما يملك أحد أن يسبق إلى قلبه الوجد عند المصيبة واليأس في ذلك أصناف ، فمنهم منْ يغلبُ صبرُه جزَعه فذلك الجلد الحازم المحتسب ، ومنهم من يغلب جزَعُه صبرَه فذلك المغلوب الضعيف ، وإني أجدُ في قلبي لوعةً إن أنا لم أبرّدها بعَبرة خفتُ تصدّع كبدي كمداً وانشقاقاً .

فأما عمر فنهاه عن البكاء وأمره بالصبر ، وأما رجاء ، فقال : افعل ولا تُفْرط فإن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما هلك إبراهيم ابنه ، قال : « تدمع العين وينجع القلب ولا نقول ما يُسخط الربّ ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون » .

فلما دُفن أيوب وقف سليمان على قبره ، وقال : [من الطويل]

وقفتُ على قبرٍ مقيمٍ بقَفْرَةٍ   متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مُفارقِ

ثم قال : عليك السلام يا أيوب : [من السريع]

كنتَ لنا إنساً ففارقتَنا   فَالعيشُ من بعدك مرُّ المَذَاقْ

ثمّ ركب دابته وقال : [من البسيط]

فَإِنْ صَبَرتُ فلم أَلفظْكَ من جَزعٍ   وإن جَزِعتُ فعِلقٌ مُنْفَسٌ ذَهَبا

فقال عمر بن عبد العزيز : الصّبر يا أمير المؤمنين فإنه أقرب الوسائل إلىٰ الله .

قال : وعزّىٰ رجلٌ سليمانَ عن أيوب ، وقال له : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تجعل آخر أمرك أوّله فافعل ، فقال سليمان : لقد أوجزت في التعزية وسكّنت من اللوعة ، وعند الله أحتسب أيوب .

حدثني الحرمازي الحسن بن علي عن العتبي ، قال : دخل

سليمان بن عبد الملك علىٰ طاوس[1] يعوده ، فلم يعظّمه ولم يُجبْه بما يُجاب به الخلفاء ، فعوتب طاوس علىٰ ذلك ، فقال : أحببت أن يعلم أن في الناس من يستصغر ما يستعظمه المغرور ممّا هو فيه .

قالوا : بينا سليمان يمشي في بستان ومعه جماعة يمشون حوله من أهل بيته وغيرهم ومعهم يزيد بن المهلب ، فنظر فقال : يا يزيد ارتدف فأنا أكرم رادفة من النعمان ، قال : يا أمير المؤمنين بل أمشي ، فقيل ليزيد : ما منعك من الإرداف خلف أمير المؤمنين فتسيران والناس جميعاً يمشون ، فقال : ما عييتُ عن ذلك ولكني خشيت أن أثب فأقصّر عن الركوب وكرهت أن أدعو من يعقلني[2] وأن تنال أمير المؤمنين يدي .

قالوا : وكان عمير الهجري[3] راوية لخطب الحجاج ، فقدم فسلطين ويزيد بها عند سليمان وذلك بعد موت الحجاج فجلس إليه عمير فذكر شيئاً منها ، فأمر به يزيد فأقيم ، ثم قال : أجلسوه ثم قال : خلّوه ، فقيل لعمير : ما دعاك إلىٰ ما قلت ، ألم تعلم ما بين يزيد والحجاج ؟ قال : لم أعلم أن هاهنا أميرين .

وحجّ سليمان فقدم الطائف فارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وهو مشرف علىٰ عقبة ، ثم أمطرت وانجلَتْ ، فقال سليمان لعمر : يا أبا حفص كاد قلبي يتصدّع ، فقال : يا أمير المؤمنين كان ما رأيت من قدرة الله مع رحمة ، فكيف لو كانت مع عذاب ؟! .

---

(١) طاوس بن كَيْسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجَنَدي ـ نسبة إلىٰ مدينة كبيرة باليمن ـ الحافظ ، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرىٰ مع سيف بن زي يزن ، ثم أقاموا بالمدينة .

(٢) يعقلني : يرفعني .

(٣) هجر نسبة إلىٰ مدينة بالبحرين .

الخوارج في أيام سليمان بن عبد الملك

أمر داود بن عقبة العبدي[1]

٢٢ ـ قال أبو الحسن المدائني : كان داود بن عقبة العبدي من عُبّاد الخوارج المجتهدين فطلب بالبصرة وكان كبيراً فتوارىٰ عند رجل من بني تميم علىٰ رأيه فأمر امرأته أن تتعهده ، وخرج لبعض شأنه فغاب أربعين ليلة ، وكان داود منخفض الطرف لا ينظر إلىٰ شيء .

فقدم التميمي وبعد أربعين ليلة ، قال لداود : كيف رأيت خدمة الزرقاء ؟ فقال داود : والله ما أدري أزرقاء هي أم كحلاء .

ثم خرج داود بالبصرة في سنة تسعين ومروان بن المهلب علىٰ البصرة خليفة يزيد فوجّه إليه خيلاً فقُتل وأصحابه بموقوع ، وداود الذي يقول :

[من الطويل]

إلىٰ الله أشكو[2] فتيانِ غارةٍ ... شهدْتُهُمُ يومَ النَّخيلةِ والنَّهرِ
شهدتهُمُ أُسْداً إذا الحربُ شَمَّرتْ ... مَساميحَ منهم بالمُهَنَّدةِ البترِ
أولئكَ إخواني مُنيتُ بهُلكهِمْ ... فلَهْفي عليهم أن يُروا آخرَ الدَّهرِ
مَضَوْا سَلَفاً قبلي وأُخِّرتُ بعدهم ... وحيداً لأقوامٍ تنابِلَةٍ خُزْرِ

ويقال إن قتله وأصحابه زادويه الإسواري .

وقال أبو عبيدة : وجّه إليهم وهم بموقوع دبيق الأزدي ثم أتبعه بزادويه الإسواري في أساورة فرماهم بالبنجكان ، وقال للأزدي

---

(١) العبدي : أي من قبيلة عبد القيس .
(٢) كلمة ناقصة لعلها : موت ، وبها يستقيم الوزن .

بالفارسية : أظننت أن القتال أكل الزبد .

قال : وخرج في أيام سليمان خمسة من الخوارج بعسفان التي بناحية البصرة فوجّه إليهم خمسمئة من الشرط فهزمهم الخوارج ، فوجه إليهم مروان بن المهلب زادويه ويقال أزدويه الإسواري ، فلما رآهم خمسة قال لأصحابه : قفوا ، وقال لغلامه : ناولني خمس نشابات ودنا منهم فحملوا عليه فاستطرد لهم ، ثم عطف فرمىٰ رجلاً فصرعه ، ثم استطرد ورمىٰ آخر فصرعه ، فلم يزل يصنع مثل ذلك حتىٰ قتلهم جميعاً وأمر فاحتزّت رؤوسهم .

وخرج خوارج فوجّه إليهم مسلم بن الشمرْدل الباهلي[١] في خيل ، فلما التقوا كسروا جفون سيوفهم ونثروا دقيقاً كان معهم ، فقال الباهلي : قد نثرتم الدقيق خار الله لكم ونزل قبالهم وانصرف ، فوجه إليهم غيره فقتلهم .

المدائني قال : دخل سليمان المدينة فرأىٰ عبد الله بن عوف بن أبي عوف من آل أبي وداعة السهمي[٢] فتوهم أنه من قريش فأشار إليه فتقدم ، فقال : ممّن أنت ؟ فأخبره فجعل يسأله عن دارٍ دارٍ حتىٰ صار إلىٰ دار ابن بُدَيل بن ورقاء الخزاعي[٣] ، فقال : لمن هذه الدار ؟ فقال :

---

(١) نسبة إلىٰ قبيلة باهلة حضنت باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة ابنها سعد مناة بن مالك بن أعصر وإخوته من أمهات شتّىٰ فغلبت عليهم .

(٢) السهمي : نسبة إلىٰ سهم واسمه زيد بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) ولا يوجد فخذ أو بطن أو قبيلة تسمىٰ سهم غير هذا فكيف التوّهم .

(٣) الخزاعي نسبة إلىٰ خزاعة وهو بديل بن ورقاء بن عبد العزىٰ بن ربيعة بن جُزيّ بن عامر بن مازن بن عدي بن عمرو (خزاعة) بن ربيعة بن حارثة بن عمر ومُزَيقياء بن عامر بن جارية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد واسمه درء .

لابن بُديل ، فقال : ما أعرفك بدور قتلة عثمان ! ثم مضىٰ وتركه ، فبعث إليه بعد ثالث ، فقال : يا ابن أبي عوف أبطأ عليك رسولنا حتىٰ ساء ظنّك ، فقال : القلوب إلىٰ حسن الظّن أميل منها إلىٰ سوء الظن فيك ، وإذا رزمة وخريطة فيها خمسمئة دينار ، ووصيف عليه ثياب بياض ، فقال للوصيف : احمل هذه الخريطة والرزمة وانطلق مع سيّدك فأنت له وما حملت .

أمر عبد العزيز بن مروان بن الحكم ووَلده

٢٣ ـ ومن ولد مروان بن الحكم عبد العزيز بن مروان ويكنىٰ أبا الأصبغ ، وأمّه ليلىٰ بنت زبّان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبي(١) .

ولاه مروان أبوه العهد بعد عبد الملك ، وكان عبد الملك قد همّ بخلعه وتولية الوليد ابنه العهد ، فقال له قُبَيصة بن ذؤيب الخزاعي : لا تفعل فلعلّ الله سيكفيك ، فلم يلبث إلا يسيراً حتىٰ أتاه خبر وفاة عبد العزيز ، فقال له قبيصة : سلمت من الغدر والنّكث وبلغت إرادتك وفي الصبر خير كثير .

فولىٰ حينئذ عهده الوليد وسليمان ، وكان قبيصة الخزاعي علىٰ خاتم عبد الملك وبريده ، وكان آنساً به قابلاً لقوله .

وكان عبد العزيز جواداً كريماً وفيه يقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي(٢) حين ولاّه أخوه عبد الملك مصر : [من الوافر]

[و] بشِّرْ أهلَ مصرَ فقد أَتاهُمْ ... مع النّيلِ الّذي في مصرَ نيلُ
فتىً لا يرزأ الخلاّنَ إلا ... مودَّتَهم ويرزَؤُهُ الخليلُ

---

(١) الكلبي نسبة إلىٰ قبيلة كلب وهو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمروان بن الحاف بن قضاعة .

(٢) نسبة إلىٰ قبيلة أسد بن خزيمة ، وهو أيمن بن خُريم بن الأخرم بن شدّاد بن عمرو بن الفاتك بن القُليب بن عمرو بن أسد بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

وقال فيه كُثَيِّر : [من الطويل]

قليـل الألايـا حـافـظٌ ليمينِـهِ إذا سبقـت مـن الأليّـةُ بُـرّتِ

وقال ابن قيس الرّقيات[1] : [من المنسرح]

أعني ابنَ ليلىٰ عبد العزيز بباب اليـون بـأتـي جفـانـه رذمـا[2]

الواهِبُ البُخُتَ والوصائِفِ كالـ ـغزلانِ والخيْلَ تألُكُ اللّجما[3]

وقال عبد العزيز : أنا أخبركم [عن] نفسي تزكيةً لها ، ما رجل رغب إليّ فوضعتُ [٦٨/٥١٥] معروفي عنده ، إلا رأيتُ أن يده عندي مثل يدي عنده ، وما رجلٌ استجار بي من خوف فلم أبذل دمي دون دمه ، إلا رأيتني مقصّراً بجليسي ، ولو لم يدخل علىٰ النحلاء من نحلهم إلا بسوء ظنهم بربهم في الحلف لكان ذلك عظيماً .

قال رجل من خثعم[4] يهجوه : [من الوافر]

أرىٰ عبـدَ العـزيـزِ يَصُـدُّ عنّـي بـأَنْـفٍ مثـلِ فَيْشَلَـةِ الحمـارِ

فمـا عبـدُ العـزيـزِ لنـا بـربٍّ ولا دارُ الهـوانِ لنـا بـدارِ

وقال كُثَير يرثيه : [من الطويل]

أبعدَ ابنِ ليلىٰ يأمُلُ الخُلْدَ واحدٌ مـنَ النّـاسِ أَمْ يـرجـو الثـراء مُثَمِّـرُ

---

(١) ابن قيس الرّقيات شاعر من شعراء الدولة الأموية ولقب بهذا لأنه شبب بثلاث نسوة كل واحدة منهن اسمها رُقيّة وهو من قريش : عبيد الله بن قيس بنُ شريح بن مالك بن ربيعة بن وهيب بن ضباب بن حُجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) .

(٢) رذم : قَطر وناقة راذم إذا دفعت باللبن .

(٣) يألك : يعلك يمضغ ـ السان ـ.

(٤) خثعم : قبيلة وهو خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

وقال أبو بكر بن أبي جهم بن حذيفة العدوي[1] : [من الطويل]

أبعـدَكَ يـا عَبْـدَ العـزيـزِ لحـاجَـةٍ وبعدَ أبي الزبّانِ يُستعتَبُ الدَّهْرُ
فلا صَلُحتْ مصرٌ لحيٍّ سِواكُما ولا سُقِيَتْ بالنّيلِ بعدَكُما مِصْرُ
ولا زال مجرىٰ النّيلِ بعدَكَ يابِساً يموتُ به العصفورُ واستُبْطِئَ القَطْرُ

أبو زبان هو الأصبغ بن عبد العزيز .

(١) العدوي نسبة إلىٰ عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) وهم قوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

٢٤ ـ فمن ولد عبد العزيز بن مروان ، عمر بن عبد العزيز ويكنىٰ أبا حفص ، وأمه أم عاصم[١] بنت عاصم بن عمر بن الخطاب خطبها عبد العزيز فزوّجها وحُملت إليه فولدت أبا بكر وعمر ابني عبد العزيز ، وتوفيت عنده فتزوج حفصة بنت عاصم ، وكانت عند إبراهيم بن نُعيم بن عبد الله النحام[٢] من بني عدي بن كعب بن لؤي ، فقُتل عنها يوم الحرّة[٣] وحُملت أيضاً إلىٰ عبد العزيز ، وكانت أم عاصم حين حُملت مرّت بأيلَة فأهدىٰ لها مجنون هناك يقال له شرشير هديّةً ، فأثابته وكَسَتْه ، ومرّت حفصة فأهدىٰ لها فأغفلته ، فقال : ليس حفصة من رجال أم عاصمٍ .

وذكر بعض البصريين : أن حفصة لم تحظ عنده كحظوة أم عاصم وقال : ليست حفصة من رجال أم عاصم ، والأول أثبت .

قال الكلبي : كان ولد عبد العزيز عُمر وأبا بكر وعاصماً ومحمداً ، أمّهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر ، والأصبغ وهو أبو زبّان لأم ولدٍ ، وسهلاً وسهيلاً وأم الحكم أمهم أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص

---

(١) أم عاصم جاء في هامش مخطوط المغرب : قال ابن الأثير في كتابه جامع الأصول اسم أم عاصم ليلىٰ .

(٢) نُعيم وهو النحام بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب سمي النحام ـ نحم : تنخّع ـ لأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « دخلت الجنة فرأيت فيها أبا بكر وعمر وسمعت نحمة من نعيم فسمّي النحام » .

(٣) يوم الحرة : وقعة كانت بالمدينة في أيام يزيد قُتل أهل المدينة مقتله عظيمة وكان علىٰ أهل الشام مسلم بن عقبة المريْ فسمّي مسرف من أجل ذلك .

العبشمي[١] ، وزبّان وأم البنين أمهما ليلىٰ بنت سهل بن حنظلة بن الطفيل الجعفري .

وقالوا : ولّىٰ سليمانُ بن عبد الملك عُمرَ بن عبد العزيز الخلافة ، وكتب كتاباً سماه فيه ويزيد بن عبد الملك إن كان من بعده .

فلما مات سليمان بن عبد الملك أخرج رجاء بن حَيْوة الكتاب وأظهر اسمه وبايعه الناس بدابق وقال لرجاء : ذبحتموني بغير سكين ، وكان عمر بن عبد العزيز أشجّ ضربه حمار وهو بمصر ، فلما رآه أخوه الأصبغ ، قال : هذا والله أشجُّ بني أميّة يملأ الأرض عدلاً ، وكانت خلافته ثلاثين شهراً ووفاته وهو ابن تسع وثلاثين سنة وتوفىٰ في سنة إحدىٰ ومئة وتوفىٰ بدير سمعان وكان نزوله خُناصرة من عمل جند قنسرين[٢] ، وصلىٰ عليه رجاء بن حَيْوة الكندي ، ويقال مسلمة بن عبد الملك .

وحدّثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي[٣] ، ثنا إسماعيل بن أبان عن أبي الأحوص عن ضرار بن مرّة الشيباني[٤] ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال :

أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس ، يبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ويدلنا من العدل علىٰ ما لم نهتد له ، ويؤدّي الأمانة إذا

---

(١) العبشمي أي من عبد شمس .

(٢) قِنّسْرِين : هي كورة بالشام منها حلب وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم ـ معجم البلدان ـ وهي الآن خراب بجانب الطريق الذاهب إلىٰ حلب من حماه علىٰ يمين الطريق قريبة من الزربة عند قرية رسم العيس .

(٣) العجلي نسبة إلىٰ بطن من قبيلة بكر بن وائل وهو عجل بنُ لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٤) نسبة إلىٰ بطن من قبيلة بكر بن وائل وهو شيبان بن ثعلبة بنُ عكابة بن صعب بن علي .

حُملها ، ويعيننا علىٰ الخير ، ويدع ما لا يعنيه ، فمن كان كذلك فحيّ هلا به ومن لم يكن كذلك فلا يقربنا .

قال أبو سنان ضرار : فحجبوا والله دونه ، قال : وهذا أول كلام تكلّم به حين استخلف .

حدثني هشام بن عمّار عن أشياخه قالوا : لما ترعرع عمر بن عبد العزيز استأذن أباه في إتيان المدينة ، وقال : أحبّ أن أكتب العلم وأحضر قبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ويقرب عليّ الحجّ ، فأذن له في ذلك فأتىٰ المدينة .

حدثني عبد الله بن صالح عن عبثر أبي زُبَيد ، قال : أراد عمر بن عبد العزيز تولية ابن شهاب الزهري[1] الصدقة ، فبلغه عنه ما كان منه حين ولي السعاية علىٰ الصدقة من قبل رجل كان ضربه فكره توليته ، وولّىٰ الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .

بعض أخلاق عمر بن عبد العزيز

٢٥ ـ وقال الواقدي : أذن له أبوه في إتيان المدينة ، وقال له : اجتنب آل عبد الرحمن بن عوف وآل سعيد بن العاص فإن ثمّ شرارة وشراسة وسوء أخلاق ، فكان يجالس أهل الفقه والورع .

المدائني عن أبي اليقظان ، قال : أوصىٰ عبد العزيز لعمر بأربعين ألف دينار ودفعها إلىٰ رجل من أهل المدينة يقال له ابن رُمّانة ، وكان

---

(١) الزهري : نسبة إلىٰ زهرة بطن من قريش وهو الفقيه الكبير المحدّث الإمام الحافظ ، واسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) .

مولىٰ لبعضهم فلما توفىٰ عبد العزيز أتاه بالمال فقبضه ثم ذهب ابن رُمّانة .

فحُدّث بذلك أبا بكر بن عبد العزيز فغضب وكتب إلىٰ عمر أنك أخذت هذا المال دوننا ، ثم شخص عمر من المدينة فقدم الشام ، فلما استخلف الوليد بن عبد الملك ، وهو صهره كانت أم البنين بنت عبد العزيز عنده ، فولدت له عبد العزيز بن الوليد ومروان بن الوليد وعنبسة ومحمداً ، ولاه الوليد المدينة فأحسن السيرة إلا أنه كان لبّاساً عَطِراً ، وإنما تقشّف بعد ذلك ، فكان يعمل له ثوب الخزّ بمئة دينار فيستخشنه ، ثم أنه كان يؤتىٰ بالثوب الخشن بأقلّ من دينار أو بدينار فيقول : ما أصنع بهذا ائتوني بأخشن منه وأقلّ ثمناً .

وكان ابن رمّانة لمغاضبته إياه يرفع علىٰ عماله ويقع فيهم حين عُزِل عن المدينة ، فقال عمر : لو أشاء أن آخذ كتاب الوليد إلىٰ عامل المدينة في ضرب ابن رُمّانة مئة سوط وحلق راسه ولحيته فعلتُ ، ولكني رأيت مُتّقىٰ الله منجاً .

وفي ولاية عمر بن عبد العزيز يقول الأحوص[1] بن محمد الأنصاري : [من الكامل]

وارىٰ المدينَةَ إذْ وَلِيتَ أُمورَهَا أَمِنَ البَريء بها وخافَ المذنبُ

وقال أيضاً : [من الكامل]

وأرىٰ المدينَةَ حين كنتَ أميرَها أَمِنَ البريءُ بِها ونامَ الأَعْزَلُ

---

(١) الأحوص : شاعر عظيم من أهل المدينة ، وهو عبد الله بن محمد بن عاصم (الذي حمته الدبر حين قتل في بئر معونة) بن ثابت بن قيس (أبو الأقلح) بن عِصمة بن مالك بن أمة بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

وأراك تفعَلُ ما تقولُ وبعضُهم مَذِقُ اللسان يقولُ ما لا يفْعَلُ

الكلبي عن عوانة ، قال : أنشد رجلٌ عمر : [من الطويل]

أَعوذُ بربِّ الناسِ من كُلِّ نعمةٍ تَقَرُّ بها عينايَ فيها إِذاهُما

فقال عمر : أعاذك الله ورحمك ما أحسن ما قلت .

حدثني هشام بن عمار ، قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كان يساير سليمان بن عبد الملك فرعدت السماء وبرقت فقال عمر : يا أمير المؤمنين هذه قدرة الله عند الرحمة فكيف بها عند العذاب .

المدائني قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا ، قال : لو كنتَ كذلك ما قلته .

قال : وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : من أعزّ أهل البصرة ؟ فقال : نحن وحلفاؤنا من ربيعة ، فقال عمر بن عبد العزيز : من تحالفتم عليه أعزّ .

سبب عزل الوليد لعمر عن المدينة

٢٦ ـ المدائني وغيره قالوا : كان جُلُّ من هرب من الحجاج يلجأ إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، فكتب الحجاج إلىٰ الوليد : أن عمر بن عبد العزيز قد صار كهفاً لمنافقي أهل العراق ، فما أحدٌ يهرب منهم إلا لجأ إليه . فكان ذلك سبب عزل عمر .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه ، قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي[1] من القرّاء ، وكان عمر بن

---

(١) الهذلي : نسبة إلىٰ قبيلة هذيل ، وهو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فارّ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن =

عبد العزيز يكرمه ، فدخل عليه يوماً وجرير بن عطيّة بن الخَطْفىٰ بالباب ، فسأله أن يستأذن له علىٰ عمر ، وكان عون مُعْتَمّاً فأذن له فسلم وخرج ولم يقبل عليه عمر ، ويقال إنه لم يؤذن له فقال جرير : [من البسيط]

يا أيّها القارئُ المُرخي عمامَتَهُ هذا زمانُكَ إنّي قد مَضَىٰ زَمَني
أَبْلِـغْ خليفَتَنَـا إن كنـتَ لاقيَـهُ أنّي لدىٰ البابِ كالمصفودِ في قَرَنِ

أخذ أموال بني أمية وإعادتها إلىٰ بيت المال

٢٧ ـ المدائني عن أبي اليقظان ، قال : جمع عمر بني مروان ، فقال لهم : يا بني مروان إني أظن نصف جميع مال الأمّة عندكم ، فأدّوا بعض ما عندكم إلىٰ بيت مال المسلمين ، فقال هشام : لا يكون والله ذاك حتىٰ تذهب أرواحنا ، فغضب عمر وقال : أما والله يا بني مروان إن لله فيكم ذبحاً ولولا أن تستعينوا عليّ بمن أطلب هذا المال له لأضرعت خدودكم .

بعض توصيات عمر لعماله

٢٨ ـ حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم ، وقال أبو اليقظان أيضاً : كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : إن مدينتنا تحتاج إلىٰ مرمَّة[1] ، فكتب إليه : أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه فحصن مدينتك بالعدل ونقّها من الظلم والسلام .

المدائني قال : كتب عمر إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب عامله علىٰ الكوفة[٥١٥/٦٨] : اجتنب الحاجات عند حضور الصلوات والسلام .

= سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر .

(١) الرَّمّ : إصلاح الشيء الذي فسد بعضه ـ اللسان ـ.

وحدثني منصور بن أبي مزاحم عن شعيب بن صفوان ، قال : ولّىٰ عمر رجلاً من قريش من أخواله القضاء ، فأتاه خصمان فلم يتّجه له الحكم بينهما فغرّم المدعي ما ادّعا ، فكتب إليه : يا خال إنا لم نُوّلك لتغرّم وعزله وولىٰ غيره .

المدائني قال : ولىٰ عمر رجلاً من أخواله عملاً فتحاكم إليه رجلان في دينار ، فلم يحسن القضاء بينهما وغرّم ديناراً أصلح به بينهما ، فكتب إليه عمر : إني لم أولّك لتغرّم وولىٰ غيره .

حدّثني هشام بن عمار ، أنبأ الوليد عن سعيد بن واقد قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : أي الجهاد أفضل ؟ قال : جهاد المرء هواه .

المدائني عن أبي بكر عن رجل عن رجاء بن حَيْوة ، قال : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز فكاد المصباحُ يطفأ فقمت لأصلحه ، فقال : مَهْ إن جهلاً بالرجل أن يستخدم ضيفه ، ثم قام فوجد غلامه نائماً فلم يوقظه وتولّىٰ إصلاح المصباح ، ثم عاد فقال : قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز وقعدت وأنا عمر بن عبد العزيز .

قالوا : وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز زاهداً خيّراً ، فقال له : يا بني لأن تكون في ميزاني أحبّ إليّ من أن أكونَ في ميزانك ، فقال : ولأن يكون ما تحبّ أحبَّ إلي من أن يكون ما أحبّ ، فلما مات عبد الملك خرج عمر إلىٰ الناس وقد اكتحل فسئل عنه ، فقال : قد سكن علزه[1] ورجاه أهله وما كان في حاله أحب إليّ من حاله ، ثم علم بموته ، فقيل له قد فعلت ما فعلت وقد مات ، قال : أحببت أن أرغم

---

(١) العلز : الضّجر ، والعَلَزُ : شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص علىٰ الشيء كأنه لا يستقر في مكانه من الوجع ـ اللسان ـ.

الشيطان ، وانصرف من جنازته فرأىٰ قوماً ينتضلون ، فقال لبعضهم أخطأت فافعل كذا ، فقيل له في ذلك ، فقال : ليس في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم .

وقال أبو اليقظان : كتب إلىٰ عمر عامله علىٰ عُمان ، وهو عامر بن عبد الله بن أبي طليحة يعلمه أن من كان قبله كانوا يستعينون بالجند وأن قد اختار ثلاثين رجلاً من أهل عُمان ، فولاّهم الصدقات وسأله أن يُقْفِل مَن قِبَلَه من الجند ، فكتب إليه : قد فهمت ما ذكرت فأَقفِل مَن قبلك من الجند بعد أن تخيرهم بين ركوب البحر وسلوك البر فمن اختار البحر فأكثر له وزوّده من بيت مال المسلمين ، ومن اختار البر فاكترِ له ظهراً وزوّده بما يقيمه أيضاً والسلام .

وقال سُحيم بن حفص أبو اليقظان : استعمل عدي [بن أرطأة] سعيد بن مسعود المازني علىٰ عمان ، فاخذ رجلاً من الأزد يقال له خُلَيد بن سَعْوة فضربه مئة سوط في ناقة أرادها ابن مسعود منه ، فأتىٰ عمر فشكا ذلك إليه ، وأنشده قول كعب الأشقري[1] : [من الكامل]

إن كنتَ تحفَظُ ما يَليكَ فإنّما ... عمّالُ أَرضِك بالعراقِ ذِئابُ
لم يستقيموا للّذي تدعو لَهُ ... حتّىٰ تُضرَّبُ بالسُّيوفِ رقابُ
بأَلفَّ مُنصلتين أَهْلِ بَصائرٍ ... في رفعهِنَّ مَواعِظٌ وعِقابُ
لو لا قريشٌ نصرُها ودفاعُها ... أمسيتُ مُنقطعاً بيَ الأسبابُ

---

(١) هو كعب بن معدان الأشقري ، والأشاقر قبيلة من الأزد وفي هامش ج : ١٤ ص : ٢٦٦ من الأغاني : ط : دار الثقافة قال : هم بنو عائذ بن دوس بينما عند ابن الكلبي في نسب اليمن . الأشاقر هو سعد بن عائذ بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد .

فقال عمر : لمن هذا الشعر ؟ قال لرجل من الأزد من أهل عُمان ، يقال له كعب ، فقال له : ما كنتُ أرىٰ أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر .

وكتب عمر إلىٰ عدي بن أرطاة ، أن استعمالك سعيد بن مسعود قدرٌ من الله قدّره عليك وبليّة ابتلاك بها ، فإذا أتاك كتابي فابعث إليه من يعزله وابعث به إليّ مشدوداً موثقاً ، فعزله واستعمل عبد الرحمن بن قيس ، وحُمل سعيد إلىٰ عمر ، فجعل سعيد يرتجز ويقول : [من الرجز]

كيف ترىٰ الشيخَ أَبا الزبير   يـدّك بعد خطبِ الأَمير

سوق الروايا وَحِدا البَعيرِ

فلما دخل عليه كلّمه عمر ، فقال : أصلحك الله تكلمني وأنا موثق ، أطلق عني حتىٰ أتكلم بحجتي ، فأطلق عنه ، وقال للأزدي : اضربه فقال قُمَير بن سعيد أنا الذي ضربته ولم يضربْه أبي ، قال : فأعطىٰ الأزدي سوطاً وقال عمر قمْ فاجلده كما جلدك ، فجلد قميراً مئة سوط ، فقال له أبوه : يا قُمير اصرر أذنيك إصرار الفرس الجموح وعضّ علىٰ نواجذك فاذكر أحاديث غدٍ ، وإياك وذكر الله فإن ذلك معجزة .

وقال أبو اليقظان : قام رجل من بني كلاب إلىٰ عمر وهو علىٰ المنبر فأنشد : [من الكامل]

إنَّ الّذينَ بعثتَ في أقطارِها   نبذوا كتابَكَ واستُحِلَّ المحرَمُ

فانطلق الذئاب علىٰ منابر أرضنا   كلٌّ بنقصِ نصيبِنا يتكلّمُ

وَأَردتَ أَنْ يَليَ الأمانَةَ منهمُ   عَدْلٌ وهيهاتَ الأمينُ المسلمُ

فقال عمر : صدقتني والله .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي ، قال : سمعت حمزة الزيات

يحدث : أن عمر بن عبد العزيز غضب علىٰ رجل غضباً شديداً فأتىٰ به وأمر بالسياط فأُحضرت ، فقال : لولا شدّة غضبي عليك لأوجعتك[١] .

المدائني ، (قال) : إن عمر بن عبد العزيز ، قال : ما قُرن شيء إلىٰ شيء أحسن من حلم إلىٰ علم وعفو إلىٰ مقدرة .

قال : وقال عمر بن عبد العزيز : تعلموا العلم فإنه زينٌ للغنيّ وعون للفقير ، لا أقول إنه يكسب به ولكنه يدعوه إلىٰ القناعة .

حدثني بكر بن الهيثم عن سفيان بن عيينة ، قال : قدم وفدٌ علىٰ عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر عمر إلىٰ شاب منهم يتهيأ للكلام ، فقال عمر : ليتكلم أكبركم سنّاً ، فقال الفتىٰ : يا أمير المؤمنين ليس الأمر بالسنّ ، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسنّ منك ، قال : صدقت فتكلم ، فقال : إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فأتتنا في بلادنا ودخلت علينا منازلنا ، وأما الرهبة فإنا قد أمنّاها بعدلك ، قال : فمن أنتم ؟ قال : نحن وفد الشكر . فنظر محمد بن كعب القرظي إلىٰ وجه عمر يتهلّل ، فقال : يا أمير المؤمنين لا يغلبنّ جهالة القول بك معرفتك بنفسك فإن من الناس ناساً غرّهم الستر وخدعهم حسن الثناء وأنا أعيذك بالله من أن تكون منهم ، فبكىٰ عمر .

عمر بن عبد العزيز وجرير بن عطيّة

٢٩ ـ حدثني عبد الرحمن بن حزرة أحد ولد جرير بن عطيّة بن الخطفىٰ ، قال : وفد جرير علىٰ عمر بن عبد العزيز فَغَبَر حيناً لا يصل إليه ، ثم رأىٰ ذات يوم عون بن عبد الله المسعودي يريد الدخول عليه ، وكان قارئاً ، فقام إليه جرير فقال له : [من البسيط]

---

(١) خاف إن أوجعه يكون ذلك بتأثير الغضب وليس هو بتأثير العدل فيكون قد ظلمه .

يا أَيُّها القارىءُ المُرخي عمامَتَهُ   هذا زَمانُكَ إنّي قد مَضَىٰ زَمَني
أَبلِــغْ خليفَتَنَــا إن كنــتَ لاقِيَــهُ   أَنّي لدىٰ البابِ كالمقرونِ في قَرَنِ

فقال له عون : إن أمكنني ذلك فعلت إن شاء الله ، فلما دخل عون علىٰ عمر سلّم وجلس حتىٰ فرغ عمر من حوائج الناس ، ثم أقبل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن ببابك جرير بن عطية وهو يطلب الإذن ، فقال عمر : أويمنع أحد من الدخول ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ولكنه يطلب إذناً خاصاً ينشدك فيه ، قال : يا غلام أدخل جريراً ، فأدخل عليه وعون جالس ، فأنشد جرير عمر : [من البسيط]

أأذكر الجَهْدَ والبَلْوىٰ الّتي شَمَلتْ   أم أكتفي بالّذي أنبئتُ من خبري
كم بالمواسِمِ من شَعثَاءَ أرمَلَةٍ   ومن يتيمٍ ضعيفِ الصَّوتِ والنَّظَرِ
مِمَّنْ تُـرَجَّـىٰ لـه مـن بعـدِ والـدِهِ   كالفرخِ في العُشِّ لم ينهضْ ولم يَطِرِ

فبكىٰ عمر حتىٰ بلّت دموعُه لحيَتَه ، وامر بصدقات تفرّق علىٰ الفقراء في النواحي ، فقال جرير :

هذي الأرامِلُ قد قضيت حاجَتَها فمن لحاجَةِ هذا الأرمَلِ الذَّكَرِ

فقال له : يا جرير أأنت من أبناء المهاجرين الأوّلين ؟ قال : لا ، قال : فمن أبناء الأنصار ؟ قال : لا ، قال : أفمن أبناء التابعين بإحسان ؟ قال : لا ، قال : أفمن فقراء المسلمين انت ؟ فنجزيك علىٰ ما نجزي عليه الفقراء ، فقال : قدري فوق ذلك ، قال : أفأنت ابن سبيل فنعينك علىٰ سفرك ؟ قال : قدري فوق ذلك .

فقال : يا جرير ما أرىٰ لك بين الدّفتين[1] حقّاً ، فولىٰ جرير ، فقال عون : يا أمير المؤمنين إن الخلفاء كانت تعوّده الإحسان وإن مثل لسانه

---

(١) **الدفتين : يقصد دفتي القرآن الكريم لأنه عدد كل من ذكره القرآن يحق لهم العطاء .**

يتّقىٰ ، فقال عمر : ردّوه فرُدَّ ، فقال له عمر : يا جرير إن عندي من مالي عشرين ديناراً وأربعة أثواب فأقاسمك ذلك ، قال : بل توفّر يا أمير المؤمنين وتُحمد .

فلما خرج تلقّاه الناس وقالوا له : ما وراءك ؟ قال : خرجت من عند رجل يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وإني له لحامد ولم يذكره بسوءٍ ، وقال فيه حين مات : [من البسيط]

فَالشَّمسُ كاسِفَةٌ ليسَتْ بِطالِعَةٍ   تبكي عليكَ نجومُ اللَّيلِ والقَمَرُ

المدائني عن عوانة ، قال : كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، وكان يلي الخراج بالعراق : إنه لا يُصلح الناس إلا السيف ، فغضب عمر وقال : أما تعجبون لربذتين من الرّبذ خبثتين من الخبث يعرضان لي بدماء المسلمين ، ما من الناس أحد إلا ودماؤكما [٦٨/٥١٧] أهون عليّ من دمه .

المدائني قال : كتب عمر إلىٰ أهل البصرة كتاباً ذكر فيه يزيد بن المهلب ، فقال : إنه لم يكن من أئمّة الهدىٰ ولا الأعوان علىٰ التّقوىٰ .

المدائني ، قال : أتىٰ رجل من آل قتيبة[١] عمر بن عبد العزيز فوقع في يزيد بن المهلب عنده وتظلم وهو ساكت ، ثم قذفه ، فقال عمر : اخرج مما قلتَ فلم يخرج ، فأمر سليمان بن حبيب فحدّه .

المدائني ، قال : حبس عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب ، فقيل له إنه شريف له موضع ، فقال: إنه صاحب فتك وليس له خير من السجن.

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرّقة عن مروان بن معاوية عن عيسىٰ بن المغيرة عن مزاحم بن زُفر ، قال : كنا بسمرقند وعليها محمد بن المهلب ، قال :

---

(١) آل قتيبة : يعني آل قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان بعد يزيد بن المهلب .

فخرج علينا شارٍ يوم جمعة فحكّم وضرب رجلاً من بني عجل بالسيف فأخذ ودعا محمد بن الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير ، فسأله عن أمره ، فقال أرىٰ أن تحبسه حتىٰ تنظر ما حال المضروب فحبسه وكتب إلىٰ يزيد بن المهلب ، فكتب به إلىٰ سليمان بن عبد الملك ، فوافىٰ الكتاب وقد مات سليمان وولّي عمر بن عبد العزيز ، فكتب عمر : أما بعد فانظر فإن كان المضروب مات من ضربة الحروري فادفعه إلىٰ أوليائه ليقتلوه ، وإن كان قد برأ فأقصّه منه ، ثم احبسه في محبس قريب من أهله حتىٰ يتوب منْ هواه الخبيث الذي خرج عليه أو يموت .

قالوا : وأشرف سليمان في حجّته من عقبة قُديد ، فنظر إلىٰ عسكره فأعجبه ما رأىٰ من كثره سواده ، فقال : كيف ترىٰ يا أبا حفص ، قال : أرىٰ دنيا تأكل بعضها بعضاً أنت المبتلىٰ بها والمسؤول عنها ، ونعب غراب ، فقال : ما تراه يا أبا حفص يقول ، قال : لا أدري وإن شئت قلت لك .

المدائني ، قال : مرض عمر بن عبد العزيز ، فقال مسلمة : آتيك بمئة ألف درهم تتصدّق بها ؟ قال : أفلا تصنع خيراً من ذلك ؟ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : فإنه تردّها إلىٰ حيث أخذتها منه خير لك .

المدائني ، قال : قال مسلمة لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين أما تملّ الخلّ والزيت ، قال : إذا مللتهما تركتهما حتىٰ أشتهيهما .

حدثنا هشام بن عمار بن الوليد ، قال : دخل بعضهم علىٰ عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، فقال : من تكن الخلافة زيّنته فقد زيّنتها وإنك لكما قال الشاعر : [من الخفيف]

وتــزديــن طيّــبَ الطِّيْــب طيبــاً   إن تَمَسِّيــهِ أيــنَ مثلَــكِ أينــا ؟

وَإِذا الـــدُّرُّ زانَ حُسْـــنَ وجـــوهٍ كـانَ للـدُّرِ حُسْـنُ وَجْهِـكِ زَيْنـا

قال : دعني منك فأنا أعلم بنفسي وذنوبي ، إني إلىٰ عفو الله عني أحوج مني إلىٰ تقريظك إياي .

قال ، وقال الوليد : أثنىٰ قوم علىٰ عمر ، فقال لهم : يا هؤلاء دعونا من ثنائكم وأمدّونا بدعائكم .

حدثني أبو بكر الأعين عن السهمي عن أبيه وغيره أن عدي بن أرطأة كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز يستأذنه في عذاب قوم من عمال الخراج يلحوا في يديه وامتنعوا من أداء ما عليهم ، فكتب إليه : أما بعد فالعجب كلّ العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني جِنّة لك من عذاب الله ، أو كأن رضائي ينجيك من سخط الله ، فمن أعطاك ما قبله عفواً فأقبله ، ومن قامت عليه البيّنة فخذه بما ثبت بالبيّنة عليه ، ومن أنكر فاستحلفه ، فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحبّ إليّ من أن ألقاه بعذابهم والسلام .

بين الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز

٣٠ ـ وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا سعيد بن عامر بن عون بن المعمر ، قال : كتب الحسن البصري إلىٰ عمر بن عبد العزيز أما بعد ، فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فكأنك بالدنيا وكأنها لم تكن وكأنك بالآخرة وكأنها لم تزل ، والسلام .

وحدث أبو أيوب الرقي المعلم عن النقيلي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الجراح بن عبد الله الحكمي[1] : أما بعد ، فكأنك بالدنيا وكأنها لم تكن ، وكأنك بالآخرة وكأنها لم تزل ، واعلم أن من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وينفعه .

---

(١) الحكمي : نسبة إلىٰ الحكم بن سعد العشيرة بن مَذْحج .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن المبارك بن سعيد عن أبي حمزة الثمالي[١] ، قال : أطرىٰ ابن الأهتم[٢] بني أمية وأفرط في مدحهم ، فقال عمر : من سرّه أن ينظر إلىٰ الأفّاك الأثيم فلينظر إلىٰ ابن الأهتم ، فلما استخلف قال : لا يدخل علي ابن الأهتم ولا خالد بن عبد الله القسري[٣] فإنهما مقولان وإن من البيان ما فيه سحر .

حدثني عبد الله بن صالح عن زهير بن معاوية : أن عمر بن عبد العزيز عزل بعض قضاتة ، فلما قدم عليه ، قال : يا أمير المؤمنين لِمَ عزلتني ؟ قال : لأن كلامك أكثر من كلام الخصمين إذا تحاكما إليك .

وقال هشام بن عمار ، قال همام بن مصاد : دخلت علىٰ عمر وهو يبكي ، فقلت ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : يا بن مصاد إن في الجسد مضغة إليها يأوي خيره وشره فأصلحوا قلوبكم تصلح أعمالكم .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ بعض عماله : أنزل رعيتك بمنزلة ولدك فوقّر كبيرهم وارحم صغيرهم وقوّم ناشئهم .

---

(١) الثمالىٰ : نسبة إلىٰ ثماله بن أسلم بطن كبير من قبيلة الأزد وهو ثمالة واسمه عوف بن أسلم بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد .

(٢) ابن الأهتم : هو عمرو بن سنان (الأهتم) بن سُمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث (مقاعس) بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان فصيحاً وهو الذي وفد علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال له الرسول : إن من البيان لسحرا .

(٣) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن زيد بن مالك (قسر) بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان . ولم يكن خالد بن عبد الله فصيحاً وأنا أعتقد أن المراد خالد بن صفوان من ولد ابن الأهتم وكان من أفصح خلق الله ولكن الناسخ أخطأ . والله أعلم .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الجراح بن عبد الله الحكمي : أما بعد ، فدع من الحلال ما يكون حاجزاً بينك وبين الحرام ، فإن من استوعب الحلال كلّه تاقت إلىٰ الحرام نفسه ، وعليك بالقصد فإن الإسراف من عمل الشيطان والسلام .

حدثني محمد بن الأعرابي عن الأبائي ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلىٰ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، ومحمد بن كعب القرظي[1] ورجاء بن حَيْوة الكندي ، فقال : قد وُلّيت هذا الأمر وابتليت به فأشيروا عليّ ، فقال سالم : اجعل الناس ثلاثة أصناف ، أباً وأخاً وابناً ، فبرّ أباك وصل أخاك وارحم ابنك ، وقال ابن كعب : اجعل الدنيا يوماً صمته عن لذّاتك وكأن فطرك عليه الموت ، وقال رجاء بن حيوة : أحبّ للناس ما تحبه لنفسك وأكره لهم ما تكرهه لنفسك ، واعلم أنك أول خليفة تموت .

عمر بن عبد العزيز يمنع بعض الضرائب ويزيد يعيدها

٣١ - وحدثني عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي عن يحيىٰ بن يمان عن سفيان ، قال : بلغنا أن محمد بن يوسف أخا الحجاج ضرب علىٰ أهل اليمن خرجاً جعله وظيفة أخصبوا أو أجدبوا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إليه عامله يعلمه ذلك ، فكتب : إلغ تلك الوظيفة واقتصر بالناس علىٰ عشر ما سقي سيحاً أو سقته السماء ، ونصف عشر ما سقي

---

(١) القرظي : نسبة إلىٰ بني قريظة اليهود الذين كانوا في المدينة . وهو محمد بن كعب بن حيّان بن سليم الإمام العلامة الصادق أبو حمزة ، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة سكن الكوفة ثم المدينة .

بالغرب والشواني[١] ، فوالله لأن لا تأتيني حفنة كَتَمٍ[٢] أحبّ إليّ من إقرار هذه الوظيفة ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك أمر بردّها .

المدائني عن مسلمة بن محارب ، قال : لما ولّي محمد بن يوسف اليمن أساء السيرة وظلم الرعيّة وضرب علىٰ أهل اليمن خراجاً جعله وظيفة عليهم ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار علىٰ العُشر والصدقة ، وقال : والله لأن لا تأتيني من اليمن حفنة كَتَم أحبّ إليّ من إقرار هذه الضريبة ، فلما ولي يزيد أمر بردّها ، وكتب إلىٰ عروة بن محمد أنّ ابن عبد العزيز كان مغروراً منك ومن أشباهك ، فأعد علىٰ أهل اليمن الضريبة التي كان عمر أمر بإسقاطها ولو صار أهلها حرصاً[٣] .

المدائني ، قال : دخل علىٰ عمر بن عبد العزيز سالم السندي وكان من خاصّته ، فقال له : أسرّك ما دلّيت أم ساءك ؟ قال : سرّني للناس وساءني لك ، قال : إني أتخوف أن أكون قد وبقت[٤] نفسي ، قال : أحسنُ حالك إن كنت تخاف ، إنما أخاف عليك ألا تخاف ، قال : عظني ، قال : إن آدم أُخرج من الجنّة بخطيئة فتدبّر أمرك واحفظ نفسك ، وقال عمر لمحمد بن كعب : عظني ، فقال : لا أرضىٰ نفسي لموعظتك لأني أصلّىٰ بين الفقير والغنيّ فأميل إلىٰ الغنيّ ويدخل الفقير والغني عليّ فأوسّع للغني ، فقال عمر : واستغفر الله وبكىٰ .

---

(١) الغَرْبُ : الراوية التي يحمل عليها الماء . والدلو العظيم . التوشن : قلّة الماء .

(٢) الكَتَمُ : بالتحريك نبات يخلط مع الوسمة للخضاب الأسود . ـ اللسان ـ .

(٣) حرص القصّار الثوب يحرصه : شقّه وخرقه بالدّق .

(٤) وبق الرجل يَبِق وبقاً : هلك ـ اللسان ـ .

رجل يضرب عامل عمر كما ضربه

٣٢ ـ المدائني عن سحيم بن حفص ، قال : ولىٰ عمر بن عبد العزيز أيام ولايته المدينة للوليد بن عبد الملك رجلاً يقال له راشد ويكنىٰ أبا علي الرّبذة ، فضرب رجلاً من بني أسدٍ يقال له بعثر ، فركب إلىٰ عمر وأنشأ يقول : [من الوافر]

أَقولُ لراشدٍ أَمْسِكْ كتابي ... وخَلِّ لناقتي عنكَ السَّبيلا
سنجمعُ بالمدينَةِ وابن ليلىٰ[1] ... وحكمته الّتي تشفي الغَليلا

[٦٨/٥١٨] فأتىٰ عمر فشكا إليه ، فبعث إلىٰ راشد ثم قال لبعثر : اضربه كما ضربك ، فضربه ثم أتىٰ راشد بإهاب فلبسه فقال بعثر :

[من الوافر]

رأيت أَخا الصَّفاءِ أبا عليٍّ ... يعاتُبني وَيدَّرعُ الإِهَابا
يقول ظلمتَني واقول كُلٌّ ... أَصابَ إلىٰ أخيهِ ما أصابا

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عمّن سمع عمر بن عبد العزيز يقول : ما كذبتُ مذ عرفتُ أنّ الكذب يضرّ بأهله .

وقال أبو اليقظان ، ثنا جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم كاتب عمر بن عبد العزيز ، وهو مولىٰ لآل الزبير ، قال : ما كتبت له قطّ في أكثر من شبرٍ حتىٰ خرج من الدنيا .

وقال أبو اليقظان : لما قدم عمر المدينة والياً عليها دخلت عليه قريش ، فقال أبان بن عثمان بن عفّان : قد أتاكم أمير مضطلع بأمره .

---

(١) هذا يدل علىٰ صدق ابن الأثير في كتابه جامع الأصول أن اسم أم عاصم أم عمر بن عبد العزيز ليلىٰ كما مر سابقاً .

وقال أبو اليقظان ، ثنا جويرية بن أسماء عن إسماعيل ، قال : قال عمر : ما تركت من الدنيا شيئاً تتوق إليه نفسي إلا البراذين ، فإني كنت أجد لها تحت ذي وطاء لا أجده لغيرها من المراكب .

حدثني محمد بن مصفىٰ الحمصي عن أبيه ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه ، كتب إليه سابق البربري ، أو أنشده :

[من البسيط]

باسمِ الذي أُنزِلَتْ من عندِهِ السُّوَرُ ... والحمدُ للهِ أَمّا بعدُ يا عُمَرُ

إن كنتَ تعلَمُ ما تَأْتي وَمَا تَذَرُ ... فكُنْ علىٰ حَذَرٍ قد يشفَعُ الحَذَرُ

واصبِرْ علىٰ القَدَرِ المجلوبِ وارضَ بِهِ ... وإن أَتاكَ بما لا تَشْتَهي القَدَرُ

فما صَفا لامرِىءٍ عيشٌ يُسرُّ بِهِ ... إلاّ سَيتبَعُ يوماً صفوُهُ كَدَرُ

في أبيات .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي (بن أرطأة) : إياك والمزاح فإنه يذهب المروءة ويبثّ الضغائن .

قال عمر بن عبد العزيز : قال عمر بن الخطّاب رضي الله تعالىٰ عنه : الرأي كثير والحزم قليل .

محاورة بين عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك وموته

٣٣ ـ قال أبو اليقظان عن جويرية : غضب عمر بن عبد العزيز ، فقال له ابنه عبد الملك : أتغضب في قدرك وموضعك الذي وضعك الله به !؟ فقال : أوما تغضب أنت يا عبد الملك ؟ فقال : فما ينفعني سعة جوفي إذاً إن لم أردد الغضب فيه حتىٰ يسكن ، فتبسم عمر .

فلما حضرت عبد الملك بن عمر الوفاة ، قال له عمر : كيف تجدك يا بني ؟ قال : قد أجدني في الموت فاتق الله يا أبه واصبر ، فقال : يا بني

ما خلق الله عيناً تطرف أحبّ إليّ ولا أعزّ عليّ منك ، ولأن تكون في ميزاني أحبّ إليّ من أن أكون في ميزانك ، فقال : يا أبه ولأن يكون ما تحبُّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أحبّ . فمات يوم خميس .

فخرج عمر رضي الله تعالىٰ عنه في جنازته وقد اكتحل وسرّح لحيته ، وقال : أحببت أن أرغم الشيطان ، وقال : الذي نزل بعبد الملك أمر كنا نتوقّعه فلما أتىٰ لم ننكره . وقال كثيّر : [من الطويل]

فَحَضَّ الّذي وَلَّىٰ علىٰ البرِّ والتُّقىٰ ... ولـم يهمُـمِ البـاقـي بـأن يتَخشَّعـا
ولـو نَـزَلَـتْ مثـلُ الّـذي نَـزَلَـتْ بِـهِ ... بـركـنٍ شـديـدٍ مـن أجـاً[1] لتصـدَّعـا
فأصبحتُ كالمُبقىٰ له بعضُ نَفسِهِ ... عيـاضـاً وبعـضٌ قـد تَـولَّـىٰ فـودَّعـا

فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر ، فقال : الحمد لله علىٰ ما أعطىٰ والحمد لله علىٰ ما بقّىٰ والحمد لله علىٰ ما أخذ ، ثم كتب إلىٰ جميع عماله عدي بن أرطاة الفزاري[2] وغيره : إن الله وهب لي عبد الملك بن عمر فمتّعني به ما شاء أن يمتّعني ، ثم قبضه إليه فأعوذ بالله أن يكون لي مشيئة بغير ما أحبّ ، فإذا جاءك هذا فلا أعلمنّ ما بكي عليه قبلك ، وأكثر من الاستغفار له إن شاء الله ، والسلام .

وقال سحيم بن حفص : قام عمر علىٰ قبر ابنه حين دفنه ، فقال : رحمك الله إن كنت لتسرّني حيّاً فأنا بك اليوم أسرّ فرحم الله من قال : رحمك الله يا عبد الملك .

المدائني عن سحيم : أن عبد الملك قال لعمر أبيه : يا أبة لعلّه

---

(١) أجأ : أحد جبلي طيئ وهو غرب فَيْد وبينهما مسيرة ليلتين ـ معجم البلدان ـ.
(٢) الفزاري : نسبة إلىٰ فزارة بطن من قبيلة ذبيان وهو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

يمنعك أن تقوم بالحق مخافة هؤلاء ـ يعني بني مروان ـ فوالله لوددت أن القدور تغلي بناوبهم . فقال : يا بني صبراً فإن الخمر كانت محرمة عند الله فأنزل فيها آيتين قبل أن ينزل تحريمها .

عمر بن عبد العزيز يوبّخ ابنه عبد الملك

٣٤ ـ وقال أبو اليقظان : بلغ عمرَ بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك أمرٌ كرهه ، فكتب إليه : بلغني عنك بعض ما أكره ، ولو كنتُ تقدّمت إليك فيه لأتاك مني ما تكره ، واذكر أن أباك كان عند أبيه مُطّرحاً يفضل عليه الكبير ويؤثر عليه الصغير ، واذكر أن أمك كانت أمة من الأعاجم وليست من خيارهم فلئن عدت ليأتينّك عني ما لا تحبّ إن شاء الله .

قال عمر بن عبد العزيز : إنه لا عمل لمن لا نيّة له ، ولا أجر لمن لا خشية له وإن أيمن أحدكم وأشأمه لسانه ، فمن حفظ لسانه أراح نفسه وسلم المسلمون منه ، وإن قوماً صحبوا سلاطينهم بغير ما يحقّ عليهم فعاشوا بخلافهم ، وأكلوا بألسنتهم وخلبوا الأمّة بالمكر والخيانة والخديعة ، ألا إن كل ذلك في النار ، ألا فلا يقربنا من ذلك أحد لا سيما خالد بن صفوان وخالد بن عبد الله .

قال عمر بن عبد العزيز لمعلّمه : كيف كانت طاعتي لك وأنت تعلّمني؟ قال : أحسن طاعة ، قال : فقد ينبغي أن تطيعني كما كنت أطيعك ، خذ من شاربك حتىٰ تبدو شفتاك وخذ من قميصك حتىٰ تبدو عَقباك[١] .

حدثني عبد الواحد بن غياث البصري عن جويرية بن أسماء ، قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلىٰ عمر ثلاثة كتب ، فأجابه عنها في كتاب واحدٍ .

---

(١) العقب : العرقوب ـ اللسان ـ.

كتب إليه : أن من كان قبلي من أمراء المدينة ، كانت تجري عليهم أرزاق للشمع ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يجريها لي فليفعل ، وكتب إليه : أن مسجد بني عدي بن النجار أخوال[1] رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم قد استهدم ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر ببنائه فليفعل ، وكتب إليه : أن قوماً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر بإثباتهم في شرف العطاء فليفعل .

فافتضّ عمر كتبه ، ثم كتب : أما ما ذكرت من أمر الشمع فطالما مشيتَ في طرق المدينة في الليلة الظلماء وأنت لا يمشي بين يديك بشمع ولا يمشي خلفك رجال قريش والأنصار ، وأما مسجد بني عدي فقد كنت أحبّ أن أخرج من الدنيا ولا أضع لبنة علىٰ لبنة ولا آجرّة علىٰ آجرة ، فابنه واقتصد في النفقة ، وأما ما ذكرت في أمر الرجال الذين بلغوا سنّاً ولم يبلغ عطاؤهم الشّرف ، فإنما الشرف شرف الآخرة والسلام .

المدائني عن مسلمة : أن عدي بن أرطاة كتب إلىٰ عمر : أن قوماً من أهل الذمّة تعوّذوا بالإسلام مخافة الجزية ، فليكتب أمير المؤمنين إليّ فيهم برأيه .

فكتب إليه : إن الله بعث نبيّه صلىٰ الله عليه وسلم داعياً ولم يبعثْه جابياً فمن دخل في المسلمين فله ما لهم وعليه ما عليهم ، فانظر من كان من أهل الذمة فأظهر الإسلام واختتن وقرأ سوراً من القرآن فأسقط الجزية عنه إن شاء الله ، والسلام .

---

(١) العرب تجر الخؤلة لأكثر من أم فبني النجار ليسوا أخوال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأمه من قريش من بني زهرة آمنة بنت وهب وجدته أم أبيه فاطمة بنت عمرو من قريش من بني مخزوم ، وأم جده عبد المطلب من بني النجار وهي سلمىٰ بنت عمرو فهم أخوال جده عبد المطلب .

المدائني وغيره ، قالوا : كتب عمر إلىٰ عدي : أما بعد ، فما يُقاد الدين مع وسوسة الشيطان وجفوة السلطان ، فأعط كل ذي حقٍّ حقه والسلام .

حدثني إسماعيل بن أبي زيد الإنطاكي أخو ثمامة الكاتب ، قال : حدثني شيخ لنا ، قال : أصابت الناس زلزلة ، فكتب عمر : أما بعد ، فإن الله ذو قدرة غالبة وعزّ قاهر يعفو عمّن يشاء ويؤاخذ من أراد ، وإنّ هذه الرّجفة عتاب من الله لخلقه فاعتبوه بطاعته وخافوا عقابه فإنه يقول : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1] .

كيف يفرض الخراج

٣٥ ـ وحدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، عن يحيىٰ بن آدم عن فُضَيل بن عياض ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي بن أرطاة : أما بعد ، فإن الله سبحانه وبحمده إنما جعل الجزية علىٰ من رغب عن الإسلام غيّاً وخسراناً ، فانظر من كان قبلك من أهل الذمة ممّن كبُرت سنه وضَعُفت قوّته وولّت مكاسبه ، فأجرِ عليه قوته من بيت مال المسلمين ، والسلام .

وحدثني الحسين عن يحيىٰ بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز : من غلب الماء علىٰ شيء فهو له .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا محمد بن يزيد العقدي عن محمد بن طلحة عن داود بن سليمان : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ [٦٨/٥١٩] عبد الحميد بن

---

(١) سورة الأعراف رقم : ٧ الآيات ذوات الأرقام : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

عبد الرحمن : أما بعد ، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجَوْر في الأحكام ، وسنن سنتها عليهم عمال السوء ، وإن قوام الدين وصلاح الرعيّة ، العدل والإحسان ، فلا يكونَنّ شيءٌ أهمّ إليك من نفسك حتىٰ توطنها بطاعة الله ، وأنا آمرك أن توظّف عليهم خراجهم ولا تحمل خراباً علىٰ عامر ولا عامراً علىٰ خراب ، وخذ من الخراب ما أطاق وأصلحه حتىٰ يعمر ، ولا تأخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسهيل من غير عنف وإرهاق لأهل الأرض ، ولا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس فيها أبين ولا أجور الصرّافين ولا هدايا النّوروز والمهرجان ولا دراهم النكاح ولا ثمن الصحف ولا أجر البيوت ولا أجور الفيوج[1] ، ولا خراج من أسلم من أهل الذمّة ، ولا تعجّل دوني بقتل ولا قطع والسلام .

قالوا : وكتب عمر إلىٰ العمال : أما بعد ، فإنه كان في الناس من أهل هذا الشراب أمرٌ ساءت فيه رعيتهم حتىٰ بلغت بهم إصابة الدمّ الحرام والمال الحرام والفرج الحرام ، وهم يقولون : شربنا شراباً لا بأس به ، وإنّ شراباً حَمل علىٰ هذه المحارم لعظيم البلاء كبير الإثم ، وقد جعل الله المندوحة والسعة في أشربة ليس في الأنفس منها حاك[2] ولا ريب ، الماء الفرات واللبن العذب والعسل الماذيّ[3] والسويق[4] وفي أشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب المنبوذ في أسقية الأدم التي لا زِفت[5] فيها فإنه بلغني

---

(١) **الفيوج** : الذين يدخلون السجن ويخرجون يحرسون .
(٢) **الحيك** : أخذ القول في القلب .
(٣) **الماذيّ** : العسل الأبيض .
(٤) **السويق** : ما يتخذ من الحنطة والشعير ـ اللسان ـ .
(٥) **زفت** : القار .

عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فإنه نهىٰ عن نبيذ الطّروق[1] المزفتة وعن الدُّبا والحنتم[2] ، وقيل كل مسكر حرام فليستغنوا بما أحل الله عمّا حرم ، فإنه من شرب بعد تقدّمنا إليه من هذه الأشربة المكروهه أو جعناه عقوبة ، ومن استخفىٰ عنّا فالله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً ، وقد أردت بكتابي إليكم اتّخاذ الحجّة عليكم في اليوم وما بعده .

نسأل الله أن يزيد المهتدي منا ومنكم هدىً ، وأن يقبل بالمسيئ منا ومنكم إلىٰ التوبة في يسرٍ منه وعافية والسلام .

العفو عند عمر بن عبد العزيز من الدين

٣٦ ـ المدائني عن خالد بن يزيد عن أمية ، قال : أغلظ رجل لعمر بن عبد العزيز ، فأمر بتجريده ثم قال : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾[3] خلّوا سبيله .

المدائني ، قال : أبلغَ رجلٌ عمر كلاماً عن رجل غاظه فهمّ بعقوبته ، ثم قال : أردت أن يَسْتَفَزّني الشيطان بعزّ السلطان فأنال منه اليوم ما ينال مني غداً ، خلّوا سبيله .

المدائني عن المبارك بن فُضالة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي بن أرطأة : أما بعد ، فإني كنتُ كتبتُ إلىٰ عمرو بن عبد الله أن يقسم ما وجد بعُمان من عشور التمر والحبّ في فقراء أهلها ومن سقط

---

(١) المزفته : مطلية بالزفت ونهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن ينتبذ بالأوعية المزفتة .

(٢) الدّباء : القرع وفي الحديث أنه نهىٰ عن الدباء والحنتم والنقير وهي أوعية كانوا ينتبذون فيها ـ اللسان ـ.

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣ الآية رقم : ١٣٤ .

إليها من أهل البادية وأضافته إليها أهل الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل ، فكتب إليّ أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر ، فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه ، فاردد إلىٰ عمرو ما كان عاملك حمل إليك من ثمن التمر والحبّ ليضعه في المواضع التي أمرته بوضعه فيها وتصرّفه إليها إن شاء الله والسلام .

المدائني ، قال : قدّم يزيد بن المهلب أخاه إلىٰ خراسان فحبس وكيع[1] بن أبي سود ، فبكىٰ فقيل له أتبكي يا أبا مُطرف جزعاً من الحبس ، فقال : وددت أني ويزيد بن المهلب وسليمان بن عبد الملك في النار فلعن الله أجزعنا ، ولكني أبكي أني قتلت قتيبة ثم يعزلني ابن العبسية[2] ويولّي يزيد .

فلما ولّي عمر بن عبد العزيز بلغه ذلك ، فقال : لوكيع علىٰ جفائه خير من يزيد بن المهلب ، علىٰ أنه لا خير في واحدٍ منهما .

قال المدائني : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وولّىٰ عدي بن أرطأة الفزاري البصرة ، أراد أن يبني غرفاً فوق دار الإمارة ، فكتب إليه عمر : هبلتك أمك يا بن أم عدي أيعجز عنك منزل وسع زياداً وآل زياد ، فأمسك عدي .

حدثنا بسام الجمّال عن حماد بن سلمة عن أيوب : أن قتيلاً وُجد بالبصرة في بني نمير ، فكُتب فيه إلىٰ سليمان بن عبد الملك ، فكتب إلىٰ عامله استحلف خمسين رجلاً علىٰ قاتله فإن حلفوا فأقِدْه ، فلم يقبل حتىٰ ولي عمر بن

---

(١) وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود بن كلب بن عوف بن مالك بن غدانة (الأشرس) بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . قاتل قتيبة بن مسلم الباهلي عندما خرج بخراسان ولم يبايع لسليمان بن عبد الملك .

(٢) يقصد بابن العبسية أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك لأن أمه ولاّدة من عبس .

عبد العزيز فكتب إلىٰ عمر في أمره ، فكتب أن شهّد علىٰ قاتله عدلان بقتله وإلاّ فلا يقتله .

المدائني عن عُبيس بن بَيهس ، قال : جاء رجل من بني عَرين بن ثعلبة بن يربوع إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، فقال : أسقني سقاك الله ، قال : أي ؟ قال : بالخرْنق فإنه طريق لا يطؤه الناس ولا يتطرقونه ، فكتب إلىٰ عدي بن أرطاة : أما بعد ، فإن رجلاً من بني ثعلبة بن يربوع يقال له فلان استحفرني بالخرنق فأحفره ومن جاءك من أسود الناس وأبيضهم يستحفرك فاحفره ، واشترط أن ابن السبيل أول ريان وأن حريم البئر حلول وشايها والسلام .

قالوا : وكتب عمر إلىٰ عدي : أما بعد ، فاستوص بمن في سجون أرضك خيراً ولا تصيبنّهم ضيعة وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام والإدام من مال الصدقة إن شاء الله .

وكتب إلىٰ عدي : أما بعد ، فما كان عندك من لقطة فحال عليها الحول فاخرج ما يجب عليها من الصدقة ، فضعه في أهل المسكنة والحاجة ما كانت عندك حتىٰ يجيء لها طالب ، وليكن ذلك شأنك وشأنها حتىٰ يبقىٰ منها ما لا يجب فيه الصدقة ، إن شاء الله والسلام .

وكتب عمر إلىٰ بعض عماله ، أما بعد ، فقد بلغني أن كثيراً ممن قبلك من أهل الذمّة قد لبسوا العمائم وتشبّهوا بالمسلمين في زيّهم ، فامنعهم من ذلك أشدّ المنع ، وخذهم أن يحلقوا أوساط رؤوسهم إن شاء الله والسلام .

المدائني ، قال : وعظ عمر بن عبد العزيز قوماً من أهل بيته ، فقال مسلمة : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فلقد أَلَنْت منا قلوباً قاسية وأبكيت عيوناً جامدة وأحييت لنا في الصالحين شرفاً وذكراً .

المدائني ، قال : خطب عمر فقال : أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تُكفوا أمر دنياكم ، فإن امرءاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ لمعرق له في الموت .

شُريح عن إسماعيل بن عُليّة أن صالح بن عبد الرحمن بعث توبة العنبري[1] إلىٰ سليمان في أمرٍ ، فقال : إذا فرغت من أمر سليمان فأت عمر بن عبد العزيز فاعرض عليه الحوائج ، فلما أتىٰ عمر ، قال : عليك بتقوىٰ الله وما يبقىٰ لك عند الله فإن الذي يبقىٰ لك عنده باقٍ عند الناس ، والذي لا يبقىٰ لك عند الله فغير باقٍ لك عند الناس ، فأبلغ ذلك صالحاً ، فقال : أسمعتم قطّ بكلام أحسن من هذا ؟ .

عمر بن عبد العزيز في واد وبني أمية في وادٍ آخر

٢٧ ـ المدائني عن موسىٰ بن يزيد عن عمّه ، قال : قال هشامٌ لرجاء بن حَيْوة : ألست صاحب عمر يوم ناجيته في الدار وقد توفي سليمان ، فقال : يا أمير المؤمنين والله ما دعاني ولا ناجاني إلا في صرف الخلافة عنه ، فقال هشام : رحم الله أبا حفص كان في أمرٍ وكنّا في غيره .

المدائني عن مسلمة بن محارب ، قال : قال مسلمة بن عبد الملك لعمر : ألا توصي ببنيك ؟ قال : أوصي بهم الذي نزّل الكتاب وهو يتولىٰ الصالحين .

المدائني قال : قال عبد الملك بن مروان يوم احتضر : [من الرجز]

إنَّ بَنـــيَّ صِبْيَـــةٌ صغـــارُ أَفْلَــحَ مَــنْ كــانَ لَــهُ كبــارُ
إنَّ بَنـــيَّ صبيـــةً صيفيـــون أفلَــحَ مَــنْ كــانَ لَــهُ ربعيــونْ

---

(١) نسبة إلىٰ بني العنبر من تميم ، وهو العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

فقال عمر بن عبد العزيز وكان عنده : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[1] .

قال : وكتب عمر إلىٰ الناس : أما بعد ، فإن صدقة الفطر سنّة مؤكدة ، فأدوا صدقة الفطر عن أهليكم حرهم ومملوكهم ، صغيرهم وكبيرهم ، وليكن ما تؤدّون عن كل رأس صاعاً من شعير او تمر أو نصاف صاع من بُرّ ، ليقسم عاملكم ذلك في أهل المسكنة والحاجة من الحاضرة دون أهل البادية ، إن شاء الله والسلام .

قالوا : وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلىٰ عمر بن عبد العزيز : أن قوماً من أهل الخراج كانوا إذا أرادوا كسر خراجهم جاؤوا من أرض إلىٰ أخرىٰ وإني أمرت أن تجعل أرض من صافية ، وأرجو أن يتركوا بذلك عادتهم إن شاء الله .

فكتب عمر إليه : أما بعد ، فقد بلغني كتابك ولعمري لئن لم يدع رجلاً خرج من أرض إلىٰ أرض ومن قرية إلىٰ قرية ، إلا أُخذت أرضه ، ثم عُزلت أم مت ليقطعن صاحب الأرض عنها وتبوء بإثمه ، وما يجلو رجل عن أرضه إلاّ بأن يُحمَّل فوق طاقته ، فإياك أن تعمل وعمالك بعمل ابن يوسف[2] وعماله ، فإنهم كانوا مفسدين وقد قضىٰ الله فإنه لا يصلح عمل المفسدين ، وتألّف أهل الأرض فإن أرضهم وبلادهم أحبّ إليهم من الجلاء إذا عُدل عليهم وترفّق بهم ، إن شاء الله والسلام ، [٦٨/٥٢٠] .

المدائني عن يُقيّة بن عبد الرحمن عن أبيه ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض إخوانه : أوصيك بتقوىٰ الله الذي ابتدأك بإحسانه ، واحتجّ عليك

---

(١) سورة الأعلىٰ رقم : ٨٧ الآيتان رقم : ١٤ ، ١٥ .

(٢) ابن يوسف : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي .

بأنبيائه وبرهانه فإنك مختبر بما كلّفت ومرتهن بما عملت ، وكان قد وافيت مضجعك وطلعت مرجعك واضمحلّت عنك الدنيا ، ثم بُعثت يوم النشور ووقعت بين يدي الملك القدير ليجزيك بما كدحت ويسالك عمّا اجترحت ، فاعمل بذلك فيما ينجيك ودع عنك ما لا يعنيك ، فإن الدنيا قد أدبرت فإن أمورها قد تكدّرت ، وقد رأيت من تقلّب أحوالها وتصرّف أمورها ما فيه معتبر وموعظة لمن أبصر ، أعاننا الله وإيّاك علىٰ تقواه ، وألهمنا وإياك رضاه . تعاهدني يا أخي بكتابك فإن الكتب من الإخوان قديم الودّ والعهد وتدعوا إلىٰ التواصل والتناصح ، ولا قوّة إلا بالله .

وقال بعضهم إن الرجل كتب إلىٰ عمر بهذا الكتاب .

وقال محمد بن مصفىٰ الحمصي : كتب عمر إلىٰ الجراح الحكمي أو غيره من عماله : أما بعد ، فإذا قدرت علىٰ عقوبة العباد ، فاذكر قدرة الله عليك ، فاعف له ما لم يكن في العفو مفسدة في الدين واستخراج من القوم المذنبين ، فإنك بالله تعزّ وإليه ترجع .

تعزية عمر في شهيد

٣٨ ـ المدائني ، قال : كتب عمر إلىٰ أبي أمامة الحمصي يعزّيه بابن له استشهد : أما بعد ، فالحمد لله علىٰ آلائه وقضائه ، وقد بلغني الذي ساق الله إلىٰ عبد الله بن أبي أمامة من الشهادة ، فقد عاش في الدنيا مأموناً وأفضىٰ إلىٰ الآخرة شهيداً ، قد فاز بما خصّ الله به الشهداء من الفضيلة والكرامة ، فليس شيء نعلمه وإن عظم خطره وجلّ ثوابه أعظم عند الله تبارك وتعالىٰ ، وعند عباده الذين أوتوا العلم والفهم من الشهادة ، فمن خصّه الله بها فقد أفلح وأنجح وربح ، ووسمه الله سمة الأبرار فهو في جوار الله وتحت عرشه ، قد انقطعت عنه مرارة الدنيا وعلاجها ، وصار إلىٰ عيش الآخرة وحبورها .

نسأل الله الذي بيده نواصي العباد أن يرزقنا وإياكم الشهادة والسعادة بقدرته والسلام .

حدثنا عمر والناقد وأبو عبيد القاسم بن سلاّم ، قالا : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، ثنا سفيان بن حسين : أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز كتب إليه ، فترك فقط سين بسم الله وتبيينها فأشخصه إليه ، فقال الناس : فِيمَ أُشخص فلان ؟ فقيل أشخص في سين فعلقها الناس .

المدائني عن مسلمة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عماله : أما بعد ، فإن الصلاة أحقّ ما تعهّده المرء من نفسه ومن ولاه الله أمره ، فأقيموا الصلاة في بيوتكم ومساجدكم لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها وترتيل ما تقرؤون في القرآن فيها ، فإن الله جعلها علىٰ المؤمنين كتاباً موقوتاً ، وتعهّدوا الناس في الزكاة وحفّوهم عليها ، فإن من أدّاها أُجر ، ومن استخفّ بحقها وبذر[1] كانت حجّة عليه .

نسأل الله أن يجعلنا مطيعين له مجتهدين في مرضاته والسلام .

وكتب عمر إلىٰ عدي بن أرطاة : أما بعد ، فقد أتاني كتابك تسأل عن القضاء بين الناس ، والقضاء بين الناس اتباع ما في كتاب الله ، ثم ما جاء عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم ما حكم به أئمّة الهدىٰ والمعرفة ، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم . فما أتاك من الحكم فلم تجده في الكتاب نصاً ولا في السنّة رواية ، ولا أخبرك به مخبر عن الأئمّة الأبرار فسل عنه أهل الفقه والمعرفة ، ثم احكم بالعدل ولا تؤثر أحداً علىٰ أحدٍ ، إن شاء الله .

وسألت عن ميراث رجل وهب ولاءه أو باعه غير مستكره ، فإن الولاء

---

(١) بذر : فرّق ـ اللسان ـ.

لمن أعتق لا يباع ولا يوهب ، وقد قضىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن الولاء لمن أعتق .

وسألت عن الكافر يعتقه المسلم ، فهو مولىٰ للمسلم وميراثه راجع إلىٰ بيت مال الله .

وسألت عن المرأة ترمي الرجل بنفسها أو يوجد معها ، وليس معهما أحد سواهما والرجل جاحد وقد اتّهم وواطن ، وإن الحدود لا تقام إلا بالبيّنات أو الاعتراف ، فاجلد من أخذته علىٰ ذلك جلد النسّاك علىٰ غير حد ، ولا تقم الحدود بالتهم فإنها تُدرأ بالشّبهات ، وما ستر الله به عباده فاسترهم به ، واعلم أنك متمسّك بالعدل ما أزلت الشكّ بالبيّنة والشهود العدول ، والسلام .

قالوا : وكتب عمر إلىٰ عدي بن أرطاة : أما بعد ، فاحص أهل المسكنة بالبصرة واكتب إليّ بعدّتهم إن شاء الله ، فأحصاهم فبلغوا ثلاثين ألفاً وتسعمئة وخمسة عشر إنساناً ، فكتب إلىٰ عدي يأمره أن يعطي كل إنسان جريباً[1] في كل شهر من طعام كسكر والسواد ، إذا قُدم عليه بالطعام .

المدائني ، قال : وجّه عمر جيشاً إلىٰ الروم فمشىٰ معهم ثم ودّعهم ، وقال : اتقوا الله وقاتلوا أعداءه ابتغاء ثواب الآخرة ، فإن الأجر للصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس .

وحدثني أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : بلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : التقيّ مقحم ملجم .

حدثنا سعيد بن سليمان عن المبارك بن فضالة ، قال : كتب عمر بن

---

(١) الجريب : مكيال قدر أربعة أقفزة ـ اللسان ـ.

عبد العزيز إلىٰ عاملٍ له : أَمِتْ كل بدعة وأحي كل سنّة من سنن الإسلام وشريعة من شرائعه ، ولا تأخذك في الله لومة لائمٍ .

المدائني عن المبارك بن سلام عن مجالد : أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه كتب إليه يستأذنه في عذاب العمال والبسط عليهم ، ويذكر مقاسمة عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه عماله .

فكتب إليه : قد فهمتُ كتابك ، ولم تعلمني من مقاسمة عمر عماله شيئاً إلا وقد علمته ، ولعمري لغير ما استأمرتني فيه من أمر العمال أجمل في عاجل الأمور ، وأسرع في درك البغية مما كان ابن يوسف وابن أبي مسلم وصالح بن عبد الرحمن يفعلونه من العذاب بالجوامع ، والمحبس الضنك وسوء المطعم والمشرب وغلظ الملبس ، ففرّ من ذلك أشدّ الفرار ، وانظر من كان في السجون في وثاق أو في مطعم سوء ومشرب سوء ، فنفّس عنهم وأطلقهم وأحسن أسار من أسرتَ ، وليس رأيي في العمال إلا محاسبتهم فيما ولوا ، فمن أَدْركنا عليه حقّاً أخذناه به ومن لم ندرك عليه خلّينا سبيلهُ حتىٰ يحكم الله بيننا وبينهم بما يشاء والسلام .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض عماله : كتبت تسأل عن رجل من الموالي يكون له ذوو رحم لهم عدد وله مال يرثونه دون مواليه ، فيُحدث حدثاً أيكون عقله فيهم دون مواليه وأن الموالي لا يحملون العقل ، والموالي ثلاثة ، مولىٰ رحم ومولىٰ عتاقة يورث ولا يرث ، ومولىٰ عقد لا يرث ولا يورث ، وميراثه لعصبة رحمه .

حدثنا عفّان بن مسلم ، ثنا جرير بن حازم ، قال : قرأت كتاب عمر إلىٰ عدي : أما بعد ، فقد بلغني كتابك تسأل عن شهادة الأربع النسوة المرضيات أتجيزها أم لا ؟ وكتبت تسأل عن العبد يقذف الحر وذكرت أنه

بلغك أني كنتُ أضربه في عملي علىٰ المدينة أربعين جلدةً ، ثم جلدته في آخر عملي ثمانين ، وأن جلدي الأول كان رأياً رأيته ، وأن جلدي الآخر موافق ما في كتاب الله لأن الله يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾[1] ولم يُسمّ فيها حرا ولا مملوكاً فاجلده ثمانين ، فأما شهادة النسوة الأربع فإني لم أسمع في الكتاب بشهادة خلصت فيها نساء إلا ومعهن رجل ، فانته من الأمر إلىٰ ما تعرف ودع ما تُنكر ، واعلم أن أحداً لا يستطيع إنفاذ حقوق الناس بينهم حتىٰ لا يبقىٰ منها شيء ، ولا بدّ من أن تستأخر قضايا كثيرة إلىٰ يوم الحساب والسلام .

عمر بن عبد العزيز يحكم بقول الحسن البصري

٣٩ ـ حدثني عمر بن شبه ، ثنا عمرو بن عاصم عن حماد بن سلمة عن حميدٍ : أن رجلاً اختلس طوقاً من عنق جاريةٍ فارتفعوا إلىٰ عدي بن أرطاة ، فسأل عدي الحسن ، فقال : لا تقطعه ، وقال إياس بن معاوية بن قرة : إقطعه ، فكتب عدي بذلك إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، فكتب عمر : إن العرب كانت تسمّي هذا الغاوي فاجلده واستودعه الحبس .

حدثني خلف بن هشام البزار ، ثنا أبو بكر بن [٥٢١/٦٨] عياش عن عاصم بن أبي النجود : أن عدي بن أرطاة كتب إلىٰ عمر : إني أخذت رجلاً يسبّك فهممت بقتله ، ورُفع إليّ رجل قُتل في السوق فاتّهم به فسّاقٌ من فساق أهل البصرة ، ولم تقم عليهم البيّنة ، فكتب إليه :

انظر القتيل فأدِّه من بيت مال المسلمين ، وانظر الفساق فاحبسهم عن المسلمين وانفق عليهم من بيت المال ، وانظر الذي سبّني فسبّه وإلا فخلّ

---

(١) سورة النور رقم : ٢٤ الآية رقم : ٤ .

سبيله ، فوالله لو كنتَ قتلته لقتلتك به .

حدثني منصور بن أبي مزاحم عن شعيب بن صفوان ، قال : استبطأ عمر بن عبد العزيز عدياً في بعض الأمور ، فكتب إليه : إنك غررتني يا بن أم عدي بعمامتك السوداء .

غضب عمر بن عبد العزيز لشتم علي بن أبي طالب

٤٠ ـ المدائني عن عبد الله بن سلم : أن عدي بن أرطاة خطب فشتم علياً ولعنه ، فكتب الحسن بذلك إلىٰ عمر ، فكتب عمر إلىٰ عدي :

بلغني عنك أنك شتمت علياً ولعنته ، ولبئسَ الرجل أنت إن فعلت ذلك وأقدمت عليه ، فقبّحك الله وترحك ، وأنا أقسم لئن عدت لمثلها لأنهكنّك عقوبة ثم لأسيئن عزلك . فأمسك عدي ، فقال الشاعر :

[من الطويل]

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ ولم تُخِفْ بَرِيّاً ولم تَقْبَلْ مَقَالَةَ مُجرِمِ

حدثني أبو بكر الأعين عن سعيد بن سليمان عن خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرّماني ، قال : كتب عدي بن أرطاة إلىٰ عمر : إن الناس قد أصابوا خصباً وخيراً كادوا يبطرون له ، فكتب إليه عمر :

إن الله قد رضي من أهل الجنة حين دخلوها بأن قالوا : الحمد لله رب العالمين ، فمرْ من قبلك أن يحمدوا الله علىٰ ما آتاهم إن شاء الله والسلام .

المدائني ، قال : كتب عمر إلىٰ عدي : أن سل الحسن ، ما بال نصارىٰ العرب لا تؤخذ منهم الجزية ، فسأله فقال : اكتب إليه أنك متبع ولست بمبتدع ، إن عمر رأىٰ في ذلك صلاحاً .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا إسحاق الأزرق عن عوف ، قال : كتب عمر

إلىٰ عدي : أن سل الحسن : ما منع من مضىٰ من الأئمّة أن يحولوا بين المجوس وبين ما يجمعون من النساء ، فسأله فأخبره أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قبل الجزية من مجوس هجر وأقرهم علىٰ مجوسيتهم ومناكحهم ، وأقرهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

حدثني محمد بن أبان الطحّان ، ثنا أبو هلال الراسبي[1] ، ثنا شهر بن حوشب أنه استأذن علىٰ عدي بن أرطاة ، فقال الآذن : إن الأمير يقول : لا تأذن له فإنه يسبني ، فقال له قتادة : إن خادم البيت يخبرك ما في أنفس أهلها ، وإن عدياً أخبرك بما في نفس صاحبه عمر فلا غفر الله لمن لا يستغفر لهما يعني علياً وعثمان .

المدائني عن الفضل بن السويد الضّبي[2] ، قال : كتب عمر إلىٰ عدي : أما بعد ، فإنه بلغني أن قوماً ممّن قبلك إذا توضؤوا رفعوا الطساس من بين أيديهم واحداً واحداً وذلك من زي العجم فلا يُرفعن طس قبلك حتىٰ يمتلء أو يفرّغ من آخر القوم .

المدائني عن يزيد بن إبراهيم عن أيوب ، قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز مروا أهل الصلاح يتذاكروا السنن في مجالسهم ومساجدهم وأسواقهم .

عمر بن عبد العزيز يتورّع عن قول الفحش ويمتنع عن شتم عليّ

٤١ ـ المدائني قال : كتب عدي إلىٰ عمر : إنه قد ذُكرت لي امرأة من

---

(١) هناك بطنان بهذا الاسم راسب الأزد وراسب قضاعة . فراسب الأزد هو راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد . وراسب قضاعة هو راسب بن الخزرج بن جُدّة بن جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

(٢) الضبي نَسبة إلىٰ قبيلة ضبة بن أد بن عامر (طابخة) بن إلياس بن مضر .

أهل البصرة أعجبني دينها وموضعها وجمالها ، وقد أحببت يا أمير المؤمنين أن تزوجنيها ، فكتب إليه : إن كنت أصبت بعدي مالاً ، فأهلك الذين صبروا علىٰ فقرك أحقّ بك ، وإلا يكن أصبته فإن أجمل بك ألا يكون كما قال ابن دارة : إن الفزاري لا ينفك وأستغفر الله .

المدائني عن أبي إسحاق المالكي ، قال : كتب عدي إلىٰ عمر يستأذنه في تزوج هند بنت أسماء ، فكتب إليه عمر : إن الفزاري لا ينفك والسلام . يريد قول ابن دارة : [من البسيط]

لا تـأمَنَـنَّ فـزاريـاً خَلَـوْتَ بِـهِ … علىٰ قَلوصِكَ واكتُبها[1] بأَسْتارِ
إنَّ الفَـزارِيَ لا ينفَـكُّ مُغْتَلِمـاً … يـواصِـلُ الـدَّهْـرَ تَهـداراً بتَهْـدارِ

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف ، قال : كانت الولاة من بني أميّة قبل عمر يشتمون علياً ويلعنونه ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أمسك عن ذلك ، فقال الشاعر : [من الطويل]

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عليّاً ولم تُخِفْ … بَـريّـاً ولـم تتبـعَ مقـالَـةَ مُجـرمِ
تكلّمـتَ بـالحـقِّ المُبيـنِ وَإنّمـا … يُبَيَّـنُ آيـاتُ الهُـدىٰ بـالتَّكلُّـمِ
فصدّقتَ معروفَ الّذي قلتَ بالّذي … فَعلتَ فأضحىٰ راضياً كُلُّ مُسلِمِ
أَلا إنّمـا يلقَـىٰ القَنـا بعـدَ زَيْغِـهِ … مِـنَ الأَوَدِ البـادي نفـاقُ المُقَـوِّمِ

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر : أفلحنا إذاً .

المدائني عن أبي هلال الراسبي عن قتادة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ

---

(١) الكتُبْة : ما شُدّ به حياء البغلة أو الناقة لئلا يُنزىٰ عليها والمفرد كالجمع ، وكتب الدابة والبغلة والناقة : حزم حياءها بحلقة حديد أو صُفرٍ تضمُّ شُفري حيائها لئلا ينزىٰ عليها :
لا تأمنن فزارياً . . .
وذلك لأن بني فزارة كانوا يُرمون بغشيان الإبل ـ اللسان ـ.

عدي : أما بعد فإذا أبردت إليّ بريداً فأبرده حسنَ الاسم حسنَ المنطق خفيفَ اللحية يفهم عني ويُفهمني مثل عذامٍ الضبيّ .

حدثني عمر بن شبّة ثنا أبو عاصم النبيل عن سفيان عن جعفر بن بُرقان ، قال : كتب عمر إلىٰ عدي : انظر كل قرية كسبوا بأهلِ عمودٍ فمرهم أن يجمّعوا .

حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن خُليد بن دعلج ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عماله ، أن اجعلوا أثمان كبول من تسجنونه من بيت المال وإياكم أن تغرّموهم أثمانها .

المدائني عن أبي هلال ، قال : كتب عمر إلىٰ عدي : إذا أشكل عليك أمر فسل عنه الحسن بن أبي الحسن .

المدائني ، قال : كتب عمر إلىٰ عماله : إن الله يقول : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾[1] أي لا تقاتل من لا يقاتلك من الفُسّاق والصبيان والرهبان .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدروقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا أبان بن صمعة ، ثنا بكر بن عبد الله ، قال كتب عدي بن أرطاة إلىٰ عمر بن عبد العزيز يسأله عن أم الولد إذا زنت وقد ولدت من سيدها ، هل تباع ، قال لا تباع وإن بغت .

حدثنا سمعان بن فروخ ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا قتادة : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ عدي بن أرطاة : إن امرأة المفقود تعتدّ أربع سنين .

حدثنا عفّان ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا حميد : أن رجلاً كاتب عبده واشترط عليه أن له سهماً في ميراثه ، فسأل عدي إياس[2] بن معاوية ، فقال :

---

(١) سورة البقرة رقم : ٢ الآية رقم : ١٩٠ .

(٢) إياس بن معاوية القاضي الذي يضرب في ذكائه المثل حتىٰ وصف أبو تمام الحليفة ، =

السهم في كلام العرب السدس ، فكتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز بذلك ، فكتب إليه إن قضاء الله قبل شرطه ليس له شيء .

حدثنا عمر بن شبّة عن عفّان عن حماد بن سلمة عن حميد : أن رجلاً أسلم علىٰ يد عبيدة بن عاصم السلمي فمات وترك عشرين ألفاً ، فكتب عدي بذلك إلىٰ عمر ، فكتب أن عبيدة أحق بميراثه .

حدثنا عبد الله بن صالح عن حماد بن سلمة عن حميد : أن رجلاً من موالي بني جُشم قتل رجلاً خطأً ، فسأل عدي الحسن عن ذلك ، فقال : لا تعقل العرب عن المولىٰ فكتب إلىٰ عمر بذلك ، فكتب إليه عمر : إن مولىٰ القوم من أنفسهم وهم أحقّ بميراثه فليعطوا عنه ، فجعل الدية عليهم .

حدثني هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة عن حميد : أن قتيلاً وجد بين بني عبس[١] وبين بني قُشَير[٢] بالبصرة ، فكتب فيه عدي إلىٰ عمر ، فكتب عمر : إن من القضايا قضايا لا يقضىٰ فيها إلىٰ يوم القيامة ، وإن هذه منها .

حدثنا عفّان عن حماد بن سلمة عن قتادة : أن رجلاً باع امرأة حرةً من رجل بأربعمئة درهم وهربا فوجدا وإذا بثمنها في هميان[٣] في حقوها ، فكتب فيها عدي إلىٰ عمر ، فكتب عمر أن عزّرهما واستودعهما السجن ولا تقطعهما .

= فقال : في حلم أحنف في ذكاء إياس ، وهو من مزينة وهو إياس بن معاوية بن قُرّة بن إياس بن هلال بن رئاب بن عُبيد بن سُواءة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سُليم بن أوس بن عمرو (مزينة) .

(١) عبس بن بغيض بن ريث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٢) قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

(٣) هِميان الدراهم : الذي تجعل فيه الدراهم ـ اللسان ـ.

المدائني عن العباس بن محمد عن أبيه : أن عمر كتب إلىٰ بعض عماله : أما بعد ، فإن الله أكرم بالإسلام أهله ورفع به عنهم الصَّغار والذلّة ، فانظر من ادّعىٰ الإسلام فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله ، وأنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأن عيسىٰ عبد الله وكلمته ورسوله إذا كان نصرانياً ، وان عزيزاً عبد الله إن كان يهودياً ، وحفظ عدد الصلاة وأوقاتها ، وقرأ من القرآن فاتحة الكتاب فما زاد وأحسن الوضوء ، ووجدته مختتناً فضع عنه الجزية .

المدائني عن مسلمة وغيره ، قالوا : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عاملٍ له : أما بعد ، فإن الله أكرم بالإسلام أهله وشرّفهم وأعزّهم ، وضرب الذلّة والصغار علىٰ من خالفهم وجعلهم خير أمّة أُخرجت للناس فلا تولينّ أمور أحدٍ من المسلمين أحداً من أهل ذمّتهم وخراجهم ، فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلّهم [٦٨/٥٢٢] بعد أن أعزّهم الله ، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله ، وتعرّضهم لكيدهم والاستطالة عليهم مع ما لا يؤمن من غشّهم إياهم فإن الله يقول : ﴿ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] . ويقول : ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ﴾[2] والسلام .

المدائني عن مسلمة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي في عزل من كان من العمال من أهل الذمّة ، وأن لا تستعين بهم ، فعزل ابن رأس البغل وابن زذانفروج بن بيري ، وأقرّ زاذمر بن الهربذ ، فكتب إليه في عزله ، فعزله .

---

(١) سورة آل عمران رقم : ٣ الآية رقم : ١١٨ .
(٢) سورة المائدة رقم : ٥ الآية رقم : ٥١ .

وكتب عمر في إباحة الأحماء لترعىٰ الناس بها

وكتب إلىٰ بعض عماله : كتبت تسأل عن الأسير ، أيكتب إلىٰ اهله بوصيّته وفيها عتق ووصايا ، فأجزه وصيّته وعتقه إذا عُلم أنه علىٰ دينه لم يغيره وشهد العدول من المسلمين علىٰ وصيّته .

عمر بن عبد العزيز ينهىٰ عن شراء أو بيع السلف

٤٢ ـ المدائني ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي : أما بعد ، فإنه ذُكر لي أن رجلاً من أهل الجفاء وقلّة الفقه يشترون الطعام ثم يبيعونه قبل أن يقبضوه ، ولعمري إن ذلك من الربا الذي لا شكّ فيه ولا مِرّية ، فإذا أتاك كتابي هذا فامنع من قبلك منه أشدّ المنع وحذّرهم العقوبة عليه أبلغ التحذير ، ومن كان عنده من ذلك شيء اشتراه من مسلم فليردّه إلىٰ صاحبه ، ومن كان منهم علىٰ بيع شيء منه فليرفضه ، وإن قدرت علىٰ أحدٍ منهم فعل ذلك بعد نهيك عنه فأوجعه عقوبةً واجعله نكالاً لمن رآه وسمع به ، إن شاء الله والسلام .

حدثني عبد الله بن صالح عن سلام بن مسكين ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي وأهل البصرة ينهاهم عن القبالة[1] والصرف دراهم بدراهم إلا مثلاً بمثل ولبس الحرير وعن التماثيل وعن الأوعية الأربعة : الدُبّاء والنقير والحنتم والمزفّت[2] .

المدائني عن عمرو بن ميمون : أن عمر كتب إلىٰ عدي ، وكان عدي

---

(١) القبالة : وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطىٰ ، فذلك الفضل ربا .

(٢) هذه الأوعية الأربعة هي التي يصنع فيها النبيذ . الدَّباء : القرع . النقير : ما نقر من الحجر والخشب . الحنتم : الخزف الأسود والجرة الخضراء . المزفت : وعاء مطلي بالزفت .

كتب إليه في الرجل يفلّس بالمال العظيم أنه قد كان بعض الفقهاء يرىٰ بيعه ، قد فهمت كتابك في أمر المفلّس ، فلا يباعنّ حرٌّ وإن فلَّس .

المدائني ، قال : كتب عمر إلى عدي : أن رجالاً يولّون نساءهم الطلاق ، فيجعلون أمر نسائهم في أيديهم وإن الله لم يجعل للنساء من الطلاق شيئاً ، فأيما رجل جعل أمر امرأته بيدها فاختارت نفسها بواحدة وهو أملك بها وإن ردّت الأمر إليه فليس بشيء .

حدثني عمر بن شبّة عن هارون بن معروف عن ضمرة بن ربيعة عن علي بن أبي حملة ، قال : رأيتُ يزيد بن المهلب يُطاف به في عسكر عمر بن عبد العزيز في محملٍ وإلى جانبه رجل من الحرس وهو يقول : ارفع رأسك يا فاسق .

وقال المدائني : حبس عمر يزيد بن المهلب بمالٍ كتب به إلى سليمان بن عبد الملك ، وحبس عدي أخوة يزيد بالبصرة .

المدائني عن أبي جُزي عند داود بن أبي هند ، قال : كتب بعض عمال عمر إليه في غلام ابن إحدى عشرة سنة افتضّ جاريةً بنة تسعٍ . فكتب عمر إليه : إن الحدود والنكال لا يكون إلا لمن بلغ الحلم وعلم ماذا له في الإسلام وماذا عليه ، والسلام .

وكتب عمر في مسلم أُسر فتنصّر أن تزوج امرأته وتكون عدتها من حين يبلغها تنصّره ولا يتوارثان وإن مات هي عدّتها .

وكتب عمر : أنه لا قطع على المختلس ، ولكنه لا يُرثى له من طول حبس .

وكتب عمر إلى بعض عماله : اجلد القاذف حرّاً كان أو عبداً ثمانين جلدة إذا افتريا[1] فإن الله يقول : ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾[2] ولم يسم عبداً أو حرّاً .

---

(١) قرأ الأمر واقتراه : تتبّعه ـ اللسان ـ والأصح : من الافتراء : الكذب .

(٢) سورة النور رقم : ٢٤ الآية رقم : ٤ .

وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : أنه بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « ما نُكحتْ عليه امرأةٌ من صداق فهو لها ، أو عدّة لأهلها قبل أن تنكح فهو لها ، وما كان من حباءٍ لأهلها بعد أن تنكح فهو لهم » .

المدائني عن شيخ من أهل الجزيرة ، قال : كتب عمر إلى بعض عماله : أما بعد ، فلا يغلبنّك جهل الجاهل بك على علمك بنفسك ، فإن من الناس ناساً غرّهم الستر وفتنهم حسن الثناء ، فأعاذنا الله وإياك من أن نكون مغرورين بستر الله مفتونين بمدح الناس ، والسلام .

الجلد لا يجوز أن يقع سوط على سوط

٤٣ ـ حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي عن سليمان بن حبيب ، قال : شتم رجل رجلاً فادّعى شهادة قوم غيبٍ أن ما قال كما قال ، فلم يشهدوا له ، فقال عمر لسليمان : يا سليمان اضربه وفرّق فلا يقع سوط على سوط .

المدائني ، قال : كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن أن لا يُقتل رجل شتم رجلاً إلا أن يكون شتم نبيّاً .

المدائني ، قال : دخل أبو مجلز لاحق بن حُميد على عمر بن عبد العزيز ، فلما أخبر بمكانه ، قال : إني لم أعرفك ، قال : فهلا يا أمير المؤمنين إذا لم تعرفني أنكرتني فسألت عني .

حدثني هشام بن عمار ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من الغرّة بالله أن يصرّ العبد على المعصية ، ويتمنى على الله المغفرة .

المدائني عن أبي عبد الرحمن التميمي عن عبد الله بن يزيد بن جابر ، قال : قال رجاء بن حَيْوة : قال لي سليمان بن عبد الملك في مرضه : إلى من ترى أن أعهد ؟ وله بنون رجال قد بلغوا ، أمهاتهم أمهات أولاد فهم

لا يطمعون في الخلافة ، وأولاده من المهائر صغار . قلت : يا أمير المؤمنين قد سمعتك تقول : ما ورّث خليفةٌ ميراثاً أفضل من وليّ عهد صالح ، يعمل في الرعيّة بالعدل بعده ، وخرجتُ فقام إليّ عبد الملك بن أرطأة ، فقال لي : إلى من عهد أمير المؤمنين ؟ قلت : لم يعهد بعد وقد شاورني ، قال : هل لك في رجل إن ولي الناس لم يُر منه خلل ولا زيغ إن شاء الله ، قلت : من هو ؟ قال ؛ عمر بن عبد العزيز المرضيّ المأمون ، قلت : قد كنت أريده وقد قوّى رأيي وعزمي قولك فيه ، فدخلت فأشرت به على سليمان فعهد إليه ، فلما مات واستخلف عمر خطب الناس ، فقال : أيها الناس والله ما سألتُ الله هذا الأمر في سرّ ولا علانية ولا دسست فيه بكلمة ولا خطوت فيه بخطوة ، فإن شئتم فبيعتكم مردودة عليكم .

أول عمل عمر بن عبد العزيز رد فَدَك

٤٤ ـ فقال هشام بعد ذلك : لقد ندمت يوم قال بيعتكم مردودة عليكم أن لم أقل : نعم فأقلناها . فبلغ قوله عمر ، فقال : لو أن الأحول فعل لفعلتُ .

فكان أول ما قضى به ردّه فَدَك[1] إلى ما كانت عليه على عهد رسول

---

(١) فَدَكُ : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، أفاء الله على رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سنة سبع صلحاً فكانت له خالصة ينفق منها على أبناء السبيل ، ولما قبض صلىٰ الله عليه وسلم فعل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي مثله ، فلما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحكم وأن مروان وهبها لعبد العزيز وعبد الملك ابنيه ثم إنها صارت إلى الوليد وسليمان ابني عبد الملك وإلى عمر بن عبد العزيز ثم وهب الوليد حصته عندما ولي إلى عمر وعندما ولي سليمان وهبه أيضاً حصته فأصبحت لعمر بن عبد العزيز كلها فلما ولي الخلافة ردّها على ما كانت عليه في أيام النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

الله صلىٰ الله عليه وسلم .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : حدثني عوانة ، قال : مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فخطب الناس فقال : والله ما أردتها ولا تمنيّتها ولا سعيت لها ، فاتقوا الله وأعطوا الحق من أنفسكم وردّوا المظالم ، فإني والله ما أصبحت وبي موجدة على أحدٍ من أهل القبلة إلا على ذي سرفٍ حتى يُردّه الله إلى قصده ، ثم نزل وقد فرشوا له فترك الفرش وجلس ناحية ، وكتب إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول وأذن للناس بالقفول .

عمر بن عبد العزيز أفضل من عمر بن الخطاب .

٤٥ ـ المدائني ، قالوا : كتب عمر إلى سالم بن عبد الله بن عمر : أن يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب ، فكتب إليه : إن عمر كان في غير زمانك ورجالك ، فإن قدرت أن تعمل في زمانك عمل عمر كنت أفضل منه .

المدائني عن غياث بن إبراهيم ، قال : قاد الناس الخيل إلى سليمان بن عبد الملك فمات قبل أن يجريها ، فاستحيا عمر من الناس فأجرى الخيل التي جمعت ثم أعطى الناس ولم يخيّب أحداً ، ثم لم يُجْر فرساً حتى مات .

المدائني عن ابن جعدبة ، قال : ارتدّ ابن وابصة وأتى الروم ، فبعث عمر في فداء من بأيدي الروم من المسلمين رجلاً ، فمرّ في طريق من طرقهم فسمع رجلاً يغنى بشعر ابن دارة : [من الوافر]

وكـائِـنْ بـالبِـلاطِ إلى المصلّى ... إلـى أحُـدٍ إلـى مـا حَـازَ ريـمُ
إلـى الجمَّـاءِ مـن خَـدٍّ أَسيـلٍ ... نقـيِّ اللَّـونِ ليـسَ بِـهِ كُلـومُ

يلـومُـكَ فـي تَـذَكُّـرِهـا رِجـالٌ وَلَـوْ بِهِـمُ كما بِـكَ لـم يلُـومـوا

فدخل عليه ودعاه إلى الإسلام فأبى ، ويقال بل أسلم ورجع إلى المدينة ، فروى جويرية بن أسماء عن بعض أصحابه : أنه رأى جنازة ابن وابصة بالمدينة .

المدائني ، قال : قال أبو عاصم : خُناصرة من قنسرين وبها مرض عمر ومات بدير سمعان من أرض حمص وبين خناصرة ودير سمعان[1] ثلاثون أو أربعون ميلاً وهو على تخوم قنسرين ، قالوا : واشترى عمر موضع قبره من نصراني بدير سمعان بأربعين درهماً وهو مريض ، فقال النصراني : وتعطيني قميصك فأعطاه إيّاه ، وعند قبر عمر زيتون .

المدائني عن ابن جعدبة ، قال : كان [٥٢٣/٦٨] ليث بن أبي رقيّة وإسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير كاتبين لعمر بن عبد العزيز ، فدخلا عليه يوماً ، فقال : يا معشر العلوج أما يستطيع أحدكم إذا غدا أن يسرّح لحيته ؟!

---

(١) خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية وهي قصبة كورة الأحصّ ـ معجم البلدان ـ كان أمراء بني أمية لتأثرهم بالحياة القبلية يحبون الخروج إلى البليدات الصغيرة في آخر المعمورة وأول البادية فعمر بن عبد العزيز كان يخرج إلى خناصرة ويزيد بن معاوية إلى حوارين والوليد بن يزيد إلى الزرقاء والعباس بن الوليد إلى النبك وخنصارة الآن هي في أول البادية بجانب سفح جبل الأحص وقد سكنها الشركس عندما نزلوا الشام هرباً بدينهم فسكنوا البليدات القريبة من البادية مثل عمان بالأردن ومنبج شمال حلب وشرق السلمية عدة قرى لهم مثل تل سنان وتل عدا وتل العجل وشرق حمص مثل تل عمري وعين النسر وقرى في الجولان وبعض القرى شرق الرقة ودير سمعان اكتشف حديثاً شرق المعرة على طريق معرة شمارين واهتمت الحكومة السورية بترميم القبر وعبّدت الطريق إليه وهو يبعد عن المعرة إلى الشرق ما يقارب خمسة كيلومترات .

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه ، قال : كان من خاصّة عمر ميمون بن مِهران ورجاء بن حَيْوة ورياح الباهلي[1] ، وكان دون هؤلاء عنده عون بن عبد الله بن عتبة ومحمد بن الزبير الحنظلي[2] .

عمر بن عبد العزيز يمنع تولية من يدفع رشوة .

٤٦ ـ المدائني عن مسلم بن محارب ، قال : خرج بلال بن أبي بردة وأخوه عبد الله إلى عمر يختصمان إليه في الأذان في مسجدهم ، فارتاب بهما فدسّ إليهما من عرض عليهما ولاية العراق على أن يجعلا له جعلاً ، فقال له بلال : أعطيك مئة ألف درهم ، وقال أخوه : أعطيك أكثر من مئة ألف درهم ، فأخبر عمر بما بذلا ، فقال لهما : الحقا بمصركما ، وكتب إلى عبد الحميد : لا توّل بلالاً الشرّ ولا أحداً من ولد أبي موسى شيئاً ، ويقال إنه كتب بُليل الشرّ صغّره .

المدائني عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : لما دُفن عمر بن عبد العزيز قام غُليّم أو جويرية من أهله وقد سَوَّد ذراعيه ، فقرأ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[3] فما بقي أحدٌ حضر إلا بكى .

المدائني عن علي بن مجاهد ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز : اقطعوا رؤوس التصاوير ولا تدعو المعلمين يحملون الصبيان إذا حذقوا .

المنصور يمدح عمر بن عبد العزيز .

٤٧ ـ حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف ، قال : قال

---

(١) الباهلي : نسبة إلى باهلة وهو مالك ينسب إلى أمه باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة ومالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٢) الحنظلي نسبة إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٣) سورة التكوير رقم : ٨١ الآية رقم : ١ .

المنصور أمير المؤمنين : ما ردّ أحدٌ علينا حقّنا إلا عمر بن عبد العزيز .

المدائني عن مسلمة بن محارب ، قال : دخل عَنْبسة بن سعيد على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كان من قبلك من الخلفاء يصلون أرحامنا ويعرفون حقّنا ، وإنك قد أمسكت عنا فإمّا أن تصنع بنا ما كانوا يصنعون وإمّا أن تأذن لنا في اللحاق بأهلنا فنشاهدهم ونصلح من شأنهم . فقال عمر : أمّا من قبلنا فقد كانوا يفعلون ما ذكرت وما كان ذلك لهم ، وأمّا ما سألت من الانصراف فهو إليك ، فولّى عَنْبسة فدعاه فظنّ أنه قد بدا لعمر فيما كلّمه به ، فقال : اذكر الموت فإنك لا تذكره في حال سعة إلا ضاقت عليك ، ولا تذكره في حال ضيق إلا اتسعت لك .

المدائني ، قال : قال عمر لابنه : لا تحقرنّ أحداً فلعلّ بعض من تزدريه عينك أقرب إلى الله وسيلة منك .

أبو الحسن المدائني عن أبي بحر الأصبهاني عن أبي سيّار ، قال : اشتريت لعمر بن عبد العزيز ثوبين من خزّ السوس ، ذكر لأهل السوس أنهم لم يعملوا مثلهما لأحدٍ ، فقال لي : ما أخشنهما ، فلما استخلف اشتريت له ثوب كتان بستة عشر درهماً ، فقال : ما ألينه ، فقلت له في ذلك ، فقال : قلتُ ما قلت يومئذٍ وأنا في نفسي صادق ، وقلت هنا وأنا في نفسي صادق .

وروي أن بلال بن أبي بردة قدم وعليه عمامة سوداء ، وكان من أطول الناس صلاة ، فقيل لعمر ما رأينا أطول صلاة من بلال فلو استعنت به ، فإنه من أهل بيت لهم قِدم في الإسلام ، فقال لكاتبه : اعلم لي علمه . فأتاه فقال : إن أمير المؤمنين ذكرك للعراق ، فما تجعل لي ؟ قال : مثلي لا يكلّم بهذا ، قال : والله لأصرفنّ عنك الولاية إن لم ترضني ، قال : فلك مئة ألف درهم ، قال : فاكتب لي رقعة بخطّك بها فإني لا آمن

الغدر ، فكتب له رقعة وأشهد عليها خاصّته ، ثم [أَعْلَمَ] الكاتبُ عمرَ بالرقعة فنخس به عمر من الشام ، وكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : لا تولين أحداً من آل أبي موسى الأشعري[1] شيئاً من العمل ولا سيما بُلَيِّل .

وحدثني عبد الله بن غياث عن أبي المقدام القرشي عن محمد بن كعب القرظي ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فجعلت أنظر إليه ، فقال : ما نظرك إليّ ؟ قلت : أعجب للحالتين لونك ونحل جسمك ، فقال : فكيف لو رأيتني يا محمد بعد ثالثة في قبري وقد سالت حدقتاي على وجنتيَّ أو قال خديَّ ورأيت جلدي وقد امتلأ صديداً ودوداً ، وقد انشق بطني فبدا ما فيه كنتَ أشدّ إنكاراً .

عمر بن عبد العزيز وحديث ابن عباس

٤٨ ـ حدثتني حديثاً سمعتك تحدّثه عن ابن عباس عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : قلت قال ابن عباس ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة . اقتلوا الحيّة والعقرب ولو كنتم في صلاتكم ، ومن نظر في كتاب أخيه المسلم بغير إذنه فكأنما ينظر في النار ، وإنما يتجالسون بالأمانة ، ومن سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ، ألا أنبئكم بشرّ الناس ، من أكل وحده وجلد عبده ومنع رفده ، ألا أنبئكم بشرّ من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه ، ألا أنبئكم بشرّ من

---

(١) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عتر بن بكر بن عامر بن عَذَر بن وائل ابن ناجية بن الجماهر بن نبت (الأشعر) بن أدد بن غريب بن زياد بن كهلان .

ذلكم الذي يُخاف شره ولا يرجى خيره ، إن عيسى ابن مريم قال لبني إسرائيل : يا بني إسرائيل لا تعلّموا الحكمة غير أهلها فتظلموا ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » .

قالوا وأتى رجل نصراني عمر بن عبد العزيز فتظلّم من هشام وادعى أن في يده ضيعة ، فقال : يا هشام قم مع خصمك ، قال : بل أوكّل وكيلاً بخصومته ، قال : لا ، فقام فجلس بين يديه فجعل هشام ينتهر خصمه ، فقال له عمر : يا أحول عندي تنتهر فإن أعدت عاقبتك ، فادعى النصراني ، فقال هشامٌ : ضيعتي وقطيعة أقطعنيها عبد الملك ومعي سجل من الوليد وسليمان ، فقال عمر لابنه عبد الملك : يا بني انظر في سجلاته وأمره ، فنظر فقال : أرى أمر النصراني قوياً وحجّته عالية وحق الله أولى ما أؤثر ، فقال عمر : أحرق سجلاته فأحرقها وردّ على الرجل ضيعته .

فلما ولي هشام استؤذن في أخذ الضيعة من يد النصراني ، فقال : لا تردّواً حكماً حكم به عمر .

المدائني عن أبي يعقوب ، قال : أجاز عمر بن عبد العزيز عبد الحميد بن عبد الرحمن بعشرة آلاف درهم .

قالوا : وكتب عمر إلى سليمان بن أبي كريمة : إن أحقّ العباد بإجلال الله وخشيته مَن ابتلاه بمثل ما ابتلاني به ، ولا أجد أشدّ حساباً ولا أهون على الله مني إن عصيته ، فقد ضاق بما أنا فيه ذرعي فادع الله لي في غزاتك فإنك بعرض خيرٍ وإجابة .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن الزبير الحنظلي ، قال : نظر عمر إلى رجل يكتب على الأرض : بسم الله الرحمن الرحيم فنهاه وقال : لا تعد .

المدائني عن إدريس بن قادم عن ميمون بن مهران ، قال : قال لي عمر : إني وضعت الوليد بن عبد الملك في حفرته ، ثم نظرت فإذا وجهه أسود ، فإذا متّ ودُفنت فاكشف عن وجهي ، ففعلت فرأيت وجهه أحسن مما كان في أيام تنعمّه ، رضي الله عنه .

المدائني عن عبد الله بن سلم وغيره ، قالوا : دخل ناس من بني أمية على عمّة لعمر فكلّموها في أن تأتي عمر ، فتسأله أن يجري عليهم ما كان جارياً عليهم من الأرزاق ، ويقال : بل أرادت كلامه في أرزاقها ، فلما صارت إليه ظنّ ما جاءت له ، فقال لها : إني قد ظننت ظناً فاسمعي أصف لك من حالي ، فقال : إن الله بعث محمداً صلىٰ الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً ، فبلّغ رسالات ربّه ثم اختار له ما عنده فقبضه الله ، والناس على منهاجٍ واضح مستقيم ، فولي ولاة بعده سلكوا سبيله واهتدوا بهديه وكان الطريق واحداً ، ثم ولي بعد ذلك أقوام اشتقّوا من تلك الطريق طرقاً مختلفة وانتهى الأمر إلي ، وقد كادت أعلام تلك الطريقة النهجة تدرس ، فأردت إقامة تلك الأعلام فضجّ من ذلك من قد أخذ يميناً وشمالاً ، وثقل عليهم أن يرجعوا عن طريقهم التي سلكوها ، وسألوني اتباعهم وفي اتباعهم النار ، فما ترين ؟ قالت : أرى أنهم أحقّ أن يتبعوك .

ثم قال : هات حاجتك ، قالت : ما أنا ذاكرة بعدما سمعت شيئاً .

المدائني عن مسلمة : أن عمر بن عبد العزيز ، قال لعبد الملك ابنه : يا بني إن الشباب عون على مساوئ الأخلاق ، فاذكر فضل الله علينا واغتنم فراغ نفسك وإيّاك والغفلة عن أمر معادك ، فإن الله قد أحسن إلينا في اللطيف والجليل من أمرنا .

المدائني عن عمر بن مجاشع : أن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر فدعا عمر بغداء فأوتي بخلٍّ وزيت فأكلا ، ثم قال : يا أبا سعيد هل

تشتهي شيئاً إذا كنت آكلاً شيئاً لو أتيت به ؟ قال : لا ، قال : فأرى ما في بدنك من الدنيا لا تقدر أن تصب منه من المطعم والمشرب إلا بقدر ما يطيق بدنك ، فعلام يهلك من أهلك نفسه .

أبو الحسن المدائني : أن عمر بن عبد العزيز ، قال : ما أحبّ أن يهوّن عليّ الموت لأنه آخر ما أؤجر عليه قال : وقال عمر : لا يكون الرجل تقّيّاً حتى يسلم الناس من لسانه ويده .

المدائني عن مسلمة بن محارب ، قال : قال عمر : ما كان الحجاج صاحب دين ولا دنيا ، لأن صاحب الدين من لم يسفك الدماء ولا يهتك المحارم ، ثم قدم العراق والخراج كثير دارّ ، فما زال بالخرق والاعتداء [٦٨/٥٢٤] حتى صار إلى خمس وعشرين ألف ألف درهم ، وكان مئة ألف ألف أو قال : ثمانين ألف ألف درهم .

حدثني هشام بن عمار عن سعيد المري[١] ، قال : وعظ عمرَ بن عبد العزيز رجلٌ ، فقال : إنك أدركت من الحق رسماً قد عفا وأمراً قد درس ، فأنت لا ترى شيئاً واضحاً فتتبعه ، فكأنك في بحر تضطرب أمواجه ، فاعتصم بحبل الله واستعن بالله وعليك بالعدل الذي به تدفع الباطل وترهقه .

المدائني قال : أُتي عمر بقوم على شراب وفسق ومعهم شيخ مسن ، فلما رآه عمر حسبه شاهداً فدعاه فقال له : هات بماذا تشهد ؟ فقال : إني أصلحك الله مبتلى ، فاسترجع عمر وأجلسه مع القوم .

قال : وجاؤوا إلى عمر برجل شتم عثمان ، فقال له : لم شتمته ؟ قال : لأني أبغضه ، قال : أوكلما أبغضت رجلاً شتمته ؟ قال : نعم ،

---

(١) نسبة إلى بني مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غَطفان .

فضربه عشرين سوطاً .

المدائني ، قال : دخل محمد بن الزبير الحنظلي على عمر بن عبد العزيز فدعا له بغداء فلما وضعت المائدة بين يديه ، قال عمر :

[من الوافر]

إذا ما ماتَ مَيْتٌ من تَميمٍ[1] فسرَّكَ أَنْ يعيشَ فَجِيءْ بزادِ

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه ، قال : سُئل عمر بن عبد العزيز عن عليّ وعثمان وأمر الجمل وصفّين ، فقال : تلك دماء كفّ الله عنها يدي ، فأنا أكره أن أغمس فيها لساني .

حدثني هشام بن عمار عن ابن واقد ، قال : بلغ صاحب الروم موت عمر بن عبد العزيز ، فقال : ليس العجب من الرهبان والعبّاد الذين تعذّرت الدنيا عليهم ، إنما العجب ممن رفض الدنيا وهو يملكها .

المدائني عن جويرية بن أسماء ، قال : قال عبد الملك بن عمر لعمر : ما يمنعك من إنفاذ رأيك في ردّ المظالم ؟ قال : إني أروّض الناس رياضة الصعب ، فإن أبقاني الله أنفذت رأيي ، وإن عجّلت بي منيّتي فقد علم الله أني أخاف إن بادهت الناس بما أريد أن يلجأوا ويلجئوني إلى السيف ، ولا خير في أمرٍ لا يأتي إلاّ بالسيف .

عزم عمر بن عبد العزيز على أخذ أموال بني أمية

٤٩ ـ حدثني هشام بن عمار ، قال : عزم عمر بن عبد العزيز على أخذ ما في أيدي بني أميّة من حقوق الناس وردّه على أهله ، فاجتمعوا إليه فكلّموه ، فقال : إنكم أُعطيتم في هذه الدنيا حظاً فلا تنسوا حظكم من

---

(١) لأن حنظلة بطن من تميم .

الله ، وإني لأحسب شطر أموال أمّة محمد في أيديكم ظلماً ، والله لا تركت في يد أحدٍ منكم حقّاً لمسلمٍ ولا معاهد إلاّ رددته .

المدائني عن المقدمي : أن عمر قال لابنه حين استحثه في رد المظالم : أي بني ، إن نفسي مطيّتي ، فإن أنا لم أرفق بها لم تبلغني ، إن الحقحقة[1] في السير قلّما تودي إلى خير .

وقال هشام : بلغني أن عمر بن بعبد العزيز قال لمسلمة بن عبد الملك ، ورأى عليه حلّة يمنية : يا أبا سعيد إن أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجدة ، وأفضل الدين ما كان بعد الولاية ، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة .

المدائني : أن رجلاً أتى عمر من مصر ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن عبد العزيز أخذ أرضي ظلماً ، فقال : وأين أرضك يا عبد الله ؟ قال : حلوان ـ قال : أعرفها ولي شركاء ، وهذا الحاكم بيننا فمشى عمر إلى القاضي ، فقضى عليه ، فقال عمر : قد أنفقنا عليها ، قال القاضي : ذلك بما نلتم من غلّتها فما نلتم منها مثل نفقتكم ، فقال : لو حكمت بغير هذا ما ولّيت لي أمراً أبداً وأمر بردّها .

المدائني عن إدريس بن قادم ، قال : قال عمر لميمون بن مهران ويكنى أبا أيوب وكان مهران مكاتباً لبني نصر بن معاوية ، وكان ميمون مملوكاً لامرأة من الأزد من ثُمالة[2] يقال لها أم نمر فأعتقته بالكوفة ، ثم تحوّل إلى الجزيرة في أيام الجماجم : يا أبا أيوب كيف لي بأعوان أثق

---

(١) الحقحقة : شدّة السير .

(٢) هو ثماله واسمه عوف بن أسلم بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد .

بهم وآمنهم ، قال : يا أمير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا فإنك سوقٌ وإنما يُحمل إلى كل سوق ما ينفق فيه ، فإذا عرف الناس أنه لا ينفق عندك إلا الصحيح لم يأتك إلا الصحيح .

المدائني ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : لا تعدم من الأحمق خلّتين : كثرة التلّفت وسرعة الإجابة .

وكتب عمر إلى عدي : أما بعد ، فلا تسرْ سيرة الحجاج فإنه كان بلاءً وافق من قومٍ خطايا .

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يتحدّث أول الليل ويسأل عن أمور الناس ، ويصلّي آخره ويقول : إن محادثة الرجال تلقيح لألبابها .

وحدثني أبو عبد الرحمن الجعفي[1] مشكدانة عن عبد الله بن المبارك ، قال : قال زياد بن أبي زياد مولىٰ ابن أبي ربيعة : دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز فتزحّل لي عن صدر المجلس ، ثم قال : إذا دخل عليك من لا ترىٰ لك عليه فضلاً فلا تأخذ عليه شرف المجلس .

حدثني محمد بن مصفىٰ ، قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز خطر بيده خطرةً ثم بكىٰ ، فقيل له : ما أبكاك ؟ قال : ذكرت النار فأشفقت من أن تُغلّ[2] يدي في الآخرة .

المدائني ، قال : حُمل إلىٰ عمر مسك فأمر ببيعه ، فلما أخرج أخذ عمر بأنفه ، وقال : هذا للمسلمين وإنما يُنتفع منه بريحه ولا حاجة لي في الإسفاع بشيئ من حقّ المسلمين .

---

(١) الجعفي نسبة إلىٰ قبيلة جُعفىٰ وهو جعفىٰ بن سعد العشيرة بن مالك (مذحج) .

(٢) تغل يقصد الآية الكريمة ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ سورة المائدة رقم : ٥ الآية رقم : ٦٤ .

قالوا : وسابق عمر بالخيل بالمدينة وكان فيها فرس لمحمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وفرس لرجلٍ جعدي[1] ، فتقدّم فرس الجعدي فجعل يرتجز ويقول : [من الرجز]

غـايـةُ مجـدٍ نُصِبَـتْ يـا مَـنْ لَهـا   نحـن حـويناهـا وكنـا أَهْلَهـا
لـو تـرسـلُ الطيـر لجئنـا قَبْلَهـا

فلم ينشب أن سبقه فرس ابن طلحة ، فقال عمر : سبقك والله ابن السبّاق إلىٰ الخيرات .

المدائني عن مسلمة بن محارب وغيره ، قالوا : بعث عدي بن أرطاة إلىٰ عمر رسولاً من بني تميم بقتل الخوارج الذين خرجوا في مسجد الحرورية بقُباء فقتلوا وبهم سميّ مسجد الحروريّة ، فقال : للتميمي : ممّن أنت ؟ قال : من بني تميم ، قال : جفاء كبير ، قال : وخير كثير ، فقال عمر : وخير لعمري كثير ، ثم قال : من أين خرج هؤلاء ، قال : قدموا من البحرين ، قال : إن لهم هناك لشيخاً .

قال : ودخل عبد الملك بن أرطاة علىٰ عمر ، فقال : يا أبا خالد جزاك الله عني جزاءَك فقد جعلتني غرضاً للحتوف ، ودريّةً للبلايا ، قال : يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الله إذا علم منك الاجتهاد في النيّة والقسم بالسوية والعدل في الرعيّة ، شكر سعيك وولي أمرك .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن عوانة ، قال : دخل ميمون بن مهران علىٰ عمر وهو محزون ، فقال : ما بك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إني قلّدت أمراً عظيماً لم أُشَاوَرْ فيه قبل وقوعه ولم

---

(١) جعدي : نسبة إلىٰ قبيلة جعدة وهو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

أطلبه ، فقد تفرّق علي أمري حتىٰ وددتُ أن لم تلدني أمي

المدائني عن ابن جُعْدُبة ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لزياد ، وكان عبداً لآل عيّاش بن أبي ربيعة . فطلبه عمر فأعتقوه ، فقدم عليه ، فقال له : يا زياد إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قال : يا أمير المؤمنين إني لا أخاف عليك أن تخاف ، إنما أخف عليك ألا تخاف . إن آدم أخرج من الجنّة بذنبٍ واحد ، فصيح به في الأمم وذُكر في الكتب ، وقال الله : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾[1] فالنجاء النجاء يا عمر . وقد روي هذا عن غيره .

قالوا : وأتىٰ عمرَ رجلٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي الحاجةُ ونزعت بي إليك الفاقة ، فانتهيت منك إلىٰ الغاية ، الله سائلك عن مقامي عليّ عيال قد أعييتهُم وأعيوني ، فقال : كيف أعييتَهم ؟ قال : أعييتُهم أن أكسبهم غِنىً وأعيوني أن يموتوا ، فألحق[2] له عياله وأعطاه نفقته ، ويقال ألحق شطر عياله .

المدائني عن رجل عن الشرقي ، قال : قدم رجل من البصرة علىٰ عمر فشكا إليه عدي بن أرطاة ، فقال : غرّني بعمامته السوداء ، قد كتبت إليه : من جاءك ببيّنة علىٰ حقّ هو له فسلمه إليه ، وقد عنّاك إلي ، فكتب إليه بما سأله واعطاه نفقته من بيت المال وأعطاه دريهمات من ماله ، فقال : اشتر بها لحماً .

المدائني عن فرات بن السائب عن ميمون ، قال عمر لمسلمة : كَفِّنّي إذا متّ بدينار من عطائي ، فإن ربّي إن كان راضياً عني فسيبدّلني خيراً منه .

---

(١) سورة طه رقم : ٢٠ الآية رقم : ١٢١ .

(٢) أي ألحق عياله بالعطاء .

قال وسأل عمرَ بن عبد العزيز إسماعيلُ بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاريُ حوائج ، فقال : ألم آمركم أن تلحقوا بأمصاركم ، لست قاضياً لك حاجة حتىٰ تلحق بمصرك ، ودُفع عنه ، فقال : والله ما كنا نُدفع هذا الدفع عن محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فوجم عمر ساعة وتغرغرت عينه ، ثم قضىٰ حوائجه .

المدائني عن أبي الهذلي[1] ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : يا بني التمس الرفعة بالتواضع والشرف بالتقوىٰ وإياك والخيلاء ، ولا تحقرنّ أحداً فإنك لا تدري لعلّ بعض من تزدريه عينك ، أكرم عند الله منك ولا تنس نصيبك من الله ونصيب الناس منك ، قال : ومات عبد الملك [٦٨/٥٢٥] وهو ابن تسع عشرة سنة .

حدثني هشام بن عمار ، قال : بكىٰ عمر بن عبد العزيز ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : ذكرت انصراف أقوام كانوا يتقلبون في النعم السابغة والفضل العظيم في الدنيا إلىٰ النار لا يظلّهم الله برحمة منه أبداً .

عمر بن عبد العزيز يخير امرأته بين رد الجواهر والطلاق

٥٠ ـ **المدائني عن أبي أيوب عن خالد بن عجلان** ، قال : كان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر ، فقال لها عمر : من أين صار هذا إليك ؟ قالت : أعطانيه أمير المؤمنين يعني أباها ، فقال : إما أن تردينه إلىٰ بيت المال وإما أن تأذني في فراقك ، ـ وكانت امرأته ـ وإني أكره أن أكون أنا وأنت في بيت وهو عندك ، قالت : لا بل أختارك علىٰ أضعافه ، قال : فضعيه في بيت المال .

فلما ولي يزيد بن عبد الملك قال لها : إن شئت رددته عليك وإن

---

(١) الهذلي نسبة إلىٰ قبيلة هذيل وهو هذيل بن مدركة (عمرو) بن إلياس بن مضر .

شئت أعطيتك قيمته ، قالت : أطيب به نفساً في حياته ، ثم أرجع فيه بعد وفاته لا حاجة لي فيه ، فقسمه يزيد بين ولده واهله .

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يتلو كثيراً وهو جالس للناس : ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾[١] ويبكي .

المدائني عن يزيد بن قحيف ، قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يتمثل كثيراً بقول الشاعر[٢] : [من الطويل]

تُسرُّ بما يَبْلىٰ وَتُشغَلُ بالهَوىٰ ... كما غُرَّ باللّذاتِ في النَّومِ حالمُ

نَهارُكَ يا مغرورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... وليلُكَ نَومٌ والرَّدىٰ لَكَ لازِمُ

ولستَ إلىٰ الأمرِ الرّشيدِ بِمُرْعَوٍ ... كذلك في الدّنيا تعيشُ البهائمُ

المدائني عن مسلمة بن عثمان القرشي ، قال : بلغني أن عمر لما ولي الخلافة نظر إلىٰ ما كان له من عبيد وإماء ورقيق ومتاع ولبسا وعطر وغير ذلك ، فأمر به فبيع ، فبلغ ثمنة ثلاثة وعشرين ألف دينار فجعل ذلك في السبيل .

المدائني عن أبي إسماعيل الهمداني[٣] عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز وقد ركب يوماً وقد بدت ساقه أو ركبته من ضيق أسفل قميصه .

المدائني عن بشر بن عبد الله ، قال : مشىٰ رجال من بني مروان إلىٰ

---

(١) سورة الشعراء رقم : ٢٦ الآيات رقم : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) في هامش مخطوط الرباط : هو أبو زياد الكلابي .

(٣) الهمداني نسبة إلىٰ قبيلة همدان ، أوسلة (همدان) بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان .

عمر بن عبد العزيز حين أسرع في بيت المال بما ردّ من المظالم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين إنك تردّ أمراً وليه غيرك فأمضاه فدعهم وما عملوا واستقبل أمرك ، فقال : والله لوددتُ أنه لم تبق مظلمة إلا رددتها ثم خرجت نفسي .

المدائني عن عمر بن مجاشع ، قال : دخل عَنْبَسة بن سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة علىٰ عمر بن عبد العزيز يسأله حوائج ، وبين يديه سراج يكاد يطفأ مرّة ثم يضيء مرة ، وفي ناحية الدار كتاب يكتبون وبين أيديهم شمع ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أمرت بشمعة فوضعت بين يديك ، قال : ذلك للمسلمين نكتب به حوائجهم ، وهذا لي وهو يحرمني ، ثم قال لعَنبسة : يا أبا خالد ألك حاجة ؟ فسال معونةً وزيادةً في عطائه ، فقال : يا عنبسة ، إن كنت غارماً قضينا عنك وإن كنت محتاجاً أعطيناك ما يقيمك ويصلحك . انظر من أين جمعت مالك فإن كان حراماً فارفضه وانظر لنفسك قبل يومٍ يتمنّىٰ فيه المفرّط الرجعة .

المدائني عن شيخ من قريش ، قال : كان حميد الأمجي يشرب الخمر وكان منزله أمج ، فقيل فيه : [من المتقارب]

حُميـــد الّـــذي أمَـــجٌ دارُهُ أخـو الخمرِ ذي الشيبَـةِ الأَصْلَـعِ
أتـاهُ المَشيـبُ علـىٰ شُـربِهـا وكـان كـريمـاً فلـمْ يَنْـزَعِ

فقدم علىٰ عمر فلما رآه قال : حميدُ الذي أمجٌ داره ، قال : يا أمير المؤمنين كُذب عليّ ، قال : فأستغفر الله .

حدثنا القاسم بن سلاّم عن مروان بن معاوية عن توبة بن سالم ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن : أما بعد ، فارفع سوطك عن الناس وكفىٰ بثلاثين سوطاً يُضربها الرجل نكالاً إلاّ في حدٍّ .

حدثني داود بن عبد عن أبيه ، قال : اشتهىٰ عمر بن عبد العزيز أو احتاج إلىٰ عسل ، فقيل له ابعث رجلاً علىٰ البريد إلىٰ قرية كذا ليأتيك به ، فقال : ما كان الله ليراني أشغل جناح المسلمين أو قال جناحاً من أجنحة المسلمين في شهوة أشتهيها .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جدّه ، قال : كتب عمر إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عامله علىٰ الكوفة : أما بعد ، فقد بلغني أن مَن قبلك يسبّون الحجاج فانههم عن ذلك ، فإنه بلغني أن المظلوم يدعو علىٰ الظالم فيكون المظلوم ظالماً والظالم مظلوماً .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا أبو حذيفة ، ثنا سفيان عن طلحة بن يحيىٰ ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ولّىٰ الكوفة الزهريّ[1] فبلغه عنه شيء فنخس به وثقله حتىٰ ردّه إلىٰ المدينة ولم يستعمله ، وولّىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفة .

عمر بن عبد العزيز يفرض للمساجين معاشاً وكساء

٥١ ـ حدثني عمر بن شبّة عن عفان ، ثنا عمر بن علي ، قال : سمعت أبا سعيد مولىٰ ثقيف[2] ، قال : أول كتاب قرأه عبد الحميد من عمر كتاب فيه سطران .

قالوا : وكتب عمر إلىٰ عبد الحميد : أما بعد ، فلا أعلمنّ ما جعلتَ علىٰ السجون قيوداً ثقالاً تمنعهم من الصلاة قياماً ، وذكرت أن قبلك

---

(١) الزهري نسبة إلىٰ بطن من قريش وهو محمد (الفقيه الزهري) بن مسلم بن عبد الله بن عبد الجان بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب لؤي بن غالب بن قريش .

(٢) أي قبيلة ثقيف وهو قِسي بن منبه بن بكر بن هوازن .

فسّاقاً إن تركوا أفسدوا البلاد ، وإن حبسوا استراح الناس من معرّتهم وبوائقهم ، فإن كان أمر هؤلاء القوم ظاهراً فاحبسهم في السجون ، وأجر علىٰ كل امرىءٍ منهم في كل شهر خمسة دراهم وكساء وقميصاً في الشتاء وإزاراً ورداء في الصيف .

المدائني عن أبي المليح الرقي عن ميمون بن مهران ، قال : دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز وهو متغيظ علىٰ عبد الحميد ، قلت : ما له يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغني أنه قال : لا أظفر بشاهد زور إلا قطعت لسانه ، قلت : يا أمير المؤمنين إنه لا يتم علىٰ ذلك وإنما يهيّب الناس ، فقال : انظروا إلىٰ هذا الشيخ إن خصلتين خيرهما الكذب لخصلتا سوءٍ .

عمر بن عبد العزيز يعطي ضعفة أهل الذمّة

٥٢ ـ حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن عبد الأعلا بن عبد الحميد عن أبي الزياد ، قال : كتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلىٰ عمر بن عبد العزيز : أنه فضل عندنا من المال شيئ كثير بعد العطاء ، فكتب إليه عمر : انظر من كان عليه دين في غير سرف فاقض عنه ، ومن تزوج فلم يجد ما ينقد فانقد عنه ، ففعل . ثم كتب إليه يخبره أن قد فضل بعد ذلك مال كثير أيضاً .

فكتب عمر إليه أن قوِّ به ضعفة أهل الذمّة فإنا لا نريدهم لسنةٍ ولا لسنتين .

المدائني ، قال : كتب عمر إلىٰ عماله إن البريد جناح المسلمين وبه نفاذ أمور السلطان ، وتعجّل ما يحتاجون إلىٰ معرفته من الأخبار فاحسنْ تعهده والقيام عليه ، فأدرّ أرزاق قوامه وأعوانه ولتتخذ له علوفته وتنظر في مصلحته ، إن شاء الله والسلام .

حدثني العباس النرسي ، ثنا يزيد بن زُرَّيع ، ثنا فُضَيل أبو معاذ : أن أهل بيت من

أهل الريّ من أهل العهد لحقوا بالديلم ، فأغارت خيل المسلمين على الديلم فأصابت أهل ذلك البيت ، فكتب الحارث بن عباد فيهم إلى عبد الحميد فكتب عبد الحميد في أمورهم إلى عمر ، فكتب إليه : اجمع من قبلك من أهل الرأي فإذا اتفقوا على شيء فأمضه ، فجاء عبد الله ابن ذكوان أبوالزناد إلى حلقة في المسجد فيها الشعبي والحكم بن عُتيبة ، فقال : إنكم ستدعون إلى كذا ، فاتفق رأيهم على أن الأبوين ما استفادا من ولد ومال بالديلم في سهام المسلمين ، وما أدخلا الديلم من ولد صغير فليس عليه شيئ ، فأمضى عمر رأيهم على ما اتفقوا عليه .

حدثني أبو عبد الرحمن الجعفي عن عبد الله بن المبارك ، ثنا يوسف بن المهاجر : أن الأصبهبذ صاحب طبرستان ، أهدى إلى عبد الحميد حين قدم الكوفة هدية من زعفران وطيالسة وورق وأشباه ذلك ، فقبلها وعزلها وكتب فيها إلى عمر بن عبد العزيز ، فكتب إليه عمر : إن كان الأصبهبذ عوّدك الهدية بالجزيرة فاقبل هديته وإلا فإنما هديته لولايتك عليه فارددها فإن أبى فتولها فبعها وادخل قيمتها بيت المال واحتسبها له من خراجه ، إن شاء الله .

حدّثنا عفّان ، أنبأ شعبة عن حماد ، قال : سألني عبد الحميد عن دية النصراني واليهودي والمجوسي ، فقلت : قال إبراهيم[1] : مثل دية المسلم ، فكتب إلى عمر ، فقال : النصف من دية المسلم وقال حماد : وقول عمر أحبّ إليّ .

حدثني عمر بن شبّة عن أبي نُعيم ، ثنا سفيان عن حماد ، قال : سألني عبد الحميد عن بيع الأجام ، فقلت : كان إبراهيم يكرهه[٥٢٦/٦٨] ، فكتب إلى عمر ، فقال عمر : لا بأس به كنا نسميه الحبس ، قال سفيان : يعني السمك .

---

(١) يعني إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد أبو إسحاق العجلي الخراساني والله أعلم .

حدثني عبيد الله بن معاذ بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن حماد ، قال : سألني عبد الحميد عن النصراني تسلم امرأته ، فقلت : قال إبراهيم هما علىٰ نكاحهما ، فكتب إلىٰ عمر ، فكتب عمر : يفرّق بينهما ، فقال حماد : وقول عمر أحبّ إلي .

وروي عن خُصَيف ، قال : كَتب عبد الحميد إلىٰ عمر بن عبد العزيز في نصرانية أسلمت وزوجها نصراني كيف يصنع بالولد ، فكتب أن فرق بينها وبين زوجها والحق الولد بها .

حدثنا عبد الواحد بن غياث عن أبي عوانة عن بيان عن عامر ، قال : سألني عبد الحميد عن الخيار ، فقلت : قال عبد الله بن مسعود : إن اختارت فواحدة وإن اختارت زوجها فلا شيء[1] . وقال عليّ عليه السلام : إن اختارت نفسها فواحدة بائنة وإن اختارت زوجها فواحدة وهو أحق بها ، وقال زيد بن ثابت : إن اختارت زوجها فواحدة وإن اختارت نفسها فثلاث لا تحلّ له حتىٰ تنكح زوجاً غيره .

فكتب إلىٰ عمر بذلك ، فاختار قول عبد الله بن مسعود .

عمر بن عبد العزيز لا يعيد الأحوص[2] إلىٰ المدينة

٥٣ ـ قالوا : وسيّر الوليد بن عبد الملك الأحوص الشاعر إلىٰ دهلك ، فلما استخلف عمر كتب إليه : [من الطويل]

---

(١) كأن يقول لها زوجها إختاري بيني وبين الطلاق فإذا اختارت الطلاق فطلقة واحدة وإن اختارت زوجها فلا شيء .

(٢) الأحوص شاعر غزل ماجن من الأنصار . وهو : عبد الله بن محمد بن عاصم (الذي حمت جثته الدبر يوم بئر معونة) بن ثابت بن قيس (أبو الأقلح) بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

[و] كيف تَرىٰ للومِ طعماً ولذّةً وخالك[1] أمسىٰ مُوثَقاً في الحبائِلِ
فمـن يـك سـائـلاً عـن شمـاتـةٍ ليشمتَ بي أو شامتاً غيرَ سائلِ
فقد عجمت مني الحوادِثُ ماجداً صبوراً علىٰ عضّاتِ تلكَ البلابِلِ[2]

فبعث عمر إلىٰ عراك الغفاري[3] ، وكان الذي شهد عليه ، فقال : ما ترىٰ في هذا البائس وقد كتب بما ترىٰ ؟ فقال عِراك : مكانه خير له .

فلما ولي يزيد أقدم الأحوص وسيّر عِراكاً ، فقال الأحوص :

[من الطويل]

الآن استقـرّ الملـكُ فـي مستَقَـرِّهِ وعــادَ لعُـرفٍ أمــرُهُ المتنكّـرُ
طـريـدٌ تـلافـاه يـزيـد بـرحمـةٍ فلـم يمـس مـن نعمـائـه يتعـذّر

أي يعتذر يعني يزيد .

قالوا : وكتب عبد الحميد إلىٰ عمر : أني وجدت الموالي يتزوجون إلىٰ العرب والعرب إلىٰ الموالي ، فكتب إليه : إني نظرت فيما ذكرت فلم أجد أحداً من العرب تزوج إلىٰ الموالي إلاّ الطمع الطبع ، ولم أجد أحداً من الموالي تزوج إلىٰ العرب إلاّ الأشِر البطر ، ولا أحرّم حلالاً ولا أحلّ حراماً والسلام ، وروي أنه كتب : امض ذلك فإن الله قد أحلّه .

المدائني : إن محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلىٰ عمر ، فقال عمر رادّاً عليه : الحمد لله ذي العزّ والكبرياء ، وصلىٰ الله علىٰ محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فقد أحسن بك ظناً من أودعك

---

(١) لأن جدة عمر بن عبد العزيز لأمّه من الأنصار ولذلك قال : خالك .
(٢) البلابل ، شدّة الهم والوسواس في الصدر ـ اللسان ـ .
(٣) الغفاري : نسبة إلىٰ بطن من كنانة وهو غِفار بن مُلَيل بن ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة منها الصحابي المشهور أبو ذر الغفاري .

كريمته واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوّجتك علىٰ ما في كتاب الله : ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[1] .

عمر بن شبّة عن يحيىٰ بن سعيد عن ابن عجلان عن أبي الزناد ، قال : كنت مع عبد الحميد بالكوفة فقضىٰ باليمين مع الشاهد ، فأنكر ذلك ناسٌ من أهل الكوفة ، فكتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز في ذلك ، فكتب إليه : أن اقض بها ، وقال : قد شهد عندي رجل من كبرائهم أنه شهد شريحاً[2] قضىٰ بها .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز لا يحملنّ الخمر من رستاق إلىٰ رستاق .

قالوا : وكتب عبد الحميد إلىٰ عمر بن عبد العزيز : أن يزيد بن المهلب دعا موسىٰ بن الوجيه ودعا بالسياط وقال : إن طلّقت امرأتك وإلا قتلتك ، فكتب : إن يزيد ظلم نفسه وأما موسىٰ فقد جاز طلاقه .

عمر بن عبد العزيز لم يأمر بقتل المرتدّ

٥٤ ـ وروي عن أبي هلال الراسبي ، قال : حدثنا يونس أن مرتداً

---

(١) سورة البقرة : ٢ الآية رقم : ٢٢٩ .

(٢) هو الفقيه أبو أمية قاضي الكوفة وولاه عمر بن الخطاب قضاء الكوفة ، وكان يقول للشاهدين : إنما يقضي علىٰ هذا الرجل أنتما . ومع هذا كان من جملة من شهد علىٰ حجر بن عدي أنه خرج علىٰ معاوية لما أرسل شهادته زياد إلىٰ معاوية وأراد أن يخرج منها فلم يقدر وقتل حجر بسبب هذه الشهادات ، وهو الذي أمره ابن زياد أن يخرج لمذحج عندما اجتمعوا بباب القصر لأنه هشم أنف هانىء المرادي فيقول لهم أنه شاهده حي فخرج وقال لهم إنه حيّ فتفرقوا فأخذه ابن زياد وضرب عنقه بالسوق ، وكان يقال عنه : أدهىٰ من ثعلب لأنه قدر أن يحتال علىٰ الثعلب وقبض عليه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن عمرو بن معاوية بن كندة .

ارتدّ بالكوفة أيام عمر بن عبد العزيز فشاور عامله عبد الحميد الناس ، فقالوا : اقتله : فكتب إلىٰ عمر فيه . فكتب إليه : أن اضرب عليه الجزية ثم خلّ عنه[١] .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عبد الحميد : لا تقض بالجوار ولا تدع صورة علىٰ باب إلا كسرتها .

حدثني عمر بن شبّة عن سريج بن النعمان عن ابن أبي الزناد عن أبيه ، قال : خرجت حرورية بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز وأنا مع عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ، فكتب عمر إلىٰ عبد الحميد : أن ادعهم مرتين أو ثلاثاً فإن رجعوا وإلا فقاتلهم ، فإن الله لم يجعل لهم سلفاً يحتجّون بهم علينا ، فبعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزمهم الخوارج ، فلما بلغ ذلك عمر بعث مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام ، وكتب إلىٰ عبد الحميد :

قد بلغني فعل جيشك جيش السوء ، قال ابن أبي الزناد : فسمّوا جيش السوء إلىٰ اليوم ، وقد بعثت إليهم مسلمة بن عبد الملك ، فخلّ بينه وبينهم ، فلم ينشب أن أظفره الله بهم .

وحُدّثتُ عن سويد بن سعيد عن بقيّة بن الوليد عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران : أن حروريّة دخلوا علىٰ عمر ، فقالوا : السلام عليك يا إنسان ، فقال : وعليكم السلام ، فقالوا : لا حكم إلا لله ، قال : نعم لا حكم إلا لله .

حدثنا عمر بن شبّة ، ثنا أبو عاصم النبيل ، ثنا إسحاق أبو النضر ، قال : أُخذ معي فلسٌ بَهرج[٢] زمن الحجاج فضربني ابن أبي مسلم وحبسني ، فتكلّم في

---

(١) في هامش مخطوط استنبول : كأنه رحمه الله تعالىٰ لم يبلغه قوله صلىٰ الله عليه وسلم « من بدّل دينه فاقتلوه » والله أعلم بالصواب .

(٢) الدرهم البهرج : الذي فضّته رديئة والبهرج : الدرهم المُبْطل السِّكَّة ـ اللسان ـ .

الحواريّ بن زياد فأخذوا مني ألفاً وتركوني ، فلما استخلف عمر أتيته فأخبرته فبكىٰ ، وقال : ألف درهم في فلس بهرج ؟! وكتب إلىٰ عبد الحميد : إن كان الأمر كما ذكر فأعطه الألف درهم ، فأتيته فإذا سياط موضوعة ، فقلت في نفسي أتيت أمير المؤمنين فلم أر سياطاً ، قال : فأعطاني ألفاً وكتب لي عملاً وأعطاني نفقة .

وروي عن الصلت بن بهرام ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول حين شكونا إليه عبد الحميد عامله : لقد عجّلتم عليّ لعلكم ترون أنكم ترون عدلاً ، والله لا ترون عدلاً أبداً .

قالوا : وقع بين امرأة من أهل المدائن وبين عريفها مشاجرةٌ ، فأسقط اسمها من الديوان فأتت عمر بن عبد العزيز فكتب بيده إلىٰ عبد الحميد بأن يفكّ عن اسمها ويعيده ويخدمها خادماً ، وأمر لها عمر بخمسمئة درهم وكراها ، فقدمت علىٰ عبد الحميد وقد مات عمر فأوصلت إليه الكتاب ، فعرف خطه فبكىٰ ثم قال : والله لأنفذنّ ما فيه .

ولما مات عمر رضي الله عنه أحبّ عبد الحميد أن يتقرّب إلىٰ يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلىٰ محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب الخارجي ، فقال الخوارج : ما فعل هذا إلاّ وقد مات الرجل الصالح ، وأقرّ يزيد بن عبد الملك عبد الحميد علىٰ الكوفة حتىٰ خلع ابن المهلب ووجّه إليه يزيد مسلمة .

المدائني عن عيسى بن يزيد ، قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى سليمان بن عبد الملك : أن الشمع الذي كنت أخرج به إلى الصلاة وقت العشاء والصبح قد نفذ وكذلك القراطيس التي كنت أكتب فيها ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بشمع وقراطيس ، وأن يلحقني بشرف العطاء بالحجاز .

فوصل الكتاب إلى عمر وقد مات سليمان ، فكتب إليه : أما بعد ، فقد قرأت كتابك إلى سليمان في الشمع ، وقد عهدتك تخرج في الليلة المطيرة الشديدة الظّلمة إلى المسجد بلا شمع وأنت يومئذ خير منك اليوم ، وكنت تسأل إلحاقك بشرف العطاء بالحجاز ، وقد عهدتك وأنت لا تحبّ الأثرة وكنت يومئذٍ خير منك اليوم ، وقد كتبت إلى صاحب مصر آمره أن يحمل إليك القراطيس على ما كان يحمل فالطف القلم واجمع الحوائج العدّة في كتاب واحد ، ولا تطنب في الإملاء ، فلا حاجة لنا في كثرة الكلام والسلام .

قالوا : تزوّج رجل من بني فَرّاص[1] كانت أخته عند عدي[2] امرأة من الحُدان[3] كان لها موضع من قومها فطلّقها وهو يشرب ثم جحد ، فأتت إياس بن معاوية بشاهد فعدّله ، وجاءت بعبد لها وقد أعتقته فعُدّل فانتزعها إياس من الفَرّاصي ، فأمر عدي بها فردّت على الفَرّاصي فأراد عدي أن يُقدِم على إياس بمشورة وكيع بن أبي سود ، فقال له داود بن أبي هند : ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[4] فهرب إياس إلى عمر بن عبد العزيز ، وولّى عدي الحسن بن أبي الحسن[5] القضاء وكتب عدي إلى عمر يعلمه ذلك .

---

(١) بني فرّاص هم فخذ من قبيلة باهلة بن أعصر وهو شيبان (فرّاص) بن معن بن مالك (باهلة) .

(٢) يعني عدي بن أرطاة والي البصرة لعمر بن عبد العزيز .

(٣) الحدان بطن من قبيلة الأزد وهو حدان بن شمس بن عمرو بن غَنْم بن غالب بن عثمان ابن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد .

(٤) سورة القصص رقم : ٢٨ الآية رقم : ٢٠ .

(٥) الحسن بن أبي الحسن وهو الحسن البصري الفقيه .

فكتب إليه عمر : الحسن أهل لما ولّيته ولكن ما أنت والقضاء ، فرِّق بين الرجل والإمرأة فرّق الله بين أعضائك .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله .

٥٥ ـ المدائني ، قال : كتب عمر إلى عماله : أنه بلغني أن نساءً ذوات سَعةٍ يخرجن عند موت الميت ناشرات شعورهن [٥٢٧/٦٨] ينحن وهذا فعل أهل الجاهلية ، وإن الله لم يرخص للنساء في وضع خمرهن مذ أمرن بضربها على جنوبهن فتقدّم في هذه النياحة تقدّماً شديداً ، وقد كانت هذه الأعاجم تلهو بأشياء زيّنها الشيطان لهم ، فازجرْ من قبلك من المسلمين عن ذلك ، فلعمري لقد آن لهم أن يتركوه مع قراءة كتاب الله وَآنْه عن ذلك الباطل واللهو من الغناء وما أشبهه ، فمن لم ينته فَنَكِّلْ به غير معتدٍ ولا مسرف ، إن شاء الله والسلام .

المدائني ، قال: كتب عمر إلى عدي في كاتبه : إن الله جعل لأهل الخير أعواناً عليه، ولأهل الشرّ أصحاباً مزيّنين له، ولقد نهيتك عن كاتبك، فلم أرك متحاشاً لذلك ولا زاجراً له عن ظلم الرّعيّة وانتقاص حقوقهم ، وإنك حين تفعل ذلك يا عدي لمغترٌّ بي تارك حظك من الله ، فاطرد عنك هذا الشائن ولا تنظر له في أمانتك وأخرجه عن المصر ، فإني لو أشركت أحداً من حزب الشيطان في أمانتي لاستعنت بابن أبي مسلم ، فاكفني نفسك يا عدي ولا تحملني على مكروهك ، إن شاء الله والسلام.

قالوا : وكتب عمر إلى عماله : أن انظروا من كان في أسواقكم من باعة اللحم من أهل الذّمّة ، فليؤخذوا بأن لا يذبحوا ذبيحةً إلا ذكروا

اسم الله عليها ، ولا تكسر ولا تنخع[1] حتى تموت ولتترك متشحطة مذبوحة ومنحورة ، ولا تنفخوا في اللحم فإنه من الغشّ والسلام .

المدائني عن ابن جُعْدُية ، قال : كتب عمر إلى أبي بكر بن حزم[2] : أما بعد ، فإن الطالبين الذين انجحوا والتجار الذين ربحوا ، هم الذين اشتروا الباقي الذي يدوم بالفاني المذموم ، فاغتبطوا ببيعهم واحمدُوا عاقبة أمرهم ، فاعمل لنفسك وبدنك صحيح وأنت مريح ، قبل أن تنقضي أيامك وينزل بك حمامك ، فإن العيش الذي أنت فيه ظلٌّ يتقلص ويزول .

وكتب إلى عبد الحميد : أما بعد ، فإنه من ابتلى بأمر الناس فقد عظمت بليّته ، نسأل الله عافيته وحسن معونته ، فكن لمن وليت أمره ناصحاً وعليهم شفيقاً حدباً ، واملك نفسك عن الهوى والغضب ، واكففْ يدك ولسانك عن الأموال والأعراض والأبشار[3] ، واستر ما استطعت من عورات الناس إلا شيئاً أبدله الله لا يصلح ستره فإن سبق منك هوىً أو غضبٌ استغفر ربك وراجع أمرك ، نسأل الله أن يصلح لنا أعمالنا ويكفينا أمورنا وما نرجع إليه بعد الموت ، والسلام .

المدائني عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران ، قال : كتب عمر إلى الجراح بن عبد الله[4] : إن ولاة السلطان يعرّض مكاره وبلاء إلاّ

---

(١) نخع : النِّخاع والنُّخاع والنَّخاع : عرق أبيض في داخل العنق ينقاد في فقار الصلب حتى يبلغ عَجْبَ الذنب ـ اللسان ـ

(٢) أبو بكر بن حزم والي عمر بن عبد العزيز على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف ابن مالك بن النجار (تيم الله) بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .

(٣) البَشَرة : أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان : وفي الحديث : « لم أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم » ـ اللسان ـ

(٤) الجراح بن عبد الله عامل عمر بن عبد العزيز على خراسان .

مَن وقى الله وأعان ، فاتق الله حقّ تقاته واذكر موقفك بين يديه ، وإذا حضرك خصم جاهل فرأيت منه رعةً[1] سيّئة فارفق وسدّده وبصّره ، وخذ له الحقّ غير مجانفٍ على خصمه ، وإن أتى رجل ذنباً يستحق العقوبة ، فلا تعاقبه بغضب تجده في نفسك ولكن لما أتى وجنى ، جعلنا الله وإيّاك ممّن : ﴿ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[2] ومن المتقين الذين لهم العاقبة ، والسلام .

المدائني ، قال : كتب عمر إلى عدي بن أرطاة : بلغني أن عمالك بفارس يخرصون[3] الثمار ثم يقوّمونها على أهلها بسعرٍ فوق سعر الناس الذي يبتاعون به ، ثم يأخذون بذلك ورِقاً ، وإن طوائف من الأكراد يأخذون العشر من السابلة والمارّة في الطرق ، ولو علمت أنك أمرت بذلك أو رضيته ، ما ناظرتك ولأتاك مني ما تكره ، وقد بعثت بشر بن صفوان وعبد الله بن عجلان للنظر في ذلك ، وردّ الثمن الذي أخذ من الناس إلى ما باع أهل الأرض به غلاّتهم ، فلا تعرض لهم فيما وجّهتهم له من ذلك وأحسن معونتهم عليه ، إن شاء الله والسلام .

حدثني هدبة بن خالد ، ثنا حمّادُ بن سلمة عن يونس بن عبيد : أن رجلاً من الأنصار أتى عمر بن عبد العزيز ، فقال : أنا فلان ابن فلان قتل جدّي فلان يوم أحد ، وجعل يذكر مناقب سلفه . فنظر عمر إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : هذه والله المناقب لا يوم مسكن ويوم دير الجماجم ويوم

---

(١) رعة : خلّة أو صفة .

(٢) سورة القصص رقم : ٢٨ الآية رقم : ٨٣ .

(٣) أصل الخرص التظني فيما لا تستيقنه وخرص الثمار حرزه أي قدره بظن لا إحاطة ـ اللسان ـ

مرج راهطٍ[1] : [من البسيط]

تلك المكارم لا قعبانَ من لَبَنٍ شيبا بماءٍ فعاد بعدُ أبوالا

المدائني قال : كتب عمر إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم : أما بعد ، فليكن سعيك في الدنيا للآخرة فليس لك إلا ما قدّمت ، واعلم أن مقطعات الأمور أمامك ، وأن الله غير مدخل جنّته إلا من رضي عنه وأنك لا تزداد من حسنة ولا تستعتب من سيّئة بعد الموت .

قالوا : وكتب عمر إلى عمال الثغور : أما بعد ، فلا تشتروا للأمراء من حظ العامّة من المغنم شيئاً ، وأمروا القسّام بأن يجزّئوا ما أفاء الله عليكم من السبي والغنيمة خمسة أخماس ثم ليقرعوا عليها لخمسة أسهم سهمُ للخمس وأربعة للعامة الذين قاتلوا عليها ، فحيث وقع سهم الخمس فليحرّز ثم يخلّى بين الناس وأنصبائهم والسلام .

عبد العزيز بن مروان يقول في عليّ عليه السلام .

٥٦ ـ المدائني عن حُباب بن موسى ، قال : قال عمر بن عبد العزيز نشأت على بغض عليّ لا أعرف غيره ، وكان أبي يخطب فإذا ذكر عليّاً نال منه فلجلج ، فقلت : يا أبة إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت على ذكر عليّ عرفتُ منك تقصيراً ، قال : أفطنت لذلك ؟ قلت : نعم ، قال : يا بنيّ إن الذين حولنا لو نعلمهم من حالِ عليّ ما نعلم تفرّقوا عنا .

حدثني منصور بن أبي مزاحم عن شعيب بن صفوان ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإنه يجب على المسلمين أن يضعوا من

---

(١) يوم مسكن : يوم انتصر عبد الملك على مصعب بن الزبير وقتله ، ويوم الجماجم : يوم انتصر الحجاج على عبد الرحمن بن الأشعث ، ويوم مرج راهط يوم انتصر مروان بن الحكم على الضحاك بن قيس وثبت حكم مروان بالشام .

أهل الشرك والكفر ما وضع الله منهم ، وأن ينزلوهم منزلتهم التي أنزلهم الله بها من الذلّ والصغار ، ولا يشركوهم في أمانتهم ولا يسلّطوهم على أهل الإسلام فيجري عليهم أحكامهم ويستخدموهم بالطمع فيما عندهم وينزلوا بهم حاجاتهم فيغشّونهم ويحرمونهم ، فلا تُبق أحداً ممّن قِبلك على غير الإسلام على شيء إلا عزلته واستبدلت به رجلاً من المسلمين ترضى دينه وأمانته وعفافه ، وخذهم بشدّ المناطق وركوب الأُكُف[1] وحلق أوساط رؤوسهم ، وأطع الله واتّقه فإنه لا حرز لك ولا منعة إن عصيته والسلام .

وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أنك لما قدمت البصرة جعلت سفيان بن فرقد حاجباً وتقدّمت إليه أن لا يرزأ أحداً شيئاً ، فبلغك عنه أمرٌ كرهته فعزلته ، فأتاك بخمسين ديناراً ذكر أنه أعطاه إياها رجل ، فقبضتها وعزلتها في بيت المال إلى أن يأتيك أمري ، وليس بيت المال بموضع الرشا ، فاردد ذلك الذهب إلى صاحبه الذي أُخذ منه ، فإن ابن فرقد يعرفه ، إن شاء الله والسلام .

وكتب عمر إلى عدي : أن بعض من ورد علينا أخبرني عن ناحية من نواحي فارس خراباً ، فأسهرني ذلك وغمّني ، فتعهّد أهل عملك بالكتب والرسل واجتهد في عمارة البلاد بالعدل والرفق وترك الاستقصاء ، واعلم أنما يلتمس إصلاح قوم آثروا شيئاً واجتهدوا في فساد ما تحت أيديهم حتى بلغ الأمر ما بلغ ، وليس بكثير على الله جلّ ثناؤه أن يجعل في عمارة سنة ما يعدل خراب سنين مضت قبلها فيجيزه بها ، فإن الله يبلغ من تضعيفه

---

(١) الإكاف : من المراكب شبه الرحال والأقتاب والجمع أكف ـ اللسان ـ

لمن يشاء أكثر من ذلك ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾[1] والسلام .

قال : وكتب عمر إلى أبي بكر بن محمد : ذكرت أن ناساً من بني أسدٍ[2] وفزارة تلاحوا[3] ، فرُمي فراس الأسدي بحجر فأصاب ركبته ، ثم تفرّقوا ومكث سنةً وجعاً من رميته فاصطلحوا على مئة من الإبل وأنه لا صلح إلا ما يجوز في الإسلام ، فأنفذ الصلح بينهم على مئة من الإبل ، فليس بدم صاحبهم عن ذلك مذهب ، ولولا السنّة لم أبال بإعطائهم بنو فزارة من أموالهم ، والسلام .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال ، قال عمر بن عبد العزيز : لم أر رجلاً كان أعلم بأمر الدنيا من عبد الملك ، ولا رجلاً كان أغضب للدنيا ولا اشتدّت غلبة الدنيا عليه مثل الوليد ، ولا رجلاً آكل للدنيا من سليمان . وهذه الدنيا تريد أن آكلها وتأكلني والله لا أفعل .

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشرٍ عن [٦٨/٥٢٨] أبيه ، قال : شتم رجل معاوية عند عمر بن عبد العزيز ، فأمر بضربه ثلاثة أسواط .

المدائني عن بشر بن عبد الله ، قال : دخل عبد الملك بن عمر على أبيه ، فقال : يا أبه ما يؤمنّك أن يأتيك أمر الله بياتاً وأنت نائم ؟ فقال : يا بني إن نفسي مطيتي وإن لم أرحها لم تحملني ، وإني لأحتسب من الأجر في العدل ما أرجو أن لا يقصّر بي عن الأجر في ترك النوم .

---

(١) سورة البقرة رقم : ٢ الآية رقم : ٢٦١ .

(٢) هناك ثلاثة بني أسد : أسد بن عبد العزي من قريش وأسد بن ربيعة ابن نزار وأسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

(٣) تجادلوا في الكلام .

المدائني عن المبارك بن فضالة قال : كتب عمر بن عبد العزيز أن من كان عليه دينٌ له وفاءٌ به فليقض من ماله ، ومن لم يكن عنده فلينظره غرماءه ، فإنما وضعوا أموالهم عندهم على أن يصادفوا مالاً أو عدماً .

وروى الهيثم بن عدي عن عدي قال : كتب عمر إلى عبد الحميد : وكتبتَ تذكر أنك وجدت في بَيتِ المال سبعة آلاف درهم مما أُخذ ممّن كان يختلف بالخمور ولا حاجة لي في خبيث ، فإن وجدت له أهلاً فاردده عليهم ، السلام .

وصيّة إلى عمر من صديق له من النسّاك .

٥٧ ـ المدائني ، قال : كتب إلى عمر صديق له من النسّاك : إلى العبد المبتلى بأمور المسلمين من أخيه فلان : أما بعد ، فإنك ممتحن بما وَليت ومجزيٌّ بما عملت ، فأصلح نيّتك وتوقّ على دينك فإنك بعرض خير وشرٍّ ، فإن اتبعت الخير سعدت وإن ملت إلى الشرّ غويت ، وكان يقال من تقلّد شيئاً من أمور المسلمين فإنما فُتح له بابٌ إلى الجنّة وبابٌ إلى النار فأيهما اختار فهو والجه ، عصم الله دينك ووفّر من الأجر حظّك ووفّقك للخير ووفّقه لك .

فكتب إليه عمر : فهمت كتابك يا أخي وقد عظُمت عليّ البليّة فأسأل الله العون والكفاية ، لا تخلّني رحمك الله من كتبك بالنصيحة ، فإنك تقضي بها حقّ المودة والسلام .

المدائني عن المسيّب بن شريك ، قال : قدم على عمر بشيرٌ من الصائفة[1] ، فقال له : إن شئت زدناك في عطاءك وإن شئت ألحقنا لك

(١) الصائفة : غزوة الروم في الصيف .

عيلاً ، فقال : كلاهما[1] وتمراً ، فقال عمر : إنك لبطّالٌ وليس لبطّال عندنا شيء .

---

(١) هذا مثل للعرب : وأول من قاله عمرو بن حُمران الجعدي ، وكان حُمران رجلاً لسناً مارداً وإنه خطب صَدُوفَ ، وهي امرأة كانت تؤيد الكلام وتشجع في المنطق ، وكانت ذات مال كثير ، وقد أتاها قوم يخطبونها فردّتهم ، وكانت تتعنّت خطابها في المسألة ، وتقول : لا أتزوج إلا من يعلم ما أسأله عنه ويجيبني بكلام على حده لا يعدوه ، فلما انتهى إليها حمران قام قائماً لا يجلس ، وكان لا يأتيها خاطب إلا جلس قبل إذنها ، فقالت : ما يمنعك من الجلوس ؟ قال : حتى يؤذن لي ، قالت : وهل عليك أمير ؟ قال : ربّ المنزل أحقّ بفنائه ، وربّ الماء أحق بسقائه ، وكل له ما في وعائه ، فقالت : اجلس فجلس ، قالت له : ما أردت ؟ قال : حاجة ولم آتك لجاجة ، قالت : تسرّها أم تعلنها ؟ قال : تُسرّ وتعلن ، قالت فما حاجتك ؟ قال : قضاؤها هيّن وأمرها بيّن ، وأنت بها أخبر ، وبنجحها أبصر ، قالت : فأخبرني بها ، قال : قد عرّضت وإن شئتِ بيّنت ، قالت : من أنت ؟ قال : أنا بشر ولدت صغيراً ، ونشأت كبيراً ، ورأيت كثيراً ، قالت : فما اسمك ؟ قال : من شاء أحدث إسماً ، وقال ظلماً ولم يكن الاسم عليه حتماً : قالت : فمن أبوك ؟ قال والدي الذي ولدني ووالده جدّي فلم يعش بعدي ، قالت : فما مالك ؟ قال : بعضه ورثته وأكثره اكتسبته ، قالت : فمن أنت ؟ قال : من بشر كثير عدده معروف ولده قليل صعده يفنيه أبده . قالت ما ورثك أبوك عن أوليه ؟ قال : حسن الهمم ، قالت : فأين تنزل ؟ قال : على بساط واسع في بلد شاسع قريبه بعيد وبعيده قريب ، قالت : فمن قومك . قال : الذين أنتمي إليهم وأجني عليهم وولدت لديهم ، قالت : فهل لك امرأة ؟ قال لو كانت لي لم أطلب غيرها ولم أضيّع خيرها ، قالت : كأنك ليست لك حاجة ، قال : لو لم تكن لي حاجة لم أنخ ببابك ولم أتعرّض لجوابك وأتعلق بأسبابك ، قالت : إنك لحمران بن الأقرع الجعدي ، قال : إن ذلك ليقال ، فأنكحته نفسها وفوّضت إليه أمرها ، ثم ولدت له غلاماً فسماه عمراً فنشأ مارداً مفوّهاً ، فلما أدرك جعله أبوه راعياً يرعى له الإبل ، فبينما هو يوماً إذ رفع إليه رجل قد أضرّ به العطش والسغوب وعمرو قاعد وبين يديه زبد وتمر وتامك ـ السنام ـ فدنا منه الرجل فقال : أطعمني من هذا الزبد والتامك ، فقال عمرو : نعم كلاهما وتمراً ـ مجمع الأمثال ج : ٢ ص : ١٥١

عمر بن عبد العزيز يعطي الغارمين وحجاج بيت الله .

٥٨ ـ المدائني : أن عمر كتب إلى محمد بن عروة السعدي[١] عامله على اليمن : أن أخرج من بيت المال قبلك مئة ألف درهم للغارمين ، ولا تعط منها من كان دينه في سرف وتبذير ، وأعط من تزوّج أو ابتاع ذا رحم فأعتقه أو تاجراً أُتي على ما في يديه ، وأخرج مئة ألف درهم لأبناء السبيل ، ومُرْ رهطاً[٢] من ذوي الدين والحسبة والنيّة الحسنة ، أن يقعدوا بها على طريق الحاج ، فلا يدعوا منقطعاً به منهم ولا محشوراً إلا أعانوه ، ولا مُرملاً[٣] إلا زوّدوه ولا راجلاً إلا حملوه ولا عارياً إلا كسوه ، إن شاء الله ، فإن سبيل الحاج خير سبيل .

وقال كُثَيّر يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله : [من البسيط]

أقولُ لما أتاني ثَمَّ مَهلكُهُ ... لا يَبْعدَنّ قوامُ الحقِّ والدّينِ
قد غادروا في ضريحِ اللّحدِ منجدلاً ... بِدَيْرِ سمعنانَ قسطاً من الموازينِ

وقال الجمحي[٤] : [من البسيط]

ثلاثَةٌ ما رأتْ عيني لهم شَبَهاً ... يضمُّ أعظَمُهُم في المسجِدِ الحجرُ
وأنتَ تتبعُهم لم تألُ مجتهداً ... سقياً لها سُبُلاً بالعدلِ تقتفِرُ
فَإن قصُرْتَ عن العَليا الّتي بَلَغوا ... وأنتَ تطلُبها واغتالَكَ القَدرُ
فما بلغتَ الّتي من دُونِ ما بلَغُوا ... فقت في ذاك من تثنى له السيرُ

---

(١) نسبة إلى قبيلة سعد بن بكر بن هوازن التي أرضعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

(٢) الرهط : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة .

(٣) مرملاً : أي نفد زاده ـ اللسان ـ

(٤) الجمحي : نسبة إلى جمح بطن من قريش وجمح إسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) والشاعر هو أبو دهبل واسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

لـو كنـتُ أملـكُ لـلأقـدارِ تـرويَـةً   تــأتــي رواحــاً وتَبْيِيتــا وتبتكــرُ
دفعتُ عن عُمرِ الخيراتِ مصرعَهُ   بدير سمعانَ لكنْ يغلبُ المِرَرُ[1]

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز أمر أن يُخرج الفرزدق من مسجد النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم بالمدينة وذلك أنه كان ينشد فيه الهجاء ويتبذئ ، فقال فيه الشاعر : [من المتقارب]

نفــاكَ الأغــرُّ ابــنُ عبــدِ العــزيــزِ   ومثلُــكَ يُنفــى عــن المسجِــدِ

فلقي الفرزدق مخنثاً ، فقال له : ما فعلت عمّتنا ؟ فقال : نفاها الأغر ابن العزيز .

زواج عمر بن عبد العزيز ببنت عبد الله بن عمر بن الخطاب .

٥٩ ـ المدائني ، قال : تزوج عبد الرحمن بن عمرو بن سهل بن عمرو من بني عامر بن لؤي بنتاً لعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكان أحسن زوج بالمدينة ، فكلّمته يوماً وقد مرض فأعرض عنها ، فقالت : يا حبيبي مالك أعرضت عني ؟ قال : أموت وتتزوجين بعدي ، قالت : فإني لا أفعل وأعوذ بالله إن حدث بك حدث ، بل أنا المتقدمة قبلك ، فخطبها عمر بن عبد العزيز فتزوجته ، فدخل عليها ابن قارظ الكنانى[2] ، فقال لها : مثلك ما قال القائل : [من الطويل]

تَبَـدّلْـتِ بعـدَ الخيـزُرانِ جَـريـدةً   وبعـد ثيـابِ الخـزِّ أحـلامَ نـائـمِ

فقالت : ما ذاك مثلي ولكنه ما قال أرطأة بن سهية :

[و] ما كنتُ إلا والهاً ذاتَ غوْلَةٍ   على شَجْوِها بعد الحنينِ المرجَّعِ

---

(١) في هامش مخطوط المغرب : المِرَرُ جمع مِرَه وهي القوة .
(٢) نسبة إلى قبيلة كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

متى لم تجدْهُ تنصرفْ لِطياتها مِنَ الأَرْضِ أَوْ ترجعَ لأنْفٍ ومَرْجِعِ

فأفحمته وكانت ابنتها من عبد الرحمن عند الحجاج بن يوسف ، فقال لها مات أبوك فجزِعَتْ ، فقال : لم تجزعين وقد تزوّجت أمّك عمر بن عبد العزيز .

حدثني الحسن بن علي الحرمازي ، ثنا العتبي ، قال : سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يمدح فاطمة بنت الحسين ويقال : فاطمة بنت عبد الملك امرأته ، فقال : ما تعرف من الشرّ شيئاً ، فقال عمر : معرفتها بالشرّ جنّبتها إياه .

وقال سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز وهما بطريق مكة وأراد أن يذكر له شيئاً يشنوه : هل علينا من عين ؟ قال : نعم عليك من الله عين بصيرة وأذن سميعة .

قال العتبي : قرأ قارئ عند عمر بن عبد العزيز آية فلحن فقال مسلمة : لحن والله يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : أوما شغلك معناها عن لحنه ؟ .

حدثنا عمر بن شبّة ، ثنا أبو عاصم أنبأ عثمان بن خالد بن دينار عن أبيه عن ميمون بن مهران ، قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : لا تأتين سلطاناً وإن أمرته بمعروف ، ولا تخلوّن بامرأة وإن قرأت عليها القرآن ، ولا تصحبّن عاقاً فإنه لن يصلك وقد عقّ والديه .

المدائني عن عيسى بن يزيد ، قال : لما احتُضِرَ عمر بن عبد العزيز ، قيل له : اكتب إلى يزيد وأوصه بالأمّة ، فقال : وبماذا أوصيه ، إني لأعلم أنه من بني مروان ، ثم كتب إليه : أما بعد ، فاتق الله يا يزيد الصرعة بعد الغفلة ، حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة ، إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك وتصير إلى من لا يعذرك والسلام .

حدثني عباسٌ عن أبيه عن عوانة ، أنه قال : أُنشد عمر بن عبد العزيز قول الأحوص بن محمد الأنصاري : [من الطويل]

سَيَبقى لها في مُضْمَرِ القَلْبِ والحَشَا سَريرةُ حبٍّ يَومَ تُبلَى السَّرائِرُ

فبكى عمر وقال : ويحه ما أغفله عن قول الله ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾[1] .

قالوا : كان على شرطة عمر روح بن يزيد بن بشر السكسكي[2] .

فحدثني عمر بن محمد عن الحجاج الرُّصافي عن أشياخهم ، قال ؛ عزّى رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك وقال : [من الطويل]

تَعـزَّى أميـرَ المـؤمنيـن فَـإِنَّـهُ لما قَدْ ترى يغدى الصغيرُ ويولَدُ

هَـلِ ابنُـكَ إلا مِـنْ سـلالَـةِ آدَمٍ وكـلٌّ لـه حـوضُ المنيّـةِ مَـوْرِدُ

قالوا : ومرض عمر بن عبد العزيز ، فقيل له : لو تداويت ، فقال : لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها ، نعم المذهوب إليه ربّي .

وحدثني محمد بن خالد الطحان عن يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم : أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وحديث عَمْرةَ[3] بنت عبد الرحمن فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله .

قال الواقدي : قال عمر بن عبد العزيز : ما بقي أحدٌ أعلم بحديث عائشة من عمرة .

---

(١) سورة الطارق رقم : ٨٦ الآية رقم : ٩ و ١٠ .

(٢) السكسكي نسبة إلى بطن من قبيلة كندة وهو السكاسك بن أشرس ابن كندة .

(٣) هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة بن عُدْس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار (تيم الله) بن ثعلبة بن عمرو ابن الخزرج الأنصارية تلميذة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

وحدثني عمرو بن محمد عن الحجاج (الرصافي) ، قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز في صحته عسلاً يؤتى به من قرية على فراسخ ، فقيل له : توجّه رسولاً على دابّة من دواب البريد ليأتيك به ، فقال : معاذ الله لا يراني الله شاغلاً جناحاً من أجنحة المسلمين في شهوة اشتهيتها .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن عمر : أنه قال لمحمد بن كعب : عظني ، فقال : يا أمير المؤمنين إن فيك جرأة وجُبناً وكَيْساً وعجزاً ، فداوِ بعض ما [٥٢٩/٦٨] فيك ببعضٍ ، وعليك بأهل الدين والعقل فإنهم يكفونك أنفسهم ويعينوك على غيرهم ، وإيّاك من مودّته لك بقدر حاجته إليك ، فإذا انقطعت حاجته ذهبت مودّته ، وإذا اصطنعت صنيعةً فأحسن ربّها وغذاءها ، فقال عمر : أحسن الله جزاءك .

وحدثني هشام بن عمار ، قال : بلغني أن رجلاً تكلم عند عمر بن عبد العزيز فرفع صوته ، فقال عمر : بحسب الرجل أن يسمع جليسه ، لو أدرك شيءٌ خيراً بشدّة صوت لأدركته الحمير .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي[1] عن حماد بن عمرو ، قال : سمع عمر بن عبد العزيز باكيةً في جنازة أبيها وهي تقول : يا أبتاه وكان يقصّر المجلس إذا أتاه ، فقال : ما أحسنَ ما وصفت أباها .

هشام بن بقية ، قال : تزوج رجل يقال له سليمان بن عثمة امرأتين ، فقال بعض الشعراء : [من المتقارب]

لِيَهْنِ ابنَ عثمةَ ما عندَهُ ... فلستُ وإنْ حَسَدوا حاسدا
مَهاتَانِ لونهُما واحدٌ ... يُذيقانِهِ ثَغَباً بارِدا

---

(١) العجلي : نسبة بطن من قبيلة بكر بن وائل ، وهو عجل بن لُجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

فبـــورِكَ فيـــه وفـــي أهلِـــهِ وفـــي مـالِـهِ وَنَمـى صَـاعـدا

فشكاه إلى عمر ، فقال : ما أرى هجاء ولكنه شهرة فأدّبه .

وكتب عمر إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن ، اعلم أن كل ذي عادة مقتضٍ ما سننت له .

حدثني محمد بن سعيد عن محمد بن عمر الواقدي عن مالك بن أنس ، قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يقوم ، قال : إذا شئتم . وكان مالك يفعل ذلك ، وكان قَبيصَة[1] إذا أراد أن يقوم ، تناول نعله .

بعض أخلاق عدي بن أرطاة الفزاري

٦٠ ـ حدثني داود بن عبد الحميد ، قال : كان مشايخنا يحدّثون : أن عمر بن عبد العزيز كان صديقاً لعدي بن أرطاة قبل الخلافة ، وكان يقول : ما رأيتُ أشبه من مضىٰ في مذهبه وعفافه من عدي ، فلما استخلف ولاّه البصرة .

حدثنا عفان ، ثنا أبو هلال ، قال : كان عدي يخطب فإذا خطب جلس في الخطبة الأولى ، ثم يقوم ويخطب الثانية حتىٰ إذا فرغ مدّ يده يدعو .

قالوا : وجهّز عديّ نهره ، وخرج الناس ينظرون إليه والحسن (البصري) يمشي خلف حمار عديّ ، فالتفت عدي فرآه فنزل عن الحمار وحمل عليه الحسن ، وجعل يمشي بحيث كان الحسن يمشي من الحمار والحسن راكب .

---

(١) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب بن أصرم بن عبد مناف بن قُمَير بن حبيشة بن سلول بن كعب بن عمرو بن لحي (خزاعة) كان على خاتم عبد الملك بن مروان .

قالوا : وكتب عمر إلىٰ عدي : أن يجري علىٰ من كبرت سنه وضعفت قوّته وذهبت مكاسبه من أهل الذمّة من بيت مال المسلمين ، وقال :

إن عمر بن الخطاب رأىٰ شيخاً من أهل الذمّة يقوم علىٰ أبواب الناس يسألهم ، فقال : ما أنصفناك أخذنا منك الخراج شابّاً فلما كبُرت سنك خذلناك ، فأجرىٰ عليه قوته من بيت المال .

المدائني ، قال : عاد عدي وكيع بن أبي سود ، فقال له عدي : كيف تجدك ؟ قال : وثّاباً علىٰ العَتَب[1] أكّالاً للعصب ، قال : فما بلغ منزله حتىٰ نُعي له .

قال أبو عبيدة : وبعث عدي إليه رجلاً يعوده ، فقال له : الأمير يقرئك السلام ، فقال : أنا والله الأمير ، ولكني مظلوم ، ثم قال : يقول لك كيف تجدك ؟ قال : أجدني قفّازاً علىٰ العتب ، فلم يبعد الرسول حتىٰ سمع الواعية عليه .

وروي عن أبي شور القليبي ، قال : أشرف عدي علىٰ وكيع من دار الأمارة وهو مريض في داره ، فقال وكيع لبنيه : ارفعوا صدري ، فقال له عدي : أبا مطرِّف كيف تجدك ؟ قال : صالحاً من رجل يجد أرواح طعامك ولا يأتيه منه شيء . قال : وكيف تراك لو رأيت منه شيئاً ، قال : أكون قفّازاً علىٰ العتب غشوماً ، فقال عدي : أطيلوا الحائط بيني وبينه فلا أراه ولا يراني .

وأتىٰ وكيع الحسن فقام فناوله نعليه ، فقيل له : أتقوم لوكيع مع جفائه ، فقال : بلغني أن في جسده كذا أو كذا طعنة وضربة في سبيل الله وأنا أكرمه لذلك .

---

(١) العتب : الدَّرَج وعتب الدرج : مراقيها ، يمشي علىٰ عتب درج ، فينزو من عتبة إلىٰ أخرىٰ ـ اللسان ـ.

قالوا : وأرسل عدي إلىٰ محمد بن سيرين رجلاً ، وقال له : قل له عن نفسك أني رأيت أني حلبت ناقةً فامتلكتها حتىٰ حلبتها دماً ، فقال ابن سيرين ، لم ترَ أنت هذه الرؤيا إنما رآها عدي ، فارجع إليه فقل له : اتق الله فقد جاوزت في حلبك وجبايتك ما أحلَ الله لك إلىٰ ما حرّمه عليك .

قالوا : ولما قدم عدي البصرة ، قال لإياس بن معاوية بن قرّة المزني[1] : أنت من أهل البلد وأعلم به مني ، فدلّني علىٰ قوم من القرّاء استعملهم ، فقال : إن القرّاء ضربان ، ضربٌ يقرؤون لله فلا حاجة لهم في عملك ، وضرب يقرؤون للدنيا فإذا استعملتهم أمكنتهم مما أرادوا ، قال : فأشرْ عليّ ، قال : عليك بقوم من أهل البيوتات فإنهم عسىٰ أن يستحيوا لأحسابهم ويرعوا علىٰ أنفسهم ويتصنّعوا لطول الولاية .

ثم شاور مالك بن دينار ، فقال له : أما أهل الدين فقد استعانوا عنك بما عندهم وأما أهل الدنيا فمنهم تهرب ، قال : فمن بقي ؟ قال : عليك بأهل الشرف فإنهم يحامون علىٰ قديمهم ويربّون حديثهم .

قال أبو داود الطيالسي : حدثني من سمع عدياً يخطب علىٰ منبر البصرة وهو يقول : ما أنا وهذه الشهادات ما أنا وهذه الخصومات ، فتحت لكم بابي وأجلست فيكم إياساً ولا أراكم تزدادون إلا كثرة ، لقد كنت أرىٰ القاضي من قضاة المسلمين وما عنده أحد ، ولقد أتيت شريحاً ، فقلت : أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قلت : إني تزوّجت امرأة ، قال : بالرفاء والبنين ، قلت : ولدت غلاماً ، قال : ليهنِك الفارس ، قلت : وشرطت لها دارها ثم بدا لي أن أحوّلها إلىٰ

---

(١) المزني : نسبة إلىٰ قبيلة مزينة واسم مزينة عمرو بن أدّ بن عامر (طابخة) بن إلياس بن مضر .

الشام ، قال : أنت أحقّ بأهلك ، قلت : فاقض ، قال : قد فعلت .

حدثني محمد بن سعيد الواقدي عن ابن أبي سبرة عن صالح بن حسان ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول في خلافته ، وذكر أبا بكر بن عبد الرحمن ، فقال : إن هناك شرفاً وفضلاً ونُسكاً واحتمالاً .

الواقدي ، قال : كان من سراة الموالي أبو كثير مولىٰ أسلم[1] وهو من سبي فارس ، وكان يقال له زاد الرَّكب فبعث معه عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، فنسيها في دار عبد العزيز ومضىٰ فأُتي عبد العزيز بالألف ، فلما قدم أبو كثير المدينة دفع إلىٰ عمر ألف دينار من ماله واكتتب منه البراءة ، فلما قدم مصر أُتي به عبد العزيز ، وكان تاجراً يتّجر إلىٰ مصر ، فقال له : ما فعلت الألف الدينار ؟ قال : دفعتها وأحضره البراءة ، فقال : كيف دفعتها إليه وهي عندنا ؟ قال : نسيتها ولم أدر أين هي ، فكرهت أن أسرّ عدواً فأشمته ، أو أكبت صديقاً فأغمّه ، وخفت أن لا أصدَّق وعليّ فضل من الله فاحتملتها .

فقال عبد العزيز : ألك حاجة ؟ قال : نعم توضع عني العشور إذا دخلتُ مصر بتجارتي ، فقال : نعم ووضعها عنه ، وكان عبد العزيز يقول : من آمن من أبي كثير ودفع إليه الألف دينار .

حدثني ابن القتات عن شيخ من الشاميين ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : قيّدوا العلم بالكتاب وقيّدوا النعم بالشكر .

حدثني داود بن عبد الحميد ، حدثني أبي عن جدّي : أنّ عمر بن عبد العزيز أتي بسكران ، فقال : القوا رداءه في أرديةٍ ، فألقي وقال : انظروا فإن لم يعرفه ولم يخلّصه من الأردية فحدّوه .

---

(١) أسلم : بطن من قبيلة عنزة بن أسد وهو أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة .

الخوارج في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

خبر بسطام (شوذب)

٦١ ـ بسطام بن مُرِيّ اليشكري[1] ولقبه شوذب .

قال أبو الحسن المدائني : خرج بسطام بن مُرِيّ أيام عمر بن عبد العزيز بن مروان ، فقال لأصحابه : يا أخلّائي إنكم قد بايعتم قومكم في ولاية هذا الرجل وهو يأمر بالعدل ويظهره ويعمل به ، فاعذروا فيما بينكم وبينه وادعوه إلىٰ أمركم .

فكتبوا إليه فعظّموا طاعة الله وأمره وعابوا الظلم وأهله وأكفروا أهل الكبائر وبرئوا منهم ، ودعوه إلىٰ رأيهم وإلىٰ البراءة من عليّ وعثمان ، وردّ أحكام عثمان ، وما حكم به عليّ بعد الحكمين واستأذنوه في أن يوجّهوا من يناظره ويحاجّه علىٰ أن يؤمّنه .

فكتب عمر إليهم : إلىٰ العصابة الذين خرجوا بزعمهم التماس الحقّ ، أما بعد ذلك فإن الله لم يلبّس علىٰ العباد أمورهم ولم يتركهم سُدىً ولم يجعلهم في عمياء ، فبعث إليهم المنذر وأنزل عليهم الكتب ، فبعث محمداً صلّىٰ الله عليه وسلّم رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليه كتاباً حفيظاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فيه علم ما يأتون وما يتّقون . فأوصيكم [٦٨/٥٣٠] بتقوىٰ الله وشكر نعمه والاعتصام بحبله والتوكل عليه ، فإن من يتق الله يجعل له مخرجاً .

---

(١) اليشكري : نسبة إلىٰ بطن من قبيلة بكر بن وائل وهو يشكر بن بكر بن وائل .

وقد بلغني كتابكم وما دعوتم إليه ، ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله الكذب وهو يُدعىٰ إلىٰ الإسلام ، فقد خاب من دُعي إلىٰ الحق فلم يجب ، وذكرتم ما اعتقد الله في عباده وأمرهم به من الطاعة فلِلّهِ الحجة البالغة ، وسألتموني أن أحكم بالعدل وأقوم بالقسط وفي الحق مقنع وفوز ونجاة لمن عمل به ولكل بناء مستقر ، فلكم الذي سألتم ، وبالله التوفيق .

وسألتموني ردّ ما حكم به من كان في صدر هذه الأمة من الأئمّة ، إلاّ ما كان من حكم أبي بكر وعمر وعليّ قبل الحكمين . وهم ومن كان بعدهم من الأئمة كانوا أقرب عهداً برسول الله صلّىٰ الله عليه وسلَّم وأصحابه والله يشهد علىٰ أحكامه ويعلمها .

وسألتموني الإذن لكم في قدوم طائفة منكم عليّ ، فمن أحبّ ذلك منكم فليقدم آمناً لا أحجبه ولا أبسط إليه يداً ، وإني أدعوكم إلىٰ الله ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإنابة إلىٰ أمر الله ، وأذكركم الله أن تخالفوا كتاب الله وسنّة نبيّه ، فقد بيّن لكم الهدىٰ وأراكم البيّنات ، فاقبلوا أمر الله وإياكم البدع والغلو في الدين والسؤال عما قد كفيتموه ، فقد سبق فيه من الله ما قد سمعتم من قوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] فهذه سبيلي أدعوا إلىٰ الله علىٰ بصيرة ، فإن تقبلوا يقبل الله منكم ، وإن تعرضوا فإن الله أمامكم ومن ورائكم ، فمن ذا يعجز الله ، وشرّ الدوابّ عند الله الصمّ البُكم .

---

(١) سورة المائدة رقم : ٥ الآية رقم : ٤٤ .

وقلتم لا حكم إلا الله ، فالحكم لله العليّ العظيم ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون .

توصية عمر لرسوليه بمناظرة الخوارج

٦١ ـ وبعث بكتابه إليهم مع عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[١] ومحمد بن الزبير الحنظلي ، وقال لهما : إن هؤلاء القوم قد خرجوا علينا بأسيافهم ، فإذا قدمتم عليهم فادعوهم إلىٰ الحقّ والجماعة ، فإن دعونا من كتاب الله إلىٰ ما لم أعمل به ، فاضمنا عني العمل به ، وإن دعونا من كتاب الله إلىٰ ما قد علمناه وجهلوه فحاجّوهم به حتىٰ يرجعوا إليه .

قال : فقدمنا عليهم ، فقال عون : أيتها العصابة ، إنا قد أقمنا من كتاب الله ما قد حفظنا وعملنا بما علمنا ، فهل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، أم أنتم علىٰ أنفسكم ما خفتم علىٰ قومكم ، أم رجوتم شيئاً لأنفسكم يئستم منه لقومكم ، أم تقولون ذنوب قومكم شِرك وذنوبكم ذنوب ، قالوا : نترك الذنوب كفر لقول الله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٢] قال : أخطأتم التأويل ، من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له فهو كافر ، فأيّما حاكم وقَع حدّ فدرأه عن صاحبه وهو مقرٌّ بالآية ، فلا يكون كافراً ، لأن الله تبارك وتعالىٰ، قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ ﴾[٣] وقال الله : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ﴾[٤] وهؤلاء يؤمنون بالبعث ، وأمير المؤمنين مجتهد لنفسه في الحكم

---

(١) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فارّ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر .

(٢) سورة المائدة رقم : ٥ الآية رقم : ٤٤ .

(٣) سورة فصلت رقم : ٤١ الآية رقم : ٢٦ .

(٤) سورة التغابن رقم : ٦٤ الآية رقم : ٧ .

بالعدل ، وإحياء ما قد أُميت منه ، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم ، قالوا : فإن عمّال صاحبك يظلمون ، قال : فتولّوا أعماله ، قالوا : لا نعمل له ، قال : فكونوا أمناء علىٰ عماله فأي عامل منهم عمل بغير الحقّ فاعزلوه ، قالوا : ولا هذا .

وقرؤوا كتاب عمر ، فقالوا : نوجّه رجلين يكلمانه فإن أجابنا فذاك ، وإن أبىٰ كان الله من ورائه ، فأرسلوا مولىٰ لبني شيبان[1] يقال له عاصم ، ورجلاً من بني يشكر من أنفسهم ، فقدموا جميعاً علىٰ عمر وهو بخناصرة فصعد إليه عون ومحمد بن الزبير وهو في غرفة وعنده ابنه عبد الملك بن عمر ، وكاتبه مزاحم ، فأخبراه مكان الرجلين ، فقال : فتشوهُما لعلّ معهما حديداً ثم ادخلوهما ، ففعلا فلما فعلا قالا السلام عليك وجلسا ، فقال عمر : ما أخرجكم هذا المخرج ، وما الذي نقمتم ؟ فقال عاصمٌ : وكان حبشيّاً ، ما نقمنا سيرتك لتحرّي العدل والإحسان ، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر ، أعن رضىً من المسلمين ومشورة كان ؟ أم ابتززتم إمرتهم ؟ قال : ما سألتهم الولاية عليهم ، ولا غلبتهم علىٰ مشيئتهم ، وعهد إليّ رجل عهداً لم أسأله الله قطّ في سرٍّ ولا علانية ، فقمت به ولم ينكره عليّ أحدٌ ولم يكرهه غيركم ، وأنتم ترون الرضىٰ لكلّ من عدل وأنصف من كان من الناس ، فأنزلوني ذلك الرجل ، فإن خالفت الحق وزغت عنه فلا طاعة لي عليكم .

قالا : بيننا وبينك أمرٌ واحد ، قال : وما هو ؟ قالا : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسمّيتها مظالم وسلكت غير طريقهم ، فإن كنتَ علىٰ هدىً وهم علىٰ ضلالة فالعنهم وأبرأ منهم ، فقال عمر : قد علمتُ أنكم

---

(١) شيبان بطن من قبيلة بكر بن وائل وهو شيبان بن ثعلبة بن عطابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

إنما [لم] تخرجوا طلباً للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها ، إن الله لم يبعث رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلَّم لعّاناً ، وقال إبراهيم : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] وقال الله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾[2] وقد سميتم أعمالهم ظلماً وكفىٰ بذلك لهم ذمّاً ونقصاً ، فأبلوا الله حسناً فيما أتاكم ودعوا ما فاتكم ، فليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بدّ منها ، فإن قلتم إنها فريضة ، فأخبرني أيها المتكلم متىٰ لعنت فرعون ؟ قال : ما أذكر متىٰ لعنته ، قال : أفيسعك ألا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ، ولا يسعني إلا لعن أهل بيتي وهم يصلون ، قال : أوما هم كفّار بظلمهم ؟ قال : لا ، لأن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلَّم ، دعا الناس فكان من أَقرّ بالإيمان وشرائعه قَبل منه ، فإن أحدث حدثاً أقيم عليه الحدّ . فقال الخارجي : إن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلَّم دعا الناس إلىٰ التوحيد بالله والإقرار بما نزل من عنده والعمل بما سَنَّ من سُننه ، ولو قالوا : نؤمن بما جاء من عند الله ونخالف سنّنك ما قبل ذلك منهم ، فقال عمر : فليس أحدٌ يقول لا أعمل بسنّة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلَّم ، ولكن القوم أسرفوا علىٰ أنفسهم علىٰ علمٍ منهم بأن الذي أتوا محرّم عليهم ، ولكن غلب عليهم الشقاء . قال : فأبرأ مما خالف عمّالك وردّ أحكامهم . قال : أخبروني عن أبي بكر وعمر أليسا من أسلافكم ؟ قالا : بلىٰ ، قال : فهل تعلمون أن أبا بكر حين قُبض النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلَّم وارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وسبىٰ الذراري وأخذ الأموال ، قالا : نعم ، قال : أفتعلمون أن عمر ردّ السبايا بعده إلىٰ عشائرهم بفدية

---

(١) سورة إبراهيم رقم : ١٤ الآية رقم : ٣٦ .
(٢) سورة الأنعام رقم : ٦ الآية رقم : ٩٠ .

فدوهم بها ، قالا : نعم ، قال : فهل برئ عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا ، قال : أفتبرؤون أنتم من واحد منهما ، قالا : لا .

قال : فأخبروني عن أهل النهر وهم من أسلافكم ، هل تعلمون أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالاً ، وأن من خرج إليهم من أهل البصرة اعترضوه وقتلوا عبد الله بن خباب وجاريته ؟ قالا : نعم ، قال : فهل برئ من لم يَقتل ممن قتل واستعرض ؟ قالا : لا ، قال : أفتبرؤون أنتم من إحدىٰ الطائفتين ؟ قالا : لا . قال : أفوسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف أعمالهم في الفروج والأعمال ، ولا يسعني إلاّ البراءة من أهل بيتي ، والدين واحد . فاتقوا الله فإنكم جهّال تقبلون من الناس ما ردّ عليهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلَّم ، وتردّون عليهم ما قبل منهم ، ويأمن عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أمن عنده ، ويخاف عندكم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وكان من قبل ذلك عند رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلَّم آمناً وحقن دمه واحرز ماله ووجبت حرمته ، وأنتم تقتلونه ولا تقتلون سائر أهل الأديان ، فتحرّمون دماءهم ، ويأمنون عندكم .

فقال اليشكري : أرأيت رجلاً ولي قوماً وأموالهم فعدل فيها ، ثم صيّرها بعده إلىٰ رجل غير مأمون ، أتراه أدّىٰ الحقّ الذي يلزمه ، أو تراه قد سلم ؟ قال : لا ، قال : أو تسلّم هذا الأمر ليزيد من بعدك ، وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق ؟ قال : إنما ولاّه غيري والمسلمون أولىٰ بما يكون منهم بعدي ، قال : أفترىٰ ما صنع من ولاّه حقّاً ، فبكىٰ عمر .

ثم خرجا ، فقال مولىٰ بني شيبان : لقد رأيت رجلاً يتحرّىٰ الخير وما سمعت حجةً أبين ولا مأخذاً أقرب من قوله فارجع بنا إليه ، فرجعا ،

فقال عاصم الحبشي : أما أنا فأشهد أنك علىٰ الحقّ ، فقال عمر لصاحبه اليشكري : ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسن ما قلتَ وما وصفت ولكن لا أفتات علىٰ المسلمين بأمرٍ حتىٰ أعرض عليهم ما قلت وأعلم [٦٨/٥٣١] ما حجّتهم .

فمضىٰ الرجلان ، وسرح عمر معهما رجلاً يعلم خبر القوم .

فأخبرهم اليشكري بما جرىٰ بينه وبين عمر ، فأقاموا وقالوا : كفّوا عنه ما ترككم ، فقال لهم رسول عمر : فهو يكفّ عنكم ما لم تفسدوا ورجع إلىٰ عمر .

ونزل بسطامْ وأصحابه حرَّةً من الموصل ، وأقام عاصم الحبشي عند عمر فأمر له بعطاء ، فمات بعد خمسة عشر يوماً . وكان عمر يقول : أهلكني أمر يزيد وخصموني فيه فأستغفر الله .

وكتب عمر إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بما كان بينه وبين الخوارج من القول والكتاب ويأمره أن يكفّ عنهم ما كفّوا وأن يجاهدهم إن قاتلوه .

فبعث عبد الحميد إليهم محمد بن جرير بن عبد البجلي[1] في ألفين ، وبعث عمر هلال بن أحوز في ألف ، وكان بسطام في ثلاثمئة ، ويقال في ستمئة ، فكان ابن جرير وهلال بإزائهم ، لم يقاتلوهم حتىٰ مات عمر فقال رجل من الخوارج لهلال : [من الوافر]

---

(١) البجلي : نسبة إلىٰ قبيلة بجيلة وهو محمد بن جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن حزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن مالك (قسر) بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان . وعبقر بن أنمار وإخوته نسبوا إلىٰ امهم بجيلة بنت سعد العشيرة .

خرجتَ إلىٰ الشُّراةِ وأنتَ حربٌ لقـد غُـرّرتَ يـا بـن أَبـي هـلالِ
وَإنّــا معشَــرُ قَتَلــوا عليّــاً وَعبّادَ بن أخضَرَ[1] في الضَّلالِ
وَإِنَّ بَصيــرتــي لمّــا تُبــدَّل وأَنَّ الـدِّيـنَ ديـنُ أبـي بِـلالِ[2]

وانصرف هلال وأصحابه بعد موت عمر وولاية يزيد بن عبد الملك ، وتوجه بسطام إلىٰ الموصل فقتل عاملها ، فقاتله محمد بن جرير فهزمه بسطام وهرب أصحابه ، وكان بمحمد طعنة ولم تكن له ولمن معه ناهية دون الكوفة .

وتشاغلوا بخروج يزيد بن المهلّب عن بسطام ، فأرسل يزيد بن المهلب حبيب بن خدرة أو غيره ممّن هو علىٰ رأيه يدعوه إلىٰ نصره ، فضرب بسطام رسوله عشرين سوطاً ، وقال : لولا مكانك من الدين لقتلتك .

فلما قُتل يزيد بن المهلب ، وجّه مسلمة أو عامل الجزيرة إلىٰ بسطام وهو بالموصل السحاج بن وداع الأزدي[3] فقُتل وانهزم أصحابه ، ومضىٰ بسطام يريد الجزيرة ، فانتدب له تميم بن الحباب[4] أخو عُمَير بن الحُباب

---

(١) عباد بن أخضر قتل أبا بلال بفارس فقتلته الخوارج بالبصرة وكان قد غدر بهم حيث أوقفوا الحرب بينهم للصلاة فقتلهم وهم يصلون بأجمعهم وهو عباد بن علقمة بن عباد بن صُعير (ربيعة) بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . وكان زوج أمه أخضر فنسب إليه .

(٢) أبو بلال هو مرداس بن حُدير بن عمرو بن عبد بن كعب بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وأمه أديّة فنسب إليها .

(٣) نسبة إلىٰ قبيلة الأزد واسمه درّ بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

(٤) تميم بن الحُباب بن جعدة بن إياس بنُ خُزابة بن محارب بن مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .
=

السُّلَمي ، وقال : إن قتلنا بسطاماً ما أعزّنا علىٰ ربيعة . فعقد له عامل الجزيرة علىٰ ثلاثة آلاف فواقع بسطاماً فقُتل تميم ومالك بن عُمَير وهو ابن أخيه ، وكانت الحرب بينهما بتامرا[1] ، وقُتل من الخوارج عدّة ، فقال الشاعر : [من الطويل]

لقد أسلمتْ قيسٌ تميماً وَمَالكاً كما أسلم السحّاجَ قبلك تائبُهْ
تـركنـا تميـمَ بـنَ الحُبـابِ مُلحّباً تُبَكّـي عليـه عـرسُـه وقَـرائبُـهْ
وأقبَـلَ مـن حـرّانَ يحمـلُ رايـةً يغـالِـبُ أمـرَ اللهِ واللهُ غـالِبُـهْ

في قصيدة ، وقال آخر : [من الطويل]

تركنا تميمَ بنَ الحُبابِ مُجدَّلاً بغَيْضَـةَ تـامَـرّا قليـلاً عـوائـدُهْ
ينادي سُليما وهْيَ صمٌّ سُموعُها وقد أسلمتْهُ إذْ دَعَاها حواشدُهْ

وأتىٰ بسطام جوخىٰ فوجّه إليه مسلمة بن عبد الملك من الكوفة سعيدَ بن عمر الحرشيّ[2] ، وقال بعضهم : وجّه يزيد بن عبد الملك نفسه في أربعة آلاف فلقيه بسطام بجوخىٰ ، فانهزم سعيد ثم كرّ فقُتل بسطامُ وأصحابه وانهزم من بقي وقُتل أكثر أصحاب سعيد وقُتل مع بسطام الريان بن عبد الله اليشكري ، فقال حسّان وهو أحد الخوارج :

[من البسيط]

يا عينُ أذري دموعاً منك ساجمةً وابكي صحابة بسطامٍ وبسطاما

في أبياتٍ .

وقد قال قوم أن عمر وجه مسلمة إلىٰ الحروريّة فظفر بهم ، وكان

---

(١) تامرا : طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي ـ معجم البلدان ـ.

(٢) سعيد بن عمرو الذي يقال له الحرشي بن أسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن معاوية (الحريش) بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

عبد الحميد وجّه إليهم من واقعهم تقرّباً إلىٰ يزيد فهزمه الخوارج .

قالوا : ولما مات سليمان بدابق وبلغ عبد العزيز بن الوليد موته ، عقد ألويةً وسار إلىٰ طبرية وهو لا يعلم من ولي بعده ودعا إلىٰ نفسه ، فلما بلغه أن عمر الوالي وصحّ ذلك عنده حلّ ألويته وأتاه فبايعه ، فقال له عمر : أردت أن تشقّ عصا المسلمين وتفتنهم ، فقال : يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي استنقذني بك ، والله لو يليها غيرك ما ملكها عليّ .

ولد عمر بن عبد العزيز

٦٢ ـ فولد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عبد الله الأكبر وأمّ عمّار أمهما لميس بنت علي من بني الحارث[١] بن كعب وإبراهيم ومروان أمهما أم شعيب بنت سعيد بن زبان الكلبية[٢] ، وإسحاق ويعقوب وموسىٰ أمهم فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، وعبد الملك الناسك وعبد الله الأصغر وعاصم والوليد وعبد العزيز وزبان ومحمد الأصغر لأمهات أولادٍ شتىٰ .

فأما عبد الله الأكبر فكان شجاعاً جواداً ولي العراقين ليزيد بن الوليد بن عبد الملك خلافته كلها ، وهي ستة أشهر ، فلما مات يزيد أقام والياً علىٰ العراقين ، فأراد أهل العراق أن يبايعوا له بالخلافة مكان أبيه وقالوا : هذا ابن الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز ، فقال في ذلك يحيىٰ بن منصور الذهلي[٣] : [من المتقارب]

خلافتكم حلوةٌ عذبَةٌ ... وتدعىٰ علىٰ اسمكَ أحلىٰ لها
فدونكها يا ابن عبد العزيزِ ... سَرْبَلَكَ اللهُ سِربالَها

وقال بعض الشعراء : [من الوافر]

لعبدِ الله عبدِ اللهِ تجري ... صَحَائفُنا أميرَ المؤمنينا
لمن زادته إمرتُه اتضاعاً ... بذلكَ سنّةُ المتخشّعينا

---

(١) الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن جلد بن مالك (مذحج) .
(٢) الكلبية نسبة إلىٰ قبيلة كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .
(٣) الذهلي : نسبة إلىٰ بطن من قبيلة بكر بن وائل وهو ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

وهو احتفر نهر ابن عمر بالبصرة ونسب إليه ، وساوم عبد الله بن عمر رجلاً بشيئ ، فقال له الرجل : ما أشد مكاسك[1] ، فوجم عبد الله ، ثم قال : ويحك إياك أن تُغضب قرشياً إن القرشيّ إذا غضب لم يكن به بقيّة ، وخرج في أيام ولايته عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقد كتبنا خبره .

حدثني جماعة من أهل العلم ، منهم عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، وقد ذكر ذلك المدائني ، قالوا : لما ولي يزيد الناقص بعد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وجّه منصور بن جمهور[2] إلىٰ العراق والياً عليها وأمره أن يحمل يوسف بن عمر[3] إليه ، فنفذ منصور إلىٰ العراق في خمسة آلاف ، ويقال : إنه لم يولّه العراق ولكنه أمره بحمل يوسف بن عمر . فوافىٰ منصور العراق وقد هرب يوسف منه إلىٰ نزله بالبلقاء من عمل دمشق ، وأقام منصور بالعراق أشهراً ، ثم ولّىٰ يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك وهو الناقص عبدَ الله بن عمر بن عبد العزيز ، وقال له : إن أهل العراق يحبونا فأحسن السيرة فيهم ، فلما قدمها قال لمنصور بن جمهور أنت أحد أخوالي[4] والخال والد ، فلا يلعبنّ بك فتيان قريش وأقم معي .

---

(١) المكاس : المساومة .

(٢) منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن جابر بن حارثة بن العبيد بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

(٣) يوسف بن عمر والي العراق وهو من ثقيف : يوسف بن عمر بن محمد بن هشام بن أبي سفيان بن عثمان بن عمر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف .

(٤) أحد أخوالي : لأن أم عبد العزيز بن مروان كلبية فجعل الخُولة إلىٰ الجدّ وهذه عادة عربية .

وقال الهيثم بن عدي : دخل منصور بن جمهور الكوفة لأيام خلت من رجب فأخذ بيوت الأموال وأخرج العطاء والأرزاق وأطلق من في السجون التي ليوسف من العمال وأهل الخراج ، وأقام بالكوفة نحواً من شهرين وخليفته عليها عبيد الله بن العباس بن يزيد الكندي ، واستعمل علىٰ البصرة جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي .

فلما قوي أمر يزيد بن الوليد وجاءته البيعة من الآفاق ولّىٰ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فقدم علىٰ منصور فسمع له منصور وأطاع وكذلك جميع قوّاد الشام ، وقد كان خاف ألا يسلّم له منصور .

فتنة أهل الشام مع أهل العراق

٦٣ ـ قالوا : وأجرىٰ عبد الله بن عمر علىٰ منصور في الشهر مع نُزُله ثمانية آلاف درهم وكان يقاتل معه وولىٰ عبدُ الله المِسْيَحَ بن الحوارِي بن زياد بن عمرو العتكي[1] أردشير خُرّة من كور فارس ، وسليمان بن حبيب بن المهلب الأهواز ، وأقرّ نصر بن سيّار الليثي[2] علىٰ خراسان ، وأعطىٰ الناس أعطياتهم وأرزاقهم ، فنازعه قوّاد الشام ، وقالوا : تقسم علىٰ هؤلاء فيئنا وهم عدوّنا ، فقال عبد الله لأهل العراق : إني قد أردتُ أن أردّ فيئكم فيكم وعلمت أنكم أحقّ ، فنازعني هؤلاء وأنكروا عليّ .

فخرج أهل الكوفة إلىٰ الجبانة وتجمّعوا ، فأرسل إليهم قوّاد أهل الشام يعتذرون ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئاً مما بلغهم ، وثار غوغاء

---

(١) العتكي : لم يذكر من أي عتك حيث هناك بطنان بهذا الإسم : العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو (مزيقياء) بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد الذي منهم المهلّب . والبطن الثاني : العتيك بن ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طيّ . والنسبة إلىٰ عتيك : عَتَكي .

(٢) الليثي : نسبة إلىٰ بطن من قبيلة كنانة ، وهو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

الناس وسرعانهم من الفريقين فتناوشوا وأصيب منهم رهط لم يعرفوا ، وعبد الله بن عمر حينئذٍ بالحرّة وعبيد الله بن العباس الكندي بالكوفة ، وكان منصور استخلفه عليها ، فأراد أهل الكوفة إخراجه من القصر ، فأرسل عبيد الله بن العباس إلىٰ عمر بن الغضبان بن القبعثري ، فأتاه فنحّىٰ الناس عنه ، وزجر السفهاء حتىٰ تحاجزوا عن بعضهم بعضاً .

فبلغ ذلك ابن عمر فأرسل إلىٰ ابن الغضبان فكساه وحمله وأعظم جائزته وولاّه شُرَطه وخراج السواد ، وأمر أن يُفرض لقومه من بني شيبان ، ففرض لهم في ستين وفي سبعين ، وولىٰ عبد الله بن عمر صلاة الكوفة عاصم بن عمر أخاه ، وقدم عبد الله ، [٥٣٢/٦٨] والحسن ويزيد بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب علىٰ عبد الله بن عمر ، فنزلوا في النخع[١] في دار مولاهم الوليد بن سعيد ، فأكرمهم ابن عمرو أجازهم ، وأجرىٰ عليهم في كل يوم ثلاثمئة درهم فكانوا كذلك حتىٰ هلك يزيد بن الوليد ، وبايع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقد ولي بيعتهما علي بن عمر وهو بالكوفة ، فبايع الناس لهما وزادهم في العطاء مئة ، وكتب ببيعتهما إلىٰ الآفاق فجاءته البيعة .

خروج مروان بن محمد بن مروان

٦٣ ـ فبينا هو كذلك إذ أتاه الخبر بأن مروان بن محمد بن مروان قد سار في أهل الجزيرة إلىٰ إبراهيم وأنه امتنع من البيعة له ، فاحتبس عبدُ الله بن عمر عبدَ الله بن معاوية عنده وزاده في البرّ وفيما كان يُجري عليه ، وواعده ليبايع له إن ظفر مروان بإبراهيم ، ويقاتل مروان معه ،

---

(١) **النخع** : هو جسر بن عمرو بن عُلة بن جَلد بن مالك (مذحج) .

فماج الناس في أمرهم ، وقرب مروان من الشام وخرج إليه إبراهيم فقاتله فهزمه مروان ، وظفر بعساكره ومضىٰ إبراهيم هارباً وثبت عبد العزيز بن الحجاج فقاتل حتىٰ قتل .

وأقبل إسماعيل بن عبد الله القَسْري[1] أخو خالد هارباً حتىٰ قدم الكوفة ، وكان في عسكر إبراهيم فقاتل معه . فافتعل إسماعيل كتاباً علىٰ لسان إبراهيم بولاية الكوفة . وأرسل إلىٰ اليمانيّة فأعلمهم أن إبراهيم ولاّه العراق ، ووعدهم الإحسان والتفضّل ، وقال : إني لا آمن أن يعترض عليّ ابن عمر فيقبلوا ذلك منه .

وبلغ الخبرُ ابنَ عمر فباكره مع صلاة الغداة فقاتله ومعه عمر بن الغضبان . فلما رأىٰ إسماعيل ذلك ولا عهد معه ، وأن صاحبه الذي افتعل العهد علىٰ لسانه قد هُزم وهرب ، وخاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل ، قال لأصحابه : إني كاره لسفك الدماء ، ولم أظن أن الأمر يبلغ هذا فكفّوا أيديكم ، فتفرّقوا عنه ثم قال لأهل بيته : إن إبراهيم قد هُزم وهرب ودخل مروان دمشق ، فتحدّث بذلك أهل بيته وانتشر الخبر واشرأبّت الفتنة ، ووقعت العصبيّة بين الناس .

وكان سبب الفتنة ، أن عبد الله بن عمر أعطىٰ مضر وربيعة عطايا عظاماً ، ولم يعط جعفر بن نافع بن شور الذهلي ، وعثمان بن الخيبري أحد بني تيم اللات بن ثعلبة[2] شيئاً ولم يسوّهما بنظرائهما ، فدخلا عليه

---

(١) نسبة إلىٰ قبيلة قسر وهي يمنية من كهلان وهو إسماعيل بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب بن يشكر بن رُهم بن أفرك بن نذير بن مالك (قسر) بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

(٢) الذهلي : نسبة إلىٰ بطن ذهل بن ثعلبة ، وبنو تيم اللات بن ثعلبة وكلاهما من قبيلة =

فكلّماه كلاماً غليظاً ، وغضب ابن عمر وأمر بهما أن ينحيّا ، فدفعهما عبد الملك الطائي ، وكان يقوم علىٰ رأسه فخرجا مغضبين ، وكان ثمامة بن حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني حاضراً فغضب لصاحبيه ، فخرجوا جميعاً إلىٰ الكوفة وابن عمر حينئذٍ بالحيرة ، فلما دخلوا الكوفة نادوا : يا لربيعة فاجتمعت إليهم ربيعة واجتمعوا وأتمروا ، وبلغ الخبرُ ابنَ عمر فبعث إليهم أخاه عاصماً فأتاهم وهم بدير هند فاجتمعوا وحشدوا ، فألقىٰ نفسه بينهم ، وقال : هذه يدي لكم فاحكموا ، فاستحيوا منه وأعظموه وتشكروا له وأقبلوا علىٰ صاحبيهم فسكّنوهما فسكنا وكفّا .

فلما أمسىٰ ابن عمر أرسل من تحت ليلته إلىٰ عمر بن الغضبان بمئة ألف درهم فقسمها في قومه ، وأرسل إلىٰ جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف درهم وإلىٰ عثمان بن الخيبري بعشرين ألفاً .

خروج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

٦٤ ـ فلما رأت الشيعة ضعف ابن عمر أغمزوا فيه واجترؤوا عليه وطمعوا فيه ، ودعوا إلىٰ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وكان الذي ولي ذلك هلال بن أبي الورد العجلي مولىٰ بني عجل ، فثاروا في غوغاء الناس حتىٰ أتوا المسجد ، فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالأمر ، فبايعه ناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية ، ثم مضوا من فورهم إلىٰ عبد الله بن معاوية فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد حتىٰ أدخلوه القصر ، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر ، فلحق بأخيه عبد الله بن عمر

= بكر بن وائل وهي من ربيعة ويجب أن يكون قوله الأول : أعطىٰ مضر وربيعة ؛ أعطىٰ مضر واليمن حتىٰ اجتمعت ربيعة إليهما خاصه وأن الذي دفعهما عبد الملك الطائي فهو يمان . وهو سهو من الناسخ والله أعلم .

بالحيرة ، وجاء ابنَ معاوية الكوفيون فبايعوه وفيهم عمر بن الغضبان بن القبعثرىٰ ، ومنصور بن جمهور ، وإسماعيل بن عبد الله القسري ومن كان من أهل الشام له بالكوفة أصل وأهلٌ ، فأقام ابن معاوية بالكوفة أياماً فبايعه الناس وأتته الشيعة من المدائن وفم النيل ، واجتمع له الناس فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة .

وبرز له ابن عمر فيمن كان معه من أهل الشام ، يسأل البراز فبرز له القاسم بن عبد الغفّار العجلي ، فقال له الشامي : لقد دعوت حين دعوت ما أظنّ أنه يخرج إليّ إلا رجل مُكره ، إني والله ما أريد قتالك ولكني أحببت أن ألقي إليك ما انتهىٰ إليّ :

أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن ، منصور ولا إسماعيل ولا غيرهما إلاّ وقد كاتب ابن عمر ، وقد كاتبته مضر ، وندموا علىٰ ما كان منهم ، ولم أر لكم معشر ربيعة كتاباً ولا رسولاً وليسوا مواقعيكم يومكم هذا حتىٰ تصبحوا فيواقعوكم ، فإن استطعتم ألا يكون بكم الحرّة دون اليمن ومضر فافعلوا ، فإني رجل من قيس وسنكون غداً بإزائكم فإن أردتم الكتاب إلىٰ صاحبنا أبلغته إياه ، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أعلمتكم حال الناس .

فدعا القاسم بن عبد الغفار رجالاً من قومه فأعلمهم ما قال له القيسي ، وإن من مع ابن عمر من مضر وربيعة سيقفون بإزاء ميسرته وفيها ربيعة .

فقال ابن معاوية : إن هذه علامة ستظهر لنا إذا أصبحنا ، فإن أحبّ عمر بن الغضبان فليأتي الليلة وإن منعه شغل بما فيه فهو في عذر ، وإني لأظنّ القيسي قد كذب ، وأرسل إليه بذلك فأتىٰ الرسول عمر بن الغضبان ، فردّه إليه بكتاب يقول فيه : إن رسولي هذا بمنزلتي عندي فتأمره أن تتوثّق من منصور وإسماعيل ، فأبىٰ ابن معاوية أن يفعل وأصبح

الناس غادين علىٰ القتال ، وقد جعل ابن معاوية أهل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة ، ونادىٰ مناديه : من جاء برأس فله كذا ومن جاء برأسين فله كذا والمال عند عمر بن الغضبان .

مقتل العباس بن عبيد الله بن عبد الله بَبَّة

٦٥ ـ والتقىٰ الناس فاقتتلوا وحمل عمر بن الغضبان علىٰ ميمنة ابن عمر فانكشفوا ، ومضىٰ إسماعيل ومنصور من فورهما ، وزحمت غوغاء الناس أهل اليمن فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلاً ، وقُتِل الهاشميّ وهو العباس بن عبيد الله بن عبد الله زوج بنت الملاءة[١] أصابه سهم وقُتل مُكبّر بن الحواريّ بن زياد في غيرهم ، ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتىٰ دخلوا القصر بالكوفة ، وبقيت الميسرة من مضر وربيعة ومن بإزائهم من أهل الشام ، وحمل أهل القلب من أهل الشام علىٰ الزيدية[٢] فانكشفوا حتىٰ دخلوا الكوفة ، وبقيت الميسرة وهم نحو من خمسمئة .

قالوا : كانت عاتكة بن الملاءة تزوّجت أزواجاً منهم العباس بن عبيد الله بن عبد الله بَبَّة بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فقتل أيام عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في العصبيّة بالعراق .

قالوا : وهو أخو عبد الله بن معاوية لأمه ، أمهما بنت عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث .

وأقبل عامر بن ضُبارة ونُباتة بن حنظلة وعطيّة بن عبد الرحمن التغلبي والنضر بن سعيد بن عمرو الحرشي حتىٰ وقفوا علىٰ ربيعة ، فقالوا لعمر بن الغضبان : أما نحن يا معشر ربيعة فما كنا نأمن عليكم ما صنع

---

(١) بنت الملاءة : هي عاتكة بنت الملاءة وهو زرارة بن أوفىٰ بن عبد الله بن معاوية بن حزن بن ربيعة بن الحريش كانت من أعظم نساء زمنها والملاءة هو قاضي البصرة .

(٢) الزيدية : فرقة شيعية أصحاب زيد بن علي بن الحسين .

الناس بأهل اليمن ونتخوّف عليكم مثلها فانصرفوا ، فقال عمر : ما كنت ببارح أبداً حتىٰ أموت ، فقالوا : هذا غير مغن عنك ولا عن أصحابك شيئاً ، فأخذوا بعنان دابّته حتىٰ أدخلوه بيوت الكوفة .

قال أبو عبيدة : دخل ابن معاوية وأخواه القصر ، فلما أمسوا قال لعمر بن الغضبان وأصحابه : يا معشر ربيعة ، قد رأيتم ما صنع الناس بنا فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم ، وإن كنتم ترون الناس خاذلينا وإيّاكم ، فخذوا لنا ولكم أمانا فقد رضينا لأنفسنا ما رضيتم به لأنفسكم ، فقال عمر : ما نحن بتاركيكم من إحدىٰ الخلّتين ، إما أن نقاتل معكم أو نأخذ لكم أماناً كما نأخذه لأنفسنا فطيبوا نفساً . وأقاموا في القصر والزيدية علىٰ أفواه السكك يغدو عليهم أهل الشام ويروحون ، فقاتلوهم أياماً ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبد الله بن معاوية أماناً ألا يتبعوهم وأن يذهبوا حيث شاؤوا .

وأرسل ابن عمر إلىٰ عمر [٥٣٣/٦٨] بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية ، فأرسل إليه ابن الغضبان فرحّله ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل الكوفة ، فسارت بهم رسل ابن عمر حتىٰ أخرجوهم من الجسر . ونزل ابن عمر القصر .

وكانت أم عبد الله بن معاوية ابنة عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب : [من الوافر]

لقــد أنكــرتُ أن تــأتــي بخيــرٍ وأمُّكَ أختُ يعقوبَ بنش عَوْنِ

قال أبو عبيدة : وكانت وفاة يزيد بن الوليد بدمشق لانسلاخ ذي الحجة سنة ست وعشرين ومئة وهو ابن ست وأربعين سنة . فكانت ولايته ستة أشهر وليلتين .

أمر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

٦٦ - وبويع إبراهيم وأمه أم ولد بدمشق فلم يلبث إلا شهراً أو نحوه . حتىٰ أقبل مروان من الجزيرة فدخل دمشق لثلاث خلون من صفر فهرب إبراهيم وخُلع ، وبايع الناس مروان بن محمد وأمه أم ولدٍ ، ويكنىٰ أبا عبد الملك .

قال أبو عبيدة : فلما ظهر مروان واستقام أمره كتب إلىٰ النضر بن سعيد بن عمرو الحرشي بولاية العراق ، وإلىٰ من معه من النزارية يأمرهم بالسمع والطاعة له ، والنضر يومئذ مع عبد الله بن عمر مقيم بالحيرة . فقال من مع النضر من المضريّة الشاميين: إنه لا طاقة لنا بمن مع ابن عمر من اليمانيّة إلا أن يأتيك مددٌ من قبل مروان ويعلم به هؤلاء صحّة أمرك وتولية مروان إياك وغلبة مروان علىٰ الشام واتساق الأمر له .

فكتب النضر بذلك إلىٰ مروان ، وبلغ ذلك ابن عمر فبادر فأخرج النضر من الحيرة ، فأتىٰ الكوفة فانطوت عليه ربيعة وأنزلوه دار مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وتقوّضت إليه مضر الشام فأتوه بالكوفة فأنزل عامر بن ضُبارة دار المِسوَر بن عطاء في بني شيبان وأنزل أبان النميري[١] وإخوته دار حوشب بن يزيد بن رويم ، وأنزل نُباتة ومن معه دار عتيبة بن النهاش العجلي ، وفرّق بقية أصحابه في دور بكر بن وائل .

فلما بلغ كتابُ النضر مروانَ وجّه إليه خالد بن الغُزَيل الكلابي أحد بني خويلد[٢] بن نفيل في ثلاثمئة فارس ، وأبان بن معاوية النميري في

---

(١) نسبة إلىٰ قبيلة نُمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

(٢) خويلد هو الصَّعِق بن نفيل بن عمرو بن كلاب .

ثلاثمئة . وبلغ ابن عمر مسيرهما ، فبادر إلىٰ النضر ليقتله أو يخرجه من العراق قبل قدوم المدد ، ووجه رجلاً من بني تميم إلىٰ [ابن] العُزَيّل وقد قرب من الكوفة ، فقال له : أنا رسول النضر بن سعيد إليك ، وهو يقول لك : إنا قد توادعنا هذين اليومين لننظر في أمرنا ، فأقم مكانك وأجمّ خيلك فإذا مضىٰ اليومان فأقبل ، فإن ابن عمر قد وعدنا أن يصير إلىٰ طاعة أمير المؤمنين مروان .

وقد أراد ابن عمر أن يربّثه ليخلو به فيقتله أو يخرجه من الكوفة . فظنّ ابن الغزيل أن الخبر حقّ ، فاستراح إلىٰ المقام فأقام . وأقبل ابن عمر إلىٰ النضر فيمن معه من اليمانية والنزاريّة ، وأتاه النضر في النزارية من أهل العراق والشام ، وكانوا قليلاً فلم يقم لهم النضر وأقبل منهزماً حتىٰ دخل الكوفة وبقي أخوه مسلمة بن سعيد وأبو أميّة بن المغيرة الثقفي يحمون الناس علىٰ أفواه السكك ، وحلف ابن عمر ليحرقنّ دور بكر بن وائل .

وبلغ ابن الغزيل الخبر وهو بموضعه ، فعلم أنه قد مُكر به فأقبل مغذّ في سرعان خيله حتىٰ دخل الكوفة ، فحمل ابن عمر وأصحابُه وحمل مسلمة بن سعيد عليهم أيضاً فهزموهم حتىٰ أدخلوهم الحيرة ، ثم أن حنظلة بن نباته وعامر بن ضُبارة والريان بن سلمة اجتمعوا وقالوا : إنما نطلب هٰذا الأمر لأهله من بني مروان ، وأي رجل منهم ظفر بالملك فغير خارج منهم ، فعلامَ تقتلون أنفسكم ، فانصرفوا إلىٰ عساكرهم .

وبعث ابن عمر في جوف الليل إلىٰ ابن الغزيل بمئة ألف ووعده إن غلب عداتٍ أرغب له فيها ، فتثاقل عن نصرة الحرشي ، وخرج أيوب بن حوشب بن يزيد في رهط من أصحابه في طلب الحرشي ، وكان قد صار إلىٰ دير الأعور فردّه من ليلته وأصبح في منزله ، ثم تغادوا للقتال وجعلوا يغدونْ ويروحون للقتال ، حتىٰ بلغهم إقبال الضحاك بن قيس الخارجي

في ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من الحرورية إلىٰ العراق .

وقال الهيثم بن عدي : كتب مروان إلىٰ النضر بن سعيد بولايته علىٰ العراق فامتنع عليه ابن عمر ، فصار الناس فرقتين أهل اليمن وخصائص من قريش مع ابن عمر ، ومضر كلها من أهل العراق وأهل الشام مع النضر بن سعيد في طاعة مروان ، وتحوّل النضر إلىٰ دار مصقلة بن هبيرة الشيباني وتحولت إليه المضريّة كلها وابن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان ، والحكم بن عبد الملك وآل بشر بن مروان ، فنهض إليهم ابن عمر في يوم جمعة فهزمهم حتىٰ دخلو السوق ثم انصرف ، فلما كانت ليلة السبت قدم ابن الغزيّل من قبل مروان في أربعة آلاف من أهل الجزيرة وقنسرين ، فدخلوا الكوفة ليلة السبت ، ثم غدوا بغلسٍ فأخذوا في أطراف الكوفة حتىٰ انتهوا إلىٰ الغريين .

وخرج ابن عمر في اليمانية إلىٰ غرب الحيرة وكردس الكراديس ، وكان منصور بن جمهور معه وكان يومئذ علىٰ الميمنة ، وأقبل الحرشيّ في القيسية حتىٰ حمل علىٰ ابن عمر في اليمانية فانكشفوا حتىٰ بلغوا أدنىٰ بيوت الحيرة ، وانحدر منصور إلىٰ غرب بيوت الحيرة ، ثم أخذ علىٰ النجف حتىٰ ظهر علىٰ الطريق الغربية من حيث تجري الخيل فصار من وراء القيسية ، ثم حمل عليهم وهو في نحوٍ من أربعئمة وهيّأ له الحرشي جَلْدَ أصحاب ابن الغزيّل ومن معه .

قال الهيثم : فأزالهم منصور قدر غلوة[1] ، ثم ثبتوا له في الخصاصات ، ثم حمل عليهم منصور مرّة أخرىٰ فقتل منهم نحواً من سبعين فانكفّوا حتىٰ لجؤوا إلىٰ مصلىٰ خالد بن عبد الله ، ثم حمل عليهم فأدخلهم البيوت ، ثم غدوا يوم الأحد فسألهم الحرشيّ الموادعة إلىٰ أجل سمّاه .

---

(١) الغلوة : قدر رمية بسهم ـ اللسان ـ.

وأقبل الضحاك بن قيس الحروري ، فلما بلغ ابن عمر والنضر بن عمرو الحرشي إقباله اجتمعت كلمة ابن عمر والحرشي علىٰ قتاله ، ودخل ابن عمر قصر الكوفة ، وتحوّلت اليمانية فنزلت في عشائرها بالكوفة . وذلك في رجب سنة سبع وعشرين ومئة .

وأقبل الضحاك حتىٰ نزل النخيلة ، وخندق ابن عمر خندقاً في أطراف الكوفة .

وسنكتب أخبار الضحاك فيما بعد إن شاء الله .

عبد الله بن عمر يبايع لنفسه

٦٧ ـ قال ابن الكلبي : لما ظهر أمر مروان دعا عبد الله بن عمر إلىٰ نفسه ، وقال : أنا عين بن عين بن عين أقتل ميم بن ميم بن ميم[(١)] ، فأظهر أهل العراق الرغبة فيه إذ كان ابن عمر بن عبد العزيز ، وقالوا : هذا ابن الرجل الصالح وهو أولىٰ بالأمر من الجعدي ، فقال فيه يحيىٰ بن منصور الذهلي : [من المتقارب]

عليكَ بها يا بنَ عبدِ العزيزِ سربَلَكَ اللهَ سِرْبَالَهَا

وولّىٰ عبدُ الله بن عمر عمرَو بن سهيل بن عبد العزيز البصرة ، وهو كليجة[(٢)] ، ثم أن الضحاك بن قيس الشيباني الحروري أقبل من ناحية الموصل مما يلي شهرزور فيمن معه من الخوارج ، فلما بلغ ابن عمر إقباله إليه وهو بالحيرة استعدّ له وتحوّل إلىٰ قصر الكوفة ، فنزل الضحاك بإزائه فواقعه ، وقتل ممن معه عاصم بن عمر أخوه قتله البرذون بن مورّق الشيباني أو غيره ، وجعفر بن العباس الكندي أخو عبيد الله بن العباس

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والميم : هو مروان بن محمد بن مروان .

(٢) كليجة : نوع من المكيال ـ اللسان ـ.

قتله عبد الملك بن علقمه العبدي[1] .

وكان جعفر علىٰ شرطة ابن عمر ، وكانت المعركة بين الكوفة والحيرة ، ومضىٰ عبد الله بن عمر نحو واسط وسار النضر بن سعيد الحرشي يريد مدينة واسط ، فلم يدخلها لمنع عامل ابن عمر إياه من دخولها ودَفْعه له عنها ، وهو شبيب بن مالك الغساني[2] ، وكان شبيب لما بلغه قرب النضر من واسط أغلق أبواب المدينة وتحصّن ، وبدر ابن عمر فدخلها وتحصّن بها ، واتبعه الضحاك فحصره بها أشهراً حتىٰ أظهر الجنوح إليه وصالحه علىٰ أربعة آلاف ألف درهم ، وعلىٰ أن يسير الضحاك إلىٰ مروان فيحاربه ، فإن هو ظفر بمروان سمع وأطاع له وإلاّ فله بيعة له عليه إن غلبه مروان ، وتعاقدا علىٰ محاربة مروان وأصحابه .

مقتل الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي

٦٨ ـ وغلب الضحاك علىٰ الكوفة وسوادها ، وتوجّه الضحاك يريد مروان وسار مروان يريد العراق لقتال الضحاك ، فلما بلغه وهو بقرب قرقيسيا[3] أن سليمان بن هشام بن عبد الملك قد خرج عليه انصرف إليه ، فلقيه بخساف[4] أو قربها فاستباح عسكره ، وكان سليمان خليفة إبراهيم علىٰ عسكره ، ثم أمّنه مروان ثم خرج أيضاً عليه وانصرف مروان

---

(١) العبدي : أي من قبيلة عبد القيس وهو ابن أفصىٰ بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) غسان : هم أولاد عمرو مزيقياء شربوا من ماء غسان وهو ماء بين زبيد ورمع فسموا غسان ما عدا وائل وثعلبة وحارثة وأبو حارثة وعمران فلم يشربوا فلم يسموا غسان .

(٣) قرقيسيا بلد عند مصب نهر الخابور بنهر الفرات واسمها الآن البصيرة تابعة لمحافظة دير الزور بسوريا .

(٤) خساف : يضم أوله بريّة بين بالس وحلب ؛ وبالس اليوم هي بلدة مسكنة عند منعطف نهر الفرات نحو الشرق الجنوبي .

إلىٰ الرقّة وأتىٰ حرّان ، وكان سليمان في موالٍ لهشام فلقي الضحاك فصار معه وصلىٰ خلفه ، فقال بعض الخوارج : [من الطويل]

ألــم تَــرَ أَنَّ اللهَ أنــزَلَ نصــرَهُ وَصَلَّتْ قُرَيشٌ خلفَ بكرِ بنِ وَائِلِ[1]

ويقال إن ذلك قيل في ابن عمر حين جنح إلى السلم .

وبلغ مروان انتفاض أهل حمص عليه فأتاها وأقام عليها حتى فتحها [٥٣٤/٦٨] وهدم حائطها .

ثم إن الضحاك أتى الجزيرة فحاصر نصيبين فلم يظفر بها فأتى حرّان ومنزل مروان بها فواقعه مروان ثلاثة أيام ثم قُتِل .

وولّى مروانُ يزيدَ بن عمر بن هُبَيرة العراق فصار إلى واسط وعبد الله بن عمر بها ، وقد تهيأ للحصار وانضمّ إليه قوم من الخوارج من قبل الضحاك ، وعزم على قتال ابن هُبيرة ثم تفرّقت الخوارج عنه فتجمّعت مضر ومن كان بواسط فردموا باب القصر على ابن عمر ، وبعثوا العلاء بن مزروع إلى ابن هبيرة يخبرونه أنهم قد حصروه ، فأقبل لا يلوي على شيء وحصره ثم أعطاه الأمان على حكم مروان ، وكتب إلى مروان بذلك .

مقتل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز .

فكتب إليه مروان اقتله ولا تناظره ، وراجعه في أمره فكتب إليه أن احمله إليّ ، فقال : أنا ابن عمر بن عبد العزيز وأرجوا أن لا يقدم عليّ مروان ، فحمله ابن هبيرة فحبسه مروان ثم بعث إليه من اغتاله بشربة سُقيها ، ويقال : ديس بطنه ويقال : غُمّ حتى مات .

---

(١) الضحاك من شيبان وشيبان بطن من قبيلة بكر بن وائل .

وقَتل ابن عمر ، وكان لابن عمر ابنٌ يقال له بشر كان في صحابة المهدي أمير المؤمنين .

موت منصور بن جمهور عطشا بالفلاة .

٧٠ ـ وأما منصور بن جمهور وهو الذي قيل فيه : منصور بن جمهور أميرٌ غير مأمور ، فإنه خلع مروان وأقام بالجبل يجبي خراجه ومال إلى شيبان خليفة الضحاك وولي عهده ، ثم مضى إلى السند فغلب عليها حتى قدم عليه مُغلّس العبدي والياً على السند من قبل أبي مسلم ، فحاربه حتى قتله وهزم جنده ، فلما بلغ أبا مسلم قتل عامله ، عقد لموسى بن كعب التميمي على السند ، فقدمها وواقع منصور فهزمه وجيشه وقتل أخاه منظور بن جمهور ، وخرج منصور مغلولاً هارباً حتى ورد الرمل فمات عطشاً .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه ، قال : قُتل مع ابن عمر عاصم أخوه فدفنه إلى جانب الأشعث ، قال : وقُتل جعفر بن العباس بن يزيد الكندي مع ابن عمر حين قاتل الضحاك والخوارج بين الكوفة والحيرة ، وكان عبيد الله بن العباس بن يزيد يقاتل مع أخيه ، ثم جنح إلى الخوارج ، فقال أبو عطاء[1] السندي : [من الطويل]

فَقُلْ لعُبيدِ اللهِ لو كانَ جَعْفَرٌ ... هُو الحيُّ لم يَجْنَحْ وأنتَ قَتيلُ
جنحتَ وقد أردوا أخاك وأكفروا ... أباكَ فماذا بعد ذاكَ تقولُ

---

(١) أبو عطاء السندي : اسمه أفلح بن يسار مولى بني أسد . منشأه الكوفة وهو من مخضرمي الدولتين ، وكان في لسانه لكنة شديدة ولثغة وكان لا يفصح ويكاد لا يفهم كلامه ـ الأغاني ج : ١٧ ص : ٢٤٥ ط دار الثقافة .

فقال : أقول أعضّك الله بَظْر أمّك .

وولي عبيد الله لأبي العباس أمير المؤمنين قنسرين ، وللمنصور أرمينيّة وبها مات .

وقالت امرأة من الصفريّة[1] : [من الرجز]

نحنُ قَتلنا عاصِماً وجعفَرا والفارسَ الضبيَّ حين أَصْحَرا
ونحنُ جُبْنا الخندقَ المُقَعَّرا

ومن ولد عبد العزيز بن مروان

٧١ ـ ومن ولد عبد العزيز بن مروان أبو بكر وكان من خيار ولده ، وكان يقدّر فيه إذا أفضت الخلافة إليه أن يولّيه عهده ، وله عقبٌ . وعاصم بن عبد العزيز ، وكان من ولده الأصبغ بن سفيان بن عاصم ، وكان الأصبغ مخنثاً ، وأمه ابنة عمر بن عبد العزيز ، ومن ولد عبد العزيز الأصبغ بن عبد العزيز ، وأمه أم ولد وكان من ولده دِحية بن مصعب بن الأصبغ ابن عبد العزيز ، خرج أيام موسى أمير المؤمنين بمصر ، فقتله عامله عليها بعد قتالٍ ، وهو الفضل بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، وبعث برأسه فنصب ببغداد على الجسر ، ويقال إن الذي حاربه وبعث برأسه علي بن سليمان بن عليّ .

فتنة ابن سهيل

٧٢ ـ ومن ولد عبد العزيز بن مروان سهيل بن عبد العزيز ، وكان ابنه عمرو بن سهيل بن عبد العزيز يُدعى كيلجة لقصره ، من رجال قريش ، ولاّه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز البصرة ، وكان الذي يلي شرط

---

(١) الصُّفْرية : قوم من الحرورية نسبوا إلى رئيسهم عبد الله بن صفار .

البصرة ، قتله المسور بن عمرو[1] بن الحصين الحبطي من بني تميم ، فاستعمل عمرو بن سهيل رجلاً من بني سدوس[2] ، فحقد ذلك المِسْور عليه وجانبته تميم غضباً للمسور .

وقَتل عبدُ الله بن عليّ عمروَ بن سهيل فيمن قتل وصلبه فيمن صلب من بني أميّة .

المدائني وغيره ، قالوا : اجتمع الناس على يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فاستعمل على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فكتب عبد الله إلى عبد الله بن أبي عثمان بن عبد الله بن أميَّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيْد بولاية البصرة ، ولم يكن معه جندٌ فضعف أمره ، وكان أهل البصرة قد تراضوا به حتى قتل الوليد[3] وهرب عامل يوسف بن عمر عنها ، وقدم سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي[4] داعية لمروان بن محمد ، فنزل عند أبي العسكر المسمعي مستخفياً ، ودسّ إلى وجوه أهل البصرة يدعوهم إلى الدخول في طاعة مروان ، وجعل يعدهم الأموال ويمنيّهم أن تأتيهم من قبل مروان ، فلما تأخر ذلك ولم يروا لقوله مصداقاً ، جعل الصبيان يقولون في السكك .

[من مجزوء الرمل]

---

(١) عند ابن الكلبي في الجمهرة لا يوجد عمرو . وهو المِسْوَر بن عباد بن الحُصَين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلّزة بن نيار بن سعد بن الحارث (الحبط) بن عمرو بن تميم .

(٢) نسبة إلى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٣) هنا يوجد لخبطة فالوليد قتل قبل ولاية يزيد بن الوليد الناقص .

(٤) المخزومي : بطن من قريش وهو مخزوم بن يقظة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) .

مَــنْ يبــايــع بنسيّــةْ[1]   ابــنَ جعــدَةَ الشَّقيّــةْ

ظنوا أن جعدة امرأةٌ .

وبلغ ابن عمر بن عبد العزيز وَهْن أمر عبد الله بن أبي عثمان ، فولّى البصرة عمرو بن سهيل ووجّه معه جنداً من النجاريّة[2] من أهل الشام . فيهم أبو بحر الجذامي[3] فهرب ابن جعدة واستعمل عمرو على شرطه محمد بن وكيع بن أبي سود[4] .

ومات يزيد بن الوليد الناقص في آخر ذي الحجّة سنة ست وعشرين ومئة .

وكتب مروان إلى المِسْور بن عباد ووجوه بني تميم يدعوهم إلى طاعته ، والوثوب بابن سهيل ، ويقال : بل كتب المسور إلى مروان مبتدئاً ببيعته وطاعته واستأذنه في الوثوب بابن سهيل ، وجعل المسور يبايع الناس لمروان ويدعوهم إليه حتى فشا ذلك ، والمسور بداره بالحبطات ، وأُبلغ ابن سهيل خبره فناهضه ومعه الأزد وربيعة وقريش والنجارية ومن معه من أهل الشام ، وكان مع ابن سهيل سفيان بن معاوية وداود بن حاتم ، وكانِ في تيم[5] تميم وباهلة وبني عامر بن صعصعة ،

---

(١) النسيئة : الأجل والدين .

(٢) النَّجْر والنِّجار والنُّجار : الأصل والحسب ـ اللسان ـ

(٣) الجذامي : نسبة إلى قبيلة جُذام وهو عمرو (جُذام) بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

(٤) عند ابن الكبي في الجمهرة : وكيع بن حسان بن قيس ابن أبي سود بن كلب بن عوف بن مالك بن غُدانة (الأشرس) بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٥) تيم تميم هو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

فكانا يتقاتلان ثم يتحاجزان ، ويصير المسور إلى داره ، فلامه حرب بن قطن الهلالي[١] على مصيره إلى منزله حذّره أن يطرقه ابن سهيل ليلاً ، وقال : أخاف أن لا يأتيك غياثك حتى يقضي القوم مأربهم منك .

فتحوّل إلى بني العنبر[٢] ، وتحوّل من كان منزله نائياً عن بني تميم مثل الحكم بن يزيد الأُسَيدي[٣] ، والترجمان بن هريم بن طحمة المجاشعي[٤] ، والمغيرة بن الفزع فكان يقاتلهم .

واتهم ابن سهيل محمد بن وكيع فعزله عن شرطته ، وولاّها المنهال بن حاتم بن سويد بن منجوف ، وخندق المسور على أبواب السكك لما رأى من احتفال الأزد وربيعة مع ابن سهيل واحتفال نجاريّته ومن معه من الشاميين ، وكأن مع المسور عمرو بن قتيبة ، فكانوا يقتتلون خلف الخنادق ويخرجون فيقتتلون .

ثم إنّ بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، قالوا : قد كتب مروان إلى وجوهنا كما كتب إلى المسور فلا نرضى أن يكون رئيساً ، ففارقوه ورأسُوا عليهم القاسم بن محمد الثقفي وتابعهم على ذلك ضبّة[٥] وعدي[٦] والرباب[٧] .

---

(١) نسبة إلى بطن من قبيلة هوازن وهو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن .
(٢) بطن من تميم وهو العنبر بن عمرو بن تميم .
(٣) بطن من تميم وهو أسيد بن عمرو بن تميم .
(٤) المجاشعي : بطن من تميم وهو مجاشع بن دارم بن مالك (غَرْف) بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم .
(٥) نسبة إلى قبيلة ضبّة بن أدّ بن عامر (طابخة) بن إلياس بن مضر .
(٦) نسبة إلى قبيلة عدي بن عبد مناف بن أد بن عامر (طابخة) .
(٧) نسبة إلى قبيلة الرباب وهو تيم بن عبد مناة بن أدّ .

وبلغ ذلك ابن سهيل فوجّه إليهم أبا بحر الجذامي في الخيول ، فلما ناوشهم استطرد لهم حتى باعدهم عن أفواه السكك ، ثم كرّ عليهم فهزمهم وقتل منهم ، وكان رؤبة بن العجّاج يركب فرسه ويجول في هذه الفتنة ويقول : [من الرجز]

صبراً بني الكرامِ يا حُماةَ أدبارْ إن الفــرار يــا بنــي تميــمَ عــارْ

ثم إنهم حكّموا عبد الكريم بن سليط الحنفي[1] في أن يجعل الرئاسة لمن يرى ، فحكم بها للمسور لبأسه وكثرة ولده ومواليه وفرسانه ، وكان الحكم مائلاً إلى المسور ، فاقتتلوا فهُزم ابن سهيل وأصحابه وكشفوا ، ووقعت العصبية فعزل أبو الفيض الشامي وأصحابه ، فصار مع قيس ، وكان أحد بني عبد الله بن غَطَفان وجعل يرمي أصحاب ابن سهيل وهو يقول : اللهم اخز عدوّك ، ولم يزالوا يقتتلون حيناً .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : اقتتلوا سبعة أشهر .

قالوا : وألقى القاسم الحنفي ناراً في قصب وأتبانٍ كانت على نهر بني جشم بن سعد[2] ، فقال حرب بن قطن الهلالي للمسور : وجّه إلى بني حنيفة من يحرقهم ، فقال : فيهم قوم برآءُ لا نؤاخذهم بفعل فاسق سفيه . ثم مضى حرب مخالفاً له فحرّق على بني حنيفة ليلته حتى أصبح .

قالوا : فبينا هم على أمرهم هذا إذ أقبل مروان يريد العراق والضحّاك الشاري قد حصر عبد الله بن [٥٣٥/٦٨] عمر في مدينة واسط ومعه منصور بن جمهور ، فجنح منصور إلى الضحاك وهذا الثبت ، وكان يقول

---

(١) حنيفة بطن من قبيلة بكر بن وائل .

(٢) بنو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

لم أجنح إليه وبايعه ابن عمر وسلّم الأمر إليه على شريطة اشترطها .

قال أبو عبيدة : ولحق النضر بن عمرو بمروان ، ووجّه الضحاك إلى البصرة عماراً الحروري في أربعين رجلاً ونزلوا ببلالاباد ونادى مناديهم : أيّما رجل علّق على بابه صوفةً حمراء فقد جنح لسلم ، وبايعته الأزد وربيعة وكانو شيعة ابن سهيل وثبتت مضر في مواضعها .

فلما رأى ابن سهيل أن ابن عمر قد غُلب وأن مروان قد أقبل هرب ليلاً ، فأصبحت دار الإمارة وليس فيها أحد ، وهرب عمّار لهرب ابن سهيل وإنما كان مجيئه للعقد بين ابن عمر والضحاك .

وغدا المسور وكان قد اختضب فسرّح الحنّاء ولم يغسله عجلةً ، وكان شعره كأنه الليف طويلاً سبطاً ، وهو على بغلةٍ ، فمنعه بنو سعد[1] أن يدخل دار الإمارة حسداً له ، فلما رأى ذلك عدل إلى بيضاء ابن زياد فنزلها ، وجاءت بنو سعد بعبّاد بن منصور الناجي[2] فأنزلوه دار الأمارة ، فكان يصلي بالناس وأصطلحوا عليه ، ثم أن بني قيس[3] بن ثعلبة أحدثوا أحداثا فسار إليهم المِسْور فقاتلهم ثم حرّق دورهم وسوقهم التي بالمربد ، ولم يزل المسور على هذه الحال حتى قدم سلم بن قتيبة بن مسلم عاملاً ليزيد بن هبيرة على البصرة ، ومات المسور بعد ذلك بقليل ، وكان المسور قد خرّب دور آل المهلب لما بلغه قدوم سلم ، فلما قدم

---

(١) بنو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس بن بن الناس (عيلان) .

(٢) الناجي : وهم بنو عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي وبنو غالب بن سامه أمهما ناجية بنت جرم بن زبّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فنسبوا إليها .

(٣) بنو قيس بن ثغلبة بطن من قبيلة بكر بن وائل وهو قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

سلم حال بينه وبين ما بقي من دورهم .

وكان عمرو بن سهيل حيّاً حتى قتله عبد الله بن علي فيمن قتل من بني أميّة بالشام .

حدثني الحرمازي[1] عن أبي عبيدة ، قال : قال عمر لابنه عبد الله : ما على خاتمك؟ قال: لكل عمل ثواب، قال عمر: فاستثب رب الأرباب.

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والفقهاء .

٧٣ ـ قالوا : وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن سهيل بأمره أن يوفد إليه وفداً ، فأرسل إلى جماعة يأمرهم بذلك وأرسل عمرو بن عبيد فامتنع عليه ، فأعاد إليه شبيب بن شيبة ، فقال عمرو لشبيب : قل له إن أوّل ما يسألني عنه عن سيرتك ، فما تراني قائلاً فيك ؟ فكفّ عن عمرو .

فخرج في الوفد شبيب بن شيبة وإسماعيل المكيّ وواصل بن عطاء ، قال خالد بن صفوان : فدخلوا على عبد الله بن عمر وأنا عنده ، فتكلموا رجلاً رجلاً فما بقي فنّ من فنون الكلام إلا تكلّموا فيه ، وبقي واصل آخرهم وقد سبق إلى أبواب القول فتكلم رجلٌ ضئيل الصوت خفي المنطق ، فلم يعلو صوته ويرتفع وكأنما جُمعت له محاسن الأقوال ، فهو يتخيّرها على بصيرة ، فأمر لهم بألفين ألفين فقبلوا إلا واصلاً .

فقال لهم واصل : والله إن كنتم شخصتم لله فما فيما أُعطيتم عوض مما شخصتم له ، ولئن كنتم شخصتم للدنيا فما أعطيتم ما تستحقّون . وجعل يعطي واصلاً ويزيده حتى بلغ مئة ألف درهم ، فقال واصل : إني

---

(١) الحرمازي نسبة إلى الحرماز بن سعيد بن زهير بن جشم بن بكر بن جُبَيْب بن عمرو بن غنم بن دثار (تغلب) .

لم آبَ ما أمرت به أولاً استقلالاً له ولا استزادةً لك ، ولو كنتُ إنما أتيت لذلك لقد بذلتَ ما مثله كَفَى وأمنع ، ولكني شخصت لغير ما أعطيتَ .

قال الأصمعي : قدم ابن هبيرة فأقرّ المسور على الأحداث وعبّاد بن منصور على القضاء والصلاة .

قال غيلان بن حُريث الربعي[1] . [من الرجز]

أمـا وربِّ الكعبـةِ المفضّلـهْ ... علـى البُيـوت كلها المـؤثَّلـهْ
إنَّ بنَـى الأَعَـزِّ أعنـي حنظَلَـهْ ... وآلَ عمـروٍ ألحموا فـي المنزلَـهْ
بمـارِقٍ يخـافُ فيـه المقتلَـهْ ... ضَنْـكٍ تَـرى أبطـالَـهُ مُجـدَّلَـهْ
يمشونَ حولَ التّرجمانِ قنبلهْ[2] ... حـولَ أَعَـزٍّ لـم يكـنْ بـزمّلـهْ[3]
مـن آلِ سفيـانٍ كـريـمِ المعـدلَـهْ ... مـرتفـع الطَّـرْفِ طـويـلِ المحملَـهْ

يضرب في الغُمالجينَ[4] الغَيْطَلَهْ[5]

في أبيات . وقال أيضاً :

يـا مِسْـورَ بْـنَ عمـرِو بـن عِبّـادْ ... يـا سيّـدَ المصريـنِ وابـنِ الآسـادْ
وخيـرَ مَـنْ غـابَ وخيـرَ الشهّـادْ ... كـم فيكـمُ أبيـضُ واري الـزِّنـادْ
مقـابـلُ العَـمِّ كـريـمُ الأَجـداد ... إنَّـكَ يـوم السَّبْـتِ غيـرَ حيّـادْ

بـالسيـفِ ضـرّابُ رؤوسِ الصُـدّادْ

---

(١) نسبة إلى الربائع وهم ربيعة بن مالك بن زيد مناة وربيعة بن حنظلة بن مالك وربيعة بن مالك بن حنظلة هؤلاء الربائع في تميم . فمن أيهم لم يذكر .

(٢) القنبله : طائفة من الناس ومن الخيل وقيل هم ما بين الثلاثين إلى الأربعين ـ اللسان ـ

(٣) الزّمِل : الضعيف الجبان الرذل ـ اللسان ـ

(٤) الغُمالِجون : غمل الشيء : أفسده ـ اللسان ـ

(٥) الغيطلة : التباس الكلام وتراكمه ، والغيطلة اجتماع الناس والتفافهم ـ اللسان ـ والغُمالج من الرجال : الذي لا يثبت على حال .

وقال رؤبة بن العجاج : [من الرجز]

إنّ تميماً تُبتَلى بأقوامْ ليسوا بأخوالٍ ولا بأَعمامْ
ليسوا مُوَقّينَ حدود الإسلامْ من رقّةِ الدّينِ وبُعدِ الأَرحامْ
منهمْ لُكيزٌ وَهْيَ شَرُّ الإصرامْ وَالأزدُ والأزدُ صغارُ الأَحلامْ
وقد رأَوْا في مستهلٍ زمّامْ في لُجَبٍ مُجرٍ كأركان الرام
كتيبةً للتّرجمانِ المقدامْ والمسْوَرِ السّامي بغيرِ إحجامْ
مَنَازِلُ تملأُ عَيْنَ المِغنامْ إذا الكماةُ استمسَكُوا بالإعصامْ

في أبيات .

وقال أبو عبيدة : لما قام مروان وقدم يزيد بن عمر[1] العراق شذّب قيادة الخوارج ومن لحق بهم من شيعه يزيد ابن الوليد ، وطار آل المهلب تحت كل كوكب ، وولّى يزيد سلماً البصرة .

٧٣ ـ ومن ولد عبد العزيز بن مروان أبو زبّان ، واسمه الأصبغ بن عبد العزيز ، وكان عالماً ينظر في النجوم والطبّ ، وكان ذا قدر في بني أميّة ، وهلك بمصر قبل أبيه بخمس عشرة ليلة .

---

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة وفيما سبق جاء يزيد بن هبيرة .

بسم الله الرحمن الرحيم
خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

٧٤ ـ كان يزيد بن عبد الملك بن مروان يكنى أبا خالد ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وإليها ينسب ، بويع بالخلافة سنة إحدى ومئة ، وكان سليمان بن عبد الملك ولّى عمر بن عبد العزيز العهد في مرضه ويزيد بعده . وقال سليمان : لولا أني أخاف اختلاف بني مروان بعدي ووقوع الفتنة بذلك السبب ما ولّيت يزيد ولاقتصرت على عمر بن عبد العزيز ، وقال عمر بن عبد العزيز حين احتُضر : لو اخترت للأمّة غير يزيد كان أولى ، ولكني أخاف إن أخرجتها من بني عبد الملك أن تقع في ذلك فتنة وفرقة ، وأنا أوّلي سليمان ما تولى والمسلمون أولى بالنظر في أمورهم .

فكانت ولاية يزيد بن عبد الملك أربع سنين وشهراً ، ودفن بالجولان من سواد الأردن وذلك سنة خمس ومئة ، ويقال في أول سنة ست ومئة ، وله سبع وثلاثون سنة وأشهر ، ويقال ابن اثنتين وأربعين سنةً ، ويقال مات بالبلقاء من عمل دمشق .

قالوا : وكان يزيد جميلاً حسن الشعر أهدل ، وكان صاحب لهو وطرب وهزل ، وهو أوّل من غالى بالقيان .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش الهمداني[1] ، قال : كان يزيد صاحب طرق وفتوّة وهو أول من اشترى حلّة بخمسة آلاف دينار .

---

(١) الهمداني نسبة إلى قبيلة همدان واسم همدان أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان .

قالوا : وكان نديمه الأحوص بن عبد الله بنْ محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح واسمه قيس بن عصمة بن أميّة ابن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان يرمى بالأُبنة[1] ، وكان منفيّاً نفاه الوليد ابن عبد الملك بشهادة عِراك الغفاري إلى دهلك[2] ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك أقدمه ونفى عراكاً ، فقال الأحوص :

حين استقرّ الملْكُ في مستَقَرِّهِ وعاد لعرفٍ أمرُهُ المتنكَّرُ
طريدٌ تلافاهُ يزيدُ برحمةٍ فلم يُمسِ من نعمائهِ يتعذَّرُ

حدثني أبو الحسن المدائني عن أبي جزي ، قال : عمد يزيد بن عبد الملك إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافقه فردّه ، ولم يرهب فيه شنعةً عاجلة ولا إثماً آجلاً .

المدائني ، قال : وخلف محمد بن يوسف أخو الحجاج على أهل اليمن وظيفة جعلها خراجاً عليهم ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر ونصف العشر ، وقال : لأن يأتيني من اليمن حفنة كتم أحب إليّ من أن نقرّ هذه الوظيفة ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك بعد عمر أمر بردّها ، وكتب إلى عروة بن محمد عامله : إن ابن عبد العزيز كان مغروراً منك ومن أشباهك ، فأعِدْ على أهل اليمن الضريبة التي كان عمر أسقطها ولو صاروا حرضاً .

حدثني أبو مسعود عن عوانة ، قال : أقرّ يزيد عديّ بن أرطاة الفزاري

---

(١) الأُبنة : أصلها العيب في الخشب وفي الرجل أنه يؤتى أي يلاط به .

(٢) دهلك : جزيرة في بحر اليمن بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها ـ معجم البلدان ـ

عامل عمر بن عبد العزيز على البصرة ، وولّى عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفِهري المدينة ، فشكته فاطمة بنت الحسين بن علي وهي أمّ عبد الله بن حسن بن حسن وإخوته ، وكتبت إليه كتاباً وأرسلت رسولاً ، وقالت : إنه يدعوني إلى تزوّجه وأنا امرأة لا حاجة لي في التزوّج لأني مشبلة[1] على ولدي ولا آمن أن يكذب على ولدي حتى يوقعهم فيما أكره ليغيظني بذلك ، وأمير المؤمنين أحقّ من نصرني ودافع عنّي وإني ابنة عمّه وإحدى نسائه .

فكان ذلك سبب غضبه عليه وعزله وبمطالبته بمال أخرج عليه ، فلما أراد الخروج من المدينة بكى ثم قال : والله ما أبكي جزعاً [٦٨/٥٣٦] من العزل ولا أسفاً على الولاية ، ولكني أربأ بهذه الوجوه أن يهينها من لا يعرف لها مثل الذي أعرف ، ولا يوجب من حقها ما أوجب ، ثم أنشد : [من الطويل]

فما السجنُ أضناني ولا القيدُ شَفّني ولكنني من خشيَةِ النارِ أجزعُ
على أنَّ أقوماً أخافُ عليهمُ إذا غِبتُ أن يُعطوا الذي كنتُ أَمنَعُ

بعض أعمال يزيد بن عبد الملك

٧٥ ـ المدائني عن محمد بن خالد ، قال : كان لسعيد بن خالد بن أَسِيد قصرٌ بحيال قصر يزيد بن عبد الملك ، فكان يزيد إذا ركب إلى الجمعة توافيا في موضع واحدٍ ، فقال له يزيد في بعض الجمع : أما تحيد بجمعة واحدة ؟ فقال سعيد : إن قصري بحيال قصرك فإذا ركبتَ ركبتُ فالتقينا في هذا الموضع ، قال يزيد : فإنّ لي إليك حاجة ، قال : إذاً لا تردّ عنها يا أمير المؤمنين ، قال : قصرك . قال : هو لك ، قال :

---

(١) مشبلة : أقامت بعد زوجها وصبرت على أولادها فلم تتزوج ـ اللسان ـ

فلك به خمس حوائج فاذكرها ، قال : أولاهن أن تردّ القصر عليّ ، قال : قد فعلتُ ، فاذكر الأربع فذكرها فقضاها له .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة ، قال : قال يزيد : لذّة الدنيا في أربع في الغناء والطلاء ومجالسة من تحبّ وإعطاء السائل .

خبر فاطمة بنت الحسين بن علي مع والي المدينة .

٧٦ ـ حدثني محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي عن يزيد بن عياض ، قال : لما ولّى يزيد بن عبد الملك عبدَ الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة ، خطب فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، فأبت وقالت : ما النكاح من حاجتي أنا مشبلة مقيمة على ولدي ، فألحّ عليها الخطبة ، فقال : والله لئن لم تفعلي لآخذنّ أكبر ولدك ، يعني عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب في شراب ، ثم لأضربنّه على رؤوس الناس ولأفعلنّ بعد هذا ولأفعلنّ حتى أفضحك .

فبعثت إلى يزيد بن عبد الملك رسولاً وكتبت معه كتاباً ، فذكرت قرابتها ورحمها وشكت عبدَ الرحمن وذكرت ما أرادها عليه وبعثت به إليه وسألته أن يجيرها منه ، وقالت : إنما أنا حرمتك وإحدى نسائك ، والله لو كان التزويج من شأني ما كان لي بكفؤ ، وإن عمر بن الخطاب كان يقول على منبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : لأمنعنّ ذوات الأحساب أنْ يزوّجنّ إلاّ من الأكفاء .

قال : وكان ابن هرمز علىٰ الديوان بالمدينة ، وأراد الخروج فأرسلت إليه وأخبرته بما تلقىٰ من ابن الضحّاك وسألته أن ينهي ذلك إلىٰ يزيد ، فلما دخل علىٰ يزيد سأله عن المدينة وأهلها فبينا هو يخبره إذ أتاه حاجب يزيد ، فأخبره بمكان رسول فاطمة ، فذكر ابن هرمز ما حمّلته وأعلمه أنها أرسلت إليه فألقت إليه أمرها وأمر ابن الضحاك .

فدعا يزيد برسولها وقرأ كتابها فغضب غضباً شديداً ونزل عن سريره إلىٰ الأرض ، فضرب بقضيب كان معه الأرض حتىٰ أثار الغبار ، وقال : ابن الضحاك يتزوّج امرأة من بني عبد مناف ، ثم قال : من يسمعني صوت ابن الضحاك بعذابه إيّاه وأنا علىٰ فراشي . قال ابن هرمز : أنا أدلّك عليه عبد الواحد بن عبد الله النصري[1] وهو بالطائف .

فكتب إليه يزيد كتاباً يأمره فيه بالمسير إلىٰ المدينة وولايتها ، وأن يغرّم عبد الرحمن بن الضحاك أربعين ألف دينار ويقفه للناس ، وأمر لرسول فاطمة بجائزة وصرفه ، فمرّ الرسول الموجّه إلىٰ الطائف بابن الضحاك فوقع في نفسه خوف العزل فأعطاه ألف دينار ، فأخبره الخبر وأحلفه أن لا يبرح المدينة ، وجلس ابن الضحاك علىٰ رواحله حتىٰ لحق بمسلمة بن عبد الملك ، وقال له : يا أبا سعيد كن لي جارّاً من أمير المؤمنين فإن لي رحماً وقرابة[2] وإن خلّيتني من يديك افتضحت ، فلقي مسلمة يزيد في غبش الليل فكلّمه فيه ، فقال يزيد لا أُرينّ وجهه ولا يخرج إلىٰ عسكري ، وكان خارج دمشق حتىٰ يرجع من حيث جاء فينفذ فيه أمري ، فرجع من دمشق حتىٰ وافىٰ المدينة ، فوجد النصري بها ، فأغرمه أربعين ألف دينار فلم يصل إليها حتىٰ سأل الناس فيها ، وكان أخذ هذه الأربعين ألف الدينار من بيت المال ففرّقها علىٰ نفرٍ من قريش وغيرهم .

قال الواقدي وحدثني عقبة بن سنان ، قال : لما رجع ابن الضحاك إلىٰ المدينة اتبع الناس فأخذ ذلك المال منهم ، فمنهم من وجد عنده

---

(١) النصري نسبة إلىٰ بطن من قيس وهو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٢) يعني بالقرابة مجماع قريش إلىٰ فِهر بن مالك وهو ينسب إلىٰ فهر فأصل القرابة جدّ قريش الأبعد .

ما أعطاه ، ومنهم من لم توجد عنده لأنه فرّقها في غرمائه ، فكان يطاف به في جبّة صوف يسأل فيها .

وقال الواقدي حدثني زُفر بن محمد الفِهري عن أشياخه، قال : لما أحسَّ عبد الرحمن بالعزل فرّق هذا المال في قومه ، فكتب يزيد أن يحسب ذلك ويغرمه .

قالوا : فتنازع محمد بن علي بن الحسين وعبد الله بن حسن بن حسن وزيد بن علي ، فقال عبد الله بن حسن بن حسن لزيد : يا ابن السندية الساحرة ، فيقال إنه قال له : يا ابن الهندكانية ، فانصرف زيد إلىٰ عمته فاطمة بنت علي بن الحسين وهي أم عبد الله بن حسن ، فقالت : إن سبّ أمك فسبني ، فعاد للخصومة فشتمه ، فقال له زيد : أتذكر ابن الضحاك حين كانت تبعث إليه أمك معك بالعلك الأخضر والأحمر والأصفر ، فتقول له : فمك فمك فتطرح ذلك في فمه ، فأتىٰ بنوها فأخبروها فغضبت وقالت : كنتم فتياناً فكنت أداريه فيكم وأمنّيه أن أتزوجه ، حتىٰ كتبت فيه ليزيد فعزله .

حدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح قالا ، ثنا الواقدي ، قال : وفد خالد بن المطرف ، والمطرف بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان علىٰ يزيد بن عبد الملك ، فخطب إليه أخته فقال له إن عبد الله بن عمرو بن عثمان أبي قد سنّ لنسائه عشرين ألف دينار فإن أعطيتها وإلاّ لم أزوّجك ، فقال له يزيد : أوما ترانا أكفاءً إلاّ بالمال ، قال : بلىٰ والله إنكم لبنو عمّنا وأشراف قومنا ، فقال يزيد : إني لأظنك لو خطب إليك رجل من قريش لزوّجته بأقلّ مما ذكرت من المال ، قال : أي لعمري لأنها تكون عنده مالكة مملّكة ، وهي عندك مملوكة مقهورة ، وأبىٰ أن يزوّجه ، فأمر أن يُحمل علىٰ بعير صعب وينخس به إلىٰ المدينة ، وكتب إلىٰ عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري وكان عامله علىٰ المدينة : أن

وكّل بخالد بن عبد الله المطرف من يأخذ بيده كل يوم وينطلق به إلىٰ شيبة بن نجاح المقرئ مولىٰ أم سلمة ليقرأ عليه القرآن فإنه من الجاهلين . فلما قرأ علىٰ شيبة ، قال حين قرأ : ما رأيتُ أحداً قطّ أقرأ للقرآن منه ، وأن الذي جهّله لأجهل منه .

ثم كتب يزيد إلىٰ عامله : بلغني أن خالداً يذهب ويجيئ في سكك المدينة ، فمُرْ بعض من معك أن يبطش به ، فضربوه حتىٰ مرض ومات ، وله عقب بالمدينة .

وحدثني أبو مسعود عن عوانة قال : قال يزيد بن عبد الملك ، وهو ابن عاتكة بنت يزيد بن معاوية : كان عمر بن عبد العزيز خير لنفسه وأنا خيرٌ للناس .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر الزهري[1] عن عبد الواحد بن أبي عون ، قال : لما ولي الوليد بن عبد الملك ، استعمل عمر بن عبد العزيز علىٰ المدينة ، ثم عزله ، وولّىٰ عثمان بن حيان المريّ[2] علىٰ المدينة ، فاستقضىٰ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكانت ولاة البلدان تستقضي القضاة من أهل الفضل والمروءة والهيئة والعلم ، وكان القاضي لا يركب مركباً ولا يذهب لحاجة إلا استأذن أمير البلد لأن يطيب له الرزق .

أراد ابن حيان أن يضرب أبا بكر فضربه أبو بكر

٧٧ ـ فقال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم لابن حيّان بعد العصر

---

(١) الزهري : بطن من قبيلة قريش نسبة إلىٰ زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) .

(٢) نسبة إلىٰ قبيلة مرة وهي قبيلة قيسية وهو مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

مساء عشرين يوماً من رمضان ، وعند عثمان أيوب بن سلمة المخزومي ، فقال أبو بكر : إن رأىٰ الأمير أن يأذن لي غداً فأنام بعد الصبح ولا أجلس للناس ، لأن أقوىٰ علىٰ قيام ليلة إحدىٰ وعشرين فإنه يذكر أنها ليلة القدر ، فقال له ابن حيان : نعم ، فلما ولّىٰ قال أيوب : ألا ترىٰ إذا هذا الذي استأذنك فيما استأذنك فيه ، فقال ابن حيّان : والله ما هو إلا رياءٌ ، ولست لحيان إن لم أسال عنه غدوة فإن وجدته نائماً ضربته مئة وحلقت رأسه ولحيته . قال أيوب : فقال أمر أسرّني ، فلما انصرفنا رجعت إلىٰ منزلي مسروراً ، فلما كان في السحر خرجت فإذا سراجٌ في دار مروان فقلت : عجّل والله المريّ فأدخل الدار فإذا أنا بأبي بكر بن حزم وقد جاءته ولايته من قبل سليمان بن عبد الملك ، وهو جالس علىٰ المنبر والشمع بين يديه وابن حيّان جالس بين يديه وابن حزم يقول : صيّروا هذه الكبول في رجل ابن حيّان ، قال أيوب : فنظرت إلىٰ ابن حيان ونظر إليّ ، فقال : [من السريع]

جـاؤوا علـىٰ أدبـارهـم كُشفـاً والأمـر يحـدث[1] بعـدَهُ الأَمْـرُ

فلما صلىٰ وحضر الناس دعا بقوارير [٦٨/٥٣٧] كانت في منزل ابن حيّان ، فقال : ما هذا الشراب ؟ قال : شراب أشربه من الطلاء ، فقال أبو بكر لمن حضره : أنشدكم الله ما تقولون في هذا الشراب ؟ قالوا : هو الخمر ، قال : أكنت تشرب من هذا الشراب ؟ قال : نعم ، فأمر بتلك القوارير فكسرت وضربه الحدّ ، وجاء عبد الله بن عمرو بن عثمان بالبيّنة أنه قال له : يا مخنث أو يا منكوح ، فضربه له حدّاً آخر .

قال : فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولّىٰ علىٰ المدينة عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفِهري .

---

(١) البيت مكسور الوزن ويصح لو قلنا يقفو بعده الأمر .

وخرج عثمان بن حيّان مع مسلمة بن عبد الملك حين خرج يريد يزيد بن المهلّب ، فحمل رأسه حين قُتل يزيد إلىٰ يزيد بن عاتكة ، فقال له يزيد : ما تحبّ أن أصنع بك يا بن حيان ؟ قال : تقيدني من ابن حزم ، قال : كيف أقيدك من رجل اصطنعه أهل بيتي وله فضل ، ولكني أولّيك المدينة فتفعل ما رأيت، قال: إن ضربته في سلطاني قال الناس إنما ضربه في سلطانه ، قال : فاكتب إلىٰ عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً يُنتفع به .

فكتب إليه يزيد : أما بعد ، فإذا جاءك كتابي فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيّان فيه ، فإن كان ضربه في أمْرٍ بيّن فلا يلتفت إليه وامضِ الحدَّ يعني علىٰ ابن حيّان ، وإن كان في أمرٍ منكر مشكل يُختلف فيه فامضِ الحدّ أيضاً ، وإن كان في أمرٍ لا يختلف فيه فأقده منه .

فلما قرأ ابن الضحاك الكتاب رمىٰ به من يده ، وقال : ما ضربك إلاّ في أمرٍ بيّن وما لك في هذا الكتاب منفعة ، فقال له عثمان : إن أردتَ أن تُحسن أحسنت ، قال : الآن أصبت المطلب .

قالوا : فأرسل إلىٰ أبي بكر فلم يسأله عن حرف حتىٰ ضربه حدّين في مقام واحد ، وانصرف أبو المغراء عثمان بن حيّان وهو يقول : والله ما قربت النساء منذ ضربني ابن حزم فاليوم أقربهنّ ، وكان ابن حزمٍ قال :

[من الرجز]

نحن ضربنا الفاسِقَ ابنَ حيّانْ حَدَّينِ لما يُخْلا ببُهتانْ

فقال ابن حيان : [من الرجز]

نحنُ ضربنا الفاسقَ ابنَ حَزْمٍ حدَّيْنِ لمّا يُخلطا بِإِثْمِ

قال الواقدي : ولما أغرم عبد الرحمن ابن الضحاك أربعين ألف دينار ، نهىٰ ابن حزم حاشيته ومن معه أن يعرضوا له بشيئ يكرهه وأمر له

بجميع ما احتاج إليه ، فكان ابن الضحاك يذكر ما صنع به وما صنع ابن حزم فيعجب ويقول : كان والله خيراً منّي .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن رجل من آل الأهتم ، قال : كتب يزيد بن عبد الملك إلىٰ عمر بن هبيرة وهو عامله علىٰ العراق : إنه ليست لأمير المؤمنين بأرض العرب خوصة ، فسرُ علىٰ القطائع فحز فضولها لأمير المؤمنين ، فجعل عمر يأتي القطيعة فيسأل عنها ثم يمسحها ، حتىٰ وقف علىٰ أرضٍ ، فقال : لمن هذه ؟ قال : صاحبها : لي ، قال : من أين صارت لك ؟ فقال : [من الوافر]

وَرِثناهُنَّ عن آباءِ صِدقٍ ونُورثُها إذا مِتْنَا بَنينا

ثم إن الناس ضجّوا من ذلك فأمسك عمر بن هبيرة .

يزيد بن عبد الملك مع المغنين والمغنيات

٧٨ ـ قالوا : وبعث يزيد بن عبد الملك رسولاً في حمل ابن سريج ، فلما انتهىٰ إلىٰ أداني مكة سمع رجلاً يغني : [من الطويل]

فلم أَرَ كالتَّجميرِ منظَر ناظِرٍ ولا كَلَيالي الحجِّ أفتَنَ ذَا هَوىٰ

وإذا الرجل ابن سريج ، فقال الرسول : ما أجهل هؤلاء بعثوا إلىٰ غير هذا وتركوه ، فأتىٰ الوالي فبعث ابن سريج فإذا هو الذي رآه الرسول ، فقال : لقد أنكرت أن يكون ابن سريج غيرك .

وقال الهيثم بن عدي وغيره : كان المغنون يأتون يزيد فيصلهم ، وكان معبد وابن سريج يزورانه فيقيمان عنده زماناً فيجيزهما ، وكان الأحوص يزوره من المدينة فيجزل عطيته ويحسن جائزته ، وكان ممن يتغنىٰ بين يدي يزيد ، الغُزَيِّل الشامي وقد غنىٰ يزيد لنفسه ومن غنائه :

[من البسيط]

أضحىٰ لسلاّمَةَ الزّرقاءِ في جسدي صَدعٌ مقيمٌ طوالَ الدهرِ والأَبَدِ

قال ابن الكلبي : هذا الغناء ليزيد والناس ينحلونه معبداً والغزيل الشامي .

وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش ، قال : قدم عمر بن هبيرة علىٰ يزيد وهو عامله علىٰ العراق وأهدىٰ له هدايا كثيرة وأتاه بغنائم وفيها مسك ، فأخذ ابن له من ذلك المسك وولّىٰ ، فقال يزيد : أي بني إن هذا غُلول ، فقال ابن هبيرة : إن رجلاً من قرّاء أهل العراق وكان بخراسان ، فكان ينهىٰ عن الغُلول ويغُلّ المسك ، فقيل له في ذلك ، فقال إن الله تعالىٰ يقول : ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] أما والله لآتينّ به طيّب الريح خفيف المحمل ، قال يزيد : يا بني أما إذا رخّص القرّاء فيه فخذه .

(١) سورة آل عمران رقم : ٣ الآية رقم : ١٦١ .

قصّة سلاّمة

٧٩ ـ وكانْ يزيد صاحب سلاّمة وحبّابة اللتين ذكرهما أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي الخارجي ، فقال وذكره : أقعد سلاّمة عن يمينه وحَبّابة عن يساره ، ثم قال : أطيرُ ، ألا فطرْ إلىٰ لعنة الله وحرقه .

وكان من قصة سلاّمة أنها كانت لرجل من أهل مكّة فاشتراها منه سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ويقال إن سهيلاً هو ربّاها وعلّمها ولم يشترها مغنيّةً ، والأول أثبت .

وكان عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار أحدُ بني جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وقد أصابته مِنَّة[1] من أميّة الجمحي ينزل مكة ، وكان فقيهاً عابداً يسمىٰ القس لعبادته واجتهاده ، فمرّ يوماً بمنزل مولىٰ سلاّمة فسمع غناءها فتوقف يسمعه فرآه مولاها ، فقال له : هل لك أن تدخل فتسمع ؟ فأبىٰ ذلك ، فقال : أنا أقعدها في موضع لا تراها فيه وتسمع غناءها من قرب ، فدخل معه وغنّت ، فأعجبه غناؤها ، فقال له : هل لك في أن أخرجها إليك ؟ فأبىٰ ذلك ، فلم يزل حتىٰ أخرجها ، فلما رآها وسمع غناءها ظاهرةً شُغف بها وهويته أيضاً وكان جميلاً .

فكان يأتي مولاها ويغشاه ليسمع غناءها ويراها . فزعموا أنها قالت له يوماً علىٰ خلوةٍ : أنا والله أحبّك ، قال : وأنا والله ، قالت : وأحبّ أن أضع بطني علىٰ بطنك ، قال : وانا والله أحبّ ذاكِ ، قال : فما يمنعك إن موضعنا خالٍ ؟ قال : إني سمعت الله يقول : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ

---

(١) منّة : الإحسان والإنعام ـ اللسان ـ .

﴿لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[1] وأنا أكره أن تؤول خِلّتنا إلىٰ عداوة ، ثم قام فانصرف وعاد إلىٰ عبادته ، وقد كان قال فيها شعراً منه : [من الطويل]

أَلَـم تَـرَهـا لا يُبعِـدُ اللهُ دَارَهـا ... إذا طَرَّبَتْ في صوتِها كيفَ تَصْنَعُ
تَمُــدُّ نِظَــامَ القَــوْلِ ثُــمَّ تــردُّهُ ... إلىٰ صَلْصَلٍ من صَوْتِها يَتَرجَّعُ

ومنه أيضاً : [من الكامل]

مـا بـالُ قلبِـكَ لا يـزالُ يَهيجُـهُ ... ذِكـرٌ عَـواقِـبُ غِبِهِـنّ سقَـامُ
بـاتَـتْ تُعلِلنـا وتحسَـبُ أَنّنـا ... فـي ذاكَ أَيْقَـاظٌ ونحـنُ نِيـامُ
حتّىٰ إذا سَطَع الصباحُ لناظِرَيْـ ... ـنـا ذا وذلِـكَ بينَنـا أحـلامُ
قد كنتُ أَعذلُ في السَّفاهَةِ أَهْلَها ... فـاعجَـبْ لما تـأتـي بِـهِ الأيّـامُ
فَـاليـومَ أَعـذرهُـم وأعلَـمُ أنمـا ... سُبُـلُ الضّـلالَـةِ والهُـدىٰ أَقسـامُ

ومنه : [من الطويل]

أَلا قُلْ لِهٰذا القلبِ هَلْ أنتَ مُبصِرُ ... وهل أنتَ عن سَلاّمَةَ اليومَ مُقْصِرُ
أَلا لَيْتَ أَنّي حَيْثُ صارتْ بِها النَّوَىٰ ... جليسٌ لسلمىٰ كُلَّما عَجَّ مِزْهَرُ[2]
إِذَا أَخذَتْ في الصَّوْتِ كادَ جليسُها ... يَطيـرُ إليهـا قلبُـهُ حيـنَ ينظُـرُ
كَـأَنَّ حَمـامـاً راعبيّـاً معلمـاً ... إِذا نَطَقَـتْ مـن صَـدْرِهـا يتغَشْمَـرُ

ومنه : [من الوافر]

علـىٰ سَـلاّمَـةَ القلـبِ السَّـلامُ ... تحيَّــةُ مَــنْ زِيــارتُــهُ لَمَــامُ
أُحِــبُّ لقــاءَهَــا وألــومُ نَفْســي ... كــأَنّ لِقــاءَهــا منّــىٰ حَــرامُ
إذا مـا عَـجَّ مِـزْهَـرُهـا وَعَجَّـتْ ... أَصَـاخَ إلـىٰ مَقَـالَتِهـا الكـرامُ
وأَصْغَـوْا نحـوَهـا الآذانَ حتّـىٰ ... كــأنّهُــمُ ومــا نَــامُــوا نِيــامُ

---

(١) سورة الزخرف رقم ٤٣ الآية رقم : ٦٧ .
(٢) المزهر : العود الذي يُضرب به ـ الصحاح ـ

ومنه قوله : [من البسيط]

سلامٌ وَيْحَكِ هَلْ تحبينَ مَنْ ماتا ... أَوْ تُرجعينَ علىٰ المحزونِ ما فَاتَا
ادعي بِمزهَرِكِ المَحْنوِّ فاحتَفِلي ... ثُمَّ امْنَحي السَّمْعَ منّي منكِ أَصواتا

ومنه : [من السريع]

سَلاَّمُ هَلْ لي منكمُ ناصِرُ ... أَمْ هَلْ لقلبي عنكُمُ زاجِرُ
قد سَمِعَ النّاسُ بوَجدي بكمْ ... فمنهُمُ اللاّئمُ والعَاذِرُ

قال : فشهر أمر عبد الرحمن القسّ حتىٰ نسبها الناس إليه ، فقالوا : سلاّمة القس .

وفي سلامة يقول عبيد الله بن قيس الرّقيات : [من الطويل]

لقد فَتَنَتْ رَيَّا وسلاّمَةُ القَسَا ... فلم يترُكا للقَسِّ عَقلاً ولا نَفْسا
فَتَاتانِ أمّا منهما فَشبيهةُ الهلالِ ... وأخرىٰ مِنهُما تُشْبِهُ الشَّمْسا
يكُنّانِ أَبْشاراً رِقاقاً وَأَوجُهاً ... عِتاقاً وأَطرافاً مخضَّبَةً مُلْسَا

وغنىٰ في الشعر مالك بن أبي السمح ، وفيها يقول ابن قيس أيضاً :

[من البسيط]

أختانِ إحداهُما الشمس طالعَةٌ ... في يَوْمِ دَجْنٍ وأخرىٰ تُشبِهُ القَمَرا

شراء يزيد بن عبد الملك سلاّمة القَسّ

٨٠ ـ أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن ابن جُعديه ، قال : قدم يزيد بن عبد الملك المدينة في خلافة سليمان أخيه ، فتزوّج سعدة بنت عبد ا لله بن عمرو بن عثمان بن عفان علىٰ عشرين ألف دينار ، ورُبيحة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر علىٰ مثل ذلك .

فلما ولي الخلافة اشترىٰ سلاّمة القَسّ من سهيل بن عبد الرحمن بن

عوف بأربعة آلاف دينار [٦٨/٥٣٨] ، ويقال التي تزوّج رقيّة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وتزوّجُهُ سعدة أثبت .

وقال المدائني : كانت حَبَابة تسمىٰ العالية ، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة ، فلما قدم يزيد وتزوّج ابنة عبد الله بن عمرو ورُبَيحة بنت محمد ، اشترىٰ العالية من مولاها بأربعة آلاف دينار ، وبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجرنّ علىٰ هذا المائق السفيه ، فلما بلغه قول سليمان ، استقال مولىٰ العالية فأقاله ، وشخص بها مولاها إلىٰ أفريقية فباع العالية هناك ، فلما استخلف يزيد واشترىٰ سلامة من مولاها ، قالت له ابنة عبد الله بن عمرو بن عثمان امرأته : هل بقي لك من الدنيا شيء مما تحبّه لم تنله ؟ قال : نعم العالية وقد بلغني أنها بيعت بأفريقية ، فبعثت بعض مواليها إلىٰ أفريقية فاشتراها بأربعة آلاف دينار وقدم بها ، فهيأتها ابنة عبد الله بن عمرو وأجلستها في البيت وقالت ليزيد : إن رأيت العالية تعرفها ؟ قال : نعم لقد رأيتها فما أنساها ، فرفعت الستر فرآها ، فقال : هي هذه ، قالت : فهي لك وأخلتها فسمّاها حبابة ، وحظيت ابنة عبد الله بن عمرو عنده .

حبابة ترضى وتغضب على خالد بن عبد الله بن عمرو .

٨١ ـ وخطب يزيد إلى خالد بن عبد الله بن عمرو أخي سعدة ابنة أخ له ، فقال : أما يكفيه أن أختي عنده ؟ ويجيء يخطب إليّ بنات أخي ، فغضب يزيد من ذلك ، وقدم خالد يسترضيه .

فبينا هو في فسطاطه أتته جاريةُ لحبَابة في خدمها ، فقالت : مولاتي تقرأ عليك السلام وتقول قد كلّمت أمير المؤمنين فيك فرضي عنك ، فارفع إليّ حوائجك ، فرفع رأسه إلى من حضر ، فقال : من مولاتها فقالوا : حبابة وحدّثوه حديثها ، فقال للجارية : ارجعي إلى مولاتك

فقولي لها : إن للرضى سبباً لست به ، فشكت حبابة ذاك إلى يزيد ، فغضب وأرسل إلى خالد أعواناً ومعهم خدم حبابة فاقتلعوا فسطاطه وقطعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى من معه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟ قالوا : رُسل حبابة ، فقال : مالها أخزاها الله ما أشبه رضاها بغضبها .

حبابة تحرك مشاعر يزيد

٨٢ ـ وذكروا أن يزيد أقبل يوماً يريد البيت الذي فيه حبابة فقام من وراء الستر فسمعها ترنّم وتقول : [من الخفيف]

كانَ لي يا يزيدُ حبُّكَ حَيْنا ... كاد يقضي عليّ يومَ التَقَيْنا

فرفع الستر فوجدها مضطجعةً مُحوّلةً وجهها إلى الحائط ، فعلم أنها لم تعلم به ولم ترده بما قالت في ذلك الوقت ليسمعه ، فألقى نفسه عليها يقبّلها وحرّكت منه .

يزيد يريد أن يطير :

٨٣ ـ قالوا : وجلس يزيد يوماً وحبابة عن يمينه وسلاّمة عن يساره . فغنّت فطرب وقال لحبابة غنّي صوتاً فغنّت : [من الطويل]

وبينَ التّراقي واللَّهَاةِ حَرارَةٌ ... مكانَ الحَشَا ما تَطمئِنٌّ فتبرُدُ

فقال : أطير ومد يديه ، فقالت : كما أنت إن لنا فيك حاجةً ، فقال : والله لأَطيرنّ ، فقالت : علي من تخلف الخلافة والملك : قال : عليك والله .

المدائني قال : غنّت حبابة يوماً فطرب يزيد طرباً ، فقال لها : يا حبيبتي هل رأيت أطرب مني قطّ ؟ قالت : نعم ، معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيّار ، فكتب إلى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس عامله على المدينة في إشخاصه إليه ، فأشخصه مكرّماً ، فلما بلغه ما أراد منه ،

قال : سوءةً أعلى كبر السنّ يُستدعى طربي ، فلما قدم على يزيد دعا يزيد لنفسه بطنفسه خزّ ، ودعا له بمثلها ، وأمر فأتي بجامَيْن مملوءَيْن مسكاً فوضعتْ بين يديه واحدة وبين يدي معاوية واحدة ، ثم دعا بحبابة فغنّت فأخذ معاوية وسادةً فوضعها على رأسه وجعل يدور في البيت ويصيح : الدَّجْرُ بالنَّوَى[1] ، الدّجر بالنوى ، فأعجب به يزيد فضحك ، وأمر له بثمانية آلاف دينار .

وحدثني صاحب لي عن الزبير بن بكّار الزبيري[2] : أن يزيد بن عبد الملك ، قال لحبابة وسلاّمة : أيتكما غنّتني ما في نفسي فلها حكمها ، فغنّته سلاّمة فلم تُصبْ إرادته ، ثم غنّته حبابة : [من الخفيف]

خلقٌ من بَني كنانَةَ[3] حولي بفلسطينَ يُسرعونَ الرّكُوبا

فأصابت ما في نفسه ، فقال : احتكمي ، قالت : تهب لي سلاّمة ومالها . قال : اطلبي غيرها فأبت ، فقال : خذيها ومالها ففعلت ، فتداخل سلاّمة من ذلك أمرٌ جليلٌ ، فقالت له حبابة لن ترى منّي خيراً ، فسألها يزيد أن تبيعها منه بحكمها ، فقالت : أشهد أنها حرّة فاخطبها إليّ حتى أزوّجك إياها فأكون قد زوّجتك مولاتي ، فضحك .

وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن ابن كناسة أخبره أن حبابة وسلاّمة اختلفتا في صوت لمعبَد وهو : [من الوافر]

ألا حيِّ الديّارَ بسعد إني أحبُّ لحبِّ فاطمَةَ الدّيارا

---

(١) الدَّجر : اللوبياء وفي حديث عمر قال : اشتر لنا بالنوى دجراً ـ اللسان ـ

(٢) الزبيري نسبة إلى الزبير بن العوام وهو الزبير بن بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

(٣) نسبة إلى قبيلة كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

فبعث يزيد إلى مَعْبَد فأُتي به فسأله عما بعث له إليه فأخبر ، فقال : لأيتهما المنزلة فقيل لحبابة ، فلما عرضتنا الصوت عليه قضى لحبابة ، فقالت سلاّمة : والله ما قضى لها إلا لحظوتها وإنه ليعلم أني المصيبة ، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته فإن له حقاً فأذن لها ، فقال معبدٌ : فكانت أوصل لي من حبابة .

قالوا : ودخلت حبابة ذات يوم على يزيد وعلى يدها دُفّ وهي تغني : [من المنسرح]

ما أَحسنَ الجيدَ من مُليكَةَ والـلَّبَّاتِ إذْ زَانَها ترائبُها
يا ليتني وإلا له إذ هَجَعَ الناسُ ونامَ الكلابَ صاحبُها
في ليلةٍ لا يُرى بِها أَحَدٌ يخبر عَنّا إلاّ كَواكبُها

والغناء لابن سريج ، فقام إليها يزيد فقبّل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : سخنت عينك ما أسخفك .

وقال أبو الحسن المدائني : مرضت حبابة فقعد يزيد عند رأسها ، وقال : كيف أنت بأبي ، فلم تجبه فبكى ، ويقال كان يزيد وحبابة في بستان فضاحكها ومازحها ، فأخذ حبّةً من عنب فحذقها بها فدخلت فمها فأصابها شَرقٌ وكان ذلك سبب مرضها التي ماتت فيه .

وقال هشام بن الكلبي عن عوانة ، قال : قال مسلمة بن عبد الملك : خرجتُ مع يزيد في جنازة حبابة ، فجعلت أعزّيه وأسلّيه وهو ضارب بذقنه على صدره ما يجيبني بكلمة ، فلما انصرفنا ودنا من باب القصر ، قال : [من الطويل]

فإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدعِ الصّبا فَباليأسِ تسلو عَنْك لا بالتّجلُّدِ

ثم دخل قصره فوالله ما خرج منه إلا ميتاً لحزنه وكمده عليها .

وقال أبو الحسن المدائني : لما دفن يزيد حبابة مرض فمات بعد أربعين ليلة ، ويقال بعد خمس عشرة ليلةً .

وقال رجل من أهل الشام : أتى يزيد من ناحية الأرض وحبابة معه ، فماتت فمكث ثلاثاً لا يدفنها حتى أنتنت وهو يشمّها ويقبلّها وينظر إليها ويبكي ، فكُلّم في أمرها حتى أمر بدفنها فحُملت في نطع وخُرج بها وهو معهم حتى أجنّها[1] ثم أنشد قول كُثَير : [من الطويل]

فإن تَسْلُ عنك النفسُ أو تَدَعِ الصّبا ... فَبِاليأسِ تَسلُو عنكِ لا بالتَّجلُّدِ

فما مكث إلاّ أياماً حتى دُفن إلى جانبها .

وروى الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش : أن يزيد أراد الصلاة على حبابة ، فسأله مسلمة بن عبد الملك ألا يفعل ، وقال : أنا أكفيك الصلاة عليها فتخلّف يزيد ومضى مسلمة فأمر بعض أصحابه فصلى عليها .

وقال بعضهم : نُبّيت أن يزيد ضعف حين ماتت حبابة فلم يستطع الركوب من الجزع ، وعجز عن المشي فأمر مسلمة فصلى عليها ، ثم قال يزيد : إني لم أصل عليها فانبشوا عنها وأَخرجوها حتى أصلي عليها ، فقال له مسلمة : أنشدك الله أن تفعل ، فأمسك ولم يزل كئيباً ولم يأذن للناس عليه إلا مرّةً واحدة حتى مات ، وصلى عليه مسلمة .

وقال المدائني : جعل يزيد يطوف في داره فيقف على المواضع التي كانت حبابة تقعد فيها ، فبينا هو كذلك إذ سمع وصيفة كانت لها تنشد : [من الطويل]

كَفَى حَزَناً لِلهائِمِ الصّبِّ أَنْ يَرَى ... منـازِلَ مَـنْ يَهـوى مُعطَّلـةً قَفْـرا

---

(١) أجنّها : أي أنزلها القبر لأن القبر يسمى الجَنن .

فبكى ، وكان يجلس تلك الوصيفة عنده فيحدّثها ويذاكرها أمر حبابة ويأنس بها حتى مات .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، قال : أراد يزيد أن يتشبّه بعمر بن عبد العزيز في بعض أيامه ، فبدا لحبابة هجران منه ، فأرسلت إلى الأحوص ، وكان مقيماً عنده : أنشد أمير المؤمنين شيئاً يدعوه إلى ترك ما أخذ فيه فأنشده : [من الطويل]

ألا لا تَلُمْــهُ اليــومَ أن يَتَبلّــدا ... فقـد غُلـبَ المحـزونُ أَنْ يَتَجلَّـدا
بَكيْتُ الصِّبا جَهْدي فمن شاءَ لامَني ... وَمَنْ شاءَ آسى في البكاءِ وأَسْعَدا
فإن كنتَ مِعزافاً عن اللَّهوِ والهَوى ... فكُنْ حَجَراً من يابسِ الصَّخرِ جَلْمَدَا
هَـلِ العَيْـشُ إلاّ مـا تَلَـذُّ وتشتَهـي ... وإن لامَ فيـه ذو الشَّنَـانِ(١) وفَنَّـدا

[٦٨/٥٣٩] فقام يزيد وهو يقول : هل العيش إلا ما تلذّ وتشتهي ، حتى دخل على حبابة وعاد إلى أمره الأول ، ثم ماتت فجزع عليها ، وخرج حاملاً جنازتها حتى كلّمه مسلمة في ذلك فرجع إلى قصره ومات بعدها بخمسة عشر يوماً .

وقال المدائني : لم يعلم بموت يزيد بن عبد الملك حتى سمعوا صوت سلاّمة من فوق القصر ، وهي تقول : [من مجزوء الرمل]

قــد لَعَمــري بــتُّ ليلــي ... كــأخــي الــدَّاءِ الــوجيــع
وَيَبيــــتُ الحــــزنُ منّــــي ... دون مــن لــي مــن ضَجيــعِ
كلّمـــا أبصـــرت رَبْعـــاً ... خــاليــاً فــاضــتْ دمــوعــي
مــوحشــاً مــن سيــدٍ كــا ... ن لنــــا غيــــرَ مُضيــــعِ

---

(١) الشَّنَان : البغض لغة في الشنآن ـ الصحاح ـ

وَاأمير المؤميناه . والشعر لبعض الأنصار إلاّ البيت الأخير .

وقال بعض الرواة : اشترى يزيد حَبّابة وسلاّمة بمئتي ألف دينار ، والأول أثبت .

أمر عمر بن هبيرة في أيام يزيد بن عبد الملك

٨٤ ـ حدّثني جماعة من أهل العلم سقت حديثهم ورددت من بعضه على بعض ، قالوا : قدم عمر بن هبيرة بن مُعَيّة[١] بن سُكين بن خُديج بَن بغيض بن مالك بن سعد بن عديّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس من البادية ، فافترض مع مدد أمدّ به بعض ولاة الحرب ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا تنقضي الأيام حتى ألي العراق ، وكان شخص مع عمرو بن معاوية العُقَيلي[٢] في غزو الروم .

فأُتي عمر بفرس رائع إلا أنه كان إذا دنا منه من خلفه رمح ، وإن دنا من بين يديه كَدم ، فكانٍ لا يستطاع ركوبه ، فقال عمرو بن معاوية : من ركبه فهو له ، فقام ابن هبيرة فشدّ عليه ثوبه ثم تنحّى عن الفرس ، وأقبل يحضر[٣] حتى إذا كان بحيث تناله رجلا ذلك الفرس إن رمحه ، وثب فصار في سرجه ، وطعنه في بعض حروبه طاعن فأرداه عن فرسه فسقط إلى الأرض ، ثم إنه وثب فاستوى على ظهر فرسه .

ولما خلع مُطرّف بن المغيرة بن شعبة الحجاج ، وأمر الحجاج عدي بن وتّاد الأيادي[٤] بالمصير إليه من الريّ لمحاربته ، كان عمر بن هبيرة

---

(١) في هامش المخطوط : مُعيّة هو معاوية .

(٢) العقيلي نسبة إلى بطن عقيل من بني عامر بن صعصعة وهو عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

(٣) حضر الفرس : إذا عدا : أي يعدو .

(٤) الأيادي نسبة قبيلة أياد وهو أياد بن نزار بن معدّ بن عدنان .

بالريّ معه ، وهو مغمور فسار في جنده ، فلما التقى عديّ ومُطرّف جنح ابن هبيرة إلى صف مُطرّف فحكّم وتشبّه بمن معه وآمنه مُطرّف وأمنه ، فلما جال الناس ودخل بعض في بعض ، وثب ابن هبيرة على مطرف فضربه فقتله واحتزّ رأسه ، ويقال بل قتله غيره واحتزّ رأسه ودفنه في خيمته ، فلما أجلت الحرب فانهزم من بقي من أصحاب مُطرّف ، أتى عديّاً بالرأس فأعطاه مالاً ، وأوفده بالرأس إلى الحجاج فأوفده الحجاج إلى عبد الملك ، فأجاز عبد الملك ابنَ هبيرة وأقطعه قطيعة ببرزة[١] ، ورجع إلى الحجاج فحرّكه في أمور وجّهه إلى كردم بن مرثد الفزاري وهو على جآزر والمدائن في حمل مالٍ فحمله ، وكان مبلغه ثمانين ألف درهم .

ثم هرب فلحق بعبد الملك ، فقال : أنا عائذ بالله وبأمير المؤمنين من رجل يطلبني بِترةٍ وإحنه[٢] ، قتلت ابن عمه مُطرّفاً وأتيتُ أميرَ المؤمنين برأسه ثم رجعت فأراد قتلي ، فلست آمن أن ينسبني إلى أمرٍ يكون فيه هلاكي ، فقال : أنت في جواري ، فأقام وكتب فيه الحجاج يحكي أمره وهروبه بالمال ويسأل ردّه إليه .

فكتب عبد الملك : أمسك عن ذكره واله عنه ، وزوّج عبد الملك ابناً له ابنةً للحجاج فكان عمر بن هبيرة يلطفها بما يلطف به مثلها ويشير عليها بالرأي ، فكتبت إلى أبيها تثني عليه ، فكتب إليه الحجاج كتاباً لطيفاً وأمره أن ينزل به حاجاته .

وروي أيضاً : أن ابن هبيرة قدم الشام في أيام ابن الأشعث يطلب

---

(١) برزة : قرية من غوطة دمشق ـ معجم البلدان ـ وقد التصقت الآن بدمشق وأصبحت من أحياء دمشق .

(٢) إحنة : ثأر .

الفريضة ، وهو أعرابي ففرض له مع خريم[1] بن عمرو المريّ في ثلاثين درهماً ، ثم زيد عشرةً مع من شهد الجماجم فكان في أربعين ، وكان يأتي كردماً[2] وصار إليه بفارس فلم يلق منه خيراً ، فمرّ بالمهلب بن أبي صُفرة فسلم عليه وكلّمه ، وقال : أرآك الحجاج ؟ قال : لا ، قال : أما لو رآك لاستغنيت عن كردم وأشباهه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكان يشكر المهلب على ذلك ، وقدم بأسرى آل المهلب على يزيد ابن عبد الملك حين قدم بهم فشفع فيهم .

وقيل : إن الحجاج وجّه إلى مُطرّف قبل عدي بن وتّاد علقمة بن عبد الرحمن أو خُريم بن عمرو وكان عمر بن هبيرة معه .

وقال بعضهم : قاتل خُريمٌ مُطرّفاً فقتله وبعث برأسه إلى الحجاج مع ابن هبيرة ، والله أعلم .

عمر بن هبيرة يمنع سبي نساء آل المهلب

٨٥ ـ حدثني علي بن المغيرة عن الأصمعي ، قال : بعث الحجاج خُريماً فقتل مُطرِّفاً وبعث برأسه مع ابن هبيرة ، فزاده الحجاج على رزقه عشرةً فصار رزقه خمسين درهماً ، ثم أوفده الحجاج بالرأس إلى عبد الملك فزاده في رزقه عشرةً تتمة ستين ، وأقام بالعراق حتى وليه

---

(١) خُريم (الناعم) بن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة بن مرّة بن نشبة بن غيظ بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وكان يقال له الناعم لجمال ساقيه حتى أنه كان مرّ بمعاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : إيه يا خريم لو أن ساقيك على جارية فقال : بعجيزة أمير المؤمنين وكان معاوية مشهور بكبر العجيزة ، فقال واحدة بواحدة والبادئ أظلم .

(٢) كردم بن مرثد من شمخ بن فزارة وشمخ بطن من فزارة وهو كردم بن مرثد بن مرثد بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن ربيعة بن عوف بن هلال بن شمخ (البطن) بن فزارة .

يزيد بن المهلب فوصله بثلاثة آلاف درهم دفعها إليه مروان بن المهلب ، ثم أتى كردماً وهو على خراج فارس من قبل الحجاج ، والمهلب بإزاء الخوارج بشيراز فلم يصنع به كردمٌ خيراً ، فأتي المهلب ، فلما كلمه قال : أنت والله أحقّ بالعمل من ابن عمّك وأمر له بعشرة آلاف درهم، وذلك قبل صلة يزيد إيّاه بالثلاثة آلاف ، لحين قال : وهمّ ابن عاتكة[1] بسبي نساء آل المهلب ، فطلب إليه ابن هبيرة فيهنّ ، فكتب كتباً كثيرةً حتى كفَّ ، فكان ذلك مما يعدّ شكر ابن هبيرة للمهلب ويزيد ابنه .

المدائني ، قال : غلبت حبابة على يزيد بن عبد الملك ، وانقطع إليها عمر بن هبيرة وكان يهدي إليها فلطفت منزلته من يزيد ، حتى كان يدخل عليه في أي الأوقات شاء .

قال : وحسد قوم من بني أمية مسلمة بن عبد الملك وقدحوا فيه عند يزيد ، وقالوا : ولّيته العراق فإن اقتطع من خراجه شيئاً أجللته عن تكشيفه لسنّة وبلائه وحقه . وقد علمت أن أمير المؤمنين عبد الملك لم يُطمع أحداً من أهل بيته في ولاية الخراج . فوقع ذلك في نفس يزيد وعزم على عزله ، وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة ، فكانت تعمل له في ذلك حتى ولاّه إياه يزيد .

وقال المدائني والهيثم بن عدي : كان الذي بين عمر بن هبيرة وبين القعقاع بن خُليد العبسي[2] سيّئاً . وكانا يتحاسدان فقيل للقعقاع إن ابن

---

(١) ابن عاتكة هو يزيد بن عبد الملك كان يسمى ابن عاتكة وهي أمه بنت يزيد بن معاوية وكانت من أشهر نساء بني أمية ، وكانت ترفع خمارها أمام اثني عشر خليفة كلهم محرّم عليها .

(٢) القعقاع بن خُليد (وخليد بيت بني عبس) بن جزء بن الحارث بن زهير بن جَذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطيعة بن عبس بن بغيض .

هبيرة قد أشرف على ولاية العراق ، قال : ومن يطيق ابن هبيرة ، حبابة بالليل وهداياه بالنهار ، فلم تزل حبابة تعمل لابن هبيرة حتى ولي العراق ، وماتت حبابة فقال القعقاع : [من الطويل]

هلمَّ فقد ماتت حبابَةُ سامني بنفسك تقدمك الذُّرى والكواهِلُ
أَغرَّكَ أن كانت حبابَةُ مُرَةً تميحكَ فانظر كيفَ ما أنتَ فاعِلُ
فأُقسِمُ لولا أنّ فيكَ مَغَالةً[1] وبخلاً وغَدْراً سوَّدَتْكَ القَبائِلُ

المدائني ، قال : قاول ابنَ هبيرة القعقاعُ فقال لابن هبيرة : يابن اللخناء ، فقال عمر : يابن الفحواء قدّمتك أعجاز النّساء[2] وقدّمتني صدور القنا .

ولاية عمر بن هبيرة العراق

٨٦ ـ قال : وأراد مسلمة أن يفد إلى يزيد ، فقال له الأصمّ عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي[3] : إنك لذو عهدٍ به قريب ، فأقم فأبى ، فقال عبد العزيز : إن لم تقم فأوّل من يلقاك عاملٌ على عملك ، فلقيه ابن هبيرة مقبلاً إلى العراق فأعظم مسلمة وترجّل له ، فقال له : إلى أين يا بن الهبيرة ؟ قال : بعثني أمير المؤمنين لاصطفاء أموال بني المهلب ، فقال : في حفظ الله ، فلما خرج قال له الأصمّ ، والله ما هو إلاّ والٍ مكانك ، وولي العراق ، وخراسان ، فقال الفرزدق : [من الكامل]

---

(١) مغالة : وشى ووقع فيه عند السلطان ـ اللسان ـ.

(٢) الذي قدّم بني عبس ولادة بنت العباس العبسي أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك ولذلك يقول له : إعجاز النساء .

(٣) عبد العزيز بن حاتم (وكان حاتم سيد أهل الجزيرة) بن النعمان بن عمرو بن جابر بن عمارة بن عبد العزى بن عامر بن عمرو بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك (باهلة) بن منبه (أعصر) بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

راحت بمسلَمَة البغالُ مُودَّعاً فارعَي فَزَارةُ لا هَنَاكِ المرتَعُ
ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرت أَن سوفَ تطمعُ في الإمارةِ أشجَعُ[1]
وأرى البلادَ تنكَّرت أعلامُها حتى أميّة عن فزارةَ تنزَعُ
مُزعَ ابن بشرٍ وابنُ عمرٍو قبلَهُ وأخو هُراةَ لمثلِها يتوقَّعُ

عبد الملك بن بشر ، ومحمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة ، وأخو هراة سعيد بن عبد العزيز خدينة . فعارضه خليفة بن برّاز الأقطع مولى بني قيس بن ثعلبة ، فقال :

قل للفرزدق إن فَزَارةُ أرتَعوا فانهَوا قُيونَ مُجاشِعٍ أن يجزَعُوا[2]

في أبيات ، فعرَّض لخليفة حكم القرد مولى بني الهجيم[3] فقال :

[من الوافر]

إليَّ هلمَّ دون أبي فِراس فقد لاقيتَ أشوَسَ[4] ذا مِراسِ

قالوا : ولما قدم ابن هبيرة شخص عبد الملك بن بشر واستخلف على البصرة شريك بن معاوية الباهلي أحد بني قتيبة ابن معن ، فأقرَّه ابن هبيرة يسيراً ثم عزله ، وولّى سعيد بن عمرو الحرشي البصرة ، فولى شرطه شريك [٥٤٠/٦٨] بن معاوية ، وكان شريك يلقَّب مقابل الرّيح ، وكان آدم[5] طوالاً يقابل الريح فيقول : شمال جنوب صبا دبور فقيل مقابل الريح ، ثم عزل ابن هبيرة سعيد الحرشي ، وولاّه خراسان واستعمل على

---

(١) أشجع بطن من قيس وهو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس .

(٢) مجاشع بطن من تميم ومنهم الفرزدق وهو مجاشع بن دارم بن مالك (الفَرف) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٣) والهجيم بطن من تميم وهو الهجيم بن عمرو بن تميم .

(٤) الشوَس : النظر بمؤخر العين تكبّراً أو تغيظاً ـ اللسان ـ .

(٥) آدم : شديد السمرة .

البصرة حسان بن مسعود بن عبد الرحمن بن مسعود الفزاري ، وكان فراس بن مسعود زوج أمّ ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة زوج أمّ حسان ابن مسعود . ثم عزل حسان وولّى البصرة فِراس بن سميّ الفزاري فولى شرطته محمد بن رباط الفُقَيمي[1] ، فهجا الفرزدق ابن رباط وقال :

[من الطويل]

بكى المِنبرُ الشرقيُّ والناسُ إذ رَأَوا ... عليه فُقَيميّاً قصيرَ القَوائِمِ

أليسَ عجيباً أن يسودَ مُحمّدٌ ... ألا تلكَ من إحدى الدّواهي العَظائِمِ

وأرسل فِراس بن سميّ يطلب الفرزدق فحذره فهرب ، فأرسل إلى النوّار امرأته فحبسها ولحق الفرزدق بالبادية ، ثم لحق بيزيد بن عبد الملك ، وقال ليزيد : [من الطويل]

سبقتُ إليكَ الطّالبينَ وإنهُم ... لَخَلفي وقُدّامي على كُلِّ مَرصَدِ

فأجاره ووصله وأحسن الأحوص[2] محضره عنده .

وقالوا : عزل ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان ، وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة[3] الكلابي ، فلما قدم على سعيد قيّده وحمله إلى ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة أمره بذلك ، فلما أدخل

---

(١) الفقيمي : نسبة إلى فقيم وهو بطن من قبيلة كنانة ، وهو فُقَيم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن عمرو (مدركة) بن إلياس بن مضر .

(٢) الأحوص : مرّ معنا سابقاً وقال عنه المؤلف أنه مرمى بالأبنه . وقرأت في بعض كتب الأدب أنه كان يفضل الفرزدق على جرير فاجتمع معه جرير وهو لا يعرفه فلما عرفه أراد أن يخزيه لتفضيله الفرزدق عليه فقال له : ألست القائل : يقرّ بعيني ما يقر بعينها ، فقال : نعم والله فقال جرير : ورب الكعبةِ لا يقرّ بعينها إلا إذا دخل فيها مثل ذراع البكر أيقرّ بعينك ، فأخجله .

(٣) مُسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن علَس بن عمرو بن خويلد بن نُفيل بن عمرو بن كلاب .

إليه قال له ابن هبيرة : يابن نسعة[١] فعلت وفعلت ، قال : يابن بُسرة[٢] لم أفعل . فغضب ابن هبيرة فأمر به فضرب مئة سوط وعُذِّب ثم نفخ في دبره بكير وأمر به فحبس . بُسرة بنت الحارث بن عمرو بن حرجة الفزاري .

وقال معقل بن عروة القشيري[٣] : قدمت العراق فوجدت سعيداً صعلوكاً خاملاً فولّيته خراسان فبعث إليّ ببرذونين أعرجين ، ودعوته لأعاتبه وقلت له : يابن نسعة ، فقال لي يابن بُسرة ، فقال معقل أو فعل ابن الزانية ؟ قال : نعم فأتاه معقل وهو في السجن ، فقال يابن نُسعة التي اشتُريت بثمن عنز جرباء رافعة رجليها للصادر والوارد ، أجعلتها إلى ابنة الحارث بن عروة بن حرجة .

فلما قدم خالد بن عبد الله[٤] والياً على العراق استعداه سعيد على معقل فضربه له الحدّ ، فقال رجل من بني كلاب لمعقل : يابن عروة كيف رأيت عاقبة الظلم ؟ ظلمت ابن عمك فضربك حداً وتركك لا تُقبل لك شهادة أبداً ، فقال معقل : فهل لك أن انحلك بمثلها وتحدني ، قال : لا والله وما حاجتي إلى ذلك !

فقال سعيد لمعقل : والله لولا ما أوهى مني ابن هبيرة لثقبت عن

---

(١) النسع : سير يضفر على هيئة أعنّة النعال تشدّ به الرحال والقطعة منه نِسعة ـ اللسان .

(٢) البُسرة بالضم راس قضيب الكلب ولوأنه سماها بعد ذلك ولكنه يقصد الشتم .

(٣) نسبة إلى بطن من قيس وهو قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

(٤) هو خالد بن (القسري) عبدالله بن يزيد بن اسد بن كرز بن عامر بن عبدالله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن مالك (قسر) بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

جوفك بخمسة أسواط ، وكان يقول : أوهى ابن هبيرة فعل الله به وفعل مني بصراً حديداً وساعداً شديداً .

عمر بن هبيرة يسمّي رجل قيس .

٨٧ ـ وقال عمر بن هبيرة لجلسائه : من رجل قيس الذي يقوم بأمرها إن اضطرب الحبل ؟ قالو : الآمير ، قال : ما صنعتم شيئاً . أما الذي تلقي إليه قيس مقاليدها ، فالأحمر الذي لو تورّى[١] ناره لأتته عشرون ألفاً لا يسألونه لم دعوتنا ، الهذيل بن زُفر بن الحارث[٢] ، وأما فارسها فهذا الحمار المحبوس سعيد بن عمرو الحرشي ، ولقد هممت بقتله ، وأما لسانها فالأصمّ بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ، وأما داهيتها فعثمان بن حيّان المرّيّ ، وأما أعطف قيس عليها وأبرّها لها فخشيت أن أكونه .

فقال له أعرابي من بني فزارة : ما أنت أيها الأمير كما وصفت ، قال وكيف ويحك ؟ قال : لو كنت أبرّها لم تحبس فارسها ثم تهمّ بقتله .

قالوا وولّى ابن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة ، ثم عزله فقال له أعزلتني عن خيانة أو تقصير في جباية ؟ فقال : لا فارجع إلى عملك ، فقال : ما كنتُ لألي إلاّ أجلُ منه ؛ فولاّه أصبهان ، ثم فعل معه مثل ذلك ، فقال له : مثل هذا القول حتى ولاّه خراسان ، وقال له : لا تتخذنّ في عملك ضيعةً فيصغر قدرك عند أهله ، ولا تتجرنّ في عملك فتغشّ رعيّتك ، وإن اشتكى لك عامل فاعزله .

---

(١) تورى ناره أي يزداد اشتعالها ويعلو لهيبها وهي علامة دعوة القبائل إليه فيأتونه عندما يشاهدونها .

(٢) هذيل من زُفر بن الحارث بن عبد عمرو بن خويلد (الصعق) بن نفيل بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال المدائني : لقي رجل رجلاً من فزارة ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من عند ابن عمّنا عمر بن هُبيرة ، فوالله لقد كلّمته في سيّد قيس سعيد بن عمرو ، وكلمته في سيد الموالي جبلة بن عبد الرحمن ، فوالله ما شفّعني لقد حملني ووصلني بعشرة آلاف درهم وإني لذامٌّ له .

المدائني قال : سأل رجل من عبس ابن هبيرة ، فمنعه فلما كان من الغد أتاه فسأله وقال : أنا العبسي الذي سألتك أمس ، قال : وأنا الفزاري الذي منعك أمس ، فقال : والله ما ظننتك إلا ابن هبيرة المحاربي ، قال ، فقال : والله أهون لك عليّ يموت مثله من قومك فلا تعلم بموته ، وينشأ مثلي في قومك فلا تعرفه .

وولّى عمر بن هبيرة أعرابياً من فزارة عملاً ، فلما رأى الناس يهدون في أمر النوروز أهدى إلى ابن هبيرة فَصّاً ، وقال : [من الطويل]

حَبَا الجامَ عُمالُ الخَراجِ وحَبوَتي ... مُحذَّفَةُ الأَذنابِ صُفرُ الشَّواكلِ

رعينُ الربا والهجلِ[1] حتى كأنَّما ... كساهُنَّ سلطانٌ ثيابَ المراجِلِ

يَحِلُّ بمُهديهِ لَعَمري فضيلةٌ ... على كُلِّ حّافٍ من مَعَدٍّ ونّاعِلِ

وولّى ابن هبيرة رجلاً همذان ، فأتى ماسبذان فأخذ عاملها فقيّده ، فقال العامل ووجوه أهل البلد : انظر في عهدك ، فنظر فإذا هو همذان ، فقال : خذوا عاملكم لا بارك الله لكم فيه ، وأتى همذان فعمد إلى رجل عليه خراج فنصبه ، ثم رماه بسهم فقتله فأعطوه خراجهم مبادرين ولم يلتووا عليه في درهم فما فوقه .

المدائني قال : ألقى ابن هبيرة إلى مثجور بن غيلان بن خرشة

---

(١) الهجل : المطمئن من الأرض ـ اللسان ـ .

الضَّبيّ[1] فَصّاً أزرق ، فقال له : اجعله في خاتمك فإنه حسن ، يريد قول الشاعر : [من الطويل]

لقد زَرَقَت عيناكَ يابنَ مُكَعبَرٍ   كما كلُّ ضَبيٍّ من اللُّؤم أَزرقُ

فشدّ مثجور على الفَصِّ سَيراً ورده عليه ، يريد قول سالم بن دارة : [من البسيط]

لا تأمننّ فَزَارياً خلوتَ بِهِ   على قَلُوصِك واكتُبها[2] بأَسيارِ

فقال ابن هبيرة : خرج منها .

قالوا : وتُنِبّي في ولاية ابن هبيرة رجلان ضبّيّ يقال له الأخطل ، ورجل من الموالي يقال له سعيد فكتب إلى يزيد في أمرهما ، فكتب : اقتلهما فقتلهما .

عمر بن هبيرة يعاقب امرأة تشكو زوجها الشيخ ومحاورته للحسن والشعبي .

٨٨ ـ العمري عن الهيثم بن عديّ بن عطاء ، قال دخلت امرأة جميلة على عمر بن هبيرة، فشكت زوجها وهو شيخ كبير، فقال الشيخ والله إنهم ليعلمون أني أقضي حقوقها وأقوم بنوائبها، فقال للمرأة: يا عدوة الله أحين أدبر غزيرة وأقبل هزيرة[3] إن دخل ذل وإن خرج طنّ[4] نشزت عنه تريدين

---

(١) مثجور بن غيلان ، كان من أشراف أهل البصرة ابن خَرشة بن عمرو بن ضِرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أدّ بن عامر(طانجة) بن إلياس بن مضر .

(٢) الكُتْبَة : ما تُسدّ به حياء البغلة أو الناقة وكتب عليها خزم حيائها بحلقة حديد لئلا ينزى عليها وبنو فزارة يُرْمون بغشيان الإبل ـ اللسان ـ .

(٣) الهزر : الغمز الشديد والغمز العصر براحة اليد والأصابع .

(٤) طنّ : يعني ضرط .

البدل منه ، خذ عدوة الله فأدخلها أضيق بيوتك ثم أوجعها ضرباً .

المدائني عن المفضل بن فضاله ، قال : بعث ابن هبيرة إلى الحسن[١] والشعبي ، فاجتمعا عنده ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك عبدٌ من عباد الله أخذ عهده لهم وأعطوه عهودهم ، أن يسمعوا له ويطيعوا ، وإنه يأتيني عنه أمور لا أجد من إنفاذها بُدّاً والحسن ساكت ، فقال له : ما تقول يا أبا سعيد ؟ قال : إن الله مانعك من يزيد وإن يزيدَ غير مانعك من الله ، وإنه يوشك أن ينزل بك أمر من السماء فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، فلا يوسعه إلا عملك يابن هبيرة ، إني أنهاك عن الله أن تتعرّض له ، فإن الله إنما جعل السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تركبوا عباد الله بسلطان الله فتذلّوهم ، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

المدائني ، قال : أُتي ابن هبيرة بقوم فأراد ضربهم ، فقال له عامرٌ الشعبي[٢] : أصلح الله الأمير إن أوّل من وضع الحبس كان حليماً ، فمر بحبسهم إلى أن تنظر في أمرهم ، فقال صدقت وحبسهم .

ما أشدّ لؤم ابن هبيرة ، ولؤم إياس بن معاوية .

٨٩ ـ المدائني قال : لما ولي عمر بن هبيرة العراق أراد الخيانة ، فخاف مكان صالح بن عبد الرحمن عند يزيد بن عبد الملك ، فقال لكاتبه ابن عبدة العنبري[٣] : هل إلى صالح سبيل ، قال : لا والله وكيف وهو

---

(١) الحسن يعني الحسن البصري أبو سعيد .

(٢) الشعبي : نسبة إلى حسان (شعبان) بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير .

(٣) نسبة إلى العنبر بطن من تميم وهو العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

أعفّ الناس إلاّ أن تظلمه ، قال : فكيف لي بظلمه ، قال : إنه كان دفع إلى يزيد بن المهلب ستمئة ألف درهم ولم يأخذ بها منه براءة .

فكتب ابن هبيرة إلى يزيد بن عبد الملك : أن لي إلى صالح حاجةً فإن رأى أمير المؤمنين أن يوجهه إليّ فعل ، قال : فدعا يزيد صالحاً فأخبره ، فقال : والله ما به إليَّ حاجةٌ ولقد تركت العراق ولو أتاه أكمه أبكم [٦٨/٥٤١]لعرف ما فيه ، فكتب ابن هبيرة يذكر ما قبله من المال ، فدعاه يزيد فأعلمه ذلك فانتفى منه وقال : والله ما بقي عليّ درهم ، قال : فانطلق إليه ليحاسبك ثم تعود ، فانحدر إلى العراق ، فأمر به ابن هبيرة فعذّب ، فكان كلما عذّب بنوع من العذاب ، قال : هذا القصاص قد كنت أَعذّب الناس بمثل هذا ، حتى عذّب بنوع من العذاب يدعى الفزاريّ ، فقال : هذا ممّا لم أعذّب به ، وكان إياس بن معاوية المريّ دلّ ابن هبيرة على ذلك .

فلما ألحّ ابن هبيرة على صالح بالعذاب جاء جَبَلَةَ بن عبد الرحمن أخو صالح وجَيهان بن محرز والنعمان الكسكري فضمنوا صالحاً وما عليه ، فقال الكاتب أحضروا المال ، قالوا قبل الليل ، فأعلم الكاتب ابن هبيرة ذلك ، فلم يخرج إليهم حتى أمسوا وانصرفوا ، وأصبح صالح ميتاً على مزبلة أُلقي عليها ليلاً وبه رمق حتى مات .

وقال أبو عبيدة : كان محمد بن سعد كاتب يزيد بن عبد الملك هو الذي عمل في حدر صالح إلى ابن هبيرة ، وذلك أن يزيد بن عبد الملك كان ولّى صالحاً خراج العراق ، وخافه مسلمة على إقطاعه فقال ابن سعد لصالح : احمل إليَّ مئتي ألف درهم ، فقال : ومن أين أحملها فو الله ما في مالي سعة لها ، وما كنت لأخون أمير المؤمنين ، فلما أفضى ابن سعد إلى صالح بذلك وجل منه فعمل فيه حتى حدره إلى ابن هبيرة .

وكان ابن سعد هذا مولى لبعض اليمانية ، وكان قد ولي قسمة أرزاق أهل اليمامة ، فأتاه جرير فحرمه فقال جرير : [من الطويل]

يَظَلُّ عيالي لا فواكِهَ عندَهُم وعندَ ابنِ سَعدٍ سكّرٌ وزبيبُ
وقد كان وما ظنّي يابن سعدٍ سَعادةً وما الظنُّ إلا مُخطىءٌ ومُصيبُ
فإن تُرجِعوا رِزقي إليَّ فإنَّهُ متاعُ ليالٍ والأَداء قريب[1]

أول من خان من عمال العراق ابن هبيرة

٩٠ ـ قالوا : وكان ابن هبيرة أول عمال العراق اختان ، فقال يوماً لإياس بن معاوية[2] : ما يقول الناس فيّ ؟ قال : خيراً أيها الأمير ، قال : أسألك بالله لما صدقتني . قال إياس والله لأوثرنّ الله عليك ، فقلت له : يزعم الناس أن الأمير صانع بالمال فإذا أتي به جاءت فلانة جاريته فاحتملته ، فقال ابن هبيرة : ما يخفى على الناس شيء ، ولم يعزل يزيد ابن هبيرة حتى عزله هشام حين استُخلف ، وولى العراق خالد بن عبد الله القسريّ .

المدائني ، قال : أتى ابن سيرين[3] واسطاً ، فسأله ابن هبيرة عن البصرة ، فقال : تركت الظلم بها فاشياً ، فغضب ابن هبيرة وأبو الزناد[4]

---

(١) هذه الأبيات موجودة في ديوان جرير وهي ستة أبيات مع اختلافٍ في الترتيب وبعض الكلمات .

(٢) إياس بن معاوية القاضي أدهى من ثعلب وهو إياس بن معاوية بن قُرّة بن إياس بن هلال بن رئاب بن عبيد بن سُواءة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سُليم بن أوس بن عمرو (مزينة) بن أدّ .

(٣) محمد بن سيرين الإمام شيخ الإسلام أبو بكر الأنصاري الأَنَسي البصري مولى أنس بن مالك وكان أبوه من سبي جَرْجرايا وأمه صفية مولاة لأبي بكر الصديق .

(٤) أبو الزناد عبدالله بن ذكوان الفقيه الحافظ المفتي أبو عبد الرحمن القرشي المدني وأبوه=

عنده فجعل يقول : إنه شيخ ، ثم عرض شيءٌ تكلّم فيه فضحك ابن هبيرة ، وأمر لابن سيرين بمالٍ فلم يقبله ، فقال إياس بن معاوية : ألا تقبل صلة الأمير ؟ فقال : إن كان صدقةً فلا حاجة لي فيها ، وإن كان لما علّمني الله فلست آخذاً عليه أجراً ، فأعجب به ابن هبيرة .

المدائني ، قال : التقى عمرو بن مسلم وجَبَلَة بن عبد الرحمن في طريق ضيّقة من طرق واسعة لا يجوز فيها فارسان ، فقال عمرو لجبلة : ارجع فقال : بل ارجع أنت فإنك أقرب إلى السرحة مني ، فقال ، ارجع وإلا وضعت السوط بين أذنيك ثم ضرب رأس بغلة عمرو حتى رجعت .

وتحدث أهل واسط بذلك وأرادوا الإيقاع به ، فاستجار بالقصابين فحموه ، وقدم ابن هبيرة فحبسه ، ثم دعا به ، فلما كلّمه أعجب به وقال : قبّح الله من ضيّع مثلك ، وأنشده : [من الوافر]

أكُمَّثْرىٰ يـزيـدُ الحلـقَ لينـاً أحـبُّ إلـيّ أم تِيـنٌ نَضـجُ

يعرّض له بولاية نهوند أو كرمان[1] ، فقال : تين نضيج ، فأطلقه وعقد له على كرمان وعقد يومئذ لمسلم بن سعيد بن زُرعة الكلابي على خراسان ، فقال جَبلة : كان هذا يتبعني طمعاً في أن أولّى عملاً أوليه بعضه قرية أو قريتين ، ثم هو اليوم يعقَدُ له على خراسان ويعقد لي على كرمان ! .

وقال أبو عبيدة : أُخرج جبلة إلى ابن هبيرة مقيداً ، فقال ابن هبيرة : [من الكامل]

= مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة الخليفة عثمان ، وقيل : إن ذكوان كان أخا أبي لؤلؤة قاتل عمر .

(١) يظهر أن بلدة نهوند كانت كثيرة الكمثرى وكرمان كثيرة التين .

ولقد جريتُ لما ترى من غايَةٍ　　فاصبر لما جَرمَتْ يمينُك حَارِ

فقال جبلة :　　[من الوافر]

لعمري ما جنيتُ على سُليمٍ　　بأشعاري فيهجوني الشّريدُ

وأودع ابن هبيرة قوماً أموالاً ، فأخذ سيراً فلواه على عودٍ ثم كتب فيه عند فلان كذا وعند فلان كذا ، فلما نشره ورمى بالعود جاء الكتاب مفرّق الحروف لا يجتمع لقارئها ، فكان يلوي ذلك السير على عود متجمّع .

* * *

أمر يزيد بن المهلب وقصته قبل ولاية يزيد بن عبد الملك وفي أيامه

٩١ ـ حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخلف ، وقال المدائني عن أشياخه وغيرهما ، قالوا : ولّى الحجاجُ المهلب خراسان .

قال المدائني : وبعض ولد المهلب يقول ولاّه إياها عبد الملك بن مروان ، فمات المهلب بزاعول وهي قرية بمرو الروذ ، وأوصى حبيب المهلب أن يسير بجيشه حتى يسلّمه إلى يزيد ابنه وكان بمرو ، وقال : يزيد خليفتي على خراسان .

فتولى يزيد بن المهلب أمر خراسان بعد أبيه ، وكان متجبّراً متكبّراً فبلغ الحجاجَ عنه ما يكرهه ، ويكتب المفضل بن المهلب إلى عبد الملك بن المهلب وهو أخوه لأمّه بهلّة يخيّره فيلقيه إليه .

فكتب الحجاج إلى حبيب بن المهلب بعد سنة من ولاية يزيد ، يأمره بالقدوم عليه فقدم فولاّه كرمان ، وكتب إلى يزيد : أن ابعث إليّ اوثق مَن قبلك في نفسك ، فبعث إليه الخيار بن سَبْرة المجاشعي[1] ، وكان من رجال المهلب وخاصّته . فقال له الحجاج : أخبرني عن يزيد ، فقال : أخبر سرّاً أم أخبر علانية ؟ قال : بل أخبر سرّاً واستدناه ، فقال : لقد رأيت رجلاً إن أقررته ولم تهجّهُ فبالحري أن يفي لك ، وإن رمتَ عزله

---

(١) مجاشع بطن من تميم، الخيار بن سُبرة بن ذُؤيب بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك (غَرْف) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.
وهو الذي قال فيه الفرزدق :

لقد قال الخِيار مقال جهل ... قد استهدي الفرزدق من بعيد

فلا أحسبه والله أن يعطيك طاعة أبداً ، فقال الحجاج : صدقت فاحتبسه الحجاج عنده ولم يزعجه للرجوع وولاّه عُمان ، وأوصاه بإذلال من بها من أهل بيت ابن المهلب .

عزل يزيد بن المهلب عن خراسان :

٩٢ ـ وقال : إن الخيار قدم عليّ فرأيته رجلاً جَزْلاً ذا عقلٍ وفهم فاحتجت إليه لولاية عُمان فولّيته إياها .

ثم إنه كتب إلى يزيد بعد أشهر يعلمه حاجته إلى مشافهته بأمرٍ لا يحتمله الكتاب ولا تُحمَّله الرسل ، فكتب إليه يعتلُّ بالعدوّ وبشدَّة شوكته وانتشاره ، فكتب إليه أنه لا بدّ لك من القدوم فاستخلف المفضل أخاك على عملك وأقدم عليّ منبسط الأمل واثقاً برأي أمير المؤمنين فيك .

فأشار عليه حُضين بن المنذر الرقاشي[١] بالمقام والمدافعة ، وأشار عليه المفضل بالقدوم على الحجاج ، وقال له : إن شيخنا أوصانا بالطاعة التي هي عزّنا وبها كان نباتنا وإليها تزول أمورنا ، فقال له : ويحك إن طمعت في ولاية خراسان فولاّك إياها لم يقرّك بعدي إلا يسيرا . وفكّر يزيد ، فقال : إنا قوم شرفنا بالطاعة وبُورك لنا فيها فإن خلعنا أيدينا منها غيّرنا ما بنا ، والله يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٢] وأرجو أن لا يقدم الحجاج عليّ بسوء مع رأي أمير المؤمنين عبد الملك

---

(١) الرقاش: بطن من بني ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل: وهو حُضين بن المنذر بن الحارث بن وَعْلة بن المجالد بن يثربي بن الزّبّان من الحارث بن مالك (رقاش) بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. وهو الذي قال فيه علي بن أبي طالب وهو حامل لواء ربيعة في صفين:

لمن رايةٌ سوداء يخفق ظِلّها ... إذا قيل قدمها حُضين تقدّما

(٢) سورة الرعد رقم : ١٣ الآية رقم : ١١ .

في المهلب وولده وحفظه ما كان من آثاره وبلائه ، فاستخلف يزيد المفضل وسار إلى الحجاج حتى إذا صار إلى اصطخر لقيه موت عبد الملك وقيام الوليد بن عبد الملك ، فقال : الآن هلكنا .

فلما قدم على الحجاج أظهر إكرامه وإعظامه ، وجعل يسايره إذا ركب ولا يحجب عنه ، ثم كتب إلى حبيب بن المهلب وهو الحرون ، وكان قتيبة بن مسلم على الريّ ودستبى ، فكتب إليه بولاية خراسان وأن يحمل المفضل بن المهلب إلى ما قبله ، فقدّم قتيبة عبد الرحمن بن مسلم أخاه وخليفة له وأمره أن يأخذ المفضل وعمّاله وكتّابه والاستيثاق منهم إلى قدومه ، فلم يشعر المفضل به حتى ورد عليه فاستوثق منه ومن أصحابه ، وقدم قتيبة خراسان بحمله إلى الحجاج ، فلما توافى عنده يزيد وحبيب والمفضل وعبد الملك وكان على شرطة البصرة ، حبسهم أربعتهم وحبس أبا عيينة بن المهلب وكان اتهمه بأنّ لهم أموالاً عنده ، وكان أبو عيينة هو الذي زوّجه هند بنت المهلب فلم يعبأ بذلك .

وذكروا أن يزيد بن المهلب هويَ امرأة رجلٍ كان معه من عبد القيس[1] يقال له عَلْتب ، فدعاه إلى الشخوص إلى الحجاج فاعتلَّ عليه فدسّ إليه من سقاه شربةً فقتله ، وحوّل أهله وولده إليه فكان يأتي المرأة ، وبلغ الحجاج ذلك فلما أراد حبسه بدأ بضربه حدّاً وقال له : أتزني وأنت والي خراسان ، فقال الشاعر : [من الوافر] [٥٤٢/٦٨]

أيورُ الناسِ من عَصَبٍ ولحمٍ وأيرُكَ يا بنَ دحمةَ مِن عِظامِ
وأيرُك يا يزيدُ على المخازي جريءٌ حين مختلط اللطامِ

---

(١) عبد القيس قبيلة من ربيعة بن نزار، وهو عبد القيس بن أقصى بن دُعمي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

وقال أيضاً : [من الطويل]

أبـاحَ يـزيـدٌ أيـرَهُ عُـرسَ جـارِهِ وكان يزيدٌ لا يخافُ المخَازيا

هرب آل المهلب من حبس الحجاج .

٩٣ ـ قالوا وتحركت الأكراد بجبال الأهواز ، فسار الحجاج حتى نزل رستقاباذ وبنو المهلب معه ، فعسكر بها وخندق على عسكره وحبس بني المهلب في حظيرة من قصب بالقرب منه ، وأمر فحفر حولها خندق وضُربت عليهم فساطيط ووكّل بهم حرس من أهل الشام ، وأمر بعذابهم والبسط عليهم ، وكانت مع الحجاج امرأته هند بنت المهلب فسمعت أصواتهم فصرخت وولولت ، فقال الحجاج : يا عدوّة الله أتصيحين بحضرتي ، فقالت له : لا حاجة لي فيك فطلقها وبعث إليها بمئة الف درهم ، فلم تقبلها .

ثم أن يزيد بن المهلب بعث إلى يزيد بن أبي مسلم ، وكان على خراجه واستخراجه بمالٍ فلم يقبله وكان صحيحاً وقال : قد لجأت إليّ فوالله لأعملنّ في أمرك عملاً لو كنت قبلت هذا المال مارذت عليه ، فكلّم الحجاج في أن يكفل ولد المهلب ويوظف عليهم وظيفةً جزماً يؤدّونها ، فأجابه إلى ذلك ، وسأل يزيد بأن يخرج عبد الملك بن المهلّب ليسعى في أمرهم ، ويبيع خيلهم وغيرها وأن يوجّه حبيباً إلى البصرة ليلقي قوماً من صنائعهم وأهل ودائعهم في إعداد مالهم عندهم ولبيع عُقَدهم وجعل يكتب إلى عرفاء الأزد ليأتوه ويجتمعوا عنده فكان كالمناظر لهم في أمر كفالته ، وكان يهيء لهم وللحرس الموكلين بهم طعاماً فيعشيهم ، فتعشوا ذات ليلة وقد أظلموا ، وأمر فاتّخذت له لحية بيضاء كلحية طبّاخه والمفضل لحية صفراء كبعض لحى عرفاء الأزد ، فلما تعشى الناس

وأُخرج الحرس من عند يزيد للانصراف ، لبس ثياباً مثل ثياب طبّاخه وربط اللحية ووضع على رأسه جُونةً من جَوَن الطعام ، ووضع الخبّاز على رأسه قدراً أو طنجيراً فلم يؤبه لذلك ، وخرج المفضل وقد اعتمّ ولحيته صفراء فبادر مع الناس فخرجا ، واحتال عبد الملك بحيلة حتى تخلّص من أيدي الموكلين به الذين كانوا يدورون معه .

فاجتمعوا في موضع اتّعدوا الاجتماع فيه وواعدوا من يقوم بأمرهم وخدمتهم أن يعدّوا لهم فيه خيلاً من الخيل التي كانوا يظهرون أنهم يريدون بيعها وأخذ قيمتها فيما ألزمهم الحجاج إياه ، وكان الذي ألزمهم ستة آلاف الفاً درهم .

فساروا ليلتهم حتى صاروا إلى زورق أعدّ لهم بجوخى الأهواز وانتهوا إلى فتح دُجيل الأهواز ، فركبوا سفينة أعدّت لهم أخرى ، ثم خرجوا إلى البَطيحة وتوجّهوا إلى موضع كان فيه مروان بن المهلب ، وقد أعدّ لهم به نجائب فركبوها وساروا إلى الشام ، ودليلهم رجل من كلب[١] يقال له عمارة . واستخفى حبيب بن المهلب بالبصرة في بني راسب[٢] وانغمس مروان وبقي أبو عيينة في يد الحجاج ، وطُلب القوم فلم يُقدر عليهم .

وكان المتوجّهون إلى الشام يزيد والمفضل وعبد الملك وقيل إن مروان كان معهم ، وصار هؤلاء إلى فلسطين وبها سليمان بن

---

(١) كلب قبيلة كبيرة من قضاعة من حمير وبادية السماوية كانت تسمي بادية كلب بن وبرة بن تغلب (الغلباء) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير .

(٢) مرّ في السابق راسب الأزد وراسب قضاعة بطنان وهذا راسب الأزد لأن المهلب من الأزد وهو المهلب بن ظالم (أبي صفرة) بن سرّاق بن صبيح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو ومزيقياء بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن درء (الأزد) .

عبد الملك بن مروان ، وكان والياً عليها من قبل أخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وكان وليّ العهد بعده .

فكتبوا إلى رجاء بن حَيْوة الكندي[1] بخبرهم وشرحوا له أمرهم ، وكان أثيراً عند سليمان جرّياً عليه آنساً به ، فقال : إن يزيد بن المهلب قد أتاك مستجيراً بك ، فامتعض من ذلك فقال له رجاء بن حَيْوة : من ذا يرجوك وأنت وليّ عهدٍ وقد استجار بك مثله فلم تجره ، ولم يزل به حتى أجاره ، ودعا به وبإخوته فأمّنهم ، وكتب إلى الوليد يعلمه ذلك .

فكتب الوليد إليه فيه كتاباً غليظاً يعجّزه فيه في أمرهم ، ويقول : لهممتُ أن ألزمك ما نطالب به يزيد ، وكان كتاب الحجاج قد سبق إليه بخبرهم ، وكتب الوليد إلى سليمان يعزم عليه أن يحملهم إليه مستوثقاً منهم .

فوجّه بيزيد ومعه ابنه أيوب ، وقال له : إذا دخلت على أمير المؤمنين فكن أنت وهو في سلسلة ، فلما رآه الوليد ، قال : أما والله لقد شققنا على سليمان فحطّ عن آل المهلب ثلاثة آلاف ألف درهم من الستة الآلاف الألف وألزمهم دمشق ، فيقال إن سليمان غرمها عنهم ، ثم كتب سليمان يسأل ردّهم إليه ففعل الوليد ذلك .

ويقال إن الوليد تجمّعها عليهم فجمع لهم زِمل بن عمرو السكسكي[2] نجماً[3] ، وجمع لهم يزيد بن حُصَين بن نمير السكوني[4] نجماً آخر ،

---

(١) الكندي نسبة إلى كندة واسمه ثور بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان.

(٢) نسبة إلى السكسك بن أشرس بن كندة.

(٣) جعل فلان ماله على فلان نجوماً معدودة أي أقساماً ـ اللسان ـ.

(٤) السكوني أيضاً بطن من كندة وهو أخو السكسك.

وسار عبد الملك إلى الشام فجمع لهم مالاً عظيماً فأدّوا الأنجم .

ثم كتب سليمان إلى الوليد يسأله ردّ يزيد بن المهلب وإخوته إليه فردّهم ، فأقام يزيد عند سليمان مكرّماً يؤنسه ويخصّه حتى مات الوليد وولي سليمان الخلافة .

وقال حُصَين بن المنذر في مخالفة يزيد حين أمره بترك القدوم على الحجاج : [من الطويل]

أمـرتُـك أمـراً حـازمـاً فعَصَيْتَنـي   فأَصبحتَ مسلوبَ الإمارةِ نادِما

وخاف أن يبلغ الحجاج بيته هذا فزاد فيه : .

فمـا أنـا بـالبـاكـي عليـكَ صَبَـابَـةً   ومـا أنـا بـالـدّاعـي لِتـرجِـعَ سـالِـمـا

وقال نهار بن توسعة التيمّي من ربيعة[1] ، ويقال ابن سحبان الباهلي حين شخص يزيد من خراسان ، ثم حبس ومعه المفضل : [من الكامل]

أَبنَـي[2] بَهَلَّـةَ إنّمـا أخـزاكُمـا   ربّـي غـداةَ غَـدا الهُمـامُ الأَزْهَـرُ
أَغَـدرْتُمـا بـأخيكُمـا فـوقَعتُمـا   فـي قَعْـرِ مظلمَـةٍ أَخوهـا المعـورُ
عُـوذا بتـوبَـةَ مخلصيـنَ فـإنّمـا   يأبى ويأنَفُ أن يتوب الأَخْسَرُ
لله درُّ الغـافِليـنَ لقـد غَـدا   فيهـم نَـدىً جـمٌّ ومَلْـكٌ قَسْـوَرُ
وتبـدّلَـتْ مَـروٌ بِـهِ لخَـرابِهـا   والـدَّهـرُ ينعَـشُ بـالجـدُودِ ويَعثُـرُ
عوران باهِلَةَ الأُلى في مُلكِهِمْ   ماتَ النّدى فَمضى وعاشَ المُنكَرُ

---

(١) نهار بن توسعة بن تميم بن عرفجة بن عمرو بن حنتم بن عدي بن الحارث بن تيم الله (التيمي) بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار (وربيعة بن نزار الذي عناها المؤلف).

(٢) في هامش المخطوط المغربي : أبنا بهلة : المفضل وعبد الملك .

شَتَّانَ بينَ الصُّبحِ أَدْرَكَ والّذي بالسَّيْفِ أدرَكَ والحروبُ تَسَعَّرُ

وكان مسلم[1] بن عمرو يضرب عند يزيد بن معاوية الصنج ، وقال الفرزدق : [من الطويل]

أَبا خالِدٍ ضاعَتْ خُراسانُ بعدكمْ وقال ذَوُوا الحاجاتِ أينَ يزيدُ
فلا أُمطر المروان[2] بعدَكَ قطرةً ولا أخضَرَّ بالمروَيْن بعدَكَ عودُ

وقال الفرزدق حين هرب يزيد وإخوته من حبس الحجاج ، وأجارهم سليمان بن عبد الملك : [من الطويل]

[و] لم أَرَ كالقَومِ الذينَ تتابَعوا على الجِسْرِ والحرّاسُ غيرُ نيامِ
مَضَوْا وَهُمُ مُسْتَيْقِنُونَ بأَنَّهمْ إلى أَجَلٍ يَلْقَوْنَهُ وَحِمامِ
فَسارُوا إلى أَوفى قُرِيشٍ لجارِهِ وَخيرِهِم مِنْ أيمَنٍ وَشَآمِ

وقال عمارة الكلبي دليلهم : [من الطويل]

وناسٍ لأبناء الملوك هديتهُمْ بلا عَلَمٍ بادٍ ولا ضَوْءِ كوكبِ
ولا قَمَرٌ إلاّ ضَئيلٌ كأنَّه سواءٌ حَنَاهُ صَانعُ السُّورِ مُذهَبُ
أَلا جَعَلَ الله الخلائقَ كُلَّهمْ فِداءً على ما كان لابن المُهلّبِ

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن لوط بن يحيى وعَوانة بن الحكم : أن سليمان كتب إلى الوليد في أمر يزيد بن المهلب : .

أما بعد ، يا أمير المؤمنين فقد كنت أظنّ أني لو أجرتُ عدوّاً لك منابذاً لأجرته ولم تخفر ذمّتي ، فكيف وإنما أجرتُ سامعاً مطيعاً له شرف

---

(١) يعني بمسلم بن عمرو أبي قتيبة بن مسلم لأن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن سعد مناة بن مالك (باهلة).

(٢) المروان : ثنية مرو يراد به مرو الشاهجان ومرو الروذ ـ معجم البلدان ـ.

وسلفٌ ولأبيه بلاؤه وآثاره ، وله نصيحته ومكانته ، وقد بعثت به إليك وأنا أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من اجترار قطيعتي وترك برّي وصلتي بإخفار ذمّتي وحلّ عقدي فوالله ما تدري ما بقاؤنا ، ومتى يفرّق الموت بيننا ، فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يأتي علينا أجل الوفاة ، إلا وهو لي واصل ولحقي راع فليفعل وليصفح لي عن يزيد وكل ما طالبه به الحجاج فإنه عليَّ ، إن شاء الله والسلام .

وقام يزيد حين دخل على الوليد ، فقال : يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أهل البيت أحسن البلاء ، فمن ينس ذلك فلسنا بناسيه ومن يكفر فلسنا بكافريه ، وقد كان من آثارنا في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم ما أظنّه علينا فيه عظيمة ، فقال له الوليد : اجلس يا يزيد اجلسْ وأمّنه وكتب إلى الحجاج :

إني لم أصل إلى يزيد بن المهلب وإخوته مع أخي سليمان ، فاكففْ عن آل المهلب جميعاً ولا أعلمنّ ما راجعتني فيهم .

فكفّ الحجاج عنهم وخلى سبيل أبي عيينة ، وظهر مستخفوهم فلحقوا بالشام .

وحجّ المفضل وعبد الملك ، فولّى الوليد يزيد بن أبي كبشة السكسكي وكان صديق الحجاج حرب العراق ، واقرّ يزيد بن ابي مسلم على الخراج .

بسط العذاب وملاحقة آل أبي عقيل .

٩٤ـ قالوا : ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تتبّع من كان بالشام وغير الشام من آل ابي عقيل ، فدفعهم إلى يزيد بن المهلب وكان يزيد أول من عزّاه بالوليد وسلّم عليه بالخلافة ، وأمره أن يستأديهم ويبسط عليهم .

فولّى أمرهم أخاه عبد الملك بن المهلب ، فعذّب الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل[1] بن مسعود بن عامر بن معتّب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيفٍ ، [٦٨/٥٤٣] حتى قتله بأمر سليمان . وألحّ عبد الملك على يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود ، وغضب عليه يوماً فرماه بسفرجلة فشتر عينه .

وكان عبد الملك يُوَكّل به من يحفظه وهو يطوف عليه في غرمه[2] ، فدفعه يوماً إلى الحارث بن الجهضمي فخرج يطوف به ، وكان الحارث مغفّلاً ، فقال له يوسف : أريد دخول هذه الدار فإن فيها عمّة لي أسألها في غرمي شيئاً ، فتركه فدخل الدار ولها بابان فخرج من الباب الآخر فهرب .

وبعث يزيد بن المهلب إلى البلقاء من عمل دمشق وبها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله ، فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أتي به أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ، وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف وكانت امرأة يزيد بن بن عبد الملك بن مروان وأم الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول . فكان عبد الملك يعذّبها بأمر أخيه يزيد بن المهلب في منزله ، فكلّمه فيها فأبى أن يشفّعه فيها ، فقال : الذي وظّفتم عليها عليّ ، فأبى قبول ذلك ، فقال يزيد بن عبد الملك : أما والله لئن ولّيتُ من الأمر شيئاً لأقطعنّ منك طابقاً ، فقال يزيد بن المهلب : وأنا والله فلئن كان ذلك لأرمينّك بمئة ألف عنان .

---

(١) في هامش المخطوطة المغربية : اسم أبي عقيل عمرو .

(٢) كان يخرج بالمغرم الذي عليه مال ، فيطاف به على الناس يسألهم معونته من أجل أن يدفع ما هو مغرم به .

وقال قوم : لم يفعل ذلك بأم الحجاج بنت محمد وإنما فعله بأختها فجرى هذا القول بينه وبين يزيد بسببها . .

وقال أبو الحسن المدائني : زعم قوم أن يزيد بن عبد الملك حمل المال عنها ، وكان مئة ألف ويقال أكثر من ذلك .

ولاية يزيد بن المهلب العراق :

٩٥قال : ولما مضت لسليمان بن عبد الملك من خلافته أربعون ليلةً ولّى يزيد بن المهلب حرب العراق وخراجه فاستعفاه من الخراج ، فأراد أن يولّي الخراج يزيد بن أبي مسلم ، وكان يزيد بن المهلب وصفه له بالعفاف لتسهيله أمره فقال عمر بن عبد العزيز : أتولّي يزيد بن أبي مسلم ؟ فقال يزيد : هو عفيف عن الدراهم ، فقال عمر : إن الشيطان أيضاً عفيف عن الدراهم لم يأخذ درهماً قطّ .

فاستشار سليمان يزيد بن المهلب فيمن يولّيه الخراج غير ابن أبي مسلم ، فأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن وكان صالح مع رذانفروخ بن تيري كاتب الحجاج ، فلما قتل في أيام ابن الأشعث استكتب ابن رذانفروخ ثم استكتب صالحاً ، وهو من سبي سجستان مولى لبني تميم وقوم يزعمون أنه مولى لباهلة .

وأمر يزيد وهو على العراق باتخاذ ألف خوان ليُطعم عليها فقال له صالح : بيت المال لا يقوم لهذا ومنعه إياه ، وشخص يزيد بن المهلب إلى العراق وخراسان مضمومة إليه ، وتخلّف المفضل وعبد الملك عند سليمان ، وكان بهما معجباً .

فلما قدم يزيد واسطاً وجد الجراح بن عبدالله الحكمي على البصرةمن قبل يزيد بن أبي كبشة ، فكتب إليه في المصير إليه ، وولّى البصرة رجلاً

يقال له مروان بن المهلب[1] وولى سجستان مدرك بن المهلب ، وولّى عُمان زياد بن المهلب وأمره أن يقتل الخَيار بن سَبرة المجاشعي فقتله فقال الفرزدق :

فلـو كنـتَ مثلـي يـا خَيَـارُ تَعسَّفَـتْ
بِكَ البيدُ ضَرْبَ العَوْهجيّ[2] وداعِرِ[3]

تَرى إِبلاً مالم تُحرِّكْ رؤسها وَهُنَّ إذا حركنَ غيرُ الأباعِرِ

في أبيات . .

وولى السند حبيب بن المهلب ، وكان قتيبة بن مسلم مبايناً لسليمان فخافه حتى مات الوليد فخلعه ، وذكر عمال خراسان وقبائل من قبائل العرب فعابهم وذمّهم فاجتمعوا عليه فقتلوه وقلّدوا أمرهم وكيع بن أبي سود التميمي[4] .

وحدثني على الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : أمر سليمان يزيد إن كان قتيبة لم يخلع أن يقتل وكيعاً وإن كان خلع فلا ، وبلغ قتيبة ولاية يزيد بن المهلب العراق وخراسان ، فقال : [من الطويل]

رَمَـانـي سليمـانٌ بـأمـرٍ أَظُنُّـهُ سَيُحمِلُـهُ منّي على شَرِّ مـركَـبِ
رَمَـانـي بجَبَّـارِ العِـراقِ ومَـنْ لَـهُ على كُلِّ حيٍّ حَدُّنابٍ ومخلَبِ

---

(١) هكذا في أصل المخطوطين : يقال له رغم أن مروان بن المهلب كما مرّ سابقاً وفي جمهورة ابن الكلبي .

(٢) العوهج : الطويل العنق من الظباء والظّلمان والنوق ـ اللسان ـ.

(٣) الداعر : السارق الزاني المفسد والذي يؤذي الناس . ـ اللسان ـ .

(٤) هكذا في المخطوطين وعند ابن الكلبي في الجمهرة : وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود بن كلب بن عوف بن مالك بن غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . الجمهرة ج : ٣ مشجرة رقم : ٧١ .

فأَبحتُ للعَبْدِ المَزُونِي[1] خائفاً   وكان أبي قِدْماً على دينِ مُصْعَبِ

فقال حضين بن المنذر يردّ عليه :   [من الكامل]

أَقُتَيْبُ قد كَسَبَتْ يَداكَ خَطيئةً   فَاهرُبْ قُتيبَةُ أينَ منكَ المهرَبُ

فلأَنْتَ أَخْفَزُ والّذي أَنَا عندَهُ   في عينيهِ منْ بَقَّةٍ تَتَذبذَبُ

وكتب سليمان إلى يزيد بن المهلب في الشخوص إلى خراسان لإصلاحها وتسكين الناس بها ولَمّ ما انتشر من أمرها ، فاستخلف الجراح على العراق وأتى جرجان ففتحها وفتح دهستان ، وكتب إلى سليمان بفتحهما وأن قد غنم غنائم عظيمة فأدّى إلى كلّ ذي حقٍّ حقّه وبقي بعد ذلك عنده سبعة آلاف ألف ألف درهم ، ويقال أربعة آلاف ألف ألف درهم ، فلم يصل الكتاب إلى سليمان حتى مات ، وكان وروده على عمر بن عبد العزيز وقد استخلف بعد سليمان .

أسباب الجفوة بين عمر بن عبد العزيز ويزيد بن المهلب .

٩٦ ـ فكتب إليه عمر : .

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله قبضه إليه بعد نفاذ أكله وانقضاء أجله ، ثم وُلّيت الأمر بتصييره إليّ ويزيد بن عبد الملك إن كان من بعدي ، وليس الذي ولاّني الله من ذلك بهيّن عليّ ، ولو كانت رعيّتي في اتحاد الأرواح واعتقاد الأموال كنت قد بلغت من ذلك أفضل ما بلغه أحد ، وقد بايع مَن قبلنا ، فبايع من قبلك ، إن شاء الله .

فلما قرأ يزيد الكتاب ، قال : الرجل كان لنا لا محالة ، وكان عمر بن عبد العزيز رأى يزيد يوماً وقد دخل على سليمان مختالاً ، فقال : إني

---

(١) المزوني : نسبة إلى عُمان لأن الفرس كانوا يسمونها قديماً مزون فمن أراد التحقير نسبه إلى مزون لأن المهلب من أزد عمان .

لأحسب في رأسه غدرة ، فقال سليمان : لا تقل هذا يابا حفص فإن يزيد رجل منا ، فأغلظ له يزيد ، فلما أتى منزله ، قال : ماذا لقينا من لطيم الحمار[1] ، ثم أتاه فاعتذر إليه .

فلم يلبث يزيد أن كتب إليه يأمره أن يستخلف رجلاً ويقدم إلى ما قبله ، فاستخلف ابنه مخلد بن يزيد ، وخرج ومعه وجوه أهل خراسان وفيهم وكيع بن أبي سود وكان محبوساً قبله فحمله ، وكان معه عبدالله بن هلال الهجري[2] ، الذي يعرف بصديق إبليس ، فيزعمون أنه قال له : والله لا تدخل البصرة أميراً أبداً ، فانتهى إلى واسط وهو أمير .

وقال معمر بن المثنى أبو عبيدة : قدم يزيد واسطاً قبل موت سليمان ، وكان مسيره على طريق الري وحلوان ، فكتب إلى سليمان أن يأذن له في دخول البصرة فأذن له فانحدر وهو لا يعلم بموت سليمان ، وقدم عدي بن أرطاة حين قدم واسطاً بعد موت سليمان وهو أمير ، ثم شخص إلى البصرة فلما دخل نهر معقل وأشرفت له البصرة ورأى الجنيدة التي تسمى الشهارطات ، قال : أين ابن هلال ؟ قبّحه الله وقبّح علمه الذي يدّعيه ، ثم نظر فإذا سفينة كثيرة الجذافين ليس فيها وطاء وفيها عدي بن أرطاة الفزاري ، وقد ولاه عمر بن عبد العزيز العراق ، فقدم واسطاً بعد خروج يزيد منها ببعض يوم ، فاستعجل ليلحقه ، فلما لحقه عدي خرج إليه فصار معه في السفينة ودفع إليه كتاب عمر ، فقال : سمعاً وطاعة ، ثم خرجا عند الجسر وقدّمت إلى يزيد الدواب فركب ، وأمر فقدّمت لعدي ومن معه دواب فركبها ، وحشدت الأزد ليزيد وضربوا

---

(١) لطيم الحمار : يعني عمر بن عبد العزيز حيث كان في صغره رمحته دابة فشجّ في رأسه ولذلك كان يسمّى أشج بني أمية .

(٢) نسبة إلى مدينة حَجَر قاعدة البحرين .

قباب الآس وهم يرون أنه الأمير .

حبس يزيد بن المهلب :

٩٧ ـ وصار عدي إلى دار الأمارة ويزيد معه حتى دخلها ، ثم دعا بيزيد فدخل وكان صالح بن عبد الرحمن مع عدي ، فقال : فيّده أصلح الله الأمير فقيّده عدي ، فلم يزل محبوساً عنده حتى كتب عمر إليه بحمله .

وقال أبو عبيدة : بل كان في عهده أن يقيده ويحمله .

قالوا : فحمله عدي إلى عمر مع موسى بن الوجيه الحميري ، وكان يزيد أخذ موسى بتطليق امرأته وهي أخت أم الفضل بنت غيلان بن خَرَشة الضّبّي امرأة يزيد بن المهلب قال : لا أرضى بمسالفتك[1] وضربه حتى طلّقها تحت السياط ، وذلك في أيام سليمان بن عبد الملك . فكان موسى يشتمه في طريقه ويزيد يقول له : يا دعيّ ، فقال له : يابن المزونيّة وأيّ دعيّ أبين دِعوة منك ، ألست مولى عثمان بن العاص الثقفي ، أولم يقل الشاعر : [من السريع]

نحن قطعنا من أبي صُفرةْ قلفَةَ[2] مَنْ خالفَ الفِطرةْ

لما رأى عثمانُ غُرمُولَهُ[3] أنحى له عثمانُ بالشَّفْرةْ

ألم يكنْ مَجُوسياً وَاسْمُهُ سفروخُ قلْتُمُ أبو صُفرةْ

وحدثني عمر بن شبة ، ثنا أبو عاصم النبيل ، قال : لما احتبس سليمانُ بن عبد الملك يزيدَ بن المهلب عنده ، ثم ولاه العراق عزل خرسان عنه فلم يولّه إياها ، وولّى خراسان قتيبة بن مسلم وكتب عهده

---

(١) من السلف : وهو زوج أخت امرأة الرجل .

(٢) القلفة : هو ما يقطع من جلدة ذكر الرجل عندما يختن .

(٣) الغرمول : ذكر الرجل أو ذكر أي شيء آخر .

عليها وبعث به إليه ، فلما خَلع وقُتل ولاها يزيد بن المهلب .

قالوا : ولما وافى يزيد بن المهلب عمر بن عبد العزيز ، قال له : هذا كتابك وهذا [٦٨/٥٤٤]خاتمك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين كتبته استعطافاً لسليمان عليّ ، وعلمتُ أنه لا يأخذني مع رأيه فيّ بالمال ، قال : فنحن آخذوك بإقرارك ، وولّى عمرُ الجراحَ بن عبد الله خراسان وحبس يزيد بن المهلب .

هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز .

٩٨ ـ فزعموا أنه مرض في محبسه فأمر عمر بقيوده ففكّت عنه ، وقدم مخلد بن يزيد فأُتي به عمرُ ، فلما دخل عليه وعليه كمّة لاطية[١] وقد شمر ثيابه ، قال عمر : ما هذا الزيّ ؟ قال : شمّرتم فشمّرنا ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ليسعنا ما وسع الناس من عدلك ، ولا نكن أشقى هذه الأمّة بك ، فقال : إن أباك قد أقرّ بهذا الكتاب ، قال : فأنا أضمن المال الذي فيه ، قال : أنت وذاك ، قال : فصالحني على بعضه ، قال : لا لا أنا أرى أن آخذه به كلّه أو أعلم أنه لا شيء عنده فأنظره إلى الميسرة ، فقال : يا أمير المؤمنين إنما أراد استعطاف سليمان بما كتب إليه به وهو يحلف ، ثم أتى أباه فقال : أتحلف على ما قلت وادّعيت ؟ فقال : لا والله لا يتحدّث العرب بأني صيّرت يميني على ملك أبداً .

فلم يزل محبوساً حتى مرض عمر ، فخاف أن يلي يزيد بن عبد الملك فيناله بمعرّة لما في نفسه عليه ، وكان يزيد بن المهلب في غرفة أسفلها بيت فاحتيل له وقد تشاغلت الأحراس عنه ، ويقال : رُشوا وصونعوا

---

(١) كمّة لاطية : كمم غطى والكمة القلنسوة المدورة لأنها تغطي الرأس ولاطية : من لطط لصق ولزق أي ملتصقة .

فمُلِئَ البيت تبناً ثم نقب السقف وألقى نفسه ونكّر لحيته ولباسه ، وأعدّ له إخوته إبلاً ناجبة فركب وركبوا معه ومضى يؤمّ العراق .

وكان عمر كُلّم في يزيد ، فقال : هو رجل سوء قتّال والحبس خيرٌ له .

وقال علي بن محمد المدائني : حمل الجرّاح بن عبدالله الحكمي مخلّد بن يزيد من خراسان على البريد في سلسلة فقُدم به الكوفة ليحمُل منها على البريد إلى عمر فسأله قوم فوصلهم ، فقال الناس : ما رأينا أسيراً أكرم من هذا ، ما فعل كرام الناس إلا دون ما فعل ، وأتاه حمزة بن بيض الحنفي[1] في حَمالة فأمر بها وله يقول : [من المتقارب]

أَتَيْنـاكَ فـي حـاجَـةٍ فـاقْضِهـا ... وقُـلْ مَـرْحَبـاً تَجِبُ المـرحَـبُ
ولا تَتَّكِلْنَـا إلـى مَعْشَـرٍ ... متـى بعُـدوا عـدّةً يكـذِبُـوا
وَهَمّـكَ فيهـا جِسَـامُ الأمـورِ ... وهـمُّ لـداتِـكَ[2] أَنْ يلعَبُـوا
بَلَغْـتَ لِعَشْـرٍ مَضَـتْ مـن سِنِيـ ... ـكَ مـا يَبْلُـغُ السَّيِّـدُ الأَشْيَـبُ

ثم حُمل على البريد من الكوفة حتى ورد على عمر فدخل عليه ، فجرى بينهما ما ذكرناه .

وشخص حمزة بن بيض إلى يزيد بن المهلب ، فمدحه فقال :

[من السريع]

أَصبـح قيـدك السمـاحـةُ والـ ... جُـودَ وحمـل الـدِّيَـةِ والحسَـبْ

---

(١) حمزة بن بيض بن يمن بن عبدالله بن شمر بن عبّاد (ابن النواحة) بن الحارث بن سلامة بن ربيعة بن الطبيب بن معاوية بن عامر بن حنيفة بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وهو شاعر إسلامي من شعراء الدول الأموية ، كوفي خليع ماجن ، من فحول طبقته وكان منقطعاً إلى آل المهلب .

(٢) لداتك : الذين لَهم نفس عمرك .

لا فــرْخ أن تَظَــاهَــرتْ نِعَــمٌ وَصَــابِــرٌ عِنْـدَ البَـلا مُحْتَسِــبْ
وســابــقٌ للجُــود فــي مهــلٍ وَقصَّــرتْ دُونَ غَنَــائِـكَ العَــربْ

فكتب له بخمسمئة دينار وكتب له إلى وكيله بمال .

وقال الهيثم بن عدي حبس عمرُ بن عبد العزيز يزيدَ بن المهلب في حصن حلبَ ، فلما مرض عمر وهو بدير[1] سمعان وبلغ ذلك يزيد بن المهلب دسَّ إلى عامل حلب مالاً وإلى الأحراس ، وقال : قد ثقل عمر فليس يُرجى فلا تشيطوا بدمي فإن يزيد إن ولي لم ينظرني فُواقاً[2] فأخرجوه فهرب وهم معه وقد أعدّوا له دواباً فركبهاه وأمّ البصرة ، وكتب إلى عمر كتاباً ، وقال : إن برأ فليدفع إليه وكان فيه : إني والله لو وثقت بحياتك ولم أخَفْ وفاتك لم أخرج من محبسك ولكني لم آمن أن تهلك ويلي يزيد فيقتلني شرّ قتلة .

فورد الكتاب وبه رمق ، فقال : اللهمّ إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فَحُقَّهُ به وهِضْه فقد هاضني .

قالوا : وتوفي عمر بن عبد العزيز بدير سمعان يوم الجمعة لخمس ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومئة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنةً وأشهر ، وذلك قول الواقدي .

وقال أبو نُعيم الفضل بن دُكَين عن سفيان الثوري : كان عمر حين توفي ابن أربعين سنة ، ويقال : ابن تسع وثلاثين سنة ، وقال سفيان بن عُيينة : قال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : مات عمر ابن تسع

---

(١) سبق وتحدث أنه توفي بخناصرة وقبره بدير سمعان إلا أنه قد مرض بخناصرة .

(٢) الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تُحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثم تحلب .

وثلاثين سنة ، قلت ابن تسع وثلاثين ، قال : أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

وولي يزيد بن عبد الملك فلم يكن له همّة إلا يزيد بن المهلب ، فأخبر بهربه وقد كان أُشير عليه أن يأتي مسلمة وكان بالناعورة وهي من عمل حلب فيستجير به فلفته عن ذلك معاوية ابنه ، وكان دليلهم يعدل بهم حتى كادوا يموتون عطشاً .

ووجّه يزيد في طلب يزيد بن المهلب الكوثر بن زُفر بن الحارث ، ويقال : الهُذَيل بن زُفَر ويقال : الوثيق بن زُفَر ، ويقال : تميم بن عُمَير بن الحُباب ، ويقال : عبد الرحمن بن سُليم الكلبي في جماعة ، ويقال : وجّه كل واحد من هؤلاء في وجه ، فلم يُلحق له على أثر .

وكتب يزيد إلى عدي بن أرطاة وهو مقَرّ على البصرة ، وإلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو مقرّ على الكوفة ، يخبرهما بموت عمر وبهرب يزيد ويحذّرهما إياه ويأمرهما بطلبه ، ويأمر عديّاً بحبس من قبله من آل المهلب والاستيثاق منهم ، ففعل عدي ذلك واشار عليه وكيع بن أبي سود بقتلهم حُميَّةً للذي كان في نفسه على يزيد بن المهلب ، فقال عدي : ما كنت لأفعل ذلك ولم يجلّوا بأنفسهم ، قال : فاهدم دورهم فلا يجد يزيد ما يأوي فأبى ، قال : فافتح بيت المال واعط الناس يقاتلوا عنك ، قال : لم يؤذن لي في ذلك ، قال : كأني بك وقد أُخِذت برقبتك ، ومات وكيع في أيامه .

وقال بعضهم : كان الوثيق بن زُفر قد كاد يظفر بيزيد ، فقيل له : إنك أمسكت عنه ولم تجادّه ، فقال : أجل قلتُ إن أدركته فقتلته قتلت رجلاً واحداً ، وإن بلغ أهله انقادوا له ورجوت أن يخلع فيقتله الله وأهل بيته ، فإنّ في رأسه نزوة .

محاربة يزيد بن المهلب وقتله .

٩٩ ـ وقال أبو مخنف : أقبل يزيد بن المهلب حتى ارتفع فوق القطقطانة[١] ، فبعث عبدُ الحميد بن عبد الرحمن هشامَ بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة أحد بني عامر بن لؤي[٢] في شرطة الكوفة وأهل القوّة منهم ، فقال هشام : أصلح الله الأمير . آتيك به أسيراً أم آتيك برأسه ، فضحك عبد الحميد ثم قال : ذاك إليك ، فسار ابن مخرمة حتى نزل العُذَيب[٣] ومَرّ يزيد قريباً منه فأخبر هشام بذلك فركب يحاد عنه متعمداً ومضى نحو البصرة .

وقال أبو عبيدة : بعث عبد الحميد سليمان بن سليم بن كيسان الكلبي لتلقّي يزيد وأخذه ، فلم يقدر عليه وقيل إنه غيّب عنه .

وقال الهيثم بن عدي : أدرك يزيدّ بن المهلب الطلبُ ورأسه في حجر جاريته فهابته أن توقظه ، فرمت غلاماً له بحصاة تومئ إليه أن نواصي الخيل قد طلعت فأيقظه غلامه ، فقال اطرد بغلتي في وجوههم ، فإذا سألوك لمن هذه ؟ فقل : ليزيد ، فإن قالوا : فأين هو ؟ فقل : هوذا فإنهم إذا علموا بموضعي أحجموا ، وإن هجموا عليّ استقلّوا من معي فلم يرجعوا ، ففعل الغلام ذلك ، وسألوه فأخبرهم فأقاموا ولم يقدموا عليه ، وجاء وصيف بالمصلّى والإبريق فتوضأ وما معه إلا برذون أدهم أبيض

---

(١) القُطْقُطَانَة : موضع قرب الكوفة من جهة البريّة بالطفّ بها كان سجن النعمان بن المنذر .

(٢) هشام بن مُساحق بن عبدالله بن مَخرمة بن عبد العزى بن أبي قبس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) .

(٣) تصغير العذب وهو الماء الطيب وهو ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال ـ معجم البلدان ـ .

الأذنين ، وعجلان وأبو فُدَيك ومولىً له آخر ومَن على ثقله .

وقال المدائني : مرّ يزيد يحدّث الرفاق وهناك منزل الهذيل بن زُفر ، وكان يزيد خائفاً من الهذيل فلم يشعر إلا وقد دخل يزيد عليه ، ثم دعا بلبن فشربه فاستحيا الهذيل وعرض عليه خيله وغيرها فلم يأخذ منه شيئاً ، ثم أتى الرصافة وسار في البرّ حتى أتى القادسيّة ، فوجّه عبد الحميد في طلبه فأعجزه حتى دخل البصرة .

المدائني عن بشر بن عيسى أن يزيد بن المهلب دخل البصرة ليلة البدر من شهر رمضان سنة إحدى ومئة وعليه درع وهو معتمّ ، فمر بالحرس الذين في الأزد ليلاً وعليهم بدل بن نعيم من بني ثعلبة بن يربوع[1] ، وكان عدي بن أرطاة صيّره هناك في جماعة من بني تميم ، فقالوا : من هذا ؟ قالوا : الأمير أبو خالد ، قالوا : قدمتم خير مقدم ادخلوا بسلام فإنا نريد دار المهلب ، فاستقبح[2] فقالوا : حتى يأتي المنهال بن أبي عيينة ، وكان عدي صيّر أمر الدار إليه ليعلمه قدوم يزيد ، فبُسط له في الرحبة فجلس ، وجاء المنهال فقال : افتحوا للأمير ففتحوا له الباب فلم يدخل ، وبعثت إليه هند بنت المهلب بطعام فلم يأكل ولم يقبله ، ثم دخل الدار بعد ، وجاء بدل بن نعيم إلى عدي فقال له : قد قدم يزيد الساعة فسرّح معي خيلاً حتى آخذه قبل أن يقوى أمره ، فأبى عدي ذلك وتفرّقت المسالح التي [٦٨/٥٤٥]في الأزد .

وكتب يزيد من ليلته إلى يزيد بن عبد الملك يسأله الأمان ، وبعث إليه بكتابه مع خالد ابنه وحُمَيد بن عبد الملك بن المهلب ، والمثنى بن

---

(١) ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بتميم .

(٢) استقبح : أي قال : قبّحكم الله .

عبدالله بن الربعة ، ويقال بعثه مع حُميد ويزيد بن جُديع والمثنى بن عبدالله ، وبعث إلى عدي بن أرطاة القاسم بن عبد الرحمن الهلالي[١] ، وأمّهُ فاطمة بنت أبي صفرة يسأله أن يخلّي سبيل إخوته ، وقال : اقرأه السلام وقل له إني لم أخلع ولم أرد شقاقاً ، وقد كتبت إلى أمير المؤمنين أسأله أن يؤمّنا فخلّ سبيل إخوتي لنخرج عن المِصر ، فإن أتانا كتاب أمير المؤمنين بما نحبّ فذاك ، وإلا كنت قد سلمت منا وسلمنا منك .

فأبلغ القاسم بن عبد الرحمن عدياً رسالته ، فقال عديّ للقاسم : ما ترى ؟ قال : أرى أن نشدّ يدك بهم حتى يضع يزيد يده في يدك ثم ترى من رأيك[٢] . ورجع القاسم إلى يزيد ، فقال : قد أبى إلا أن تضع يدك في يده.

ظهور العصبية القبلية في هذا النزاع .

١٠٠ ـ فبعث يزيد إلى الأزد وربيعة فجاءت الأزد وأبطأت ربيعة ، ثم جاؤوا ، فقال يزيد : لو كنا ندعوكم إلى معصية أن كان يجب عليكم أن تجيبونا وأنتم إخواننا ، فكيف وإنما ندعوكم إلى حقّ ، علام يحبس هذا الرجل إخوتي بغير جرم ، وأمر يزيد العرفاء أن يفرضوا للناس ففرضوا ، وجعل يعطيهم قطع الفضّة يقطعها لهم غلمان رجل من الصيارفة ، يقال له حريث ، وأتى يزيد قوم من القرّاء والقصّاص ، وأرسل يزيد إلى الأسواق فحوّلها أو أكثرها إلى الأزد واشترى السلاح .

واعتزل فنزل مقبرة بني يشكر ، وكانت اليمانيّة والربعيّة تختلف إليه ،

---

(١) الهلالي : نسبة إلى هلال بطن من قيس وهو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٢) وأنا أقول للقاسم : بئس ابن الأختّ لأخواله .

وكانت مضر تأتي عديّاً ، وكان سبرة بن نخف بن أبي صُفرة يختلف إلى عدي معتصماً بالطاعة ، فبعث إليه يزيد : يا با عمرو إنك تأتي هذا الرجل ولا آمن أن يغتالك بعض المضريّة فيذهب دمك ، فترك عديّاً ولزم بيته ، والبختري بن مغراء بن المغيرة بن أبي صُفرة يرى الطاعة أيضاً ويكره ما صنع يزيد . فخرج إلى الشام وأتى يزيد بن عبد الملك ، فقيل له : إنه عين ليزيد بن المهلب فحبسه ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

[من البسيط]

فإن أكن مُفْرَداً بالشّامِ مُغتَرباً ... دوني رِتاجٌ له قفلٌ وإقليدُ

وأَصْبَحَتْ بعد قُربِ الدّارِ نازِحةً ... أُمُّ الخليلِ بأرضٍ دونَها البيدُ

وحدّثني روح بن عبد المؤمن عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه : أن عديّاً حبس من بني المهلب حبيباً الحرون ومروان والمفضل وعبد الملك واستخفى محمد بن المهلب في الحدان[1] ، وتغيّب بقية ولد المهلب في قبائل الأزد فلم يقدر عديّ عليهم ، وكانوا امتنعوا من المصير إليه ، فبعث إليهم من وجوه أهل المصر قوماً ناشدوهم الله وقالوا : لا تخالفوا أميركم ، فقالوا : قد مات عمر بن عبد العزيز ولا ندري ما فعله بنا ، فلم يزالوا بهم حتى أتوا عدياً . فلما أتوه حبسهم .

وحدثني روح بن عبد المؤمن ، حدثني علي بن نصر الجهضمي[2] عن مشايخهم : أن عدياً بعث الحسن بن أبي الحسن إلى ولد المهلب في عدّة منهم عبدالله وخالد ابنا أبي عثمان بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد ، فناشدوهم أن يأتوا

---

(١) الحُدان : بطن من قبيلة الأزد وهو الحدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زَهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد .

(٢) الجِهضمي : نسبة إلى جهضم بن عدي بن مبشر بن عميرة بن اسد بن ربيعة بن نزار .

أميرهم ولا يؤثروا على الطاعة شيئاً ، فقال عبد الملك بن المهلب : إنكم واطأتم عدياً على هلاكنا وليست طاعته بواجبة علينا ، فقال له الحسن : كذبت ، فغضب عبد الملك وقال للحسن : أتكذبني يابن اللخناء وأخذ بقائم سيفه وقال : والله لولا أن أعيّر بقتلك وأنت في منزلي لضربتُ عنقَك ، فإنك عبد تريد استذلال أهل المصر بتخاشعك ، وقد عمّقت نفسك وعدوت طورك وقدرك ، فلم يزل المفضل أخوه يقسم عليه ويسكّنه حتى سكن ، ولم يجبه الحسن بشيء ، ثم قال له : يا حسن ألم تُطمر نفسك من الحجاج جبناً ، وليس هذا سلطان بني أميّة ، وذلك سلطانهم ، ولسنا نأتي عدياً على هذه الحال لأننا لا نأمنه على دمائنا كما لم تأمن الحجاج على دمك ، قال الحسن فإن عدياً قد أمّنكم من كل ما تكرهون ، وأمرني أن أَعقد لكم أماناً وأضمن لكم عنه الوفاء ، فوثق المفضل بقوله ولم يزل بعبد الملك حتى مضى معه إلى عدي وتخلّف الآخرون ، فلما دخلا على عدي أخفر الحسن وحبسهما مع حبيب ومروان ، ثم بعث فأتى بأبي عيينة ومدرك فحبسهما فصاروا ستة ، فقيّدهم جميعاً .

فلما حبس بني المهلب صعد المنبر فنعى عمر وأخبر بقيام يزيد بن عاتكة ، وكان المغيرة بن عبدالله الباهلي في خمسمئة فارس بالطفّ ، قد جعلهم عدي هناك ليمنع يزيد من دخول البصرة ، فلما دنا منه انهزم وأصحابه من غير قتال ، فلما انتهى إلى محرس بني تميم ، قالوا : من هنا ؟ قيل : الأمير يزيد فسلموا عليه بالإمرة ودعوا له ، ثم انصرفوا إلى عدي فأخبروه بمقدم يزيد فغضب عليهم وشتمهم ، وقال : تركتموه حتى دخل ثم جئتموني تخبروني عنه ، قالوا : فعاجله الساعة قبل أن يغلظ أمره وتشتدّ شوكته ، فإنه إن أصبح لم تصل إليه .

وسأله يزيد عن إخوته الذين حبسهم عدي مع حبيب ومدرك ، فقال :

هب هذين ولّيا فما بال الآخرين ؟ وكان مدرك ولي ليزيد سجستان وولي له حبيب السند ، فلما عزلهما عدي حبسهما .

ولم يعط عدي الناس من بيت المال شيئاً ، وجعل يعطيهم في اليوم درهمين درهمين سلفاً من مالٍ يقترضه ، ويقول : خذوا هذا حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين يزيد فقد كتبت إليه في أن يُطلق لي إعطاءكم من بيت المال ، وإن أقدمت على إعطائكم من بيت المال لم آمن لائمته وأن لا يحتسب ما تأخذونه لي ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

أَظنُّ رجالَ الدّرهَميْنِ تَقودُهُم إلى الموتِ آجالٌ لَهم ومَصارعُ
وأحزَمُهم مَنْ كانَ في قَعر بيتِهِ وَأَيْقَنَ أن الغُرْمَ لا بدَّ واقِعُ

حدثني أحمد بن إبراهيم ، ثنا أبو عاصم النبيل عن ابن عامر الجزار ، قال : فرض عدي لأصحابه درهمين درهمين ، فرأيت رجلاً من أصحاب الحرير وقد طعن فخرج ثربه[1] وأنه ليقال له ، قل : لا إله إلا الله ، فيقول : هاتوا الدرهمين ، حتى خرجت نفسه .

حّدثني عمر بن شبّة عن أبي عاصم عن أبي عامر الخزار ، بمثله .

وحدّثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف ، قال : جمع عدي لقدوم يزيد أهل البصرة وخندق عليها ، فبعث على خمس الأزد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي[2] ، وعلى خمس تميم محرز بن عمران السعدي أو جَيْهان ابنه ، ويقال عبيد الله بن مُضارب الدارمي[3] ، وعلى بكر بن وائل

---

(١) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء ـ اللسان ـ .

(٢) المغيرة بن زياد بن عمرو بن الأشرف بن المجتري بن ذهل بن زيد بن عِكَبْ بن أسد بن الحارث بن العتيك ـ والنسبة إلى العتيك : عَتَكي ـ بن الأسد بن عمران بن عمرو (مزيقياء) .

(٣) نسبة إلى دارم بطن من تميم وهو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

عمران بن عامر بن مِسْمع[1] ، ويقال نوح بن شيبان المسمعي ، والثبت أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة ، يقال له أبو منقذ ، قال : إن الراية لا تصلح إلا في بني مالك بن مِسْمع ، فدعا عديّ نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع فعقد له على بكر بن وائل ، وعقد لمالك بن المنذر بن الجارود على عبد القيس[2] ، وعقد لعبد الأعلا بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كُريز[3] على أهل العالية .

وقال غير أبي مخنف : عقد لعبد الأعلا بن الفرات الأسدي[4] على أهل العالية .

وأقبل يزيد لا يمرّ بخيل من خيلهم ولا قبيل من قبائلهم إلا تنحّوا له عن الطريق حتى يمضي .

وحدثني روح بن عبد المؤمن عن علي بن نصر الجهضمي عن محمد بن أبي عينية ، قال : غضب عمران بن عامر بن مِسْمع فمال إلى يزيد .

وقال أبو الحسن المدائني وأبو عبيدة : كان بالأهوازرجل من أهل الشام من السكاسك[5] يكنى أبا السكن واسمه عبدالله بن هارون فلما بلغه

---

(١) عمران بن عامر بن مِسْمع بن شيبان بن شهاب بن قُلَع بن عمرو بن عبّاد بن ربيعة (جحدر) بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٢) مالك بن المنذر بن بشر (الجارود) بن عمرو بن حنش بن الحارث (المعلى) بَن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جَذِعه بن عوف بن بكر بن عوف بن أغار بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى بن عبد القيس .

(٣) عبد الأعلا بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كريز بن عبد الرحمان بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس .

(٤) الأسدي أي بطن هذا هناك ثلاثة بطون أسد بن حزيميه ، وأسد بن عبد العزى من قريش وأسد بن ربيعة بن نزار .

(٥) السكاسك (السكن) بن أشرس بن كندة .

أمر يزيد أقبل لنصرة عدي بن أرطاة ، فخاف عدي أن يعرض له يزيد ، فبعث المِسْور بن عمر بن عباد بن الحصين ، والزَرْد بن عبدالله السعدي ليمنعاه ممّن أراده . فبعث يزيد إليه محمد بن المهلب أخاه والمهلّب بن العلاء بن أبي صُفرة فالتقوا عند الجسر ففرّ الزرد والتقى محمد والمسور ، فضرب محمد المسور فأصاب أنف البيضة فجرحه على أنفه وضرب المسور محمداً فتناول محمد السيف من المسور وجذبه فحزّ في أصابع محمد ، والتقى ابن العلاء وأبو السكن فطعنه [٥٤٦/٦٨]ابن العلاء ففقأ عينه ، وتحاجز القوم ، فقال الشاعر : [من الطويل]

وَأُفلِتَ في يومِ الخميسِ بنفسهِ وكادَ يُلاقي الموتَ زَرْدُ بني سَعْدِ

وقال آخر : [من الطويل]

حَزَزنا بحَدِّ السيفِ كفَّ مُحمّدٍ ولم نَبْتَئسْ أن فَرَّ زرْدُ بني سَعْدِ

وقال قوم من الأزد : كان ليزيد رمك[١] بالأهواز فوجّه المهلّبَ بن العلاء ليقدم بها ، وبلغ ذلك عديّاً فسرّح المسور لذلك ، وأرسل يزيد محمداً أخاه ليمنع منه فالتقوا بصهرتاج[٢] ووافاهم أبو السكن على تلك الحال فقاتل مع المسور ففقئت عين أبي السكن وجرح مسور على أنفه وانهزموا .

وقال المدائني : ولّى يزيد بُكير الفراهيدي[٣] من الأزد الجسر فأقام هناك ، ونظم عدي ما بين دار الإمارة والمربد بالخيل والرجالة .

---

(١) رمك : الرمكة الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل والجمع رَمَك ـ اللسان ـ .
(٢) صَهْرَتاج : موضع بالأهواز ـ معجم البلدان ـ .
(٣) الفراهيدي بطن من قبيلة الأزد وهو فرهود بن شبابة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان بن عبدالله بن زَهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد .

قالوا : وسار يزيد لمحاربة عدي ، وعدي في دار الأمارة ، فأمر بِظلال السوق فأحرقت وهُدمت الدكاكين ، فقال هُريم بن أبي طحمة واسمه عدي بن حارثة بن الشريد بن مرّة بن سفيان بن مجاشع بن دارم وهو أبو الترجمان بن هريم ، والمسور بن عبّاد بن الحصين الحبطي من بني تميم لعدي : ما تناظر من هذا المزوني وأنت أعزّ منه وأعدّ ؟ فأمرهما أن يسيرا إلى المربد ، وبثّ خيله في النواحي واستعدّ للحرب .

وكتب إلى يزيد بن عبد الملك يعلمه خلع يزيد بن المهلب . وخرج هريم بن أبي طحمة في جمع كثيف من بني تميم ومن قيس إلى المربد ، ووقف هو في القلب في حنظلة وسعد ، فوجّه يزيد إليهم محمد بن المهلب ، والمشمعلّ الشيباني ودارس مولى حبيب بن المهلب ، فقاتل دارس وأصحابه بني تميم من أصحاب عديّ وكانوا في إحدى المجنبتين ، وهو يقول : [من الرجز]

أنا غُلامُ الأزْدِ واسْمي دَارِسْ ... إنَّ تَميماً ساءَ ما تُمارسْ

إذ دَعَوْنا فارساً لِفارِسْ

وقال الفرزدق : [من الطويل]

تَفَرّقَتِ الجَعْراءُ إذْ صاحَ دارِسٌ ... ولم يَصْبِروا عندَ السّيُوفِ الصَّوارِمْ

جَزَى الله قيساً عن عديٍّ مَلامَةً ... ألا صَبَروا حتّى يكونَ تلاحُمْ

وقاتل محمد بن المهلب قيساً وهم في المجنبة الأخرى فهزمهم ، وانكشف أصحاب عديٍّ جميعاً ، وأعان بشر بن حاتم بن سويد بن منجوف أصحاب يزيد ، وقاتل فأبلى فأتاه محمد بن المهلب شاكراً له ، وبعث إليه يزيد بصلة سنيّة مع عثمان بن المفضل بن المهلب .

فزعموا أنه قيل لابن سيرين[1] : إن بكراً أعانت الأزد ، فتمثل :

[من الطويل]

إذا كانَتِ الأنصارُ بكرَ بنَ وائلٍ فـذلـكَ دِيـنٌ نـاقـصٌ غيـرُ زائِـدِ

وكان فيمن قاتل يومئذٍ سالم المنتوف ، فقال بعضهم : [من الرجز]

إنَّ تميمـــاً ســـاءَ مـــا تُمـــارِسْ ويـلٌ لهـا مـن سـالِـمٍ ودارِسْ

وقال الفرزدق : [من البسيط]

والأزدُ قد نَظَمْتْ بالمِربَدَيْنِ وَقَدْ حلّـوا بـأرعَـنَ مثـلِ الطَّـودِ جرَّارِ

وإنما كره محمد ودارس أن يصير أصحاب عديّ إليه فيقوى بهم ، وكره أصحاب عدي أن يولّوا فيكبّ محمد ودارس عليهم .

قالوا : ولما كان من الغد بعث عدي هريم بن أبي طحمة المجاشعي إلى المسجد المعروف بمسجد الأنصار ، في خيل ، فأرسل يزيد أخاه محمد وهو ابن الطالقانية فشدّ على هريم فاحتضنه وأخذ بمنطقته ، فقال هريم : عمّك يابن أخي فتركه .

وقال أبو محنف في بعض روايته : التقوا عند مسجد الأنصار ليلاً فأهوى محمد لمنطقة هريم ليحمله فيقتلعه من السرج فانقطعت منطقته فتركه . وأقبل مسور يريده فضربه محمد على أنفه وانهزم أصحاب عدي .

وقال أبو عبيدة : ضرب محمد بن المهلب مِسْوراً ضربة على أنفه ، فقال خلف بن خليفة الأقطع : [من الخفيف]

---

(١) محمد بن سيرين شيخ الإسلام أبو بكر الأنصاري الأنسي البصري مولى أنس بن مالك كان أبوه من سبي جرجرايا . سير أعلام النبلاء ج : ٤ ص : ٦٠٦ .

كســروا رايــةَ ابــن أُمِّ هــريــمٍ   ثمَّ حزّوا مُسوَّراً على الخرطوم[1]

ووجّه يزيد عثمان بن المفضل بن المهلب نحو عدي وقد برز عدي إلى رحبة القصابين فلقي عثمان خيل عدي فهزمهم وأسر منهم رجلين أطلقهما يزيد ، وأبلى عثمان يومئذ بلاءً مذكوراً فزوّجه يزيد ابنته الفاضلة بنت يزيد ، وهزم أصحاب عدي في كل ناحية ، وقُتل خالد بن واقد العُقَيلي[2] وغيره وهرب عدي فدخل الدار ، وأُخذ دينار السجستاني مولى آل المهلب في العطّارين ثم صار إلى الوزّانين فرمي بصخرة من سطح فأصابت ظهره فمات ، واحتزّ رأسه رجل من بني تميم فأتى به عديّاً ، وقال : هذا رأس بعض بني المهلب ، فبعث به عدي إلى المحبسين الذين عنده من ولد المهلب ، فقالوا : هذا رأس دينار مولانا .

وكان محمد بن المهلب ودارس ومن معهما مواقفين لهريم ومِسْور وأصحابهما لا يقدم بعضهم على بعض ، وذلك عند مسجد الأنصار حيث كانت وقعتهم ، فلم يزالوا على تلك الحال حتى ظهر يزيد على عدي .

قالوا : والتقى عثمان بن المفضل وأصحابه عدي في الرحبة التي عند دار الأمارة فاقتتلوا ، فصُرع جَيْهان بن محرز السعدي فحماه معاوية بن أبي سفيان بن زياد ، فقال الفرزدق :   [من الطويل]

دعا ابنُ أبي سفيانَ والخيلُ دونَهُ   تُثير عَجاجاً بالسَّنابِكِ ساطِعُ
فكرَّ عليه مثلَ ماكرَّ مُخدَرٌ   مِنَ الأُسْدِ يحمي وارِداتِ المشَارِعِ

وأم معاوية هذا أمّ أبان بنت حكيم بن قيس بن عاصم (المنقري) التميمي . ودنا الناس إلى عدي وهو في دار الإمارة وألصقوا بالدار

---

(١) على الخرطوم : تسببان فساد الوزن .

(٢) العقيلي نسبة إلى بطن من بني عامر بن صعصعة من قيس ، وهو عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

فجعلت نبالهم تقع في الدار .

فقال عدي لحبيب بن المهلب : أجرني ، قال : لا ولا كرامة ، فقال لأبي عيينة وعبد الملك : أجيراني ، فقالا : نعم ، وكانت الأصوات إذا خفيت دنا بنو المهلب إلى عدي كأنهم يعوّذون به ، وإذا علت دنا عدي منهم متعوّذاً بهم .

وجاء عبدالله بن دينار مولى بني عامر وكان على حرس عدي منهزماً ، فدقّ الباب وقال : افتحوا فقد أخزى الله ابن المهلب فلم يفتح له حتى أُسر ، ودعا عثمان بن المفضل مسلماً فوضعه على بيت المال ودار الديوان فصعد الناس ثم انحازوا وخرجوا إلى دار الإمارة فأخذوا عدياً وفتحوا الباب .

وأرسل عثمان إلى يزيد رجلاً أعلمه الخبر ، فأقبل يزيد حتى وقف على باب الدار وأخرج إليه إخوته فأمر بإطلاق قيودهم فأطلقت ، ولم يدخل الدار ليكون الأمر (كما) زعم شورى ، ونادى مناديه : الناس آمنون إلا عدّياً وموسى بن وجيه الحميري . فقُتل موسى ، قتله رجل عطّار وقام أخو جرير بن حازم واسمه مخلد واعتنق ابن وجيه وقال : اقتلوني وموسى فأصابه السيف فحمل وهو مثقل فمات بعد أيام ، ويقال إن شقران مولى العتيك شدّ على موسى فعانقه وقال : اقتلوني وموسى وارتث شقران فحمل إلى العتيك فعاش أياماً ثم مات .

وأمر يزيد فحوّل إليه عديّ بن أرطاة وأنبه ، وحاضر بن حاضر الأسدي ، ويقال أبو حاضر نفسه ، وابن السمط بن شرحبيل بن السمط الكندي ، وزياد بن الربيع الحارثي[1] وغيرهم ممن أخذ من أصحاب

---

(١) نسبة إلى قبيلة الحارث بن كعب وهو زياد بن الربيع بن زياد بن أنس بن يزيد =

عدي فقيّدوا جميعاً ، فقال له عدي : لا تغرنّك نفسك يا يزيد فقد رأيت جنودَ الله من أهل الشام وبلاءه عندهم ، فتدارك أمرك قبل أن يشخصوا إليك ، واعلم أن بقائي أبقى لك وإن طلبت الإقالة فهو خير لك ، وقال الفرزدق : [من الطويل]

[و] أَعطى عَدِيٌّ باسْتِه واسْتِ أُمِّهِ أبا خالِدٍ والخيلُ تَدمى نحُورُها

وأجمع قوم على الخروج من البصرة ، منهم هريم بن أبي طحمة والمسور وعمرو بن يزيد بن عُمير الأسدي ومحمد بن رباط الفُقَيمي[(١)] وهدّاب بن مسعود المازني[(٢)] ومالك بن المنذر بن الجارود والحواري بن زياد بن عمرو العتكي[(٣)] ، فمضوا إلى الكوفة فأكرمهم عبد الحميد بن عبد الرحمن الأعرج عامل الكوفة من يزيد بن عبد الملك ، وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز فأقرّه يزيد على الكوفة وأدنى مالك بن المنذور فحسده عمرو بن يزيد ، فسعى به وقال : هو عين ليزيد عليك وقال السرادق الباهلي : [من البسيط]

غَابَ العَرانينُ منْ قَيْسٍ ولو شِهِدوا يَوْمَ ابْنِ أَرْطَأَةٍ ما سُبَّت به مُضَرُ[(٤)]

= (الديان) بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مالك (مذجح) .

(١) نسبة إلى فُقَيم بن جرير بن دارم بن مالك (الفرق) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) عند ابن الكلبي في الجمهرة هدّاب بن سعيد بن مسعود بن الحكم بن عبدالله بن مرثد بن قطن بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن (المازني) بن مالك بن عمرو بن ثميم .

(٣) نسبة إلى العتيك بطن من الأزد وهو الحواري بن زياد بن عمرو بن الأشرف بن المجتري بن ذهل بن زيد بن عِكبّ بن أسد بن الحارث بن العتيك .

(٤) يجب حذف ما من (ماسبت) ليستقيم الوزن .

قالوا : ولما ظهر يزيد على عدوه أقام يومه ذاك في دارٍ بحيال المسجد الجامع ، أمر فنودي بالناس فحضروا المسجد وحشدوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها الناس إنا غضبنا لكم فانظروا لأنفسكم رجلاً يحكم فيكم بالعدل ويقسم فيكم بالسويّة ويقيم فيكم الكتاب والسنّة ، ويسير بسيرة الخلفاء الراشدين .

فقال الحسن بن أبي الحسن البصري : يا عجباً من يزيد إنه بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين اتبعوه تقرّباً إلى بني مروان ، حتى إذا منعوه شيئاً من دنياهم وأخذوا بحقّ الله عليه غضب فعقد حرقاً على قصب ، ثم نعق بأعلاج فاتبعوه وقال : إني قد خالفت هؤلاء فخالفوهم ، ثم يدعوهم إلى كتاب الله وسيرة الخلفاء الراشدين ألا وإن من سيرة الخلفاء الراشدين أن يوضع في رجله قيد ويردّ إلى محبس [٦٨/٥٤٧] عمر .

فقال رجل للحسن : كأنك راضٍ عن أهل الشام ؟ فقال : قبّح الله أهل الشام وترّحهم ، أليسوا الذين أحلّوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام وأباحوه أنباطهم وأقباطهم ، لا يتناهون عن سيئة ولا انتهاك حرمة[١] ، ثم نصبوا المجانيق يرمون بيت الله[٢] . فلم يُهج يزيد الحسن وكفّ عنه .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا سعيد عن الحسن أنه قال في فتنة يزيد بن المهلب : كلما نعر لهم ناعر اتبعوه هذا عدو الله بن المهلب .

---

(١) يقصد يوم الحرّة يوم أباح يزيد بن معاوية المدينة ثلاثة أيام وكان على جيشه مسلم بن عقبة المري فسمي بذلك اليوم : مسرف .

(٢) يقصد هدم الحجاج الكعبة في حرب عبدالله بن الزبير .

وحدثني عبد الواحد بن غياث عن جويرية بن أسماء ، قال : ذُكر ابن المهلب عند الحسن ، فقال : فاسق قاتل الناس مع هؤلاء على غير هُدىً ، ثم غضب غضبةً فعقد حِرقاً على قصب ، ثم نعق بأعلاج وطغام فاتبعوه فهو يزعم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسيرة الخلفاء الراشدين ، ألا وإن من سيرة الخلفاء الراشدين أن توضع في رجله قيد ويُردّ إلى حبس عمر .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير بن حازم ، ثنا عمر بن يزيد ، قال : سمعتُ الحسن أيام ابن المهلب ، يقول : والله لو أنّ الناس إذا ابتُلوا من قبل سلطانهم صبروا لم يلبثوا أن يفرّج الله عنهم ، ولكنّهم يفزعون إلى السيف فيكلهم الله إليه ، فوالله ما جاء الجازع إلى السيف بيومٍ خيرٍ قطّ .

بيعة يزيد بن المهلب :

١٠١ ـ قالوا : وبايع الناس يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنّةرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتحوّل إلى دارالإمارة ، ووجد في بيت المال عشرة آلاف ألف درهم ، وخندق على البصرة وولّى شرطته عثمان بن أبي الحكم الهنائي[١] من الأزد ، واستعمل محمد بن المهلب على فارس ، وهلال بن عياض الهنائيّ على الأهواز ، وزياد بن المهلب على عُمان ، والمنهال بن أبي عيينة على جزيرة ابن كاوان[٢] ، والأشعث بن عبدالله بن الجارود أو مهزم بن الفرز العبدي[٣] على البحرين ، وولى مدرك بن المهلب خراسان ، وولى وداع بن حميد

---

(١) الهنائي : بطن من الأزد وهو هناءة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان بن عبدالله بن زَهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد .

(٢) جزيرة كاوان : جزيرة بين عمان والبحرين من بحر فارس ـ معجم البلدان ـ .

(٣) العبدي : يعني من عبد القيس .

اليحمدي[1] من الأزد قندابيل ، فقال له حبيب بن المهلب : لا تولّه فإن في رأسه وعينيه غدرةً ، فكان من أمره أنه أغلقها دونهم ، فقال المفضل : رحم الله أبا بسطام يعني حبيباً كأنه كان يرى أمر وداع ، ويقال إن وداعاً كان قتل قبل هربهم إلى قندابيل .

قالوا : ولما كان يوم الفطر خرج يزيد بن المهلب إلى المُصلى فخلع يزيد بن عبد الملك وشتم بني مروان ، ودعا إلى الرضى من بني هاشم ، وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن ، فقال : وهذه الضبعة العرجاء مضطجعاً بالكوفة ، فأخذ الناس عليه قوله الضبعة ، وإنما هي الضبع والذكر ضُبعان ، وأصاب الناس يومئذ مطر شديد فانصرفوا وانصرف يزيد عن المصلى إلى الأزد وصحبته ناس قليل فغدّاهم وكساهم وأعطاهم مالاً قُسم بينهم ، ثم رجع إلى دار الإمارة .

يزيد بن المهلب يطلب مساعدة الخوارج :

١٠٢ ـ ووجّه يزيد بن المهلب إلى بسطام مُرِّي المعروف بشوذب الشاري ، السميدع ويقال حبيب بن خُدرة ، يدعوه إلى نصرته ، فقال شوذب للذي أرسله يزيد من هذين الرجلين : لولا مكانك في الدين لقتلتك ، أتدعوني إلى نصر يزيد وضربه عشرين سوطاً ، وكان السميدع وحبيب صُفريين .

قالوا : وقدم عبد الملك ومالك ابنا مسمع بن مالك بن مسمع من السند فكرها أن يقابلا يزيد فدعَوا بني بكر إلى نصرة عدي ، وكتبا إلى يزيد بن عبد الملك كتاباً في أمر يزيد بن المهلب ، فصار الكتاب إلى ابن

---

(١) اليحمدي : بطن من الأزد نسبة إلى يحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب وباقي النسب مر في الحاشية الأولى .

المهلب ، فقال : أراهما يعينان علي ويبغياني الغوائل فحبسهما مع عدي وأصحابه .

قالوا : وكان قَتادة بن دعامة السدوسي[1] الفقيه ينتقض من يزيد بن المهلب وينال منه ، فبلغ ذلك يزيد فأرسل إليه وهو في الأزد ، فلما دخل عليه شتمه ، فأغلط له قتادة ، فقال السميدع : دعني أبعج بطن هذا الأعمى أعمى الله قلبه كما أنه أعمى البصر والقلب ، فقال يزيد : أنا أراقب قومه وأمر به فوجىء في عنقه ووضع فيها حبل وبعث به إلى الأهواز فحبس بها ، وخرج قتادة وهو يبكي ، فقال له رجل : أتبكي يا أبا الخطّاب ؟ قال : نعم مما أرى ، فلم يزل محبوساً حتى قتل يزيد ، فأخرجه صاحب السجن وكان من بني عجل .

وكتب ابن المهلب إلى زياد بن المهلب وهو بعمان ، أن يفرض ، ففرض لثلاثة آلاف رجل من أهل عمان واستعمل عليهم المشماس بن عمرو الأزدي ثم الجُديدي[2] ، فقدموا على يزيد .

قالوا : وكان بالبصرة قاصّ يقال له زيدل ، فشاور الحسن في صحبة يزيد فنهاه فصحبه فأخبر يزيد بقول الحسن ، فقال : يا قوم مالي وللحسن يخذّل الناس عني ، إني لأخاف والله نفسي عليه . فكان الحسن يقول : يأتينا أقوام فينتصحونا فننصح لهم فيسيؤون بنا ، زيدلٌ وما زيدل لعن الله زيدلاً .

---

(١) بطن من شيبان نسبة إلى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٢) الجديدي : بطن من قبيلة الأزد وهو جُديد بن حاضر بن أسد بن عائذ بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد .

وقال يزيد وذُكر الحسن : والله ما أدري ما استبقائي إياه ، فإنه شيخ جاهل لهممت أنْ أضربه حتى يموت ، فقال المفضّل : أصلح الله الأمير إن له قدماً وفضلاً وقدراً بالمِصر ، فكفّ ذلك عنه . وقال الشاعر :

[من الرجز]

لَبِئْسَ مـا أبلَـتْ تميـمٌ أمـسِ — عنـدَ ابـنِ أرطـأةٍ وعنـدَ البَـأْسِ
لـم يصلُحـوا إلا لِلَقْمٍ دَحِـس[1] — والفلـقِ بـالبَـرِيِّ والتَّحسّـي[2]
وَلَّـتْ تَميـمٌ بظهـورٍ قُعْـسِ — وَأَسْلَمْـت أَدْبـارَهَـا للنَّخـسِ

وقال يحيى بن أبي حفصة : [من البسيط]

لو نَالَ عَقْداً عَدِيٌّ من حبالهمُ — ما حَلَّ بالسّجنِ في قَيدٍ وأصفادِ
إنْ يَقتلـونَ فـإنَّ الله قـاتلُهـمْ — ودونَ قتلِـكَ يـومٌ شـرّهُ بـادِ
آلُ المهلّـبِ قـومٌ خـانَـةٌ غُـدُرٌ — لن يهديَ الله كيدَّ الخائنِ العّادي

وحدّثت عن مرجوم العطار عن أبيه ، قال : لما كانت فتنة يزيد اختلف الناس في أمره ، فانطلقت ورجل آخر إلى محمد بن سيرين فقلنا : ما ترى يا با بكر ؟ فقال : انظروا حين قتل عثمان ما صنع ابن عمر فاقتدوا به فإن عبد الله بن عمر كفّ يده[3] .

حدثني أبو الربيع الزهراني ، ثنا حمّاد بن زيد عن كلثوم بن جبرة ، قال : قلت للحسن : إن أكرهني يزيد بن المهلب على الخروج معه فحمَل علي رجلٌ ؟ قال : تناشده ، قلتُ : فإن أبى ، قال : فكنْ عبدالله المقتول ،

---

(١) دحس ما في الإناء حساً : حساه ـ اللسان ـ .
(٢) التَّحسّي : عمل في مهلة ـ اللسان ـ .
(٣) كيف يقول ابن سيرين هذا وهو الفقيه ألم يعلم أن عبدالله بن عمر مات وهو يلوم نفسه أنه قعد عن نصرة الحق ولم يحارب مع علي .

قال : فخرجتُ إلى مكة فسألتُ مجاهداً[١] فقال لي مثل قول الحسن .

ودعا يزيد للفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فبايعه فتوارى ، وهرب عبد الواحد من ولدابن عامر بن كُرَيز ، وخالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهتم المنقري[٢] الخطيب ، وجماعة من بني تميم وغيرهم .

رأي المضرية واليمانية في أمان يزيد بن المهلب .

١٠٣ ـ قالوا : ولما ورد حُميد بن عبد الملك بن المهلب وخالد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك ، بكتاب ابن المهلب إليه في طلب الأمان ، استشار الناس في إيمانه ، فقالت المضرية : لا تؤمّنه فإنه أحمق غدّار . وقالت اليمانية : تؤمّنه فتحقن الدماء ويستصلحه قومه .

فكتب له أمان على أن يقيم ببلده ، وأنفذه مع خالد بن عبد الله القسري[٣] وعمر بن يزيد الحكمي[٤] ، وصرف حُميداً وخالداً معه ، فقدم خالد بن يزيد إلى أبيه بالبشارة ، وكان يزيد بن عبد الملك قد ولّى عبد الرحمن بن سُليم الكلبي خراسان ، فلما كان ببعض الطريق مما يلي

---

(١) مجاهد بن جبر الإمام شيخ المفسرين والقراء أبو الحجاج المكّي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي : سير أعلام النبلاء ج : ٤ص : ٤٤٩ .

(٢) نسبة إلى منقر بطن من تميم وهو خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن سنان (الأهتم) بن سُمّي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث (مقاعس) عن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(٣) خالد بن عبدالله بن يزيد بن اسد بن كرز بن عامر بن عبدالله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شِق بن صعب بن يشكر بن رُهم بن أفرك بن نذير بن مالك (قسر) بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

(٤) الحكمي : نسبة إلى الحكم بن سعدالعشيرة بن مذحج (وهو بطن) .

الكوفة بلغه ما صنع يزيد بن المهلب بعده ، فأقام بمكانه ، وورد خالد بن عبد القسري وعمر بن بزيد الحكمي ومعهما حُميد بن عبد الملك بن المهلب ، فلقيهم الحواري بن زياد بن عمرو العتكي . وكان قد صار إلى عبد الحميد فحمله من الكوفة على البريد إلى يزيد بن عبد الملك ، فأخبرهم بما فعل يزيد بن المهلب ، وقال : تركتُ عدياً محبوساً مقيّداً ، فقال حُميد : إن هذا عدواً لنا فهو يشنّع علينا ، وساروا حتى بلغوا الموضع الذي به عبد الرحمن بن سليم بقرب الكوفة .

فشدّ عبد الرحمن على حُميد بن عبدالملك فاستوثق منه وأخبر عبدُ الرحمن خالدَ بن عبدالله والحكمي بما فعل يزيد بن المهلب ، وقال : لا تنفذوا إليه .

وقال أبو مخنف : ولّى يزيدُ بن عبد الملك عبدّ الرحمن بن سُليم الكلبي خراسان ، فلما كان بقرب الكوفة بلغه ما كان من ابن المهلب ، فأقام وكتب إلى يزيد بن عبد الملك : أن جهاد من خالفك أحبّ إليّ من ولاية خراسان ، فاجعلني ممن ينهض لقتال ابن المهلب وقد عصى وخلع وحبس عدياً ، وورد عليه خالد بن عبدالله وعمر بن يزيد بالموضع الذي أقام به ومعهما حُميد ، فقال لهما : لا تنفُذا وشدّ عبد الرحمن على حُميد فبعث به إلى يزيد بن [٦٨/٥٤٨] عبد الملك فحبسه ، ووثب عبد الحميد بن عبدالرحمن على خالد بن يزيد بن المهلب حين قدم الكوفة يريد أباه ليبشّره زعم بالأمان ، فبعث به إلى يزيد أيضاً فحبسه ، فلم يفارق حميد وخالد الحبس حتى هلكا فيه بالطاعون ، ويقال : بل قُتلا فيه ويقال إن ابن جهم بن زحر كان معه فحبسه عبد الحميد .

حرب يزيد بن عبد الملك يزيد بن المهلب .

١٠٤ ـ وورد الحواري على يزيد بن عبدالملك فصدقه عن خبر

يزيد بن المهلب ، فعندها أمر بتوجيه الجنود إليه . وبعث يزيد إلى أهل الكوفة رجالاً من أهل الشام يسكّنوهم ويثنون عليهم بطاعتهم ويعدونهم الزيادة في أعطيتهم ، فيهم القطاميّ بن جمّال الكلبي واسم القُطامي حُصين ، وكان القطامي حين بلغه أمر يزيد بن المهلب ، قال :

[من الرجز]

لعلَّ عَيْني أنْ تَرى يزيدا يقودُ جَيشاً جحفلاً رَشيدا

[و]تَسْمَعُ الأرضُ بِهِ وَئيدا لا بَرِماً حَبِساً ولا حَيُودا

ولا جباناً في الوغى رِعْديدا

ثم إنه بعد ذلك سار مع مسلمة بن عبد الملك فحارب يزيد بن المهلب ، فقال يزيد : ما أبعد شعر القطاميّ بن جمال من فعله .

وحدثني عمر بن بُكير عن الهيثم بن عدي عن عَوانة ، قال : مرّ يزيد بن المهلب بفرقدٍ السبخي ومع يزيد إخوته ، عبد الملك والمفضل وأبو عيينة فوقف على فرقدٍ وعليه جبّة صوف وعلى عاتقه منجل ، فقال له : يا أبا يعقوب إن بني أمية انتزوا الناس أمورهم فلو خرجت سارع الناس إليك ، فقال : هيه اذهب عنّا . فقال إخوته : من هذا ؟ قال : فرقدٌ السَّبخي ، فقال المفضل : إنا لله وإنا إليه راجعون بعد الأحنف بن قيس والمهلب ومالك بن مِسْمَع صرنا إلى فرقدٍ السَّبخي هلكنا وربِّ الكعبة .

قالوا : وجّه يزيد بن عبد الملك وهو يزيد بن عاتكة مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك في جمع عظيم من أهل الشام والجزيرة ، يقال إن مبلغه سبعون ألفاً ويقال ثمانون ألفاً ، وكان يزيد حين خلع ، قال : إني لأرجو أن أهدم مدينة دمشق حجراً حجراً ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

يُخبِرُكَ الكُهّانُ أنّكَ ناقِضٌ دِمشقَ التي قد كانَتِ الجنُّ خَرّتِ

لها منْ جِبالِ الثلجِ صخراً كأنَّهُ قنا[1]عيسٌ حتى أشرفت واشمخرّتِ
أَتَتْكَ خيولُ الشّامِ تخطُرُ بالقَنَا لهـا حِـزَقٌ كـالطَّيـرِ لمـا استقلَّـتِ
يَقُــودُ نــواصِيهــا إِليــكَ مُبــاركٌ إذا مــا تَصــدَّى للكتيبــةِ وَلَّــتِ
لآلِ بني العاصِي حَوالي لوائِهِ ثمــانــونَ ألفــاً كُلُّهــا قــد أَظلَّــتِ

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن أشياخه ، قال : نزل مسلمة والعباس النخيلة بالكوفة ، فقال مسلمة : ليت هذا المزوني لا يكلّفنا اتباعه في هذا البرد ، فقال حسان النبطي : أنا أضمن لك أن يزيد لا يبره الأرصة ، يريد أنا أضمن لك أن يزيد لا يبرح العرصة ، فقال العباس : لا أم لك ، أنت بالنبطيّة أبصر منك بهذا ، فقال حسان له : نبّط الله وجهك أشقر أهمر أزرق ليس إليه طابي الخلافة ، يريد أشقر أحمر ليس عليه طابع الخلافة ، فقال مسلمة : يا با سفيان لا يهولنّك قول العباس ، قال : إنه أهمق لا يأرف ، يريد أحمق لا يعرف .

قالوا : وقد كان جرى بين العباس ومسلمة اختلاف فبلغ ذلك يزيد بن عاتكة ، فوجّه ابن حيان المرّيّ ليصلح بينهما ، وضمن له يزيد بن عاتكة إن فعل أن يفكّ عنه حدّين كان حدّه إياهما أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وهو يومئذ عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة ، أحدهما لرجل من قريش ، قال له : يا مخنث يا منكوح ، والآخر في شراب ، فلما أصلح بينهما واستقام أمرهما ، عزل يزيد ابن حزم وكان عامله بعد سليمان وعمر أيضاً . فاقتص عثمان منه الحدّين ، وكان شاعر الأنصار ، قال : [من الرجز]

نحنُ ضَرْبنا الفاسِقَ ابنَ حيّانْ حــدّيــنِ لــم يخلِطْهمــا بهتــانْ

---

(١) قعنس : المقعنس : الشديد . رجل مقعنس : إذا امتنع أن يضام ـ اللسان ـ .

فقال شاعر قيس :

نحن ضربنا الفاسِقَ ابنَ حزمٍ حَدَّينِ لم يَخلِطْهُما بإثْمِ

قالوا : ولما بلغ يزيد بن المهلب إقبال مسلمة والعباس في جند أهل الشام والجزيرة ، كتب إلى محمد بن المهلب في القدوم من فارس فقدم عليه ، وقيل له أئت فارس فإن بها قلاعاً منيعةً فإن أعطيت ما تريد وإلا أتيت خراسان ، فقال : أمع الوعول بفارس ، فقال محمد : أقم فقاتل بأهل مِصرك ، فقال حبيبٌ : لا تُخدعنّ فإن أهل مصرك غير مقاتلين معك ، ولكن احمل هذا المال واخرج إلى الموصل فادعُ عشيرتك بها ، فقال : يا با بسطام أردت أن تقرّبني من عدوّي فيقتلني في بلاده ، لا ولكني آت واسطاً ثم أقربُ من الكوفة وأرتاد مكاناً فيه مجال للخيل ، وأرجو أن ينضمّ إليّ من أهل الكوفة مثل من معي من أهل البصرة ، فعسكر بالبصرة عند الجسر ، وأمر مروان بن المهلب أن يستقر الناس ، وكان الحسن البصري يثبّط الناس عنه ويحذّرهم الفتنة ، فأخذ مروان ناساً من أصحاب الحسن فحبسهم ، فكفّ عند ذلك فخلاّهم مروان .

ثم وجّه يزيد عبد الملك بن المهلب في أربعة آلاف إلى واسط فأتاها ، وخرج يزيد من البصرة يؤمّ واسطاً واستخلف على البصرة مروان بن المهلب . فأتي مروان بمرتدٍّ فاستشار فيه الحسن ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من بدّل دينه فاقتلوه» فقتله . وقدم يزيد واسطاً في ستة عشر ألفاً وشخص معه بعدي بن أرطاة ومن حبسه معه ، وتكلّم الناس فعظّموا أمر أهل الشام ، فخطبهم فقال :

رأيت ارتجاس هذا العسكر بقولهم جاء مسلمة وجاء العبّاس وجاء أهل الشام ، وما أهل الشام هل هم إلا سبعة اسياف سبعة منها لي وسيفان عليّ ، وما مسلمة إلا جرادة صفراء وما الباس إلا نسطوس بن نسطوس

أتاكم في برابرة وجرامقة وجراجمة وأنباطٍ(١) وأبناء فلاّحين وأوباش أخلاط وأشلاء اللحم وأقباط ، ليس لكم جبن كجبنهم أوليسوا بشراً يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ، فأعيروني سواعدكم ساعةً تصفقون بها خراطيمهم .

وكان خالد بن صفوان هرب من البصرة فلقيه يزيد بواسط وكانت بوجهه نثرة عليها دواء فاستأذنه وقال : إنه وصف لي شرب التيادر بطوس فأذن له فتنحّى ، وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، أو غيره :

[من الطويل]

أَبا خَالدٍ قد هِجْتَ حَرباً فلا تُقِمْ ... وقد شَمَّرتْ حَربٌ عوانٌ فَشَمَّرِ

فقال يزيد حين بلغه هذا البيت : قد كان ذاك [من الطويل]

وَإنَّ بني مروانَ قد زالَ ملكُهمْ ... فإن كنتَ لم تَشْعُرْ بذلكَ فَاشْعُرِ

فَعِشْ مَلِكاً أَو متْ كريماً وإنْ تَمُتْ ... فسيفُكَ مشهورٌ بكفِّكَ تُعذَرِ

فقال يزيد أما هذا فنعم .

وقال عطيّة بن السائب الشني(٢) : [من الطويل]

---

(١) جرامقة : جرامقة الشام أنباطها واحدهم جرمقاني . جرجومه : مدينة كانت على جبل اللكام بالثغر الشامي بين بيأس وبوقة قرب إنطاكية يقال لأهلها جراجمة وهمّ نصارى ثم تفرقوا في نواحي الشام ـ معجم البلدان ـ وما زال حتى الآن حيٌّ بحماه يسمّى حيّ الجراجمة . الأنباط : جيل ينزلون سواد العراق وسموا ذلك لاستخراجهم ما يخرج من الأرض ـ اللسان ـ .

(٢) الشني بطن من قبيلة عبد القيس وهو شن بن أقصى بن عبد القيس وهو صاحب المثل المشهور : يحمل شن ويفدى لكيز وهما أخوه وشن بار بأمه ولكيز عاق فكلما حملها شن تقول فديتك لكيز فرماها وقال يحمل شن ويفدّى لكيز .

أَبـا خـالـدٍ إنَّ المنـايـا مُطلّـةٌ   فَمُتْ صابراً قُدْماً كما ماتَ مُصْعبُ[1]
ولا تَقْبَلـنْ خَسْفـاً فمـا مـن سَعـادَةٍ   لمن عاشَ مذموماً يُلامُ ويُقضبُ[2]

فلما سمع يزيد قوله : كما مات مصعب ، قال : صدق فوك ، ووجه يزيد إخوته يرتادون له موضعاً للمعسكر فاختاروه بالعَقْر ، فخلّف على واسط ابنه معاوية بن يزيد ، وخلّف عديّ بن أرطاة ومن حبس معه عنده ، وسار يزيد حتى نزل معسكره بالعقر بين المدائن والكوفة وهو من سورا[3] ، وأتاه ناس من أهل الكوفة يعينونه ، ونزل عبد الحميد بن عبد الرحمن النخيلة ، وبثق الأنهار لئلا يصل أحد إلى الكوفة ، وبعث مع سند بن هانىء الهمداني[4] جيشاً إلى مسلمة ليقاتلوا ابن المهلب معه ، وقال الفرزدق : [من الطويل]

فهلاّ زجرت الطيرَ إنْ كنتَ زاجراً   غـداةَ نـزلـتَ العَقْـر أنَّـكَ تُعقَـرُ

ولما قرب أهل الشام منه وجّه أخاه محمداً ، وكان يُسمّى المشؤوم وابنه المعارك في جمع كثيف قلقوا العباس بن الوليد بسوراء وهو في أربعة آلاف ، سوى من صار إليه من أهل البصرة مخالفين ليزيد .

فالتقوا فانكشف أهل الشام ، وصبر هُرَيم بن أبي طحمة وأهل البصرة ، فناداهم هُريم : يا أهل الشام لا تُسْلمونا فعطفوا وأقدم هريم وهو يقول : [من الكامل]

---

(١) قتل مصعب كريماً فقد أُعطي الأمان وحكم العراق ما دام حيّاً وخذله جَيشه ولم يبق معه إلا القليل فاستقتل وأبى أن يسلم نفسه .

(٢) القضب : القطع ـ اللسان ـ .

(٣) سُورا : موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين .

(٤) همدان قبيلة كبيرة يمانية وهمدان اسمه أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كهلان .

لما رَأَوْني في الكتيبةِ مُعْلَماً   أَغْشى الكريهَةَ مثلَ ضوءِ الكَوكَبِ
فاستيقَنُوا مني بضربٍ صادقٍ   ليسَتْ عَداوَتُنا كبرقِ الخُلَّبِ

فهزموا أصحاب يزيد حتى بلغوا إليه ، فقال الفرزدق :   [من الطويل]

أَحَلَّ هُريمٌ في سُوَرَّاءَ بالقَنَا   نُذورَ نِساءٍ مِنْ تَميمٍ فَحلَّتِ

[٦٨/٥٤٩]وقال محمد بن المهلب ليزيد : لو وجّهت إليهم خيلاً فحركتهم ، فعقد يزيد لعبدالله بن حيّان العبدي على أربعة آلاف وضم إليه فضيل بن هنّاد الأزدي ثم الفراضي[1] في خيلٍ وضمّ إليه سالم المنتوف في خيل ، وصيّره على خيل بكر بن وائل ، فعبروا الصراة ، ووجه إليهم مسلمة سعيد بن عمرو بن أسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة في أربعة آلاف ، وكان لأهل الشام كمين .

فاقتتلوا وقُتل عبد الله بن حبّان ، وفارس من أصحاب فضيل بن هنّاد ، وجال أهل العراق وخرج كمين أهل الشام عليهم عند جولتهم ، فكانت الهزيمة فلم يلووا على أحدٍ حتى أتوا يزيد ، وعثر بسالم المنتوف فرسه فصُرع فأخذوه أسيراً ،فقال لمسلمة : استبقني لقتال الروم ، فقال : يا بن اللخناء طالما كفيناك قتال الروم وكفاناهم الله قبلك ، وأمر به فقُتل . فقال موسى بن حكيم السعدي :   [من الوافر]

وَبالمَنتُوفِ عبدِكُمُ فَخَرتُمْ   فهلاّ بالصّراةَ حَمى الذِّمارا

---

(١) الفُضيل بن هناد وهو أول من أظهر السواد بالريّ ابن يزيد بن شريح بن شرحبيل ابن الحارث بن جشم بن فرض بن وائل بن عامر بن عمرو بن كعب بن الحارث ابن عبدالله بن عامر بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دثهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحَارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد .

ثم عبر مسلمة الصراة وخلّف الأثقال وخندق خندقين ، فقال المهلب بن العلاء بن أبي صُفرة : إن هؤلاء قد خندقوا خندقاً بعد خندق ولا آمن أن يصلوا خندقهم إلى خندقنا فعاجلهم فضحك يزيد ، وقال : إن وصلوا فمه ، فما أظُنُّ العسكَرْين ضَمّا رجلاً أضعفَ قلباً منك . فقال حبيب بن المهلب : أما والله إنك لتعرفه بغير الجبن وقد أشار عليك بالرأي ورماك به فبيّتهم وعاجلهم ، فهمْ يزيد بذلك ، فقال بعض من معه من القرّاء : لا يحلّ لنا أن نبيتهم حتى ندعوهم ، فأقاموا أياماً ثم التقوا .

قتل يزيد بن المهلب .

١٠٥ ـ قالوا : ولما كان اليوم الذي قُتل فيه يزيد وهو يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومئة خرج منشرٌ لأهل الشام ومنشر لأهل العراق فتهايجوا ، فسمع يزيد ضجّة ، فقال : ما هذا ؟ فقيل الناس يقتتلون ، فدعا يزيد بدرعه وثيابه فلبسها وخرج ، ووضع له كرسي على باب خندقه ووضع لمحمد كرسي آخر وجعلا يتحدّثان وقد كانت أصابت يزيد خِلفة[١] قبل ذلك فضعف فأمر الناس فتقدّموا ، وكان على ميمنته حبيب بن المهلب وعلى الميسرة المفضل بن المهلب والراية مع المهلب بن العلاء ، وركب محمد فرسه فلحق بهم فصار ومن معه على حاميتهم ، وزحف أهل الشام وفي ميمنتهم الهُذَيل بن زُفر بن الحارث الكلابي ، وفي الميسرة القعقاع بن خُليد بن جُزيّ العبسي ، ويقال الوليد بن تليد العبسي والوضّاح البريري مولى عبد الملك في الوضاحيّة ولوضّاح هذا يقول جرير بن عطية : [من الطويل]

لقد جَاهَدَ الوضَّاحُ بالحقِّ مُعْلَماً فـأورَثَ مَجْـداً بـاقِيـاً أَهْـلَ بَـرْبَـرا

---

(١) خِلفه : هيضة رقة بطن أي إسهال ـ اللسان ـ .

فاقتتلوا وصبر الناس ، فقال مسلمة للوضّاح : انطلق إلى جسر الصراة فأحرقه وأحرق السفن التي في الصراة فأحرق الجسر وبعض السفن ، فلما رأوا النار اضطرب عسكر يزيد ، فقال يزيد : ما للناس ؟ قيل : انهزموا ، قال : ولِمَ ؟ قالوا : أُحرق الجسر ، فقال : لعنهم الله رِعاجٌ[1] نُفخ فطار بئس حشو الكتيبة والعسكر ، كأنهم غنم شَدَّ في ناحيتها ذئب . فصبر أهل الحفاظ وفُقئت عين المفضل ، وجاء محمد وقد ضُرب على جبهته بعمود ، فقال له يزيد : من ضربك ؟ قال : لا أدري ، إلا أنه قال حين ضربني أنا الغلام الحرشي فظننته سعيد بن عمرو الحرشي .

وكان يزيد جالس على كرسيّه يُنقل من مكان إلى مكان ووضع على نشر من الأرض ، فنظر فإذا فرس حبيب بن المهلب قد جاء عائراً ، فقال : هذا والله فرس أبي بسطام ولا أحسبه إلا قد قُتل ، وقال له بعض من معه : إني لأظنه كما قلت وأنت تشمّ التفاح ، لأنه كان معه تفاحة يشمّها لضعفه ، فدعا يزيد بفرسه الأشقر ، ثم ذكر قول القائل في الأشقر : إن تقدّم نُحر وإن تأخّر عُقر فتطيّر وقال : إئتوني بفرسي الأشهب فأُتي به فركبه وحَمل ، فلما توسّط المعركة لقيه الفحل بن عيّاش بن حسان بن سُمير بن شراحيل بن عُرَين[2] من ولد زهير بن جناب الكلبي ، واسم الفحل عمرو فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وله يقول المسيّب بن رِفل بن حارثة بن جناب بن قيس بن ابي جابر بن

---

(١) الرّعج : الكثير من الشاء ـ اللسان ـ .

(٢) ابن عرين بن أبي جابر بن زهير بن جناب بن هُبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب (الغلباء) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ .

زهير بن جناب الكلبي : [من الطويل]

قَتَلْنا يـزيـدَ بـنَ المهلّب بعـدَما تَمنَّيْتُم وأنْ يَغْلِبَ الحـقَّ بـاطِلُـهْ
وما كانَ في أَهْلِ العراق مُنافقٌ عَنِ الدِّينِ إلا مِنْ قُضاعَةَ قاتلُهْ
تجلَّلـه فحـلٌ بـأبيـضَ صـارِمٍ حسامٍ جلا عن شَفرتَيْهِ صياقلُه

وقال : أبو مخنف : جلس مسلمة على تلّ وحوله حماة أهل الشام ، وقصد أصحاب يزيد التلّ فلما رآهم مقبلين انحدر ، وركب يزيد فرساً له أشهب وقاتل فصدمَ أهلُ الشام أهلَ العراق صدمةً منكرة واختلط الناس وفُقد يزيد ، فقال المهلب بن العلاء : ويحكم اطلبوا محمد بن المهلب فإن فيه خلفاً من يزيد إن كان يزيد قُتل ، فطُلب يزيد فلم يوجد فألقى ابن العلاء اللواء وجلس في الناس ، ودخل أهل الشام عسكر يزيد فأسروا ثلاثمئة ، فسمي ذلك اليوم يوم التلّ ويوم العقر ، لأن مسلمة كان على تلّ فلما أقبل الناس نحوه نزل عنه .

وقُتل في المعركة يزيد بن المهلب وحبيب ومحمد بنو المهلب ، ومحمد وعبد ربّه والحجاج بنو يزيد بن المهلب وحرب بن محمد .

ما حدث بعد مقتل يزيد بن المهلب وانهزام أصحابه .

١٠٦ ـ وقال قوم من قيس : قتلَ يزيدَ الهُذيلُ بن زُفر بن الحارس الكلابي ، وقيل للهذيل : انزل فاحتزّ رأسه ، فأنف وقال : أنا أنزل فأحتزّ رأسه ، استنكافاً .

وقدم فلّ يزيد بن المهلب واسطاً على معاوية بن يزيد بن المهلب ، فقدّم عديّ بن أرطاة ومن في الحبس معه فقتلهم ، وأراد قتل نساء آل المهلب لئلا يؤسرن فأغلقن الباب دونه ، فقال : أولى لها والله لو ظفرت بكن ما أبقيت منكن واحدةً ، والله أولى بالعذر ، ومضى معاوية إلى

البصرة فتحمّل منها ، ففي ذلك يقول ثابت قطنة[1] : [من الطويل]

وما سرَّني قتلُ الفَزَاريّ وابنه عديٍّ ولا أحببتُ قَتْلَ ابنِ مِسْمَعِ
ولكنَّها كانتْ معاويَ زلَّةٍ وضعتَ بها مرءاً على غيرِ مَوْضِعِ

وكان الذي قتل معاويةُ بن يزيد بن المهلب عديَّ بن أرطاة وابنه وعبدالله بن عروة النصري[2] . وابني مسمع .

وقال أبو الحسن المدائني : لما قُتل يزيد جاء قومٌ يقولون : جاء الفتح ثم جاءت حقيقة الخبر فقتل معاوية بن يزيد وهو على واسط عدّياً وجميع من كان معه ، وكان عديّ قال ليزيد : استبقني فهو خير لك ، فقال له : إني لخليق أن أشدّك بالحديد وأضعك بيني وبين أهل الشام ، فقال : إذاً لا يمنعهم ذلك من الإغراق في النزع .

قال : وأسر من أصحاب يزيد في المعركة ألفان وثمانمئة ، فبعث بهم مسلمة بن عبد الملك من العَقُر إلى ذي الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أميّة ، وكان عامله على الكوفة .

وحدّثني حفص بن عمر المعروف بالعمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش ، وأخبرني الأثرم عن أبي عُبيدة ، وقرأت على المدائني ، قالوا : لما قُتل يزيد وأُتي برأسه ورؤوس أصحابه إلى مسلمة ، أرسل بها مسلمة والعباس بن الوليد مع

---

(١) ثابت قطنة من بني العتيك بطن من أزد عمان منهم المهلب . وهو ثابت قطنة الشاعر بن كعب بن جابر بن كزمان بن طرفة بن وهب بن مازن بن مازن بن يمّ بن الأسد بن الحارث بن العتيك كان من فرسانهم بخراسان وإنما سمي قطنة لأنه كان طعن في عينه فكان يجعل عليها قطنة .

(٢) النصري بطن من هوازن وهو نصر بن معاوية بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

عَذَام بن شُتير الضّبّي إلى يزيد بن عبدالملك وافداً وبشيراً ، وبعث برأس يزيد خاصة مع محمد بن عمر المخزومي . فلما وردت الرؤوس على يزيد بن عبدالملك سجد ودعا بحجامٍ فأخذ من ناصيته ونواصي من حضره ، وكان ابن شهاب الزهري فيمن حضره ، وكان أصلع شديد الصلع فأخذ الحجام شعرات من قفاه .

وأقطع يزيد بن عبد الملك محمد بن عمر المخزومي مهلبان وأقطع عِذام بن شُتير أرض زياد بن المهلب ، وقال الفرزدق : [من البسيط]

لولا دفاعُكَ يومَ العَقْر ضاحيةً — عن العراقِ ونارُ الحربِ تلتهبُ
لـولا دفـاعُـك عنهـمْ عـارِضـاً لجبـاً — لأصبحوا عن جَديد الأرض قد ذَهَبوا
لمّا التقوا وجنودَ الشامِ فاجتَلَدوا — بالمشرفيَّةِ فيها الموتُ والحَرَبُ
خلّوا يزيدَ فتى المصرينِ مُنجَدِلاً — بالعَقْرِ منهمْ ومنْ ساداتِهمْ عُصَبُ
حَـامـى سِنـانٌ عليـهِ فـي كتيبتِـهِ — وأسلمْتُـه هنـاكَ العُجـمُ والعَـرَبُ

سنان مولى بني مِسْمع كان صبر في أربعمئة من القرّاء : قالوا : وكان سعيد بن عمرو الحرشي قال قبل القتال لمسلمة بن عبد الملك : إن محمداً كان لي ودّاً ، فلو أذنت لي فلقيته فأعطيته أماناً لعلّه يصرف يزيد عن رأيه ، قال : فصرْ إليه فأعطهم جميعاً الأمان ، فدنا سعيد بن عمرو من عسكرهم وفوّه بمحمد فأتاه ، فقال : يا با حرب أعن رأي بملائكم كان هذا ، قال : إن يزيد خاف على نفسه ففعل ما ترى[٦٨/٥٥٠] ، فأمّنه فأبى يزيد قبول الأمان .

وقال أبو الحسن المدائني : نظر الحسن بن أبي الحسن إلى النّضر بن أنس بن مالك أو موسى بن أنس ، وهو يقول : أيها الناس ما تقولون في أن يقام لكم كتاب الله ؟ فقال الحسن : وهذا ابن أنس قد شمّر قاتل الله ابن المهلب . اطرقي وميشي خرقاء وجدت صوفا .

الطرق : الضرب ومنه قيل مطرقة الصانع ومطرقة النجار وهي عوده ، والميش خلطُ الشعر بالصوف ، ومِشتُ أميش ميشاً وهذا مثل سائرٌ .

ومن رواية أبي مخنف : أن يزيد قام فحرّض الناس على القتال ، فقال : إن هؤلاء قوم لن تردّهم عن غيّهم إلا الطعن في أعينهم ، والضرب على هامهم ، إنه ذُكر لي أن هذه الجرادة الصفراء يعني مسلمة ، وعاقر الناقة نسطوس بن نسطوس يعني العباس ، كان سليمان بن عبد الملك عزم على نَفْيه فكلّمته فيه حتى أقرّه على نسبه ، لم يهمّهم إلا تشريدي في الأرض ، ولو جاؤوا بأهل الأرض جميعاً ما برحتُ العرصة حتى يكون لي أولهم .

فقيل له : أما تخاف أن تصنع كما صنع ابن الأشعث ، قال : إن ابن الأشعث فضح الذمار وفضح حسبه ، هل كان يخاف أن يفوت أجله .

المدائني عن رجل عن ابن عيّاش عن جعفر بن سليمان الأزدي ، قال : لما انتهى يزيد إلى سُورا من أرض بابل نزل العَقْر ، فقال : ما اسم هذا المنزل ؟ قيل العَقْرُ ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون وتطيّر ، ثم دعا بدرعه فصبّها عليه وتقلّد بسيفه ، ثم دعا بقباء محشوٍّ فلبسه ثم دعا بإسماعيل بن عُطارد ، فقال : حدثني عن ابن الأشعث ، قال : هُزم من الزاوية فأتى دير الجماجم فهُزم فأتى المدائن فهزم فأتى مسكن وهي عند دُجيل الأهواز فهُزم فأتى جند يسابور فهزم فأتى سابور ، فقال يزيد : سوءة له ، أما استطاع أن ينغمس في الموت ثم يغمّض إغماضةً فوالله ما هي إلا رقدة إلى يوم القيامة ، فعلم أن وطّن نفسه على أن لا يبرح حتى يموت وتمثل بقول الشاعر : [من البسيط]

باست امرئ لم يَطِبْ نفساً بميتته ... إنّ الكِرامَ على ما بِهِمُ صُبُرُ

فلما التقوا أغمض كما قال حتى قُتل .

قال : ولما لبس سلاحه دخلت عليه جاريته بسّامة ، وكانت من أحبّ الناسِ إليه وقد تهيأت وتلبّست ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فكره ذلك كراهة شديدةً ، وتبسّم وقال : [من الطويل]

رُوَيْدَكِ حتّى تَنْظُري عمَّ تَنْجلي غمامَةُ هذا العارضِ المُتَألِّقِ

ثم خرج فقال لدارس : كُنْ قريباً ، ثم طاف على رايات أهل الشام يسأل عن راية راية منها ، وقال : ادّه يقاتلني بقومي من لا قوم له .

وقال أبو مخنف : لما قتل يزيد وانهزم الناس ، كان المفضل يقاتل أهل الشام وهو لا يعرف خبر يزيد ولا أنه قد قتل وأن الناس قد انهزموا وأنه لعلى برذون له سمند قريب من الأرض وأمامه مجفّف كلما حمل عليهم انكشفوا فيحمل ثم يرجع ويكون من وراء أصحابه ، وكان لا يلتفت من أصحابه أحد إلا قال له : لا تلتفت وأقبل بوجهك على عدوك ، وجعل عامر بن العميش الأزدي يضرب بسيفه ويقول : [من الرجز]

قد علمتْ أمُّ الصَّبيِّ المولودْ أنّي بنَصلِ السيفِ غيرُ رِعديدْ

وانكشف جلّ ربيعة ، فناداهم المفضل : الكرّة الكرّة يا معشر ربيعة ، نفسي لكم الفداء اصبروا ساعةً ، فما كنتم بكُشُفٍ ولا لئام ، وما الفِرار لكم بعادة ، ولا يؤتينّ أهل العراق من قبلكم ، فبينا هو كذلك إذ قيل له : ما تصنع ها هنا وقد قُتل يزيد وحبيب ومحمدٌ وانهزم الناس ، فتفرّق من مع المفضل ، وأخذ المفضل الطريق إلى واسط ، وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب .

وقال أبو الحسن المدائني ، قال أبو اليقظان : لما قتل يزيد أقبل عبد الملك إلى المفضل فكره أن يخبر بقتل يزيد فيستقتل ، وقال : إن الأمير انحدر إلى واسط فانحدر المفضل بمن بقي معه من ولد المهلب إلى

واسط ، فلما علم بقتل يزيد حلف أن لا يكلم عبد الملك أبداً ، فما كلّمه حتى قتل بقندابيل[1] .

قال : وكانت عين المفضل فقئتْ في الحرب ، فقال : فضحني عبد الملك آخر الدهر وما عذرني عند الناس إذا نظروا إلى شيخ أعور مهزوم ، ألا صدقني فقُتلت كريماً ، وقال المفضل : [من الطويل]

[فـ]لاخيرَ لي طعنِ الصَّناديدِ بالقَنَا ولا فـي لِقَـاءِ الحَرْبِ بعـدَ يَـزيـدِ

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه محمد بن السائب : قتل يزيدَ بن المهلب يومي التلّ الفحلُ بن عيّاش واسم الفحل عمرو ، وقتله يزيد أيضاً ضرب كل واحدٍ منهما صاحبه .

وقال المدائني : يقال إن الهذيل بن زُفر قتل يزيد وأن الفحل احتزّ رأسه وجاء به إلى مسلمة ، والخبر الأول أثبت .

المدائني عن سُحيم بن حفص : أن يزيد بن عبد الملك لما قُدم عليه برأس يزيد بن المهلب ورؤوس من قُتل معه من أهل بيته ، أمر أن يُطاف بها في أجناد الشام ، وكان الذي عرّفهم الرؤوس الحواري بن زياد بن عمرو العتكي .

وبادر العباس بن الوليد فوجّه بالبشارة إلى يزيد بن عاتكة عِذام بن شُنير قبل أن يوجّه بها مسلمة أحداً .

وقال الهيثم بن عدي : قال ابن عيّاش وعوانة : نزل يزيد العَقْر من سوارا ومعه ثلاثة آلاف من الأباضية[2] عليهم جعفر بن شيمان الأزدي ،

---

(١) قندابيل : مدينة بالسند وهي قصبة لولاية يقال لها الندْهة ـ معجم البلدان .

(٢) الأباضية : فئة من الخوارج سميت باسم رئيسها عبدالله بن أباض وهو من بني صريم بن الحارث (مقاعس) بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم .

فقال يزيد : يادارس كنْ مني قريباً ، وتقدّم محمد بن المهلب فأنشب الحرب وكان مشؤوماً ، فقتل أهل الشام من الأباضيّة نحواً من ألفين ، وعطفوا على يزيد فقاتل فقتل ، وطلبه أصحابه فلم يقدروا عليه ، وأُصيب دارس مقتولاً ، ونظروا فإذا في وجه يزيد وصدره نحو من عشرين ضربةً وطعنةً واحتزّوا رأسه .

وعمد معاوية بن يزيد بن المهلب وهو على واسط فقتل عدياً ومن حُبس معه من الأسارى ، فقال ثابت ابن قطنة الأزدي : [من الطويل]

[و] ماسرَّني قتلُ الفَزَاريّ وَابنِهِ عديٍّ ولا أحببتُ قتلَ ابنِ مِسْمعِ
ولكنّهـا كـانـتْ مَعـاوِيَ زَلّـةٍ وضعتَ بها امرءاً على غيرِ موضعِ

وأسر من أصحاب يزيد في المعركة ومن كان في عسكره ألفان وثمانمئة رجل ، فبعث بهم مسلمة من العَقْر إلى ذي الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان عامله على الكوفة ، وعلى شرطه بالكوفة العُرْيان[1] بن الهيثم ، فقال ذو الشامة للعُرْيان : لست من هؤلاء في شيء فشأنك بهم . فميّزهم فقال : يا أهل اليمن أنتم الشعار دون[2] الدثار ، وأنتم معشر ربيعة الأخوة والحلفاء . وأمّا هؤلاء يعني بني تميم فأعدى الأعداء .

فكان يخرج في كل يوم عشرين من بني تميم فيضرب أعناقهم حتى قتل منهم ثمانين ومئة ، ويقال قتل منهم خمسين ومئة ، ويقال قتل عشرين

---

(١) العريان بن الهيثم بن الأسود بن أُقيش بن معاوية بن سفيان بن هُلَيل بن عمرو بن جشم بن عوف بن جَسْر (النخع) بن عمرو بن عُلة بن جلد بن مالك بن مذحج ، ومذحجمن قحطان ولذلك قال للأزد أنتم الشعار ولربيعة أنتم الأحوان ولحلفاء لحلف ربيعة مع اليمن منذ الجاهلية .

(٢) الشعار : هو الثوب الذي فوق شعر الإنسان والدثار هو الثوب الذي يتدثر به .

ومئة ، فقال حاجب بن ذبيان المازني[1] : [من الطويل]

رأيتُ المُعَيْطيّنَ خاضَوا دماءَنا بغيرِ دمٍ حتى انتهى بهِمُ الوَجْلُ
فما حَمل الأقوامُ أثقَلَ من دَمٍ حَرامٍ ولا ذَحلٍ إذا اتّبعَ الذّحْلُ
حقنتُمْ دماءَ المُصْلتينَ عليكمُ وعزَّ على فرسانِ غيرِهمُ القَتْلُ
وقى بهمُ العُريانُ فتيانَ قومِهِ فيا عَجباً أينَ الأَمانةُ والعَدْلُ

في أبيات .

وكان قتل يزيد في سنة اثنين ومئة .

وقال أبو مخنف : أسر من عسكر يزيد بن المهلب ثلاثمئة رجل فسرّح بهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بالكوفة ، وجاء كتاب يزيد بن عاتكة إلى مسلمة بقتل الأسارى ، فأمر محمد بن عمرو بذلك ، فقال للعريان أخرجهم عشرين عشرين ، فقام قوم من بني تميم ، فقالوا : نحن انهزمنا بالناس فابدأوا بنا قبل الناس ، فما هو إلا أن فرغ من قتلهم حتى جاء كتاب مسلمة بالكفّ عن قتلهم ، فكان العريان يقول : والله ما أردتهم حتى قالوا : ابدأوا بنا .

وقال المدائني : كانت هزيمة أصحاب يزيد بن المهلب من قبل الوضّاحيّة ، والوضّاح مولى عبد الملك بن مروان كانت معه خيل مفرّدة .

قالوا : ولما وصل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك ، بعث به إلى امرأته أم الحجاج بنت محمد بن يوسف التي عذّبها وكلّمه يزيد بن عبدالملك فيها ، فلم يجبه إلى ما سأله في أمرها ، فبصقت في وجهه وقالت : أراك شيخاً أحمق تطلب الباطل ، فقال يزيد بن عبدِ الملك : والله ما أشبهت أم الحجاج أمي عاتكة بنت يزيد حين أُتِيَتْ

---

(١) المازني بطن من تميم وهو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

برأس الحسين بن علي ، فأراد الرسول أن يضعه على الأرض ، فشتمته ودعت بوسادة فوُضع عليها ، ثم [٦٨/٥٥١] غسلته وطيّبته .

ما آل إليه آل المهلب بعد معركة العَقرِ .

١٠٧ ـ وقال المدائني وغيره : خرج مروان بن المهلب من البصرة هارباً وخلّاها ، فوثب عليها شبيب بن الحارث المازني فأخذها ودعا ليزيد بن عبد الملك وصلى بالناس ، حتى قدم عبد الرحمن بن سُليم الكلبي من قبل مسلمة ، وكان جَيْهان بن محرز نازع شبيبا فيها فقهره شبيب ببني مازن وكان جيهان قد قاتل مع عدي بن أرطاة ، وقام عطاءٌ مولى بني شقرة واسم شقرة معاوية بن الحارث بن تميم ، وكان عطاءٌ أعور فجعل يقول : جاءكم الأمان فقال الشاعر : [من المتقارب]

أليسَ عجيباً بحقِّ الإلهِ ... قيامُ عَطاءٍ على المِنبُرِ
يُخبِّرُ عنهمْ بأخبارِهمْ ... وما خَبَرُ الكاذِبِ الأَعْوَرِ

المدائني عن الربيع بن صُبيح ، قال : جاءتنا هزيمة يزيد بن المهلب ومقتله ، فلما كان نصف النهار قال أبو نضرة : من يصلي بالناس ؟وخرج شبيب بن الحارث إلى الأبلّة وأمر الحسن أن يصلي بالناس ، فقال الحسن : إني عليل فغضب أبو نضرة ، وقال : يا سبحان الله تأتي جمعة لا يصلي فيها بمصرين من أمصار المسلمين ؟ ودخل على الحسن فقال له : إن الناس لا يصلون حتى تخرج ، فإذا الحسن قد جاء معتمداً على رجل فقام على الأرض فخطب وقال في خطبته : ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾[1] ولم يقعد في الخطبة ثم أقام المؤذنون ، فقرأ الجمعة

---

(١) سورة الزمر رقم : ٣٩ الآية رقم : ٥٣ .

وسبّح باسم ربّك الأعلا .

قالوا : وصلب مسلمة بن عبد الملك جثّة يزيد بن المهلب وعلّق معه خنزيراً أو مِردّياً[1] وزق خمر وسمكة . .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا الحكم بن عطية ، قال : سمعت الحسن يُسال عن قول الله : ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[2] ، فقال : ألم تروا إلى عدوالله ابن المهلب يدعو إلى كتاب الله وسنّة نبيّه وقد نبذهما وراء ظهره .

حدّثني العمري عن الهيثم بن عدي عن أبي بكر الهُذلي ، قال : كنا عند الحسن فذُكر يزيد ، فقال : عجباً لهذا الحمار النهّاق ، يدعو إلى كتاب الله وسنّة نبيه وقد نبذهما وراء ظهره ، اللهمّ اصرع ابن المهلب صرعة تجعله بها نكالاً لما بين يديه وما خلفه وموعظة للمتقين ، وعجباً لهذا الحمار النّهاق بينما هو يضرب أعناقنا بالأمس تقرّباً إلى بني أميّة ، إذ رأى منهم نبوة وأصابته جفوة فنصب قصباً عليها خرق ، ثم قال : أدعوكم إلى السنّة . ألا وإن من السنّة أن تجعل رجلاه في قيد ويُجعل حيث جعله عمر بالأمس.

خبر آل المهلب بقندابيل.

١٠٨ ـ قالوا : وهرب آل المهلب بعيالاتهم إلى قندابيل فحرّقت منازلهم بالبصرة وهُدمت ، وأراد مسلمة أن يوجّه تميم بن يزيد القيني[3]

---

(١) مِرْدّياً : خشبة طويلة ينحي بها الملاح السفينة عن الأرض أو يدفعها ، وسمكة إشارة إلى أنه ملاّح .

(٢) سورة الأنعام رقم : ٦ الآية رقم ١١٢ .

(٣) القيني : نسبة إلى قبيلة القين وهي بطن من قضاعة يمنية واسمه النعمان (قين) بن =

ليتبع فلّ يزيد وولد المهلب ، ثم قيل له : لو وجّهتَ رجلاً من بني تميم كان أبلغ فيما تريد ، فوجّه هلال بن أحوز المازني ، وهو هلال بن أحوز بن أربد بن محرز بن لأي بن سمير بن ضُباري بن حُجيّة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن غنم[1] من بني تميم ، فعقد له على اثني عشر ألفاً من أهل الشام وأهل العراق ، فسار وعلى مقدّمته الحارث بن سُليم الهجيمي[2] ، فأتى قندابيل فنصب هلال رايته ونادى مناديه : من هرب فهو آمن ومن أتى هذه الراية فهو آمن إلاّ أن يكون من ولد المهلب فتسارع الناس إليه .

المدائني عن جهم بن حسان السليطي ، قال : التقى هلال بن أحوز وبنو المهلب بقندابيل وقد عبّأ هلال ميمنته وميسرته ، فخرج مدرك بن المهلب يطلب المبارزة ، فخرج إليه سلم بن أحوز ، فقيل له أنت أخو الأمير وليس ينبغي أن تبارزه فرجع فلامه أخوه هلال وشتمه ، فخرج فبارز مدركاً فقتله سلم وكان لمدرك سيف قاطع فجعل ينبو ، فقال : إن هذا لأمر يراد ، الله المستعان خذلتنا سيوفنا أيضاً .

ويقال إن هلالاً أمّن الناس إلا معاوية بن يزيد لقتله عدّياً وأبا حاضر الأسيدي أو حاضر بن ابي حاضر وإنما قتلهم وهم اسراء في يده . فانتدب معاوية بن يزيد ، فقال : أنا قاتل أبي حاضر الأسيدي ، أو قال : قاتل حاضر بن ابي حاضر وعدي وابنه ، فحمل عليه رجل من أهل الشام

= جَسر بن شيع اللات بن أسد بن وَبَرة بن تغلب (الغلباء) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وبنو المهلب من الأزد يمنيّة .

(١) ابن غنم من بني تميم وهو خطأ وهكذا في كلا المخطوطين وعن ابن الكلبي في الجمهرة بن عمرو بن تميم وهو الصحيح .

(٢) الهجيمي : بطن من بني تميم وهو الهجيم بن عمرو بن تميم .

فقتله ، ويقال قتله رجل من بني كعب بن عمرو بن تميم كأنه سفود[1] من شدّة سواده .

وكان أمير آل المهلب بقنابيل المفضل بن المهلب وهو أعور أصيبت عينه يوم العَقْر ، وكان لواؤهم مع عمرو بن قبيصة بن المهلب ، ونادى هلال : من جاء برأسٍ فله ألف درهم حتى أُتي برأس المفضل ، فقيل له هذا رأس المفضل رئيس القوم ، فقال له : ما عهدي به أعور ، فقالوا : فُقئت عينه يوم العقر فنزل حتى جلس على بساط وأسر عثمان بن المفضل فأتي به هلال ، فكان الذي يخبره عن رؤوس آل المهلب فحبسه وسهّل عليه فهرب من الحبس .

معاملة نساء آل المهلب :

١٠٩ ـ ولما قُتل ولد المهلب وكّل هلال بالحرم من يحفظهم ، وفرّ عثمان بن المفضل وأبو عيينة بن المهلب وعمرو بن يزيد بن المهلب ، ونادى منادي هلال : ألا بَرِئَت الذمّة ممن اتبع مولّياً ، وأمرأن لا يعرض أحدٌ للنساء وما في أيديهن، وقال: من رفع ستراً أو دخل على امرأةٍ فلا ذمّة له ، وشكت امرأة من آل المهلب أن رجلاً دخل منزلها فضرب عنقه .

وكانت نساء آل المهلب يقلن : لو أن المهلب ولينا ما فعل بنا إلا دون ما فعل هلال بن أحوز ، وأتته ميسون بنت المغيرة فسألته أن يأذن في دفن جثث رجالها فأذن لها .

قال المدائني عن بشر بن عيسى عن أبي صفوان ، قال : أخذت امرأة من آل المهلب صحيفةً فأعطتها مولىً لها ، فكتب قتل فلان ثم فلان . ثم فلان للميراث .

---

(١) السفود وجمعه سفافيد : قطعة طويلة من الحديد يشوى بها اللحم .

وحدثني خلف بن سالم المخزومي وأبو خيثمة عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه ومحمد بن أبي عيينة ، قالا : وجّه مسلمة عبد الرحمن بن سليم الكلبي فهدم دور آل المهلب وولّى شرطته عمر بن يزيد الأَسيدي .

قالوا : وفي عبد الرحمن بن سُليم يقول الفرزدق : [من الطويل]

أَرى ابـنَ سُلَيْـمٍ يعصِـمُ الله دينَـهُ   بِهِ وأَنا في الحربِ تَغلي قدورُها
هو الحَجَرُ الرّامي بِهِ الله مَنْ بَغَى   إِذا الحربُ بالناس اقشَعرَّتْ ظهورُها

في قصيدة .

ثم عزل مسلمةُ الكلبي عن البصرة وولاّه عُمان ، واستعمل على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان ، ووجّه مسلمة مدرك بن ضبّ في اتباع فلّ آل المهلب ، فلما انتهى إلى كرمان لقي بها مدرك بن المهلب مقبلاً من خراسان وقد انضمّ إليه بعض فلّ يزيد من أهل الكوفة وغيرهم فاقتتلوا .

وقال أبو مخنف وغيره : لقي مدركَ بن المهلب ومعه النعمان ومالك ابنا إبراهيم بن الأشتر ومحمد وعثمان ابنا إسحاق بن محمد بن الأشعث وصَوْل مولى يزيد بن المهلب ، فاقتتلوا فقتل يومئذ النعمان بن إبراهيم ومحمد بن اسحاق وجُرح عثمان بن إسحاق جراحة فمضى متحاملاً حتى انتهى إلى حلوان فدُلّ عليه فقتل وبُعث برأسه إلى مسلمة ، ومضى مالك بن إبراهيم بن الأشتر إلى الكوفة فطلب الأمان من مسلمة فأمّنه ، وأُسر صَولُ بعث به ابن ضبّ إلى مسلمة فقال : أنت الذي كتبت على سهمك : صول يدعو إلى كتاب الله وسنّة نبيه ، وأمر به فضَربت عنقه ، وتخلّص مدرك فقتل بقندابيل .

حدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة عن يونس النحوي عن أم ولد معاوية بن يزيد بن

المهلب ، قالت : كنا بقندابيل فما راعنا إلا خيل هلال بن أحوز وإن معاوية لجالس يأكل شهدانج وسمسماً فقام متعجلاً فلبس سلاحه ثم خرج فقتل هو وأهل بيته ، وقتل المفضل وهو أميرهم ، وعبد الملك أخوه لأمّه بَهَلَّة ، وزياد وكان قبل على عُمان ومروان وكان على البصرة ، والمنهال بن أبي عيينة ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحُملت رؤوسهم وفي آذانهم الرقاع بأسمائهم .

غلام من آل المهلب لا يرضى إلا أن يقتل :

١١٠ ـ وقال الهيثم بن عدي أسر من آل المهلب ثلاثة عشر رجلاً ، فقدُم بهم على مسلمة وهو بواسط فوجههم إلى يزيد بن عاتكة ، وعنده كثير عزّة ، فأنشده : [من الطويل]

حليمٌ إذا ما شاءَ عاقب مُحملاً   أشَدَّ العقابِ أو عَفا لم يَثْرِبِ
فَعَفْوُ أميرِ المؤمنين وَحِسْبَةً   فما تأتِهِ من صالحٍ لكَ يُكتَبِ
أساؤوا فإنْ تغفِرْ فإنَّك قادِرٌ   وأفضَلُ حِلمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

فقال : يا أبا صخر هيهات أطَّت[1] بك الرحم لا سبيل إلى ذاك ، إن الله أقاد منهم بأعمالهم الخبيثة ، ثم قال : من يطالب آل المهلب بدم فليقم ، فقام زيد بن أرطاة وقال : يا أمير المؤمنين قتلوا أخي وابن أخي ، فقال : خذ منهم رجلين فاقتلهما ففعل ، وقام ابن لعبدالله بن عروة النصري ، فقال قتلوا أبي ، فقال : اقتل منهم رجلاً ثم أمر ببقيتهم فقُتلوا حتى كان آخرهم غلام ، فقالوا : هذا غلام صغير ، فقال : اقتلوني فما أنا بصغير ، فقيل انظروا أنبت[2] ؟ فقال : أنا أعلم بنفسي قد

---

(١) أطت بك الرحم : حنّت بك القربة .
(٢) أنبت : أي نبتت شعرته وكانوا يستدلون بها على بلوغ الحلم .

شوّكت[1] ووطئت النساء ، فقال يزيد : اضربوا عنقه فقُتل .

وقال يزيد [٦٨/٥٥٢] لرجل من اليمانيّة : كيف كانت غَزانكم بالعراق ؟ قال : قتلنا أشرافنا وجئناك ، فقال : أما يزيد فقد طلب عظيماً ومات كريماً . وكتب يزيد في قبض آل المهلب وهدم دورهم ، ولم يكن ليزيد دار إنما كان ينزل دار المهلب ، وكان يزيد يقول : داري السجن أو دار الأمارة.

عمر بن هبيرة خسيس نذل:

١١١ ـ قالوا : وبعث هلال بن أحوز إلى أمّ الفضل بنت غيلان بن خرشة وهي أم مخلّد بن يزيد : أن اختاري من يخرج معك . فاخترات قوماً من مواليهم يخرجون معها ومع نساء آل المهلب ، وبعث معهم بمشيخة من أهل الشام ، وبعث بالرؤوس إلى مسلمة بن عبد الملك فوردوا العراق وقد عُزل مسلمة بن عبد الملك وولي عمر بن هبيرة ، فأخذ ما كان في أثقالهنّ وبسط عليهن حتى استنطف[2] ما كان عندهن ، فأخذ الرقيق إلى نفسه ، وخاف أن تخرج النساء إلى الشام فيخبرن بما سار إليه ، فكتب إلى يزيد يستعفيه لهن من الشخوص فأعفاهنّ .

وقال أبو عبيدة : لما طيف برأس يزيد والرؤوس التي كانت مع رأسه بالشام ردّت إلى البصرة فنصبت بها .

قالوا : وأقام مسلمة بعد يزيد على العراق ثمانية أشهر ، ويقال ستة أشهر فقُدح فيه عند يزيد بن عبد الملك ، وقيل إنه غير مأمون على الخراج

---

(١) الشوكة : شدّة البأس : أي ظهرت شدّة بأسي .

(٢) النطف : الصبُّ والنطف : القطر ويعني أنه جعلهم يصبون كل ما عندهم كأنه قطّرهم .

وليس هو ممّن يُكشف عنه . فعزله وولّى العراق عمر بن هبيرة .

قالوا : وجعلت طوائف من الأزد تقول بعد قتل يزيد : إنه حيّ ، فلما تزوج عمر بن يزيد[1] امرأته عاتكة بنت الملاءة ، قال الفرزدق :

[من الطويل]

لقد بَيَّنَتْ بنتُ الملاءَةِ مَنْ نَعَى لأزدِ عُمانٍ جيفَةَ ابنِ المهلَّبِ

قال المدائني : ولم يزل هلال على السند وقندابيل حتى قدم ابن هبيرة العراق وقدم نساء المهلب ، فقال لأم مالك بنت زياد بن المهلب : قد علمتِ أني الوالي وأني أقدر على مضرّتكم ونفعكم ، وقد قتل هلال رجالكم فلم يُبقِ وأنا كاتب في هلال أذكر خيانته فصدّقيني . وكتب إلى يزيد بن عبد الملك بذلك وبعث بأم مالك وقرّظها في كتابه إلى يزيد ، فكذّبته وأثنت على هلال ، وقالت : أحسن ولايتنا بعد أن بالغ في أمرك ولم يبق غايةً في طاعتك ، فكتب يزيد إلى ابن هبيرة يعنفه .

وقد قيل إن النساء أشخصن إلى يزيد أشخصهن ابن هبيرة فخلّى سبيلهن .

قالوا : وبقي أبو عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب عند رتبيل بسجستان ، فبعثت هند بنت المهلب إلى يزيد من طلب الأمان لأبي عيينة فأمّنه فقدم العراق وبقي عمر بن يزيد وعثمان بن المفضل عنده ، حتى قدم أسد بن عبدالله القسري أميراً على خراسان فكتب إليهما بأمانهما فقدما خراسان .

---

(١) عمر بن يزيد بن عُمير بن عبدالله بن مرثد بن شيطان بن أنمار بن صُرد بن سلامة بن غوي بن جُروة بن أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، كان على شرطة البصرة لعبد الرحمن بن سليم الكلبي ولاّه مسلمة بن عبد الملك .

وقال بعض الرواة : كان الأسراء الذين قدم بهم على يزيد بن عبد الملك فأمر بقتلهم ، المعارك وعبدالله والمغيرة بني يزيد بن المهلب ، ودريد والحجاج ابني حبيب بن المهلب ، وغسان وشبيب والفضل بني المفضل بن المهلب ، والمفضل بن قبيصة بن المهلب ، والفضل والمنجاب ابني يزيد بن المهلب .

وقال الفرزدق حين قتل يزيد بن المهلب : [من الطويل]

إذا ما المَزُونيّاتُ أصبَحْنَ حُسَّرا يُبَكّيـنَ أَشْـلاءً علـى عَقُـرِ بـابِـلِ
فكّـن طـالبـاً بنـتَ المـلاءَةِ إنّهـا تُـذكِّـرُ رَيْعـانَ الشّبـابِ المُـزابِـلِ

المدائني قال : أتى الحسنُ يزيدَ بن المهلب في حاجةٍ قبل محاربته عديّاً ، فقام يزيد فأخذ بركابه ، فحُدّث بذلك سوّار بن عبدالله ، فقال : إنّ هذا لخبيّ صدق في يزيد إعظامه أهل الدين والعلم .

وقال أبو الحسن المدائني : وجّه يزيد بن عبد الملك على البصرة رجلاً من أهل الشام يقال له سفيان بن عمير الأزدي ، وهو الذي خطب فقال : إن المرأة لا تجوز ذبيحتها ، وقال : العارية تردّ والمنحة تردّ والعمري لمن أعمرها .

حدّثني هُدبة بن خالد عن أبي هلال الراسبي عن قتادة ، قال : قلت لسفيان بن عمير وقال لي : ما تقول في امرأة زعمت أن زوجها لا يأتيها ، قلت : ستحلف بالله ، فقال الحسن : ما تقول أنت ؟ قلت : يجرّب بغيرها ، فقال : أما أن قتّادة قال لم يقول أهل الشام .

وقالوا : أتى سعيد بن عمرو الحرشي يزيد بن المهلب وهو محبوس ، فأمر له بخمسين ألفاً ، فقال عدي بن الرقاع العاملي :

لم أَر محبوساً مِنَ الناسِ واحداً حَبَا زائِراً في السِّجْنِ غيرَ يزيدِ

سعيـــدُ بـــنُ عمـــرٍو إذْ أتـــاه أجازهُ بخمسين ألفاً عُجِّلت لِسَعيدِ

وقال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب : مات هلال بن أحوز عند هشام فصلى عليه ، فقال له خيبري أخوه : يا أمير المؤمنين لو دعوت له بالمغفرة ، فقال رجل من أهل الشام : أولم يغفر الله له وقد صلى عليه أمير المؤمنين ؟ .

فقال الفرزدق : [من الطويل]

لعمركَ ما أَنسى ابنَ أحوزَ ما جرى الـريـاحُ ومـا نـاح الحمـامُ وغَـرَّدا

وقال معمر بن عودة : [من الطويل]

وبـاكِيـةٍ هَبّـتْ بليـلٍ فَـراعَنـي تحوُّبُها تبكي على ابنِ المهلَّبِ
فقلـتُ لهـا لمـا سمعـتُ نَحيبَهـا ألا فاندُبي البهلولَ غيرَ المُجدِبِ
أعـفُّ وأحيـا مِـنْ فتـاةٍ حَييَّـةٍ وأجـرأُ مـن ليـثٍ بخُفّـانَ أَغْلَـبِ

الهيثم عن الضحاك بن زمل ، قال : لما قُدم على يزيد بأسرى آل المهلب الذين بعث بهم مسلمة ، شاور من حضره ، فقال : ما تقولون في هؤلاء ؟ فقال بعض من حضر : قد قدرت ياأمير المؤمنين فاعفُ ، فقام عثمان بن حيان المريّ ، فقال : والله ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1] فقال رجاء بن حُيْوة : بل نقول كما قال الله : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] وكان يلعن يزيد بعد خلعه ، وقال رجاء لعثمان : ما دعاك إلى ما قلتَ ؟ قال : أبا المقدام إن الله خلق للنار أهلاً فجعلني منهم ، وخلق للجنّة أهلاً فجعلك منهم ، فقال رجاء : ما أنا عند نفسي من أهل الجنّة ، ثم دفعهم يزيد إلى

---

(١) سورة نوح رقم : ٧١ الآيتان رقم : ٢٦ ـ ٢٧ .
(٢) سورة الأنعام رقم : ٦ الآية رقم : ١٦٤ .

زيد بن أرطاة وإلى ابن النصري وغيرهما فقتلوا .

قالت الحوراء بنت عروة النصري : [من الكامل]

أَيَزيدُ حاربتَ الملوكَ ولم تَكُنْ تَلْقَىٰ المحاربَ للمُلوكِ رَشيدا
لما وَجَدْتَ عصابةً أورَدْتَها حَوضاً سيُورث وِرْدَهُ التَّفْنيدا
فالبيتِ ذي الحُرماتِ لست بنابلٍ[١] والأكرمين شمائلا وجُدودا
رهط النبي بنى الإله عليهم سقف الهدى ومن القرآن عهودا
قومٌ هُمُ منُّوا عليكَ وأَفْضَلوا حتّى لبِسْتَ من الطِّرازِ بُروردا
فكفرتَ نِعمتَهُم هناكَ وإنَّما تَلِدُ العَبيدُ المقرفونَ[٢] عبيدا
طَلبَ الخلافَةَ في هجانَ[٣] فلم يَجِدْ بِهِجَانَ مِنْ شَجَرِ الحلاوَةِ عُودا

حدّثني هدبة عن المبارك بن فضالة ، قال : سمعتُ الحسن يقول : واعجباً من يزيد علج من أهل هجان وطائر من أطيارالماء ، اتخذ سيفه برهةً مِخراقاً في طاعة بني أميّة ، حتى إذا منع لماظة من عيش نصب خرقاً على قصب ، وقال : إني غضبت فاغضبوا فاتبعه فِراشُ نارٍ وذيّان طمع ، يدعو إلى سنة العمرين ، يا فاسق إنّ من سنّتهما أن تُردّ إلى محبس عمر بن عبد العزيز .

وقال أبو النجم : [من الرجز]

إنّ الّذي مَدَّ علينا نِقَمَهْ وقد ظَلَمنا أَنفُساً مُظلَّمهْ
حينَ أَحاطتْ بالعراقِ الدَّمدَمهْ فاللهُ أَنجانا بكفيّ مَسْلَمَةْ

---

(١) من النُّبل ليس فيك نبل .
(٢) الإقراف : الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك .
(٣) الهجنة : أبوه عربي وأمه ليست كذلك . والإقراف من قبل الفحل والهجنة من قبل الأم .

مـن بعـدِمـا وبعـدِمـا وبعـدمـه   كانتْ نفوسُ القَومِ عند الغَلْصَمةْ
وكـادتِ الحُـرَّةُ تُـدعـى أَمَـهْ

وقال الأحوص بن محمد في شعرٍ مدح به يزيد بن عاتكة وذكر ابن المهلب : [من الطويل]

[و] مازالَ ينوي الغَدْرَ والنُّكثَ راكبا   العُمَيَّاءَ حتى اسْتَكَّ منه المسَامِعُ
وحتّى أُبيدَ الجمعُ منهُ فأَصبحوا   كبعضِ الأولى كانت تُصيبُ القَوارعُ
فَأَضْحَوْا بنهرَيْ بابلٍ ورؤوسُهم   تَخُبُّ بها فيما هناكَ الخَوامعُ[1]

وقال الفرزدق : [من البسيط]

لقد عَجِبْتُ من الأَزديِّ جاءَ بِهِ   يقـوده للمنـايـا حَيْـنُ مغـرورِ
حتـى رآهُ عبـادُ الله فـي دُقـلٍ   منكسِرَ الـرأسِ مَقْروناً بخِنـزيـرِ
الفلـس أهـونُ بـأسـاً أن تقـودَ بِـهِ   فـي المـاءِ مَطِليَّةُ الألـواحِ بـالقير

وقال الأسدي : [من المتقارب]

عجبـتُ لهـادي العُلـوجِ اللّئـامِ   تُمنّـى الخـلافَـةَ فـي كـلِّ عـامِ
تمنّـى الخـلافَـةَ غُلفـانُهـا   ولـم تتَنـاطـحْ طـوال الغُـلامِ

وقال جرير : [من البسيط]

آلُ المهلّـبِ جَـدَّ[2] الله دابِـرَهُـم   أضحَوْا رَماداً فلا أصلٌ ولا طرفُ
إِّ الخـلافَـةَ لمتُجعَـلْ ليملكهَـا   عبـدٌ لأزديّـةٍ فـي بَظْـرِهـا عقَـفُ
ما نالتْ الأزدُ منْ دعوى مُضلِّهمُ   إلا المعـاصِـمَ والأعنـاقَ تُقْتَطَـفُ
الأزدُ قدْ جَعَلوا المنتوفَ قائدَهُم   فَقَتَّلَهُـمْ جنـودُ الله وانْتُتِفـوا

[٦٨/٥٥٣] وقال الفرزدق : [من الطويل]

---

(١) تخب : تعدو . الخوامع : الضباع .
(٢) جدّ : قطع .

أَحـلَّ هُـريـمٌ يـومَ سُـوراءَ بـالقَنَـا ... نُـذورَ نِسـاءٍ مـن تميـمٍ فحلَّـتِ
عشيَّـةَ لا يـدري يـزيـدُ أَيَنْتَحـي ... على السَّيفِ أم يُعطي يداً حينَ شُلَّتِ
ومـا كَـرَّ إلا كـانَ أوَّل طـاعِـنٍ ... ولا أَبْصَرَتْهُ الخيلُ إلا اقشَعرَّتِ
كأنَّ رؤوسَ الأَزْدِ خطبانَ حنظَلٍ ... تُجـزَّرُ عـن أكتـافِهـا حيـنَ ولَّـتِ

وقال أيضاً : [من البسيط]

كيف ترى بَطْشَةَ الله التي بَطَشَتْ ... يـابـنَ المهلّـبِ إنَّ الله ذو نِقَـمِ
قـاد الجِيـادَ مِـنَ البَلْقَـاءِ مُنصَلِتـاً ... شهـراً تقلقَـلَ بـالأَرسَـانِ واللُّجُـمِ
حتى أَتَتْ أرضَ هاروتٍ لعاشِرَةٍ ... فيها بَنُو دحمَةَ الحمراءِ كالحِمَمِ
فـأصبحـوا لا يُـرى إلا مسـاكنُهـمْ ... كـأَنَّهـم مـن ثمـود الحمـراءِ وَإِرَمِ

وقال الطِّرماح ليزيد : [من الطويل]

لحـى الله قَـوْمـاً أسلمـوكَ ببـابِـلٍ ... أبا خالدٍ تحتَ السُّيوفِ البوارِقِ
فتىً كان عندَ الموتِ أكرمَ منهمُ ... حِفاظاً وأعطى للجيادِ السَّوابِقِ
وقـائلـةٍ تنعـي يـزيـدَ وقـائـلٍ ... سقى الله خَيْرَ السَّيْبِ عَفِّ الخلائِقِ
ولما نَعى النّاعي يزيدَ تزلزلَتْ ... بنا الأرضُ واترجّتْ كمثْلِ الصَّواعِقِ

في أبيات ، وقال ذو الرمّة : [من البسيط]

لَـوَدَّتِ الأَزدُ إذْ رَثَّـتْ حبـالُهُـمُ ... أنَّ المهلَّـبَ لـم يـولَـدْ ولـم يَلِـدِ
كـانـوا ذَوي عـدد دثـرٍ وعـائـرةٍ ... مِـن السّـلاح وأبطـالاً ذوي نُجَـدِ
فما تَرى منهمُ من بعدِ كثرتِهمْ ... إلا الأرامِـلَ والأيتـامَ مِـنْ أحَـدِ

وقال الفرزدق من قصيدة له : [من الطويل]

ونحـنُ أَرَيْنـا البَـاهليّـةَ مـا شَفَـتْ ... بـهِ نَفْسَهـا مـن كـلِّ رأْسٍ مُعَلَّـقِ
ونحن أسغنا عن خُويلَةَ جحدَرٍ ... شجىً كانَ منها في مكانِ المخنَّقِ

الباهلية أم عبّاد بن عطية وكانت إمرأة عدي بن أرطاة .

ونحنَ قتلنا بابنِ أرطاةَ منهمُ ... ثمانينَ تحت العَرِضِ المُتألِّقِ
كأيّنْ بقندابيلَ منْ جَسَدٍ لهمْ ... وبالعَقْر من رأسٍ تدهدى ومِرفَقِ
وذاتِ خَليلٍ أنكحتْها رِماحُنا ... حَلالاً لمن يَبْني بها لم تُطَلَّقِ
جعلنا أثافي قِدرنا رأسَ زوجِها ... وَكَفَّيْهِ في أيدٍ سقطن وَأَسْوُقِ

وقال الفرزدق : [من الطويل]

تُبكّي على المنتوفِ بكر بِن وائلٍ ... وينهى عن ابنَيْ مِسْمَعٍ مَنْ بكاهُما
غلامانِ شابا في الحروبِ وأَدرَكا ... كريمَ المساعي قبلَ وصلِ لحاهُما
فلو كانَ حيّاً مالكٌ وبانُ مالِكٍ ... إذاً أوقدا نارَيْنِ يعلو سناهُما

وقال الفرزدق في هلال بن أحوز : [من الطويل]

جَدَعْتَ عَرانينَ المَزونِ فلا أَرى ... أذلَّ وأَخزى منهمُ حين صُرِّعُوا
وَحَمَّلْتَ أَعجازَ البغالِ رؤوسَهُمْ ... محدِّقَةً في كُلِّ بيداءَ تلمعُ
جَمَاجِمُ أشياخٍ كأنَّ لحاهمُ ... ثعالِبُ مُوتَى أَو ثَغامٌ مُتَرَّعُ

وقال رؤبة : [من الرجز]

والأزدُ سوءُ صُنْعِها موصوفُ ... قد أزحفتها الفتيَةُ الزُّحوفُ
لو زادَها يَزيدُ والمنتوفُ ... عقلاً وطير بابِلَ العكُوفُ

يقول لو كان يزيد قتيل هؤلاء وعكوف الطير عليهم عقلا .

وقال حاجب بن ذبيان المازني : [من الوافر]

لقد قَرَّتْ بقندابيلَ عَيْني ... وساغَ ليَ الشَّرابُ على الغَليلِ
غَداةَ بنو المهلَّبِ من أَسيرٍ ... يقادُ بِهِ ومصلوبٍ قتيلِ
جلا سيفُ ابنِ أحوَزَ عَنْ نزارٍ ... وشدّات بن أحوز كل قيل
بكُلِّ مُقَلَّصٍ يَمشي العَرَضْنا ... ظماء اللَّحمِ مشرفهُ التَّليلِ

أَبْرَنَ[1] بني المهلَّب في فُواقٍ[2] وكــلُّ مُهنَّــدٍ عَضْــب صَقيــلِ
تقطَّعــت الأمــورُ بهــم وكــانَــتْ عليهــمْ مثــلَ راعِيَــةِ الفَصيــلِ
أضلَّهُـمُ ابـنُ دَحمـةَ[3] وَازْدهَتْهُـمُ مُشَبَّهــةٌ تُضِــلُّ ذَوي العُقــولِ
أليـسَ مـن العظـائِـمِ أَنْ تـرومـوا وارثـات الخـلايـفِ والـرسُـولِ

وقال ثابت قطنة : [من الطويل]

ولَيَــومُ قنــدابيــلَ أورثَ ذِلَّــةً قَومي ويومُ العَقْرِ شَيَّب مَفْرِقي
يـا هنـدُ إنّ أَخـاكِ صـادَفَ حتفَـهُ لحبَـائـلِ الأَجَـلِ الّـذي لـم يُسبَـقِ
وَتَغَيَّبَــتْ عنــهُ الكُمــاةُ وغــالَــهُ زَمَـنُ كظِـلِّ السَّـرْحَـةِ المُتَصفِّـقِ
والـدَّهـرُ لا يُبقـي علـى حـدثـانـه عصــمٌ مُـوَقّنـةٌ بـراسِ مُحلِّـقِ
كيفَ العَزاءُ وقد أصيبَ ذَوُو الحجا مِنّــا وأهــلُ النّـائِـلِ المُتَـدَفِّـقِ

وقال أبو الحمراء المنقري : [من الطويل]

أَبا خالدٍ لو خَلَّدَ الجودُ واحداً أبا خالدٍ كنت الجَوادَ المخلَّدا
سقَى الله أجساداً ببابلَ غُودرتْ غــداةَ رأينــا الــراعِبــيَّ مقصَّــدا
حبيبـاً وعبّـاداً وذا البـاعِ والنّـدى يـزيـدَ وأسقَـى الله ربّـي مُحمَّـدا
أقــولُ لهــم لمــا أَتــانِــيَ نَعيهُــم جَزى الله خيراً ما أَعفَّ وأَمْجَدا

قالوا : وكان رجاء بن حَيْوة يلعن يزيد بن المهلب حين أتاه خبره ، وقد قيل في آل المهلب شعرٌ كثير جداً . .

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عُبَيدة ، قال : لما كتب يزيد بن المهلب إلى ابن عاتكة يطلب الأمان ، كتب له أماناً ووجّه به

---

(١) أَبَر : لَسَع .
(٢) الفُواق : ما يأخذ المرء عند النَزع .
(٣) في هامش المخطوط المغربي : ابن دحمة ، يزيد بن المهلب .

خالد بن عبدالله ، وأتاه كتاب عدي بخلع يزيد ، فبعث فردَ رسل يزيد بن المهلب ، وقال : كذبتم أمير المؤمنين وأوطأتموه العشوة ، فقالوا : أمّا عهدنا به فإنه لم يخلع ولم يسفك دماً ، فأمر بهم إلى السجن فلم يخرجوا منه حتى قُدم بآل المهلب من قنديبيل .

ما قيل في آل المهلب :

١١٢ ـ ومن رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى : أن الأسراء لما حملوا إلى يزيد بن عبد الملك ، قام خالد بن عبدالله القسري فذكر العفو والصفح ، وكان مفوّهاً وقال : إنهم أحداث لا جرائم لهم ورقّقه عليهم بجهده حتى همّ بالعفو عنهم ، فقام عثمان بن حيّان المريّ فقال : كلا يا أمير المؤمنين لا تعف عنهم واحصدهم بمعصيتك كما أنبتّهم بطاعتك . فلعمري ما ترضى عَشيرة منا أذنبت ذنباً وقد صفحت عن هؤلاء إلا أن تصفح عن ذنوبهم ، فمن هؤلاء الأعلاج الذين لا أصل لهم ولا فرع ؟ نَكِّل بهم يرتدع غيرهم يا أمير المؤمنين[1] ، وأشار عليه رجاء بن حَيوة بالعفو عنهم ، وقال : إن الله يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] ، فأبى يزيد بن عاتكة أن يعفو عنهم ودفع بكل رجل ممن قتل مع عدي بن أرطاة رجلاً إلى وليّه ثم خلّى الباقين ويقال قتلهم .

وقال أبو عبيدة : وجّه مسلمة في إثر معاوية بن يزيد بن المهلب عبد الرحمن بن سُليم الكندي ، وكان معاوية قد أعدّ له سفينةً في الزردات

---

(١) هو عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رياح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن مرّة وهو ابن عمّ مسلم صاحب موقعة الحرّة بالمدينة حتى سمي بعدها مسرف ويلتقي معه في نسبة عند رياح ، وابنه رياح بن عثمان هو الذي أغرى أبا جعفر المنصور بقتل بني الحسن بن علي عليهم السلام حيث كان والياً له على المدينة .

(٢) سورة الأنعام رقم : ٦ الآية رقم : ١٦٤ .

فركبها حتى وافى الأهواز ، فلم يلحقه عبد الرحمن وأقام بالبصرة فولاّه مسلمة إياها ثم عزله وولاّه عُمان ، وولّى البصرة ابن بشر بن مروان .

وقال أبو عبيدة : استأذنت باهلة[1] في صلب يزيد بن المهلب فأذن لها فصلبوه منكّساً وشدّوا على بطنه سمكة ثم نزعوها وشدّوا مكانها زقّاً من خمر ثم نزعوه وشدّوا إليه خنزيرة بيضاء كانوا يرونها في قرية عند موضع الوقعة .

وقال أبو عبيدة : أراد مسلمة ألا يوقع بيزيد حتى يعرض عليه الأمان ، فقال العباس بن الوليد : لا تؤمّنه فلا يبقى أحدٌ إلا خلع وأفسد وسفك الدماء ثم ركن إلى الأمان ، فأبى وأمّنه فلم يقبل يزيد أمانه .

وقال أبو عبيدة في روايته : كان يزيد حين شهد الحرب في رجالة قد أطافت به ، فأصاب برذونه سهمٌ فشبّ به ، وضرب بيده ورجله حتى عقر عدّة ممن كان حوله ثم صرعه ، أو نزل يزيد عنه فعار البرذون فعرفه بعضهم ، فقال : هذه دابّة يزيد فثاروا يطلبونه ، وجعلت العمانيّة تقول : التلّ التلّ التلّ ، كان هناك عظيم عالٍ ، قد وقف مسلمة عليه حين قصدت الأزد وربيعة له فنزل عنه ، وكان يزيد بن المهلب أخرج قوماً مستكرهين فخذلوه ومالوا إلى مسلمة .

وقال أبو عبيدة : بعث مسلمة برأس يزيد مع سالم بن وابصة الأسدي ، أو كان سالم في الوفد الذي أوفدهم براسه ورؤوس من حُملتْ رؤوسهم معه ، فقال سالم وقد وضع الرأس بين يدي يزيد بن عاتكة :

[من الطويل]

---

(١) لا أعلم لماذا استأذنت باهلة بصلب يزيد ، أكان قد أوقع بهم أم عاودهم لؤم باهلة حيث يقال أذلّ من باهله أي قبيلة باهله وقد سئل إعرابي : أتدخل الجنة على أنك من باهله ، فأجاب نعم شريطة أن لا يعرف أهل الجنة أنني باهلي .

أَتَينا بِهِ ما يُسمعُ الصوتُ في السُّرى ولا يشتكي شكوى أُبَيْرٍ ولا قَبْرِ
نعرّف أهلَ الحقِّ بالشّامِ رَأْسُهُ من الذُّلِّ مخطومُ الخَياشِمِ والثَّغْرِ

وقال أبو عبيدة : قال يزيد بن المهلب لدهقان برسّ : أتدلني على أرضٍ طيّبة أغرس فيها النخل والشجر ؟ فقال : يبقيك الله ويسلمك ، ثم تنظر في هذا فما أكثر الأرضين ، ثم قال : أرأيتم أعجب من هذا ، قد غشيه البلاء وهو يسأل عن الأرضين ، وكانت بيزيد خلفة من داء أو هيضة فكان ضعيف البدن ، ومعه ريحان يشمّه فقال له بعض أهله : قد قرب القوم منا وأنت تشمّ الريحان ، فعندها ركب فقاتل .

وقال أبو عبيدة : بعث يزيد إلى الخيار بن سَبْرة بن ذؤيب بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم وهو على عُمان من قبل عدي بن أرطاة ولاّه إياها بعد عاملٍ كان له عليها فنهاه عمر بن عبد العزيز عن توليته ، والخيار لا يعلم بأمر يزيد حتى دخلت عليه رسله وعليهم زياد بن المهلب فضربوا [٦٨/٥٥٤] عنقه ، وكان متحاملاً على الأزد بعمان فقال الفرزدق : [من الطويل]

لو كنتَ مِثلي يا خيارُ حزمتَها بكلِّ عُلافيٍّ من الميسِ فَاقِرِ
فقد كنتَ في أَرضِ المهارى مُسلَّطاً على كلِّ بادٍ من عُمانَ وحاضِرِ
ترى إبلاً ما لم تحرِّك رؤوسَها فإنْ حرَّكتْ أَبصرْتَ عِيرَ الأَباعِرِ

قال أبو عبيدة : كان على السند من قبل عديّ ، عمرو بن مسلم فبعث إليه يزيد بن المهلب وداع بن حميد وهو رجل من أهل اليمن في ستة نفر ويقال في أربعة نفر ، فقيل له : رسل الأمير على الباب . فظنّ أنهم رسل عدي فأذن لهم ، فلما قرأ الكتاب الذي مع وداع ، قال : أتحبون أن أعطيكم حياتي وراطن غلاماً له طخاريّاً بالطخارية ، أن انطلق إلى بنيّ وأهل بيتي فمرهم أن يلبسوا السلاح ويسرعوا فإن هؤلاء القوم أعداء دخلوا

البيت مصلتين .

وثار وداع وأصحابه نحو عمرو فاقتتلوا فقُتل وداعُ ومن معه ، وأمر عمرٌو فاحتزّت رؤوسهم وألقيت في السوق .

ولد يزيد بن عبد الملك بن مروان :

١١٣ ـ وكان ليزيد بن عبد الملك بن مروان من الولد الوليد بن يزيد المقتول ، ويحيى وعاتكة أمّهم أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي ، وعبدالله وعائشة أمهما سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، والغمر لأمّ ولدُ ، وعبد الجبار وسُليم لأم ولد وهاشم وأبو سفيان لأمّ ولد .

فأما الوليد فسنكتب خبره إن شاء الله ، وأما عبد الجبار فإن ابنة محمد بن عبد الملك كانت عند روح بن الوليد بن عبد الملك فأغضبها ففرّق الوليد بن يزيد بينهما وزوجها عبد الجبار أخاه ، فحقد ذلك بنو الوليد بن عبد الملك على الوليد بن يزيد ، وأما سليمان بن يزيد فكان ممن أعان على قتل أخيه الوليد بن يزيد .

وأما الغَمْر بن يزيد فهو صاحب سيح الغمر باليمامة وكان جَلْداً عاقلاً عفيفاً ، وكان أعرج ولي الصائفة غير مرّة فغنم ما لم يغنمه أحد قطْ ، وكانت أخرى صوائفه في سنة ست وعشرين ومئة ، وولي اليمامة وكانت له ضياع بالسواد فقبضها بنو هاشم .

وقال إسماعيل بن يسار مولى بني تيم بن مرّة[١] : [من الطويل]

إذا عـدَّدَ النـاسُ المكـارمَ والعُـلا فلا يفخرَنْ منهمْ على الغَمْرِ فاخِرُ
فما مرَّ من يومٍ من الدَّهرِ واحدٍ على الغَمْرِ إلا وهْوَ للنّاسِ غَامِرُ

---

(١) تيم بن مرة : بطن من قبيلة قريش منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

أغــرُّ بطــاحــيٌّ كــأنَّ جبينــه إذا ما بدا بَدرٌ على النَّجمِ باهِرُ
تـراهُـمْ خُشـوعـاً إنْ رأَوْهُ مَهَـابَـةً كما خَشَعَتْ يوماً لِكسْرى الأَسَاوِرُ
نَماهُ إلى فَرْعَيْ لُؤَيِّ بْنِ غَالبٍ أبوه أبو العاصِي وحربٌ وَعامِرُ
فأَضحى بإعطاءِ الجزيلِ كأَنَّما رمـاهُ بـوتـر مـالُـهُ فَهْـوَ ثَـائِـرُ

قوله حرب يعني حرب بن أمية لأنّ أم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن صخر بن حرب ، وأم عاتكة ابنة عبدالله بن عامر بن كُريز .

وقَتلَ الغَمْرَ عبدُالله بن علي بن عبدالله بن عباس بالشام ممّن قتل من بني أميّة ، فقال حين قُدّم ليقتل : ليسعني في عدلكم ما وسعكم في جَوْرنا ، فقال عبدالله : اقتلوه ، فقال : إني شيخ مسنّ وإن تركتني كفتكَ إياي منيّتي ، فقال له : قد كان الحسين بن علي شيخاً فقتلتموه .

وأما عبدالله بن يزيد فولدته سبعة خلفاء : أبوه يزيد وجدّه عبد الملك وجدّ أبيه مروان ، وأمّ أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأم عبدالله التي قامت عنه سُعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وأم عبدالله بن عمرو بن عثمان بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب . وكان لعبدالله هذا ابن يقال له عبد المطلب عظيم القدر عند المهدي والرشيد .

* * *

الخوارج في أيام يزيد بن عبد الملك

خبر عقفان :

١١٤ ـ قال أبو الحسن المدائني : خرج رجل يقال له عقفان بناحية دمشق في ثلاثين ، فأراد يزيد بن عبدالملك أن يبعث إليه جند ، فقيل له إن قُتل بهذه البلاد اتخذوها دار هجرة ، قال : فما الرأي ؟ قالوا : نبعث إلى كل رجل رجلاً من أهل بيته يكلّمه ويردّه ، فكان يبعث إلى كل رجل أخاه وابنه وعمّه وابن عمه وأباه فكلّموهم وقالوا : إنا نخاف أن نؤخذ بكم وأمّنوا فرجعوا ، وبقي عقفان وحده فبعث يزيد إليه أخاه ، وكان أعرج يقال له ربيعة ، فقال له : يا أخي إنا لا نأمن أن يجتاحنا الخليفة ويصطلمنا[1] ، فرجع وأمّنه يزيد بن عبد الملك .

فلما ولي هشام بن عبد الملك ولاّه أمر العصاة ، فقدم ابنه تمّة بن عقفان من خراسان عاصياً ، فشدّه وثاقاً وبعث به إلى هشام ، فقال هشام : لو خاننا عقفان لكتم أمرَ ابنه ، ثم قال لتمّة : قد وهبتك لأبيك فالحق بمكتبك ، وَولاّه هشام الصدقة ، وكان لأخيه أربعون شاةً فذبح شاةً منها ثم سأله أخاه الصدقة ، فقال له : كان لي أربعون شاةً فذبحت شاةً منها وبقي لي تسعٌ وثلاثون شاةً فلا صدقة عليها ، فلم يفارقه حتى أخذ منه الصدقة شاةً ، ومكث عقفان عشرين سنةً والياً لهشام .

أمر مسعود بن أبي زينب العبدي :

١١٥ ـ قالوا : خرج مسعود بن أبي زينب أحد ولد محارب بن عبد القيس بالبحرين على الأشعث بن عبدالله بن الجارود .

---

(١) الاصطلام : الاستئصال وإذا أبيد قوم من أصلهم قيل اصطُلموا ـ اللسان ـ .

فخرج الأشعث عن البحرين ، وأخذ مسعودٌ عبد الرحمن بن النعمان العَوْذِي[1] ومنصور بن رجاء العوذي فقتلهما ، ثم خرج إلى اليمامة وعليهما سفيان بن عمرو العُقَيلي ولاّه إياها عمر بن هبيرة الفزاري في أيام يزيد بن عبد الملك ، فخرج سفيان بن عمرو العُقَيلي بأهل اليمامة فلقي مسعوداً بالخِضْرِمة[2] فقاتله فانكشف أهل اليمامة عن سفيان ، ثم كرّوا والتقى عضّاض بن تميم بن محلّم العدوي عديّ الرباب[3] ومسعود فاختلفا ضربتين فقتل عضّاض مسعوداً ، وقام بأمر الخوارج هلال بن مدلج فقاتلهم يومه كلّه ، فقتل ناس من الخوارج وقُتلت زينب أخت مسعود ، فلما أمسى هلال تفرّق عنه أصحابه وبقي في عصبة فدخل قصراً فتحصّن فيه ، فقال عُبيدالله بن مالك عم تميم بن محلّم : علام ندع هذا وقد حبس لكم نفسه وقد تفرّق أصحابه ولعلّ طائفةٌ منهم تعود إليه .

فطلبوا سُلّماً فلما وجدوه أحجم الناس عنه وهابوا الإقدام ، فرقى عبيدالله إلى حائط القصر ، وتلقّاه هلال بن مدلج الخارجي على الحائط فاختلفا ضربتين فقتل عبيدُ الله هلالاً وجرحه هلال وبرأ من جراحته ، واستأمن من بقي في القصر من الخوارج فأمّنهم .

وقال الهيثم بن عدي : قتل مسعوداً رقيبُ بن عبد الرحمن مولى بني شيبان واحتزْ رأسه رجل من بني سعد والأول أثبت . وقال الفرزدق :

[من الطويل]

---

(١) العوذي : نسبة إلى بطن من قبيلة إياد بن نزار وهو عوذ مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعمي بن إياد بن نزار .

(٢) الخِضْرِمة : بلد بأرض اليمامة لربيعة ـ معجم البلدان ـ .

(٣) ولد عبد مناة بن أد تيماً وهم الرباب وعدياً بطن وعوفاً والأشيب وثور أطحل ، وإنما سمّوا الرباب لأن تيماً وعدياً وثوراً وعوفاً وأشيب وضبّة بن أد غمسوا أيديهم في الرُّب وخصّت تيم أيضاً بالرباب والرُّبُّ ما يطبخ من التمر وهو الدبس .

لقد عَضَّ عَضَّاضٌ على السَّيفِ عَضَّةً بـأنيـابـهِ قـد أثكَلـتْ أمَّ زينَـبِ
كَفتْ ضربَةُ العضَّاضِ إذ سلَّ سيفَهُ رجـالاً شهـوداً مـن تَميـمٍ وغُيَّـبِ

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعَمـري لقـد سلَّـتْ حنيفَـةُ سَلَّـةً سُيوفاً أَبَتْ يومَ الوغى أَنْ تُعيَّرا
تـركْـنَ لمسعـودٍ وزينَـبَ أُختِـهِ رداءً وسربالاً من الموتِ أَحْمرا
أَرَيْـنَ الحَـرُوريّيـنَ يـومَ لقـائِهِـمْ ببُرقانَ[1] يَوْماً يجعَلُ الجوَّ أَشْقَرا

وقال الهيثم بن عدي : غلب مسعود على البحرين وناحية اليمامة تسع عشرة سنةً ، حتى قتله سفيان بن عمرو العُقَيلي سار إليه ببني حنيفة .

أمر سعيد بن أبي زينب أخي مسعود وعون بن بشر :

١١٦ ـ قالوا : لما قُتل مسعود قام سعيد أخوه بالبحرين ، فقال سعيد : قال الله : ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[2] فلا تحلّ الصلاة للسكران وما حَرّم السكر .

ففـارقـه عـون بـن بشـر أحـد بنـي الحـارث بـن عـامـر بـن حنيفـة وأكفره ، فصار أصحاب سعيد فرقتين فرقة معه وفرقة مع عون ، فخرج عون عن هجر فأتى القطيف فجاءه ناس كثير وبقي سعيد بهجر ، فدسّ سعيد رجلين ليفتكا بعون أحدهما حبشي يقال له بُكير وقدما القطيف فوجأهُ بُكير بخنجر في خاصرته ، وأخذ بُكيرٌ فدُفع إلى الوالي ، فقال له : من أمرك بهذا ؟ قال : أنت فدفعه إلى عون فقتله ، ومات عون بن بشر ، وأقام سعيد بن أبي زينب بهجر ولم يقتعد .

---

(١) بُرقان : موضع بالبحرين قتل فيه مسعود بن أبي زينب الخارجي ـ معجم البلدان ـ .
(٢) سورة النساء رقم : ٤ الآية رقم : ٤٣ .

أمر مصعب بن [٦٨/٥٥٥] محمد الوالبي[١]:

١١٧ ـ قالوا : طلب عمر بن هبيرة مصعب بن محمد ، ومالك بن الصعب ، وجابر بن سعدٍ وهم رؤساء الخوارج فتراسلوا والتقوا بالخورنق ، فخرجوا وأمّروا عليهم مصعباً ومعه أخته آمنة . فلما هلك يزيد بن عبد الملك وولي هشام بن عبد الملك ، وولّى خالد بن عبدالله القسري وجّه خالدٌ إليهم سيف بن هانى الهمداني فواقعهم فقُتلوا بحزّة[٢] ، وقال بعض الرواة : قتلوا في آخر أيام يزيد بعث ابن هبيرة إليهم سيفاً ، فقال فيهم بعض الشراة : [من الخفيف]

فِتيَـةٌ تَعْـرِفُ التَّخشُّـعَ فيهـمْ ... كلُّهـم حكّـم القـران[٣] غُـلامـا
قـد بـرى لحمَـهُ التَّهجُّـدَ حتّـى ... عـاد جلـداً مُصَفَّـراً وَعِظـامـا
غَـادَروهـم بِقَـاعِ حـزَّةَ صرعـى ... فسقـى الغيـثُ أرضَهـم يـاإمـامـا

قال الهيثم : لما أجمعوا على الخروج قال مصعب : إن شئتم كنت أميراً وإن شئتم كنت وزيراً ، قالوا : قد رضيناك أميراً ، قال : وقال أيوب بن خَوْلي العجلي يرثي جابراً بقصيدة أولها : [من الطويل]

كفَى حَزَناً أنّي تَذكّرتُ جابراً ... على جابرٍ صلَّتْ خِيارُ المَلائِكِ
قَتيـلٌ قَضـى إذْ عـاهَـد الله نحبَـهُ ... ولم ينتَظِرْ إذ قيلَ إنَّكَ هَالِكُ[٤]

---

(١) الوالبي : نسبة إلى بطن من قبيلة غامد من الأزد وهو والبة بن الدول بن سعد مناة بن عمرو (غامد) بن عبدالله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد .

(٢) حزّة : موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور ـ معجم البلدان .

(٣) القرآن : كلمة تكسر الوزن ويصح لو قلنا : الكتاب .

(٤) في هذا البيت إقواء .

أمر سعيد بن بهدل :

١١٨ ـ قال الهيثم بن عدي : كان سعيد بن بهدل من أصحاب مروان الضعيف وكان رأس الخوارج وسمّي الضعيف ، لأنه قيل له : ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقال : والله ما بي ضعفٌ عن ذلك ولكني ضعيف البدن ولا أجد أعوانا ، ثم جلس سعيد بن بهدل في أصحابه فقال : لقد خفت أن يأتيني الموت بغتةً قبل أن أقضي حق الله علي فكيف طيب أنفسكم بالموت ؟ قالوا : ما أطيبها به . وكان عنده البهلول الشيباني والضحاك بن قيس فأقام خمساً ثم اعتقد وبايعوه ، فمات بعد أيام ولم يلق أحداً ، فقال فيه الضحاك بن قيس : [من الطويل]

سَقَى اللهُ يا خَوْصاءَ قبراً وحَشْوَهُ إذا رَحَلَ الشَّارونَ لم يتَرَحَّلِ
فيا مُلْحِقَ الأرواحِ هل أنتَ مُلْحِقي بموتَى مَضَى فيهم سعيدُ بن بَهْدَلِ

ثم بويع البهلول بن بشر . وقال أبو الهيثم : هو أبو عمرو الشيباني ويكنى أبا بشر ، ويقال إن خروج ابن بهدل كان في أيام هشام بعد خروج البهلول .

قال : وزوّج عمر بن هُبيرة في أيام يزيد خارجيّةً أُتي بها من رجل من أصحابه ، فقالت لزوجها : من أنت ؟ قال : من قيس ، فقالت : أنا على دين قيس ، فلما أصبح قال له ابن هبيرة : كيف رأيت امرأتك ؟ فقال :

[من الطويل]

خَلَوتُ بِها لَيْلَ التَّمامِ فَأَصْبَحتْ من الدّينِ إلا دينَ قَيْسٍ تَخَلَّتِ

* * *

أمر مسلمة بن عبد الملك

١١٩ ـ ومسلمة بن عبد الملك يكنى أبا سعيد وأمه أم ولدٍ ، ولقبه الجرادة لصُفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعاً ،وقال عبد الملك في وصيّته : أكرموا مسلمة فإنه نابكم الذي عنه تفترّون ، وله مغازٍ كثيرة بالروم وأرمينيّة ، وافتتح طوانة من بلاد الروم ، وولاّه يزيد بن عبد الملك العراق فقتل يزيد بن المهلب .

وقال لهشام في إمرته : كيف ترجو الخلافة وأنت بخيل جبان ، فقال : إني عفيف حليم ،وقال مسلمة : عجبت لمن قدر كيف لا يغفر ولمن وُسِّع عليه كيف لا يجود .

المدائني قال : قدم إعرابي الشام فلاحىٰ رجلاً ، فقال له : يا ذا الذي يبول ابنه بول الحمار ، فرُفع إلى القاضي فلم يعرف ما قال الأعرابي ، فسأل مسلمة بن عبد الملك عنه ، فقال مسلمة البول سفاد الحمار فجلده القاضي حدّاً . فقال : واعجباً أأضرَبُ هكذا فلاطاً ، قال القاضي والله ما أدري ما يقول ، وسأل عنها مسلمة ، فقال : الفلاط المفاجأة . فهجاه شاعر لهم فقال : [من الرجز]

كيف وجدتَ ضربَهُ فلاطا   يَنْحَطُّ منه جِلدُكَ انْحِطاطا
لمّا رأيتَ فَوقكَ السّياطا   خَضَعْتَ خَضْعاً أفزَعَ الأشْراطا

فقال الأعرابي : يا رابع الشعراء ، من أغراك بي ؟ أظننت أني مفحم لا أنطق . الشعراء أربعةٌ ، شاعر مُفلق وشاعر جيّد وشاعر متخلّف وشويعر ماصٌّ لبظر أمه . فقال مسلمة : ويحك يا أعرابي ما أطرفك

ما سقط إلينا مثلك ووصلَهُ ومارَّه[1] .

المدائني قال : كان لمسلمة صديق وأليف يقال له : شراحيل فمات ، فجزع عليه مسلمة جزعاً شديداً وخرج فصلى عليه ، فأتاه عبدالله بن الأعلا الشيباني فعزّاه فبكى وقال : [من الطويل]

وَهَوَّنَ وَجْدي عَنْ شراحيلَ أَنَّني إذا شئْتُ لاقيتُ امرءاً ماتَ صاحبُهْ

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن هشام التنوخيِ[2] ، قال : كنا مع مسلمة بأرمينية أيام هشام فعرض الناس فمر به رجل ضخم ، فأُبلغ عنه أمرٌ أوجب عليه عقوبته ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : عبدالله بن عبد الرحمن ، قال : وممن أنتّ ؟ قال : من بنو تغلب قال : ارجع وأمر بضربه ، فلما ضُرِب سوطاً قال : بسمُ الله ، قال مسلمة : خلّوا عنه قبّحه الله فلو ترك اللحن في حالٍ لتركهُ تحت السياط .

تشبيه جميل قاله مسلمة :

١٢٠ ـ هشام بن الكلبي عن عوانة ، قال : تكلّم قوم فأكثروا الخطأ والخطل ، ثم تلاهم رجل بليغ فجعل لا يخرج من لفظٍ حسنٍ إلا إلى أحسن منه ، فقال مسلمة : ما شبّهتُ كلام هذا في أثر كلام القوم إلا

---

(١) لعلها : مَازَه : أي فضّله على غيره .

(٢) تنوخ ليست قبيلة تنتمي إلى جد واحد وإنما عدة بطون تنخّت أي نزلت وأقامت على مالك بن فهم بن تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة والتنوخ هوالمقام ، فتنوخ ثلاثة أبطن ، فهم ونزار والأحلاف وليس نزار بأب ولا أم سموا نزاراً بلا معنى يعرف ، قال : لا يلقى تنوخيّاً إلا قال : فهميّ ، أو نزاريّ أو أحلافيّ وقد انتسبوا اليوم إلى فهم جميعاً وفي فهم البيت من تنوخ ونزار من بطون قضاعة كلها والأحلاف من جميع العرب ـ نسب معد واليمن الكبير ج : ٢ ص٤٠٥ .

بسحابة لبّدَتْ عجاجاً .

حدثني أبو مسعود الكوفي : أن ابن كناسة الأسدي ، قال : قال مسلمة بن عبد الملك أنه لا عفّة مع الشحّ ولا مروءة مع الكذب .

المدائني : إن مسلمة بن عبد الملك كان ينتقص العباس بن الوليد بن عبد الملك حين بعث يزيد بن عبد الملك بهما لمحاربة يزيد بن المهلب بالعراق ويحمّقه ، فبلغ العباس ذلك فكتب إليه كتاباً فيه هذه الأبيات ، يقال إنها له ويقال إنها لابن يسار وإنما تمثل بها : [من الوافر]

أَلا تُقْني الحياءَ أَبا سَعيدٍ ... وتُقْصِرُ عن مُلاحاتي وعَذْلي
فلولا أن أصلك حين تنمى ... وفرعَكَ منتهى فَرعي وأصلي
وَإنّي إذْ رميتُكَ هِضْتُ[1] عظمي ... ونَالَتْني إذا نالتْكَ نَبْلي
لقد أنكرتَني إنكارَ خوفٍ ... يُقَصِّرُ منكَ عَنْ شَتمي وأَكلي
لِقَولِ المرىء عمرٍو في القَوافي ... أُريدُ حياتَهُ ويريدُ قَتْلي

قالوا : وشتَم رجل من أهل الشام يزيد بن المهلب فقال له مسلمة : اسكت أتقول هذا الرجل سار إليه قريعا قريش : إن يزيد حاول أمراً جسيماً ومات كريماً .

المدائني ، قال : قيل لمسلمة بن عبد الملك : ما يمنعك من العمل ولو أردته لتولّيت أجسمه ، فقال : يمنعني منه ذلّ الطلب ومرارة العزل وهول الخَطب وقَرْعُ حلق البريد .

المدائني ، قال : قال مسلمة بن عبد الملك : ما فرحت قطّ بفتح على غير تقدير .

---

(١) هِضْت : من هاض العظم : كسره .

المدائني : إن مسلمة قال لعمر بن عبد العزيز : أَوصٍ فقال : ما لي مالٌ أوصي به ، قال : أنا آتيك بمئة ألف درهم توصي فيها بما أحببت ، قال : ألا تفعل خيراً من ذلك تردّها إلى موضعها الذي أُخذت منه ، قال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ، فقد أَلَنْتَ منا قلوباً قاسيةً ، وزرعت لنا في قلوب الناس المحبّة وأنبتّ لنا في الصالحين ذكرا .

المدائني عن خالد بن بشر ، قال : بلغ مسلمة بن عبد الملك أن رجلاً شتمه وعلم الرجل بذلك فانقبض عن إتيانه وسأل مسلمة عنه فأتاه فأراد الاعتذار إليه ، فقال مسلمة : اللهمّ غُفْراً ، كفّ عن هذا رحمك الله ولم يُرَ منه تغيّراً له .

قال : وشتم مسلمةَ قومٌ من أهل الأردن وبلغه[1] ذلك ، فبعث إليهم فأعطاهم وكساهم وكتب إلى الوالي عليهم يأمره بالإحسان إليهم .

المدائني عن عامر بن حفص قال : أبو نخيلة[2] السعدي : دخلت على مسلمة بن عبد الملك ، فقلت : [من الطويل]

أَمَسْلَمَ يا منسوبَ كُلِّ خَليفَةٍ ويا فارس الهيجا ويا جَبَلَ الأَرضِ
ولاقَيْتَني لمّا أتيتُكَ عارياً بخيرِ لحافٍ سابغِ الطُّولِ والعَرْضِ
وأنبهتَ لي ذكري وما كنتُ خامِلاً ولكنَّ بعضَ الذِّكرِ أَنبَهُ منْ بَعضِ

فقال : أين أنت من الرجز يا أخا بني سعد ؟ فقلت : أنا أرجز الناس ، قال : فأنشدني بعض رجزك ، فأذهب الله عني ما كنت أحفظه مما قلتُ ، فأنشدته أرجوزة للعجاج فلما مضيت فيها ، قال : حسبك أنا

---

(١) هكذا وبلغه ولعلها وبلغهم ذلك .

(٢) السعدي : يتبادر للنفس أنه من بني سعد هوازن الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو من بني سعد بن زيد مناة بن تميم .

أعلم بها منك ، وأعرض عني فظننت أنه مقتني على كذبي إياه .

وحدثني هشام بن عمار ، قال : سمعت الوليد يقول : أخبرني من سمع مسلمة بن عبدالملك [٥٥٦/٦٨] وذكر له رجلٌ فقيل قنوع ، فقال : إن القناعة أحد اليسارين أو قال : أحد المالين .

وقال هشام بن محمدالكلبي : كانت عند مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زُفر بن الحارث الكلابي فكان يأذن لأخويها الهذيل وكوثر أول الناس ، فقال عاصم بن عبد الملك وهو أبو زُفر بن عاصم الهلالي :

[من الطويل]

أَمَسْلَـمِ قَـدْ منَّيْتنـي ووعـدتَنـي ... مواعيدَ صدقٍ إنْ رجعْتَ مؤمَّرا
أيدعى الهذيل ثم أدعى وراءَهُ ... فيـا لـك مُـدعـىً مـا أذلَّ وأحقـرا
وكيفَ ولم يَشفَعْ ليَ الليلَ كلَّهُ ... شَفيـعٌ إذا ألقـى قِنـاعـاً ومِئـزَرَا
فلستُ براضٍ عنكَ حتى تُحبَّني ... كحبِّكَ صِهْرَيْكَ الهُذيلَ وكوثَرا

فقال الهذيل : [من الطويل]

[و] مـا فَخْـرُ فَخَّـارٍ علـيَّ وإنّمـا ... نَشَـأْنـا وأُمّـانـا معـاً أُمَّتَـانِ
أبي كان خيراً من أبيك وأفضلت ... عليـك قـديمـاً جـرأتـي ولسـانـي

ورثى عبدالله بن عبد الأعلى مسلمة ، فقال : [من البسيط]

أبـا سعيـدٍ أراكَ الله عـاقبـةً ... فيها لروحِكَ عند العُسْرِ تيسيرُ
فقد أقمتَ قناةَ الحقِّ فاعتدلَتْ ... إذ أنـتَ للـدّيـنِ ممـا نـابَـهُ سـورُ

أولاد مسلمة بن عبد الملك :

١٢١ ـ فولد مسلمة بن عبد الملك سعيداً الأكبر ، أمه أم ولد وسعيداً الأصغر أمه الرعوم بنت قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي .

قالوا : ولما قتل مسلمةُ يزيدَ بن المهلب ، جمع له يزيد بن

عبد الملك العراقين ، فولّى ذا الشامة محمد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة .

وقال المدائني : أخذ مسلمة من عسكر بني المهلب ألفين وثمانمئة فبعث بهم إلى ذي الشامة ، وكان على الكوفة وصاحب شرطه العُربان بن الهيثم ، فقال ذو الشامة : يا با الحكم لست من هؤلاء في شيء فشأنك بهم ، فقتل منهم من كان من بني تميم ولم يقتل اليمانية والربعيّة ، فقال حاجب بن ذُبيان المازني : [من الطويل]

لعَمري لقد خاضَتْ مُعيطٌ دماءَنا ... بأسيافِهِمْ حتّى انتهى بهِمُ الوَجْلُ[1]

ومـا حَمَـل الأقـوامُ أثقَـلَ مـن دمٍ ... حرامٍ ولا ذَحْلٍ إذا اتُّبعَ الذَّحْلُ[2]

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين عن موسى بن قيس : أقبل مسلمة حتى نزل الحيرة وأتاه سلمة بن كُهَيل وزبيد اليامي فأعطاهما خمسمئة خمسمئة .

حدثني عمرو بن محمد عن أبي نعيم عن زهير بن معاوية ، قال : رأيت مسلمة يأكل هكذا بأربع أصابع .

وحدثني عمرو عن أبي نعيم ، قال : سمعت سفيان يقول : قال عمر بن عبد العزيز لمسلمه : إذا مت فارفع لبنة من قبري فانظر ما خرجتُ به من الدنيا ، قال : ففعل ، فلم يزل ذلك يعرف فيه . .

وقال المدائني عن رجل عن ابن عيّاش ، قال : لم يرفع مسلمة بن عبد الملك من الخراج كبير شيء ، فأراد يزيد بن عبد الملك عزله فاستحيا منه ، فكتب إليه : استخلف على عملك وأقدم ، ويقال بل شاور

---

(١) الوَجَل والوجْل : الخوف .

(٢) الذَّحل : الحقد .

مسلمةُ عبدّ العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي في الشخوص إلى يزيد زائراً ، فقال : أمن شوق بك إليه إنك لطروب وإن عهدك به لقريب ، قال : لا بد من ذلك ، قال : فإنك لا تخرج من عملك حتى يلقاك والٍ مكانك ، فلما بلغ دورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد ، قال : إلى أين يابن هبيرة ، قال : وجّهني أمير المؤمنين لحيازة أموال آل المهلب ، فلما فارقه أتاه عبد العزيز بن حاتم فقال له : قد نبأتك أن سيلقاك والٍ مكانك ، قال : فإنه قال لي كذا ، فقال : واعجباً يُصرف عن الجزيرة ويوجّه في حيازة أموال آل المهلب ، وليس معه إليك كتاب بمعاونته على ما وجّه له ، فلم يلبث أن جاءه عزلُ ابن هبيرة عمالَه وغلظته عليهم .

وقال ذو الشامة يرثي مسلمة : [من الخفيف]

ضاقَ صَدري وَعيلَ صَبري فلا صبرٌ [سوى] دون ما أراه أتاكا[1]
كــلُّ مَيْــتٍ قَــدِ اغتَفَــرْتُ ولــمْ أجـزعْ عليـه إذ جـاوَرَ الهُـلاَّكـا
قبـلَ مَيْـتٍ وقبـلَ قبرٍ علـى الخا بـورِ لـم أستطـعْ عليـه تـراكـا

قالوا : ودخل أعرابي على مسلمة ، فقال : يابن الخليفة زرتك وأنت غرَّة مضر وحسيبها حين تذكر ، قد تعطّفت عليك الأماكن فليس يخاف ضيفك الهلاك ، وأنت في فرع ورتبة عن ذوي الأخطار ، ولك يد تمطر الندى وأخرى تقتل العدا ، وقد رزقت من الناس الحمد فدلّ عليك فضلك ، فقال مسلمة : يا أعرابي إنك لفصيح قال : أجل وإني لصريح ، فقال مسلمة : قلّ ما نجد أعرابياً عاقلاً ، قال : وما يذهب عقله إذا كان كاملاً ، قال : قلّة مخالطة الناس ، فقال ذاك أكيد له عند الناس ، قال

---

(١) هذا الشطر مكسور بسبب نقص كلمة لعلها سوى .

مسلمة : وأنّى له بذلك وهو لا يرى القتال ، قال : يكون غُمراً فيجترىء على الأبطال .

قال مسلمة : احتكم يا اعرابي ، قال عشرة جلال تمر وعشر أعنز وقطيفة للعيال وجمل نحمل عليه متاعاً وثلاثين درهماً ، فأمر له بضعف ما طلب .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر هشام بن عبد الملك بن مروان

١٢٢ ـ هشام بن عبد الملك بن مروان ويكنى أبا الوليد وكان أحول بخيلاً ، وأمه أمّ هشام واسمها فاطمة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، ويقال عائشة بنت هشام ، ويقال مريم بنت هشام ، وكانت أمه حمقاء ، أمرها أهلها أن لا تكلم عبد الملك حتى تلد ، وكانت تثني الوسادة ثم تركبها وتزجرها ، وتشتري الكُنْدُر[١] فتمضغه وتجعل منه تماثيل وتضع التماثيل على الوسائد ، وقد سمّت كل تمثال باسم وتنادي يا فلانة يا فلانة ، فطلّقها عبد الملك وسار إلى مصعب وهي حامل ، فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصوراً تفاؤلاً بذلك وسمته أمه هشاماً باسم أبيها .

وَوُلد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب سنة اثنين وسبعين .

ووَلد هشامٌ مسلمة أبا شاكر وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، ويقال هي أم حكيم بنت الحارث بن الحكم ، وسعيداً أمه أم ولد ، ويقال أمه أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، ومعاوية وأمه عَبْدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ، وعبد الملك وأمه مخزومية ومحمداً أمه الطلحيّة ، ويقال أم ولد ، ومروان درج صغيراً وأمه أم ولدٍ .

وتزوج هشام من النساء أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم ، وحفصة بنت

---

(١) **الكُنْدُر** : **اللُّبان** .

عمران بن محمد بن طلحة بن عبيدالله ، وعَبْدة بنت عبدالله الأسوار بن يزيد بن معاوية ، ورقية بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وأمها أم عمرو بنت مروان ولَدَت له عائشة بنت هشام تزوجها عبيدالله بن مروان بن محمد ويقال عبدالله وعبيدالله أصح . وأم سلمة بنت عبد الرحمن بن سُهيل بن عمرو ، وأم عبد الملك المخزوميّة .

وأتت هشاماً الخلافةُ وهو بالزيتونة ، ومات هشام بالرصافة التي بقرب الرقة ، في شهر ربيع الآخر لست خلون منه سنة خمس وعشرين ومئة ، وصلَى عليه ابنه مسلمة ، ويقال بعض ولده غير مسلمة ، وكانت خلافته عشرين سنة إلاّ خمسة أشهر ، ويقال إنه مات ليلة الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومئة . وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، ويقال كانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى وعشرين يوماً ، ومات وله أربعٌ وخمسون سنة .

قال المدائني : كان على شرطه هشام كعب بن حامد العبسي ثلاث عشرة سنة ثم عزله ، وولاّه أرمينيّة بعد الجراح بن عبد الله الحكمي ، وولّى الشرطة يزيد بن يعلى بن الضخم العبسي ، وولّى الرسائل سالم بن عبد الرحمن مولى سعيد بن عبد الملك بن مروان أو المنذر بن عبد الملك . وولّى الحرس نصراً مولاه ثلاث سنين ثم ولّى الحرس الربيع مولى بني الحريش وهو الربيع بن شابور ، وولاّه أيضاً خاتم الخلافة ، وولّى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد ثم عزله وولّى ابن الجيحاب ، ثمّ ولّى ابن الجيحاب مصر وصيّر مكانه على ديون الخراج والجند سعيد بن عقبة مولى بني الحارث بن كعب .

وكان قاضي هشام نُمَير بن أوس الأشعري ، ثم يزيد بن أبي مالك الهمداني .

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : لما خلع يزيد بن المهلب وجّه إليه يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، وقال : أمير الجيش مسلمة فإن حدث به حادث فالعباس بن الوليد ، فقال العباس بن الوليد ليزيد : يا أمير المؤمنين [٥٥٧/٦٨] إن أهل العراق قوم غُدر كثير إرجافهم وأنت توجّهني محارباً والأحداث تحدث ، ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولون مات أمير المؤمنين ولم يعهد ، فيفتّ ذلك في أعضاد أهل الشام ويدخلهم له الوهن والفشل ، فلو بايعت لعبد العزيز بن الوليد ، قال : غداً إن شاء الله ، وبلغ مسلمة بن عبد الملك فدخل على يزيد فقال : يا أمير المؤمنين أولد عبد الملك أحبّ إليك أم ولد الوليد ؟ قال : ولد عبد الملك إخوتي وأحبّ إليّ ، قال : فابن أخيك أحقّ بالخلافة من أخيك ؟ قال : لا ، قال : أفتبايع لعبد العزيز ؟ قال : لا غداً أبايع لهشام أخي وبعده للوليد ابني ، وبلغ عبد العزيز قوله ، وأتاه مولى له وهو لا يعرف الخبر ، فقال له : يا با الأصبع غداً يبايع لك ، قال عبد العزيز : هيهات أفسد ذلك علينا مسلمة ونقضه .

فلما كان الغد بايع يزيد لهشام ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد ، فكان إذا نظر إلى الوليد ، قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك.

بخل هشام بن عبد الملك:

١٢٣ ـ المدائني : أن عبد الملك بن عيّاش قال لهشام قبل الخلافة وكان يستحبّ ثيابه : قد أطلت قميصك يا أبا الوليد ، قال : وما يضرّك ؟ قال : إنك تجرّه في الطين فارفعه ، قال : وما ينفعك .

المدائني عن الحارث بن يزيد ، قال : حدثني مولى لهشام ، قال

بعث معي مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطائرين طريفين ، فدخلت عليه وهو جالس على سريره في عرصة الدار ، فجعل ينظر إليهما ، فقلت : يا أمير المؤمنين جائزتي ، فقال : ويلك وما جائزة طيرين ؟ قلت : ما كان ، فقال : خذ أحدها فعدوت في الدار لآخذ أحدهما ، فقال : مالك ؟ قلت : أختار أحدهما ، فقال : أوتختار أيضاً وتدع شرّهما ؟ قلت : نعم ، قال : دعهما ونعطيك خمسين درهماً .

قال : وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه : أن بغلتي قد عجزت فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فعل ، فكتب إليه : قد فهم أمير المؤمنين كتابك وقد ظنّ أمير المؤمنين أن عجز بغلتك عنك من قلّة تعهدك لها وأن علفها يضيع ، فتعهّد دابتك وقم عليها . وسيرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك إن شاء الله والسلام .

قال : وكتب بعض عمال هشام إليه : إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلّةٍ فيها درّاقن فليكتب إليّ بوصولها ، فكتب إليه : قد بلغ أمير المؤمنين كتابك ووصل الدراقن فأعجبه فَزِدْ أمير المؤمنين منه واستوثق من الوعاء الذي توعيه إياه والسلام .

وكتب إلى بعضهم : قد أتت أمير المؤمنين الكمأة التي بعثت بها وهي خمسون وقد تغيّر بعضها ، ولم يؤت ذلك إلا من قبل حشوها ، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين بشيء من الكمأة فأجد الحشو في طرقه بالرمل حتى لا يضطرب ولا يصب بعضه بعضاً إن شاء الله .

وكان سالم بن عبد الرحمن كاتباً لهشام ، رغم أنه صيّر ابنه كاتباً له يخلفه عنده ، فقال له : إن ابنك يا سالم لبيبٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين أخايرك به أيّ بنيك شئت .

المدائني ، قال : قال هشام لأبي أيوب : اخرج فانظر كيف ترى

السحاب ؟ فخرج ، فنظر فقال : قد تفرّق وإن اجتمع فعسى .

المدائني ، قال : قال هشام إن لأهل العراقين رائدين لا يكذبان دجلة والفرات .

المدائني قال : قدم علباء بن منظور الليثي على هشام فأنشده :

[من الكامل]

إنّا أُناسٌ مَيِّتٌ ديوانُنا ومتى يُصبْهُ ندى الخليفَةِ يُنْشَرُ

فقال له : ما أحسن ما قلت وسألت . وأمر له بخمسمئة درهم وأن يلحق له عَيْل ، فقدم البصرة فقال الفرزدق : الحُذيا فأعطاه مئة درهم ، قال وزاد هشامٌ رجلاً في عطائه مئة درهم . فقال : اجعلها يا أمير المؤمنين لابنتي ، قال : إنما حاولت الجريبين ، وكان لكل واحد من الذريّة في كل عام مئة درهم ، وفي كل شهر جريبان وإنما ذلك لعيال أهل الديوان .

وقال هشام للأبرش : وهو سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس بن بكر بن عامر وهو الجُلاح بن عوف بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد بن اللات بن رفيدة بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وكان الأبرش جليسه وأنيسه : كيف تكون أخص الناس بي وأنت أخصّ الناس بمسلمة أخي ، فتمثل الأبرش : [من الطويل]

أؤاخي رجالاً لستُ أُخبِرُ بَعْضَهُمْ بأسرارِ بعضٍ إنَّ قلبيَ واسعُ

قال : وقال الأبرش لهشام : يا أمير المؤمنين لو ينادى في عرض الناس يا مفلس ، فيسمع رجل من جلسائك نداه ما ظن أنه عني غيره .

المدائني عن عمر بن يزيد عن الوليد بن خليدٍ ، قال : رآني هشام على برذون

طخاري ، فقال : ما هذا البرذون ؟ قلت : حملني عليه الجنيد بن عبد الرحمن المرّي ، فحسدني وقال : لقد كثرت الطخارية ولقد مات عبد الملك وما في ديوانه إلا برذون طخاري فتنافسه ولده أيهم يأخذه ، وما منهم أحد إلا وهو يرى إن لم يأخذه لم يرث من أبيه شيئاً ، فصار لي فما ورثت من عبد الملك شيئاً كان أحبّ إليّ منه .

المدائني عن يزيد بن الحارث قال : كان هشام وبنو مروان كلهم لا يكسون الخزّ الأحمر والأصفر ويكسونهم ما وراء ذلك من الألوان ، ويدّخرون الأحمر والأصفر لكسوتهم .

قال : وقسم هشام تمراً وجبناً ، فقال إبراهيم بن هبيرة السكوني أخي مالك بن هبيرة السكوني لمولىً له : انطلق فجئنا بشيء من تمر العراق وجبنة ، فأُعطي قوصرةً وجبنةً ، قال مولى إبراهيم : فألقيت القوصرة وما فيها إلا تمر قد سوّس وفسد ، وإذا الجبنة قد قشرها الفأر وأكل جانبها وثقبها .

هشام وحبّه الجماع :

١٢٤ ـ ودخل أبو النجم العجلي على هشام ، فقال له : كيف رأيك في النساء فقال : ما لي عندهن خَيْر ولا لهن عنديَ مَيْر[١] ، قال : ما ظنك بأمير المؤمنين ، قال : مثل ظنّي بنفسي ، فبعث هشام إلى جواريه فأخبرهن بما قال أبو النجم فقلن : كذب عدو الله ما منا جارية تصلي في صلاة حتى تغتسل .

فوهب لأبي النجم جاريةً ثم سأله ما صنع فأنشده : [من الكامل]

---

(١) المَيْر : الطعام ونحوه .

نظَرتْ فأعجبَها الّذي في دِرْعِها ... من حسنه ونَظَرْتُ في سِرباليا
ورأتْ لَها كفلاً ينوء بخصرِها ... ثِقلاً وأَخْثَمَ في المجسَّةِ رابيا
وَرَأَيْتُ مُنتشرَ العِجانِ مُقَلَّصاً ... رخواً حمائِلُهُ وَجِلداً بَاليا
أُدني له الرَّكْبَ الحليقَ كأنّما ... أُدْني إليه عَقَارباً وَأَفاعِيا

المدائني ، قال : كان سهيل بن أبيض أبو البيضاء من أهل المدينة ، وكان مضحكاً وكان هشام والوليد يستملحان حديثه وشعره ، فقال له هشام : كيف قلت لداود وامرأته ، قال : قلت : [من مجزوء الرمل]

إنّما دَلَّ عَلَيْهِ ... مركنٌ كانَ استَعارَهْ
فَلَهُ ما شاءَ عِندي ... إن تخطَّى العودُ فارَهْ
أَوْ رآه المرءُ غُضيا ... ءُ فلم يُوجِعْ فِقَارَهْ

وقال غير المدائني : كان داود هذا استعار مركناً يزرع فيه شيئاً ، أو يستعمله في بعض الأمر ، فرأته امرأته فأعجبها فضمها إليه بغير ولي ولا شهود ، فلذلك قال : إنما دلّ عليه هذا المركن . يقول فله ما شاء إن لم يأخذه غُضياء بن عياش بن الزبرقان بن بدر وكان على شرطة المدينة فضربه ، وقوله تخطى العود يعني بالعود العصا والفار العَضَل وكان غُضياء يكثر ضرب عضل الرجلين ، والعرب تقول : أشبع جارك وأجع فارك ، أي أجع عضلك حتى تهزل . وقال لامرأة داود :

[من مجزوء الرمل]

وَجَدوا جَوْنَةَ سَوْءٍ ... بينَ هرشى والأَصافِرْ
وجدوا فيها مَتَاعاً ... ليسَ من زاد المُسَافِرْ
وجدوا كارَيْنِ فيها ... من أديمٍ غيرِ ظاهِرْ
وَجَدُوا فيها خَطَايا ... عَجَزتْ عنها الأَباعِرْ

قال أبو اليقظان : ولَدَ عياش بن الزبرقان[1] ، واسم الزبرقان حصين بن يزيد بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد غُضْياء وكان على شرط المدينة لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، في أول أيام هشام ، وكانت أم عبد الملك بن الحارث ابنة الزبرقان بن بدر وغُضياء القائل : [من الوافر]

غَـريـبٌ فـي ديـارِ بنـي تَميـمٍ ولا يُجزي عَشيرتـي اغترابـي[2]

وعياش الذي قال له جرير بن عطيّة : [من الطويل]

أَعَيّاشُ قد ذاق القيونُ[3] مَيَاسِمي وَأَوْقَدْتُ ناري فَادْنُ عَيَّاشُ فَاصْطَلِ

فقال : إني إذاً المقرور[4] .

وحدّثني العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : دخلتْ جاريةٌ لهشام عليه وعنده الأبرش ، فقال : يا أبرش أهبها لك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين وهو يضحك ويغمز هشاماً ، فقالت وفطنت : أنت والله يا أبرش أطمع من أشعب [٦٨/٥٥٨] . فقال هشام ومن أشعب ؟ فقيل مضحك مليح يكون بالمدينة وحدّث حديثه ، فقال : اكتبوا في إشخاصه ، فقال له الأبرش : أيتحدث الناس بأنك كتبت إلى عاملك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشخصت منها مضحكاً لتلهو به ، فقال : أمسكوا أمسكوا ، فإنها وصمة عظيمة ، ثم قال : بيتاً زعموا أنه لم يقل قطّ بيتاً

---

(١) الزبرقان : القمر وكان الزبرقان بن بدر أحد الذين يدخلون مكة متعممين لجمالهم خيفة أن تثب عليهم النساء . في الجاهلية .

(٢) الشطر مكسور ، ويصح لو قلنا : ولا يجزى العشيرُ من اغترابي .

(٣) القيون : جمع قَيْن : عبد .

(٤) المقرور : الشديد البرد .

غيره ، ويقال : إنه إنما تمثل به : [من الطويل]

إذا أنتَ لم تَعْصِ الهَوى قادَكَ الهَوَى إلى بعضِ ما فيهِ عليكَ مَقَالُ

المدائني عن إبراهيم بن سعيد القرشي ، قال : رأى عبد الملك بن مروان بن الحكم في منامه كأن ابنة هشام بن إسماعيل فلقت راسه فلطعت منه عشرين لطعة ، فغمّه ذلك فأرسل إلى سعيد بن المسيّب من قصّها عليه ، فقال سعيد : تلدُ غلاماً يملك عشرين سنة ، فولدت هشاماً ، وأُقطع هشام الضيعة التي تدعى دورين ، فأرسل في قبضها فإذا هي خراب ، فقال لدويد وهو كاتب كان بالشام : ويحك كيف الحيلة ، قال : ما تجعل لي ؟ قال : أربعمئة دينار ، قال : فكتب دويد وقراها ثم أمضاها في الدواوين فاتسعت الضيعة وفشت .

فلما ولي هشام دخل عليه دويد كالمتقرب بما كان فعل ، فلما وقعت عين هشام عليه ، قال : وقراها ، لا تلي لي والله ولايةً أبداً ، فأخرجه .

قال : وكان هشام يوماً على باب يزيد بن عبد الملك ، فنظر إلى بغال تعرض عليه وفيها بغل لم يرَ مثله حسناً وطهارة خُلُقٍ ولين سَيْر ، فقال : ما يصنع أمير المؤمنين بهذه الدواب كلها ، لو أن رجلاً اجتزأ بهذا البغل وحده كفاه .

فلما ولي هشام اتخذ البراذين الطخارية والبغال ، فقال له الرجل الذي حضره على باب يزيد : أتذكر يوم قلت البغل كذا وكذا ، قال : نعم وأنا عليه ، ولكنا نرى شيئاً نحسد الناس عليه فنحبّ أن نحويه دونهم .

قالوا : ولما أَخرج دُويد ثقله ، أُخبر هشام أنه على أربعين جملاً فأرسل فأخذه وطلب هشام عسلاً من الخزانة التي هي بالهنى والمرّى والخزانة قرية ، فقيل له إن الفقراء والمرضى كانوا يلعقونه ، فمنع الناس

من تلك الكواير وكتب بجمع العسل وطيّن الأبواب .

المدائني قال : كان هشام يتكلم بكلمات في العيدين في خطبته لا يقولهن في غير هذين اليومين ، ثم يخطب بعد ذلك : الحمدلله الذي ما شاء صنع ، وما شاء أعطى وما شاء منع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع ومن شاء ضرّ ومن شاء نفع .

المدائني عن عبدالله بن سالم القرشي عن خليد بن عجلان ، قال : خرج هشام وليس بخليفة يريد بيت المقدس ، فأتى دمشق فدخل على محمد بن الضحاك بن قيس الفهري ودخلنا معه ، فقال له محمد ورآه يسحب ثيابه : يا أبا الوليد أدركت أمير المؤمنين عبد الملك ؟ فقال : نعم ، وكان والله مشمّراً مُعَجّزاً ، قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : يمنعني قول الشاعر : [من الطويل]

لا تبـك قصيـر الثيـاب فـاحشـر عنـد بـابـه[1]
وَشَمِّــرْ قُــريــشٌ فــي قُــريــشٍ مُــرَكَّــبُ

ليس في خاله شيء يحتشم منه :

١٢٥ ـ حدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : كان هشام يلاعب الأبرش الشطرنج ، وقد أشرف هشام على أن يغلب الأبرش ، فاستأذن الحاجب لرجل من بني مخزوم من أخواله فأمره بإدخاله ، وغُطّت الشطرنج بمنديل ، فلما دخل المخزومي سلم وجلس ، فقال له هشام : يا خال أتقرأ كتاب الله ؟ قال : ما أقرأ منه إلا ما أقيم به صلاتي ، قال : أفتروي من الآثار شيئاً ؟ قال : لا ، قال : أفتعرف من أحاديث العرب وأشعارها وأيامها ما يعرفه مثلك ؟ قال : لا ، قال : أفتنسب قريشاً

---

(١) هذا الشطر مكسور ويصح لو قلنا : ولا تبكِ قِصْرَ الثوب واحشرْ لبابه .

وسائر بني نزار ؟ قال : لا أحسن من النسب شيئاً ، قال : يا غلام ارفع المنديل فليس في خالنا حشمة ، وأخذ في لعبه .

وقال الهيثم : عرض هشامٌ الجند يوماً فنفر برجل من أهل حمص فرسه وقد دنا من هشام ، فقال له : ويلك أتركب مثل هذا الفرس فإن نفر بك في حربٍ صرعك فهلكت ، قال : والرحمن ما هذه عادته ، ولكنه شبّهك بأبي جَيْرون البيطار ، فقال له هشام أغرب لعنك الله وضحك[1] .

المدائني وغيره: قالوا: قال مسلمة بن عبد الملك لهشام وتلاحيا في شيء، كيف ترجو الخلافة وأنت جبانٌ بخيلٌ؟ قال: لأني عفيفٌ حليمٌ.

قال هشام بن الكلبي : قال هشامٌ لمن حضره ، من أنعم الناس عيشاً ، فقال بعضهم : أمير المؤمنين ، وقال بعضهم : ولد أمير المؤمنين ، فقال رجل من الحرس : أنعم الناس عيشاً ابني كفيته أمر دنياه وليس يهتمّ بأمر آخرته .

المدائني قال : كان المنصور يذكر هشاماً فيقول : كان رجل القوم .

أبو الحسن المدائني عن محمد بن الفضل ، قال : بعث هشامٌ إلى أبي حازم الأعرج ، فأبطأ عليه ثم أتاه ، فقال : ما منعك من إتياني ؟ فقال : والله لولا مخافة شرّك ما أتيتك ، قال : ما ترى في إنفاق هذاالمال ؟ قال إن أخذته من حلّه ووضعته في حقّه سلمت ، وإلا فهو ما تعلم .

المدائني عن مسلمة بن محارب ، قال : كان هشام إذا حدّث قال : ألقوا عني مؤنة التحفّظ .

قال : ودخل سليمان بن سعد الخشني أو ابنه على هشام ومعه كتب

---

(١) كان هشام بن عبد الملك أحول وكان أبو جيرون البيطار أحول ولذلك حدث الشبه عند الفَرَس .

يريد عرضها ، فقال هشام : أخرها فإني محموم وناوله يده ، فمسّ عِرْقَه ثم قال : ما أرى بك حمّى ، فقال : يا بن اللخناء تكذّبني لا تقربني وأمر بعزله عن الديوان .

المدائني عن شبيب بن شيبة ، قال : كان المنصور إذا ذُكر مروان يقول : أما عبد الملك فكان جبار ألا يبالي ما أقدم عليه ، وأما الوليد فكان مجنوناً ، وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه وأما عمر بن عبد العزيز فكان أعور بين عُميان ورجل القوم هشام .

قالوا : وكان الجَعْدُ بن درهم مؤدّب مروان ومعلّمه وكان دهريّاً ، ويقال كا معتزلياً شهد عليه ميمون بن مهران أنه قال له ووعظه : لشاه قيادٍ أحبُّ إليّ مما تدين به ، فقال له : قتلك الله وهو قاتلك ، ويقال إن ميمون بن مهران وعدّة شهدوا عند هشام على الجعد بن درهم بالكفر ، فطلبه هشامٌ فهرب إلى حران ، ثم أنه ظُفر به فحُمل إلى هشام ، فأخرجه من الشام إلى العراق ، وكتب إلى خالد بن عبد الله القسري وهو عامله على العراق بأن يحبسه فلم يزل محبوساً حيناً ، ثم إن امرأته رفعت إلى هشام في أمره تعلمه طول حبسه وسوء حاله وحال عياله ، فقال : أوحيّ هو ؟ وكتب إلى خالد بقتله ، فقال خالد في يوم أضحى : أيها الناس انصرفوا إلى أضاحيكم فإني مُضحٍّ بعدو الله الجعد بن درهم ، وكان الجعد مولى سويد بن غفَلة الجعفي ، قالوا : وكان غيلان يقول كلّمت جعداً فوجدته مُعطِّلاً .

المدائني عن ربسان الأعرجي عن عقال بن شبَّة : قال : دخلت على هشام وعليه قباء خَزّ أخضر وفيه فَنكٌ[1] فجعلت أتأمّله ، فقال : مالك

---

(١) الفنك : الفرو ـ اللسان ـ .

تتأمّل قباي ، قلت : رأيت عليك قبل الخلافة قباءً أخضر شبّهته بهذا القباء قال : هو هو والذي لا إله غيره وما لي قباء سواه وما ترون من جمعي المال وصونه إلا لكم .

وقال المدائني : كان عقال بن شبَّة مع هشام ، وكان شبَّة أبو عقال مع عبد الملك ، وكان عقال يقول : دخلت على هشام فدخلت على رجل محشوٍّ عقلاً .

قالوا : وقال هشام لنسطاس أبي الزبير : أترى الناس يرضون بعدي بالوليد بن يزيد ؟ قال : قلت : يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ويبقيك بعده ، قال : إنه لا بدّ من الموت أفترى الناس يرضون به ؟ قلت : يا أمير المؤمنين البيعة له في أعناق الناس ، قال : لئن رضي الناس بالوليد إنَّ الحديث الذي رُوي : أن من ولي الخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار باطلٌ .

قال الهيثم بن عدي بعث يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من الكفّ ، وحبّة لؤلؤ من أعظم ما يكون من الحبّ ، قال الرسول : فدخلت على هشام فدنوت منه فلم أرَ وجهه من طول السرير وكثرة الفرش ، فلما تناول الحجر والحبّة قال : ما كتب معك بوزنهما ، قلت : يا أمير المؤمنين هما أجلّ من أن يكتب بوزنهما ومن أين يوجد مثلهما ، قال : صدقت ، وكانت الياقوتة الرائعة لجارية خالد بن عبدالله القسري اشترتها بثلاث وتسعين ألف دينار .

المدائني وغيره : أن هشاماً أنشد بيت حسان بن ثابت الأنصاري [٥٥٩/٦٨] : [من الطويل]

أتـانـا رَسُـولُ الله لمّـا تجهمـتْ ... لـه الأرضُ إذْ يَـرْميـهِ كـلُّ مفوّقِ

ويروى : حين تنكّرت له الأرض إذ يرميه كل مفوّق . وأنشد شعر قيس : [من الطويل]

ثَوَى في قُريشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذكِّرُ أَوْ يلْقى صَديقاً مُواتيا

فقال : ما رأيت أحداً أشدّ امتناناً على الله ورسوله من هؤلاء اليهود ، يعني الأنصار .

ومات هشام بالذبحة ، فروي عن سالم أبي العلا أنه قال : خرج علينا هشام يوماً وهو كئيبٌ يعرف ذاك فيه مسترخي الثياب وقد أرخى عنان دابته ، فقال : ادعُوا الأبرش فدعي فسار بين الأبرش وبيني فقال الأبرش : يا أمير المؤمنين لقد رأيت منك ما غَمَّني ، قال : ويحك يا أبرش كيف لا أغتمّ وقد زعم أهل العلم أني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً ، قال الأبرش : فلما انصرفت إلى منزلي كتبت زعم أمير المؤمنين أنه يسافر يوم كذا فلما كانت أوله اليوم الذي كمل الثلاثة والثلاثين أتاني رسول هشام ، فقال : أجب واحمل معك دواء الذبحة ، وقد كانت الذبحة عرضت له مرة فتداوى بذلك الدواء فانتفع به ، فأتيته ومعي الدواء فتغرغر به فازداد الوجع شدّة ثم سكن ، فقال : قد سكن بعض السكون فانصرف إلى أهلك وخلّف الدواء عندي ففعلت ، فما استقررت في منزلي حتى سمعت الصُرّاخ فقالوا : مات أمير المؤمنين ، فلما مات أغلق الخُزّان الأبواب فطلبوا قمقماً يسخن فيه ماء لغسله فما وجدوه حتى استعاروا قمقماً .

وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك شخص عن الرصافة لكثرة عبث هشام به ، وخلّف عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان وهو كاتبه بالرصافة ، وأمره أن يكتب إليه بالأخبار ، فعتب عليه هشام فضربه وحبسه والبسه المسوح . فلما صار هشام إلى الحدّ الذي لا يرجى له فيه الحياة ، أرسل عياض إلى الخُزّان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلنّ أحدٌ منه على شي ، وأفاق هشام إفاقة فطلب شيئاً فمنعَهُ ، فقال : أو إنّا

كنّا خزّاناً للوليد ، ثم مات هشام من ساعته .

فخرج عياض من الحبس وختم أبواب الخزائن وأمر بهشام فأنزل عن فراشه وحازها فما وُجِدَ له كفنٌ حتى كفّنه غالب مولى هشام .

وقال مروان بن شجاع مولى مروان : كنت مع محمد بن هشام فأرسل يوماً إليّ فدخلت عليه وقد غضب وهو يتلهف ، فقلت : مالك ؟ قال : رجل نصراني شجّ غلامي وجعل يسبّه ، فقلت على رسلك ، قال : ما أصنع ؟ قلت : ترفعه إلى القاضي ، قال : أما غير هذا ؟ قلت : لا ، فقال خصيّ له : أنا أكفيك فذهب فضربه وبلغ ذلك هشاماً ، فطلب الخصيّ فعاذ بمحمد ، فقال محمد بن هشام : لم آمرك ، وقال الخصي : قد والله أمرتني ، فضرب هشام الخصي وشتم ابنه وهجره أياماً ، ثم رضي عنه .

قالوا : وكان في موكب هشام ثمانمئة فارس وأربعمئة من الشرط وأربعمئة من الحرس ، ولم يكن أحد يسير في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك . ورأى هشامٌ ذات يوم سالماً كاتبه في موكب فزجره ، وقال : لا أعلمن ما سرت في موكب ، فكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه فيقف سالم ويقول : حاجتك ويمنعه أن يسير معه ، وكان سالم عظيم القدر عند هشام ، وكان يتمثّل بشعر النعمان بن بشير في غلام له كان يقال له سالم ، وهو : [من الطويل]

يَذُودونَني عن سالمٍ وأَذوُدُهُم وجلدَةُ بينَ العَيْنِ والأَنْفِ سَالمُ

ما كان أحد يأخذ عطاءً إلا وعليه أن يغزو :

١٢٦ ـ وكان حاجب هشام يسير وحده ، ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ عطاءً إلا وعليه الغزو ، فمنهم من يغزو بنفسه ومنهم من يخرج بديلاً ، وكان لهشام مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاء هشام وهو مئتا

دينار ودينار يفضل بدينار فيأخذ يعقوب ذلك ويغزو عنه ، وكانوا يصيّرون أنفسهم في أعوان الديوان وفي بعض ما يجوز لهم معه المقام فيوضع عنهم الغزْو .

فكان داود بن علي بن عبدالله بن عباس وعيسى بن علي وهما لأمّ في أعوان السوق بالعراق لخالد بن عبدالله القسري ، فأقاما عنده ووصلهما ، ولولا ذلك لم يقدر على تصيرهما عنده ولأخذا بالغزو فجعلهما في الأعوان وكانا يسامرانه ويحدّثانه .

وكان هشام أراد أن يصيّر ابنه مسلمة وليّ عهده بعد الوليد بن يزيد ، فقال الكميت بن زيد الأسدي : [من الكامل]

إنَّ الخـلافَـةَ كـائـنٌ أوتـادُهـا بعـد الـوليـدِ إلـى ابـنِ أمٍّ حكيـمِ

كانوا يضرّون بالوليد بن يزيد:

١٢٧ ـ قالوا : فأضرّ هشام بالوليد بن يزيد ، فدخل عليه يوماً فقال له العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا أبا العباس كيف حبّك للروميّات ؟ قال : إني لأحبهنّ وكيف لا نحبّ من لا يزال يأتي بمثلك .

فترك الوليد الرصافة وخرج فكان بالأزرق من أرض بلقين[١] وفزارة ، فكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك يكتب إلى الوليد بما أجمعوا عليه من خلعه .

قالوا : وضمّ هشام إلى ولده سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي .

---

(١) القين : واسمه النعمان بن شيع اللات بن أسد بن تغلب (الغلباء) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وقد حضن النعمان عبدله يقال له القين فغلب عليه ويقال لبني : القين : بَلقين مثل بلحارث وهو من شواذ التخفيف .

وقالوا : ولّى هشام مولىً له ضيعةً فعمّرها حتى جاءت بغلّة كثيرة وعمرّها أيضاً فأضعفت غلّتها . وحمل ما ارتفع من مالها مع ابنه فقدم به على هشام فجزى أباه خيراً ، فلما سمع ذلك انبسط فقال : يا أمير المؤمنين إن لِي إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : زيادة عشرة دنانير في عطائي ، قال : ما يظنّ أحدكم أن زيادة عشرة دنانير في العطاء إلا نَقْدَ الجوز ، لا لعمري لا أفعل .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جُعْدُبة قال : قال هشام لو أشاء أن أقول الشعر لقلته ، وما يمنعني منه إلا قولُ معاوية أو قال عبد الملك إن الشعر أسرَى خلال الدنيء أو أدنى خلال السَّري ، قال : فقلت له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن من الشعر حكمة» فهل تكون حكمة من دنيء ؟ .

حدثني أبو محمد النحوي عن أبي عبيدة ، قال : حجّ هشام بن عبد الملك سنة ست ومئة فأتى الكوفة فحجّ منها ، فقال يزيد بن المرقال كنت في أكرياته[1] ، فلم يأمر لنا بشيء فقلت لأصحابه : أنا أكلمه فوضعت غرائر[2] وقمت عليها ، فقلت : يا أمير المؤمنين نحن أكرياؤك وخدّامك ، فأمر لنا بصلة .

قالوا : وقال إبراهيم بن هشام المخزومي : ما كان من هشام في حجّة شيء أنكرناه إلا حادياً حدا بين يديه وهو يسير ، فقال : [من الرجز]

إن عليـــك أيهـــا البختـــيُّ أكـــرم مَـــنْ تحملُـــه المطـــيُّ

فقال : صدق فوك لعمر الله .

---

(١) من الكراء أي الأجرة .

(٢) غرائز : جوالق ، أكياس ـ اللسان ـ .

وزوّج ابناً له بالكوفة .

حدثني التوزي النحوي عن أبي عبيدة عن الزعبل بن الكلب العنبري ، قال : حازيتُ يقول عارضت إلى هشام حين قدم يريد الحجّ فأهديت له ناقةً فلم يقبلها فلما قوّضت سرادقاته ورُفعَتْ حُجرَهُ واستوى في غرز ناقته ، ناديت فقلت : يا أمير المؤمنين جُعلتُ فداءك إنها مرباع هلواع مقراع حلباة ركباة فضحك وأمر له بصلة ، قال : المرباع : التي تربع إلى الصوت ومرباع : سريعة الحمل ، هلواع : حديدة القلب من الهلع ، مقراع : تقرّ للفحل حتى يقرعها ، ويقال ناقة حلباة ركباة وحلبانة ركبانة وحلبوت ركبوت .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جدّه ، قال : قال هشام بن عبد الملك : اثنان يتعجلان النصب ولعلهما لا يظفران بالبغية : الحريص في حرصه ومعلّم البليد ما لا يبلغه فهمه .

المدائني ، قال : قال هشام لرجلٍ منفعلٍ به سُرقت له عشرة آلاف درهم : هل حدّثت نفسك أن تفعل بها شيئاً من أنواع البر ؟ قال : لا ، قال فهل حدّثت نفسك بأن تنفقها في شيء تُمتَّع به في الدنيا ؟ قال : لا ، قال : فخذ حجراً يزن عشرة آلاف درهم فضعه موضعها فإن الحجر وتلك العشرة آلاف سواء .

قالوا : وخطب هشامٌ بنت القاسم بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وأم القاسم فاطمة بنت الحسين ، وكان القاسم جلداً من رجال قريش ، فقال لرسوله : لا أزوّجه حتى يقضي ديني ويأمر لي بعشرة آلاف درهم ويعطي أخي عبد العزيز عشرة آلاف درهم ، وآمنة أختي عشرة آلاف درهم ، فأدّى الرسول قوله إلى هشام ، فغضب هشامٌ وشتمه ، ثم بعث القاسم رسولاً له إلى هشام في حوائج له ، فقال : لا ولا نعمة عين لا تقضى له حاجة ، فوالذي أكرمني بخلافته ما همتُ بظلم [٥٦٠/٦٨]

مسلم ولا معاهد مذوليتها ولا ظلم القاسم ولم يقض حاجته .

فلما مات القاسم تزوّج هشامٌ امرأته وزوّج ابنه ابنة القاسم وحُملوا إلى الشام فبكى أهل المدينة جزعاً على القاسم .

قالوا : وأهدى حسان النبطي لهشام بن عبد الملك هدايا كثيرة من ثياب وجوهر وغير ذلك فاستكثرها هشام وقال : بيت المال أحقّ بهذه الهدايا ، فأمر ببيعها فبلغ ثمنها خمسمئة ألف درهم فابتاعها حسان ممّن اشتراها وحملها إلى هشام ، وقال : قد طابت لك فمُرْ بقبضها ، فأمر هشام فنودي : ألا إن حسان سيدّ موالي أمير المؤمنين .

قالوا : ودخل هشام الكوفة فنزل الحيرة ، فسمع أصوات المؤذنين بالكوفة الغداة ، فقال لخليفة خالد بن عبدالله القسري ، وكان خالد عاملُ هشام على العراق وخليفته بالكوفة العُريان بن الهيثم : ما هذه الأصوات أتراهم فعلوها ، قال : يا أمير المؤمنين هذه أصوات المؤذّنين ، فقال هشام : إن بلداً تبلغ أصوات مؤذنيه ما أسمع لَبَلَدٌ يجب حفظه وحفظ أهله ، وكان جباناً .

وحجّ هشام فدخل على سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطّاب وهو مريض ، فقال : يا با عمر ألك حاجة ؟ قال : اتقِ الله ، قال ، أوصني بأهلك ، قال : هم في سعة من فضل الله فمات في سنة ست ومئة وصلى عليه هشام .

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش قال : لما حجّ هشام فدخل المدينة ، قال لرجل من أصحابه : انظر من ترى في المسجد ، قال : أرى رجلاً طوالاً أدلم[1] ، قال : هذا سالم بن عبدالله بن عمر ادْعُه ، فأتاه فقال :

---

(١) الأدلم : الشديد السواد ـ اللسان ـ.

أجبْ أمير المؤمنين فأرسل من يأتيك بثيابك ، فقال : ويحك يزور بيت الله زائره في ثوبين ولا أدخل على هشام فيهما ، فلما دخل على هشام وصله بعشرة آلاف درهم ، ثم قدم المدينة منصرفاً من الحجّ فقيل له : إن سالماً شديد الوجع ، فدخل عليه فسأله عن حاله ، ومات سالم فصلى عليه هشام وقال : ما أدري أي الأمرين أنا أشدّ به سروري إتمام حجّي أم صلاتي على ابن عمر ؟ .

حدثني عمر بن بُكير عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه ، قال : حجّ هشام فلما قدم المدينة دعا بسالم بن عبدالله فآنسه ودعا له بصلةٍ ، وقال : هذا بقيّة الناس وابن الفاروق وخير أهل زمانكم ، ثم انصرف وقد حُمّ فقال : أترون الأحول لعقني بعينه ، فكان هشام يقول : سروري بالصلاة على ابن عمر كسروري بتمام حجّي أو كما قال .

وكان مما أنكر على هشام قوله : لأشكونّ سليمان إلى الله يوم القيامة لاختياره يزيد بن عبد الملك عليّ .

هشام يريد خلع الوليد بن يزيد:

١٢٨ ـ قالوا : وأراد هشام أن يبايع لمسلمة بن هشام ويخلع الوليد بن يزيد . فكاتب أهل الشام في ذلك فأجابه إلى إرادته خلق كثير ، فكان ممن أجابه سعيد بن عبد الملك ومحمد وإبراهيم ابنا هشام المخزومي . والوليد وعبد الملك ابنا القعقاع بن خُليد العبسي وغيرهم من بني أميّة ، فأضرّ بالوليد وأقصاه وكان يشتمه ويسفّهه ويعيّره بالشراب ، وولّى مسلمة بن هشام الموسم وأعطاه مالاً عظيماً أمره أن يقسمه فقسمه ، فقال مولى من أهل المدينة : [من السريع]

يـا أيُّهـا السّـائـلُ عـن دينِنـا ... نحـنُ علـى ديـنِ أبـي شـاكِـرِ

الـــواهِـــبِ الجُـــرْدَ بـــأرســـانِهـــا   ليـــسَ بـــزِنْـــديـــقٍ ولا فـــاجِـــرِ

يعرّض بالوليد : .

وقال قوم : إن هشام عاب الوليد ووبّخه في الشراب ، فقال : [من السريع]

يـــا أيُّهـــا البـــاحِـــثُ عَـــن ديننـــا   نحـــن علـــى ديـــنِ أبـــي شـــاكِـــرِ

نَشْـــرَبُهـــا صِـــرفـــاً وممـــزوجَـــةً   بـــالسُّخْـــنِ أَحيـــانـــاً وبـــالفـــاتِـــرِ

فقال هشام لمسلمة يعيّرنا الوليد بشربك ، فالزم الأدب واحضر الصلوات والزم مجلسي غدوة وعشية . ويقال إن الذي قال هذا الشعر عبد الصمد بن الأعلى أخو عبدالله بن عبد الأعلى الشاعر .

قالوا : وكان الخلفاء وأبناء الخلفاء من بني أمية يتبدّون ويهربون من الطاعون فينزلون البريّة خارجاً عن الناس ، فلما أراد هشام أن يترك الرصافة ، قيل له لا تخرج فإن الخلفاء لا يطعنون ، ولم نر خليفة قطّ طُعن ، فقال : أبي تريدون أن تجرّبوا الرصافة وهي قرية وابتنى قصرين وأقام بها ، والرصافة روميّة بناها بعض ملوك الروم وهي تنسب إلى هشام . ويقال إنه أراد أن يخرج من الرصافة إلى البادية فراراً من الطاعون فقيل إنه لم يطعن بها أحد ، فقال : أبي تجرّبون ؟ .

قالوا : وأنشد أبو النجم[1] هشاماً أرجوزته اللامية حتى بلغ :

---

(١) أبو النجم الراجز واسمه الفضل ويروى المفضّل بن قُدامة بن عبيد بن عبد الله بن عبدة بن الحارث بن إياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وهو من رجّاز الإسلام الفحول المقدّمين في الطبقة الأولى منهم . وقالوا : ما زالت الشعراء تغلب حتى قال أبو النجم :

الحمد لله الوهُوبِ المُجْزِلِ

فانتصفوا منهم . =

[من الرجز]

وَالشَّمْسُ قد عَمَّتْ ولمّا تَفْعَلِ فَهْيَ عَلى الأُفْقِ كعَيْنِ الأَحْوَلِ

فغضب هشام وأمر به فأخرج .

وروي أيضاً أن خالداً بعث إلى هشام بحادٍ فحدا بهذين البيتين فغضب هشام وطرده .

المدائني عن مسلمة : أن الفرزدق حجّ عام حجّ هشام فوصله إبراهيم بن إسماعيل المخزومي بخمسمئة درهم ، فقال : [من الطويل]

= وكان رؤبة هجا ربيعة فجاؤوا إلى أبي النجم وقد اجتمع الناس بالمربد ، فقال أبلغوني جملاً طحّاناً قد أكثر عليه من الهناء ـ القطران ـ فجيء بالجمل إليه فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجليه فيها واتزر بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده ، فانطلق حتى المربد ، فلما دنا من العجاج ، قال اخلع خطامه فخلعه وأنشد :

تذكَّرَ القلبُ وجهلاً ما ذكر

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشمّمها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران حتى إذا بلغ إلى قوله :

شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

تعلق الناس من هذا البيت وهرب العجاج عنه .

وعندما أنشد هشام : الحمدُ لله الوهوب المجزل

حتى بلغ إلى ذكر الشمس . فقال : وهي على الأفق كعين وأراد أن يقول : الأحول ثم ذكر حولة هشام فلم يتم البيت وارتجّ عليه ، فقال هشام : أجز البيت ، فقال : كعين الأحول فأمر هشام فوجيء عنقه وأخرج من الرصافة . ولم يرض عنه إلا بعد أن حدثه هشام وقال يا أبا النجم حدثني ، قال : عني أو عن غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كبرت عرض لي البول ، فوضعت عند رجلي شيئاً أبول فيه . فقمت من الليل أبول ، فخرج مني صوت فتشدّدت ، ثم عدت فخرج مني صوت آخر ، فأويت إلى فراشي ، فقلت : يا أمّ الخِيار هل سمعت شيئاً ؟ قالت : لا والله ولا واحدة منهما ، فضحك هشام .

أَمِيـرُكُـمُ شـرُّ الـوُلاةِ عَلِمتُـهُ وَشَـرُّ ولاةِ المـؤمنيـنَ هِشَـامُ

فأراد إبراهيم أن يضربه ، فقيل تضربه ثم تخلّي عنه فيهجونا .

موت معاوية بن هشام :

١٢٩ ـ المدائني عن أبي عاصم عن رجل من ضبّة ، قال : مرّ بي معاوية بن هشام وأنا في مزرعة لي وقد اختبزت خبزةً فوقف عليّ ، فقلت : الغداء فنزل وأخرجتها ووضعتها في لبنٍ فأكل ثم جاء الناس فركب وثار بين يديه ثعلب فركب في إثره وعثر فرسه فسقط فاحتملوه ميتاً ، فقال هشام : أرشّحه للخلافة ويتبع كلباً ، وكانت عند معاوية امرأتان إحداهما ابنة إسماعيل بن جرير ، فأخرج كل واحدة منهما من نصف الثمن بأربعين ألف درهم ، ورثى الكميت معاوية بقصيدة قال فيها : [من الطويل]

سَـأَبكيـكَ للـدُّنيـا وَللـدّيـنِ إنّنـي رأيتُ يَدَ المعروفِ بعدَكَ شُلَّتِ

المدائني قال : قال هشام لغيلان[1] أبي مروان : ويحك يا غيلان قد أكثر الناس فيك فنازعنا في أمرك ، فإن كان حقّاً اتبعناك وإن كان باطلاً نزعت عنه ، وكان غيلان كاتباً من كتابهم وهو مولاهم فترك خدمتهم وبسط لسانه فيهم بسوء القول ، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلّمه ، فقال له : يا ميمون سَلْ فأقوى ما تكونون إذا سألتم ، فقال ميمون : أشاء الله أن يُعصى ، قال : لا ، قال : فعُصِي كارهاً ، قال : هو كاره للعصيان الذي نهى عنه وليس هو بالمحمول على أمر يكرهه ، ويقال : إنه لم يجب

---

(١) غيلان بن مسلم الدمشقي القدري ، أبو مروان ، وفاته بعد ١٠٥هـ بعد ٧٢٣م كان من البلغاء تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدر وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه ، لم يسبقه سوى معبد الجهني .

بشيء وقال : أقلني ، فقال هشام : لا أقالني الله إن أقلتك ، وأمر بقطع يديه ورجليه وسلّ لسانه وألقي على مزبلة يراه الناس ، وكان من أصحاب الربيع خطبان والوضين بن عطا وهما من أهل اليمن ، فأما الربيع فرآه المنصور أمير المؤمنين بالبصرة عند عمرو بن عبيد قبل الخلافة فذكر محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، فقال الربيع : ما ندري ما محمد لم نره وأنما أنت فرجل منّا نقول بما تقول من الحق والتنزيه لله قد عرفنا مذهبك وما أحد أحقّ بالخلافة منك ، فشكر له أبو جعفر ذاك ، فولاّه دار الضرب بدمشق ، وكان عمر بن عبد العزيز ولاّه بيع خزائن بني مروان فباع متاع عبد الملك والوليد ، فنودي على جورب فبلغ مئة دينار ، فقال غيلان : ما لهؤلاء لعنهم الله جورب بمئة دينار فحقد ذلك عليه هشام .

وقال جعفر بن سليمان بن علي : قال لي عبد الحميد بن علي : جمعت بين دواوين بني مروان فلم أرَ ديواناً أصحّ ولا أصلح من ديوان هشام في أمر الخاصّة والعامّة والسلطان .

المدائني عن غسان بن عبد الحميد ، قال : لم يكن أحدٌ من بني مروان أشدّ نظراً في أمر أصحابه ودواوينه ولا أشدّ مبالغة في الفحص عن أموره من هشام .

قال : ودخل نسطاس على هشام وعلى نسطاس جبّة يسحبها ، فقال له : من أين هذه الجبّة لك ؟ قال : بعث بها إليّ فلانٌ ، قال : ولِمَ بعث بها إليك ؟ فما زال يبحثه ويفتّشه عنها حتى علم أنها مصانعة فحجبه أياماً ثم كُلّم فيه فأذن له .

وقال الهيثم : خرج الفرزدق مع هشام حين حجّ في سنة ست ومئة ، فأمر له هشام بخمسمئة درهم فقال : [من الطويل]

تَحبَّسَني بين المدينَةِ والّتي ... إليها قلوبُ الناسِ يَهوى مُنيبُها

فقبّلتُ كفّاً لم تكن كفَّ سيّدٍ وَعَيْناً له خَوْصَاءَ جمّاً عيوبُها

قالوا : وكان مع هشام حجر جوهرٍ فقال : من شاء فليسبّني ويأخذه ، فقال له الأبرش الكلبي : هاته يا أحول ، فقال : خذه لا باركَ الله لك فيه .

وقال هشام : أنعم الناس عيشاً رجل له امرأة صالحة قد غضّت [٦٨/٥٦١] بصره عمن سواها وسَدادٌ من عيش يقيمه فهو مقبل على أمر معاده ولا يعرفنا ولا نعرفه .

وقال هشام بن عمّار : كان هشام بناحية من الشام فوقع الطاعون هناك ، فقيل يا أمير المؤمنين إنه لم يمتْ ها هنا خليفة قطّ ، قال : أفيّ تجربون ؟ ! .

محاورات بين هشام وبعض الناس :

١٣٠ ـ حدثنا محمد بن الأعرابي عن المفضّل الضبّي ، قال : دخل قرواش بن حبيب على هشام في غمار الناس ، فقال : إنا أنضاء سفرٍ وفلّ سنةٍ[(١)] ، وعندكم أموال فإن تكن لله فبثّوها في عباد الله وإن تكن لهم فعلام تمنعونهم إيّاها ، وإن تكن بينكم وبينهم فقد أسأتم الأثرة وتركتم النصفة ، فقال هشام : نحن أقفال عند الله مفاتيحها فإذا أذن في شيء فتحنا له .

المدائني عن عبدالله بن محمد القرشي ، قال : أتى إبراهيمُ بن محمد بن طلحة بن عبيد الله هشامَ بن عبد الملك حين حجّ فمرّ بالمدينة ، فقال له : أعْدِني يا أمير المؤمنين على نافع بن علقمة فإنه أخذ داري ، قال : أفلا رفعت ذلك إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : قد فعلت

---

(١) فلّ سنة : ما بقي من القحط .

فسلك غير طريق الحقّ ، قال : أفلا رفعت إلى الوليد ؟ قال : قد فعلت ، فسلك بي طريق أبيه ، قال : فعمر بن عبد العزيز ، قال : عوجل رحمه الله ، فغضب هشام ، وقال : لا يزال أحدكم يتكلّم بما يستحقّ به أن يدقّ أنفه ويسحب برجله ، فقال : إذاً يسبق خيْرَكَ شرُّك ويقطع رحمك وتكون يدُ الله فوق يدك ، أما والله إن القضاء ليتعقّب ، فقال هشامٌ : لو كان فيك مضربٌ لضربتك ، قال : فيّ والله مضربٌ ، فقال هشامٌ : اكتمها عليَّ .

وحدثني أبو عدنان عن الأصمعي ، قال : دخل أعرابي على هشام ، فقال : يا أمير المؤمنين إن يكن المال الذي في أيديكم لله فبثوه في عباد الله ، وإن كان بينكم وبينهم فلقد أسأتم الأثرة عليهم وأثمتم في حرمانكم إياهم ، وإن كان لكم دونهم فتصدّقوا فإن الله يجزي المتصدّقين ، فقال : والله ما ترك واحدةً من ثلاث ، فأعطاه فخرج وهو يقول : ما أكَزَّ يده بالمعروف .

حدثني أبو عدنان عن هشام بن محمد والهيثم بن عدي عن عوانة ، قال : أتى خالد بن صفوان باب هشام فطلب له مسلمة بن عبد الملك الإذن ، فقيل قد ركب أمير المؤمنين متنزّهاً ، قال خالد وكان العام عاماً قد بكّر وسميّه[1] وتتابع وليّه ، فكان على الأرض زرابي مبثوثة من نَورها ووشيها ، فأشار إليّ مسلمة أن تكلم ونظرت إلى الثمار والشجر فوالله ما دريت ما أقول ، فقلت قاتل الله عدي بن زيد حيث يقول :

[من الخفيف]

أين كِسرى كسرى الملوك أنوشر ... وانُ أم أيــنَ قبلَــهُ ســابــورُ
وبَنُــو الأصفــرِ الكــرامِ ملــوكُ ... الــروم لــم يبــق منهــمُ مــذكــورُ

---

(١) الوسميُّ : مطر أول الربيع ـ اللسان ـ.

وأخـــو الخَضْـــر إذ بنـــاه وإذ دجلـــةُ تجبـى إليــهِ والخـابــورُ
لــم يَهَبْــهُ رَيْــبُ المَنــونِ فبــادَ المُلْــكُ عنــهُ كــأنَّــه مهجــورُ

فقال هشام ، قبّح الله رأيك يا مسلمة ، فليس هذا بأول يوم غممتني فيه وقام مغضباً وتفرقوا ، قال خالد : فأتاني بعض الشاميين ، فقال : أين هذا العراقي الذي أغضب أمير المؤمنين ؟ قلت : قد خرج فخرجوا يسعون ، فأخذت في ناحية أخرى .

وكان هشام لا يكاد يذكر في مجلسه الموت تطيّراً منه .

وحدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي وهشام بن الكلبي عن عوانة ، قال : وفد على هشام بن عبدالملك وفدٌ كلهم من قريش وكلهم خطيب فتكلموا ، ثم قال إسماعيل بن محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ، أو غيره من ولد أبي الجهم : يا أمير المؤمنين هذه خطباء قريش قد نطقت فأطنبت وتكلّمت فأسهبت ، فوالله ما بلغ متكلمهم قدرك ولا جاوز أبلغهم فضلك ، أفأوجز أم أطيل ؟ قال : بل أوجز ، قال : تولاّك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى وزيّنك بالتقوى ويسّرك لليسرى وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لي يا أمير المؤمنين حوائج أفأذكرها ، قال : نعم ، قال : كبرت سني وكثر عيالي فإن رأى أمير المؤمنين أن يصلني بصلة يجبر بها كسري وينفي بها فقري ، فعل ، قال : وما صلتك التي تفعل بك هذا الذي ذكرت ؟ قال : ألف دينار وألف دينار [وألف دينار] ، قال : هيهات رمت مراماً صعباً هذا والله ما لا يحتمله بيت مال المسلمين ، ثم نكس هشام وإسماعيل ماثل بين يديه ، فرفع رأسه ثم قال : هيه ، قال : وما هيه يا أمير المؤمنين ، كأنك آليت ألا تقضي لي حاجة في مقدمي هذا ، أما والله إن الأمر لواحد إلا أنّ الله آثرك بهذا المجلس ، فإن تعطني فحقي أعطيت ، وإن تمنعني فإني أسأل الله الذي بيده ما حويت ، فإن الله

جعل العطيّة محبّة والمنع مبغضة ، ووالله لأن أحبّك أحبّ إلي من أن أبغضك ، قال : وألف دينار لماذا ؟ قال : أقضي بها ديناً فدحني حمله وأَضرّ بي أهله ، قال : نعم المسلك سلكتها نؤدّي حقاً ونضع عنك ثقلاً ، أو قال : نؤدّي عنك أمانتك ونحطّ حملاً ثقيلاً عن ظهرك ، وألف لماذا ؟ قال : أزوّج بها من أدرك من ولدي ، قال : تغضّ بصراً وتعفّ فَرْجاً وترجو نسلاً نعم المسلك سلكتها ، وألف لماذا ؟ قال : أشتري بها أرضاً يكون فضلها لنفقتي في حياتي ويبقي عقدة لعقبي ، قال : فإنا أمرنا لك بما سألت ، قال : المحمود على ذلك الله .

فلما ولّى قال هشام : إذا كان القرشي فليكن مثل هذا . ثم قال هشام : أما والله ما نعطي تبذيراً ولا نمنع تقتيراً ، وإنما نحن خزّان الله في بلده وأمناؤه على عباده فإذا شاء أعطينا وإذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحقّ ما جبّهنا قائلاً ولا رددنا سائلاً .

حدّثني عبدالله بن صالح عن الهيثم ، أخبرني الضحاك بن زمل ، قال : بلغ هشام قول الحسن البصري : لا يعول أحدٌ عن قصد ولا يبقى كثير على إسراف ، فقال هشام : صدق لله أبوه .

حدثني محمد بن أنس الأسدي عن ابن كناسة الأسدي ، قال : قدم رصافة هشام رجل من بني أسد ثم من بني فقعس[1] على هشام فدخل عليه حين جلس للعامّة ، فقال : يا أمير المؤمنين أتت علينا سنون ثلاث أجحفت بالأموال ونحيت قلوب الرجال ، فأما الأولى منهنّ فأذابت

---

(١) فقعس بطن من قبيلة أسد خزيمة وهو فقعس بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن عمرو (مدركة) بن إلياس بن مضر بن نزار .

الشحم وأما الثانية فنحضت[١] اللحم وأما الثالثة فهاضت[٢] العظم ، وفي أيديكم فضول أموال فإن تكن لله فبثوها في عباد الله ، وإن تكن لهم فعلام تحظرونها عنهم وتمنعونها ذوي خلّتهم ، وإن تكن لكم فتصدّقوا فإن الله يجزي المتصدّقين ، قال هشام : هذه حاجتك في خاصّتك فما حاجتك في عامّتك ؟ قال : ما لي حاجة في خاصّة دون عامّة .

فكتب هشام إلى خالد بن عبدالله أن أنفق على من أقحمته السّنة حتى يأتي الله بالحياة والخصب ، وكتب بمثل ذلك إلى إبراهيم بن هشام عامله بالمدينة ، فأنفقا فاحتسب خالد بألفي ألف درهم واحتسب إبراهيم بسبعين ألف دينار فسميّت السنة سنة خالد .

ويروى عن الأصمعي : أن أعرابياً قال لبعضهم هشام أوغيره : إن كان هذا المال لكم فقد بخلتم به ، وإن كان بينكم وبين رعيّتكم فقد أسأتم الأثرة ومنعتم الحقّ ، وإن كان لكم ، فلكم أن تعطوا ولكم أن تمنعوا فأنتم كما قال الله : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[٣] .

المدائني عن أبي محمد القرشي ، قال : كان يفطر عند هشام قوم في شهر رمضان ، فسأله رجل منهم حاجة ، فقال هشام : ألم أنهكم عن أن يكلّمني أحدٌ في حاجة في هذا الشهر ؟ فقال له رجل يكنى أبا نوح من بني تميم ممّن كان يفطر معه : والله لقد أمر لي أمير المؤمنين بخصيّ فما منعني من تنجّز ذلك إلا هذا الشهر ، فقال هشام : ما أعلمني أمرت لك بشيء ، قال : بلى يا أمير المؤمنين قد أمرت لي به ولكنك نسيت ،

---

(١) نحضت اللحم : أذهبت اللحم .

(٢) الهض : كسر دون الهَدّ وفوق الرضّ ـ اللسان ـ .

(٣) سورة ص رقم : ٣٨ الآية رقم : ٣٩ .

قال : فمن يعلم ذلك ؟ قال : إبراهيم بن هشام خالك ، قال : أكذلك يا إبراهيم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين وما كنت أرى بسبب لك يبلغ هذا ، فأمر له هشام بالخصيّ ، فلما خرج إبراهيم ، قال : جزاك الله خيراً ، قال : لكن أجزاك الله خيراً ، ويحك ألا أعلمتني أنك تريد هذا قبل أن تقوله ، ثم قال : إياك أن تعود لمثلها .

المدائني ، قال : استأذن المهاجر بن عبدالله هشاماً في الحجّ فأذن له ، وحجّ هشام فشكاه الناس فراح إلى رواق هشام ، فقال هشام لجارية له : انظري من في الرواق ؟ فخرجت ثم رجعت ، فقالت : فيه أجمل الناس وآدب الناس ، قال : انطلقي إلى هذا الذي زعمت أنه أجمل الناس فادعيه ، فخرجت إلى المهاجر فقالت : أجبْ أمير المؤمنين ، قال : انطلقي فإن للأمير حاجباً غيرك ، فأرسل إليه خصيّاً فدعاه ، فقال : دونك هذه الجارية فاطلب ولدها فإنها نعمت أمّ الولد .

[٥٦٢/٦٨] قالوا : وكان المهاجر بن عبدالله يمرّ في مسجد دمشق فيعدلُ عن القناديل لئلا يكسرها بطوله وقد مدحه جرير ، فقال :

[من الكامل]

إنَّ المهاجِرَ حينَ يَبسُطُ كفَّهُ ... سَبْطُ البَنَانِ طويلُ عَظْمِ السَاعِدِ
ولقد حكمتَ وكانَ حكمُكَ مُقنِعاً ... وجُعلتَ بينَ منابرٍ وَمَساجِدِ

وقالوا : قدم عمرو بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص على هشام ، فجفاه فقال :

لعمرُكَ لَلَّربيعُ أقلُّ دَيناً ... وَأَكثَرُ صامِتاً منّي مِرارا
وأكثَرُ زائراً مِنّي كثيراً ... وأجدَرُ بالرُّصافَةِ أَنْ يُزارا

قالوا : وكان هشام يقف على القصاب فيسأله عن سعر اللحم ، ورأى

رجلاً من خصاته يبتاع لحماً فغمزه فأتاه ، فقال : بكم تشتري ؟ قال : بدرهم ، قال : أحسنت وأكثر من هذا سرف .

وقال هشام : لا يلام المرء على إصلاح ماله والقصد فيه .

قال المدائني : دخل هشام بستاناً له فأقبل من معه يأكلون من ثمرته ويقولون : اللهم بارك لأمير المؤمنين ، فقال : كيف يبارك في شيء تأكلون منه هذا الأكل ، فقلع شجر ذلك البستان وجعل مكانه زيتوناً .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : قال هشام : ما ندمت على شيء ندامتي على ما أَهَبُ ، إن الخلافة تحتاج إلى الأموال كما يحتاج المريض إلى الدواء .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة ، حدثني أبي : أن رجلاً من قريش دخل على هشام ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال : حاجة جليلة وفضل أمير المؤمنين أجلّ منها ، قال : وما هي ؟ قال : تصلني بألف دينار وألف دينار وألف دينارٍ ، قال : ألفٌ لماذا ؟ قال : أصرفها في قضاء ديني ، قال : حسن جميل تقضي حقّاً وتحطُّ ثُقلاً وتؤدّي أمانةً ، وألفٌ لماذا ؟ قال : أزوّج بها ولدي ، قال : حسن جميل تعِفُّ فَرْجاً وتصل سبباً وترجو عَقِباً ، وألف لماذا ؟ قال : أستعين بها على نوائب الزمان وجفوة الإخوان ، قال : حسن جميل تستر بها نفسك وتصون وجهك وتصلح معاشك ، ثم سكت فخرج من عنده ثم عاد في اليوم الثاني ، فقال له : قد أمرنا لك بثلاثة آلاف دينار ، وإنما نحن خزّان الله فإذا أذن لنا في عطاء شيء أمضيناه ، وإذا لم يأذن فيه منعناه .

قالوا : وكتب هشام بخطه : من عبدالله هشام أمير المؤمنين إلى رياح مولى مسلمة بن أمير المؤمنين : أما بعد فقد قرىء على أمير المؤمنين كتابك بما ذكرت من تكلّفك ما تتكلّف من المؤنة في القراطيس ، وسيرى

أمير المؤمنين في أمر القراطيس لك ولغيرك رأيه إن شاء الله .

وكتب هشامٌ إلى يوسف بن عروة : أما بعد فقد ولّيتُ عبدالله بن نافع ما كان سعيد يليه من عمل بعلبّك وأمرته بقبض العهد الذي كان كتب لسعيد والأخذ بما فيه ، فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وأحسن جوار عبدالله وأعنه على ما استعانك عليه فيما وافق الحقّ وما هو له ولما تحت يده صلاح ولا تجعل له إلى شكيّتك سبيلاً ، إن شاء الله .

قالوا : بعث خالد بن عبدالله القسري إلى هشام بمالٍ ، وأرسل قوماً يشهدون أنه طيّب أخِذ من حلّه ، فصانع رجل بألفي درهم حتى جُعل مع الشهود ويصيّر آخرهم ، فقدموا على هشام ، فقال ابن المزكون : فدعا رجلاً رجلاً فحلفوا بالله أنه ما أخذ شيئاً من ذلك المال إلا من حلال ، ولا حمل إليه خالد إلا الفضل بعد إعطاء كل ذي حقٍّ حقّه حتى قام ذلك الرجل المصانع بالألفين ، فحلف بالله لقد شهدوا بزور وفجور ، فقال هشام : أراك مستأجراً ، فقال : والله لقدصانعت بألفي درهم حتى أُلحقتُ بالشهود ، قال : أفأنت خارجيّ ؟ قال : لا والله ما أنا بخارجيّ ، ولكنّي نظرت لك فاتق الله ، فقال هشام لمن حضره ما ترون ؟ فقالوا : نرى أن يقتل فإن له مذهب سوءٍ وإلا فلم صانع ليخبّث بنفس أمير المؤمنين ويجرّح شهادات مثل هؤلاء فقتله وصلبه ، ويقال بعث به إلى خالد فقتله وصلبه بواسط .

وقال بعضهم : كان خالد بن عبدالله أُبلغ عن الكميت بن زيد[١] تنقصاً

---

(١) الكميت بن زيد الشاعر المشهور الشيعي صاحب القصائد الهاشميّات ، وهو الكميت بن زيد بن الأخنس بن زيد بن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن عمرو (مدركة) بن إلياس بن مضر بن نزار .

له وكان متهماً بالرفض عندهم وأنشد قصيدته الهاشمية التي يقول فيها :

[من الطويل]

إلى النَّفَرِ الغُرِّ الّذين بحُبّهم إلى الله فيما نابني أتَقَرَّبُ
وقالوا ترابي هَواهُ ورأيُهُ بذلك أُدعى فيهمُ وأُلقَّبُ

فحبسه خالد فلبس ثياب النساء وخرج فعاذ بمسلمة بن هشام ، وقال :

[من الطويل]

خرجتُ خروجَ القِدْحِ قدْح ابنِ مُقْبلٍ
على الرّغمِ من تلك النَّوائحِ والمشلي[1]
عليَّ ثيابُ الغانياتِ وتَحتَها عزيمَةُ رأيٍ أشْبَهتْ سلَّةَ النَّصْلِ
فأَصْبَحتُ مَغْبوطاً ومحسودَ أُمَّةٍ بأبيَضَ محسودٍ على مثْلِهِ مِثْلي
من النَّفَرِ البيضِ الّذين أكفُّهمْ سِمامُ العدا والشّافياتِ من النّبلِ

هروب الكميت بن زيد من السجن : :

١٣١ ـ وأخبرني عباس بن هشام عن أبيه عن جدّه ، قال : بلغ هشام بن عبد الملك عن الكميت أمرٌ عابه به وأنشد قصيدته البائيّة . فكتب إلى خالد بحبسه فحبسه فكان أبان بن الوليد يعده ويمنيّه ويضمن له عن خالد ما يحبّ ، وخالد يومئذٍ بواسط ، وكان المستهلّ بن الكميت يعمل في أمره من قبل عبدالرحمن بن عنبسة ، فجاء كتاب هشام بقطع يدي الكميت ورجليه ولسانه ، فأُخبر خالدُ ابن عنبسة بذلك فأخبر ابنُ عنبسة المستّهلّ بذلك ، ليعلمه إياه فيوصي ويعهد فأخبر المستهَلّ أمَّه فلبست درعين وخمارين ونطاقين ، ثم أتت الكميت فأخبرته فلبس أحد درعيها وأحد خماريها وأحد نطاقيها ثم خرج على البوابين فلم ينكروه ومضى من فوره

(١) المشل : الحليب القليل ـ اللسان ـ .

إلى مسلمة بن هشام فأجاره مسلمة وأخواه ، وقال في أبان بن الوليد :

أخلـق وابـل أبـا الـوليـد فقـد لبسـت ببـاب غـادر

وكتب خالد إلى هشام بخبره ، فكتب إليه هشام : أما امرأته فخاطرت بنفسها لزوجها فلا سبيل عليها فأطلقها ، وأما أنت فقد ضيّعت . وقال الكميتُ :

خرجتُ خروج القِدح قِدْحِ ابنِ مُقْبِلٍ

الأبيات .

وقال الكميت يحذّر هشاماً غدر خالد ويذكر ما تدعي اليمانيّة مصير الأمر إليهم ، وأن ابن الأشعث كان ادعى ذلك لنفسه ، ثم يزيد بن المهلب بعده ، وأن خالداً أطمع نفسه في ذلك ، قصيدة وقال في ذلك :

أَنُـوّامـاً يقـولُ بَنـي لُـؤَيٍّ عـن الأَمـرِ المرشّحِ ذي البزولِ
أَرى أمـراً سَيعظّـمُ أَصْغـراهُ لتـمٍّ لقـاح مسبقَـةٍ حَفُـولِ
وقُـوعٍ للفِصـالِ بمنكبَيْهـا خَبُـوطٍ عنـدَ دُرَّتِهـا ركـولِ
كمـا لَقِيَـتْ ثمـودُ ولا يكـونُ لكـم مَثَـلاً بـراغِيـةِ الفَصيـلِ

فيقال إن مسلمة بن هشام دخل على هشام فلم يفارقه حتى عزل خالداً أو أمسك عن الكميت ، لأنّه كذب ما قبل فيه ، وقال الكميت في مسلمة أبي شاكر بن هشام : [من الكامل]

إنّ الخـلافَـةَ كـائِـنٌ أوتـادُهـا بعـدَ الـوليـدِ إلـى ابـنِ أُمٍّ حكيـمِ

فقال خالدٌ : أنا أكفر بخليفة يكنى أبا شاكر ، فكان مسلمة قد حقد ذلك عليه ، وقال الكميت في هشام قصيدة يقول فيها : [من الطويل]

وكُنّـا مَتـى مـا نَـدْعُ مـروانَ للّتـي يخافُ نَذُدْ عن حوضها أَنْ يُفَجَّرا
وَأَنتُـم أُنـاسٌ يجمـعُ الله دينَـهُ بكـم ويقيـم الله مَـنْ كـانَ أَصْـوَرا

وَجَدْنا أَبا العاصِي أبا أبويكمُ ومجدَكُمُ المُسْتَقْدِمَ المُتأَخِّرا
كَسَاهُ من المجدِ الهِشَامانِ حُلَّةً مُغيرِيَّةً منها ارتدى وَتَأَزَّرا

وقال الكميت : [من مجزوء الرجز]

أَبَني أميَّة إنكم أهلُ الوسائِلِ والأَياصِرْ
أنتُمْ معادِنُ للخلا فَةِ كابراً عَنْ كابِرْ
وَإلى القيامَةِ لا يَزا لِ لشافِعٍ منكمْ وَواتِرْ
الأطيبونَ الأكثرو نَ من الأطايِبِ والأَكابِرْ
الآنَ صِرتُ إلى أميَّةَ والأمورُ إلى المَصائِرْ
يا مَسْلَمَ ابنُ أبي الوليد لميّتٍ إنْ شِئْتِ ناشِرْ
عَلِقَتْ حبالي من حبا لكَ ذمَّةَ الجارِ المجاوِرْ
والناسُ قد علموا رجا ئي فيكَ من بادٍ وحاضِرْ
أنتَ المقاتِلُ في أميَّةَ في قوادِمِها الفَواقِرْ
الضّامنينَ الدَّهْرَ لِلْـ حَدثانِ والجارِ المجاوِرْ

حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني الراوية : لم يزل مسلمة بهشام حتى أمّن الكميت وأنشده شعره فيه وكان يحبّ أن يشرّف ابنه مسلمة ويرفع ذكره مظهراً الرضى عنه وتشفيع ابنه فيه ، وقال الكميت لعبد الملك بن هشام : [من المنسرح]

من عبدِ شمسٍ لكَ السَّنامُ ومنْ عبدِ منافٍ لِبَيْتِكَ الطُّنُبُ
وأنتَ في البيتِ ذي الدَّعائِمِ من مخزومَ في بيتٍ علابِهِ النَّسَبُ
فما لِحَيٍّ مجدٌ ومكرُمَةٌ إلا لكمْ فوق مجدِهِ رُتَبُ

[٥٦٣/٦٨] وقال في مسلمة بن هشام : [من الطويل]

أَمَسْلَمَ إنَّ الحَلمَ والحَزْمَ والنَّدى ببابِك ما يزدادُ إلا تَجدُّدا

وأنتُمْ نجومُ الناس والمهتدَى بِهِمْ وأكرمُ أهلِ الأرضِ كهلاً وأَمْرَدا

وقال يرثي معاوية بن هشام تقرّباً بذلك إلى هشام وولده وقد كان ممّن دافع عنه . [من الطويل]

أتانا بموتِ ابنِ الخليفَةِ حادِثٌ به نَهُلتْ منا القلوبُ وعُلّتِ
فَإِن تَكُ أرضٌ يا معاديَ غيَّبَتْ جَدَاكَ وأرضٌ منكَ أُخرى تَجلَّتِ
فنعم فَتى الهَيْجا وَنِعمَ شِهابُها إذا البيضُ تحتَ المشرَفياتِ صَلَّتِ
رَبيعٌ إذا ضنَّ الشتاءُ بِقطرَةٍ وليثٌ إذا ما المشرَفيَّةُ سُلَّتِ
سأبكيكَ للدّنيا وللدّين إنّني رأيتُ يَدَ المعروفِ بعدَكَ شُلَّتِ
وَغُلِّقَ أبوابُ النّدى وتنغّصَتْ إلى الناسِ أخرى عليسهم[1] وثقلّت

فسق سعيد بن هشام وفجوره في حمص :

١٣٢ ـ المدائني عن يزيد بن الحارث ، قال : كان سعيد بن هشام يركب متنزّهاً فإذا أبرز عن الناس نزع ثيابه حتى يبقى في قميص ، فيضعه على عاتقه ويعدو فيقول : أرسلت كلبي يبتغي ما يأكله ، فلا يلقى امرأة إلا غصبها نفسها ، وكان ماجناً وكان يخالف إلى امرأة عمرو بن قيس وكان على حمص ، فقال فيه الشاعر وهو من طيء ثم من بني بُحتُر[2] : [من البسيط]

بَلِّغ لَدَيْكَ أميرَ المؤمنينَ فقَدْ خصصتنا بأميرٍ غيرِ عِنّينِ
طوراً يخالِفُ عَمْراً في حليلتِهِ وَعِندَ تاجَةَ يَبغي البِرَّ في الدِّينِ

قال الكلبي : عمرو بن قيس بن حمران السكوني ، وهو أبوعيسى

---

(١) علّس داؤه : أي اشتدّ وبرّح ـ اللسان ـ.

(٢) بحتر : بطن عظيم من طيء منهم الشاعر المفلق البحتري وإلى هذا البطن ينسب وهو بُحْتَر بن عتود بن عُنين بن سلامان بن ثُعل بن عمرو بن الغوث بن طيء .

عمرو بن قيس وعيسى هو أبو الجمل[1] الحمصي ، وتاجة بنت عمرو الغنوي[2] امرأة عمرو بن السليل من الرباب[3] .

وقال يزيد بن الحارث : كنا نعرف شبهه في قوم بحمص نرى أنهم ولده .

قال : فخرج مرّةً متنزّهاً ولم أخرج معه وخرج معه صفوان بن عمرو الكلاعي ، فلما رجع خرجتُ أتلقاه ، فقال : ما منعك من الخروج معنا ؟ فاعتذرت إليه فسايرته ثم نزلنا ، فقال : أترى هذا الخلق ما فيهم أشبق مني ، قلت : إن مثلك لا يقول مثل هذا ، قال : اسكت أنا أعلم بنفسي منك .

ورُفع عليه عند هشام أنه يزني فعزله ، وقال : لا تلي لي عملاً أبداً لعنك الله أيزني القرشي ؟ إن مثلك لا يزني ، أتدري ما فسق القرشي وفجوره إنما هو أن يأخذ مال هذا فيعطيه هذا ويقتل هذا ويظلم هذا .

وقال : وخرج سعيد يوماً بحمص في غبّ مطر يسير وقد التحف بطيلسانه وهو على فرسه وقد كادت صنعة طيلسانه تصيب الأرض ، فمرّ برجل وهو لا يعرفه ، فقال : يا عبدالله قد أفسدت ثوبك وما يضرّك لو

---

(١) عيسى(أبو الجمل) بن عمرو بن قيس بن عمرو بن ثور بن حُبران بن عمرو بن مازن بن خيثمة بن المِخْصَف بن مالك (حاجّ) بن الحارث بن بكر (بن بكرة) بن ثعلبة بن عقبة بن السكون بن أشرس بن كندة (ثور) وأبو الجمل ولي البصرة لأبي جعفر المنصور مرتين .

(٢) الغنوي : نسبة إلى بطن كبير من قيس وهو عمرو (غنى) بن مُنبِّه (أعصر) بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) بن مضر بن نزار .

(٣) الرباب : هم تيم بن عبد مناة بن أد وعدي بن عبد مناة وثور بن عبد مناة (ثور أطحل) وعوف بن عبد مناة وأشيب بن عبد مناة وضبّة بن أد واختصت بالرباب تيم بن عبد مناة .

رفعته ، فقال : وددت أنك وثوبك في النار ، فقال : وما ينفعك ؟ .

وقال أبو محمد السفياني : حُبس سعيد بن هشام معنا فكان في بيتٍ على حدةٍ ، فكنت أسمع صوت أوتار عود ، فخرجت يوماً إلى البيت الذي هو فيه فإذا هو قد أخذ جفنةً فثقبها وعلّق عليها أوتاراً ، فقلت : ويحك أعلى هذا الحال ! قال : لا أبالك لولا هذه لمتُّ غمّاً .

المدائني عن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : سمعت شيخاً يقول : خطب هشام حين ولّي ، فقال : الحمدلله الذي أنقذني من النار بهذا المُقام ، فأخبرت محمد بن عمرو بن حزم ، فقال : لكن عمر بن عبد العزيز كان إذا خطب بكى ثم قال : ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يُجْزَ بِهِ .

حدّثني العُمري ، قال : ولّى هشامٌ ابنه سعيداً حمص فكان يرسل إلى تاجة بنت عمرو الغنوي وهي امرأة عمرو بن السليل من بني تيم الرباب ، فشُهد بذلك عند أبيه فحدّه أبوه ، وقال : يا بن الخبيثة أتزني وأنت ابن أمير المؤمنين لا جَرَم لاولّيتك عملاً أبداً ، إنما فجور قريش منع هذا ما يستحقّ وإعطاء ذاك ما لا يستحق ، فيقال إن سعيداً مات من ذلك الضرب ، والثبت أنه بقي بعد موت أبيه .

هشام ومحمد بن علي بن عبدالله بن العباس :

١٣٣ ـ قالوا : وقدم محمد بن علي بن عبدالله بن العباس على هشام فكره ذلك وأمر بفسطاطه فقوّض ، وقال : قولوا له : الحق بمنزلك وانتظر دولتكم التي تتوقعونها ، فقال له الأبرش الكلبي : يا أمير المؤمنين إن كان الذي يقال حقّاً فقد ينبغي أن تصانعهم وإن كان باطلاً فعلام تقطع رَحِمَ هذا وقد قصد إليك ؟ .

حدثني حفص بن عمرو عن الهيثم ، قال : كتب هشام إلى ابنه محمد بن هشام وأراد أن يبعثه على الصائفة كتاباً نسخته : إني رأيتُ أن أعهد إليك في أشياء من أمر خاصّتك أحبّ أن أحملك فيها على أدبي فيكون حجّةً عليك وتأديةً لحقّ الله عليّ لك ، وأنا أرجو أن يتولّى الله حفظك بالتّنزيه عن كل قبيح والعصمة من كل مكروه والتّحصين من كل آفة أخشاها عليك في دينك وبدنك ورأيك وعرضك وأن يبليني في جميع ذلك أجمل ما عوّدني فيك فحميدٌ هو على ما يولّي مشكور على ما يُبلي وليس امرؤٌ وإن طوهرت له العِظة ونُخِلت له النصيحة بمنتفع بشيء من ذلك حتى يكون له من ذلك توفيق الله داع ومن نفسه عليه معين يبصّره فضل ما يوعظ فيه وأنه لا يوفّق للخير ويُعين عليه إلا الله وحده لا شريك له ، وقد كان مما أحدث الله لي فيك من النعمة ما أسأل الله تمامه وحُسن المزيد فيه والعون على أداء شكره عليه ، فإنه قد أراني فيك من معالم الفضل وأمارات الخير ما قذف به في نفسي توجيهك لما وجّهتك له من الأمر ، الذي أرجو أن يجعله الله لك إلى قصوى غايات الفضل سبباً وسبيلاً فيما يُعرّفنا من بصرك بالأمور ، واستقلالك بالقيام لله بالنصيحة وحسن السياسة والرفق في مستقبل أمرك ومفتاح عملك ، فليكن أول ما تبدأ به إيثار تقوى الله ربّك بالاجتهاد في طاعته والحيطة لدينه وعباده ليجزيك بذلك جزاء كريم سلفك الماضين وصلحاء أهلك الباقين فإن به تمام كل نعمة وإليه مُنتهى كل رغبة .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : دخل أعرابي على هشام في غمار الناس، فقال هشام لحاجبه : أكل من شاء أن يدخل دخل، فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين إن دخولي عليك لا ينقص من قدرك وهو يزيد في قدري، فقال : لا بأس إذاً ، اذكر حاجتك فتظلّم من واليهم ، فكتب بإنصافه .

ويقال إنْ هشاماً والوليد بن عبد الملك كان يقف على البقّال قبل الخلافة فيقول : ناولني تلك الحزمة فيناوله حزمةً من البقل ، فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفلسين ، فيقول : زِدْ فيها[1] .

وفي هشام يقول الشاعر : [من الخفيف]

باتصالٍ دعون يا عبدَ شَمْسٍ بعدما نَابَهُنّ أو يا مُغيرا
قَمَريْ مكَّةَ المُضيءُ دُجاها يَجْلُوَانِ الدُّجُنَّةَ الدَّيجْورا

وقال الواقدي : خرج عشرون ألفاً من الروم في سنة ثلاث وعشرين ومئة فنزلوا على مَلَطِيّةَ[2] فأغلق أهلها أبوابها ، وخرج رسولهم مستغيثاً فلحق بهشام وهو بالرصافة ، فندب هشام الناس إلى مَلَطِيَّةَ وتقلّد سيفاً ثغرياً وركب يطوف على الناس بالرّقه ، وأتاه الخبر بأن الروم قد قفلوا فأخبر الرسول بذلك وبعث معه بشراً ليرابطوا بملطية .

حدثني أبو الوليد هشام بن عمار ، قال : سمعت من يحدّث أن هشاماً ، قال : لسان المرء خَدَم عقله وأول وافد يخبر ما عنده .

قال : وبلغني أن هشام بن عبد الملك ، قال : إن اللسان في حكايته صادق عن عقل صاحبه .

قال المدائني : كان عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كُرَيز يفد إلى هشام بن عبد الملك فيتكلّم عنده فيعجب مسلمة بن عبد الملك كلامه ، ويقول : والله إني لأرفع كُورَ العمامة عن أذني لأستفرغ كلام ابن عامر ، وكان مسلمة يقول : إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوحيها

---

(١) هكذا جاء في المخطوطين بالمفرد .

(٢) مَلَطْيَةُ : بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الياء والعامّة تقوله بتشديد وكسر الطاء مَلَطِيَّة بلد من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام وهي للمسلمين ـ معجم البلدان ـ .

فيلحن فكأنه يقضمني حبّ الرمان الحامض حتى يسكت فأردّه عنها ، ويكلمني الرجل في الحاجة ما يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها .

قالوا : وحضر الوليد بن يزيد مجلس هشام ثم خرج فوثب على فرسه ، وقال لأبي شاكر بن هشام : أيحسن أبوك أن يركب كذا ؟ فقال : لأبي مئة عبد يفعلون أكثر من هذا ، فقال هشام لله مسلمة ابني ما أظرفه لولا مجونه .

المدائني ، قال : حجّ هشام فأخذ الأبرش قوماً معهم برابط فقال : احبوسهم وبيعوا متاعهم هذا وصيّروا ثمنه في بيت المال فإذا صلحوا فردّوا الثمن عليهم .

[٥٦٤/٦٨] وقال بشر مولى هشام : أُتي هشامٌ برجلٍ عنده قيان وخمرٌ وبربط[1] ، فقال : اكسروا الطنبور على رأسه وضربه فجعل الشيخ يبكي ، قال بشر وأنا أعزّيه : عليك بالصبر ، فقال : أتراني أبكي لضرب أمير المؤمنين إياي ، إنما أبكي لاحتقاره العود حين سمّاه طنبوراً .

وقال هشام بن محمد الكلبي : دخل الوليد بن يزيد المقتول على هشام بن عبد الملك وعنده ولده ، فيهم مسلمة بن هشام المكنى أبا شاكر فقال الوليد لمسلمة وكان ظريفاً : ما اسمك كأنه لا يعرفه ، فقال : شارزنجي يعرّض بأنه يكثر شرب النبيذ إكثار الزنج ويطرب طربهم ، وقد كتبنا خبر شارزنجي مع أخبار عبد الملك بن مروان .

وقال المدائني : استأذن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان وأخوه عبد العزيز معه على هشام ، فأذن لمحمد قبل عبد العزيز ، فقال عبد العزيز : يرحم الله حُسيناً ، من غير أن يجري للحسين ذكر ، فأنكر

---

(١) البربط : العود .

هشام ذلك وقلب عينه وقال : ما ذاك ؟ قال : ذاك لأني ومحمد ابنا عبدالله وأمي أمويّة بنت خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسِيدٍ ، وأم محمد فاطمة بنت حسين ، وقد قُدّم عليّ وأنا أسنّ منه لأن فاطمة ولدته ، فقال هشامٌ لآذنه قدّمه بعد مرّته هذه .

هشام ومحاوراته لبعض الناس:

١٣٤ ـ وحضر محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان وعبدالله بن الحسن بن الحسن باب هشام فخرج الآذن ، وقال : محمد بن عبدالله فلم يقم ، فدنا الآذن فقال : ادخل فقال : عبدالله بن الحسن ها هنا . فرجع إلى هشام فأخبر بقوله ، فقال : محمد بن عبدالله فلم يقم ففعل ذلك مرّات ، فقال هشام : أئذن لعبدالله ، فخرج الآذن فقال : عبدالله بن الحسن ، فقام وقام محمد بن عبدالله معه .

المدائني : أن هشاماً قال لمسلمة بن عبد الملك : يا با سعيد هل دخلك ذُعرٌ لحربٍ شهدتها أو لعدو كادك ؟ قال : ما سلمتِ من ذعرٍ لا يذهلني عن حيلة ولم يغشني ذعر يسلبني رأيي ، فقال هشام : هذه البسالة .

قال المدائني : قال إبراهيم بن هشام لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين أقبل عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص يوماً وعندي إبراهيم بن عبدالله بن مُطيع ، وعلى عبد الرحمن بن عنبسة ثياب خضر الجبّة والمطرف والعمامة ، فقال إبراهيم : قدأقبل ابن عنبسة في زينة قارونْ فضحكت ، فقال عبد الرحمن : ما أضحكك أيها الأمير ؟ فقلت : قال إبراهيم حين أقبلت كذا وكذا ، فقال عبد الرحمن : لولا أني أخافه عليّ وعليك وعلى المسلمين إن هو غضب لأجبته ، قلت : وما تخاف من غضبه ؟ قال : بلغني أن الدجّال يخرج لغضبة يغضبها ، وإبراهيم

أعور وأنا أظنه الدّجال ، فقال إبراهيم : لولا أن له عندي يداً عظيمةً لأجبته ، قلت : وما يده ؟ قال : سعى عليه غلام له بمديةٍ فأصابه فأشواه ، فلما نظر إلى الدمّ جعل لا يدخل عليه مملوك إلا قال له : أنت حرٌّ ، ودخلت عليه عائداً له ، فقلتُ : كيف تجدك ؟ قال : أنت حرٌّ ، قلتُ : أنا إبراهيم بن عبدالله ، قال : أنت حرٌّ فأعتقني في ظنّه فهي يده .

قالوا : وهرب هشام من الطاعون فانتهى إلى دير فأدخله الراهب بستاناً على أربعة أجربة[1] وجعل يأتيه بأطايب الفاكهة والبالغ منها ، فقال هشام : أتبيعني بستانك ؟ فسكت فأعاد عليه القول وهو ساكت . فقال : مالك لا تتكلّم يا راهب ؟ قال : وددت أن الناس ماتوا غيرك ، قال : ولِمَ ؟ قال : حتى تشبع إذا بقي كل شيء في الدنيا لك ، فضحك وقال : أما تسمع يا أبرش ، قال : ما لقيك حُرٌّ غيره .

المدائني ، قال : دخل جُديع الكرماني[2] على هشام ، فقال له : من أنت ؟ قال : جُدَيعٌ ، قال : الكرماني ؟ فكأنه كرهها ، فقال هشام : لا تفعل وإذا شُهرت بلقب تكرهه فإنه نسبٌ .

قالوا : ووقف هشامٌ يوماً بحائط له فيه زيتون ومعه عثمان بن حيّان فسمع هشامٌ نفض الزيتون ، فقال لعثمان : انطلق إليهم فقل لهم القطوه

---

(١) أجربة : جمع جريب والجريب مكيال قدره أربعة أقفزة والجريب قدر ما يزرع فيه من الأرض ـ اللسان ـ .

(٢) جُديع الكرماني رأس الأزد أيام العصبية في أيام نصر بن سيار على خراسان ، وهو جُدَيع (الكرماني) نسبة إلى كرمان بلد في خراسان ابن عليّ بن شبيب بن عامر بن بُراري بن صُنيم بن مُليح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عُدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد .

لَقْطاً ولا تنفضوه نفضاً فتفقأ عيونه وتتكسّر غصونه .

هشام يبخل على نفسه في شراء جارية :

١٣٥ ـ قالوا : وأدخلت على هشام جاريةٌ أعجبته فاشتطّ صاحبها في الثمن فأعطاه هشام عشرة آلاف فأبى فاشتراها الأبرش بحكم صاحبها وسَوْمه وبعث بها إلى هشام ، وأُتي هشام بمال فقسمه على ولده وأهله ، وقال لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم وقد عزل مئة وعشرين ألف درهم : من أحق بهذا المال ؟ قالت : أنا ، قال : قد أخذت قسمك ، وقال لعبدة بنت عبدالله بن يزيد معاوية : قولي فإنكم آل أبي سفيان تدّعون الرأي ، قالت : أحقّ الناس بهذا المال من جادَ لك بما بخلت به على نفسك ، قال : صدقت ، وأمر بحمل ذلك المال إلى الأبرش ، وقال : هذا الآن في هذا الموضع أحسن منه في ذلك الموضع .

قالوا : وقدم على هشام وفدٌ وفيهم ابن عمّار بن ياسر ، فقال له هشام : من أنت ؟ فأخبره ، فقال : [من البسيط]

تَرجُو الصَّغيرَ وقَدْ أعياكَ والِدُهُ وفـي أَرومَتِـه مـا يُنْبِـتُ العـودُ

لا والله ما نال مني خيراً أبداً ما بقيت .

المدائني عن مسلمة بن محارب ، قال : قال خالد بن صفوان : دخلت على هشام بن عبد الملك في يوم شديد الحر وهو في بركة ماؤها يغمر الكعبين وقد وضع له كرسي فجلس عليه ، فلما رآني دعا لي بكرسيٍّ ثم جعل يسائلني فأقبلت أحدثه ، ثم قال : يا خالد لرب خالدٍ جلس مجلسك كان أَحبّ إليّ منك ، يعني خالد بن عبدالله القسري ، قال ، فقلت : يا أمير المؤمنين لو تفضّلت عليه بصفحك وتغمّدته بحلمك ، فقال : إن خالداً دلّ فأمَلّ وأوجف فأعجف ، فسكت .

أول ما وقر في قلب هشام على خالد بن عبدالله القسري :

١٣٦ ـ حدثني العمري عن الهيثم ، قال : أهدى خالد بن عبد الله وهو على العراق إلى ولد هشام وحشمه هدايا ، وأغفل خادماً له ، فأخذ الخادم ابناً له صغيراً فوقف به حيث يسمع هشام الكلام ، ثم قرصه قرصة أبكته ، فقال : والله لو كنت من ولد خالد بن عبدالله القسري ما عدا ، فسمع هشام قوله فكان ذلك أول ما وقر في قلبه .

قالوا : لما غضب هشام على خالد ، أرسل إليه يذكّره حرمته ، فقال : إن الإفراط في الدالّة يُفسد الحُرمة .

حدثني أبو مسعود الكوني عن عوانة ، قال : قال هشام : أرخى الناس بالاً من تخلى من الدنيا ومتاعبها ، فدافع الأيام وأصبح أجله أحبّ قادم عليه .

قال هشام للأحوص : ما لنا وللفرزدق ، حفر لنا خالد نهراً فقال :

[من الطويل]

[و] أنفقتَ مالَ الله في غيرِ حَقِّهِ على نهرِكَ المشؤومِ غيرِ المبارَكِ

فقال الأحواص : ما هذا من كلامه ، فقال هشام : قاتلهم الله إذا جاءت الحقائق نصر بعضُهم بعضاً .

المدائني عن سُحيم بن حفصٍ ، قال : مرّ ابن هشام بن عبد الملك على إسماعيل بن يسار وقد اتخذ منزلاً وهو يصوّره ، فقال : يا إسماعيل ما هذا من منازلك ، قال : بلى والله إنه لمن منازلي ومنازل آبائي ولكن منزلك خباءٌ مضروب من شعر أو صوف على عمود من خشب .

قالوا : وتفقّد هشامٌ بعض ولده فلم يره يحضر الجمعة ، فقال له : ما منعك من الصلاة في يوم الجمعة في مسجد الجماعة ، فقال : نفقت

دابتي فعجزت عن المشي إلى الجمعة .

وقال هشامٌ لخالد بن صفوان : عظني وأوجز ، فقال : أنت فوق الخَلْق وليس فوقك إلا الله وأنت صائر إلى الله فاتق الله .

المدائني عن حمزة بن إبراهيم ، قال : قال الحجاج لمعبد الجُهني[1] : يا مَعْبد أتتكلّم في القدر ؟ قال : نعم زعم فسّاق أهل العراق أن الله قضى وقدّر أن يُقتل عثمان فقلت : كذبتم ، فقال : صدقت . فبلغ هشاماً قولُه ، فقال : قد قدّر الله قتل عثمان لمّا كتب على قاتليه من الشقاء ، كذب مَعْبد والحجاج .

قالوا : وقدم رواة[2] الفرزدق وجرير والأخطل على هشام فدخل راوية جرير في فرو ودخل الآخر في خزٍّ ، فأنشد راوية الفرزدق شعراً :

[من الوافر]

كَأَنَّ مَغَالِقَ الرمّانِ فيهِ وجمرَ غَضى قَعدْنَ عليهِ حامِ

فغضب هشام ولم يصل راوية الفرزدق (وراوية) الأخطل ووصل راوية جرير .

---

(١) معبد الجهني البصري ، يقال : إنه ابن عبدالله بن عُكيم الجُهني الذي روى حديث « لا تنتفعوا من الميّتة بإهابٍ ولا عصب » ويقال ابن عبدالله عويمر ، ويقال ابن خالد ، والصحيح لا ينسب ، عن الأوزاعي قال : إن أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن ، وكان نصرانياً فاسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد وقال عنه الحسن البصري : إنه ضالّ مضلّ وفي سنة ثمانين قتل عبد الملك معبداً الجهني وصلبه بدمشق ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال : ج : ٢٨ ص : ٢٤٤ وما بعدها .

(٢) في أصل المخطوطين راويه ولعله سهو من الناسخ .

عزل خالد بن عبد الله القسري عن العراق :

١٣٧ ـ المدائني عن عبد الرحمن بن خالد ، قال : رأيت هشاماً وهو يقول لغلمانه وهم يلقطون زيتوناً في أرضٍ له [٦٨/٥٦٥] : القطوا لقطاً ولا تخبطوا خبطاً فإن الخبط يُفقىء عيونه ويكسر غصونه ، وكان معه عثمان بن حيّان فوجهه من وجهه إلى العراق للمسألة عن خالد ، فقدم عليه فأخبره فكان ذلك سبب عزل خالد .

حدثني هشام بن عمّار ، قال : بلغنا أن هشاماً حُدّث بأن خالدا يُعطي من جاءه من قومه فازداد تلظيّاً وغضباً ، وقال : إني أبخل بهذا المال عن نفسي وأهلي وولدي ، وخالد يفرّقه في قومه ، فحدّثه بعض من حضره أن رجلاً من بَجيلة دخل عليه فسأله فمنعه ، فقال : [من الطويل]

إذا المرءُ أَثرى ثم قالَ لِقومِهِ ... أنا السَّيدُ المفضيّ إليهِ المُعَمَّمُ
ولم يُولِهم خيراً أَبَوْ أن يَسودَهُمْ ... وَهانَ عليهم رَغْمُهُ وهْو أظلَمُ

فردّه وأعطاه ، فقال هشام : والله لأنقضنّ كور عمامته ولأدعنّهُ وهو لا يُفضى إليه .

حدثني أبو مسعود عن ابن كُناسة ، قال : اختلف هشام ومسلمة في إعراب حرف أو معنى حرف من الغريب ، فحكّما رجلاً ، فقال : القول قولك يا أمير المؤمنين ، فقال مسلمة : هذا حكم الجهّال وقولهم .

حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ ، قال : هدم إبراهيم بن هشام المخزومي دار عبدالله بن عامر بن الزبير بأمر هشام ، فمرّ به وهو يصلي ، فقال : اصبر ، فقال : إني أعرضكم على الله في كل يوم خمس مرّات ، يعني الدعاء .

أبو الحسن المدائني عن عبدالله بن محمد عن أبيه عن عامر بن

عبدالله ، قال : أراد هشام الحجّ ، فقال : مَنْ بقي مِن رجال قريش بالمدينة ممّن يتكلم ؟ فقالوا : لم يبق أحد يردّ على السلطان فحجّ فأتاه بالمدينة عبدالله بن عروة بن الزبير ، فقال : أعدني على خالك إبراهيم بن هشام فإنك ولّيته ما بين المدينة واليمن فلم يمنعه كثير ما في يديه عن قليل ما ي أيدينا ، فأنشدك الله أن تصل رَحِماً بقطيعة أخرى ، قال : لاأعديك عليه ، قال : ولِمَ ؟ فوالله ما منعنا أن نموت مع عبدالله إلا هذه الأموال وقد أخذتْ ، ولأن يموت الرجل عزيزاً خيرٌ له من أن يعيش ذليلاً ، فقال هشام : هذا واحد ، ثم أتاه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله ، فقال : يا أمير المؤمنين أعدني على نافع بن علقمة ، فإنه أخذ داري ، قال : أفلا رفعت ذلك إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : قد فعلت فسلك في غير طريق الحقّ ، قال : أفلا أتيت الوليد ؟ قال : قد فعلت فسلك طريق أبيه ، قال : أفلا رفعت إلى سليمان ؟ قال : قد فعلت فسلك طريق أبيه وأخيه ، قال : فعمر بن عبد العزيز ؟ قال : عوجل رحمه الله ، فغضب هشامٌ وقال : لا يزال الرجل يتكلم عند أمير المؤمنين فيما يستحق من يتكلم بمثله أن يُدقّ أنفه ويسحب على وجهه ، قال : إذاً يسبق خيرَك شرُّك وتقطع رحمك وتكون يد الله فوق يدك وأمر الله من ورائك ، أما والله إن القضاء ليتعقّب وأن الفاسق ليصلح ، فقال هشام : قبّح الله من زعم أن قومي قد ذهبوا ، هذا زعم أن قضائي يردّ وابن عروة تهدّدني .

ثم قال لإبراهيم : لو كان فيك مضربٌ لضربتك مئةً ، قال إبراهيم : فيّ مضرب ألف ، قال هشام : سوءةٌ اكتمها عليّ . قال : فما أخبرتُ بها أحداً حتى مات ، فلما مات حدّثت بها لأنها مكرمة .

وقال الفرزدق وقد خاف خالداً : [من الطويل]

أَلَـم تعلَمـوا يـا آلَ مـروانَ نعمـةً ... لمروانَ عندي مثلُها تحقِنُ الدَّمَا

وما كانَ عنّي ردُّ مروان إذ طَغى ... علـيَّ زيـادٌ بعـدَمـا كـانَ أَقْسَمَـا

لَيَقْتَطِعَنْ حَرْفَيْ لساني الّذي به ... لحَندفَ[1] أرمي عنهمُ مَنْ تَكلَّما

وكنتُ إلى مروانٍ أسعى إذا جَنَى ... علـيَّ لِسانـي بـالمقَـالِ وأَجْـرَمَـا

وَمـا تَـركَـتْ كفّـا هِشـامٍ مَـدينَـةً ... بهـا عَـوَجٌ فـي الـدِّيـنِ إلا تَقـوَّمـا

وقال الكميت في خالد وفي مسلمة : [من البسيط]

الشَّمْـسُ إذْ تَـكُ إلا أَنّهـا امـرَأَةٌ ... والبـدر إذّاك إلا أنـه رَجُـلُ

الغالبُ النَّفسَ حلماً عندَ طِيرَتِها ... والمستثيبُ حُلُومَ القوم إذْ جَهِلوا

ما أَنْتَ في الجودِ إذ عُدّت فَواضِلُهُ ... ولا ابنُ مامَةَ إلا البحرُ والوَشَلُ

قال ولم يقدم جرير على هشام فيمن أتاه من الشعراء عشر سنين ، ثم تهيّأ للخروج إليه ، فقال : [من الوافر]

وكيـفَ ولا أَشـدُّ إليـكَ رَحْلـي ... أرومُ إلـى زيـارَتِـكَ المَـرامَـا

فمات قبل أن يخرج إلى هشام .

قالوا : وقدم عروة بن أذينة الليثي على هشامٍ ، فسأله فقال : ألست القائل : [من البسيط]

لقد علمتُ وما الاشراف من خُلُقي ... أَنَّ الّذي هو رزقي سوفَ يأْتيني

---

(١) خندف : ولد لألياس بن مضر عمرو وعامر وعمير ففقدهم ذات يوم فالحى على أمهم باللوم وقال : اخرجي في أثرهم وأئتيني بخبرهم ، فمضت في طلبهم وعادت بهم ، فقالت : ما زلت أخندف في اتباعهم حتى ظفرت بلقائهم ، فقال لها إلياس : أنت خندف والخندفة في الإتباع تقارب الخطو في إسراع ، فقال عمرو : أنا أدركت الصيد فلويته ، فقال له : أنت مدركة إذ حويته ، فقال عامر : أنا طبخته وشويته ، فقال له : أنت طابخة غذ شويته ، فقال عمرو : أنا انقمعت في الخباء ، فقال له : أنت قمعة الخباء ، فجرت بها وبهم هذه الألقاب وجرت إليهم الأنساب .

أَسعَى إليهِ فيُعنيني تَطَلُّبُهُ ولو سرت أتاني لا يُعَنّيني

وإني لأحسبك ممن يفضل قوله فعله ، فقال عروة : فإني أستغفر الله وأستقيله ولا أرغب إلا إليه ، فخرج من عنده ولم يبت إلا في الطريق منصرفاً إلى أهله ، وتذممّ هشام مما استقبله به حين بلغه انصرافه ، فبعث إليه بألف دينار فلما أتاه بها رسوله ، قال : اقرىء أمير المؤمنين السلام وقل له : إني رضيت بالله ورغبتُ إليه فأتاني برزقي على فراشي ، فقال هشامٌ : صدق إنما نحن خزّان الله فإذا أذن في شيء أمضيناه على محبّة منا أو كره.

الإنسان يغير قوله بعد الهدية:

المدائني قال : قال هشامٌ لسعيدٍ الأبرش : أوضَعَتْ أعنزك ؟ قال : أي والله ، قال : لكن أعنزي تأخر ولادها ، فاخرج بنا إلى أعنزك نصيب من ألبانها ، قال : نعم ، وقدّم خباءً فضُرب وغدا هشام والأبرش وغدا الناس فقعد هشامٌ والأبرش على كرسيين ، فقدّموا إلى كل واحدٍ منهما شاةً فحلب هشام والأبرش بيده ، ثم قال : يا أبرش إني لم أنس الحلب ثم أُتي بخبزة أمر الأبرش بها فعملت بين يدي هشام ، فأوقد هشامٌ النار بيده وفحصها وألقى الخبزة فيها وجعل يقلّبها في النار بالمحراث ، ويقول : يا أبرش كيف ترمّي رفعي حتى نضجت ، ثم أخرجها فجعل يضربها بالمحراث ويقول : جَنْبَيك جنبيك والأبرش يقول لبيك لبيك ، وهذا شيء كان يقوله الصبيان إذا خبزت لهم الخبزة ، ثم تغدّى وتغدى الناس وانصرف هشام .

المدائني قال : قال رجل من أهل المدينة : انتقص الناس بعد هشام ، ما كان أحد يشدّ رحله إلى رجل إلا وجد عنده رأياً وعقلاً وسخاءً ، فلما مات هشام انتقص ذلك .

وسأل هشام يوماً عن مكحول[1] فذمّه فقال مسلمة : مه يا أمير المؤمنين فقد سمعته يقول : اللهم لا تبقني بعد هشام .

المدائني عن شيخ من جَرْم[2] أنه قال : إني لبالقريتين وبينها وبين دمشق مرحلتان على الإبل إذ نزلت قافلة جاءت من أرمينيّة فيها خلق ، فجاء رجل من كلب من قبل هشام ورجل آخر معه ، فقالا : أيتها النازلة أفيكم غيلان بن مسلم ، فقام رجل أحمر عليه قباء نصيبي مجلّد الأزرار ، فقال : أنا غيلان أبو مروان ، فقالا : أين صالح ، فقام رجل ربعة حسن الوجه فقال : أنا صالح أو عبد السلام فشدّاهما في الحديد وحملاهما إلى هشام .

فقال هشام لغيلان : ويلك ما هذا الذي يبلغني عنك من القول ، فسبقه صالح فقال : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[3] فقال له هشام : أتركت أن تتلو كتاب الله مُحكَمُه وتلوت متشابهه إن هذا ليحقق ما قيل فيكما ، فقال : أو هذا متشابه ؟ قال : أخرجوهما فاضربوهما سبعين سبعين ، فضربا وجاء قوم شهدوا عليهما بأنهما قالا : ما ولّى الله هشاماً شيئاً قطّ ، وأن الناس يتغالبون على الأرزاق وتأتيهم بالاتفاقات ، فقال : لعلكم شهدتم لأمرٍ وجدتم عليهما فيه أو لعداوة واجبة ، فقالوا : لا

---

(١) مكحول : عالم أهل الشام يكنى أبا عبدالله ، وقيل أبو أيوب وقيل أبو مسلم الدمشقي الفقيه أرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث ، وأرسل عن عدّة من الصحابة لم يدركهم ، عن الزهري قال : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام . وقيل مات سنة ست عشرة ومئة : سير أعلام النبلاء : ج : ٥ ص٤٥٥ .

(٢) جرم : بطن كبير من قضاعة وهو جرم بن زبّان (عِلاق) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

(٣) سورة الأنعام : رقم : ٦ الآية رقم : ١٥٢ .

ولكنك إمامٌ وقد خرجنا إليك ممّا في أعناقنا . فقطع أيديهما وأرجلهما ، فمرّ عليهما عثمان بن حيّان المريّ ، فقال : يا غيلان كان هذا بقضاء الله وقدره ، فقال : كانْ في علم الله ، ثم أمر هشام بإخراج ألسنتهما من أقفيتها أو قطعهما ، فلما يلبثا أن ماتا ، وقيل إن غيلان وصاحبه كانا بأرمينيّة يتكلمان في هشام ، فلما شخصا عنها وكان قد وضع عليهما عيوناً فأخبر بنزولها حيث نزلا ، فدسّ شهوداً شهدوا عليهما فصنع بهما ما صنع ثم صلبهما .

قالوا : وعمل هشام مَنْجَنُون[1] وكتب إلى صاحب الرقّة يأمره أن يبتاع ثور المنجنون ، فاشتراه بثلاثين درهماً وبعث به إليه مع بعض الشرط ، فلما رأى هشام الثور أعجبه وقال : بارك الله فيك وفيمن وجّه بك ، أعطوا الرسول عشرة دراهم ، فقال : يا أمير المؤمنين زدني في عطائي خمسة دنانير ، فقال : جئت بثور اشتري بثلاثين درهماً وبيننا وبين الرقّة ثلاثون ميلاً وأنت تسأل زيادة [٥٦٦/٦٨] خمسة دنانير في عطائك ، أنت أحمق اذهب بارك الله فيك .

المدائني قال : قال عمرو بن عنبة المخزومي : أذن هشامٌ يوماً إذناً عامّاً فدخل أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين قد كبرت سنّي ورقّ عظمي ، فأعنّي بالفرض لابتيّ فإنهما كما أحبّ أمير المؤمنين في طاعتهما وجلدهما ، قال : ما ذاك لك عندنا ، قال : فأقطعني داراً إلى جنب داري كانت ليهودي هلك ولا وارث له أوسّع بها منزلي ، قال : بيت المال أحقّ بها ، قال : فأزرعني مزرعة إلى جانبي تخفّف من خراجها عنّي ، قال :

---

(١) منجنون هكذا جاءت في أصل المخطوطين ولعله الغراف الذي يدور بواسطة دابة فيخرج الماء من باطن الأرض إلى الأعلى وتسقى به الأرض .

لا ، فولّى الرجل وهو يقول : ما رأيت كاليوم قطّ رجلاً أفحش بخلاً ولا أسوأ ردّاً ، وسمع هشام كلامه فنكّس ورفع الشرط عليه العُمُد ، قال عمرو : فضممت إليّ ثوبي مخافة أن يقتل فيصيبني دمه أو يُشدخُ فينتضح عليّ من دماغه ، فقال الأعرابي : ما ينبغي أن ألومك وإني لأعلم أنك عبد من عبيدالله لا تعطي ولا تمسك إلا بإذنه . قال هشامٌ : ردّوه ، كيف قلت ؟ فأعاد قوله فقال : صدقت ، أعدْ علي حوائجك فقضاها .

قالوا : وأهدى إلى هشام حسّانُ النبطي هدايا كثيرة وركب هشام فعوّضها عليه وأرضى حسان كل من يطيف بهشام غير خادمين له صغيرين احتقرهما ، فدخل هشام المتوضأ وجاء الوصيفان بالماء ، فقال أحدهما : أما يعلم أمير المؤمنين أن حسان لم يهد ما أهدى حتى أخذ لنفسه مثله ، قال الآخر : بل لنفسه عشرة أمثاله ، أفمن بيت أمه أهدى هذا ، وسمعها هشام ، فلما دخل عليه حسان ، قال : هل وهبت لهذين شيئاً ؟ قال : لا ولقد أغفلتهما ، قال : فأحسن إليهما ، فبعث لكل واحد منهما بألفي درهم ، وخلا به هشام وهما على باب البيت ، فقال أحدهما : نحن نتكلّم في أمر هذا الرجل بما لا نعلم وأمير المؤمين أعلم بنصحته وتوقيره ، وقال الآخر : ما صارت له عند أمير المؤمنين هذه المنزلة إلا بفضل نصحته وما يفعل أحد مثل فعله ، عمّاله يأكلون الدنيا ولا يهدون شيئاً . فقال هشام لحسان : أرضيتهما ؟ قال : نعم ، فضحك هشام وقال : ما أخبثهما قد رأينا أثر ذلك .

المدائني ، قال : لما اشتدّ وجع هشام بكى نساؤه وولده ، فقال : جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء فترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما كسب ، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له ثم فاضت نفسه .

المدائني ، قال : أتى هشاماً محمدُ بن زيد بن عبدالله بن عمر بن

الخطاب ، فسأله فقال : لست معطيك شيئاً فإيّاك أن يغرّك الناس فيقولون : إن أمير المؤمنين لم يعرفك ، قد عرفتك أنت محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فلا تَقُم فينفق ما معك والحق بأهلك .

حدثني علي الأثرم عن الأصمعي قال : حجّ هشام ، فأراد سالم بن عبدالله الدخول عليه بالمدينة ، فقال له بنوه : لو اعتممت فاستعاروا له عمامة ، فلما دخل على هشام قال له : يا با عمر العمامة لا تشبه الثياب ، قال : استعرناها قال : ما طعامك ؟ قال : الخل والزيت ، قال : أما تأجمهما[١] ؟ قال : إذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما ، ثم قام فخرج . فقال هشام : ما رأيت قطّ ابن سبعين أقوى كدنة[٢] منه ، فما وصل إلى بيته إلا محموماً ، فقال : أترون الأحول لعقني بعينه ، ولم يبرح المدينة حتى صلّى عليه ، وقد كتبنا خبره من جهة أخرى .

المدائني عن عبدالله بن سلم الفهري ، قال : دخل زيد بن علي بن الحسين على هشام ، فلما مَثُل بين يديه لم يَرَ لنفسه موضعاً يجلس فيه ، فعلم أنه إنما فُعل به ذلك عن عَمْدٍ ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه ليس أحدٌ فوق أن يُؤمر بتقوى الله ولا أحد دون أن يأمر بها ، فقال : اسكت لا أمّ لك ، قال : أمّ لم تلدني ، قال : أنت الذي تنازعك نفسك الخلافة وأنت ابن أمةٍ ، قال : يا أمير المؤمنين إن لك جواباً ، قال : هاته فما أنت وجوابك ، قال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال دون بلوغ الغايات ، كانت أمّ إسماعيل أمةً فلم يمنعه ذلك أن ابتعثه الله نبيّاً وجعله أبا العرب وأخرج من صلبه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أفتقول هذا إليّ وأنا ابن

---

(١) أَجِمَه : يقال : داوم على طعام واحد حتى أجمه : أي كرهه .

(٢) في هامش المخطوط : الكدنة الشحم واللحم .

فاطمة وجدي عليّ ، قال : صدقت ثم خرج ، فقال هشام لمن بقي عنده من أهل بيته : زعمتم أن أهل هذا البيت قد بادوا ، لا لعمري ما انقرض قوم هذا أخلفهم .

قالوا : وخرج زيد على هشام بالكوفة فقتل ودُفن ليلاً فدلّ على قبره عامل الكوفة فنُبش وصُلب ، وكان فيمن نبشه خَدّاش بن حوشب أخو العوّام بن حوشب المحدّث .

وكتب هشام إلى عامله بالعراق : أن زيداً قدم علي فرأيت خُوّلاً قُلَّباً خليقاً لصوغ الكلام وتنميقه ، وقد كتبت خبر زيد ومقتله في نسب آل أبي طالب وأخبارهم .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم ، قال : قال هشامٌ : إني لأرى الرجل فأعرف عقله من حسن استماعه ، وكان يقول : أنا أعرف الجاهل الأحمق بسرعة جوابه بالخطأ وكثرة تلفّته ، وتدويمه نظره إلى جليسه بغير علّة يصوّب ويصعّد فيه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسماعيل بن عبد الملك بن نافع عن أبي عبيدة بن محمد ، قال : شرق مابين ربيعة الرأي وأبي الزناد ، وكانا قديماً يجالسان القاسم بن محد بن ابي بكر ، فلما وَلِي خالد بن عبدالله بن الحارث بن الحكم المدينية من قبل هشام ولّى أبا الزناد الخراج وما وراء بابه ، وكان خالد قد علم الذي بينهما ، فأرسل إلى ربيعة وحنتم بن عراك ومحمد بن عطاء الليثي وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، فوجد عبد الرحمن قد تغيّب ، فضرب هؤلاء وحلقهم وقال : إنهم يطعنون على الأئمّة ويرون رأي الخوارج ، وكتب خالد إلى هشام يعلمه ضرب هؤلاء النفر وأنه طلب عبد الرحمن فوجده قد تغيب وتوجّه إلى ابن شريح بخراسان يدعو إليه .

فجاء الكتاب إلى هشام وهو بالرصافة ، فقال : أي رجل عبد الرحمن بن القاسم ؟ فقال إبراهيم بن هشام : يا أمير المؤمنين من أهل السنّة والجماعة ، فرمى بالكتاب فقرأه ، فقال : باطل والله يا أمير المؤمنين وما خرج ابن القاسم إلا إليك متظلّماً من خالد فأفرغ روع هشام ، فقال : أرى ذلك ووكل إبراهيم غلاماً له يتفقّد عبد الرحمن عند قرية عليها طريق من قدم من المدينة إلى هشام ، فان مقيماً عندها أياماً ثم طلع عليه عبد الرحمن على بغلة له وهو معتمّ فقالوا : من الرجل ؟ قال : رجل من قريش ، قالوا : من أي قريش أنت ؟ فأخبرهم فأتى عبد الرحمن إبراهيم بن هشام ، فأتى به إبراهيم هشاماً فأدخله إليه ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ، كيف أنت يا عبد الرحمن ، كيف أهل بيتك ؟ قال : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أحبّ أن يكونوا بخير فما أقدمك يا عبد الرحمن ؟ قال : ظلامتي خاصمتُ إلى خالد بن أبي عتيق فمال عليّ ميلاً بيّناً فرحلت إلى أمير المؤمنين مستغيثاً به لينصرني .

فكتب هشام إلى خالد : أما بعد فإذ أتاك كتابي هذا فأحضر رجالاً من أهل الفضل والستر والصدق والعفاف ممّن يخبرهم عبد الرحمن بن القاسم ، ثم أجمع بينه وبين خصمه ثم مُرهم أن يجزموا القضاء على أحدهما ، ولا تعرض لعبد الرحمن في خصومة ولا غيرها فإن لعبد الرحمن فضلاً ومكان أبي بكرٍ في الإسلام مكانه ثم ختم الكتاب ودفعه إلى عبد الرحمن ، فقال عبد الرحمن : قد بررت وقضيت الحاجة وأعفيتني من الظلم ، وعليّ أربعمئة دينار ديناً ، فقال : يا عبد الرحمن لو جمعنا لأحدٍ أن تردّ ظلامته ونقضي دينه لفعلنا ذلك بك ولكنا لا نفعله بأحدٍ فامض لشأنك .

قال عبد الرحمن : فلحقني حسان النبطي ، فقال : قد سمعت كلامك في دينك وهذه أربعمئة دينار من مالي فخذها واقض دينك ، فقال عبد الرحمن : ما استجيز أخذها منك وأنا أستجيزه من الخليفة ، وأنا أقبلها على أن تكون قرضاً ، فأخذها على هذه الجهة ، فقضاه إياها ورثة عبد الرحمن بعد ذلك .

قال ابن شوذب يمدح أبا الزناد نصر بن ربيعة وأصحابه : [من البسيط]

حتـــى إذا دَخَـــل ألهـــمُّ وأرَّقَنـــي
فـــوقَ الفِـــراشِ وكـــاد النَّـــوْمُ يمْتَنِـــعُ

وقُلـتُ حيـنَ أنـاجي النفـسَ مَـنْ رَجُـلٌ ؟
والـــرَّأْيُ مشتـــركٌ والهـــمُّ مَكتَنِـــعُ

فَســرتُ نحــوَكَ مــن أَرضــي لِتنفَعَنــي
إذا بَلَغتُـــكَ والمعـــروفُ مُتَّبَـــعُ

[٥٦٧/٦٨] أَبَـا الـزنـاد فـلا تَقْعُـدْ بحـاجَتِنا
إنَّ الكـــريـــمَ إذا مـــا هُـــزَّ ينخَـــدِعُ

تحـوي مِـنَ العلـمِ مـا يُشفَـى السَّقيـمُ بـهِ
ويُجْبَـــرُ العَظْـــمُ منـــهُ حيـــنَ ينصَـــدِعُ

مـا زِلـتُ بِـالحـقِّ إذْ ضَلَّـتْ عُقـولُهـمُ
حتّـى رَدَعْـتَ أولـي الأَهـواءِ فـارتَـدَعُـوا

الخوارج في أيام هشام بن عبد الملك

أمر صَبِيح الخارجي :

١٣٩ ـ قال أبو الحسن المدائني : اشترى سوَار بن الأسعر المازني غلاماً من سبي الأزارقه يقال له صَبِيح فكان عنده حيناً فلما صار رجلاً أعتقه وكان يرى رأي الخوارج ، فخرج في حاجة لسوار وصحبه رجل من طيء فحضرت الصلاة فصلّى صبيحٌ ولم يصلّ الطائي ، فقال له : ألست مسلماً ؟ قال : بلى ، قال : فما بالك لم تصل ، فقال : وما أنت وهذا أقبل على شأنك ، فحكم صبيحٌ وقتل الطائي واجتمع إليه رجال فخرج وسار إل هراة وأغار على إبلٍ لبني سعد وقتل رجالاً ، فأتى السعديون ضرار بن الهلقام بن نُعَيم التميمي وهو عامل للجنيد بن عبد الرحمن المريّ على بعض خراسان ، فخرج ضرار إلى الخوارج فسار في المفازة ولقيه صَبيح في أربعمئة وضرار في جمع كبير من بني تميم وغيزهم ومعهم البُختي بن ضُبيعة المريّ فاقتتلوا فقُتل من أصحاب صبيح خمسون وقُتل عامَّة من كان مع ضرار ، ورجع صبيح إلى سجستان ، فقال سوّار :

[من الطويل]

لَعَمري لَئِنْ أغفلْتُ من خَشْيَةِ الرَّدَى زَرَنْـجَ ولـم أَخـرُجْ حِـذارَ صَبيـحِ
لَبِئْسَ إذاً حامي الحقيقَةِ بعدَها ولابِـسُ ثَـوْبـي ذِلَّـةٍ وفُضـوحِ

ويروى لبئس إذاً حامي الذمار ابن أشقرِ .

فكتب خالد بن عبدالله إلى عبدالله بن أبي بردة بطلب صبيح رجاء أن يظفر به دون الجُنَيد ، ونزل صبيح قرية كانت صلحاً فأخذوه أسيراً وأتوا به ابن أبي بردة وقالوا : ما تجعل لنا إن أخذنا صبيحاً ؟ فقال : ما شئتم ،

فاشترطوا عليه الحُطيطة من الأتاوة وشيئاً غير ذلك ، فدفعوه إليه فبعث به إلى خالد وبعث به خالد إلى هشام ، فأراد قتله وصلبه فقيل له إذاً اتخذ الخوارج الرصافة دار هجرة فردّه إلى خالد فقتله وصلبه .

وأخذ الجنيد الخوارج ممّن كان مع صبيح وعلى رأيه بخراسان فجعل يقتلهم حتى قتل مئةً ، ويقال إن الجنيد أخذ رجلاً منهم أعمى فقال : أنا أدلّك عليهم فجعل يدلّه على رجل رجل من أهل السنّة فيقتله حتى قتل مئةً ، ثم قال : لعنك الله يا أحمق تزعم أن دمي حلالاً لك وأنا أدلّك على قوم فتقتلهم ، والله ما قتلت إلا أصحابك وما دللتك من أصحابي على أحدٍ ، فقدّمه فقتله .

أمر خالد الخارجي :

١٤٠ ـ قال أبو الحسن المدائني : خرج خارج [يدعى خالداً] من قبل بوسنج وهراة في جمع عظيم ، فكان لا يأتي قريةً إلا افتدوا منه بمال ومضى إلى مرو الروز وعليها ضرار بن الهلقام فأراد أن يعطيه شيئاً وينصرف عنه فجبّنوه وعجّزوه وكان عامّة الناس غُزاة ، فقال : دعوني أردّ هذا الخارجي عنا بشيء ولا نقاتله فإن عامّة الناس غزاةٌ ، فقالوا : جبُنت وضعُفت ، فقال : كأني بكم منهزمين تكسع الريح أدباركم ، وخرج إليهم وأخرج معه الوجوه والأشراف من العرب والموالي ، فبيّت خالدٌ عسكرهم فقتل من صبر وعامّة من هرب ، فلم ينج منهم إلا القليل وأسروا ضراراً ثم قتلوه وأصحابَه الذين بقوا معه ، فقال منصور بن هبيرة التميمي ثم المازني قصيدة طويلةً يرثيهم ويقول فيها : [من البسيط]

لقد تَأَسَّوا وقد آسَوْا أميرَهُمُ ... عِنْدَ اللقاءِ حِذَارَ الذمِّ والعارِ

وقال رجل من بني العنبر في قصيدة له : [من الكامل]

أأُمامُ قد ذَهَب التجلُّدُ والأَسى		فانعى فوارسَ مازنٍ وضِرارا

ثم أن خالداً مات من جراحٍ كانت فيه ، ويقال مات حتف أنفه .

أمر عبّاد المعافري[1] .

١٤١ ـ قال أبو الحسن المدائني : خرج باليمن في أول سنة ست ومئة عبّاد المعاقري فقاتله مسعود بن عوف الكلبي فلم يظفر به ، فلم يزل باليمن حتى وليها يوسف بن عمر الثقفي فقتله .

وخرج على يوسف زحّاف بن عبّاد الحميري الأباضي فبعث إليه يوسف كثيراً أبا العاج السلمي فقتله ، قال جرير بن عطيّة : [من البسيط]

الله أهلَكَ عبّاداً وشيعَتَهُ		عاداتُ ربِّكَ في أَمثالِ عَبَّادِ

لاقَوْا بعُوثَ أميرِ المؤمنينَ لَهُمْ		كالرّيحِ إذْ بُعثت نجساً على عادِ

فيهمُ ملائكَةُ الرّحمنِ ما لَهُمُ		إلا التّوكُّلُ والتَّسبيحُ منْ زادِ

خبر الأشهب العنَزَيّ[2]

١٤٢ ـ قالوا : خرج رجل من عنزة يقال له الأشهب بناحية الفرات في ستين فارساً ، فوجّه خالد بن عبدالله القسري السَّمط بن مسلم البجلي في سبعمئة فلقيهم قريباً من الكوفة فقاتلهم فضُرب السمط على يده فنذر سيفه وأسرع سيف الضارب في يده ، وانهزم العنزيّ هو واصحابه فقتلوهم حتى دخلوا الكوفة ، ورماهم الناس بالحجارة ثم برأ السمط من الضربة وشلّت يده ، فكان يطلبُ سيفه عند قعد الخوارج بالكوفة .

---

(١) المعافري نسبة إلى المعافر وهو بطن من كهلان وهو المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

(٢) نسبة إلى قبيلة عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

خوارج موقوع

١٤٣ ـ في أيام هشامٍ ويوسف بن عمر على العراق . قالوا : خرج خوارج بموقوع وكانوا تسعة عشر رجلاً وامرأةً ، والقاسم بن محمد الثقفي على البصرة فقتلوا وأسرت المرأة ، فلما قُدم بها على القاسم ، قالت : يا حسن الوجه إني خُدعت ، قال عمر بن سعيد : فأرسلني القاسم إلى يوسف بن عمر فقدمت عليه بالفتح وبالمرأة ، فقال : ما استبقاء هذه وقتلها ، ثم أرسلني يوسف بالرؤوس إلى الشام .

وقال الهيثم : بعث بالرؤوس إلى الوليد وكان هشام قد مات فأقرّ الوليد يوسف على العراق ، فلما قدم رسوله على يوسف ، قال : كيف الوليد الفاسق ؟ ثم قال : إياك أن يسمع هذا منك أحدٌ ، فحلف له رسوله بالطلاق لا يسمعه منه أَحدٌ فضحك يوسف .

أمر خارجي بالموصل

١٤٤ ـ قال المدائني : وخرج خارجي بالموصل في ثلاثة عشر رجلاً في أيام هشام ، فوجّه إليه الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم المستنيرَ بن عجلان العنزي أحدبني يذكر بن عنزة ، فقال المستنيرُ : لا ألقاه إلا في عدّة من معه فقاتلهم فظهر عليهم ، فأوفده الحرّ إلى هشام ، فقال له : ألك حاجة ؟ فقال : تخرجنا من ربيعة وتردّنا إلى بني أسد ، قال : نعم ، فقال بنو يقدم بن عنزة لا نتحوّل وقالت يذكر بن عنزة : بلى ، فاصطلحوا على أن صيّروا سُبعاً على حدة .

خبر البُهلول (كثّارة) :

١٤٥ ـ البُهلول بن بشر الشيباني ، ويقال ابن عمرو ويلقب كثارة :

قال أبو الحسن المدائني : خرج البهلول بن بشر الشيباني أيام

خالد بن عبد الله القسري في سبعين رجلاً ، كان من أهل الديوان معروفاً بالشجاعة ، وكان سبب خروجه أنه حجّ فلما كان ببعض قرى السواد أرسل غلامه ليأتيه بخلٍّ فأتاه بِخمر فردّها فأبى الخمّار أن يقبلها ، فاستعدى عليه والي القرية ، وكان من أهل الشام فلم يُعْدِه وقال خارجيّ خبيثٌ والله لهي خير منك وإني لأنفس بها على مثلك ، فتركه ومضى لحجّه وجعل يخبر من لقي من إخوانه ويعجّبهم ويدعوهم إلى الخروج ، ولما قضوا حجّتهم رجع إلى القرية التي كان بها الشامي فقتله ثم أتى الموصل فاتبعه قوم من أهلها وأهل الجزيرة .

وأقبل خالد من الكوفة فلما كان بموضع يقال له فيّاض وجّه إليه خالدٌ يزيدَ بن قيس بن ثمامة الأودي[1] أبو عافية بن يزيد الأودي القاضي كان قاضي المدائن وكان على شرطة خالد وكان في خفّ فلم يقاتله ، فقال البهلول : إن صاحبكم هذا لأشجع الخلق وأحمق الخلق ، ومضى البهلول إلى عين التمر ثم أتى لعلع فأقام بها وهو في مئة وستين نفراً من الخوارج ، وأقبل إليه عشرة نفرٍ من الكوفة من أهل رأيه فعرض لهم قوم فقتلوهم قبل أن يصلوا إليه ، وبلغه ذلك فسار إلى القرية التي قتلوا بها ، فقال لهم : من قتل هؤلاء الرهط فله عشرة آلاف درهم ، فادعى قتلهم جماعة فقتلهم فتنكّر له قوم من أصحابه وقالوا : غدرت بالقوم ، فقال : أما كان لي أن أقتلهم وقد قتلوا إخوانكم ؟ قالوا : بلى ولكنك كذبتهم ، قال : أنا في دار حربٍ والحرب خدعة ، قالوا : تبْ وإلا اعتزلناك فتاب وقبلوا منه ورجع فأقام بلعلع ، وكان معه رجل يقال له أثال فتذكّر أهله ووَلده فبكى ، فقال بُهلول : [من الوافر]

---

(١) أود : بطن من سعد العشيرة وهو أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك (مذحج) .

بكـى جَـزَعـاً بعَبْـرَتِـهِ أثـالٌ   وليـسَ بحيـنِ مَبْكـاً للـرجـالِ
فمـا أهـلُ الـدُّيـارِ لَنَـا بـأَهْـلٍ   ولا المـالُ المُـراحُ لنـا بمـالِ

وقال أيضاً :   [من البسيط]

مَـنْ كـانَ يكْـرَهُ أَنْ يلقَـى منيَّتَـهُ   فالموتُ أَشْهى إلى قَلبي مِنَ العَسَلِ
[٥٦٨/٦٨]فـلا التَّقَـدُّمُ في الهيجـاء يُعجبنـي   ولا الحِـذارُ يُنَجّينـي مِـنَ الأَجَـلِ

فوجّه إليه خالد رجلاً من آل حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني ، فارتحل بهلول عن مكانه فسار يصبح بأرض ويمسي بأخرى يجول بالسواد حتى أحفى دوابهم ، ثم لقيهم وقد ضجروا وكلّت خيولهم ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انكشفوا ، وصبر الرويمي في نفير قتلوا ، وأهوى له بهلول ليطعنه ، فقال : أسألك بالرحم وأذكرك الله إني مستجير جانح فأمسك عنه ، وأتى فلّهم الكوفة .

وقدم قائد من أهل الشام في تلك الأيام وهو من القين ليوجهه خالد إلى الهند ، فقال له خالد : سر إلى هذه المارقة فإن قتلتهم لم أغزكم الهند ، فسار القينتي في أصحابه وهم ألفان من أهل الشام ، وضمّ إليه خالد جنداً من أهل الكوفة ، فكان في خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف من أهل الكوفة ، فجعل البهلول يتنقل في السواد حتى قطع خيولهم ثم أتى لعلع فالتقوا بها ، فقتل القيني طعنه البهلول طعنة هتكت سلاحه وأجوره الرمح ، فقال : قتلتني قتلك الله ، قال : أبعدك الله يا عدو الله وانهزم الشاميّون .

فقال بهلول لأصحابه : عليكم بالشامين فإن الكوفيين أخرجوا كرهاً ، فاتبعوهم فكانوا إذا لحقوا الشامي قتلوه وإذا لحقوا عراقياً لم يقتلوه ، فقال رجل ممن نجا من الشاميين :   [من الكامل]

ما كنتُ أدري ما السُّيوفُ وَوَقْعُها حتــى لقيــتُ فــوارسَ البهلــولِ
يُضْحي بأرضٍ والمبيتُ بغيرها هيهاتَ من ممساكَ حيثُ يُقيلُ[1]

وقال البهلول لأصحابه لما قتل القيني : علامَ نقيم على خالد وندع الذي أمره ؟ فتوجّه إلى الموصل وهو يريد الشام ، فوجه إليه والي الموصل قائداً يقال له سفيان فهزمه البهلول ، فكتب صاحب الموصل إلى هشام يخبره خبر البهلول ويستمدّه ، فكتب هشام إلى عامل الجزيرة أن يمدّه فسرّح إليه قائداً من أهل الجزيرة في خمسمئة ، ووجّه هشام من الرّقة جنداً وكتب إليه أن ضمّ إليهم جنداً من جند الموصل واستعمل عليهم كثارة ، وهو لا يعلم أن كثّارة هو الخارجي ، فتوافت الجنود بالموصل وبهلول نازل إلى جانب دير بالكحيل ، فجعل عامل الموصل عليهم رجلاً يقال له ابن أبي عطاء فساروا حتى لقوا البهلول فانهزم ابن أبي عطاء وأهل الشام ، ولجأ بعضهم إلى الدير ، فحصرهم البهلول أياماً ، وقدم جند من أهل الشام أيضاً مدداً وانضمّ الفَلّ ونزلوا بعقوة البهلول وخرج إليهم من كان بالدير محصوراً ، فتلا البهلول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2] وحمل على أهل الشام فقتل منهم رجلاً ، ثم قال لأصحابه : يا أخلاّء إنما خرجتم غضباً لله فلا تجزعوا ولا تكبّروا القتل في الله ، وناهضهم وقال : إن أصبتُ فأميركم دعامة بن عبدالله الشيباني ، فإن أُصيب دعامة فأميركم عمرو بن غالب اليشكري ، فقاتلوهم وكثر القتل والجراح في الفريقين ، ثم ترجّل البهلول وأصحابه عند المساء وشدّوا عليهم فجال أهل الشام والبهلول يقول : [من البسيط]

---

(١) في الشعر إقواء .

(٢) سورة الأنفال ٨ : الآية ٦٤ .

مَـنْ كـانَ يكـرَهُ أَنْ يلقَـى منيَّتَـهُ فالموتُ أَشْهى إلى قَلبي من العَسَلِ

وكمن له أبو الموت الجدلي جديلة قيس[1] فمرّ به فطعنه فأثبته ، ويقال الذي قتل البهلول عمرو بن ثوبان الحضرمي صاحب خيل الموصل ، فقام بالأمر دعامة فانحازوا وتحاجزوا وقد أمسوا ، والجراح في الطائفتين فاشية ، فقالت الحوارج لدعامة : فررت من الزحف وكفرت ، فقال : إنما انحزت ولم أفرّ ، فأبوا أن يرضوا به وبايعوا عمرو بن غالب اليشكري ، وأصبحوا فعاودهم القتال فقتل وقُتل الخوارج غير نُفير يسير انحازوا إلى العراق ، وقال بعض الشعراء من الخوارج في دعامة : [من الطويل]

لَبِئْـسَ أميـرُ القَـوْمِ مُعتَـرَفـاً بِـهِ دعامَةُ في الهَيْجاءِ شرُّ الدَّعائِمِ

وكان الضحاك بن قيس أحد بني محلّم[2] جرح يومئذ فنزف وعطش ، فرُفع له خباء فأتاه فوجد فيه امرأة فاستسقى فسقته وسقط فلم يقدر على النهوض ، فلما أفاق مما كان به وبرأ أتى أصحابه من القعد فقالوا : فررت من الزحف ولم تقرّ بالفرار ، فاعتذر فلم يقبلوا عذره فكانوا لا يجالسونه ولا يكلمونه ، فقال الضحاك : اللهمّ إني صدقتهم فكذبوني وبذلت نفسي فردّوني اللهم أنت خير لي منهم ، وقال : [من البسيط]

لا تَطردوني إذا ما جئْتُ زائِركُمْ أَرجوا الفلاحَ وكونوا اليومَ إِخوانا
بُـدلِّـتُ بعـدَ أبـي بشـرٍ وصُحبَتِـهِ قوماً عليَّ مَعَ الأَحزابِ أَعوانا

---

(١) جديلة قيس : هو عمرو بن قيس بن الناس (عيلان) بن نزار وجديلة قيس تضمّ قبيلتي فهم بن عمرو والحارث (عدوان) بن عمرو .

(٢) الضحاك الخارجي : هو الضحاك بن قيس بن الحُصين بن عبدالله بن ثعلبة بن زيد مناة بن ابي عرو بن عوف بن ربيعة بن محلّم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

في أبيات .

ثم إنه أقرّ بالكفر واستتابوه فتاب .

قالوا : وكان بُهلول ليّن السِّيرة لا يقاتل إلا من قاتله ولا يعرض لأحدٍ ولا يأخذ شيئاً إلا بثمن .

أمر ابن شبيب بن يزيد[1]

١٤٦ ـ شبيب بن يزيد ويكنى أبا الصحاري .

قال أبو الحسن المدائني : وأتى ابنٌ لشبيب بن يزيد الخارجي خالدَ بن عبدالله ،فقال : افرضْ لي ، فقال خالد لابن شبيب ما لك وللفريضة ، فخرج وأرسل خالد في طلبه فأبى أن يرجع فتعلّقوا به ومنعوه من المضي ، فانتضى سيفه فهربوا ومضى على فرسه إلى الفرات ، فعقر فرسه وركب سفينة وأتى ناساً من بني تيم اللات[2] كانوا بجبل فدعاهم إلى الخروج فخرجوا فوجّه إليهم خالد خيلاً فقتلوا جميعاً .

أمر وزير الخارجي

١٤٧ ـ قال أبو الحسن المدائني وغيره : خرج على خالد بن عبدالله القسري وزير الخارجي فحكّم بالكوفة في ثلاثة عشر رجلاً وخالد بالحيرة فقتل من لقي وحرّق وغلب على بيت المال فتلقّته الفرسان فقُتل بعض الخوارج وأُسر بعضهم وأرتثّ وزيرٌ فأتي به خالد فجعل يقرأ القرآن ويعظ

---

(١) هو ابن شبيب بن يزيد الخارجي الذي خرج في أيام الحجاج ودوخ البلاد وجاء خبره في أيام الحجاج وهو شبيب بن يزيد بن نُعيمي بن قيس بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة .

(٢) لم يذكر أي تيم اللات حيث هناك غير واحد بهذا الاسم ولكن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بطن من قضاعة .

خالداً حتى رقّ له واستبقاه وأمر به فحُبس ، فكان يخرجه من الحبس فيسامره ، فبلغ ذلك هشام فكتب إلى خالد : أتستحمي فاسقاً مارقاً قد قتل وحرّق وفرّق بيت المال فاحرقه ، فلما أتاه كتاب هشام أخرجه ومن كان بقي معه من أصحابه ، فصبّ عليهم النفط ثم حُرّقوا في طنان[1] القصب وقد أشعلت فيه النيران ، فما جزع وزير ولم يتحرك فجعل يقرأ : ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾[2] وجزع أصحابه واضطربوا .

تمّت أخبار الخوارج في أيام هشام .

ولد هشام :

١٤٨ ـ قال أبو اليقظان : ولد هشام مسلمة ، ويزيد ، ومحمداً ، وأم هاشم ، أمهم أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وعبد الرحمن ومروان وأمهما أمّ عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وأمها أمّ عمرو بنت مروان بن الحكم ، وعائشة أمها عَيْدة بنت عبدالله بن الأسوار بن يزيد بن معاوية ، ومعاوية والوليد وسليمان وقريشاً لأمهات أولاد شتّى .

وكانت عائشة تسير مع هشام في موكبه لإعجابه بها وكانت لها خيل تسبق ، وتزوجها عبدالله بن مروان بن محمد ، وأما معاوية فكان أكبر القوم .

---

(١) طنّ : قطع أي في القصب المقطوع ـ اللسان ـ .

(٢) سورة التوبة ٩ : الآية ٨١ ، وفي أصل المخطوطين لو كانوا يعلمون .

أمر خالد بن عبد الله القسري وغيره من ولاة العراق في أيام هشام

١٤٩ ـ قالوا : كان ابنُ هبيرة عاملاً ليزيد بن عبد الملك على العراق وولي هشام فأقرّه ، وكان خالد بن عبدالله بن يزيد بن أَسِيد[(١)] بن كرز بن عامر بن عبدالله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن سعد بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن قسر واسم قسر مالك بن عبقر ، وأخته[(٢)] بجيلة ابنة صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . ضرب وهو على مكة من قبل الوليد بن عبد الملك حبابة جارية ابن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وكانت قينة تسمّى العالية ، فصارت ليزيد بن عبد الملك وسمّاها حُبابة ، فلما ولي يزيد خافه خالد وخاف حبابة وتبنّاها عمر بن هبيرة ، فسأله خالد أن يترضّاها له وأهدى إليها هدايا ، ففعل فقالت : قد وهبته لك فلم يشكر له خالد ذلك وحبسه حين ولي العراق بعده .

قالوا : وعزل هشام عمر بن هبيرة وولّى خالد بن عبدالله العراق في أول سنة من ولايته .

وقالوا : قال عمر بن يزيد الأسيلمي[(٣)] من بني تميم : دخلت على

---

(١) عند ابن الكلبي في نسب معد واليمن الكبير أسد بن كرز : ج : ١ ص : ٣٨٦ وهو الصحيح وأخو خالد أسد بن عبد الله .

(٢) عند ابن الكلبي أيضاً أم عبقر بجيلة بنت صعب : فولد أنمار عبقراً وصهبية و . . . أمهم بجيلة بنت صعب : ج : ١ ص : ٣٧٥ وهذا الصحيح .

(٣) الأسيلمي هكذا جاء في أصل المخطوطين وهو خطأ تصحيف من الناسخ وصحته =

هشام وخالد بن عبدالله القسري عنده يذكر طاعة أهل اليمن ووفاءهم وذلك قبل ولايته العراق ، قال : فصفقت صفقة دوى منها البهو ، وقلت : ما رأيت مثل هذا القول خطأً وخطلاً ، والله ما فتحت فتنة في الإسلام إلا باليمن ، هم سعوا على عثمان أمير المؤمنين فقتلوه ، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب .

فلما خرجت لحقني رجل من أهل الشام ، قال : يا أخا بني تميم وريتُ بك زنادي ، قد شهدت مقالتك وأمير المؤمنين مولّ خالد العراق وليس هولك بدار .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عبدالله بن أسِيد الكلابي : إن إياس بن معاوية ، قال : كنت عند ابن هبيرة في يوم جمعة وقد [٦٨/٥٦٩] أذّنوا فجاء غلام له يعدو ، فقال : إن قوماً دخلوا على البريد ووكّلوا بالباب من يحفظه ، قال إياس : فقمت فخرجت فمنعني الحرس ، فقال وهو فزع منبهر : هكذا تقوم القيامة . وأقيمت الصلاة فصلّى خالد بن عبدالله بالناس وقرأ عهده وكتبه ، ثم أرسل إلينا فأتيناه ، فقلت : أنا إياس بن معاوية فأطلقني وحبس ابن هبيرة .

وقال إسماعيل بن عمّار يعارض الفرزدق : [من الكامل]

عَجِبَ الفَرَزْدَقُ من فزارَةَ أَنْ رأَى ... عَنْهـا أميَّـةَ بـالمشَـارِقِ ينـزَعُ
فلقـد رأَى عَجَبـاً وأُحـدِثَ بعـدَهُ ... أمـرٌ تُـراعُ لـه القلـوبُ وتفـزَعُ
بكتِ المَنَابِرُ من فزارَةَ شَجْوَهَا ... فـاليـومَ مـن قَسْرٍ تفـجُّ وتجـزَعُ

= الأُسيدي لأن تميم ليس فيها بطن يسمى الأسيلمي ولكن البطن من تميم الأسيدي وهو عمرو بن يزيد بن عُمير بن عبدالله بن مرثد بن شيطان بن أنمار بن صُرَد بن غنم بن سهم بن جُردة بن أُسَيد بن عمرو بن تميم . وسيأتي ذكره في بني تميم .

ومُلوكُ خندف أضرَعَتْنا للعدا   للهِ درّ مُلوكِنا ما تَصْنَعُ

فلما حُبس خالدٌ قال الفرزدق : [من الطويل]

لعَمْري لئِن نابَتْ فَزَارَةَ نوبَةٌ   لَمِنْ حَدَثِ الأيامِ تسجُنُها قَسْرُ
لقد حَبَسَ القَسْريّ في سِجْنِ واسِطٍ   فتىً شَيْظَميّاً لا يُنَهْنِهُ الزَّجْرُ
فتىً لم تورّكْهُ الإماءُ ولم يكُنْ   غداءً له لحمُ الخنازيرِ والخمرُ[1]

فقال ابن هبيرة : ما رأيت أكرم من الفرزدق هجاني أميراً ومدحني أسيراً ، وكان الفرزدق هجا ابن هبيرة فقال في أيام يزيد : [من الوافر]

أميرَ المؤمنينَ وأنتَ عَفٌّ   كريمٌ لستَ بالطبعِ الحَريصِ
أأَطعمتَ العِراقَ ورافدَيْهِ[2]   فَزَاريّاً أحدَّ يدِ القميصِ
ولم يَكُ قبلَها راعي مَخَاضٍ   لِتَأْمَنَهُ على وَرْكَي قَلوصِ[3]
تفهَّقَ بالعِراق أبو المثنّى   وعلّم قومَهُ أكلَ الخَبيصِ

وقال في بعد هذا الشعر : [من الطويل]

يلينُ لأَهلِ الدّينِ من لينِ قلبهِ   لَهُمْ وَغَليظٌ قلبُهُ للمُنَافِقِ

فقال خالد : فأين أبو فراس[4] وطمع في أن يقع في يده فيعاقبه فحذره الفرزدق .

قالوا : وكتب هشام إلى خالد في عذاب ابن هبيرة والاستقصاء عليه .

وروي عن الصعق بن حزنٍ أنه قال : رأيت خالداً لما قدم العراق

---

(١) يعرّض بخالد أنه يأكل لحم الخنازير ويشرب لأن أمه كانت نصرانية .
(٢) رافدي العراق : دجلة والفرات .
(٣) القلوص : الناقة والورك مؤخر الفخذ يعرّض بابن هبيرة الفزاري لأن بني فزارة كانت ترمى بإتيان الإبل .
(٤) أبو فراس : كنية الفرزدق .

يعذب عمر بن هبيرة ، فأُخرج يوماً من السجن وعليه عباءةٌ فألقي فتكشف فنظرت إليه وقد رفع أصبعه إلى السماء يدعو فعلمت أنه سينجو .

وقال أبو عبيدة حدثني خالد بن جبلة بن عبد الرحمن عن أبيه ، قال : كنت مع ابن هبيرة في حبس خالد ، وكان ابن هبيرة قد حدّثني قبل ذلك ، فقال : يا جبلة إن الحَفِيظَةَ تذهب الحقد ، وقد أمرت مواليَّ أن يحفروا لي وهم منتهون إليّ الليلة ، فهل لك في الخروج ؟ قلت : لست فاعلاً ، قال : فأشرْ عليَّ ، قلتُ : لا تخرجنّ من دار قوم ، قال : لا ، وكان أمر مولىً له فاستأجر داراً إلى جانب السجن واتّخذ فيها ألف نعجة فكانوا يحفرون الليل ويفرشون التراب في الدار فيصبح الشاء قد رطّبته ولبّدته بأبوالها ، فأفضوا بنقبهم إلى جبلة ، فقال لهم : لست بصاحبكم فأتوا عمر بن هبيرة فقام حتى دخل النقب فخرج منه ، وكان جبلة أشار عليه أن يقدّم كتاباً إلى هشام ويبعث معه رسولاً ، فوجّه بكتابه أبا الفوارس الباهليّ الأعرج ، فقدم به الرصافة غدوة وقدم ابن هبيرة عشيّة .

المدائني قال : سمع ابن هبيرة في طريقه امرأة من قيس تقول : لا والذي أسأله أن ينجي ابن هبيرة ، فقال : يا غلام اعطها ما معك واعلمها أني قد نجوت .

ولما فقد الحرس ابن هبيرة من السجن أخبروا خالداً ، فوجه على أثره سعيد بن عمرو الحرشي ، لأن ابن هبيرة عزل سعيداً عن خراسان وضربه حين قدم عليه مئة سوط ونفخ في دبره بكيرٍ وحبسه ، فكان سعيد بن عمرو إذا ذكره قال : قبّح الله ابن هبيرة فإنه أوهى مني بصراً حديداً وساعداً شديداً ، فلم يزل محبوساً حتى قدم خالد فأكرمه ، فلم يقدر سعيد على ابن هبيرة فتركه خالد وتمّ على وجهه إلى الشام .

وقدم ابن هبيرة فأشارت عليه قيس بأن يستجير بأمّ حكيم بنت يحيى

امرأة هشام ، فقال : امرأة ، قالوا : استجر بأبي شاكر مسلمة بن هشام ، قال : صبيّ ولكني أستجير بأبي سعيد مسلمة بن عبد الملك ، قالوا : أتستجير به وقد وُلّيت ما كان يليه ولم تبق عليه ، فقال : هو كريم وسيجيرني ولا يسلمني أبداً ، فتوجّه إليه ومعه وجوه القيسيّة ، فلما رآه مسلمة كره مصيره إليه ، وانطلق إلى هشام فكلّمه فيه وقال : هذا رجل خاف تحامل خالد عليه للمضريّة ، فأمّنه هشام على أن يؤدّي ما طولب به فأداه .

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : كنا في رصافة هشام ومعنا مسلمة بن عبد الملك وسليمان بن هشام وابن هبيرة ، فخرج علينا رسول هشام ، فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن تتلقّوا أبا الهيثم خالد بن عبدالله و كان قدم على هشام للسلام عليه ومناظرته في أمور لم تحتملها المكاتبة والرسل ، وحمل معه أموالاً وألطافاً ، فقال ابن هبيرة : وأنا أيضاً ، قال : ما أراد أمير المؤمنين غيرك ، فركب الناس لتلقيه وركب ابن هبيرة بغلته ، قال عبد العزيز : فسرنا حتى لقينا خالداً فسلم علينا وسلمنا عليه ، فلم يسلم خالد على ابن هبيرة فتقدّم على بغلته ، فصاح خالدٌ : إباقاً كإباق العبد ، قال ابن هبيرة ، أنوماً كنوم الأَمَة ، ويقال إنه قال له : أبقت إباق العبد ، فقال له : نعم حين نمت نوم الأمة .

وقال الفرزدق في هرب ابن هبيرة : [من الطويل]

[و] لمّا رأيتَ الأرضَ قد سُدَّ ظَهرُها فلـم تَـرَ إلا تحتَهـا لـكَ مخـرَجـا
دعوتَ الذي ناداهُ يونسُ بَعدَما هَوى في ثلاثٍ مُظلماتٍ ففرَّجا
خرجتَ ولم تمنُنْ عليكَ شَفَاعَةٌ سوى ربد التقريبِ من آلِ أعوَجا
وَظَلماءَ تحتَ الليلِ قد خُضتَ هَوْلَها ولـونـاً كلـونِ الطَّيْلَسـانـيِّ أدعَجـا
همـا ظُلْمَتـا ليـلٍ وأرضٍ تـلاقَيـا على جامحٍ من همِّهِ ما تَعوَّجا

وقال : [من البسيط]

قد ضَيَّع السّجنَ والتضييعُ عادَتُهُ حتّى نَجا سالماً من سجنِهِ عُمَرُ
وأُنقفَتْ من قُوى القَسْريّ مِرَّتُهُ وَأُحْكِمـتْ بجبـالٍ غيـرِهـا مِـرَرُ

ويروى وأحصدت . .

وقال أيضاً : [من الطويل]

ألا قَطَـعَ الـرحمـنُ ظهـرَ مطيَّـةٍ أتَتْنا بخَطْـوٍ مـن دِمشـقَ بخـالِـدِ
وكيفَ يَؤُمُّ الناسَ مَنْ كانَ أمُّهُ تَـديـنُ بـأَنَّ الله ليـسَ بِـواحِـدِ

قال : وجلس هشام لينظر فيما بين هبيرة وسعيد بن عمرو الحرشي وتظلّم سعيد منه ، فخرج الربيع بن شابور مولى بني الحريش وهو حاجبه ، وقال : عمرو سعيد لا يقم غيرهما فقال سعيد : ولاّني خراسان ففعلت ما يجب عليّ وأحمدني أهل البلاد ، فكافأني بأن ضربني فأوهى بصري وأخذ مالي ، فقال هشامٌ : ما تقول يا عمر ؟ قال : وُلّيتُ العراق فوجدت هذا صعلوكاً ليس له إلا فرسه ورمحه لا يعرفه أحدٌ إلا أن له حظّاً من نجدةٍ ، فولّيته البصرة ثم عزلته وولّيته خراسان ، فسرق الفيء واحتجنه[1] ولم يبعث إليّ إلاّ ببرذونين حطمين فعزلته وضربته وأخذت ماله فوضعته في بيت المال ، فقال : ألك يا سعيد حجّة غير ما ذكرت ؟ قال : لا ، قال : وأنت يا عمر ، قال : لا ، قال : فليمسك كل واحد منكما عن صاحبه حتى يرى أمير المؤمنين رأيه فأمسكا .

ابن هبيرة يعزي الوليد بن يزيد فيكون سبب موته :

١٥٠ ـ قالوا : ولما قدم ابن هبيرة على هشام وأمّنه كاده الأبرش

---

(١) الحَجَنُ والحُجْنة والتحجن : اعوجاج الأمر ـ اللسان ـ .

الكلبي وأصحاب خالد بن عبدالله ، فأعدّوا مئةً من خيل المضمار بسيّاسها وقوَامها فقدّموها وأضمروها وأمروا مجريها أن يعارضوا بها هشاماً إذ ركب يوماً ، فعورض بها فسأل عنها ورأى خيلاً لا يعرفها لنفسه ، فقالوا : هذه لابن هبيرة فاستشاط غضباً وقال : واعجباً اختان ما اختان ثم قدم فوالله ما رضيت عنه بعد وهو يوائمني في الخيل ، عليّ بعمر فدُعي به وهو يسير في عُرض الموكب ، فجاء مسرعاً وقد بلغه الخبر فقال له هشام : ما هذه الخيل ؟ فقال : خيلٌ يا أمير المؤمنين اخترتها وطلبتها من مظانّها حتى جمعتها لك فمُرْ بقبضها .

وكان ذلك سبب نقاء قلبه له وانشراح صدره بالرضا عنه ، ثم لم يزل عمر يتأتى لهشام حتى أنس به فقال له يوماً : هل لك في أمرٍ لم يطمع فيه أحد ولم يعرضه عليك قبلي أحد ؟ قال : وما هو ؟ قال : اعمل لك من قبل الوليد بن يزيد في البيعة لمسلمة بن أمير المؤمنين ، قال : أو تفعل ؟ قال : نعم ، قال : فإن فعلته ولّيتك العراق .

فأتى ابنُ هبيرة الوليدَ فقال له بعد حديث طويل جرى بينهما : أيها الأمير لم تزل تلقى مثل ما تلقى من هذا الأحول فيك قد علم خؤولتنا[١] لك وميلنا إليك فهو يجرّعنا الغيظ بسببك لتصغيره إيّاك مرّةً وتهدّده مرّةً ، ولست آمنة عليك ، فإن أذنت لي عملت لك في أمرٍ تتعجل نفعه وتأمن به ، ثم الأمر فيه إليك ، قال : وما هو ؟ قال : تدعو هشاماً إلى أن تعقد الأمر بعدك لابنه أبي شاكر ونتعجّل لك منه مالاً رغيباً جليلاً ، فإن حدث بهشام حدث نظرت في أمرك فإن شئت خلعت مسلمة وعقدت الأمر لمن

---

(١) أم الوليد بن يزيد هي أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي فهي ثقفية وثقيف قيسية ومن هنا جاءت خؤولة قيس للوليد بن يزيد .

أحببت ، فقد علمت طاعتي في قيس وهم أخوالك فالأمر منته إلى ما رأيت وأردت ، قال : أفعل ، فأتى [٦٨/٥٧٠] هشاماً فقال : قد حكمتُ الأمر فهات العهد على العراق فإذا بويع لمسلمة مضيت فأعطاه عهداً .

وكان خالد يخاف ابن هبيرة خوفاً شديداً ، فيقال إنه دسّ رجلاً فضرب مضرباً في طريق ابن هبيرة إلى هشام ، فلما مرّ به قام إليه فقال : أنا مولاك وقد لغبت[١] فهل لك في شربة عسلٍ تخوّض بماء بارد فشربها ثم نهض يريد منزله وقوّض الرجل مضربه وانشمر ، ومات ابن هبيرة من يومه ، ويقال إنه فُلج فمات .

وقال المدائني : كان يقال رجل أهل الشام عمر بن هبيرة ، ورجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدي[٢] ، ورجل أهل الكوفة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فذكر ذلك لعمر يزيد ، فقال : صدقوا ولكن بلالاً لأخيّة[٣] ، فقيل ذلك لبلال ، فقال : رمتني بدائها وانسلت .

وقال المدائني : لما تولّى خالد بن عبدالله العراق ولّى البصرة أبان بن ضُبارة من أهل اليمن ثم عزله ، وولّى عقبة بن عبد الأعلى الكلاعي من أهل الشام ثم عزله ، وولّى عامر بن نُفَيل الكلاعي أو الكلابي ، فكلّهم كانوا على الصلاة بالبصرة ، وعلى الشرط والأحداث مالك بن المنذر بن الجارود العبدي[٤] من قبل خالد .

---

(١) اللغب : شدّة العطش .

(٢) الأسيدي : هذا ما يصدق قولي في حاشية سابقة عندما ذكره بالأسيلمي فصححته بالحاشية وقلت الأسيدي .

(٣) الأخُّ : القذر ـ اللسان ـ .

(٤) العبدي : يقال العبدي بدلاً من عبد القيس أي من قبيلة عبد القيس .

وقال المدائني : أُخذ الفضلُ بن بُرْجانَ اللِّصُّ العطاردي[1] من بني تميم ، أَخذه شُعَيب بن الحبحاب[2] الفقيه في العتيك فرفعه إلى مالك بن المنذر فضربه حتى مات ، ثم صلبه ، وأخذ مالك بن المنذر سهماً الصبِّيري أحد بني صُبير بن يربوع بن حنظلة فقتله ، وكان سهم لصاً وقتل جماعة من اللصوص ، فقال خليفة الأقطع : [من البسيط]

إن كنتِ لم تَسْأَلي سَهماً وصاحبَهُ عن مالِكٍ فَسَلي فَضْلَ بنَ بُرْجانِ

في أبياتٍ .

وذكروا أن ابن المنذر سأل الحسن[3] عن امرأة عذّبت جاريتها حتى ماتت ، فأمره أن يعزّرها ولم يَرَ عليها قوداً .

حدثني عمر بن شبّة وغيره عن أبي عاصم النبيل ، قال : صلى مالك بن المنذر في ثوب رقيق ، فقال له البتي : لا تصلّ في ثوب واحد رقيق ، فلما ولي أرسل إليه فضربه عشرين سوطاً ، فقال : علامُ تضربني ؟ قال : لأنك تأمر الناس أن لا يصلّوا إلا في الجباب .

قالوا : وبعث مالك إلى الحسن : ما هذه الجموع لئن جلستَ مجلسك لأضربّنك ثلاثمئة سوط ، فقال : يكفيني من ذلك سوطان ، فجلس في بيته وأمسك عن ذكر الأمراء .

---

(١) العُطاردي نسبة إلى عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدس بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك (غَرْف) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) شعيب بن الحَبْحاب الأزدي المَعوَلي مولاهم أبو صالح البصري وقيل هو مولى لبني زُفر بطن من المعاول .

(٣) الحسن يعني الحسن البصري .

ما فعل مالك بن المنذر بن الجارور بعمر بن يزيد :

١٥١ حدثني خلف عن عبد الوارث عن محمد بن ذكوان ، قال : كان مالك بن المنذر عل الشرط فضرب ثابتاً البناني وشتم الحسن ، وقال : اعتزل مسجدنا وإلا ضربتك مئة سوط على ظهرك وبطنك فإنك تعيب أمير المؤمنين والأمير وتحرّم القبالات[١] .

المدائني قال : كتب مالك بن المنذر إلى خالد يذكر له أمر الحسن وعيبه الأمراء ، فكتب إليه : إنك لست من الشيخ في شيء فالهُ عن ذكره وإيّاك أن تعرض له ، فأتاه رسول مالكٍ ، فقال له : إن أبا غسان يقرئك السلام ، ويقول : إن رأيت أن تأتي المقصورة ، فجعل يقول إن أبا حدى يقرئك السلام ويقول : إن رأيت أن تأتي المقصورة فافعلنْ يردّد ذلك ثلاثاً لالالا . ثم دخل على مالك فوعظه ، وقال : اتقّ الله ولا تترجح في هذه الأماني فإن أحداً لم يُعط شيئاً بالنيّة دون عملٍ .

وقال هشام بن الكلبي : ضرب مالك عمر بن يزيد الأُسَيدي بالسياط حتى قتله .

قالوا : وكان عمر لمالك صديقاً ، فوشى به بالكوفة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن في أيامه فأزعجه من عنده ، ووشى به إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك حتى أزعجه ، ثم وشى به إلى مسلمة بن عبد الملك فلم يقبل منه ، فلما رأى عمرُ أن مسلمة لا يقبل منه صالح مالكاً ، فلما ولي مالك أحداث البصرة ذكر عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر فنفاه من أبيه وعنده عمر بن يزيد ، وحفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر وغيره ، فأتى عمر بن يزيد عبد الأعلى فأبلغه

---

(١) قَبِلتُ به قَبَالة فأنا به قبيل : أي كفيل ـ اللسان ـ .

قول مالك ، وقال : أنا أشهد لك عليه ، فشخص عبد الأعلى إلى خالد وهو بواسط وأشخص معه عمر بن يزيد ، وحفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر ، فشهدوا على مالك بما قال ، فكذّبهما خالد وتهدّدهما ، وقال لعمر بن يزيد : أنا أعرف شرارتك ومحكك وحبسه عنده ، ودسّ شهوداً فشهدوا أنه يشرب الخمر ، فضربه خالدٌ حدّاً ، وحدره إلى مالك فضربه بالسياط حتى وقذه[1] ، ثم أمر به فحمل إلى السجن فلويت عنقه فمات ، وادُّعي أنه مصّ خاتمه فمات ، وإنما أشاع ذلك أصحاب خالد ، فلما مات عمر جزعتْ بنو تميم وتنمّرت لربيعة ، وحَدَبت ربيعة على مالك ومالت إليه ، واشرأبّ الناس للفتنة فقمعهم السلطان .

وحدثني عمر بن شبّة حدثني أحمد بن معاوية عن المنتجع ، قال : دخلت على عمر بن يزيد بن عمير السجن ، فقال : ما فعلت داري ؟ قلتُ : هُدمت ، قال : فنخلي ؟ قلت : قطع ، قال : ما أهون ذلك عليّ إن سلمت نفسي .

المدائني عن سحيم بن حفص ، قال : قال الحسن إن مالكاً قتل عمر بن يزيد ليعزّ فلم يزده الله إلا ذلاً ، وإن عمر بن يزيد قتل شهيداً .

وكان مالك شاور بشير بن عبيدالله بن أبي بكر وعمرو بن مسلم الباهلي في أمر عمر بن يزيد ، فقال له بشير : إن قتلته قتلت عصفوراً وإن تركته تركت أسداً وقال عمرو : اقتله ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

[و] للهِ قومٌ شاركوا في دِمائِنا وكنّا لهم عوناً على العَثَراتِ
فجاهَرَنا بالغشِّ عمرو بنُ مُسلمٍ وأوقَدَ ناراً صاحبُ البَكَراتِ

---

(١) وقذه : ضربه حتى أشرف على الموت .

وقال الفرزدق : [من البسيط]

يـــا لَتميـــــمٍ ألا للهِ أمّكُـــــمُ لقد رُميتم بإحدى المُصمَئلاتِ[1]

فاسْتَشْعِروا ثيابَ الذُّلِّ واعترَفوا إن لم تَروعوا بَني أفصى[2] بغاراتِ

أو تَقْتلُـوا بفَتَـى الفِتيـانِ قـاتِلَـهُ أو تُقتلُـوا بصَعيـدٍ غيـرَ أشْتَـاتِ

لله دَرُّ فتـىً راحـوا بـهِ أُصُـلاً مُهشَّـمَ الـوَجْـهِ مَهْتُـومَ الثَّنِيّـاتِ

ما حدث بعد قتل عمر بن يزيد

١٥٢ ـ فخرجت رجال تميم وخرجت عاتكة[3] بنت الملاءة امرأة عمر فدخلت على امرأة هشام فجعلت لا ترى معها شيئاً حسناً من جارية أو غيرها إلا قالت : ما أحسن هذا ، فتقول : هو لك فلما جهدت وجهد القوم نزلوا على عثمان بن حيّان المريّ ، قالت ابنة الملاءة فأتيناه وهو في مزرعة له فشكونا إليه أمرنا ، فقال : قد والله بلغنا أمركم فساءنا وأحفظنا ولبس ثيابه ثم أقبل معنا إلى هشام ، وكان لا يُحجب عنه وأطفنا به فصاح عثمان : قبّح الله طاعة لا تُعرف لأهلها ونصيحةً لا تشكر لمن عُرف بها فأسمع هشاماً .

---

(١) المصمئلات : من الصمم وهي الدواهي .

(٢) بنو أفصى : يقصد قبيلة عبد القيس لأن مالك بن المنذر بن الجارود من عبد القيس بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار . ديوان الفرزدق : ج١ ص١٠٧ طبعة دار صادر .

(٣) عاتكة بنت الملاءة كانت امرأة ماجنة فقد ذكر صاحب العقد الفريد : ج : ٤ ص : ٥١ التالي : قالت عاتكة بنت الملاءة لرائض دواب زوجها في طريق مكة : ما وجدتُ عملاً شراً من عملك ، إنما كسبك بإستك ! فقال لها : جعلت فداك ، ما بين ما أكتسب به وما تكتسبين به أنت إلا أصبعان ، قالت : ويلي عليك ! خذوا الخبيث ، فطلبه حَشَمُها ففاتهم ركضاً .

فخرج الخدم يقولون : من هذا ؟ فقيل عثمان بن حيان ، فدخلوا فأعلموا هشاماً ثم خرجوا فقالوا : ليدخل عثمان فدخل وأعلم هشاماً وكلّمه ، فقال هشام : ويحك أتتهمني في أمر عمر والله لولا أن السماء والأرض قامتا بالعدل لقتلت قاتل عمر وعشيرة قاتله ، ثم أقبل على الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص وقال : ما رأيتُ الرجل الصبيح الفصيح عمر بن يزيد بن عمير الأسَيّدي فإنه قتل والله ما كنت أحبّ أن أمي ولدت رجلاً من العرب غيره ، قال : يا أمير المؤمنين فمثل هذا يقتل دونك ، قال : قد كتبت في حمل قاتله .

قالت عاتكة بنت الملاءة فقدمنا ومالك قاعدٌ على ضفّة النهر ، فأخبر بمقدمنا ومقدم رسول هشام معنا فركب سفينة ثم أتى الكوفة ، فلم يفارقه الرسول حى حمله إلى هشام .

حدثني عمر بن شبّة عن أبي عاصم النبيل ، أخبرني العُذَافر بن زيد ، قال : لما قدم مالك بن المنذر واسطاً أثبته أنا وأبي ، فجاء رسول لأمير المؤمنين فكلّمه على باب خالد ، فقال : يا دُكين اكسر أنفه فقام وكسر أنفه ، فدخل الرسول على خالد فقال : كسر أنفي على بابك فقال : مَالَكَ له يا مالك ، قال : منعني الدخول ، فلما أراد الخروج ، قال : ما يسرّني أن الله عافاني من النقرس ورجّعني من وجهي سليماً وأني لم أكن فعلت به الذي فعلت .

قال المدائني : قال لما قتل مالكٌ عمرَ دَلَهَ [1] أو كاد يدله حتى يسلك الطريق من طرق البصرة ، فيقول : أين أنا ، وكان عمر يقول لما ضربه مالك : يا هشام ، يا هشام ، وقال الفرزدق : [من الوافر]

---

(١) دَلَه يدله دلها : فقد عقله ـ اللسان ـ .

أَلـم يَـكُ قَتْلُ عَبْـدِ القيـسِ ظُلْمـاً أبـا حَفْـصٍ مِـنَ الكِبَـر العظِـامِ
قتيـلُ جَمـاعَـةٍ فـي غيـرِ جُـرْمٍ يُنادي وَهْوَ يُضرَبُ يا هِشَامُ[1]

المدائني وغيره ، قالوا : أُدخل مالك بن المنذر على هشام ، فقال : لا مرحباً ولا أهلاً لا قربّ الله دارك ولا سَهّل محلتك ، أقتلت عمر بن يزيد فوالله لهو كان خيراً منك حسباً ونسباً وريشاً وعقباً ، فقال مالك ، ولِمَ يا أمير المؤمنين ألستُ ابن المنذر بن الجارود ومالك بن مِسْمع ، فأمر به فوجئت عنقه ، ثم أمر بحبسه وإثبات البيّنة عليه فمات بالسجن ، فيقال إن القيسية دسّوا إليه من قتله في السجن ويقال مصّ خاتمه ويقال مرض فمات حتف أنفه . وقال الفرزدق [٦٨/٥٧١] : [من الطويل]

لئِنْ مالكٌ أَمْسى قد انشعَبَتْ بهِ شَعُوبُ التي يؤدَي بها كلُّ ذاهِبِ
وإنْ مـالِـكٌ أمسى ذَليـلاً لطَـالَمـا سَعَى في الَّتي مَنْ صادَفَتْ غيرَ آيِبِ

في أبيات ، وقال أيضاً : [من الطويل]

أَلـم تَـرَ أَنَّ الله ربّـي بِحَـوْلِـهِ وَقُـوَّتِـهِ أَخْزَى ابـنَ عَمْـرَةَ مـالِكـا
فمـن يَـكُ عَنْـهُ سـائِـلاً بِصَنيعِـهِ فقد ظَلَّ في أَرضِ الرُّصافَةِ هالِكا
تَظَـلُّ الضّبـاعُ العَـاديـاتُ يَنُشْنَـهُ إذا جَنَّ مُسْوَّدٌ من اللّيلِ حَالِكا

فقال أبو اليقظان : كان مالكٌ حبس الفرزدق ، وذلك أن خالداً حين كان على مكّة من قبل الوليد بن عبد الملك ضرب محمد بن ظلمة بن عبيد الله أو عبد الله بن شيبة[2] مئة سوط ، فكتب سليمان بن عبد الملك إلى طلحة بن داود الحضرمي وكان على قضاء مكة يأمره أن يقصّه منه ، فضربه مئة سوط فمرّ به الفرزدق وهو يُضرب ، فقال له : اضممْ إليك

---

(١) إقواء : انتقل في حركة الروي من الكسر إلى الضم .
(٢) الأصح عبدالله بن شيبة ، لأن محمد بن طلحة قتل في وقعة الجمل .

جناحيك يا بن النصرانيّة ، وقال : [من الطويل]

لَعَمري لقد صُبّتْ على ظهرِ خَالدٍ شآبيبُ ما استهْلَلْنَ من سَيَل القَطْرِ
لعمري لقد صالَ ابنُ شيبَةَ صَولةً أرتْكَ نجومَ اللّيلِ مُظْهِرَةً[1] تَجري
أتضربُ في العِصيانِ تزعُمُ مَنْ عَصَا وتعصي أميرَ المؤمنينَ أخا قَسْرِ
فَنفسَكَ لُمْ فيما أتيتَ فإنَّما جُزيتَ جزاءً بالمحدرجّة[2] السُّمْرِ
ولولا يزيدُ بنُ المهلَّبِ حَلَّقتْ بكفّيكَ فَتْخاءُ[3] الجناحِ إلى الوكرِ

قالوا : وكان سليمان أمر بقطع يده فسأله يزيد أن يُضرب كما ضَرب الرجلَ .

وقال هشام بن الكلبي : هو عبيدالله الأعجم بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ضَربه القسري فضُرب به ، وقال الفرزدق : [من الطويل]

سَلُوا خالداً لا أَصْلَحَ الله خالِداً متى وَلِيَتْ قَسْرٌ قريشاً تَدينُها
أبعدَ رسولِ الله أَمْ قبلَ عَهْدِهِ أَمْ أَضْحَتْ قُريشٌ قد أغثّ سمينُها
أردْنا هُداهُ لا هدى الله قلبَهُ وما أمُّهُ بالأُمِّ يُهدى جَنينُها

وكانت أم خالد سوداء نصرانيّة ، فكتب خالد إلى مالك : خذ الفرزدق فإنه هجا نهر أمير المؤمنين ، فأمر مالك أيوب بن عيسى الضّبيّ فتلطّف له حتى أخذه ، فلما قيل لمالك قد أخذ الفرزدق انتفخ وريده غضباً ، فلما وقف بين يديه أنشده قوله : [من الطويل]

أقولُ لِنَفسي حينَ غَصَّتْ بِريقِها ألا لَيْتَ شِعري ما لها عندَ مالِكِ

---

(١) مظهرة : وقت الظهر .
(٢) المحدرجة : السياط .
(٣) الفتخاء : العقاب .

لهـا عنـدَه أَنْ يُـرجِـعَ الله روحَهـا　　إليهـا وتَنْجَـو مـن عَظَـامِ المَهـالِـكِ
وأنــتَ ابــنُ جَبَّـارَيْ ربيعَــةَ أَدْرَكـا　　بك الشمسُ في الخضراءِ ذاتِ الحبائِكِ

قال : فسكن غضبه وأمر به إلى السجن ، فقال وهو بالسجن :

[من الطويل]

رأيــتُ أبـا غســانَ علَّـقَ سيفَـهُ　　على عاتقٍ شَغْبٍ على مَنْ يُشاغبُهْ
تَرى الناسَ كالدَّمعَى له وقلوبُهم　　تَنَزَّىٰ وما فيهمْ غريبٌ يُخاطِبُهْ
أَذَلَّ بِـهِ الله الّـذي كـانَ ظـالمـاً　　وعـزّ بِـهِ المظلـومُ واشتـدَّ جـانبُـهْ
وقد عَلِمَ المِصرُ الّذي ضاعَ أَنَّهُ　　سيَحمي وتَمشي بالسُّيوفِ كتائبُهْ

وقال في السجن :　　[من الكامل]

يا مالِ[1] هل لَكَ في كبيرٍ[2] قد أَتَتْ　　تِسعـونَ فـوقَ يـديـهِ غيـرَ قَليـلِ
يـا مـالِ هَلْ هـو مُهلكي مـا لـم أَقُـلْ　　وَلَيُعْـرفَـنَّ مــن القصـائِـدِ قيلـي
لا تـأخـذنَّ علـيَّ قـولَ مُحـرّشٍ[3]　　أَبَـوْيـكَ مُحتـرسٌ لكـلِّ مَحُـولِ

وأم مالك عمرة بنت مِسْمع ، ولم يطلقه حتى حبس عمر بن يزيد معه ، ثم قتله وأشاع أنه مصّ خاتمه فمات فقال الفرزدق :　　[من الطويل]

لَقَد قيلَ قَدْ مَصَّ الأُسَيْدِيُ خاتماً　　وقـد دُقَّ منـه عَظمُـهُ ومَفَـاصِلُـهْ
وإنـي لأَخْشـى مثلَهـا منـهُ إنَّـهُ　　إذا عَلِقَــتْ أنيـابُـهُ وحَبـائلُـهْ
بقَرنٍ أصابَ القلبَ منهُ بمخلبٍ　　تـرمَّـل منـه أَنفُـهُ وجَحـافِلُـهْ

فلما حمل مالك ، قال الفرزدق :　　[من الطويل]

سَتَعلَمُ عبدُ القَيْسِ إنْ زالَ ملكُها　　علـى أيِّ حـالٍ يَستمِرُّ مـريـرُهـا

---

(١) يا مال : منادى مرخم . والأصل : يا مالك .
(٢) في الديوان : أسير .
(٣) في الديوان : محدث .

وكانَ يُجيرُ الناسَ من سَوْطِ خالدٍ فأصبحَ يبغي نفسَهُ مَنْ يُجيرُها
وكنتَ كعَيْنِ السوءِ قامَتْ لحينها إلى مُدْيَةٍ مدفُونَةٍ يَسْتَثيرُها

وقال الفرزدق : [من الطويل]

وزهَّدني في شرْطَةِ المِصْرِ أَنّني رأيتُ عليها مالِكاً عَقِبَ الكلبِ
وما مالِكٌ إلا عجوزٌ كبيرةٌ مضبَّبةُ الأنيابِ توجِفُ في الركبِ

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمركَ ما أشبهتَ جدَّكَ مالكاً ولا جدّكَ الجارودَ يا عَقِبَ الكلبِ

ولم يزل الفرزدق محبوساً حتى ولي النضر بن عمرو ، فقال :

[من الطويل]

ألا طالَ ما رسّفْتُ في قَيدِ مالكٍ فأصبَحَ في رجليهِ قَيدي مُحوَّلا
وأطلقني النضرُ بنُ عمرو وربّما بكفّيهِ قد فكَّ الأسيرَ المكبَّلا

بلال بن أبي بردة على شرط البصرة:

١٥٣ ـ قالوا : ولما هلك مالك ولي لخالد بن عبدالله شرط البصرة بلال بن أبي بردة بن ابي موسى ، وولي صلاتها النضر بن عمرو وذلك في سنة عشرين ومئة .

المدائني عن الوضاح بن خيثمة ، قال : رأيت النضر بن عمرو وبلال بن أبي بردة يمشيان في جنازة الحسن بن ابي الحسن والنضر على الصلاة وبلال على الأحداث .

قال أبو بكر الهذلي : بعثني النضر بن عمرو إلى الحسن أسأله عن يوم عرفة ما كان الناس يصنعون فيه ، فقال : ما لهذا وليوم عرفة ! قلت : إنه لمن خيرهم ، قال : صدقت إنه لمن خيرهم .

قالوا : ذكر الحسن من تقدّم من هذه الأمة ، ثم أقبل على النضر بن عمرو ، فقال : قد أصبحت والله مخالفاً للقوم في هديهم وسيرتهم ، وأنت تتمنى على الله الأماني وتترجح فيها فإن أخاك من صدقك ونصح لك في دينك ، ولمَنْ صدقك ونصح لك في دينك خير لك ممن غشّك وغرّك .

وكان ثمامة بن أنس على القضاء من سنة ست ومئة إلى سنة عشر ومئة .

قالوا : وكتب خالد إلى بلال بعهده على البصرة وولاّه القضاء ، فولّى بلال الأحداث عبد الأعلى من الأزد ، وكان بلال يقضي بين الناس وهو أمير ، فقال رؤبة بن العجّاج : [من الرجز]

بـلال يـا بـنَ الشَّـرفِ الأمْحـاضِ والثـابـتِ النعـلِ علـى الأدحـاضِ
أنــتَ ابــنُ كُــلِّ سَنَــةٍ فَيَّــاضِ وأَنْتَ يا بنَ القاضِيَيْنِ قاضِ[1]
مُعتَــزِمٌ علــى الطــريــقِ مــاضِ

وكان ثمامة موضحاً مخلطاً استعدته امرأة على رجل ولم تقم البينة فأراد إحلاقه ، فقالت المرأة : إنه رجل سوء يحلف فيذهب حقّي ، ولكن استحلف إسحاق بن سويد فإنه جاره ، فأرسل إلى إسحاق بن سويد ليستخلفه ، فقال خلف بن خليفة الأقطع يذكر بلالاً : [من الوافر]

وكنّــا قَبْــلَ مَقْــدَمِــهِ عَلَيْنــا مِــنَ الشَّيــخِ المــولَّــعِ فــي بــلاءِ

يعني ثمامة بن أنسٍ ، ومدح بلالاً رؤبةُ وذو الرمّة ، وكان رؤبة بخيلاً فقال رؤبة لبلال : علام تعطي ذا الرمّة ، والله ما يمدحك إلا بمقطّعاتنا

---

(١) القاضيان : هما جده أبو موسى الأشعري قضى بين علي ومعاوية ، وأبوه أبو بردة كان قاضي .

هذه يعمد إليها فيوصلها ثم يمدحك بها ، فقال : لو لم أعطه إلا على تأليفها لأعطيته .

المدائني : قال : بثق بلال نهر معقل في الفيض ، واحتفر نهر بلال وبنى عليه الحوانيت ونقل إليه السوق وجعله ليزيد بن خالد القسري ، ومدحه الفرزدق فمن شعره : [من الوافر]

وَمَظْلَمَةٍ علَيَّ مِنَ اللّيالي ... جلا ظَلْماءَها عَنّي بِلالُ
بخير يمينٍ[1] مدعوٍّ لخيرٍ ... تُعاوِنُها إذا نَهضَتْ شِمالُ
تَرى الأبصار شاخصةً إليهِ ... كما ينظرنَ حينَ يُرى الهِلالُ

حدثنا عمر بن شبّة عن أبي عاصم النبيل ، قال : قال يزيد بن طلحة الطلحات لبلال واستبطأه في عيادته وعاد الزعل الجرميّ[2] : [من الوافر]

أَفي حُمَّى بِلالٍ زُرْتَ جَرماً ... وتترُكُ شَيْخَ قومِكَ يا بلالُ

قال عاصم : أوصى يزيد فجعل للإناث من ولده مثل ما للذكور ولعن في وصيّته من غيّرها ، فأتى بها بلال فقال : أنا أول من غيّرها فعلى يزيد لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

حدثنا عباس بن هشام الكلبي عن خراش بن إسماعيل ، قال : ولّى خالدٌ بلالاً البصرة فانحدر إليها ابن بيض[3] وكان له صديقاً ، وأقام على بابه أياماً لا يؤذن له ، فكتب إليه : [من البسيط]

---

(١) هذا الشطر مكسور ، ويصح لو قلنا : يَمينُ الخيرِ مدعوٌّ لخيرٍ .

(٢) الجرميّ : نسبة إلى جرم بطن من قضاعة وهو جَرْم بن زبّان (عِلاف) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

(٣) ابن بيض : هو حمزة بن بيضٍ الحنفي شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كوفيّ خليع ماجن ، وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بردة ، الأغاني ج :١٦ ص١٤٣ ط : ثقافة بيروت .

قُـلْ لـلأميـرِ جَـزَاهُ الله صـالِحـةً   أهل التُّقى والّذي يَحْيَا بِهِ الدّينُ
يا هَلْ تَرى حَرَجاً في شُرْبِ خابيَةٍ   صَهْباءَ يُكسَرُ عن خُرطومِها الطّينُ
وهَلْ ترى حَرَجاً في نَيْكِ أَرْمَلَةٍ   مِسْكينَـةٍ نـاكَهـا قَـومٌ مَسَـاكيـنُ

فلما قرأها ، قال : هذا والله ابن بيض أدخلوا الفاسق ، فلما دخل عليه ، قال : والله يا فاسق ما كنتُ لأصل إليك إلا بالشرّ .

وأرسل بلال علي بن يزيد إلى هند[1] بنت المهلب يخطبها ، فقالت : ما لي عنه رغبة وهذا كتاب خالد بن عبد الله يخطبني ولو أردت التزويج ما عدوته .

المدائني ، قال : كتب خالد بن عبدالله إلى بلال : أن ولِّ نصر بن حسان العنبري[2] ولايةً ، فأرسل إليه بلال يدعوه ، فقال للرسول : قل له أصلي ثم آتيك ، فقال للرسول : قل له إن الذي كنت تصلّي له قد جاءك فدعْ الصلاة وأقبل .

وقال رجلٌ من بني صُبَيْر[3] : جيء بابن عون إلى بلال فتحدثنا بيننا أنه إنما جيء به بسبب قتادة ، فجاء قتادة فقام إليه ابن عون ، فقال : يابا الخطاب اتق الله فقد وجدتها بدار مَضْيعةٍ :   [من البسيط]

تَعْدُوا الذئابُ على مَنْ لا كلابَ لَهُ   وتتّقي صَولَةَ المستأسِدِ الحامي

[٥٧٢/٦٨]ثم لم نلبث أن دخلنا على بلال ، فقال لنا : اخرجوا فبقي ابن عون وقتادة ، فقال له بلال : طلّقها ، قال : هي طالق ، قال : طلّقها

---

(١) هند بنت المهلب كانت تحت الحجاج بن يوسف وطلقها حينما ولولت عندما سمعت صوت أخيها يزيد يعذبه الحجاج .
(٢) نسبة إلى العنبر بطن من تميم وهو العنبر بن عمرو بن تميم .
(٣) بنو صبير من تميم وهو صُبير بن يربوع بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

ثلاثاً ، قال : واحدة تبينها مني ، قال : أتعلمني وأنا ابن أبي موسى[1] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فهي طالق ثلاثاً ، قال : يا با الخطاب في هذا شيء أكثر من هذا ؟ قال : قد كانت الولاة تؤدّب في هذا أو قال : تعذر في هذا السوطين والثلاثة ، فأمر بضربه ونحن نراه فضربه أربعة وأربعين نعدّها ثم خرج والدمّ يسيل .

قال أبو عبيدة أخبرني يونس بن حبيب ، قال : زعم بلال أنه لو كان مكان أبي موسى ما خدعه عمرو بن العاص ، وقد خدعه يوسف[2] بن عمر مجنون من ثقيف : كتب إليه لا سبيل عليك إنماولّيت الصلاة والقضاء فأقم بمكانك وخذ العمال قبلك بالاستخراج ، فأقام واستخرج له ما أراد ثم عدا عليه فحبسه حتى مات في حبسه .

بلال كان بخيلاً في طعامه :

١٥٤ ـ قالوا : وكان بلال إذا غربت الشمس أو كادت تغرب وضَع طعامه فإذا مدّ الناس أيديهم نُودي بالصلاة فقام وقاموا ، فنودي مرة بالصلاة وقتادة يأكل فلم يقم ولم يقم رجل آخر معه فلحظه ، قال الرجل : فلم يؤذن لي بعد ذلك أشهراً ، ثم أن امرأتي استعدت عليّ وادّعت أنني أضربها وأضرُّ بها ، فقال : صدقت وضربني أربعين سوطاً ، وإنما ضربني لأكلي طعامه مع قتادة ، وكان الناس يتفرّقون عن طعام بلال للصلاة فيأخذه العبيد والخدم فكان من حوله يشترون ذلك فكان من قرب

---

(١) في أصل مخطوط استنبول أبو يوسف وهو خطأ من الناسخ .

(٢) يوسف بن عمر ولي العراق بعد خالد بن عبدالله وهو الذي عذّب خالد حتى مات تحت العذاب وكان أحمق خلق الله له لحية تجاوز سرّته وكان أقصر خلق الله وكان يأتي الخياط ويطلب منه ثوباً طويلاً ليوهم الناس أنه طويل وعندما أُخذ كان يجلس مع النساء فاستخفى بينهم على أنه امرأة ونسي نعله بجانبه .

منه يقولون : ما رأينا جاراً خيراً من بلال .

وقال بكر بن حبيب الباهلي : كلّمتُ بلالاً في حاجة ، فقلت : أنت في كرمك وعدلك أحقّ من فعل هذا ، فقال : وأنت في بلاغتك وفصاحتك لا تنقلب اليوم بحاجاتك ، فقلت : لو علمت أن اللحن يتنفعني عندك لخضرمتُ خضرمة أبي شيخ الفُقَيمي[1] وكان لحّاناً ، فقال له : أبو شيخ كيف ذكّرتني وتركت ابن عمك الذي يقرأ غير المغضوب عليهم ولا الضّالون ، ويقال : لخضجت بها خضجات أبي شيخ .

محاورات بلال وبعض الناس :

١٥٥ ـ وقال العُريان بن الهيثم لبلال بن أبي بُرْدَة إنه ليريبني بياض راحتيك وزَوَحُ قدميك وانتشار منخريك وجعودة شعرك ، يعرّض له بالزنجيّة ، فقال بلال : إني لأكره أن أجعل أبا موسى ندّاً للأسود وأبا بُردة ندّاً للهيثم ونفسي ندّاً لك ، وتمثل : [من الرمل]

أَنَـا مسكيـنٌ لمـنْ يَعـرِفُنـي ولمـن يُنكِـرُنـي جـدُّ نَطِـقْ

لا أَبيـعُ النّـاسَ عِـرضـي إنّنـي لـو أَبيـعُ النـاسَ عـرضـي لنَفَـقْ

قالوا : ودخل مسلم بن الشَّمَرْدَل الباهلي على بلال فتربع ، فقال له بلال : جلست جلسة بَغيّ ، فقال مسلم : وإنك بجلوسهنّ لعالم ، فقال : يا بن اللخناء .

وقال أبو نوفل لبلال : [من الكامل]

أَبِـلالُ إنّـي رابَنـي مـن أمـرِكـم قـولٌ تُـزيّنُـهُ وفِعـلٌ مُنكَـرُ

---

(١) نسبة إلى فقيم بن جرير بن دارم بن مالك (غَرْف) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

مـا لـي أراكَ إذا أردتَ خِيـانـةً جَعَلَ السجودُ بحرّ[1] وجهك يظْهَرُ
مُتَخَشّعـاً طِبّـاً بكـلِّ عَظيمـةٍ تتلـو القـرآن[2] وأنـتَ ذئـبٌ أَغْبَرُ

وقال الجارود بن أبي سبرة لبلالٍ : أتدري ما قال حارثة بن بدرٍ لعبد الرحن بن أمّ الحكم ؟ قال : ما قال له ؟ قال : قال : [من البسيط]

نهـارُهُ فـي قَضَـايـا غيـرِ عـادِلَـةٍ وليلُـهُ فـي هَـوى سَعْـدِ بـنِ هَبَّـارِ

فأمر صاحب الجالية فأغرمني ثلاثمئة درهم وما في أرضي ذمّيٌّ واحدٌ.

وقال ابن نوفل : [من الوافر]

أَقُـولُ لمـنْ يُسـائـلُ عَـنْ بِـلالٍ وعبـدِ اللهِ عنـدَ ثنـا الـرجـالِ
بـلالٌ كـان أَلأَمَ مَـنْ عَلِمْنـا وعبـدُالله ألأَمُ مِـنْ بِـلالِ
هُمـا أخـوانِ أَمّـاذا فَجُـونٌ وأَمّـاذا فَـأَحمَـرُ ذو سِبـالِ

قتل بلال في حبس يوسف بن عمر :

١٥٦ ـ وقال بلال وهو في حبس يوسف بن عمر : لو سئلت مئة ألف أو مئتي ألف أو ألف ألفٍ لأديّتها ، ولكني دُفعت إلى مجنون ، قال لصاحب عذابه من آخر الليل : إن أدّى عشرة آلاف ألف درهم قبل طلوع الشمس وإلا فأزهقْ نفسه ، فقلت : لو كان عندي بِدَرٌ مُهيّأةٌ ما فرغت من استيفائها في هذه المدّة .

وقال بعضهم : ما قتل بلالاً إلا دَهْيَه ، قال للسجّان : خذ مني مئة ألف وأعلم يوسف بن عمر أني قد متّ ، وكان يوسف بن عمر إذا سمع بموت محبوس ، قال : ادفعوه إلى أهله ، فأتى السجان يوسف فقال :

---

(١) هكذا في أصل المخطوطين والبيت مكسور ويصح لو قال : هوىً . والأفضل : بِحُرِّ وجْهِكَ ، ليتسق مع المعنى .
(٢) الوزن مكسور ويصح لو قلنا : الكتاب .

قد مات بلالٌ ، فقال : أرنيه ميتاً فإني أحبّ أن أراه وهو ميت فجاءه السجان فألقى عليه شيئاً غمّه به حتى مات ، ثم أراه يوسف .

قالوا : وخاصم عيسى بن عمر النحوي إلى بلالٍ وجعل يعرب وخصمه ينظر إليه معجباً ، فقال بلال : أقبل على حجّتك ودع النظر إلى خصمك فلأن يذهب حقّه أحبّ إليه من أن يلحن .

قالوا : وحبس بلال بن أبي بُردة ثلاثة نفرٍ اتهمهم بالزندقة ، فبلغ خبرهم ابن برهمة ، وكان من أخصّ الناس بخالد بن عبدالله فاستأذنه في إتيان البصرة ، فقدمها فأتاه الناس ولم يأته بلال وجعل يوهم الناس أنه قدم ناظراً من قبل خالد ، فأتاه ابن أبي العوجاء وعنده عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب فرفع ابن أبي العوجاء وعبد الرحمن جالس على البساط فقال ابن صُديقة وكان ماجناً : عبد الرحمن على البساط وابن أبي العوجاء على الفراش ، ثم جاء فكلّمه في الذين حبسهم فخلّاهم ، فقال يحيى بن نوفل : [من الخفيف]

زَعَمَ الزّاعمونَ أَنَّ حُسَيْنَ ... بنَ عبيدِ بنِ برهمة[1] زنديقُ
وَلَعَمري لئِنْ هُمُ زَعَموهُ ... ما أشطّوا وَإنَّهُ لَخَليقُ
إنّ مَنْ يَشْرَبُ الخمورَ ويَزْني ... في خَلاءٍ بما رُمي لَحَقيقُ

قال : وكان بلال سِكّيراً يُعلن بشرب النبيذ .

قال أبو الحسن المدائني : أرسل بلال رجلاً إلى قصّاب في جواره بالسحر ، قال : فدخلت عليه وبين يديه كانون ، وفي صحن الدار تيس ، فقال للقصاب : اذبحه ، قال : فذبحته وسلخته وشرحته وأنا بين يديه ، فأكله إلا عظامه ، وبقيت مضغة على الكانون ، فقال لي : كلها ،

---

(١) هذا الشطر مكسور بسبب كلمة : برهمة ، ويصح لو قلنا برهمٍ .

وجاءت جارية بقِدْر فيها دجاجتان وناهضان وأرغفة فأكل ما فيها ، ثم دعا بشراب فشرب منه أقداحاً ، ثم أمر لي بقدحٍ فشربته ، ثم قال : الحق بأهلك . .

قالوا : واتخذ بلال حوانيت كانوا يبيعون فيها النبيذ ، فقال بعضهم : [من الكامل]

لله ِدرُّ عِصـــابَـــةٍ نـــادمتهُـــم   فـي ظـلِّ بيـتٍ مـن بُيـوت بـلالِ

بـــاتُـــوا مُـــوَتَّـــرةً علـــيَّ قِسِيُّهـــمْ   يَـــرمـــونَنـــي رَشْقـــاً بغَيْـــرِ نِبـــالِ

الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه ، قال : عاتبتُ ابن هبيرة في بلال بن أبي بُرْدَة ، وقلت : أراك تجفوه وتقصيه ، فقال : ويلك إن قرّبته أخذني فجعلني في كمّه .

حدثني عمر بن شبّة عن أبي عاصم أخبرني أبي ، قال : كان كاتب يكتب خلف بلال فأقطر على ثوبه قطرة ، فقال : أتراني أحبّك بعد هذا أبداً .

المدائني ، قال : كان بلال يخاف الجذام فوُصف له السمن فكان يستنقع فيه ثم يبيعه فترك أهل البصرة أكل السمن إلا أن يسلأه رجل في بيته .

وروي عن الجارود بن أبي سبرة ، قال : قال لي بلال بن ابي بُردة : أتاني صديقك اليوم عبد الأعلى ابن عبد الله بن عبد الله عامر ، قلت : نعم ، قال : فما تصنعون ، قلت : نأتيه وهو متصبح فنقعد حتى يستيقظ ، فإن حدثناه أحسن الاستماع وإن سكتنا ساقطنا الحديث ثم يأتي خبازه فيخبر بما عنده مما أُعدّ ، فإذا وضعت المائدة خوّى تخوية الظليم وعذّر في الأكل ، ويجيء من عند بناته ونسائه ألطاف حتى إذا أمعن القوم

في الأكل حسر عن ذراعيه وجثا على ركبتيه واستأنف الأكل .

علي بن محمد المدائني ، قال : استرضع أبو موسى لابنه أبي بُردة في بني فُقيم من آل الغَرِق ، فلما قدم بلال البصرة قيل له : لو ولّيت أبا العجوز بن أبي شيخ بن الغرق ، قال : رأيت منه ثلاثاً : رأيته يحتجم في بيوت إخوانه ، ورأيت عليه مظلّة وهو في الظلّ ، ورأيته يبادر إلى بيض البُقَيلة[1] .

محاورة بين بلال بن ابي بُردة وخالد بن صفوان :

١٥٧ ـ قال أبو الحسن المدائني : لما ولي بلال قال خالد بن صفوان : سحابة صيف عن قليل تقشع ، فدعا به فقال له : أنت القائل سحابة صيف عن قليل تقشع ، أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب بَرَدٍ فضربه مئة سوط ، ويقال إن خالداً كان يغشاه في سلطانه ويغتابه إذا غاب عنه ويقول : ما في قلب بلال من الإيمان مثل ما في بيت الزرد من الجوهر ، وكان الزرد الحنفي مفلساً ، فأخذه بلال فخاف خالد أن يقتله ، فقال بلال : والله لا أتركك إلا بكفالة عشرة فيهم نعيم أخوك فتكفّلوا به على أنه إن غاب فعليهم مئة ألف فهرب خالد وأخفرهم فأخذ منهم بلال مئة الألف ، فقال خالد : [من الطويل]

فلا تَحسَبَنّي يا بْنَ واهِصَةِ الخُصى ... ضعيفَ القُوى لا يستَطيعُ التّحوُّلا
أُتيحَ لنا من أرضِه وسَمائِهِ ... بِلالٌ أراحَ الله منهُ فَعجَّلا

فلما أخذ يوسف بن عمر بلالاً وثب عليه خالد فقال : أصلح الله الأمير هذا بلال بن ابي بُردة بن أبي موسى ، وكان جدّه حلاقاً فاكتنى

---

(١) بني بقيلة من عباد الحيرة ، ولعله يقصد بيضة الدجاجة الأولى لأنه يقال فلان قد بقل وجهه إذا كان أول ظهور لحيته .

بموساه ، وكانت جدّته طهفة بنت دمون [٦٨/٥٧٣] حالكة الجلدة قردة الشعر ، وكانت أمّه أمةٌ لأبيه يضربها بالدرهم وتطوف في الأسواق وكأنّ رجليها حوافر حمار يغمز العبيد شواكلها ، فقال بلال : أنت تكلمني والأمير عنك راضٍ وهو عليّ ساخط ، وأنا غريب وأنت على باب منزلك ، وكان يوسف بالحيرة يومئذ فنسبه إلى أنه من أهل الحيرة ، ألست خالد بن صفون بن الأهتم القائم على برثنه[1] ، وإنما أنت بمنزلة الكلب يجترىء على باب أهله ، علق أبوه وعمه محررتين من محررات أهل البصرة ، حتى إذا خاف أهلوهما فضحتهما زوّجوهما بهما ، فأنت ابن أمة بني زياد .

فقال خالد ليوسف : أيها الأمير هذا أحمق الناس والله ما يدري أين دار أعرابيته من دار هجرته ، فقال بلال : بلى والله إن دار أعرابيتي اليمن ودار هجرتي المدينة ، وأخبرك عن دار أعرابيتك وهجرتك ، أما دار أعرابيتك فالحيرة وأما دار هجرتك فالبصرة .

ولم يزل بلال على البصرة حتى عزل هشامٌ خالداً عن العراق سنة عشرين ومئة ، وولّى يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، وكان خالدٌ جواداً.

خالد بن عبدالله القسري:

١٥٨ ـ حدثني عمرو بن محمد الناقد وعمر بن شبّة ، قالا : ثنا أبو نعيم ، ثنا فُضَيل بن الزبير ، قال : سمعت خالداً يقول : زمزم لا تنزح ولا تذمّ ، بلى والله إنها لتنزح وتذمّ ، هذا أمير المؤمنين قد ساق لكم قناةً بمكة من حالها وحالها .

---

(١) بَرِث : بالثاء إذا تنعّم تنعماً واسعاً ـ اللسان ـ .

حدثني محمد بن سعيدٍ عن الواقدي في إسناده : أنّ خالداً قال : إنّ نبيّ الله إسماعيل استسقى ربّه فسقاه ملحاً أجاجا ، وسقى أمير المؤمنين عذباً زلالاً بئراً احتفرها له .

وقال أبو عاصم النبيل : ساق خالد الماء إلى مكة فنصب طستاً إلى جانب زمزم ، ثم خطب فقال : قد جئتكم بماء الغادية لا يشبه ماء أمّ الخنافس ، يعني زمزم ، وخطب خالد فارتجّ عليه ، فقال : إن الكلام يجيء أحياناً ويعزب أحياناً ، وربما طُلب فأبى وكوبر فعصى ، والتّأتّي لمجيئه أيسر من التعاطي لأبيّه ، وقد يختلج من الجريء جنانه ويعتاض على الذرب لسانه ، ثم قال : لا يُكابر القول إذا امتنع ولا يردّ إذااتسع وسأعود فأقول إن شاء الله .

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي عن ابن كُناسة ، قال : ارتجّ على خالد في خطبته ، فقال : أيها الناس إن الكلام يجيء أحياناً ويذهب أحياناً فينطلق اللسان إذا أتى ويعجز إذا أبى ، ولم يقصر بنا عن القول عيٌّ ولا عرض لنا دون بلوغ الإرادة إقحام ، وللجواد كبوةٌ وللصارم نبوةٌ ، وسنعود فنقول إن شاء الله .

حدثني عمرو بن محمد الناقد وغيره قالوا : ثنا أبو نُعيم الفضل بن دُكين عن رجل أخبره عن سفيان بن أبي عبد الله ، قال : سمعت خالداً يقول : اللهم العن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم زوج فاطمة وأبا الحسن والحسين ، هل كنيتُ .

المدائني ، قال : صعد خالد المنبر فارتج عليه ، فقال : إن الكلام يعرض أحياناً فيتيسر عند مجيئه ويمتنع عند عزوبه ، وأولى من عَذَر على النّبوة من عُرفت سهولته عليه ، ثم نزل .

أبو عاصم النبيل عن عمر بن قيس أنه سمع خالداً يقول ، حين أُخذ سعيد بن جبير وطُلق ابن حبيب بمكة : كأنكم أنكرتم ما صنعت والله لو كتب إليّ أمير المؤمنين أن أنقضها حجراً حجراً لفعلت . يعني الكعبة ، قالوا : وأمر خالد ببناء بيعة لآمّه ، فكُلّم في ذلك ، فقال : نعم يبنونها فلعنهم الله إن كان دينها شرّاً من دينكم .

قالوا : وكلّم في عاملٍ له ضرب رجلاً ، وسئل أن يقتصّ منه ، فقال : أقتصّ من عاملي فوالله لئن اقتصصت منه لأقتصَّنّ من نفسي ولئن اقتصصت من نفسي ليقتصنّ أمير المؤمنين من نفسه ، ولئن اقتصّ أمير المؤمنين من نفسه ليقتصنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ، ولئن اقتصّ رسول الله من نفسه ليقتصنّ هاه هاه يريده تبارك وتعالى .

ويقال إنه قال : أرسول أحدكم أكرم عليه أم خليفته ، ويقال : إن الحجاج قال ذلك .

حدثني عمر بن شبّة عن أبي نعيم عن سفيان الثوري ، قال : كان أول سلطان خالد يقال له العرس .

المدائني ، قال : لحن خالد في خطبته ، فقال : إن تكونوا رجبيّون فإنا رمضانيّون ، وكان يقول : اللهم أصلح عبدك وخليفتك هشام أمير المؤمنين .

وقال خالد للفرزدق وقد مدحه : ما بالك لم تقل فيّ كما قلت في قوم سماهم من قريش وغيرهم ؟ فقال : هات أنساباً كأنسابهم وشرفاً كشرفهم ، حتى أقول فيك كما قلت فيهم ، فأراد السطو به ثم كفّ عنه لكبر سنّه .

قالوا : وكان عاصم بن راعي الإبل[1] أتى خالداً ومعه ابنان له ،

---

(١) راعي الإبل : هو عُبيد بن حُصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبدالله بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ويكنى أبا جندل=

فوصله ومات أحد ابنيه فدخل على خالد، فقال: أتيناك ثلاثة ونؤوب اثنين، قال: وما ذاك؟ قال: مات ابني، قال: ذاك ما لا أقدر على منعه، قال: فديّته تدفعها إليّ، قال: نعم فدفع إليه ديةً، فقال: [من الطويل]

سَنَنْتُ من الموتِ الوداءَ ولم يكُنْ مقاديرُهُ يودي لحيٍّ قَتيلَها
فما سَنَّها من حِميريٍّ متوّجٌ ولا مِنْ مَعَدٍّ حيْثُ يلقى فضولَها

وقال الكميت ليوسف بن عمر: [من الطويل]

حلفتُ بربِّ البيتِ ما أمُّ خالِدٍ
بأُمِّكَ إذْ اصواتُنا الهالُ والهُدْبُ
وإذْ خالِدٌ يَسْتَطْعِمُ الماءَ قائماً
يرى الحربَ والداعي إلى الموتِ يَنْعَبُ

وهجاه زياد الأعجم، فقال: [من الطويل]

لعَمرُكَ لا أدري وإنّي لسَائِلٌ أمختونَةٌ من بَظْرِها أمُّ خالِدِ
فإن يكُنِ الموسَى جرتْ فَوقَ بَظْرِها فما خُتنَتْ إلا ومصّانُ قاعِدِ

خالد بن عبدالله قبل أن يلي العراق:

١٥٩ ـ المدائني، قال: لما أتى رسول هشام خالدَ بن عبدالله لتولية العراق، قال: رويداً ليجفّ قميصي، فقال الرسول: انطلق أيها الرجل فإنك تُدعى إلى قُمصٍ كثيرة.

حدثنا بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن حمّاد بن سعيد الصنعاني عن زياد بن عبيد الله، قال: أتيت الشام فبينا أنا على باب هشام إذ خرج رجل من عند هشام،

= والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل، شاعر فحل من شعراء الدولة الأموية وكان مقدماً مفضلاً حتى هجاه جرير ففضحه.

فقال : من أنت يا فتى ؟ قلت : رجل من أهل اليمن أنا زياد بن عبيدالله بن عبدالله الحارثي ، فتبسم وقال : قمْ معي ، ثم قال لي : قل لأصحابي وأشار إليهم : إن أمير المؤمنين ولاّني وأمرني بالمسير ووَكل بي من يزعجني ، قلت : من أنت رحمك الله ؟ قال : خالد بن عبد الله القسري ، ثم قال : يُعطى منديل ثيابي وبرذوني الأصفر فأُعطيت ذلك ، وقال لي : إذا سمعت أني قد ولّيت العراق يوماً فالحق بي ، فما أمسى بعسكر هشام أجود ثوباً ولا أكرم مركباً مني ، ولم ألبث إلا يسيراً حتى قيل قد ولّىٰ هشامٌ خالداً العراق ، فخرجتُ ووكّلت العريف بقبض أرزاقي علىٰ أنها له إلى قدومي وشخصت إلى العراق .

فلما قدمت على خالد الكوفة وسلّمت عليه أمر لي بدنانير وكسوة بقيمة سبعمئة دينار . وقال لي يوماً : هل تكتب يا زياد ؟ قلت : لا أنا أقرأ ولا أكتب ، فضرب بيده على جبينه وقال : إنا لله سقط تسعة أعشار ما كنت أريده بك وبقي لك واحدة ، واشترى غلاماً كاتباً حاسباً فعلمني الكتاب حتى قرأت قراءة جيدة وكتبت ، فدفع إليّ كتاباً من عامله عامل الريّ فقرأته ، فسرّ بذلك وقال : قد ولّيتك عمله فخرجت حتى قدمتُ الريّ فأخذت عامل الخراج ، فأرسل إليّ : إن أمير المؤمنين هشاماً لم يولِّ قطّ عربياً الخراج فتغطرست عليه ، فقال : خذ مني ثلاثمئة ألف درهم وأمسك عني ، وأقمتُ على عملي ثم كتبت إلى خالد : إني اشتقت إلى الأمير فليرفعني إليه ، فلما قدمتُ عليه ولاّني شُرطَهُ .

قالوا : وكان خالدٌ أقرّ الصقر بن عبدالله على شرطه أشهراً وكان ابن هبيرة ولاّه الشرط ، ثم عزله ، واستعمل خالد على الكوفة عبد الملك الأزدي من اهل فلسطين ثم عزله ، وولّى رجلاً يقال له عبدالله بن عمرو من بجيلة ثم عزله واستعمل أخاه عاصم بن عمرو .

وولّى زياد بن عبيدالله بعد عدّة عزلهم ، فلم يزل عليها إلى أن وَلي يوسف بن عمر العراق .

خالد بن عبدالله يدعو أمه إلى الإسلام :

١٦٠ ـ وقال بعضهم : كتب خالد بن عبدالله إلى أمّه حين ولي العراق يديعوها إلى الإسلام ويسألها أن تقرب منه ليكون ذلك أقوى له على برّها ، فلما قُرىء عليها كتابه دعت بدواة وقرطاس وقالت للرسول : اكتب قد قرأت كتابك فأمّا دُعاؤك إيايَ إلى دينك فقد نصحت لي فيه بجهدك لأنك ارتضيت لي ما ارتضيت لنفسك وديني لي ودينك لك ، وأما برّي فلعمري إنك قادر عليه حيث ما كنتَ [٦٨/٥٧٤] ، واعلم يا بنيّ أني قرأت في بعض الكتب أن الرجل إذا أتى كبيرة اسودّ ثلث قلبه وإذا أتى أخرى اسود ثلثا قلبه ، فإذا أتى الثالثة اسودّ قلبه كلّه فأتى ما أتاه من قبيح وهو يراه حسناً ، وأكبر من ذلك كلّه الدماء ، فلما جاءه كتابها يئس منها فأرسل إليها بمال اتخذت به بيعة بالشام تدعى بيعة أمّ خالد .

حدثني عبدالله بن صالح عن قوم من أهل الكوفة قالوا : اتخذ خالد طستاً في مسجد الكوفة ميضأة وخفر لها قناةً من الفرات ، ثم أخذ بيد أسقف النصارى يمشي به في المسجد حتى وقف على الطست ، ثم قال للأسقف : ادعُ لنا بالبركة فوالله لدعاؤك أرجى عندي من دعاء عليّ بن أبي طالب[١] .

قال واتخذ كنيسة لأمه في قصر الأمارة[٢] وكانت امتنعت من القدوم

---

(١) قبح الله القسري على هذا القول أليس هو الكفر بعينه .

(٢) ألم يغضب هشام لهذا العمل وأخيراً غضب عليه لنفسه ولم يغضب لله ، فكان جزاء خالد من العذاب على يد يوسف بن عمر ما يستحقه وسيأتي ذكره ، إن شاء الله .

عليه ، فلم يزل بها بحتى قدمت الكوفة وأمر المؤذنين ألا يؤذّنوا حتى يضرب النصارى بنواقيسهم .

وقال هشام بن الكلبي والهيثم بن عدي : لما بدأ خالد البيعة بالكوفة لأمّه كتب نصارى البصرى إلى من كلّم أمه ، فكتبت إليه أن يبني لهم بالبصرة بيعة ، فكتب إلى بلال يأمره ببنائها ، فكتب بلال : إن أهل البصرة لا يقارّوني على ذلك ، فكتب إليه : ابنها لهم فلعنة الله عليهم إن كانوا شرّاً منهم ديناً فبنى بيعة في اللبادين ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

بَنَـى بَيْعَـةً فيهـا الصَّليـبُ لأُمِّـهِ وتُهْـدَمُ للبَيْعـاتِ فينـا المسـاجِـدُ

وحفر خالد النهر المعروف بالمبارك ، فقال الفرزدق ويقال الموج التغلبيَّ : [من الوافر]

كـأنَّـكَ بـالمبـارَكِ بعـدَ شَهْـرٍ يخـوضُ غمـورَهُ بُقَـعُ الكِـلابِ
كـذبـتَ خليفَـةَ الـرحمـنِ عنـهُ وسوفَ يرى الكذوبُ جزى الثوابِ

وقال الفرزدق في شعر له : [من الكامل]

أعطـى خليفتـه بقـوّةِ خـالـدٍ نهـراً يفيـض لـه علـى الأنهـارِ
إن المبـارَكَ كـاسمِـه يُسقَـى بـه حـرثُ السّـواد ونـاعـمُ الجبّـارِ
لو كانَ دجلَةُ حين أقبل مدُّها نـابٌ يُمَـدّ لـه بحبـلِ قِطـارِ
إنْ كانَ أجرى ماءَ دجلةَ خالدٌ فلطـالمـا أَعْيَـتْ علـى الإجـرارِ
يا دِجْلَ كنتِ غزيرةً فيما مضى حتّـى أَصـابَـكِ خـالـدٌ بصَغـارِ

وكتب خالدٌ إلى هشام يستأمره في عمل قنطرةٍ على دجلة ، فكتب إليه هشام : لو كان هذا ممكناً لسبق الفرس إليه ، فراجعه فكتب إليه هشام : إن تيقّنت أنها تتمّ فاعملها ، فعملها وأعظم النفقة عليها ، فلم يلبث أن قطعها الماء ، فأغرمه هشام ما أنفق عليها .

وكانَ الفرزدق قال حين لم يثبه خالدٌ على الشعر الذي قاله في المبارك : [من الطويل]

[و] أهلكتَ مالَ الله في غيرِ حقِّهِ على نهرِكَ المشؤوم غيرِ المبارَكِ
ويضرِبُ أقواماً صِحاحاً ظهورُهُم ويترُكُ حقَّ الله في ظهرِ مالِكِ
أإنفاقَ مالِ الله في غيرِ حقِّهِ وتركاً لحقِّ المُرْمِلاتِ الضَّرائكِ

يعني مالك بن المنذر بن الجارود .

حدثني أبو مسعود الكوفي ، قال : بنى خالدٌ لأمّه بيعة هي اليوم بسكّة البريد بالكوفة ، وكانت أمّه نصرانية ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

لَعَمري لئِنْ كانَتْ بجيلَةُ زَانَها جَريرٌ لقد أخزى بُجَيْلَةَ خالدُ[1]
بَنَى بَيْعَةً فيها الصليبُ لأمِّهِ ولم تُبْنَ فينا إذْ بناها المسَاجدُ

ويروى : ويُهدَمُ للبَيعاتِ فينا المساجِدُ .

قالوا : وبنى خالدٌ حوانيت أنشأها وجعل سقوفها آزاجاً معقوداً بالآجر والجصّ ، وحفر خالد النهر المعروف بالجامع ، واتخذ في القرية قصراً يعرف به .

خالد بن عبدالله والأعرابي :

١٦١ ـ قال الأصمعي وغيره : خرج خالد يوماً يتصيّدُ فإذا هو بأعرابي على أتانٍ له ومعه عجوز ، فقال له خالد : ممّن الرجل ؟ قال : من أهل

---

(١) جرير : هو جرير بن عبدالله البجلي صحابيّ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يطلع عليكم رجل من اليمن به مسحة ملك» فطلع عليهم جرير ، وكانت بجيلة في الجاهلية متفرقة في أحياء العرب وفي عهد عمر كتب لجرير بجمع بجيلة فجمعها فلذلك يقول زانها . وخالد بن عبدالله من بجيلة لأن قسر هو مالك بن عبقر وأم عبقر وإخوته بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة من مدحج وبها يعرفون لأن قسر من بجيلة .

المآثر والحسب ، قال : فأنت إذاً من مضر ، فمن إيها ؟ قال : من المطاعنين على الخيول المعانقين في النزول ، قال : فأنت إذاً من بني عامر ، فمن أيها ؟ قال : من الطالبين الثأر والمانعين الجار ، قال : فأنت إذاً من بني كلاب ، فمن أيها ؟ قال : من بدرها وشمسها وليوثها في خيسسها ، قال : فأنت إذاً من بني الأحوص ، قال : نعم ، قال : فما أقدمك هذه البلاد ؟ قال : تتابع السنين وقلّة رفد الرافدين ، قال : فمن أردت بهذا البلد ؟ قال : أميركم هذا الذي ترفعه إمرته وتضعه أسرته ، قال : وما أردت منه إذ كان كذلك ؟ قال : كثرة دراهمه لا كرم آبائه ، قال : أفتوسلت إليه بشعرٍ ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدناه ، فقال : يا أمّ جحش أنشديه ، قالت : هيه كم تسومنا اليوم مدح اللئيم ، قال : إنه لا بُدّ منه ، فأنشدتْ : [من الطويل]

إليكَ ابنَ عبدالله للحمدِ جاوَزَتْ ... بنا البيدَ عيسٌ كالقِسيِّ عياهُمُ
عَليهِنّ بيضٌ من ذؤابَةِ عامرٍ ... حَدَتْهُم سُنونٌ مجحفاتٌ مَشَائِمُ
يَزُرْنَ امرأً يُعطي على الحمدِ مالَهُ ... تهونُ عليه للشاعر الدَّراهِمُ[1]
فإن تُعطِنا شيئاً فهذا ثَنَاؤُنا ... وإن تكُنِ الأخرى فمالَكَ لائِمُ

فقال خالد : ما أعجب أمرك ، تقول فيه ما قلت ثم تمدحه بهذا الشعر ! أفتعرفني ؟ قال : لا ، قال : أنا خالد وسأعطيك ولا أكافيك ، فقال : يا أم جحش اصرفي وجه الأتان راجعة ، قال : إني مغنيك قال : ما كنتُ لأُسمعُ رجلاً مكروهاً ، ثم أرزؤه[2] شيئاً ، فقال خالد : بمثل صبر الشيخ أدرك آباؤه من الشرف ما أدركوا .

---

(١) هذا الشطر مكسور بسبب كلمة (للشاعر) ويصح الوزن لو قلنا : تهون عليه للمديح الدراهمُ .

(٢) رزأ : رزأه أصاب منه خيراً ما كان ـ اللسان ـ .

ويقال إن خالداً خرج ومعه بعض ولد المغيرة [بن شعبة] وبعض ولد جرير بن عبدالله [البجلي] فرأى هذا الأعرابي وكان مسنّاً ، فقال : فما تقول في المغيرة بن شعبة ؟ قال : أعور زنّاء ، قال فما تقول في الأشعث ؟ قال : لا يعزي قومه ما بقي أحد من ولده ، قال : فما تقول في خالد بن عبدالله ؟ قال : ترفعه إمرته وتضعه أسرته ، قال : فهذا من ولد المغيرة وهذا من ولد جرير وأنا خالد ، فقال : يا أمّ جحش انصرفي عنهم ، فقالوا له : صر معنا إلى الكوفة نُرفدك ونصلك ولا نؤاخذك بقولك ، فقال : ما كنت لأستميح قوماً أسمعتهم كلاماً ، وانصرف[1] .

حدثنا عبيدالله بن صالح ، قال : بلغنا إنه دخل على خالد بالكوفة شيخ كبير فمثل بين يديه ، فقال : شيخ كبير ضرير حدته إليك سَنَةٌ أبدت العظام وألزمت الغنيّ الإعدام ذهب ماله ودُعْدِعتْ أباله[2] وغُيّرت أحواله ، فإن رأى الأمير أن يجبره بفضله وينعشه بسَجْلِه[3] ويردّه إلى أهله ، فقال خالد : ممّن الرجل وإيّاك أن تكذب فإن الكذب عارٌ لازم وذلٌّ دائم ، قال : رجل من بني تميم ، فقال : لا قرّب الله دارك ولا سهّل محلك ، ولا حيّا مزارك ، فقال الأعرابي : ما رأيت كاليوم منطقاً أقطع ، ولا كلاماً أشنع ولا ردّاً أوجع ، لقد سمعت ولا أمرّ من الحنظل ، ولا أيبس من الجندل ولا أحر من المرجل ، ما أعطيت من قدرة ولا نعشت من عثرة ولا أقلت من صرعة ، فقال خالد : هل لك في أن أقارعك وإن

---

(١) في هامش مخطوط المغرب : قال ابن الأعرابي : هذان الخبران موضوعان . انتهى وأنا أقول : هنا يوجد اضطراب فسأله عن الأشعث ولم يرد له ذكر ولم يسأله عن جرير وورد ذكره .

(٢) الإبل جمع للجمال والنوق وليس له مفرد ، والتهذيب قال الجمع أبال ـ اللسان ـ .

(٣) السَجْلُ : الدلو الضخم المملوءَة ماء ، ورجلٌ سَجْلٌ : جواد .

قرعتك لم أعطك شيئاً وإن قرعتني أعطيتك ، فقارعه خالد فقرعه ، فقال : أقلني فأقاله ثم قارعه فقرعه خالد فقال : أقلني فأقاله ثم قارعه فقرع خالداً . فقال : أقلني ، فقال : لا أقالني الله إذاً ، فقال : أعطوه بدرة يدخلها في حِر[1] أمه ، فقال الأعرابي : وأخرى أدخلها في استها ، فضحك وأمر له ببدرتين .

وأتت امرأة من بني قشير[2] خالداً ، فمثلتْ بين يديه ، وقالت :

[من الرجز]

إليكَ يابنَ السّادَةِ الأماجِدِ ... يُعمَدُ في الحاجاتِ كُلُّ عامِدِ

أشْبَهْتَ يا خالِدُ خيرُ والِدٍ ... أشبهتَ عبدَالله ذا المحامِدِ

فالنّاسُ بينَ صادِرٍ ووارِدٍ ... مثلُ حجيجِ البيتِ نحو خالِدِ

ليسَ طريفُ المجدِ مثلَ التّالِدِ

فقال لها خالدٌ : من أنت ؟ قالت : امرأةٌ أكبّ عليها الزمان فلم يدع لها سيّداً ولا لبداً ولا صافناً ولا ماهناً[3] ، فقيل لها : هل لك أن يتزوّجك الأمير ؟ فقالت : والله لئن فقدت نشباً[4] ما فقدت حسباً ، وما كنت لأتزوج دعيّاً وإن كان مثريّاً غنياً .

خالد بن عبد الله يعطي رجلاً لأنه ضرط :

١٦٢ ـ الهيثم بن عديّ ، قال : ألقيت بين يدي خالد تروس ، فقال

---

(١) الحِرِ : بكسر الحاء فرج المرأة والإست : العجيزة . ـ اللسان ـ .

(٢) قشير بطن من عامر بن صعصعة وهو قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

(٣) الصافن: عرق في باطن الصلب طولاً متصل به نياط القلب، الماهن: العبد ـ اللسان ـ.

(٤) النشب : المال والعقار .

لمن عنده : اغمزوها أيها اصلب ، فغمز رجل منهم يقال له عامر ترساً فضرط ، فقال خالد : ما على رجل أمر رجلاً بأمر فأضرطه ؟ قالوا : أربعون درهماً فأمر له خالد بأربعمئة ألف درهم ، فقال شاعرٌ من بني تميم : [من الوافر]

أَيضرطُ عامِرٌ منْ غَمزِ تِرسٍ   فيحبُوهُ الأميرُ بها بُدرا
فيالَكِ ضرطةً عادتْ بخيرٍ   ويالَكِ ضرطةً أَغنَتْ فقيرا
فَودّ القومُ لو ضَرَطوا جميعاً   فنالُوا من عَطِيَّتِهِ عَشيرا
أَيَمْنَحُ ضارطاً ألفاً بألفٍ   ونرخُصَ أصلَحَ الله الأَميرا

فقال خالد : والله ما سررنا بواحدة لمّا جاءتنا فما حاجتنا [٥٧٥/٦٨] إلى ألف أعطوه ألفي درهم ، وقد قيل إن هذا كان عند بشر بن مروان وهو الثبت ، وقال بعضهم : [من الوافر]

أيقبض أربعين معاً ألوفاً   لقد أَعطى بضرطتِهِ كثيرا

وقال خالد حين أنشد قول الكميت : [من الكامل]

إنّ الخلافَةَ كائنٌ أوتادُها   بعدَ الوليدِ إلى ابنِ أُمِّ حكيمِ

يعني مسلمة بن هشام أبا شاكر : فقال خالد : أنا كافر بكل خليفة يكنى أبا شاكر ، وبلغ أبا شاكر قوله فحقد عليه ، فلما مات أسد بن عبدالله أخو خالدٍ كتب مسلمة إلى خالد كتاباً فيه شعر لابن نوفل وكان معه لحق به هارباً من خالدٍ : [من المنسرح]

أراعَ منْ خالدٍ وَأهلكَهُ   ربُّ أراحَ العِبادَ منْ أَسَدِ
أمّا أبوهُ فكانَ مُؤتَشِباً[١]   عبداً لئيماً لا عبد قُعُدِ[٢]

---

(١) المؤتشب : المختلط النسب .
(٢) الشطر مكسور ويصح لو قلنا : لعبدٍ مُقتصدِ : أي مقتر .

يَـرَى الـزّنـا والصَّليـبَ والخمـرَ والخنزيرَ حِلاً والغَيَّ كالرَّشَدِ
وأُمُّــــه هَمُّهـــا وبغيتهـــا هَـمُّ الإمـاءِ المَـواهِـنِ الشُـرُدِ
كـــافِـرةٌ بـــالنَّبـــيِّ مـؤمِنَـــةٌ بِقِسِّهـــا والصَليـبِ والعمـــدِ[1]

فلما قرأ خالد الكتاب ، قال : يا عباد الله من رأى كهذه تعزية رجلٍ عن أخيه .

المدائني قال : بصق خالد بن عبدالله فقصّر عن حيث أراد ، فقام عنبسة بن سعيد بن العاص فأخذ بصاقه بمطرفه حتى اقتلعه ، فقال خالدٌ : لَحسُنَ والله ما صنع ، ثلاث لا تعاب على الشريف ، خدمته أميره ، وقيامه بنفسه وخدمته ضيفه ، ثم قال : ما مالك يا با خالدٍ ؟ فقال : وهل تركت لي داري بالكوفة وواسط مالاً ، فقال خالد : والله لعلالتنا أمثل من علالتك ، قد أمرنا لك في دارك بواسط مئة ألف درهم ، وفي دارك بالكوفة بخمسين ألفاً .

المدائني وعبدالله بن صالح ، قالا : قال خالد بن عبدالله يعرّض بعتبة بن عُمير بن عبد الرحمن بن الحارث بن ن هشام المخزومي وكان عتبه يستدين : إن الرجل لا يزال يستدين في ماله حتى إذا أنفذه استدان في دينه ، فقال عتبة : إن الرجل يكون ما له أكثر من مروءته فيبقى له ماله ، وتكون مروءته أكثر من ماله فيفنى ماله وتبقى له مروءته ، فقال خالد : صدقت وإنك منهم .

قال عبدالله بن صالح : أراد عبد الرحمن بن عنبسة بناء داره بظاهر الكوفة ، فركب معه خالد بن عبدالله القسري ومع خالد العُريان بن الهيثم ، وهو يومئذ على شُرطة خالد ، فجعل خالد يطوف ويقول : قدّم

---

(١) في هامش مخطوط المغرب ، يعني بالعمد المعموديّة .

الحبل أيها الغلام فيقول العُريان : أنشدك الله أن تضيق على أجبآينا وأمواتنا[1] ، فقال عبد الرحمن بن عنبسة : اسكت فوالله ما أنطقك إلا السيف الذي قلدناك ، فقال العريان : بل سيف عمي الذي أخرج به أباك حتى ألحقه بالمدينة ، فقال : أما والله لأبشرنّك بشرّ الأديم ، فقال : شفرتك أكلّ من ذاك .

فقام إسماعيل بن واسط البجلي ، فقال : يا عريان أترفع صوتك على صاحب الأمير ، فقال : اسكت : [من الرجز]

يا مالكَ بنَ مالكِ بنِ سَيْفِ ذَميمٌ يَجْهَلُ حقَّ الضَّيْفِ
سَلْحُ حُباري سَلَحتْ في صَيْفِ

وتكلم عبدالله بن عياش ، فقال له العريان : إنما قيمة همدان[2] كلها رغيف ، فقال ابن عياش : اسكت فإنما تشبع النخع[3] في كلّ أضحى . وسار خالد وبنى عبد الرحمن داره .

حدثني عمر بن شبّة ، ثنا أبو عاصم النبيل ، حدثني نصر بن أشرس الباهلي ، قال : دخل العريان على القسري ، فقال : مكرمة لم تُسبق إليها ، قال : وما هي ؟ قال : تمنع الموالي من أن يشربوا في

---

(١) يعني بذلك أن لا يضيق على الأحياء والأموات .

(٢) عبد الرحمن بن عياش من قبيلة همدان ، وهو عبدالله (المنتوف) بن عياش بن عبدالله بن عبدالله بن جبر بن سيار بن جبر بن سيار بن معاوية بن سيف بن الحارث بن مُرْهِبة بن دُعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن نوف بن أوسلة (همدان) وكان من أعظم رجال العراق .

(٣) العريان بن الهيثم من النخع وهو العريان بن الهيثم بن الأسود بن أُقيشر بن معاوية بن سفيان بن هُليل بن جحفل بن جشم بن عوف (المشر الأحمر) بن جسر (النخع) بن عمرو بن عُلّة بن جلد بن مالك (مذحج) وكان خطيباً شاعر وقد مدحه الأخطل فقال :

زعموا ولم أك شاهداً لمقامه إن الخطيب لدى الإمام الهيثم

عساس[1] الخلنج وأن يتكلموا بالعربية وأن يشربوا لبن اللقاح ، فقال جبلة بن عبد الرحمن : أما الخلنج فإنا غرسناه في أرضنا رطباً ونجرناه يابساً فنحن أولى به ، وأما ألبان العراب فإنّ لنا في ألبان البخاتي غنىً عنها ، وأما العربية فقد صدق هم أولى بها ، ولكن ليدعوا الخزّ وركوب البراذين وأكل الشبارقات ، وأما الكلام فلن نتكلم إلا بالزنجيّة .

وقال يحيى بن نوفل للعُريان : [من الطويل]

أَعُريانُ ما يدري امرؤٌ سِيلَ عنكمُ ... أمِن مَذحجٍ تُدعَوْنَ أَمْ لإيادِ

فإنْ قلتمُ من مّذحجٍ إنَّ مذحجاً ... لَبيضُ الوُجوهِ غيرُ حُوّ[2] جِعادِ

وأنتُمْ صِغارُ الهامِ سوْدٌ كأَنّما ... وجوهُكُمُ مطليَّةٌ بِرَمادِ

وقال أيضاً : [من البسيط]

سَمَّتْكَ أمّكَ عرياناً وقدْ صَدقَتْ ... عُرّيتَ من صالحِ الأخلاقِ والدّينِ

زَعَمْتَ أنّكَ عَدلٌ في إمارتكمْ ... وأنتَ أسرقُ من ذئبِ السّراجينِ

وقال أيضاً : [من الكامل]

هَلْ أنتَ يا عُريانُ ويحَكَ مُخبري ... بأبيكَ دونَ الهيثَمِ بْنِ الأَسْوَدِ

وله فيه شعراً أيضاً ، فحلف العريان ليضربنّه حتى يسلح من سوط أو أكثر ، فلم يزل يحتال له حتى أُتي به ، وقد كان صار إلى مسلمة بن هشام ، وبلغ ابن نوفل يمينه فضربه فجعل يقول : قد فعلتُ ، فقال العريان : لا والله أو تفصح بها فأقنع ، فقال : قد خريتُ أو قد سلحتُ ،

---

(١) العساس : جمع عس وهو القدح والخلنج : شجر فارسي معرب تتخذ من خشبه الأواني ـ اللسان ـ وما زالت كلمة خلنج تستعمل عند العامة حتى الآن وتعني الشيء الجديد الذي لم يستعمل .

(٢) الحوَّة : سواد إلى الخضرة ـ اللسان ـ.

فقال العريان : [من الطويل]

مَحا السَّيفُ ما قال ابنُ دارةَ أَجْمَعا[1] .

وقال العريان : [من الوافر]

تَيمَّمْ حِمْيَراً[2] واتـرُكْ ثَقيفاً فَهُمْ جَلدَوكَ يومَ الدارِ حَدّا
فلما أَنْ جُلدْتَ وكنتَ فَسْلاً[3] سَلَمْتَ ولم تَجِدْ من ذاكَ بُدّا

قالوا : وأرسل بلالُ عونَ بن عبيد وآخر من أصحابه إلى هنادة بنت عيينة بن أسماء بن خارجة يخطبانها ، فقالت : والله ما كنت لأتزوّج رجلاً انتما خدناه وأليفاه من أهل هذا المصر ، وهجا ابن نوفل خالداً بصحبة عونٍ هذا فقال : [من الطويل]

[و] لو كنتُ عَوْنيّاً لأدنيتَ مَجلِسي إليكَ أخا قَسرٍ ولكنّني فَحلُ
رأيتُكَ تدني ناشئاً ذا عَجيزَةٍ يحجر عينيه وحاجبه الكحل
فَوالله ما أدري إذا ما خطرتُما وَأُرْخِيَتْ الأَسْتارُ أيكما البَعْلُ
[أ] أنتَ الذي يَعلو عليك إذا خَلا بِكَ الأَقْمَر المولى أَمِ انت الذي تَعْلُو

وقال ابن نوفل في خالد : [من المتقارب]

ألا أيُّهذا الذي نَفْسَهُ إلى كُلِّ مُنكَرَةٍ تائِقَةْ
رَضِيتَ مِن العَيْش والعالمين بعَوْنٍ أليفاً وبالرائقَةْ

---

(١) هذا عجز بيت
فلا تكثروا فيه الضّجاج فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا
وابن دارة هو عبد الرحمن بن مسافع وأخوه مسافع بن دارة وكلاهما شاعر .

(٢) لا أعلم لماذا قال حمير لأن العريان كما تقدم سابقاً هو من النخع والنخع من مذحج وهو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ والعرب القحطانيون تفرعوا عن ولدي سبأ كهلان وحمير والعريان من كهلان وليس من حمير .

(٣) الفسل : الرذل الرديء والمرء لا مروءة له .

بضَخْمِ المآكِمِ ذي لمَّةٍ ... دنيءٍ مودّتهُ مائِقَةْ
وكفّاكَ كفٌّ تحوزُ العَطاءَ ... وكفٌّ لأرزاقِنا سَارِقَةْ

وقال ابن نوفل : [من المتقارب]

ونبئتُ عَوْناً وتبّاً لَهُ ... ونبئتُ عَنْ خدنِهِ خالِدِ
بأنّهما عند وقت العَشاءِ ... يبتيانِ في نَمَطٍ واحدِ
ويَعْتبقانِ الشَّرابَ الذي ... يَحِلُّ بِهِ الجَلْدُ للجالِدِ
شراباً يوافِقُ شُربَ اليَهودِ ... ويُكْرَهُ للنّاسِكِ العابِدِ

قالوا : وبعث خالدٌ محمدَ بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري إلى إسماعيل بن جرير بن عبدالله ، يخطب إليه ابنته أم إسحاق بنت إسماعيل ، فقال : بلّغ الأمير السلام واعلمه أن عمّه جرير أوصى ألا يخرج واحدة من بناته إلا إلى رجل من قريش وهو أحقّ من لم يثرب وصيّة عمّه ولم يحاول نقضها مع أنّا أملناه لعيالنا وأعقابنا ، فوالله ما كان عنده ما ظننا به ما سهل في إذن ولا رفع من قدر .

فلما أتت خالداً الرسالةُ أمسك ، وبلغ الخبر ابن نوفلٍ فقال :

[من الطويل]

لَعَمْري لقد أصبَحْتَ حاولْتَ خطَّةً ... مُمنَّعةً والدّهرُ يقذِفُ بالعَجبْ
أَتَخطِبُ جَهلاً أَنْ وَلِيتَ إمارةً ... بناتِ جريرٍ ذي المكارمِ والحَسَبْ
وأنتَ دَعيٌّ ليسَ يُعرَفُ أصلُه ... مَنُوطٌ بقَسْرٍ كالعلاقَةِ في الحقَبْ
فردَّكَ ردَّ العَبْدِ إذْ جِئْتَ خاطباً ... وَهَلْ يُنكِحُ الأحرارُ عَبداً إذا خَطَبْ

في أبيات ، وقال أيضاً : [من الوافر]

أخَالِدُ لا جَزاكَ الله خَيراً ... وَأَيرٌ في حِرِ امِكَ مِنْ أَميرِ
تمنَّى الفَخْرَ أولادِ قَسْرٍ ... كأنَّك من سَراةِ بني جَريرِ

وكنتَ لدى المغيرةِ عبدَ سُوءٍ   تبـولُ مـن المخـافَـةِ للـزّئيـرِ
وقد قلتَ اطعموني الماءَ جُبناً   ولـؤمـاً إذْ خَـريـتَ علـى السـريـرِ

أخبار المغيرة بن سعيد:

١٦٣ ـ وكان المغيرة بن سعيد هذا ظهر أيام خالد وكان يظهر التشيّع لآل عليّ .

فروي عن جعفر[١] بن محمد أن المغيرة بن سعيد كان يأتي محمد[٢] بن علي فيستسقيه ثم يمضي فيكذب عليه ، فقُتل بالكوفة قتله خالد بن عبدالله القسري .

حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي عن أبي بكر بن عيّاش عن عيسى بن المغيرة ، قال : كان الشعبيّ يقول للمغيرة مولى بجيلة : ما فعل الإمام ؟ فيقول : لا تهزأ به ، فيقول : لست أهزأ به إنا أهزأ بك ، ودخل المغيرة على عبدالله بن حسن بن حسن ، فقال : إنا نجد المهديّ ابنك محمداً فأرينه فأراه إياه فقال : هو هو . .

حدثنا محمد بن الصباح البزّار عن يحيى بن المتوكل عن كثير البوّاء ، قال : قال أبو جعفر فعل الله بالمغيرة وبيّان فإنهما كذّابان علينا أهل البيت .

قالوا : وأتى المغيرة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، فقال له : أقرّ بعلم الغيب حتى أجبي لك العراق ، فقال : أعوذ بالله ، ثم أتى محمد بن علي بن الحسين ، فقال له مثل ذلك . فزجره وشتمه .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن يحيى بن آدم عن عبدالله بن إدريس عن جارٍ له ،

---

(١) جعفر بن محمد : هو جعفر الصادق .
(٢) محمد بن عليّ : هو محمد الباقر .

قال : سمعت مغيرة بن سعيد يقول : مات عثمان بن عفّان وهو يعبد سبعة آلهة ، فأخبر خالد بن عبدالله بذلك ، فأرسل إليه فأخذه فاعترضته فقلت : في أيّ شيء أخذت ؟ قال : لا أدري [٦٨/٥٧٦] إلا أن تكون حميمات لابني .

قالوا : وكثر تبع مغيرة وتنبّأ ، وتنبّأ بيان فخرج على خالد فقتله وصلبه ، فيقال إن خالداً أحرقهما ، وقال خالد حين بلغه أمر المغيرة وبيان : أطعموني ماءً ، فقال ابن نوفل في ذلك ما قال .

وقال مالك بن أسماء بن خارجة : [من الكامل]

قـال التّجـاوزُ مـن بَيـانٍ واقِفـاً وَمِنَ المغيرَةِ فوق جسرِ العَاشِرِ
يـا ليتَـه قـد سـالَ جـذعـا نخلـةٍ ببُنـيَّ درٍّ وابـن قيـسِ المـاصِـرِ[١]

سليمان بن عبد الملك يأمر بقطع يد خالد:

١٦٤ ـ وقال الأصمعي وأبي عبيدة : كان خالد على مكة ولاّه الوليد ابن عبد الملك سنة خمسٍ وتسعين ، فكان عليها حتى مات الوليد وولي سليمان فأقرّه أشهراً ثمانيةً أو سبعةً ، ثم تنازع الأعجم عبيدالله بن شيبة بن عثمان ومصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان العبدريان[٢]، فكان هوى خالد مع مصعب ، فكتب الأعجم إلى سليمان مع ابن ابنه محمد بن طلحة بن الأعجم : يشكو تحامل خالد عليه وعلى ولده ، فكتب سليمان إلى خالد أنه لا سبيل لك على الأعجم وولده .

فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على خالد وهو بفخّ مستنقعٌ في ماء فلما

---

(١) مصر الشاة أو الناقة : حلبها بأطراف الأصابع الثلاث وهي ماصر : بطيئة خروج اللبن ـ اللسان ـ.

(٢) العبدريان : أي من بني عبد الدار بن عبد مناف من قريش .

رآه ، قال : صيدك إن لم تحرّمه[1] ، ثم ضربه مئة سوط .

وقال أبو عبيدة : ضرب الأعجم نفسه ، فخرج بنفسه وثيابه التي ضُرب فيها فألقاها بين يدي سليمان وقال : إنه لما قرأ كتابك ضربني ، فكتب سليمان إلى داود بن طلحة بن هدم الحضرمي وكان على قضاء مكة بولايته على مكة وتقطع يد خالد ، فكلّم يزيد بن المهلب سليمان وكان حاضراً ، فقال : إن كان ضربه قبل أن يقرأ كتابك ضُرب . فكتب سليمان : إن كان ضربه بعد قراءة كتابي فاقطع يده ، وإن كان ضربه قبل قراءة كتابي فاضربه مئة سوط كما ضربَهُ .

فقدُم بالكتاب عشيّة عرفة وخالد واقف بالناس ، فدفع الكتاب إلى داود الحضرمي فقرأه وأمر بخالد فنحّي عن مقامه ووقف بهم داود ، فلما انقضى الموسم وخالد محبوس قعد له وللأعجم فادعى أنه ضربه بعد قراءته الكتاب ، فخاف خالد على يده أن تقطع فجعل يصيح : نشدت الله رجلاً شهد ضربي إياه قبل أن أقرأ الكتاب إلاّ قام بشهادته ، فقام داود بن علي بن عبدالله بن العباس ، وكان على السقاية يومئذ فشهد له بذلك ، وشهد له عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كُرَيز ، فأمر داود بن طلحة بجلد خالد فضرب مئة سوط فجزع جزعاً شديداً ، وجعل يمدّ يده والفرزدق حاضر ، فقال : اضمم إليك جناحك يابن النصرانيّة ، فضمّ خالد يده فكان ذلك أهون للضرب عليه ، فقال : والله ما أراد الفرزدق نصيحتي ، وقال الفرزدق : [من الطويل]

سلوا خالِداً لا قَدَّسَ الله خالداً ... متى وَلِيَتْ قَسْرٌ قُريشاً تَدينها

---

(١) صيدك لا تحرمه : مثل يضرب للرجل يطلب غيره بوتر فيسقط عليه وهو مغتر ، مجمع الأمثال ، رقم : ٢٠٨٨ .

في أبيات ، قد ذكرناها .

ويقالُ إن خالداً أمر الأعجم بفتح البيت فأبى ذلك عليه ، فكان ذلك في نفسه على الأعجم حتى ضربه ، وسمّي الأعجم لرُتّةٍ[1] كانت في لسانه ، وقالت أم الضحّاك النصريّة من بني نصر بن معاوية[2] :

[من الطويل]

لَعَمري لقد باع الفرزدَقُ عِرضَهُ بخَسْفٍ وصلّى عِرضَهُ حامِيَ الجَمْرِ
وكيف يُسامي خالداً أو يَسُبُّهُ خميصٌ من التّقوى بطينٌ من الخمرِ

فلم يزل خالداً محبوساً بمكة حتى حجّ سليمان في سنة سبع وتسعين فكلّمه فيه المفضل بن المهلب ، فقال سليمان : يا با عثمان أطّت[3] بك الرحم ولا رحم بينكما ، إنه قَبَّحهُ الله قد جرَّعني غيظاً ، قال : فليهب أمير المؤمنين ذلك لي ، قال : قد فعلت ، وايم الله ليخرجنّ إلى الشام راجلاً ، فمشى خالد إلى الشام وشكر ليزيد والمفضل ما كان منهما ، فأجاز عبد الرحمن بن يزيد حين ولّي العراق مئة ألف .

وكتب هشام إليه يأمره أن يستنفر الناس إلى الغزو مع الجراح بن عبدالله ، فقدم عليه ناسٌ من آل المهلب فردّهم ولم يغزهم إلا عثمان بن المفضل كان وصله وأغزاه ، وقال : لولا مخافة ألا يحتملها لي أمير المؤمنين لعقدت له على البصرة .

---

(١) الرُّتّة : بالضم عجلة بالكلام وقلة أناة وقيل هو أن يقلب اللام باء .

(٢) بني نصر بن معاوية بطن من قيس وهو نصر بن معوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن الناس (عيلان) بن مضر بن نزار .

(٣) الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها ، وأطيط الإبل : أصواتها وحنينها ، وهنا لا رحم بينهما أي لا قرابة ولكن كلمه فيه تعصباً لليمانية فالمفضل من الأزد وخالد من مذحج .

قالوا : وكان أسد بن عبدالله على خراسان من قبل أخيه وكان شديد العصبية لا يملك نفسه فأُخبر عن نصر بن سيّار ، ومنصور بن أبي الخرقاء السُّلمي ، والبختري بن مجاهد مولى بكر بن وائل ، وعبد الرحمن بن نعيم ،وسورة بن الحرّ أنهم يصغّرونه ويقولون : أُمَيّرٌ ، فدعا بهم فضربهم في جوانب مجلسه وحلق رؤوسهم ولحاهم وأرسل بهم إلى خالد ، فلما أُتي بهم خالد سبّ أسداً أخاه حين لم يبعث برؤوسهم وقال : أشبه أمّه وكانت من عرينة[1] .

ثم أمر ابنه يزيد أن يكلّمه فيهم ليشرّفه بذلك فكلّمه فأخرجهم وأجازهم وخيّرهم أين ينزلون ، فاختاروا أن يردّهم إلى خراسان إلا نصر بن سيّار فإنه قدّم البصرة فابتنى مسجداً في حضرة بني يشكر وهو يعرف به . ولم يأت خراسان حتى عُزل عنها أسد وولي أشرس السُّلمي ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

أخالِدُ لولا الله لم تُعطَ طاعةً ولولا بنو مروانَ لم تُوثَقوا نَصْرا
إذاً لوجدتمُ دونَ شدِّ وثاقِهِ بني الموتِ لا كُشْفَ اللقاءِ ولا ضُجْرا
مَصَاليتَ أبطالاً إذا الحربُ شَمَّرتْ أمرُّوا بأطرافِ القَنا مِراراً شَزْرا

في أبيات .

قالوا : وبعث خالد إلى هشام بمالٍ ، وبعث إلى عليّ بن عبدالله ومحمد ابنه[2] بمال وكان يتعهدهما بصلته .

---

(١) لم يذكر أي عرينة فعرينة بطن من كلب وهو عرينة بن ثور بن كلب وعرينة بطن من قسر وهو عرينة بن نذير بن قسر .

(٢) علي بن عبدالله بن العباس وهو السجاد ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب فسماه أبوه علياً ، وابنه محمد بن علي وهو ذو السفنات .

حدثني عبدالله بن صالح المقري عن ابن كُناسة وغيره ، قالوا : كتب خالد إلى مالك بن المنذور : أن خذ الفرزدق فاحبسه وكان يحقد عليه أشياء ، وأظهر أنه إنما حبسه لأنه هجا نهر هشام ، فأمر مالك أيوب بن عيسى الضّبّي فاحتال له حتى أخذه ، وكانت ضبّة أخوال الفرزدق فهجا أيوب بشعر فيه : [من الطويل]

سَتأْتي ابنَ زُبِّ الخُنفساءِ قَصيدةٌ ... يكونُ له مني عن أبياتها شره

مَنَنْتُ لهُ بالرَّحْمِ بيني وبينَهُ ... فألفيتُه مني بعيداً أواصِرُهْ

فقلتُ امرءٌ من آل ضيَّةَ فاعتَزى ... إلى غيرهِم جلدُ استِهِ وَمنَاخِرُهْ

فلو كنتَ ضَبِّياً عرفتَ قَرابَتي ... ولكنَّ زنجيّاً غليظاً مشافِرُهْ

فلما وُرد بالفرزدق على مالكٍ أمر أن يوقر حديداً ويجلس ، فقال وكان يصلّي قاعداً : [من الطويل]

خذا بيَدَيَّ وارفعاني إليكما ... لَعلّي أُصلّي قائماً غيرَ قاعِدِ

لَئِنْ قارَبَ القَسريُّ خَطوي لطَالما ... تناولتُ أطرافَ الهُمومِ الأباعِدِ

بمأمومَةِ الأعضاءِ خوصٍ مِن السُرى ... خِفافُ الأوادي ناقصاتُ المزاوِدِ

وقال أبوعبيدة أخبرني أعين بن لبطة بن الفرزدق عن أبيه قال : أتيت إلى مالك بن المنذر لأنشد شعر أبي فأُحجب ويُرسل إليّ أن أمر أبيك إلى غيري فالتمسوا له وجهاً سواي ، فكتب الفرزدق مع ابن أخ له ومعي إلى هشام بشعر يقول فيه : [من الطويل]

بَعَثْتُ إليك ابنيَّ يا خيرَ مَنْ مَشَى ... ويا خيرَ مطلوبٍ إليه لخائف

فلو كنتُ أخشى خالداً أَنْ يروعَني ... لطرتُ بوافٍ ريشُهُ غيرَ جادِفِ

كما طرتُ من مِصْرَيْ زيادٍ وإنَّهُ ... لَتَصْرِفُ لي أنيابُه بالمتالِفِ

ألم يَكُ منكم آلَ مروانُ مُنعمٌ ... عليَّ بنُعمَى بادِىءٍ ثمَّ عاطِفِ

أَلـم يكفِنـي مَـروانُ لمـا أتيتُـهُ زيـاداً وَرَدَّ النفـسَ بيـنَ الخَـوالِـفِ
عجبـتُ لقـومـي إنْ رأونـي[1] وَإنْ غِبتُ كانوا بين واشٍ وقاذِفِ

وقال لسعيد بن الوليد الأبرش الكلبي : [من الطويل]

إلى الأَبرشِ الكلبيّ أَسْنَدْتُ حاجةً تـواكَلَهـا حيّـا تَميـمٍ ووائِـلِ
على حينِ أَنْ زَلَّتْ بِيَ النَّعلُ زلّةً وأخلَفَ ظني كلّ حافٍ وناعِلِ
فدونكها يابن الوليدِ فَقُمْ بها قيامَ امرىءٍ في قومِه غيرِ خامِلِ
فـإنَّـكَ مِـنْ قَـومٍ كِـرامٍ أَعـزَّةٍ إذا عـضَّ يومـاً شَرَّهُ بـالكَـواهِـلِ

فكلّم فيه هشاماً ، فكتب إلى خالد بتخلية سبيل الفرزدق ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

لقـد وَثَـبَ الكلبـيُّ وثبَـةَ مَـاجـدٍ إلى خيرِ خلقِ الله نفساً وعُنْصُرا
أبى حِلفَ كلب في تميمٍ وعقدَهَا لِمـا سنَّـتِ الآبـاءُ أَنْ يتغيَّـرا

ويقال إن هشام بن عبد الملك أنفذ كتابه إلى خالد مع جرير بن عطيّة ، فلما قدم عليه أنشده جرير : [من الطويل]

لقـد كـانَ داءٌ بـالعِراقِ فمـا لَقُـوا طبيباً شَفَى أدواءَهم مِثْلَ خالِدِ
سقاهُم بِرِفْقٍ خالَطَ اليُمنَ والتُّقى وسيرَة مَهْدِيٍّ إلى الحقِّ قاصِدِ
فهل لَكَ في عانٍ وليسَ بشاكر فَتُنقذُهُ من طول عَضّ الحدايد
يعـودُ وكـانَ الخُبـثُ منه سجيّـةً وإنْ قـالَ إنّـي مُعْتِبُ غيْرُ عـائِـدِ
بَني مالكٍ إنَّ الفرزدَقَ لم يَزَلْ كَسُوباً لِعارِ المُخزِياتِ الخَوالِدِ

ويقال كان [٦٨/٥٧٧] الرسول غير جرير .

ويقال وفد عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير في أمر الفرزدق إلى

---

(١) كلمة ناقصة وهي : تَعَذَّروا . الديوان ج٢ ـ ص .

هشام ، حتى أخذ كتاباً بإطلاقه ، فقال الفرزدق : أنا أسيرُ قَسْريّ ، في حبسِ عبديٍّ ، طليقِ كلبيّ .

وقال : [من الطويل]

[و] لا فضلَ إلا فَضْلَ أُمٍّ على ابنِها كفضلِ أبي الأشبالِ عندَ الفَرزدَقِ
تداركَني من هُوَّةٍ كانَ قعرُها ثمانينَ باعاً لِلطَّولِ العَشَنَّقِ

وكان أسد حين ورد كتاب هشام خليفة أخيه بواسط ، وذلك أن خالداً كان غائباً عن واسط يقال إنه حج في سنته .

وقال في أسدٍ : [من الطويل]

وكم لأَبي الأشبالِ من فَضْلِ نعمَةٍ تُعدُّ وأيدٍ أطلقَتْني سُعودُها
فَأَصْبَحتُ أمشي فوقَ رجليَّ قائماً عليها وقد كانت طويلاً قُعودُها
وكم يابنَ عبدِ الله من فضلِ نِعمَةٍ بكفَّيكَ عندي لم يُغَيَّبْ شُهودُها

في أبيات .

حدثنا الرفاعي عن عمه عن عبدالله بن عياش الهمداني ، والمجالد بن سعيد عن الشعبي ، قال : حضرت خالد وقد أُتي بقوم فأمر بضربهم ، فقلت : أصلح الله الأمير إن أول من جعل السجن كان حليماً ، فعليك بالتؤدة وإياك والعجلة ، فإنك على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ردّ ما فعلت ، فأمُرْ بحبسهم حتى تتثبّت في أمرهم ، قال : صدقت أبا عمرو وحبسهم . وقال المدائني : هذا لعمر بن هبيرة .

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم ، قال : كان خالد يزوّج أقاربه ويسوق عنهم المهر ، وأراد أن يزوج بعضهم فذهبت عنه الخطبة ، فقال : إني والله أروي بالنكاح كذا وكذا خطبةً وما يحضرني منها الآن شيء ، فاشهدوا أني قد زوّجت فلاناً فلانة وأصدقتها كذا .

المدائني عن غير واحدٍ ، قالوا : كان خالد سخيّاً بالمال شحسحاً على الطعام ولم يكن له طعامٌ إلا لنفسه خاصةً لا يحضره أحدٌ يأكل معه ، فأكل معه رجل يوماً وأجاد الأكل فقال لحاجبه : لا يدخلنّ هذا عليّ .

وقال الهيثم بن عدي وحدثني ابن عياشٍ ، قال : كان مصقلة العبدي طويل اللحية عريضَها ، فدخل على خالد بن عبدالله ، فقال له : يا مصقلة لو أخذت من لحيتك ، فقال : أعزمةٌ فأطيع أم مشورةٌ فأقبل ، قال : لا واحدة منهما ، ثم قال : ما فعل ابنك الفضل ؟ وكانت أمّه ابنة القبعثري ، فقال : هلك رحمه الله ، فقد كان آخذاً لأربع تاركاً لثلاث ، كان آخذاً لقلوب الرجال إذا حَدَّثَ ، حسن الاستماع إذا حُدِّثَ ، حسنُ البشر إذا هو لُقِي ، جميلُ القول إذ خُولِف ، تاركاً لمداعبة الأحمق ومقارفة المآثم وإتيان ما يُعتذر منه .

قال الهيثم : وقال خالد بن عبدالله : إني لأحبّ قتل الرجل ما له عندي ذنب إلا استخفاف حاجبه بي وشدّة حجابه لي .

قال الأصمعي : قال خالد : كنت أطعم يوم الحَطمة[1] ستة وثلاثين ألفاً في كل يوم تمراً وسويقاً[2] .

قال أبو الحسن المدائني : إنما أطعم الأعراب في حطمة أصابتهم ، أطعم في كل يوم ثلاثين ألف إنسان ، خبزاً وسويقاً وتمراً ، فقيل لأعرابي : لو أتيت خالداً فإنه يطعم الأعراب ، فأبى وقال : [من الطويل]

يَقُولُ ابنُ حَجّاجٍ تجهَّزْ ولا تَمُتْ هُـزالاً بحَـرَّانٍ تُعـاوي ذِئـابُهـا

---

(١) الحَطْمُ : الكسر في أي وجه كان والحطمة السنة الشديدة ولا تسمى حاطوماً إلا في الجدب المتوالي .

(٢) السويق : والجمع أسْوِقه : ما يتخذ من الحنطة والشعير ـ اللسان ـ .

فَأُقسِمُ لا أبتاعُ رُغْفانَ خالدٍ   بأرواحِ نجدٍ ما أَقامَ تُرابُها

وقال الهيثم بن عدي ، قال ابن عياش : كانت حطمة خالدٍ فجاءتْ قيس وتميم وأسد وكلب وبليّ ، فكان يطعمهم ثلاث أكلات ، أكلة بلحم وأكلة بعدس وأكلة بلبن أو بخلٍّ وزيتٍ ، وكان يحسيهم السمن ، ويقول : لا تبدؤوهم بالطعام فيموتوا فإن الأمعاء تضيق ، ثم يُحسوَن بعد السمن المرق ، فأنفق عليهم تسعين ألف ألف درهم .

هشام يحمّل خالداً ما أنفق فيتحملها عنه أهل الخير :

١٦٥ ـ وكتب إلى هشام : إني أنفقت على الأعراب من مالك ليكثر لك الدعاء وعليك الثناء ويجب لك الأجر ، فكتب إليه هشام : يابن أمّ خالدٍ إياي والخُدَع ، والله لا أحسبها لك أبداً ، فقال جوانانبه بن راس البغل : لك عندي خمسة آلاف ألف درهم ، وقال بعض الدهاقين : لك عندي عشرة آلاف ألف ، وتبادر الدهاقين حتى حملوها عنه .

المدائني قال : دخل رجل على خالد بن عبدالله ، فقال : أصلح الله الأمير أكلّمك بهيبة الأمل أم بجرأة اليائس ، قال : بهيبة الأمل وقضى حوائجه .

أبان بن الوليد[(١)] :

١٦٦ ـ حدثني أحمد بن الحارث عن المدائني عن عوانة وأبي إسماعيل الهمداني ، قالا : كُفّل ابن بيض الحنفي بهُشيم بن صفوان وجميل بن حمران بألف ألف فمات هشيم فحُبس ابن بيض فكتب إلى

---

(١) أبان بن الوليد بن عبيدالله بن أبي هُمَيمة بن الحارث بن عامر بن عامرة بن سعد بن عامر بن قُداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث (بجيلة) بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

أبان بن الوليد : [من الخفيف]

مُسْتكيـنٌ بـأَلْـفِ ألـف أَسيـرٌ هَـالِـكٌ أَوْ إِخـالُ أَنّـيَ مُـوْدِ

لـو بعشـريـنَ أو ثـلاثيـنَ حبسـي كـان حبسـي بـالهيّـن المـوجـودِ

فتَـذكَـرْتُ مَـنْ لِـرَوْعـاتِ دَهـرٍ ذي بَنَـاتٍ بيـضٍ وحُمـرٍ وسُـودِ

مَـنْ لهـا يـا سعيـدُ قـالَ : أَبـانٌ فَـاغْتَنِمْهـا أَبـانُ يـابـنَ الـوليـدِ

فأراد أبان أن يكلّم خالداً فيه فوافاه وقد جاءه كتاب منه فيه :

[من المتقارب]

أَلــم تَــرَ أَنّــي علــى عَيْلَتــي تَحمّلــتُ للحَيْــنِ حِمْــلاً ثقيــلا

هُشيمــاً تحمّلــتُ مــن شَقْــوَتــي وثُنّيــتُ بعــدَ هُشيــم جَميــلا

فَــأَوْدى هُشَيــمٌ بمــا عِنــدَهُ فَــأَوْرثَنــي ذاكَ هَمّــاً دَخيــلا

فَمــا بــي يُفــرِّقُ أَيتــامَــهُ وَإِنْ أصبَحوا بعد عَيْشٍ كُلولا[^1]

ولكــنْ بَنــيَّ الأُلــى عــن قَليــلٍ يَــرَوْنَ أَبــاهُــم وَشيكــاً قَتيــلا

أطعْنــي فــإنّــي امــرؤٌ نــاصِــحٌ وخُــذْ مــن فَــزَارَةَ غيــري كَفيــلا

عليــكَ عُيَيْنــةَ أَوْ مــالكــاً وقَيْسـاً[^2] تجـدْهُ وَقـوراً حَمـولا

فخُــذهُــم جَميعــاً بمــا عنــدَهُــمْ فــأَهْــلُ القَتيــلِ يكــونُ القَتيــلا

وإنْ عُــدْتُ فــي مثلِهــا بعــدَهــا وجئتُــكَ مــنْ عَثَــرةٍ مُسْتَقيــلا

فَمُــرْ بــي عَطــاءً وأشيــاعَــهُ ينـوطـونَ[^3] رجلـيَّ حتّـى أَبـولا

---

[^1]: (١) كلَّ يكلّ كلاًّ وكلالاً : أعيا ـ اللسان ـ .

[^2]: (٢) عينية : هو حذيفة ولقب عيينة بن حِصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويّة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن عمرو (فزارة) بن ذبيان . ومالك : هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وقيس : هو قيس بن الأشيم بن سيّار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سُميّ بن مازن بن عمرو (فزارة) .

[^3]: (٣) نوط : ناط الشيء بنوطه نوطاً : علّقه ـ اللسان ـ .

يعني عطاء بن مقدّم كان على عذاب خالد بن عبدالله واستخراجه .

وكان ابن هبيرة ولّى هشيم بن صفوان[1] الفزاري فارس ، فلما ولي خالدٌ وشى هشيم بابن هبيرة وزعم أنه اقتطع اثني عشر ألف ألف درهم ، وأبان بن الوليد بن عبيدالله بن مالك البجلي ، قالوا : وكان أبان بن الوليد يجالس إبراهيم بن شبرمة ، فكان إبراهيم إذا نظر إليه ، قال : ويحه أي خارجيّ هو .

فلما قدم خالد بن عبدالله الكوفة عرض على ابن شبرمة العمل ، فقال : لا حاجة لي منه ولكن اجعلني من أعوانك وارفع عني النوبة والمكروه ، ففعل فكان في الديوان .

وقال المدائني : كان أبان كاتباً لإياس بن معاوية بن قُرّة المزنيّ . وكان إياس يلي سوق واسط والحسبة ، أجبره ابن هبيرة على ولاية ذلك وضربه أربعين سوطاً حتى تقلّده ، فكان أبان يحمل الدواة والقرطاس لإياس . فلما قدم خالد ولاّه شرطه ، فقال ابن نوفل :

وهذا أَبانُ بُنَيُّ الوليدِ ... خطيباً إذا قامَ لم يُحصَرِ
أبعدَ الدَّوَاةِ وحملِ الطُّروسِ ... وبعدَ الكتابِ على الدَّفْتَرِ
ظَللتَ أميراً بأَرض العرا ... قِ لَهْفي على البَيْدَقِ الأَعْوَرِ

وحمل أبان الحربة فجعل ينتظر خروج خالد ليحملها بين يديه ، فقال

---

(١) هشيم بن صفوان عند ابن الكلبي في الجمهورة هاشم بن صفوان بن مرثد بن نجبة ومرثد هذا صحابي شهد مع خالد بن الوليد الحيرة وشهد اليرموك وكان على مقدمة خالد يوم فتح دمشق فقتل على سورها وقبره حتى الآن عند سور دمشق في باب توما يزار) بن ربيعة بن رياح بن ربيعة بن عزر بن هلال بن شمخ بن فزارة وتسمخ بطن من فزارة . وهؤلاء الثلاثة أسياد .

له رجل : لو وضعت الحربة حتى يخرج الأمير ، أو دفعتها إلى من يمسكها ، فقال: لوددت أن رجلاً أعطاني حربةً أخرى أسير بها بين يديه .

وكتب هشام إلى خالد : إنك وَلَّيت شرطتك رجلاً حدثاً ، فلوو ولّيتها ذا حنكةٍ ونقلت صاحبك إلى ما هو أجدى عليه منه ، فقال خالد لأبان : قد جعل أمير المؤمنين أصلحه الله السبيل لي إلى ما أحب فيك . فولاه فارس ، وقال : كلها هنيئاً مريئاً ، وولّى شرطته العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي ، فأتى علي بن زيد بن عبدالله بن أبي مُليكة ، واسم أبي مُليكة زهير بن عبدالله بن جُدعان[1] أبانَ بن الوليد بفارس فوصله بخمسة عشر ألف درهم ، ويقال بثلاثة عشر ألفاً فقال له : لقد مننت بها على شيخ من قريش كانت به إليها حاجة ، فقال : يا با الحسن منتك في زيارتنا أعظم .

وقال ابن نوفل يهجو أبان بن الوليد : [من الطويل]

أَخالدُ ولَّيتَ امرَءاً حدَّ سارِقٍ ... حكومةَ أهلِ المِصرِ يا ضَيْعَةَ الحكمِ
أليسَ أبانٌ أمسِ بالريّ أرسلتْ ... عليهِ سياطُ الجَعْفَريّ بلا ظُلْمِ
فلا تَضْرِبَنَّ الدَّهْرَ للخَمرِ شارباً ... من قَبْلهمْ أَغْلا بِعاتِقهِ الكرمِ

وقال ابن نوفل[2] أيضاً : [من الخفيف]

---

(١) عبدالله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) .

(٢) ابن نوفل : هو يحيى بن نوفل شاعر أموي وهو الذي قال في عبد الملك بن عمير : [من الطويل]

إذا ذاتُ دَلٍّ كلّمتُه لحاجَةٍ ... فهمَّ بأن يقضي تنحنح أو سَعَلْ

فكان عبد الملك بن عمير يقول : تركني والله وإن السُّعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله فأهاب أن أسعل . =

مـا سَمِعْنـا لابـنِ الـوليـدِ أَبَـانٍ بـأَبٍ دونَ عـامِـرِ بْـنِ قِـدادِ

فكان أبان يقول : قولوا لابن نوفل ينتسب إلى أبوين من حمير ، فأما أبواه من موالي ثقيف فمعروفان ، وكان ابن نوفل يزعم في أيام الحجاج أنه من ثقيف ، فلما كانت أيام خالد ، قال : أنا من حمير ، فقال أبو عطاء السندي[١] : [من المتقارب]

يَقـولُ ابـنُ نَـوْفَـلَ فيمـا يَقُـولْ أنـا ابـنُ الكـلاعـيِّ مـن حِمْيَـرِ
ودارُ الكـلاعـيِّ عُلْـوِيَّـةٌ ودارُ ابـنِ نـوفـلَ فـي نِفَّـرِ

وللكميت في أبان شعرٌ منه قوله : [من البسيط]

لا واضعٌ عن مطيِّ الحمدِ أرجلَهُ يـومـاً ولا هـو للغـوراءِ مُنتـدَبُ
أحـلامُكُـم لسقـامِ الجهـلِ شـافِيـةٌ كما دماؤكمُ تشفي من الكَلَبِ[٢]

وأتى أبانَ بنَ الوليد جندلُ بن الراعي عُبَيد بن حصين النُمَيري فقال له : [من الرجز]

نَفْسُ عصامٍ سَوّدتْ عصاما[٣]

فأعرض عنه واستلقى ، فقال ابن نوفل : [من الوافر]

---

(١) أبو عطاء السندي اسمه أفلح بن يسار ويقال اسمه مرزوق مولى بني أسد منشأه الكوفة من مخضري الدولتين مدح بني أمية وبني هاشم وكان في لسان أبي عطاء لُكنة شديدة ولثغة فكان لا يفصح ، وكان له غلام فصيح سماه عطاء وتكنّى به وقال : قد جعلتك ابني وسمّيتك بكنيتي . وكان يروي شعره وكان من أحسن الناس بديهة وأشدّهم عارضة وتقدماً وكان يقول : مرهباً مرهباً هياكم الله بدل مرحبا مرحباً حياكم الله .

(٢) كان يقال أن دم الأمراء يشفى من داء الكلب .

(٣) هذا صدر بيت للنابغة الذبياني وعجزه : وعلمته الكرّ والإقداما .

رأيتُ أَبا الوليدِ وفيهِ إحْنٌ إذا ما المرءُ واجَهَهُ الكلاما
أقرَّ لجندلٍ والقومُ فَوْضَى علانِيَةً وشبَّهَهُ عِصاما
ووقَّرَهُ لها جَهلاً وأَغْضَى عليها العينَ فاستلقى ونَامَا

[٦٨/٥٧٨]ولما حبس يوسفُ بن عمر عمالَ خالدٍ حبس أبان بن الوليد وعذّبه ، فقال : [من الخفيف]

طَالَ في الحبسِ مَجلِسي وثَوائي وَاضْطِباري للجهدِ والأَدْواءِ[1]
كلَّ يومٍ يُعدى عليّ ولا قُوَّةَ لي أو يراحَ بالعَذْراءِ
فإلى الله لا إلى الناسِ أشكو ما أرى من شماتَةَ الأعداءِ
ربِّ إنّي كُلّفتُ ما ليس ودٌّ عندي فعويلي إليك رَبَّ السَّماءِ
فَلئِن مُت أو قُتلتُ حميداً أو كريمُ الصُّنعِ في الأحياءِ
كَمْ وكمْ سُنَّةٍ ستُذكَرُ إنْ مِتُّ لديهمْ ومنْ يَدٍ بيضَاءِ
فاندُبيني إن مُتُّ أمَّ حصنٍ للنَّدى والتُّقى وَبذْلِ العَطاءِ

خالد بن عبدالله والمتنبي بالكوفة :

١٦٧ ـ المدائني وغيره ، قالوا : أُتي خالد بن عبدالله برجل تنبّأ بالكوفة ، وقال : إنه قد أنزل عليّ قرآنٌ ، فقال له خالدٌ : ما قرآنك ؟ قال : إنّا أعطيناك القماهر فصلِّ لربّك وجاهر ، ولا تُطع كل فاجر مغترٍ بالله كافر ، فأمر به خالد فضرب حتى أثخن ثم أمر به فصُلب .

فقال له حمزة بن بَيْض الحنفي[2] وهو يشدّ على الخشبة : إنا أعطيناك

---

(١) الأدواء : جمع داء .

(٢) نسبة إلى حنيفة بن لجيم بطن من قبيلة بكر بن وائل من ربيعة وهو حمزة بن بيض بن يمن بن عبدالله بن شمر بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن عبد العزى بن مرّة بن الدُّول بن حنيفة بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن مائل .

العمود فأطل عليه الركود وصلّ لربّك على عود وأنا ضامنٌ من أن لا تعود ، ولم يلبث أن مات .

قالوا : وأتى محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان خالداً ، يستميحه فلم يَر منه ما يحبّ ، فقال : أما المنافع فللهاشميين ، وأما نحن فما حُبوتنا منه إلا شَتْمه عليّاً على منبره ، فبلغ ذلك خالداً ، فقال : إن أحبّ تناولنا له عثمان بشيء .

المدائني ، قال : كان عامة عمال خالد الدهاقين فقُتل دهقان منهم بفارس ، فأمر خالد بنفي العرب وعيالاتهم من السواد ، فقال ابن نوفل :
[من الوافر]

أيقتلُ عامِلٌ بِدَارا بَجَرْدٍ فَتَنفُونَ العِبادَ مِنَ السَّوادِ
لَعَلَّكَ أَنْ تَرى عمّا قَليلٍ عيالَكَ يُسلبونَ بكلِّ وادِ

المدائني : قال : خطب أخو خالد إسماعيل بن عبدالله عند أبي العباس ، ويقال عند أبي الجهم بن عطية أحد رجال الدولة ، فذمّ عمال بني أميّة الحجاج وابن هبيرة ويوسف بن عمر ولم يذكر خالداً ، فقام بعضُ من حضر فقال : جزاك الله من خطيب خيراً ذكرت أهل بيت اللعنة وعمالهم فأحسنت في ذمّهم ، إلا أنك تركت خالداً وهو ابن زوينية اجتمع في بطن أمّه الخمر ولحم الخنزير ، وسلّط أهلَ الذمّة على المسلمات فعلقوهنّ بثديهنّ ، وبنى البِيَع غير متحرِّج ولا مرتاب .

وقال ابن نوفل : [من الطويل]

عَلَيْكَ أميرَ المؤمنينَ بِخَالدٍ وعُمّالِهِ إن كنتَ تطلبُ خَالِدا
بنَى بَيْعَةً فيها الصّليبُ لأمِّهِ وخرَّبَ مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ المسَاجِدا

وقال حمزة بن بَيض بن يمن بن عبدالله بن شمر بن عمرو بن

عبدالله بن عمرو بن عبد العزيز[1] بن سُحَيم بن مرّة بن الدول بن حنيفة :

[من الخفيف]

ليتنـي مـن بَجيلَـةَ الُّلـؤْم حتّـى ... يُعـزَلُ العـامِـلُ الـذّي بـالعِـراقِ
وَإذا عــامِــلُ العِــراقِ تَــولّــى ... عدتُ من أُسرتي الكرامِ العِتاقِ

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين ، ثنا الفضل بن الزبير ، قال : أمسى خالد بالصلاة يوماً فقام إليه شابٌّ من كندة ، فقال : الصلاة أصلحك الله ، فقال : لعنك الله أولسنا في الصلاة .

حدثني داود بن عبد الحميد عن مروان بن معاوية ، حدثني عبيدالله بن الوليد ، قال : قلت لعطاء بن أبي رباح[2] ، ما تقول في صاحبٍ صاحبَ هؤلاء فلم يكتب معهم شيئاً مما يدخل ويخرج ؟ قال : مَنِ الناس ؟ قلت : خالد بن عبدالله ، قال : أما تقرأ ما قال العبد الصالح : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[3] .

ومدح ابنُ بيض خالداً ، فقال : [من الكامل]

وَأَبـوكَ آدَمُ كـانَ عنـدَ وفـاتِـهِ ... أوصـاكَ وَهْـوَ يجـودُ بـالحَـوْبَـاءِ
بِبَنيـهِ أَنْ تـرعـاهـمُ فـرعَيْتَهُـمْ ... وَكَفَيْـتَ آدَمَ عَيْلَـةَ الأَبنـاءِ

أخبرني عبدالله بن صالح عن ابن كناسة : أن خالد بن عبدالله كان

---

(١) في الجمهرة لابن الكلبي عبد العزى وهو الصحيح ولعله سهر من الناسخ لأن عبد العزيز اسم إسلامي والاسم الجاهلي عبد العزي وهذا جاهلي .

(٢) عطاء بن أبي رباح : أسلَم الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم أبو محمد القرشي مولاهم المكي ولاؤه لبني جمح نشأ بمكة ولد في خلافة عثمان وقطعت يده مع ابن الزبير حدث عن كثير من الصحابة وكان أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث ، مات في رمضان سنة أربع أو خمس عشرة ومئة .

(٣) سورة القصص رقم : ٢٨ الآية رقم : ١٧ .

يقول : أيه الناس عليكم بالمعروف لا يعدمُ جوازيه فمهما ضعف الناس عن أدائه قدر الله على جزائه ، وقال أيضاً : أيها الناس تنافسوا في المكارم فإنها أعظم المغانم ، فاشتروا الحمد بالجود ولا تكسبوا بالمطل ذمّاً ، وقال خالد : أيها الناس عليكم بالمعروف فإن المعروف لو كان بجلاً لرأيتموه حسناً لسناً ذا بِشْرٍ ومروءة ، ولا تملّوا النِعم فتعودَ نِقماً ، وقال : أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوّهاً قبيحاً تنفر عنه القلوب وتُغضّ دونه الأبصار ومن لم يطِبْ حرثه لم يَزْكُ نبته .

حدثني محمد بن أنس الأسدي عن كناسة ، قال : دخل الطرّماح على خالد[1] فقال : يا با نفّر أنشدني ، فقال : أجلس ثم أنشدك ، فقال : لا إلا قائماً وإلا فلا شيء لك عندنا ، فخرج وقال : [من الكامل]

حُـرّاً أمـوتُ ولـم يَشِنّـي مَطْمَـعٌ   إنّـي نَقِـيُّ بَطَـايِـنِ الأطْمـارِ

فقال بعض قريش : إن أبا نفّر لعظيم المروءة .

المدائني قال : لما أتى ابن الراعي[2] خالداً فمات ابنه فأعطاه خالد ديتيه ، قال أبو الجويرية العبدي : [من الكامل]

---

(١) الطرمَاح بن حكيم بن حكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضي بن مالك بن أمان (الأجبيون) بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة (طيء) من فحول الشعراء وفصحائهم منشأه بالشام وانتقل إلى الكوفة واعتقد مذهب الشراة الأزارقة وكان صديقاً للكميت وفدا على مخلد بن يزيد بن المهلب فأبى الطرماح أن ينشد قائماً ودعي الكميت فأنشد قائماً فأمر له بخمسين ألف درهم فلما خرج الكميت شاطرها الطرماح وقال له : أنت أبا ضُبينة أبعدُ همّةً وأنا ألطف حيلة وكان يكنى أبا ضُبينة وأبا نفر .

(٢) أي راعي الإبل لقب بذلك لكثرة وصفه الإبل في شعره واسمه عبيد بن حُصَين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبدالله بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وبَدَاة مَجدٍ لم تكُنْ فاقْتَرحتَها إلى كُلِّ أُفْقٍ فاحْتَوتْها القَصائِدُ
ضَمِنتَ ابْنَ راعي الإبْلِ إنْ حانَ يومُهُ وشَـقَّ لـه قبـراً بـأرضِـكَ لا حِـدُ
حبـاءً لمثـوى زائـرٍ فَـودَيْتَـهُ فَـدَتْـكَ الأكِفَّـا طَلْقُهـا والجَـوامِـدُ
وقد كان مات الجودُ حتّى نشرتَهُ وَأَذكَيْتَ نارَ الجودِ والجودُ خامِدُ

فأعطاه ثمانية آلاف وقال : أنت أشعر من ابن الراعي .

وقال الفرزدق : [من الطويل]

وما الشمسُ ضَوءُ المَشْرِقَيْنِ إذا بَدَتْ/ولكـنَّ ضـوءَ المشـرِقَيْـنِ بخـالِـدِ

قالوا : وكان طارق مولى ابن أخت سعيد بن راشد وسعيد مولى النخع ، وكان طارق يأخذ من كل سفينة ذات شراع أربعة دراهم ، ومن كل مصعدة ثمانية دراهم ، وكان متحاملاً على عبدالله بن عبد الرحمن بن سعيد بن عتاب بن أَسِيْد ، وابنٍ لعنبسة بن سعيد ، فشكواه إلى خالد وقالا : وهو يضرّ بنا في أرضين لنا ، فقال خالد : أما سمعتما قول القائل : اسجد لِقرد السوء في زمانه وارفق به ما دام في سلطانه وإن تلقّاك بقَيْرَوَانه[1] ، قالا : بلى ، قال : فارضياه ، فحملا عهدتي أرضيهما وأتيا طارقاً ، فقال : حاجتكما ، فقالا : كنّا ننازعك فيما تأخذه منا وقد أتيناك بعهدتي أرضينا فاقبضهما هنيئاً مريئاً . فقال : فعلتما ما أنتما أهله في شرفكما ، ودعا بأشربة عنده على ضياع فقال : دونكما هذه العُهَد وعهدتيكما .

فدخلا على خالد بعد ، فقال : اسجدتما للقرد ؟ قالا نعم وقد أحسن وأجمل .

---

(١) القيروان : معظم الكتيبة والجماعة من الخيل والقافلة وبلد بالمغرب ـ اللسان ـ.

حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كناسة ، قال : كان بين عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وبين جعفر بن عمرو بن حريث مماظّة ومعاتبة ، فدخل جعفر بن عمرو على خالد وعنده عبد الرحمن بن عنبسة وعلى صدر خالد صبيّ يقبّله ويلاعبه ، فقال لعبد الرحمن وكان جالساً إلى جنبه وخالد لا يسمع : من هذا الصّبي ؟ قال : ابني ، فقال : أصلح الله الأمير نحِّ هذا الصبيّ عن صدرك فما رأيت أقذر منه وأنت تقبّله ، فقال خالد : أفي نفسك على أبي عبدالله موجدة أو شيء ، قال : من أبو عبدالله ؟ قال : أسدٌ أخي ، قال : أصلح الله الأمير ما عرفته ، ولكن هذا الفاسق خدعني وغرّني وزعم أنه أبنه ، فضحك خالد حتى فحص برجليه .

قالوا : وأتى خالداً رجلٌ من ولد السليل[1] الشيباني ، فقال : أصلح الله الأمير إني حملت عشر ديات وأتيتك معتمداً ، قال : فاحتكم ، قال : نصفها ، قال : قد فعلت . فخرج فلامه أصحابُه وقالوا : حكّمك الأمير أفلا حكمت بها كلها ؟ وسمع خالد ذرواً من قولهم ، فقال : ما يقولون ؟ فأُخبر به ، فقال : ردّوه فلما ردّوه ، قال : قد أقلتك وأمر له بالعشر كلها ، قال : فانصرف بألف بعير .

عمر بن عبد العزيز وخالد بن عبد الله :

١٦٨ ـ المدائني ، قال : دخل خالد بن عبدالله على عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته ، فقال له : ما زيّنتْكَ الخلافة ولكنك زيّنتها ولا

---

(١) السليل هو أخو بسطام بن قيس سيّد بني شيبان وهو السليل بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبدالله بن عمرو بن الحارث بن همّام بن مُرّة بن ذُهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

شرّفتك ولكنك شرّفتها ، وإنك كما قال الشاعر : [من الخفيف]

وَتَـزيـدينَ طَيِّـبَ الطِّيـبِ طيباً إنْ تَمَسّيــهِ أَيْــنَ مثلُــكِ أَيْنــا
وإذا الــدّرُّ زَانَ حُسْــنَ وَجــوهٍ كــانَ الـدرَّ حسـنُ وجهِـكِ زَيْنـا

فقال عمر : أُعطي هذا الرجل مِقْولاً ولم يُعْط عقلاً .

حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : كان فرّوخ أبو المثنى على ضياع هشام متقبلاً لها وكان قد تقبل بنهر الرُّمان فقيل له فرّوخ الرُمّاني ، فثقل على خالد ، فقال لحسان النبطي : ويحك اخرج إلى أمير المؤمنين فزِدْ على فرّوخ ، فزاد عليه ألف ألف فثقل حسان على خالد فجعل يضربه ، فقال له : لا تفسدني فإني صنيعتك ولا تضرنّ بي ، فأبى فشخص حسان فقال لخادمٍ من خدم هشام : إن تكلّمت بكلمة أقولها لك حتى يسمعها أمير المؤمنين فلك عندي ألف دينار ، قال : فعجّلها ففعل ، فقال : بَكِّ صبياً من ولد هشام فإذا بكى فقل تبكي كأنك من ولد خالد القسري غَلّته [٥٧٩/٦٨] ثلاثة عشر ألف ألف لا يؤدّي منها شيئاً ، وهو يأكل العراق فسمعها هشام ودعا بحسان فسأله عمّا سمع ، فقال : لعمري إن غلته هذا المال فكانت في نفس هشام حتى عُزل .

أول بدء أمر عزل خالد بن عبدالله :

١٦٩ ـ وكان خالد يقول لابنه يزيد : ما أنت بدون مسلمة بن هشام فإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر أحدٌ بمثلها : سكّرتُ دجلة ولم يتكلّف ذلك أحدٌ ، ولي سقاية بمكة ، وولاية العراق .

المدائني ، قال : كان خالد كثيراً ما يذكر هشاماً ، فيقول : ابن الحمقاء الورهاء ، وكانت أم هشام كذلك فكتب مرّة إلى هشام كتاباً غاظه فيه ، فكتب إليه هشام : بلغني أنك تقول ما ولاية العراق بشرف لي فيابن

اللخناء ، كيف لا تكون إمرة العراق شرفاً لك وأنت من بجيلة القليلة الذليلة ، أما والله إنّي لأظن أول من يأتيك صقر من قريش يشدّ يدك إلى عنقك .

قالوا : وكتب هشامٌ إلى خالد : بلغني أنك تقول أنا خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز ، ووالله ما أنا بأشرف الخمسة ، أما والله لأردّنك إلى بغلتك وطيلسانك القيروي[1] .

وبلغ هشام أن خالداً يقول لابنه : كيف أنت إذا احتاج إليك ولد هشام ؟ فأغضب ذلك هشاماً .

وأتى رجلٌ هشاماً فسأله عن خالد ، فقال : لقدسمعته يقول فيك قولاً عظيماً فبحثه عنه ، فقال : هو أفظع من أن نواجه به امير المؤمنين ، فقال : أقال لك الأحول ؟ قال : أعظم من ذلك . ولم يزل يبلغ هشاماً عنه ما يكره حتى تغيّر رأيه فيه وكان أثيراً عنده ، والذي كان الرجل سمعه يقول ابن الورهاء .

وأتى دهقانٌ خالداً فقال له : إن غلّة ابنك اليوم عشرة آلاف ألفٍ ولا آمن أن يبلغ ذلك أمير المؤمنين فيستكثره ، وإن الناس يحبّون جسدك وأنا أحبّ روحك وجسدّك ، فقال : ويحك دعْ ابني فلربما طلب ألف درهم فلم يقدر عليها .

قالوا : وأتت امرأةٌ خالداً ، فقالت أصلح الله الأمير إني امرأة مسلمةٌ وإن عاملك فلاناً وثب عليّ وهو مجوسيٍ فأكرهني على الفجور وغصبني نفسي ، فقال : كيف وجدت قلفته[2] ؟ .

---

(١) القيروي : المزفّت من القير والقار : أي الزفت .

(٢) القلفة : جلدة الذكر التي تقطع عند الختان .

فكتب حسان بذلك إلى هشام فكان ذلك مما دعاه إلى عزل خالد وولاية يوسف بن عمر.

أمر يوسف بن عمر الثقفي[1] :

١٧٠ ـ وقال خالد : إن أكرم الناس عفواً من عفا عن ذَنْب أخيه بعد قدرةٍ ، ومن لا يَطِبْ حرثه لم يَزْكُ نبته ، والفروع على مغارسها تنمىٰ وعلى أصولها تسمو ، وقال الشاعر : [من البسيط]

نَشَا الصَّغيرُ على أَخلاقِ والدِهِ إنَّ العُروقَ عَلَيْها ينبتُ الشَّجَرُ

قالوا : أخفى هشام عزل خالد بن عبدالله ، وكان يوسف بن عمر عامله على اليمن فكتب هشام إليه بخطه أن يُقبل في ثلاثين من أصحابه إلى الكوفة ، وبعث بالكتاب بعهده على العراق ووجّه بذلك شعوذيّاً ، ويقال بل كان عنده رسول ليوسف بعثه في حوائج له فحمّله العهد وكتب الولاية والتسليم .

فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة في سبعة عشر يوماً فعرّس قريباً منها ، وقد ختن طارقٌ خليفة خالد على الخراج ولَده ، فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك ، فجاء رجل إلى طارق ، فقال له : إني رأيتُ قوماً أنكرتهم وزعموا أنهم سُفّار . وصار يوسف إلى دور ثقيف فأمر بعض الثقفيين أن يجمع له من قدر عليه من مُضَر ، ففعل فدخل يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذّن بالإقامة ، فقال : حتى يأتي الإمام فانتهره فأقام وتقدّم يوسف فصلى ، وقرأ : ﴿ إِذَا

---

(١) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن عمرو (أبي عقيل) بن مسعود بن عامر بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن مُنبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس (عيلان) بن مضر .

﴿ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ ﴾[1] ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ ﴾[2] ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وإن القدور لتغلي .

وقال أبو عبيدة : حبس يوسف خالداً ، فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف وقيل له لو لم تقبل هذا المال لأخذت منه مئة ألف ألف درهم ، فقال : ما كنتُ لأرجع عن شيء رهنت به لساني ، وأخبر أصحاب خالدٍ خالداً ، فقال : أسأتم حين أعطيتموه هذا المال في أول وهلة ما يؤمّنني أن يأخذها ثم يرجع عليكم فارجعوا إليه ، فأتوه فقالوا : إنا أخبرنا خالداً بما فارقناك عليه من المال فذكر أنه ليس عنده ، فقال : أنتم أعلم وصاحبكم فأمّا أنا فلا أرجع عليكم وإن رجعتم فلم أمنعكم ، قالوا : فإنا قد رجعنا ، قال : فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ومثلها ومثلها فذكر ثلاثين ألف ألف ويقال مئة ألف ألف .

وقال الكميت يمدح يوسف ويهجو خالداً بقصيدة طويلة منها :

[من الطويل]

لا جـــــرى مـــــن الألآ آل[3] ... أبي عُمَرَ اللائي لها كنتُ أُضْرَبُ

أُناسٌ يُمارونَ الرياحَ فلا القرى ... بكيٌّ ولا الجاني لَدَيهمْ مُؤَنَّبُ

يَظَلُّ اليتامة الشُّعْثُ حولَ جِفانِهمْ ... عِيالاً عليهم يوالضَّريكُ المُعَصَّبُ

فِداهُمْ من الأقوامِ أولادُ خالدٍ ... ومَعشَـرُهُ أيـامَ يُـرجـى ويُـرهَـبُ

فَـأَنـتَ لـديـنِ الله فينـا وَطيـدةٌ ... وأنتَ عن الأَحسابِ فينا المذبَّبُ

(١) سورة الواقعة رقم : ٥٦ الآية رقم : ٢ .

(٢) سورة المعارج رقم : ٧٠ الآية رقم : ١ .

(٣) الشطر ناقص كلمة ومكسور الوزن .

خَرْجتَ لهم تَمشي البَراحَ ولم يكُنْ لِيُحصِنَـهُ مِنْـهُ الـرِّتَـاجُ المُضَبَّـبُ

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش . قال : أجمع هشام على عزل خالد لأنه اتخذ بالعراق أموالاً وحفر أنهاراً حتى بلغت غلّته عشرين ألف ألف درهم ، منها نهر خالد كان يغلّ خمسة آلاف ألف درهم ، وباجوّا وبارمانا والجامع والمبارك ولوبة وسابور والصلح وأمواله بالبصرة والبحرين ، وكان يقول كثيراً : ابني هذا مظلوم ما تحت قدمي شيء إلا وهو له ، لأن عمر جعل لبجيلة ربع السّواد ثم صالحهم عنه .

قال الهيثم فحدثني الحسن بن عمارة عن العريان بن الهيثم ، قال : قلتُ لخالد يوماً إن الناس قد رمقوك[1] بأبصارهم وحدجوك ، وهي قريش وليس بينك وبينهم آل وهم يجدون منك بدّاً ، فأنشدك الله لمّا كتبت إلى هشام تخبره خبرا أموالك وتعرض عليه ماذأحبّ منها ، فما أقدرك على اتخاذ مثلها ولا يستفسدك وإن كان حريصاً ، وأعطه طائعاً خير من أن تعطيه كارهاً ، وله عندك اليدُ الجليلة التي تُحفظ ولا تُنسى ، وإنما نلتَ ما نلت في سلطانه ، فإنه إن رفع عليك رافع وسعى بك ساع لم آمن عليك أن يحوزها ، قال : ما أنت بمتهم ولا يكون ذاك أبداً ، فقال : أطعني واجعلني رسولك إليه فوالله لا يحلّ عقدة إلا شدّدتُها ولا يشدُّ عقدةً إلا حللتها ، قال : إني والله ما أعطي على الذل ، فكان العريان يقول كأنك بها قد أخذت منه عل الذلّ والصغار .

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش : أن بلال بن أبي بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتّب هشام على خالد يستأذنه

---

(١) رمقوك : نظروا إليك شذراً نظر العذرة ، وحدجه ببصره : نظر إليه نظراً يرتاب منه الآخر فيستنكره ـ اللسان ـ.

في القدوم عليه فأذن له ، فسار إلى الكوفة في يوم وليلة على الجمّازات[1] ، فقال له خالد : يا با عمرو لقد أتعبت نفسك ، فقال : إنه بلغني تعتّب أمير المؤمنين عليك و ما بغاك به ولده وأهل بيته ، فإن رأيت أن تعرض عليه بعض أموالنا ليأخذ من ذلك ما أحبّ فافعل ، فإن أنفسنا طيّبة بما نعطيه ، فقال : يا بلال إني والله ما أعطي شيئاً قسراً ، فقال : أتكلم أيها الأمير ؟ قال : نعم ، قال : يقول لك هشام ولّيتك ولا شيء لك فلم تر على نفسك من الحق أن تعرض عليّ بعض ما صار إليك ، وأخاف أن يزيّن لك هشام ولّيتك ولا شيء لك فلم تر على نفسك من الحق أن تعرض عليّ بعض ما صار إليك ، وأخاف أن يزيّن له حسان النبطي مالا تستطيع تلافيه ولا تداركه فاغتنم هذه الفترة ، قال : أنظر في ذلك فانصرف راشداً ، فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل وقد بُعث إليه رجلٌ بعيدُ الرحم سخيف الدين بغيض النفس قليل الحياء فأخذه بالإحَن والتِّرات ، فكان كما قال .

وقال ابن عياش : كان بلال اتّخذ داره بالكوفة وإنما استأذن لينظر إلى داره ، فما نزلها إلا مقيّداً ثم جعلت سجناً إلى اليوم .

قال ابن عياش : كان خالد يخطب فيقول : يزعمون أني أغلّي أسعاركم فعلى من يغلّيها لعنة الله .

وكان هشام بن عبد الملك كتب إلى خالد ألا يباعنّ من الغلّات شيء حتى تباع غلّة ولد أمير المؤمنين فبلغت الكيلجة[2] درهماً .

قالوا : ولما غُلِبَ هشام وقلّ صبره عل ما يبلغه عن خالد ، أزمع عزله

---

(١) جمز : هو عدو دون الحُضر الشديد وفوق العَنَق وهو الجمز .

(٢) الكليجة : نوع من المكيال .

وكتم ذلك سالماً كاتبه لصداقة كانت بينه وبين خالد ، فكتب إلى يوسف بن عمر بخطه بولاية العراق وإلى خالد بالتسليم .

المدائني عن بشر بن عيسى عن أبيه عن الربيع بن شايور مولى بني الحريش ، قال : أتى هشاماً كتابُ خالدٍ وقدم عليه في ذلك اليوم رسولٌ ليوسف [٥٨٠/٦٨] ابن عمر فأقرأه هشام كتاب خالد ، فلما صلى المغرب ، نهض فصلّى ركعتين ثم رفع يده يدعو ، فقلت في نفسي إنه ليستخير الله في عزل خالد ، فكتب عهد يوسف من ليلته مع الرسول ، والرسول لا يدري ما معه .

قال الهيثم : فسمعت أشرس مولى بني أسد ، وكان تاجراً ليوسف يحدّث الحسن بن عمار ، قال : أتانا كتاب هشام فقرأه يوسف فكتمنا ما فيه ، وقال : أريد العُمرة فخرج وأنا معه ودُكين بن شجرة العاملي وأخوه قرواش وحجاج النصري ، وكانوا أصحاب محمد بن يوسف الذين يؤانسهم ، قال : فخرجنا واستخلف ابنه الصلت على اليمن ، فما كلّم أحداً منا بمكلمة حتى انتهى إلى العُذَيب[1] فأناخ وقال : يا اشرس أين دليلك ؟ قلت : هوذا فسأله عن الطريق ، فقال : هذه طريق المدينة وهذه طريق العراق ، فقلت : والله ما هي ايّام عمرة فلم يتكلّم حتى أناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ، واستلقى على ظهره ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، وقال : [من الطويل]

فما لبَّثَتْنا العِيسُ أَنْ قَذَفَتْ بِنا نَوى غُربَةٍ والعهدُ غيرُ قديمِ

يا أشرس أبغني إنساناً أسائله ، فأتيته برجل فقال : سله عن ابن النصرانية ، فقلت : ما فعل خالدٌ ؟ قال : في الحمّة[2] اشتكى فخرج

---

(١) العُذَيب : ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال ـ معجم البلدان ـ .

(٢) الحَمَّة : العين الحارّة يستشفى بها الأعِلاّءُ والمرضى ـ معجم البلدان ـ .

إليها ، فقال : سَلْه عن طارق ، فقال : ختن بنيه وهو يُطعم الناس بالحيرة وخليفته عُصيَّة بن مِقلاص يُطعم الناس بالكوفة ، قال : خَلِّ عن الرجل ، ثم ركب فأناخ بالرحبة ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى على ظهره ، فمكثنا ليلاً طويلاً ثم جاء المؤذّنون وزيادبن عبيد الله الحارثي يومئذ على الكوفة خليفة لخالد فأذّنوا ثم سلّموا وخرج زياد وأقيمت الصلاة فذهب زياد ليتقدّم ، فقال يوسف : يا أشرس نَحِّه فذهب ليتقدّم ، فقلت : يا زياد تأخّر ، الأميرُ . فتأخّر زياد وتقدّم يوسف ، وكان حسن القراءة فصيحاً فقرأ : ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾[1] و﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١﴾[2] فصلى الفجر ، وتقدّم القاضي فحمد الله وأثنى عليه ودعا للخليفة ، وقال : ما اسم أميركم ؟ فأُخبر فدعا له بالصلاح ، فما تفرّق أهل الصلاة حتى جاء الناس ولم يبرح يوسف حتى بعث الحكم بن الصّلت وعطاء بن مقدّم إلى خالد وبعث بمحمد بن منظور الأسدي إلى أبان بن الوليد بفارس ، وبعث كثير بن عبدالله أبا العاج إلى بلال بن أبي بُردة بالبصرة ، وبعث إبراهيم بن عاصم العُقَيلي إلى عبدالله بن أبي بردة بسجستان .

ما حدث لخالد وعماله بعد العزل :

١٧١ ـ وأمرُ هشام أن يعزل عمال خالد جميعاً إلا الحكم بن عوانة وكان على السند فأقرّه حتى قتل هو وزيد بن علي في يوم واحد ، قتله ناكهرّ ، ولم يعرض لزياد بن عبدالله ، وبعث إلى محمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن عضاة الأشعري ، فقال له : من أنت ؟ فانتسب له ،

---

(١) سورة المعارج رقم : ٧٠ الآية رقم : ١ .

(٢) سورة الواقعة رقم : ٥٦ الآية رقم : ١ .

وقال : إنما كنتُ على أعواد كرمان ، قال : نعم أهل البيت أنتم فأدّ شيئاً ، قال : قد أخبرتك أني لم أتولّ جباية ، فقال : خلّيا سبيله .

ولما أتى خالدٌ قيل له الأمير الأمير ، قال : دعوني من أميركم أحيّ أمير المؤمنين ، قيل : نعم فقال : لا بأس عليّ ، فلما قُدِم بخالد على يوسف حبسه وضرب يزيد بن خالد ثلاثين سوطاً ، فكتب هشام إلى يوسف : أُعطي الله عهداً لئن شاكت خالد بشوكة لأضربنّ عنقك ، فخلّى سبيله بثقله وعياله فأتى الشام فلم يزل مقيماً بالشام يغزو الصوائف حتى مات هشام .

وقال غير الهيثم : كانت ولاية خالد العراق في شوال سنة خمس ومئة ، ثم عُزل في جمادى الأولى سنة عشرين ، وقد قدم عليه يوسف واسط فحبسه بها ثم شخص إلى الحيرة فلم يزل خالد محبوساً بالحيرة ثمانية عشر شهراً ، وحُبس معه أخوه إسماعيل بن عبدالله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبدالله ، واستأذن يوسف في البسط على خالد فلم يأذن له هشام ، حتى ألحَّ عليه بالرسل واعتلّ بانكسار الخراج لما صار إليه وعماله منه ، فأذن له فيه مرّة واحدة وبعث حرسيّاً يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقتلنَّه ، فدعا به يوسف وجلس على دُكان بالحيرة وحضر الناس وبسط عليه فلم يكلّمه خالِ حتى شتمه يوسف وقال : يا بن الكاهن ، يعني شقّ أحد أجداد خالد وكان كاهناً ، فقال له : إنك لأحمق تعيّرني بشرفي لكنك ابن السباء إنما كان أبوك يسبي الخمر ، ثم ردّه إلى محبسه فأقام ثمانية عشر شهراً ، ثم كتب إليه هشام بأمره بتخلية سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومئة .

وأخذ يزيد بن خالد وحده على بلاد طيء حتى ورد دمشق ، وخرج خالد ومعه إسماعيل أخوه وغيره وقد جهّزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن

سعيد بن العاص ، فسار خالد حتى نزل القُريَّة وهي من أرض الرصافة فأقام بقيّة شوال وذا القعدة وذا الحجّة وصفر لا يأذن له هشام في القدوم عليه ، والأبرش يكاتب خالداً.

تحامل القيسيّين على خالد تعصباً على اليمانية :

١٧٢ ـ قال الهيثم : وخرج زيد بن عليّ على يوسف بن عمر ، فكتب يوسف : أن أهل البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همّة أحدهم قوت يومه ، فلما ولي خالدٌ العراق قوّاهم بالأموال حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا بإذن خالد وما مقامه بالقُريَّة إلا لأنها مدرجة الطريق فهل تسأل عن أخباره .

فقال هشام للرسول وهو رجلٌ من بلقين[١] : كذبت وكذب صاحبك ومهما اتهمنا به خالداً فإنا لا نتهمه في طاعته ، وأمر بالرسول فوُجئت عنقه ، وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق فأقام بها حتى حضرت الصائفة فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد وعبدالله بن يزيد بن خالد ، وكان على دمشق يومئذ كلثوم بن عياض ابن وحوح[٢] بن قيس القشيري ، وكان متحاملاً على خالد مطابقاً ليوسف على أمره ، فلما أدرب الناس ظهر في دور الناس حريق في كل ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو

---

(١) القين : قين بطن من بني أسد بن خزيمة ، وقين بن أراش بن فهم بطن ، وقين بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بطن وفين بن شيع اللات بن أسد ، ويقال بلقين كما يقال بلحارت وبلهجيم .

(٢) في أصل المخطوطين ابن جُوْح والصحيح كما جاء في الجمهرة عند ابن الكلبي وهو كلثوم بن عياض بن وحوح بن قيس بن الأعور (ربيعة) بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقتل بأفريقية وهو عامل لهشام وكان ولي شرطة الوليد بن عبد الملك وهو الذي ضرب علي بن عبدالله بن العباس وهذا منه تعصباً ليوسف لأنه من قيس ويوسف من قيس أما خالد فهو يماني .

المعرّس وأصحاب له ، فإذا ارتفعت الناس أغاروا يسرقون ، وكان إسماعيل بن عبدالله والمنذور بن أسد وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدثٍ كان من الروم ، فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ويذكر أنه لم يكن قطّ قبل قدوم خالد وأن موالي خالد يريدون على بيت المال ونهب الناس ، فكتب هشام إليه يأمره بحبس آل خالد ، الصغير منهم والكبير ومواليهم والنساء ، وأخذ إسماعيل والمنذر ومحمداً وسعيداً من الساحل ، فقدُم بهم في الجوامع ومن كان معهم من مواليهم وغلمانهم ، وحبس أم جرير بنت خالد والرائقة وجميع النساء والصبيات ، ثم ظهر على أبي المعرّس فأخذ ومن معه ، فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج بدمشق إلى هشام يخبره ببراءة من حبس من آل خالد وأخذ أبي المعرّس وأصحابه ، فكتب هشام إلىٰ كلثوم يشتمه ويعنّفه ويأمره بتخلية من حبس من آل خالد ومواليهم وغيرهم ممن هو منهم بسبب فخلاّهم جميعاً .

ولما قدم خالدٌ ، قال : غزوت في سبيل الله سامعاً مطيعاً فأُخذ حُرمي وحُرم أهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرك ، فما منع عصابة منهم أن تقول فتقول : علامَ حُبس حُرَم هذا الرجل أخفتم أن تُقتلوا جميعاً أخافكم الله ، ثم قال : ما لي ولهشام يسوق بناتي وحُرمي كل يومٍ إلى السجون ، ليكُفَّنَّ عني أو لأدعونّ إلى عراقيّ الهوى شاميّ الدار حجازيّ الأهل ، لو نخر نخرةً أو نعر نعرةً تداعت من أقطارها ، يعني محمد بن علي بن عبدالله بن عباس . فبلغ قوله هشاماً ، فقال : خرف الرجل وكتب إليه : إنك هُزَأَة هُذَرةٌ أببجيلة القليلة الذليلة تتهدّدنا .

وقال رجل من عبس في خالدٍ : [من الطويل]

ألا إنَّ بحرَ الجُودِ أصبَحَ ساجِياً أَسيرُ ثَقيفٍ موثَقاً في السَّلاسِلِ

فإن تسجُنوا القسريَّ لا يَسْجُنوا اسمَهُ ولا يَسْجُنوا معروفَهُ في القَبائِلِ

قال الهيثم : فأقام خالد بدمشق ويوسف مُلِّح على هشام في إشخاص يزيد بن خالد ، فكتب إلى كلثوم يأمره بحمل يزيد إلى يوسف ، فبعث إليه خيلاً وهو في بعض النواحي ففاتهم ولم يقدروا عليه فحبس كلثوم خالداً في سجن دمشق ، وسار إسماعيل أخوه حتى أتى الرصافة ، فدخل على ابن الزبير حاجب هشام فأخبره بحبس كلثوم خالدا ، فأنهى ذلك إلى هشام فكتب إلى كلثوم يعنّفه ويقول : عجزت عمن أمرتك بأخذه وحبست من لم آمرك بحبسه ، وكتب إليه في تخلية سبيل خالد فخلاه.

الضَبّي يحبُّ خالداً لعشر خلال فيه :

١٧٣ ـ وقال الهيثم : أمر هشامٌ الأبرشَ فكتب إلى خالد : بلغني أن عبد الرحمن الضبّي قام إليك فقال : يا خالد إني أحبّك لعشر خلال : إن الله كريم وأنت كريم [٦٨/٥٨١] ، والله جوادٌ وأنت جواد ، والله حليمٌ وأنت حليم ، والله رحيمٌ وأنت رحيم ، وعدّ عشر خلال ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقّق ذلك عنده ليسفكنَّ دمك . فاكتب الأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين .

فكتب إليه خالدٌ : إن ذلك المجلس كان أكثر أهلاً من أن يجوز لأحدٍ من أهل البغي والفجور أن يخوّف بيما كان فيه ، قام إليّ عبد الرحمن بن ثويب الضبّي فقال : إني لأحبك لعشر خلال : إن الله يحبّ كل كريم وأنت كريم فالله يحبّك وعدّد عشر خلال ، ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شفيّ الحميري وقوله : أمير المؤمنين خليفة الله وهو أكرم على الله من رسوله ، فأنت خليفة ومحمد عليه السلام رسول ، ولعمري لضلالة بجيلة بأسرها أهون على الخاصّة والعامّة من ضلالة أمير المؤمنين . فلما قرأ الأبرش الكتاب على هشام ، قال : خرّف أبو الهيثم.

ما جرى لخالد مع الوليد بن يزيد :

١٧٤ فأقام خالدٌ بدمشق حتى مات هشام ثم قام الوليد ، فقدم عليه خالد فيمن قدم من أشراف الأجناد فلم يأذن لأحدٍ منهم ، واشتكى خالد فاستأذن فأُذن له فرجع إلى دمشق فأقام أشهراً ، ثم كتب إليه الوليد أن أمير المؤمنين قد علم حال خمسين الألف ألف التي تعلم فأقدم على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره يُعجلك علن جهازك ، فاستشار خالد ثقاته ، فأشير عليه الامتناع حتى يُعطى أماناً يثق به ، فقال : إني لأكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي ولمسيري أصلح وأنا أستعين بالله .

وخرج حتى قدم على الوليد فلم يدع بهِ ولم يكلّمه وهو في بيته مع مواليه وخدمه حتى قُدم براس يحيى بن زيد بن علي من خراسان ، فجمع الناس في رواق وجلس الوليد وجاء الحاجب فأذن لثلاثة نفر ، ثم قال : قمْ يا خالد ، فقال : قد تراني لا أقدر على المشي إنما أحمل حملاً لعلّتي فحمل على كرسيّه وأدخل إلى الوليد والموائد موضوعة والناس سماطان وعقال بن شبّة يخطب ثم انصرف الناس فحُمل خالد إلى رحله ، ثم أتاه رسول الوليد فردّه ، فلما صار إلى باب السرادق وُقف به وخرج إليه رسول الوليد ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين أين يزيد بن خالد ؟ فقال : كان أصابه من هشام ظفر ثم طلبه فهرب منه وكنا نراه عند أمير المؤمنين ، ونحن نظن أنه في بلاد قومه بالشراة ، فقال : لا ولكنك خلّفته طلباً للفتنة ، فقال : قد علم أمير المؤمنين أنّا أهل طاعة أنا وابي وجدّي فقال : والله لتأتينّ به أو لأزهقنّ نفسك . فرفع خالد صوته وكان الوليد بالقُربِ ، فقال : قل له هذا أردتَ وإياهُ اعتمدتَ وعليه ذُرّت ، والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما لك عنه ، فاصنع ما بدا لك .

فأمر الوليدُ غيلانَ صاحب حرسه بالبسط عليه ، وقال : اسمعني

صوته فأتى به غيلان رحله فعذّبه بالسلاسل فلم يتكلم ، فأعلم الوليد ذلك ، وقال : لم أرَ أصبر منه ما ينطق بشيءٍ ، فقال : احبسه عندك فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال العراق وجلس الوليد وأذن للناس ويوسف عند ، فتكلّم أبان بن عبدالله النميري في خالد ، فقال يوسف : إني أشتريه بخمسين ألف ألف درهم ، فأرسل الوليد إلى خالد أن يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف درهم ، فإن ضمنتها وخرجتَ منها وإلا دفعتك إليه ، فقال خالد : ما عهدتُ العرب تُباع والله لو سألتموني أن أضمن هذا ـ وأخذ عوداً من الأرض ـ ما ضمنته فليرَ أمير المؤمنين رأيه .

فدفعه إلى يوسف فنزع ثيابه ودَرّعه عباءَةً ولحفّه أخرى وحمله في محمل بغير وطاء ولا غطاءٍ ، وجعل زميله أبا قحافة المريّ ابن أخي الوليد بن تليد ، وكان الوليد عامل هشامٍ على الموصل ، فانطلق به حتى نزل على مرحلة من عسكر الوليد ، ثم دعا به فشتمه وذكر أمّه ، فقال : ما ذكر الأمهات لعنك الله ، والله ما أكلّمك كلمة أبداً ، فبسط عليه وعذّبه عذاباً شديداً وهو لا يكلّمه ، ثم ارتحل به حتى إذا كان في بعض الطريق بعث إليه تميم بن زيد القيني بشُربة سُوَيق حبّ الرمّان مع مولى له يقال له سالم ، فبلغ ذلك يوسف فضرب تميماً خمسمئة سوط وضرب سالماً ألف سوط ، وكان يوسف يمشّي خالداً في طريقه كثيراً إضراراً به .

ثم قدم يوسف الحيرة فدعا بخالد وبإبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل المخزوميين وكانا ممّن يشير بخلع الوليد ، فبسط يوسف على خالد فلم يكلّمه بكلمة وصبر إبراهيم بن هشام وجزع محمد ، ومكث خالد يوماً في العذاب ثم وضع على صدره الدهق[1] فقتل من الليل ودفن

---

(١) الدهق : شدّة الضغط ، وهو خشبتان يغمز بهما الساق ـ اللسان ـ .

في ناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها ، وذلك في المحرم سنة ست وعشين ومئة .

فأقبل عامر بن سهلة الأشعري فعقر على قبره فرساً ، فضربه يوسف سبعئمة سوط .

حدثني أبو بكر الأعين عن أبي نعيم الفضل بن دُكين ، قال : حدثني رجل كان مع يوسف بن عمر ، قال : شهدت خالداً حين أتى به يوسف فدعا بعود فوضع على قدميه ثم قامت عليه الرجال حتى كسروا قدميه ، فوالله ما تكلم ولا عبس .

وقال الوليد بن يزيد لأبي الزناد[1] : قد أمرت يوسف بعذاب ابني هشام بن إسماعيل ، قال : سرور والله ، فأخذ الوليد القرطاس وكتب إلى يوسف : إذا أتاك كتابي هذا فألِحَّ بالعذاب على ابني هشام وخالد بن عبدالله حتى يموتوا ، فكان يقال : ما قتلهم إلا أبو الزناد .

قال الهيثم : قال الوليد وقال المدائني : قالها رجل من قيس ونحلها الوليد وهذا الثبت : [من الوافر]

وهــذا خــالــدُ أَمْســى أَسيــراً ... ألا مَنَعُــوهُ إنْ كــانــوا رِجــالا

عَظيمُهــمُ وسَيّــدهُــمُ قَــديمــاً ... جَعَلْنــا المُخــزِيــاتِ لَــهُ ظِــلالا

فلــو كــانــتْ قبــائِــلُ ذاتُ عِــزٍّ ... لمــا ذَهَبــتْ صنــائِعُــهُ ضَــلالا[2]

---

(١) أبو الزناد عبدالله بن ذكوان الإمام الفقيه الحافظ المفتي مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة الخليفة عثمان ، وقيل إن ذكوان كان أخا أبي لؤلؤة قاتل عمر ، مولده في نحو سنة خمس وستين في حياة ابن عباس مات سنة إحدى وثلاثين ومئة : سير أعلام النبلاء ، ج : ٥ ص : ٤٤٥ .

(٢) لم تذهب صنائعه ضلالاً ولكن قتل به الوليد بن يزيد الخليفة ويوسف بن عمر وسيأتي ذلك .

وقال عمران بن هلباء الكلبي في قصيدة له : [من الوافر]

مَتَـى تلـقَ السّكـونَ وتَلْـقَ كَلبـاً ... بقيـسٍ تَخُـشُّ مِـنْ مُلْـكٍ زوالا
لَئِـنْ عَيَّـرْتثمـونـا مـا فَعَلْنـا ... لقـد قلتُـمْ وجـدِّكُـمُ مَقَـالا[١]

وقال منصور بن جمهور[٢] : [من البسيط]

يا قومُ لا تغلِبُوا عنْ رأيكُمْ فَلَقَدْ ... جرَبتُـمُ الغـدرَ مِن أولادِ مَـرْوانـا
مازالَ مُذْ قَتَلوا عمراً[٣] بغدرِهِمُ ... يـدعـونَ غَـدراً بعهـدِ الله كَيْسـانـا
حتى استبَاحوا سَنَام الأرضِ مَمْلَكَةً ... قَسْراً فَولُّوا أمورَ النّاسِ وِلْدانا
وَوَحَّشُـوا بِكِتَـابِ الله واتَّخـذُوا ... هَوَاهُمُ في مَعَاصي الله قُربانا
ألا ترى مُضَراً أضحَتْ تثيرُ مَعاً ... حرباً وضَرْباً شَتاتَ الأمرِ وِحدانا
يُقَطِّعـونَ بنـا أعنـاقَ سـادتِنـا ... ويُعلِقُـونَ بِنـا أثْـوابَ دِبيـانـا

قال المدائني : أخذ يوسف عمّال خالدٍ وهم ثلاثمئة وخمسون ، وقال : قد بقي منهم كبش كبير الصوف ولا بُدّ من أن يُجزّ ، يعني الحكم بن عوانة الكلبي[٤] وكان على السند وكان هشام تقدّم فيه إلى يوسف ، واستخرج منهم تسعين ألف ألف درهم ، ولولا عنفه لأخذ منهم أكثر من ذلك .

---

(١) هنا يظهر جلياً ما شرحته سابقاً تعصب قيس على خالد وعطف اليمانية عليه . لأن قبيلة كلب يمانية .

(٢) منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن جابر بن حارثة بن العُبَيد بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب ، وكان ممن اشترك في قتل الوليد بن يزيد وولي خراسان وحارب أبا مسلم ومات عطشاً في صحراء خراسان .

(٣) يقصد عمر بن عبد العزيز ولكن جعلها عمراً لضرورة الشعر .

(٤) الحكم بن عوانة بن عياض بن وَزر بن عبد الحارث بن أبي حصن بن ثعلبة بن خيبري بن سلمة بن عمرو بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب .

ما جرى لعمال خالد بعد عزله :

١٧٥ ـ وأخذ يوسفُ مولى لخالدٍ يقال له داود فسأله عن أموال خالد ، فلم يقرّ له بشيء فضربه حتى مات ودعا بسعيدانف وكان على طرار[١] خالد فضربه حتى قتله وهو من بني تميم ، وكان المقفع واسمه داذويه عُذب في استيداء مال فتقفع[٢] على خراج فارس ولاه إياها خالد ، فدعا به فدفعه إلى صاحب العذاب ، فكان يرفق به لأنه تعيّن منه مئة ألف درهم ، فدعا به يوسف فعذّبه بين يديه حتى مات .

وعُرض على يوسف عمّاله ، فقال عاملٌ منهم : جَبَيْتُ فلم أدع في البلاد درهماً ، فقال : كذبت وضربه ثلاثمئة سوط ، وقال آخر : جبيت فبقيت بقايا لتقوى أهل البلاد بها ، فقال : بل أجبيتها فضربه اربعمئة سوط ، وقال آخر : جبيتُ الخراج فازددتُ مالاً ، فقال : أخربتَ البلاد وضربه خمسمئة سوط .

المدائني ، قال : قيل لإسماعيل بن يسار[٣] : اطلب العمل ونحن

---

(١) طرار : جمع طرّة وهو ما يعلّم به على الكتب لأن طرّة كل شيء طرفه وهي توضع بطرف الكتاب .

(٢) المقفع : القفاع داء تشنج منه الأصابع ، وقفع البرد أصابعه ، أيبسها وقبضها ـ اللسان ـ وهو والد ابن المقفع الكاتب المشهور .

(٣) إسماعيل بن يسار النساء ، إنما سمّي أبوه يسار النساء لأنه كان يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتريه من أراد التعريس وكان من موالي بني تيم بن مرة من قريش ، من شعراء الدولة الأموية وكان طيّباً مليح الشعر وكان مبتلى بالعصبية للعجم وكان لا يزال محروماً . وقال من قصيدة له :

إذ نربي بناتنا وتدُوسّو … ن سِفاهاً بناتكم في التراب

فلما سمعه أشعب ، قال : يا أبا فائد : أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن له ، قال : وما ذاك ؟ قال : دفن القوم بناتهم خوفاً من العار وربيتموهن لتنكحوهن ، فخجل =

نضمن عنك ، فقال : دعوني أنظر كيف معاملة يوسف عند رأس السنة وفعله بالعمّال ، فلما رآه يعذبهم ، قال : [من الوافر]

رأيتُ صبيحَةَ النَّوْروز[1] أمراً فظيعاً عن إمارتِكم نَهاني
برِئتُ من الولايَةِ بعدَ يَحْيَى وبعدَ النَّهشَليّ أبي أَبانِ[2]
أثحاذِرُ أن أُقَصِّر في خَراجٍ وفي النَّوْروزِ أو في المهرَجانِ

قالوا : وكان العُريان بن الهيثم ضرب الجراح[3] بن عبدالله بن عياش الهمداني بالسياط وهو علىٰ شرطة خالد ، فشكاه ابن عياش إلى خالد فلم يشكه ، فلما عذّب يوسف خالداً أتاه ابنا عياش فشتماه وقالا : هكذا يُضرب ابن النصرانية ، أفما كان ينبغي أن تُضرب أمّه حتى تسلح على وجهه ، فقيل لهما : أتشتما رجلاً أسيراً يعذّب ، فقالا : ضربنا أميراً أفلا نشتمه أسيراً فمتى ندرك ثأرنا ، فقال لهما خالد : يا بنَيْ لئيم قومِهما أفلا صبرتما للسياط ، وغضب لخالد قوم فضربوهما ومزّقوا ثيابهما ، فبلغ خبر الضاربين يوسف ، فقال : أضربتم هذين ؟ قالوا : غضباً لخالدٍ ، فضرب كل واحد منهم ألف سوط .

وقال المدائني : أمر يوسف ببلال فعذّب فضمن بلال ثلاثمئة ألف وأخذ منه كفلاء فأخفرهم وهرب إلى الشام [٥٨٢/٦٨] ، فيقال إن غلامه أراد أن يشتري له درّاجة فعُرف ، ويقال : بل شوى له غلامُه درّاجةً فأحرقها

= إسماعيل وضحك من كان حاضراً ـ الوافي بالوفيات ـ ج : ٩ ص : ٢٤١ .

(١) النوروز : عيد الربيع عند الفرس وكان الخراج يبدأ استحقاقه فيه .

(٢) لعل يحيى أحد عمال يوسف من الذين ضربهم كما تقدم ، وأبو أبان النهشلي هو سعيدانف الذي ذكره ابن تميم أنه نهشل بن دارم من تميم .

(٣) الجراح بن عبدالله (المنتوف) بن عياش بن عبد الله بن جبر بن سيّار بن معاوية بن سيف بن الحارث بن مُرْهبة بن دُعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم خيران بن نوف بن أوسلة (همدان) .

فضربه فسَعَى به فأُتي به هشام فأمر به فأقيم في الشمس ، فقال : ادنوني من أمير المؤمنين فله عليَّ ما طلب ، فأبى وردّه إلى يوسف فعذّبه حتى قتله .

وقال عبد الله بن أبي بردة للسجّان : ارفع اسمي في الموتى فرفعه ، فقال يوسف : أرنيه ميتاً فغمّه السجّان حتى مات ، ويقال بل كان بلال الذي سأل السجّان رفع اسمه في الموتى والمقتول في العذاب عبدالله .

وقال يونس النحوي : ما قتل بلالاً إلا ادهيّه في نفسه ، سأل السجّان أن يرفع اسمه في الموتى ويعطيه مالاً ، فرفع اسمه في الموتى ، فقال يوسف أعرض الموتى عليّ فغمّه حتى مات وعرضه عليه ميتاً .

قالوا : وتداعت قيس وتغلب إلى الصلح بعد الذي كان بينهم ، فحمل رجل من تغلب في ذلك حمالة وقدم على خالد ، فأمر خالد سليمان بن المهاجر مولى بجيلة أن يقول في ذلك أبياتاً فقالها ، وأذن خالد إذناً عامّاً ، فدخل الناس والتغلبيّ معهم ، فأنشد سليمان بن المهاجر أبياته : [من الطويل]

أَتغلِبُ أَمْ قَيْسٌ يرى في بلادِها ... مِن الحربِ إذْ عَضَّتْهُمُ الحربُ أَجزَعُ

وأيُّ القَبيلينِ اللَّذينِ تَداعَيا ... إلى الصُّلْحِ والدّاعي إلى الصُلْحِ أضرَعُ

أَيَنْسى بَنُو الغَلْباءِ بالبشرِ وقعَةً ... لجحّافِ[1] قَيْسٍ والقَبائِلُ تسمَعُ

---

(١) الجحّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محاربي بن مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سُليم بن منصور صاحب يوم البشر على بني تغلب حيث بقر بطون نسائهم وكانت وقعة عظيمة على بني تغلب ، والجحاف قاد جماعته عندما تاب وأراد الحج وقد خزموا أنوفهم وساروا كل واحد منهم يجرّ الثاني كقطار الجمال ودخلوا مكة حجاج وتعلق الجحاف بأستار الكعبة يدعو الله ويقول وأظن أنك لا تغفر لي ، فقال له عبد الله بن عمر : إن الله يغفر الذنوب ولو كنت الجحاف فقال : والله إني الجحاف . =

فقال التغلبيّ : [من الطويل]

أَلا لا ولا تَنْسى سُليمٌ وعامِرٌ مُقَامَ عُمَيرٍ[1] حينَ ظَلَّ يُقَطِّعُ
فَدَعْ ذا ولكنْ ما تَقُولونَ في الّذي أتيناكُمُ فيهِ لنا فيهِ مَطْمَعُ

فلم يصلْه ولم يعطه خالد شيئاً ، فمضى وتركه .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : لمّا عذّب يوسف خالداً ادّعى أنه استودع زيد بن علي بن الحسين وداود بن علي بن عبدالله بن عباس مالاً عظيماً ، وكتب يوسف بذاك إلى هشام ، فكتب هشام إلى إبراهيم بن هشام وهو عامله على المدينة يأمره بحملهما إليه ، فحلفا أنه ما أودعهما خالد شيئاً ، فقال : إنكما عندي صادقان ولكنّ أمير المؤمنين كتب إليّ في حملكما إليه فحملا ، فلما دخلا على هشام أحلفهما بأغلظ الأيمان ما أودعهما خالد شيئاً قطّ ، فحلفا وقال داود : كنت قدمت عليه العراق فأمر لي بمئة ألف ، وقال زيد : كيف يودعني رجلٌ كان يلعن جدّي على المنابر ، فقال هشام : أنتما أصدق من ابن النصرانيّة . فاقدما على يوسف حتى يجمع بينكما وبينه فتكذباه في وجهه ففعلا ، وقال خالد : مسّني العذاب ففزعت إلى هذه العلّة وقلت يفرج الله قبل قدومكما .

المدائني قال وغيره : قالوا بدأ يوسف بالكوفة فدخلها ولم يقِم بها ، وخرج إلى واسط فأقام بها سنة وأقرّ زياد بن عبدالله الحارثي على الكوفة ثم ولّى يوسفُ بن عمر محمد بن القاسم ، وقال الكميت : [من الطويل]

ولمّا رأَيْتُ الدَّهْرَ يَقْلِبُ ظَهرَهُ على بَطْنِهِ فِعْلَ المُمَعَّكِ في الرَّمْلِ

---

(١) عُمير بن الحُباب بن جعدة بن إياس بن خزابة بن محاربي بن مرّة قُتل يوم الثرثار وقعة لتغلب على قيس وقُتل فيها سيد تغلب شعيب بن مُليل وانصرف عمير إلى عسكره وأبلغ بني تغلب مقتل شُعيب فحميت على القتال وتذامرت على الصبر وأتت معسكر عمير وكان يوم جمعة فلما كان آخر النهار قُتل عُمير .

أخـذتُ بحبـلٍ لا أخـافُ انْجِـذامَـهُ من الحَكَم بن الصَّلْتِ حَسْبِيَ منْ حَبْلِ

من قصيدة له.

الخلال الحسنة ليوسف بن عمر :

١٧٧ ـ قالوا : ونظر يوسف يوماً إلى أسود مقيّد قد جلس على مائدة من الموائد التي يطعمها الناس ، وكان يأكل على موائده من أراد ، فضرب رجل من الشاميين الأسودَ بنعل سيفه ليقيمه ، فرآه يوسف فدعا بالشاميّ فضربه مئة سوط ، وقال للأسود : ما أنت ؟ قال : عبد ، فأمر بابتياعه وأعتقه وقال : احضر طعامنا كلَّ يوم .

قال المدائني : كان يقال إنه كانت في يوسف خِلالٌ حسنةٌ : طول صلاة وحُسْن هديٍ ووفاءٍ ولزوم المسجد وضبطٍ لحشمه وأهل بيته عن الناس وجمالٌ وانبساط لسانٍ وتواضع في منزله وحسن ملكة وكثرة تضرّع ودعاءٍ ، وكان يصلي الغداة فلا يزال مستقبلاً للقبلة يسبّح ويدعو ولا يكلّم أحداً حتى يصلّي الصبح ، ولزومٌ للسنّة وحفظ القرآن واقتصادٌ وبُعْدُ همّةٍ وبصرٌ بالشعر والأدب .

وقال سعد بن سلم : ذكر قوم يوسف فاغتابوه ، فقال لهم يونس بن سليم مولى أبي بكرة : انصفوا يوسف فإن خالد بن عبدالله اصطنع من اليمن ومن العجم قوماً ، نحو أبان بن الوليد فأخملهم يوسف وأبادهم وأُفلتَ منهم واحد وهو ابن الكرماني[1] ، فقد رأيتم ما صنع بكم ، فكيف

---

(١) نسبة إلى كرمان بلد نجراسان واسم الكرماني جُدَيع بن علي بن شبيب بن عامر بن بُراري بن صُنيم بن مُليح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عُدثان بن عبدالله بن زَهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد رأس الأزد بخراسان . =

لو بقي الآخرون ؟ .

حدثني عمر بن شبّة عن حيان بن بشر عن جرير عن المغيرة ، قال : كان الإسلام ذليلاً حتى قدم يوسف .

وقال ابن نوفل يمدح يوسف في شعرٍ يقول فيه : [من الطويل]

أتانا وأَهلُ الشِّركِ أهْلُ زَكَاتِنا وحكّامُنا ممّا نُسِرُّ ونجهَرُ
فلما أتانا يوسفُ الخيرِ أشرقَتْ لـه الأرضُ حتّى كلُّ وادٍ مُنَوَّرُ
وحتّى رأينا العَدْلَ في الناسِ ظاهراً وما كانَ من قَبْلِ العَقيلي[1] يظهرُ

في أبياتٍ ، ثم قال بعد ذلك فيه : [من الوافر]

أرانا والحليفُ إذا رَمَانا مَعَ الإخلاصِ بالرَّجُلِ الحديدِ
كأهلِ النّارِ حينَ دُعُوا أُغيثوا جَميعاً بالحميمِ وَبِالصَّديدِ

قالوا : وقال يوسف لكلّوبٍ الصريميّ[2] : دلّني على رجل أولّيه كرمان ، فدلّه على نُمَيلة[3] بن مُرّة فولاّه فكسر خمسمئة ألف فضرب كلّوباً خمسمئة سوط وضرب نُمَيلة .

وولّى يوسف عبدالله بن طارق العنبري[4] أمر أكراد فسا ودرابجرد فقتله بعض الأكراد ، فأخذ ابنُه قُدامة كتاب يوسف إلى عبد الكريم المازني[5] وهو على فسا ودرابجرد يأمره بدفعه إليه ، فقال له عبد

---

(١) العَقيلي : يقصد أحد أجداد يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل والنسبة إلى هذا . العقيلي واسم أبي عقيل : عمرو .

(٢) الصريمي : بطن من الرباب وهو صريم بن وائلة بن عمرو بن عبدالله بن لؤي بن عمرو بن الحارث بن تيم (الرباب) بن عبد مناة بن أدّ .

(٣) نُميلة بن مرّة بن عتيّ بن عمير بن مُلادس بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(٤) نسبة إلى بطن من تميم وهو العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٥) المازني نسبة إلى بطن من تميم وهو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

الكريم : ثأرك ثأري وعلى الرجل من الخراج شيءٌ كثير ، فدعني أستأديه ثم أدفعه إليك ، فعجل قدامة فقتله ، فكتب عبد الكريم إلى يوسف ، فضرب قدامة ضرباً مبرحاً ، فلما عُزل عبدُ الكريم رفع عليه قدامة ، وقال ليوسف هذا الذي يقول له الشاعر : [من الوافر]

إذا زَفَنَتْ[1] عليكَ سَما بُذُختٍ فَقَـدْ أَزْجَـتْ خَـراجَ دَرابَجَـرْدِ

فقال يوسف لعبد الكريم : يا عدو الله وإذا أنت صاحب مثل هذا فضربه ضرباً مبرِّحاً .

قالوا : وكانوا يضعون على موائد يوسف أنواع الطعام فيأكل كلّ امرىءٍ ما يشتهي ، فوضعت على مائدة منها سمكةٌ ، فقال رجل من أهل الكوفة يقال له حمّاد بن أبي الدرداء ، وهو من أهل بيت ينتمون إلى أبي الدرداء وليسوا منهم ، وأهل الكوفة يقولون : بنو أبي الضرطاء ، فقال حمّاد : أيها الأمير هذا النون[2] فقال يوسف : والله لتُضربنّ أو تتكلم بلسان أبيك ، فقال : هذا كوارّا وهو السمك بالنبطية فتركه .

قال المدائني : وولّى يوسف بن عمر صالح بن كُدَير ولايةً فخرجت عليه ثلاثون ألفاً فحبس بها وبلال يومئذ محبوس ، فقال له بلال : إن على العذاب سالماً ويلقّب رتبيل فإيّاك أن تقول له : يا رتبيل وجعل يردّد عليه ذلك ، فعذّبه سالم فنسي اسمه وكنيته وجعل يقول : يا رتبيل اتق الله ، فيقول : اقتلْ فلما خُلّي عنه ، قال له بلال : ألم أنهك عن رتبيل ؟ فقال : وهل ألقاني في رتبيل غيرك ، أنا لم أكن أعرف رتبيل لولا أنت ، وما تدع شرّك في سرّاءَ ولا ضرّاء .

---

(١) زفن : رقص ـ اللسان ـ .
(٢) النون : الحوت والسمك والجمع أنوان ونيان ـ اللسان ـ .

قال : وكان على شرط يوسف العباس بن سعد المُرّي مُرّة غطفان[1] ، وكان كاتبه قحذم بن سليمان بن ذكوان ، وزياد بن عبد الرحمن مولى ثقيف ، وعلى حرسه وحجابته جندب وفيه يقول الشاعر :

[من المتقارب]

أتانا أميرٌ شديدُ النّكالِ   لحاجبِ حاجبِهِ حاجِبُ

وولّى يوسفُ[2] محمدَ بن ابي ليلى القضاء ، وكانت به حدّة ، فقال له : إنما أنت أجير قومٍ فوفّهم عملك إذا وفّوك أجرك ، وإذا أردت الخروج فكل لا أشبع الله بطنك وأنكح فلا أعفّك الله وإذا غضبت فقم .

المدائني وغيره : أن يوسف بن عمر قال في خطبته : إن أوّل من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء عليّ وصاحبه الزُّنَيجي يعني عمّار بن ياسر .

قال : وكان في خضراء واسط زوج من البوم ، فقال : انظروا لي رجلاً رامياً بالبندق ، فجيء برجل فرمى وكرهما فخرج أحدهما فرماه فقتله [٦٨/٥٨٣] ، ثم خرج الآخر فرماه فقتله فأمر بحبسه فحبس نحواً من سنة ، فلما تحوّل عن واسط ذُكر له فأمر بتخلية سبيله .

كيف قتل حسان النبطي خالد بن عبدالله :

١٧٧ - المدائني عن الحكم بن النعمان ، قال : أراد الوليد بن

---

(١) مرّة بطن من غطفان من قيس وهو مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٢) اسم أبي ليلى يسار بن بليل بن بلال كان مولى للأنصار فدخل فيهم ، محمد بن عبد الرحمن بن يسار (أبي ليلة) بن بُليل بن بلال بن أُحيحة بن الجلاح بن الحُريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

يزيد بن عبد الملك عزل يوسف واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجّاج ، فكتب إلى يوسف : إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر إخراب ابن النصرانية البلاد ، وكنت مع ذلك تحمل إل هشام ما تحمل ، وقد ينبغي أن تكون قد عمّرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه ، فاشخَص إلى أمير المؤمنين مصدّقاً ظنه بك ، ليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك لكفايتك ، ولما جعل الله بينك وبينه من القرابة فإنك خاله[1] وأحقّ الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمت مما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطياتهم وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام لهم ، حتى أضرّ ذلك ببيوت الأموال .

فخرج يوسف واستخلف ابن عمه يوسف بن محمد وحمل معه من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يُحمل مثله من العراق قطّ . فقدم على الوليد وخالد بن عبد الله محبوس ، فلقيه حسان النبطي ليلاً فأخبره أن الوليد على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، وقال له : إنه لا بدّ لك من إصلاح أمرِ وزرائه وأصحابه ، فقال : ليس عندي فضل درهم ، قال : فعندي خمسمئة ألف فإن شئت فهي لك ، وإن شئت فارددها إذا تيسّرتْ ، فقال : أنت أعرف بالقوم وأقدارهم ومنازلهم ففرّقها عليهم ، ففعل فكان جميع من كان على باب الوليد يعظّمه ويجلّه ، فقال له حسان لا تغدُ على الوليد ، ولكن رُح إليه واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك : إني كتبت كتابي هذا ولست أملك إلا القصر ، وأمر أبان بن عبدالله النميري أن يتضمّن خالداً بأربعين ألف ألف ثم زد عليه عشرة آلاف ألف وتسأله أن يُدفع إليك ففعل يوسف ذلك .

---

(١) أم الوليد بن يزيد بن عبد المالك أم الحجّاج بنت محمد يوسف بن الحكم وتلتقي بالنسب مع يوسف بالحكم ولذلك قال له أنك خال أمير المؤمنين .

فقال له الوليد : ارجع إلى عملك ودفع إليه خالد فحمله في محمل بغير وطاء . فقال محمد بن القاسم فزحمتهُ وقد جمعتُ ألطافاً من أخبصة يابسة وغيرها في منديل ثم دنوت منه فرميت بالمنديل إليه ، فقال لي : هذا من قبل عُمان لأن أخي الفيض كان عامل عُمان ، فقلت في نفسي : هذا على هذه الحال وهو لايدع شرارته ، فقال يوسف وفَطِنَ : ما قلت لابن النصرانية ؟ قلت عرضتُ عليه الحاجة ، فقال : أحسنت وهو أسير ولو فطن بما صنعت به للقيت منه شرّاً .

وقالوا : أقرّ يوسف زياد بن عبيدالله الحارثي على الكوفة حتى أخذ له عمّال خالد ، ثم عزله وولّى العباس الهمداني ، ثم الحكم بن الصلت ثم عزله وولّى عدّة ثم أعاده ، ثم ولّى يوسفُ ، ابنَ محمد بن القاسم الثقفي وعلى شرطته ابن أراكة الثقفي ، ثم ولّى عبيدالله بن العباس الكندي وعلى شرطه خراش بن حوشب[1] وهو تولى نبش زيد بن علي من مدفنه .

ولم يزل يوسف على العراق حتى قُتل الوليد وولي يزيد بن الوليد فهرب فظُفر به ، فكان محبوساً في أيام يزيد وإبراهيم أخيه ثم قتله ابن خالد القسري في محبسه ، وسنذكر خبره إن شاء الله .

وقال سلم بن قتيبة : أرسل إليّ يوسف بن عمر فلما دخلت عليه ، قال : ما لي لم أرك ، فقلت : كنت عليلاً ، قال : كذبت ما عليك أثر العلّة امض إلى منزلك ، فإذا كان مثل اليوم من قابل فأتني ، فانصرفت وأقمت في منزلي إلى ذلك الوقت ، ثم وافيته فأذن لي فدخلت عليه فسّلمت فردّ ، وقال : اجلس فجلستُ ، فقال : إني قد هيّأتُ لأمير

---

(١) خراش بن حوشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم بن عبدالله بن سعد بن مرّة بن ذُهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائلٍ .

المؤمنين ألطافاً وهدايا ، وكتبت إليه أصفك له وأخطب عليك ولاية خراسان وأمرت الوفد بإطرائك وصيّرتك عليهم ، وفي الوفد قُمَير بن مسعود في نفر من بني تميم .

فلما قدمتُ على هشام وصفني الوفد ، فقال هشام : له في سائر أعمال العراق مندوحة عن خراسان .

حدثني عمر بن شبّة عن عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف ، قال : لما قدم زيد بن عليٍّ على يوسف قال : يزعم خالد القسري أنه أودعني أموالاً ، وكيف يودعني مالاً وهو يشتم آبائي على منبره ، فأحضر يوسف خالداً في عباءة فقال له : هذا زيدٌ وهذا داود بن علي وقد حلفا أنك لم تودعهما مالاً ، فقال : كيف أودع زيداً وأنا أشتمه وأباه ، فشتمه يوسف وردّه .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : قالا لخالد ما دعاك إلى ما صنعت ؟ فقال : غلظ عليّ في العذاب فادّعيت ما ادّعيت مستريحاً ورجوت أن يفرّج الله قبل قدومكما .

المدائني ، قال : قدم عبد الكريم بن سليط الحنفي على يوسف ، فأمضاه إلى هشام ، فقال له هشام : بلغني أن لك بخراسان علماً ، قال : أجل ، قال : فمن ترى لها ؟ قال : رجل أهلها الكرماني ، قال : وممن هو ؟ قال : من الأزد ، فتبيّنت الكراهة في وجه هشام ، قال : ما اسمه ؟ قال : جديع بن علي ، فتطيّر من اسمه وقال : لا حاجة لي فيه ، قال : فأبو الميلاد يحيى بن نعيم بن هبيرة ابن أخي مصقلة بن هبيرة الشيباني ، قال : إن ربيعة لا تُسَدُّ بها الثغور ، قال : فعقيل بن معقل الليثي فأعجبه ، فقال : إن اغتفرت منه خصلةً ، قال : وما هي ؟ قال : ليس هو بعفيف البطن والفرج ، قال هشامٌ : فلا حاجة لي به فيه ، قال : فالمجرّب الأديب منصور بن عُمير بن أبي الخرقاء السلمي ، فأعجبه ،

قال : إن اغتفرت منه واحدةً ، قال : وما هي ؟قال : أشأم العرب ، قال : لا حاجة لي فيه ، قال فالمسنُّ العاقل مُجشّر بن مزاحم السلمي قال إن اغتفرت له منه واحدة ، قال : وما هي ؟ قال : أكذب العرب ، فقال : أي عقل مع الكذب لا حاجة لي فيه ، قال : فابن ذي الطاعة يحيى بن الحسين بن المنذر ، قال : ألم تقل إن ربيعة لا تُسدّ بها الثغور ، فقال : قطن بن قتيبة بن مسلم على أنه ثائر بأبيه ، قال : لا حاجة لي فيه ، فقال : نصر بن سيّار فتفاءل باسمه قال : فإنه لا عشيرة له بخراسان ، قال : أنا عشيرته لا أبالك ، أتريد عشيرة أكثر منّي ، اكتب عهده يا غلام وأمره في عهده أن يعامل يوسف بن عمر .

قال فخرج بعهده ولم يمرّ على يوسف وأخذ طريق حلوان .

وقالوا : أقرّ يوسفُ بلالَ بن أبي بردة على البصرة ثمانية أشهر ، ثم كتب إليه : احمل إلي عمالك ، فحمل سعيد بن راشد ، فقال له سعيد : والله ما مثلي ومثلك إلا مثل حلاّقين قيل لأحدهما احلق رأس صاحبك حتى يفرغ فيحلق رأسك ، فأقرّ يوسف بلالاً أشهراً بعد صرف سعيدٍ .

صفات يوسف بن عمر :

١٧٨ ـ حدثني عبدالله بن صالح عن ابن كُناسة والمدائني وغيرهما ، قالوا : كان يوسف قصيراً عظيم اللحية يلبس ثياباً طوالاً يجرّها ، وكان شديد العقوبة ، مسرفاً في ضرب الأبشار[١] ، وكان يأخذ الثوب اليوسفي فيمرّ ظفره عليه فإن تعلّق به خيط ضرب صاحبه ، وربما قطع يده ، قالوا : وضرب يوماً جماعةً في درهم زائف أُخرج من الدار ، وفي درهم نقص

---

(١) البشرة : أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان وجمعه أبشار مثل ثمرة وشجرة ـ اللسان ـ .

حبّة خمسة آلاف سوط ، وأُتي يوسف يوماً بثوب ، فقال للحائك الذي تولّى عمله : ما يقال لهذا ؟ قال : سُهْر بسُهر ، فقال : ما يقول ويلك ، قال مَحذم كاتبه : يقول أحمر في أحمر ، فقال : لا جرم لأحمرّنّ ظهره فضربه ثلاثمئة سوط ، وقال يوماً لكاتبه وقد أُتي بثوب : ما تقول في هذا الثوب ؟ قال : كان ينبغي أن يكون أصغر أبياتاً من هذه ، فقال للحائك : صدق يا بن اللخناء ، فقال الحائك : نحن أعلم بهذا ، فقال لكاتبه : صدق يا بن اللخناء هو أعلم بهذا منك ، فقال مخدم : هذا يعمل في السنة ثوباً ، وأنا يمرّ على يدي في كل سنة مئة ثوب مثل هذا ، فقال للحائك : صدق يا بن اللخناء .

فلم يزل يكذّب هذا مرّة وهذا مرّة حتى عدّ أبيات الثوب فوجدها تنقص بيتاً من أحد جانبي البيوت ، فضرب الحائك خمسمئة سوط .

قالوا : وكان له وصفاءً صغارٌ فكانوا يأتون بالزنابير فيفلتونها في البيت الذي هو فيه فتطنّ فيخرج فيقول : يا خُبثاء ما هذا ؟ ثم يرجع .

قالوا : وأراد الخروج إلى بعض النواحي فدعا جواريَهُ فقال لإحداهن : أتخرجين معي ؟ قالت : نعم قال : يا خبيثة هذا كلّه من حبٍّ للنكاح ، يا خادم أو يا حُديج اضرب رأسها ، ثم قال لأخرى : ما تقولين ؟ قالت : أحبّ أن أقيم [٥٨٤/٦٨] فأكون مع ولدي ، فقال : يا خبيثة أكُلَّ هذا زهادة فيّ يا حديج اضرب رأسَها ، ثم قال لأخرى : ما تقولين ؟ قالت : ما أدري ما أقول إن قلت بما قالت هذه أو هذه لم آمن عقوبتك ، قال : يا لخناء أو تناقضين وتحتجّين عليّ ، وأمر بها فضُربت .

قال الهيثم عن ابن عياش : أن رجلاً دخل على يوسف ، فقال له : لم أرك مُذ أيام ، فقال : كنتُ خبيث البطن ، فقال يوسف : والفرج ، وإنما

أراد وجع البطن .

قالوا : وكان جالساً في خضراء واسط فنظر إلى عشّ بومة فيها فقال لبعض من معه : ارمها فرماها بجلاهق فصرعها ، فقال : إنك لغاوٍ أوجعوا رأسه ولا يحضرني مثله .

وقال سعيد بن راشد مولى النخع يوماً : لو فعل الأمير كذا ، فقال : يابن اللخناء أتشير عليّ ! وكان سعيد ابن أخت طارقٍ مولى خالد القسري ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

بكى الخزُّ منْ إبطَيْ سعيد بنِ راشِدٍ ... ومن دبرِهِ تبكي بغالُ المواكِبِ
فوا عَجَباً حتى سعيدُ بنُ راشدٍ ... لهُ حاجِبٌ بالبابِ من دونِ حاجِبِ

تولية أبي العاج[1] السلمي البصرة:

١٧٩ ـ المدائني ، قال : ولّى يوسفُ الوازعَ بن عباد بن قيس السُّلمي البصرة ، فأخذ بلالاً فحمله إلى يوسف بالكوفة ولم يدعه يوسف عليها إلا قليلاً حتى عزله ، ويقال إنه لم يولّه وإنما وجّهه في حمل بلالٍ .

وولّى يوسف أبا العاج كثير بن عبدالله السُّلمي البصرة ، وكان سبب توليته إياه ، أن أبا العاج كان عند هشام يوماً ، وعنده إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، فذُكر يوسف فنال إبراهيم منه ، فقال أبو العاج : يابن السوداء أيوسف يذكر بهذا ، فلم يفهم هشام وأُشير إلى أبي العاج فسكت ونمت إلى يوسف فشكرها له ، فكتب إليه فزاره فولاّه البصرة ، ويقال أخرجه معه .

---

(١) كَثير (أبو العاج) بن عبدالله بن فروة بن الحارث بن جُشَم بن عبد بن حَبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عُصية بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهثة بن سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خصفه بن قيس بن الناس (عيلان) .

قال المدائني : ولّى أبو العاج شرطته محمد بن واسع[1] العابد ، وكان أبو العاج أعرابياً .

المدائني عن يونس النحوي : أنه سمع أبا العاج يقرأ فأدبر يشتدّ يريد يسعى ، وولّى أبو العاج رجلاً بعض كور دجلة فقدم عليه فوصف له سيرته ، وقال : لقد بلغ من رضى أهل عملي بي أن نثروا عليّ حتى كسروا قناديل المسجد الجامع ، فقال : لا جَرم لتغرمنّ ثمنها أو تشتري مثلها .

بهثة سُليم يقال إنها بهثة ضُبيعة :

١٨٠ ـ المدائني عن عمرو بن فايد قال : حفر أبو العاج نهراً فكان يمرّ إليه متنكّباً قوساً عربية .

حدثني عمرو بن شبّة عن أبي عاصم النبيل ، قال : عدا رجل من باهلة على رجل من بني ضُبَيعة فضربه ، فاستعدى الباهليون أبا العاج واستعانوا عليه بسلم بن قتيبة ، فقال أبو العاج : يأمرني ابن قتيبة أن أتعصّب على بني ضُبيعة ، فوالله ما أحبُّ أن الناس كلهم في الجنّة إلا بني ضُبيعة ، يا غلام أئتيني بسياط عليها ثمارها[2] ، فقال الباهليون لسلم : أصلح أيها الرجل بيننا فأصلح سلم بينهم وانصرفوا ، وضُبيعة بن ربيعة بن نزار ، فيقال أن بهثة سُليم هو بهثة ضبيعة والله أعلم[3] .

---

(١) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس ، الإمام الرباني القدوة ، أبو بكر ويقال أبو عبدالله الأزدي البصري أحد الأعلام حدّث عن أنس بن مالك وغيره ، توفي سنة سبع وعشرين ومئة . سير أعلام النبلاء ج :٦ ص١١٩ .

(٢) ثمرة السوط عُقَد أطرافها وفي حديث الحدّ : فأتي بسوط لم تقطع ثمرته أي طرفه ـ اللسان ـ .

(٣) بهثة : ضبيعة هو بهثة بن حرب بن وهب بن جُلَيّ بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار . وفي مختصر جمهرة ابن الكلبي مخطوط مكتبة راغب باشا باستنبول ويذكر =

قالوا : وكان أبو العاج يغضب من أبي العاج ، فتقدّم إليه رجل ، فقال : أصلحك الله يا أبا العاج ، فقال أبو محمدٍ[1] : يا بن البظراء ، فقال : لا تقل هذا فإنها كانت مسلمةً قد حجّت ، فقال : إن ذاك لا يمنعها من الحجّ ، وقيل لأبي العاج وأُتي برجل مأبون[2] : إن هذا يمكّن من نفسه ، قال : أفتريدون ماذا أوكّل به رجالاً يحفظون دبره لقد وقعتُ إذاً في عناءٍ أطلقوه فالاست استه يصنع بها ما يشاء .

فولي أبو العاج البصرة نحواً من ستةٍ ، ثم عزله يوسف وولى القاسم بن محمد بن القاسم البصرة فانحدر إليها من واسط ، وكان والياً عليها فأقام على البصرة خمس سنين وأشهراً ، فاتّخذ من مصلى البصرة بستاناً واتخذ حوضين وبنى عليهما صومعة ، فكان يأمر بالحوضين في يومي العيدين فيملآن ماءً ويُصَبُّ فيهما ألفاراوية ، فإذا صلى وجلس في الجُنَيدة وَضعت الآنية فشرب الناس وأقام مكانه حتى يخفّ الزحام ، ثم يأتي دار الإمارة .

قالوا : وكتب يوسف إلى القاسم يأمره أن ينتخب له رجالاً يجعلهم أمناء على عُمّاله ، فانتخب رجالاً كانوا يدعون القُصّاص لأنهم يقصّون آثار العمال ، منهم مطر بن فيل والحارث الأحول فوجههم في أعماله ، فأما مطر بن فيل فامتنع من العمل ، فقال له يوسف : ما بالك لا تعمل ؟ قال : لا أصلح للعمل ، قال : ولِمَ أما تعلّمت من جباية أبيك ؟ قال :

= المؤلف في الهامش جميع من يقال فيهم قول آخر وذلك مأخوذ من كتاب النواقل لابن الكلبي والنواقل أي الذي يقال في نسبهم قولان فلم يذكر أن بهثة سليم يقال فيها بهثة ضبيعة .

(١) يظهر كنية أبي العاج التي يريدها : أبو محمد .

(٢) المأبون : المتهم في خلقه .

مات وأنا صغير ، فقال : والله لأضربّك ثم لأحبسنّك ثم لا وليتك ، فضربه وحبسه فعُمِل له بالشام حتى كُتب إلى يوسف فأطلقه .

وقال القاسم بن محمد بعد ذلك بيتاً لم يقل قطّ غيره : [من الوافر]

نقمتَ الجَوْرَ منّي في زَماني ... فكيفَ تَراهُ يا مَطَرَ بنَ فيلِ

وقال الشاعر : [من الكامل]

عُذْ بالأَميرِ إذا خَشِيتَ ظَلامَةً ... بِالقاسِمِ بْنِ مُحمَّدِ بْنِ القاسِمِ

وقال حمزة بن بيض : [من الطويل]

وَمَتَّعنا بالقاسِمِ بنِ محمدٍ ... أميراً وَزَادَ الله في عُمْرِهِ عُمْرا

فلا خيرَ في الدُّنيا إذا لم يكُنْ بِها ... أميرٌ عَقيليٌّ يُشْبِهُهُ البَدْرا

المدائني عن أبي بكر الهذلي ، قال : خطبنا يوسف في مسجد الكوفة فتكلم إنسان مجنون ، فقال يوسف : يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن يدخل مجانينكم المسجد، اضربوا عنقه فضُربتُ عنق المجنون، فقلت: لا أصلّي والله خلفك أبداً . وكان مع هذا طويل الصلاة كثير القراءة للقرآن .

المدائني ، قال : خلع رجل ثيابه ليغتسل وألقى هِميانه[1] فجاءت عقابٌ فحملت الهميان تحسبه لحماً ، فخرج الرجل يصرخ ويبكي ، فأخبر يوسف ، فقال : كم أكثر ما تطير العقاب قيل كذا ، قال : انظروا أقرب القرى من هذه الغاية فضمّنوا أهلها هميان الرجل .

المدائني ، قال : لما قدم يوسف العراق قال لعامر بن يحيى بن عامر مِسمع : إيه يا فاسق أخبرت مهراجا نقدق[2] ، قال : إني لم أكن عليها

---

(١) الهِميان : هِميان الدراهم بكسر الهاء الذي تجعل فيه النفقة ـ اللسان ـ .

(٢) في هامش المخطوط : نهر جان قدق .

إنما كنتُ على ماه وقد عمّرتُ البلاد ووفرت الخراج ، فأعاد عليه أخبار مهراجا نقدق ، فأعاد عليه مثل قوله ، فقال عامر : أشهد أنك مجنون ، فعذّبه حتى قتله .

وقال يوسف يوماً لكاتبٍ له : ما حبَسَك ؟ قال : اشتكيت بضرسي ، فدعا الحجّام فقلعه وضرساً آخر معه .

وخطب يوسف ، فقال ولم يذكر الله في أول خطبته ، يا أهل المدرة الخبيثة أترجفون فيّ أفهلا أرجفتم بابن النصرانية الذي قال : لأجعلن مليئها[1] قمحاً بدرهم ، هل نقمتم عليّ أني لم أدع جُندي يدرعون فيكم ؟ .

وقال الواقدي : قدم المطلب بن عبدالله بن حنطب ، وأمه أم مسلمة بنت الحكم بن أبي العاص بن أميّة على هشام ، بسبب هذه الخؤولة فقضى عنه سبعة عشر ألف دينار ، والبئر التي على طريق العراق تنسب إلى بئر المطلب هي بئره.

(١) يعني ملء يده .

بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

١٨١ ـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان يكنى أبا العباس ولي الخلافة بعد هشام ، وقد ذكرنا كيف كانت بيعته ، وكانت أيامه سنة وثلاثة أشهر ، وقُتل لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومئة ، وأمّه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم والحجّاج عمّها ، ولقب الوليد البيطار وذلك أنه كان يصيد حمير الوحش فيسمها بالوليد ثم يخلّيها .

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن أبيه ، وابن عياش : أنّ الوليد نشأ في قصر أبيه على التَّرف فمجن وتهتَّك ، وكان العهد له بعد هشام فكان مسرفاً على نفسه معلناً للفسوق والشرب واللذات ، وكان هشام ينهاه عن ذلك فلا يزعه نهيه ولا يردعه حتى همّ بخلعه ، وكان شاعراً وكانت عنده ابنة سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فزارتها أختها سلمى بنت سعيد وكانت من أحسن الناس وجهاً ، فبصر بها الوليد فأعجبته ، وذلك قبل الخلافة فطلّق أختها وخطبها إلى أبيها فامتنع عليه ، وقال : إنما تريد مني أن أتّخذك فحلاً لبناتي ، فكان يهجوه ، وفيه يقول : [من الطويل]

[و] من يَكُ مِفتاحاً لخيرٍ يُريدُهُ ... فإنَّكَ قِفْلٌ يا سَعيدُ بنُ خالِدِ

وكان يقول في سلمى الأشعار [٦٨/٥٨٥] فيغني بها المغنون ، وينشدها جلساءه ويشكو إليهم حبّها حتى افتضح وسقط عند الناس ، وفيها يقول : [من الوافر]

تـذكّـر شجـوَهُ القَلْـبُ القَـريـحُ　　فَـدَمْـعُ العَيْـنِ مُنهـلٌّ سَفُـوحُ
ألا طـرقَتْـكَ بـالبَلْقـاءِ سَلمـى　　هَـدُّوا والمَطِـيُّ بِنـا جَنُـوحُ
فَبِـتُّ بهـا قَـريـرُ العَيْـنِ حتّـى　　تكلَّـمَ نـاطِـقُ الصُّبـحِ الفَصيـحُ[1]

قال : وكان مستهتراً بشرب الخمر لا يكاد يصلّي ، وقال وقد بلغه أن هشاماً همّ بخلعه :　　[من الطويل]

خذوا مُلكَكمْ لا ثَبَّتَ الله ملككمْ　　ثَباتاً يُساوي ما حَييتُ قِبالا[2]
ذروا لِـيَ سلمـى والطـلاءَ وقَيْنَـةً　　وكـأسـاً ألا حَسْبـي بـذلـك مـالا
أبـالمُلْـكِ أأرجـو أَنْ أعمَّرَ فيكـمُ　　الا رُبَّ مُلْـكٍ قـد أُزيـلَ فـزَالا
ألا رُبَّ دارٍ قـد تحمَّـلَ أهلُهـا　　فـأضحَـتْ قِفـاراً والبقـاعُ بِـلالا
إذا ما صفا عيشي برملَةَ عالجٍ　　وعـانَقْـتُ سلمـى لا أُريـدُ بِـدالا

المدائني والهيثم ، قالا : كان الوليد يلعب بالصوالجة في ملعبٍ له وهو يرتجز ويقول :　　[من الرجز]

يـا رُبَّ أَمْـرٍ ذي شـؤونٍ جَحْفَـلِ　　قَـاسَيْـتُ فيـهِ جَلَبَـاتِ الأَحْـوَلِ

قال : ولما ولي الخلافة بعث إلى سعيد بن خالد فقسره على أن يزوّجه سلمى ابنته ، فلما حُملت إليه من المدينة اعتلّت في الطريق وماتت ليلة أدخلت عليه ، ولم يزل على مجونه حتى وثبت اليمانيّة فقتلوه وبايعوا ليزيد بن الوليد بن عبد الملك .

وقال أبو نُخَيلة السعدي[3] في الوليد :　　[من الرجز]

---

(١) يعني : الديك .
(٢) القبال : سير الفعل .
(٣) كان يجب أن يقول أبو نخيلة السعدي ثم التميمي لكي لا يظن أنه من بني سعد من هوازن وهو أبو نخيلة اسمه لا كنيته ويكنى أبا الجنيد وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط =

بينَ أَبي العاص وبين الحجّاجْ يـا لهمـا يُـورى سـراجٌ وهَّـاجْ
عليـهِ بعْـدَ عَمِّـهِ عقـدُ التّـاجْ

قالوا : وكان ولد الوليد عثمان وأمه عاتكة من ولد محمد بن أبي سفيان بن حرب ، وسعيداً وأمّه أم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، والعباس ويزيد والحكم وفِهر ولؤي وقصيّ والعاص ومؤمن وواسط وذؤالة لأمهات أولاد شتّى والوليد ومفتّح لأم ولدٍ درجوا كلهم .

المدائني ، قال : كان الوليد حين بايع له أبوه بعد هشام ابن إحدى عشرة سنةً .

قالوا : لما بلغ الوليد الحنث ندم أبوه على تولية هشام عهده وقال : لو انتظرت بلوغه ، ولكن مسلمة لم يدعني ، وكان إذا رآه ، قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك ، وتوفي يزيد سنة خمس ومئة ، وولي هشام فكان في بدء أمره مُكرماً للوليد فمكث بذلك أعواماً . وكان مؤدّب الوليد عبد الصمد بن عبد الأعلى الشاعر ، وكان فيما يزعمون زنديقاً فحمله على شرب الخمر والاستخفاف باتّخذ ندماء ، وولاّه هشام الموسم سنة ست عشرة ومئة ، فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً . فأمر مولى له يقال له عيسى بن مقسم فصلى بالناس.

= بن هرم بن يثربي بن ظالم بن مجاشر بن حماد بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، من الأغاني وفي الجمهرة مخاشن بن حمّان واشتهر رجز قاله :

إنـي وجـدتُ الكـاذبـان نـوّكـا غيـر منيـكٍ فـابغيـن مُنيّكـا
حتى إذا حَرّكْته تحرّكا

هشام يطمع في خلع الوليد:

١٨٢ ـ وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه ، فأراده على أن يخلعها ويبايع لابنه أبي شاكر مسلمة بن هشام ، فأبى فتنكّر له هشام وأضرّ به وجعل يشتمه ويتنقّصه . وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط ، فقال هشام : ويحك ما أظنّك على الإسلام ، فكتب إليه الوليد : [من السريع]

يـا أيُّهـا البـاحِـثُ عَـنْ ديننـا   نحـنُ علـى ديـنِ أَبـي شـاكِـر
نشـرَبُهـا صِـرْفـاً وممـزُوجَـةً   بـالسُّخْـنِ أحيـانـاً وبـالفَـاتِـر

ويقال إن هذين البيتين لعبد الصمد بن عبد الأعلى قالهما فكتب بهما الوليد إلى هشامٍ ، وكان في أبي شاكر بن هشام مجون ، وكان يكثر الشرب ويدمنه فغضب هشام على مسلمة ، وقال : يعيّرني الوليد بك وأنا أرشَحك للخلافة ، فألزمه الأدب وحضور الصلوات والجمعات ، وولاّه في سنة سبع عشرة ومئة الموسم ، فأظهر النسك ولين الجانب وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لبعض أهل المدينة يعرّض بالوليد بن يزيد : [من السريع]

يـا أيُّهـا السَّـائِـلُ عـن دينِنـا   نحـنُ علـى ديـنِ أَبـي شَـاكِـر
الـواهِـبِ الجـردِ بـأرْسَـانِهـا   ليـسَ بِـزِنْـديـقٍ ولا فَـاجِـرِ

وقال الكميت بن زيد : [من الطويل]

إن الخـلافَـةَ كـائـنٌ أسبـابُهـا   بعـد الـوليـدِ إلـى ابـنِ أُمٍّ حكيـمِ

فكان خالد بن عبد القسري يقول : أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر ، فبلغ مسلمة قول خالد ، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد كتب إليه مسلمة : [من المنسرح]

أراحَ مـن خَـالـدٍ وأهلكَـهُ   ربٌّ أراحَ العبـادَ مـنْ أَسَـدِ

أَمّـــا أَبُـــوه فكـــانَ مُـــؤتَشِبـــاً عبـــداً لئيمـــاً لا عَبْـــدَ قفـــد[1]

والبيتان لابن نوفل قالهما حين مات أسد ، فلما قرأ خالد البيتين ، قال : ما رأيتُ كاليوم تعزيةً أعجب .

المدائني عن أبي محمد القرشي ، قال : كان هشام يعيب الوليد ويتنقّصه فدخل عليه يوماً وعنده جماعة من بني مروان ، وكانوا يعيبون الوليد قبل دخوله فيقولون هو أحمق ، فقال له العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا با العباس كيف حبّك للروميّات فإنّ أباك كان معجباً بهنّ ، قال : إني لأحبَهنّ وكيف لا أحب من لايزال يأتي بمثلك ، وأمّ العباس روميّة ، فقال لستُ بالفحل تجيء عبسيّة مثلي ، فقال له الوليد : يا بن البظراء ، فقال العباس : يا وليد أتفخر عليّ بما قطع من بظر أمّك .

وقال هشام للوليد يوماً : ما شرابك ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين وقام مغضباً ، فقال هشامٌ : هذا الذي تزعمون أنه أحمق ما هو بأحمق ولكني أظنُه على غير الملّة .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : دخل الوليد يوماً مجلس هشام وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك ، وأبو الزبير مولى بني مروان ، ولم يكن هشام بن عبد الملك حاضراً في المجلس ، فأقبل على سعيد بن هشام فقال له : من أنت ؟ وهو يعرفه ، فقال سعيد : ابن أمير المؤمنين ، فقال : مرحباً بك ، ثم قال لأبي الزبير : من أنت ؟ قال أبو الزبير ، قال نسطاس مرحباً بك ، ثم قال لإبراهيم بن هشام : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام قال : من إبراهيم بن هشام ؟ وهو يعرفه ، قال

---

(١) هذا الشطر مكسور ويصح لو قلنا : لعبد مقتصد أي مقتر .

إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، قال : ومن إسماعيل المخزومي ؟ قال : أنا الذي لم يكن أبوك يرى أنه في شيء حتى زوجه أبي ، قال : يابن اللخناء ، وأقبل هشام فقيل : أمير المؤمنين فكفّا وجلسا ودخل فما كان الوليد يتزحزح عن صدر المجلس ، فزحل قليلاً وجلس هشام ، فقال : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالح قال : ما فعلت برابطُكَ[1] ؟ قال : معلمة ، قال : فكيف ندماؤك ؟ قال : لعنهم الله إن كانوا شرّاً من جلسائك وقام ، فقال هشام : يابن اللخناء جؤوا في عنقه ، فلم يفعلوا ودفعوه دفعاً رقيقاً ، فقال الوليد : [من الطويل]

أنا ابنُ أبي العاصي وعثمانُ والدي ... ومَـروانُ جَـدّي ذُو الفَعـالِ وعـامِرِ
أنــا ابــنُ عظيــمِ القَـرْيَتَيْــنِ وعِـزِّهـا ... ثَقيــفٍ وفِهــرٍ والـرّجـالِ الأكـابـرِ
نبيُّ الهُـدى خـالـي ومـن يَـكُ خـالُـه ... نبيّ الهُدى يعلو الورى في المفاخِرِ[2]

وقال أيضاً : [من البسيط]

أنا الوليدُ أبو العباسِ قد عُلِمَتْ ... عُليا مَعَدٍّ مَدى ذكري وإِقْدامي
أنا لَدى الذُّروةِ العَلْيَاءِ إذ نُسِبُوا ... مقـابِـلٌ بيـنَ أخـوالـي وأعمـامـي

---

(١) برابطك : أعوادك والمفرد : بَرْبَط .
(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة الأكبر ، وعفّان هو أخو الحكم والعم مقام الوالد ، وعامر يقصد عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس لأن عاتكة بنت يزيد بن معاوية أم يزيد بن عبد الملك وأم عاتكة ، ابنة عبد الله بن عامر بن كريز فمن هنا كان جده ، وأما نبي الهدى خاله لأن أم حكيم بنت عبد المطلب كانت تحت كريز بن ربيعة فولدت له عامر بن كريز وهي جدة عبد الله بن عامر فمخؤولة نبي الهدى من هنا . وعظيم القريتين بن مسعود الثقفي الذي نزلت فيه الآية ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١] وأم الوليد بن يزيد بنت محمد بن يوسف يلتقي في النسب مع عروة بن مسعود الثقفي في مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف .

بنى لـيَ المجـدَ بـانٍ غيـرُ مُـدَّركٍ   علــى مَنــارِ مَضيّــاتٍ وأعــلامِ
خُلِقْتُ من جوهَرِ الأَعْيَاصِ قد عَلِموا   فـي بـاذِخٍ مُشمَخِـرّ العـزِّ قمقـامِ[1]
صعبُ المرامِ يناغي النجمَ مَطْلَعُهُ   يسمُو إلى فرعِ مجدٍ شامخٍ سامِ

قالوا : فلما كثر عيب هشام للوليد وتعبّثه به وبأصحابه وخاصّته ، خرج في جماعة منهم فنزل الأزرق من أرض بلقين وفزارة ، وخلف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبدالملك ، وأمره أن يكتب إليه بما قبله .

هشام يقتل عبد الصمد بن عبد الأعلى :

١٨٣ ـ قالوا : وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري وفد على هشام وكان غلاماً وضيء الوجه فجعل يختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني مؤدب الوليد بن يزيد[2] بن عبد الملك بسبب الأدب فراوده عبد الصمد بن عبد الأعلى[3] عن نفسه ، فأتى باب هشام ، فأذن له فدخل مغضباً ، فقال :   [من الرمل]

إنّــه والله لــولا أنــت لــم   ينـجُ مني سـالمـاً عبـد الصَّمَـدْ

قال هشام : ولِمَ ذاك ؟ قال :

إنــه قــد رامَ منّــي خُطَّــةً   لـم يـرُمْهـا قبلـه منّـي أحَـدْ
[٥٨٦/٦٨] فَهْوَ فيما كانَ منهُ كالّذي يبتغـي للصَّيْـدِ فـي خِيـسِ[4] الأسَـدْ

فأساء هشام القولَ في عبد الصمد وهمَ به ثم أمسك .

---

(١) القمقام : الكثير العدد .
(٢) في أصل المخطوطين مؤدب الوليد بن عبد الملك وهو سهو من الناسخ .
(٣) في أصل المخطوطين ابن علي وهو سهو من الناسخ .
(٤) الخِيس : الأجمة وموضع الأسد .

قالوا : وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى عند الوليد وهم يشربون ، فقال عبد الصمد : [من المتقارب]

أَظُنُّ الوليدَ دنا مُلكُهُ ... فَأَمسى إليهِ قَدِ اسْتَجمَعا
وَإنّا نُؤَمِّلُ في مُلكِهِ ... كتأميلِ ذي الجَدْبِ أن يَمْرَعَا
عَقَدْنا له محكَماتِ العُهو ... دِ طوعاً وكانَ لها مَوْضِعا

فبلغ الشعر هشاماً فأغضبه ، وكتب إلى الوليد : إنك اتخذت عبد الصمد خدناً وأليفاً ومحدّثاً ونديماً ، وقد صحّ عندي أنه على غير الإسلام فحقّق ذلك ما يقال فيك ولم أر بك سوءْ ، فاحمل إليّ عبد الصمد مع رسولي مذموماً مدحوراً ، فلم يجد بدّاً من إشخاصه فأشخصه إليه وأنشأ يقول : [من الوافر]

لقد قَرَفُوا أبا وَهْبٍ بأَمرٍ ... كبيرٍ أو يَزيدُ على الكبيرِ
وأشهَدُ أَنَّهم كذَبوا عليهِ ... شهادَةَ عالِمٍ بِهِمُ خبيرِ

قال فلما صار عبد الصمد إلى هشام أمر بإنفاذه إلى يوسف بن عمر ومعه أخ يقال له عبد الرحمن فبنى لهما يوسف بيتاً وجعلهما فيه وطيّن بابه وصيّر فيه كُوّةً يرمي منها إليهما بالطعام ، ووكّل بهما محمد بن نباتة بن حنظلة ، ثم أعطشهما حتى برصا أو برص أحدهما وماتا عطشاً .

وقال هشام لعبد الله بن عبد الأعلى أخيهما وقد كلمه فيهما : أأنت على دينهما ؟ قال : أنا عليه والله ما يدينان إلا بالإسلام ، فأمر به فأُفرج عنه وقال : لا يساكني ولا يكلّمه أحد ، فأتى الوليد بن يزيد فلم يأذن له عليه . وكان يجلس في المسجد وقد اجتنبه الناس .

المدائني عن مسلمة بن محارب عن رجل من قريش ، قال : قدمت الشام فرأيت عبدالله بن عبد الأعلى فتمنّيت أن يكون حالي مثل حاله ، ثم

غبت أعواماً وقدمت الشام فإذا هو مفرد لا يجالسه أحد ولا يكلمه ، فقلت له : إني قدمت الشام مذ أعوام فرأيتك في حال تمنّيت أن أكون في مثلها وأنت اليوم وما أرى ، فقال : إنه بلغ قومنا عنا شيء فأخذوا بظاهر البلاغ ولم يطّلعوا على باطن الضمير ، ومن ورائنا وورائهم الحساب .

المدائني عن أبي اليقظان قال : كان بالشام رجل من أهل اليمين يقال له عبدالله بن سهيل وقد ولي دمشق أو شرطتها مراراً ، فكتب الوليد إلى هشام يعلمه أنه قد فارق عبد الصمد ويسأله أن يأذن لابن سهيل في القدوم عليه ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه ، وأخذ عياض بن مسلم وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد فضربه وألبسه المسوح[١] وقيّده وحبسه ، فغمّ ذلك الوليد ، فقال : من يثق بالناس أو يصطنع المعروف ، هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي وولاّه الخلافة وهو يصنع ما ترون ، وقال الوليد :

[من البسيط]

أنا النَّذيرُ لمُسْدٍ نعمةً أبدا ... إلى المُقَارِفِ ما لم يخبِرِ الدُّخَلا[٢]

إنْ أنتَ أكرمتَهمْ ألفيتَهمْ بُطُراً ... وإنْ أَهَنْتَهُم أَلفَيْتَهمْ ذُلُلا

أَتَشْمَخونَ ومنا أصلُ نعمتِكمْ ... ستعلمونَ إذا صُرتُمْ لنا خَوَلا[٣]

انظر فإنْ أنتَ لم تَقدرْ على مَثَلٍ ... لهم سوى الكلبِ فَاضْربْ لهمُ مثَلا

بينا يُسمّنُهُ للقَيْدِ صاحِبُهُ ... عَدا عَليهِ فَلَوْ يَسْطيعُهُ أَكَلا

قالوا : وبلغ الوليد أن العباس بن الوليد بن عبد الملك وعمر بن الوليد وغيرهما من بني مروان يعيبونه بشرب الخمر ، فقال : [من الكامل]

---

(١) المِسح : الكساء من الشعر ـ اللسان ـ .

(٢) اقترف الذنب : أتاه في الحديث : رجل قرف على نفسه ذنوباً أي كسبها ، ودخيل الرجل : الذي يداخله في أموره ويختص به ـ اللسان ـ .

(٣) الخول : العبيد والإماء ـ اللسان ـ .

ولقد قَضَيْتُ وإن تَجلَّلَ لمّتي شيبٌ على رغم العدا لذّاتي
مِنْ كاعِباتٍ كالدُّمى ومناصِفٍ ومراكِبٌ للصَّيدِ والنَّشَواتِ
إنْ يَطْلِبوا بتِراتِهم يُعطونَها أو يُطلَبوا لا يُدركوا بِتِراتِ

قطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه :

١٨٤ ـ قالوا : وقطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه ، وأسقط أسماء أصحابه وحرسه وقطع ما كان يجريه عليهم ، فكتب إليه الوليد : قد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين أصلحه الله في قطع ما قطع عني وعن أصحابي وحرسي وأهلي ، ولم أكن خائفاً لأن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك ولا يبتليني به منه ، فإن يكن طلبي ابن سهيل علّة ذلك ، فلم يبلغ أمر ابن سهيل وكتابي فيه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتي ، وإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين عليّ ، فقد سبّب الله لي من العهد وكتب لي من العمر وقسم لي من الرزق ، ما لا يقدر أحد على قطع شيء منه دون مدّته ولا صرف شيء منه عن مواقعه ، فأقدار الله تجري بماأحبّ الناس وكرهوا ، ولا تأخير لعاجلها ولا تعجيل لآجلها ، والناس بين ذلك مقترفون للآثام على أنفسهم .

فكتب إليه هشام : قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجري عليك ، فإنه للمآثم في ذلك أخوف منه على نفسه في قطعه ما قطع لأمرين : أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجريه عليك وهو يعلم المواضع التي تضعه فيها ، وإنفاقك إياه في سُبل المعصية ، وأمّا الآخر فلأن أمير المؤمنين أثبت صحابتك وأدرّ أرزاقهم وليس ينالهم ما ينال المسلمين في كل عامٍ من المكروه ، عند قطع البعوث وجهاد العدو ، وإنما هم معك تجول بهم في سفهك وبطلانك وفسوقك ، ولأمير المؤمنين إلى التقصير في التغيير عليك أقرب

منه إلى الاعتذار ، ولقد بصّر الله أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنك وعن أصحابك المُجّان ما يرجو أنه كفّارة لما سلف من إدرار ذلك عليكم وبالله الثقة .

وأما ابن سهيل ، فهل زاد الله أبوك على أن كان زفاناً مُغَنّياً قد بلغ في السَّفه غايته ، وليس هو في ذلك بشرّ ممن تستصحبه ، مع الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها مما أنت لعمر الله أهل التوبيخ بها ، فأما ما ذكرت مما سبّب الله لك فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك وأصفاه به والله بالغ أمره . ولقد بلغ أمره ولقد أصبح أمير المؤمنين على اليقين من ربّه أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه الله من كرامته ضرّاً ولا نفعا ، وأن الله وليّ ذلك منه وأنه أرأف بعباده وأرحم من أن يولّي أمرهم غير الرضى منهم ، وأن أمير المؤمنين لحسن ظنّه بربّه على أعظم الرجاء أن ييسّر له تسبيب ذلك لمن هو أهله في الرضى به ، فإن بلاء الله عنده أعظم من أن يبلغه ذكره ويودي حقّه فيه بشكره إلا بعونٍ منه له ، ولئن كان قد قدّر لأمير المؤمنين تعجيل وفاةٍ فإن في الذي هو مُفضٍ إليه من كرامة ربّه إن شاء الله لخلفاً من الدنيا ولعمر أمير المؤمنين إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك وشقوتك : فاربع على نفسك وغلوائها فإن لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاءُ ، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحبّ الأمور إليه وأرضاها له ، والسلام .

فكتب إليه الوليد : [من الطويل]

رأيتُكَ تَبْني جاهِداً في قَطيعَتي ... فلو كُنتَ ذا عَقْلٍ لَهدَّمتَ ما تَبني
ستتـرُكُ للبـاقيـنَ مَجنَـى ضغينَـةٍ ... وَوَيْلٌ لهمْ إنْ مُتَّ مِن شَرِّ ما تجني[1]

---

(١) جاءت هذه الأبيات أربعة بإضافة بيت أول وآخر رابعاً .

كفـرتَ يـداً مـن منعـم لـو شكـرتهـا ... جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنِّ=

وقال الوليد : [من الطويل]

أَلَيْسَ عظيماً أَنْ أرى كُلَّ واردٍ حياضَكَ يوماً صادِراً بالنَّوافِلِ
وَأَرجِعُ محدودَ الرَّجاء مُصَرَّداً بتحلئةٍ[1] عن وِرْدِ تلكَ المَنَاهلِ
فآيَسْتُ[2] مما كنتُ آمِلُ فيكُمُ وليسَ بلاقٍ ما رَجا كلُّ آمِلِ
كذي قبضَةٍ يوماً على عرضِ هَبْوبةٍ[3] يشدُّ عليها كفَّهُ بالأَنامِلِ

وقال المدائني : ذُكر الوليد عند المهدي أمير المؤمنين فقيل كان زنديقاً ، فقال المهدي خلافة[4] الله أجلّ وأكرم عليه من أن يولّيها زنديقاً .

الوليد بن يزيد يعشق أخت زوجته :

١٨٥ ـ قال المدائني : وكانت عند الوليد أمّ عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فمرض سعيد وهو متبدٍّ[5] فعاده الوليد بن يزيد فدخل عليه ولم يعلموا به ، فرأى أختها سلمى بنت سعيد لمحةً فوقعت في قلبه فطلّق أختها ، وخطبها فلم يزوّجه إياها أبوها ، وكانت أختها أم عثمان بنت سعيد عند هشام ، فأرسل هشام إلى سعيد :

= كأنِّي بهم يوماً وأكثر قولهم أيا ليت أنا حين يا ليت لا تغني
كتاب الوليد بن يزيد للدكتور حسين عطوان ص : ٣٤٢ دار الجيل بيروت .

(١) حلأ الإبل والماشية عن الماء تحلئاً وتحلئةً : طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده ـ اللسان ـ .

(٢) في كتاب الوليد بن يزيد للدكتور حسين عطوان : فأصبحت بدلاً من آيست وذكرها الدكتور أنها هكذا في العقد الفريد والأغاني وأنا أرى أنّ آيست أوقع من أصبحت ص : ٣٢٤ .

(٣) الهبوبة : الريح التي تثير الغبار .

(٤) حلافة الله : أيضاً خلفاء العباسيين كالخلفاء الأمويين خليفة الله تعالى لا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) تبدّ : أي نازل في البادية وذلك لقربهم بالحياة القبلية كانوا يخرجون إلى البادية .

إياك أن تزوّجه ، فقال سعيد : أيريد الوليد أن يكون فحلاً لبناتي يطلّق واحدةً ويتزوج أخرى ، فكتب إلى أبيها : [من الوافر]

أبـا عثمـانَ هـل لَـكَ فـي صَنيـعٍ ... تُصيبُ الرُّشْدَ في صِلَتي هُدِيتا
فأَشْكُرُ منكَ ذا المَسْدَى وتحيي ... أبـــا عثمـــانَ مَيِّتَـــةً وَمَيْتـــا[1]

فقال له عبد الصمد بن عبد الأعلى وهو بعد عنده وليثٌ وغيرهما من أصحابه : ما ترجو بها وقد ردّك أبوها عنها وسيزَوّجكها إذا مات هشام ، فقال : [من الوافر]

يُعــزّينــي أبــو وهــبٍ وَلَيْــثٌ ... ويَعــذُلُ مــالــكٌ وأبــو ركيــنِ
فقلــتُ لهــمْ كــلامكُــمُ مُحــالٌ ... دَعُـونـي مِـن كـلامكـمُ دَعُـونـي

وقال أبو اليقظان : خرج الوليد إلى فُدّين ومنزل سعيد بن خالد بفُدين ، فرأة رجلاً يبيع الزيت قريباً من منزل سعيد ، فأخذ ثيابه فلبسها وساق حمار الزيت حتى أدخله قصر سعيد وهو ينادي من يشتري الزيت ؟ فخرج الجواري فنظرن ، فقالت جارية منهنّ لسلمى : يا سيدتي ما رأيت إنساناً أشبه بالوليد من هذا الزيّات ابن الخبيثة انظري إليه ، فاطلعت سلمى فقالت للجارية : ويحك هو والله الوليد قد والله رآني ، فقولي له : يا زيّات اخرج لا نريد زيتك ، فخرج وقد لمحها وقال :

[من مجزوء الرمل]

إنّنـــي أبصـــرتُ شيخـــاً ... حســنَ الـــوجـــهِ مَليـــح
لابســـاً أثـــواب ســـوءٍ[2] ... مـــن عَبـــاءٍ ومُســـوح

---

(١) البيتين في كتاب الوليد بن يزيد ص : ٧٦ كما هنا .
(٢) في الأغاني : ج : ٧ ص : ٢٩ ط : ثقافة بيروت ، جاء هذا الشطر هكذا : ولباسي ثوب شيخ .

وأبيــــعُ الــــزيـــــت بَيْعـــاً   خـــاســــراً غيـــرَ ربَيـــح

وبلغه أنها خرجت في يوم عيدٍ ، فقال : [من مجزوء الرمل]

خَبّـــرونـــــي أَنّ سلمـــــى   خَــرَجــتْ يــومَ المُصلّـــى
وإذا ثَـــــمّ غُــــرابٌ[1]   فــــوقَ غُصـــنٍ يتفلّـــى
قلـــتُ بـــاللـــهِ ادنُ منـــي[2]   قـــال : هـــا ، ثُـــمَّ تَـدَلّـى
قلـــتُ : هـــل أبعــدتَ سلمـى   قـــالَ : لا ثُـــمَّ تَـــولّـــى[3]

وقال الوليد أيضاً : [من الوافر]

ألا ليـتَ الإلـهُ يَحيـنُ سلمـى   فــإنّ الله يفعـــلُ مـــا يَشـــاءُ
فيخــرجُهـا فيطـرحُهـا بـأرضٍ   ويُـرقِـدُهـا وقـد سَقَـط الـرِّداءُ
ويـأتـي بـي فيطـرحُني عليهـا   فـأُوقظُهـا وقَـد قُضـي القَضَـاءُ
ويــرسِــلُ ديمَــةً سَمْحـا عَلَيْنـا   فيغسلنـا فـلا نُبغـى العنـاءُ[4]

وقال أيضاً : [من الرمل]

يا مَنْ لقلبٍ في الهوى مُتَشَعِّبٍ   أم مَـنْ لقلـبٍ فـي الحبالِ عميـدِ
سلمى هَواهُ فليسَ يذكُرُ غيرَها   دونَ الطَّـريـفِ ودونَ كـلِّ تَليـدِ
إنّ القـــرابَـــةَ والمـــودَّةَ أَلَّفـــا   بينَ الوليدِ وبينَ بِنْتِ سعيدِ[5]

---

(١) وفي نفس المصدر السابق ص : ٣٦ جاء هذا الشطر هكذا : فإذا طير مليح .

(٢) جاء هكذا :

قلـــت يـــا طيـــر ادن منـــي   قـــال هـــا ثـــم تعلّـــى

(٣) وجاءت هذه القصيدة في الأغاني بزيادة بيتين فهي ستة أبيات .

(٤) تنسب هذه الأبيات في تاريخ دمشق مخطوط الظاهرية ج : ١٩ ترجمة سلمى بنت سعيد للوليد بن يزيد وفي العقد الفريد : ج : ٤ ص : ٤٥٤ وتنسب إلى بدوي مجهول في حلبة الكميت : ص : ٩٢ .

(٥) وردت هذه الأبيات في الأغاني : ج : ٧ ص : ٤٠ ط ثقافة بتغيير بعض الكلمات وزيادة بيت رابع : =

وقال أيضاً : [من الرمل]

شاعَ شِعري في سُلَيْمى وَظَهرْ ... وَرَواهُ كلُّ بادٍ وحَضَرْ
وتَهادَتْهُ العَذارى بَيْنَها ... وَتَغَنَّيْنَ بِهِ حتّى انتَشَرْ
قلتُ قولاً لسليمى مُعجباً ... مثلَ ما قالَ جميلٌ وعُمَرْ
لو رأَيْنا لسُليمى أثَراً ... لَسَجَدْنا ألفَ ألفٍ لِلأَثَرْ
واتّخذناها إماماً مُرتضىً ... ولكانت حَجَّنا والمُعْتَمَرْ
إنّما بنتُ سعيدٍ قَمَرٌ ... هَل حَرِجْنا إنْ سَجَدْنا للقَمَرْ[1]

وقال أيضاً : [من الوافر]

أراني الله يا سَلْمى حَيَاتي ... وفي يومِ الحسابِ كما أَراكِ
ألا تجزينَ مَنْ تيّمتِ عَصْراً ... ومن لَوْ تطلُبينَ لقدْ أتاكِ
وَمَنْ إن مُتِّ ماتَ ولا تَموتي ... وإن يُنْسى[2] له أَجَلُ بَكاكِ
ومَنْ لو قُلْتِ : مُتْ وَأَطاقَ مَوْتاً ... إذاً ذاقَ المماتَ وَما عَصاكِ
ومَنْ حَقّاً لو اعْطِيَ ما تَمنّى ... مَنَ الأرضِ العَريضَةِ ما عَداكِ
أَثيبي هَائماً كَلِفاً مُعَنّىً ... إذا خدِرَتْ له رِجْلٌ دَعاكِ[3]

وقال أيضاً : [مجزوء الرمل]

أنا في يُمْنى يَدَيْها ... وَهْيَ في يُسْرى يَدَيَّهْ
إنَّ هذا لَقَضاءٌ ... غيرُ عَدْلٍ يا أُخَيَّه

= يا قلت كم كِلف الفؤادُ بغادةٍ ... مكمورةٍ ريا العظام خريد

(١) الأبيات في ديوان الوليد جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان وتاريخ دمشق ترجمة سلمى والعقد الفريد : حح : ٤ ص : ٤٥٤ .

(٢) نسأ : أجلّ ـ اللسان ـ .

(٣) الأغاني : ج : ٧ ص : ٣٨ مع تغير بعض الكلمات وهي الديوان : ص : ٨٧ .

لَيْـــتَ مـــــنْ لامَ مُحِبّـــــاً   فـــي الهَـــوى لاقَـــى مَنِيَّـــهْ
فـــاسْتَـــراحَ النّـــاسُ مِنـــهُ   مِيتَـــةً غَيْـــرَ سَـــوِيَّـــهْ[1]

وقال أيضاً :   [مجزوء الرمل]

وَيْـــحَ سلمـــى لـــو تَـــرَانـــي   لعَنَـــاهـــا مـــا عَنَـــانـــي
مُتْلِفـــاً فـــي اللَّهـــوِ مـــالـــي   عـــاشِقـــاً حُـــورَ الغَـــوَانـــي
ولقـــدْ كنـــتُ زمـــانـــاً   خـــالـــيَ الـــذَّرْعِ لِشـــانـــي[2]

وقال أيضاً :   [من المتقارب]

أنـا ابـنُ يـزيـدَ بـنِ عبدِ الملِـكْ   وَجـــدّيَ مـــروانُ لا أُمَّ لَـــكْ
فكيـفَ إذا مـا ملكـتُ البـلادَ   وقمـتُ خَطيبـاً علـى مِنبَـرِكْ
فَبـخْ بَـخْ بَـخٍ [لـك] مـا أكـرمَـكْ   وَبَخْ بخْ بَخٍ [لك] ما أفخرَكْ[3]

وقال أيضاً :   [من الخفيف]

مـن لقَلـبٍ أمسـى كئيبـاً حـزينـاً   مُسْتَهاماً بين اللُّهى والتَّراقي[4]
أُمَّ سَـــلاَّمَ مـــا ذكـــرتُـــكِ إلا   شَـرَّفـت بـالـدُّمـوع منّـي المـآقـي
حَـذراً أن تبيـن ليـل دارُ سَلْمـى   وَتَجـيءَ الـدُّنيـا لهـا بِفـراقِ[5]

---

(١) في تاريخ دمشق المخطوط : ج : ١٩ ترجمة سلمى والعقد الفريد ج : ٤ ص : ٤٥٤ والديوان : ص : ١٤٠ .
(٢) الذرع : الوسع والطاقة ، وفي الديوان ستة أبيات جاءت في الزيادة من الأغاني ج : ٤ ص : ١١٣ ومخطوط تاريخ دمشق ترجمة سلمى .
(٣) هكذا جاءت في الديوان كما هنا وبخ كلمة للتعظيم والتعجب وعند المدح والرضى وتكرر للمبالغة وإذا فصلت خففت ونونت . ص : ٨٥ .
(٤) اللها : جمع اللهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق ، والتراقي : جمع ترقوة وهي عظم في أعلى الصدر عند الكتف .
(٥) هكذا جاءت في الديوان بزيادة بيت أخذ من الأغاني : ج : ٧ ص٨٢ وتغيير بعض الكلمات :
=

وقال أيضاً : [من الرمل]

نـامَ مَـنْ كـانَ خَلِيّـاً مـنْ أَلَـمْ وَلَقَـدْ بِـتُّ شَجيّـاً لـم أَنَـمْ
أُحْكمي في المَوصلِ إذْ ولّيتِهِ ليس قَتْلُ النَّفْسِ مِنْ عَدْلِ الحكَمْ
أَرقُـبُ النِّجْـمَ كـأَنّـي مُسْنَـدٌ بـأكُفِّ القـومِ تَغْشـاني الظُّلَـمْ[1]

تولّى يزيد الخلافة وهو بالأزرق من أرض الأردن .

١٨٦ـ قالوا : ولم يزل الوليد مقيماً بالأزرق بالبريّة حتى مات هشام ، فلما كان غداة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة ، أرسل إلى المنذر بن أبي عمرٍو فأتاه ، فقال له : يا أبا الزبير ما أتت عليّ ليلةٌ منذ عقلتُ أطول من ليلتي هذه ، وما زلتُ في هموم وحديث نفس واعتمام[2] بأمر هذا الرجل الذي قد أولع بي ، يعني هشاماً .

فاركب بنا نتنفّس ، فركبنا فبينا هو كذلك إذ نظر إلى رهج[3] ، فقال : هؤلاء رسل هشام نسأل الله خيرهم ، وبدا له رجلان على البريد أحدهما مولى لأبي محمد السفياني ، فلما بصرا بالوليد نزلا ثم دنوا منه فسلّما عليه بالخلافة ، فوجم ثم قال : أمات هشام ؟ قالا : نعم ، قال : فممّن الكتاب ؟ قالا : من مولاك سالم بن عبد الله صاحب ديوان الرسائل ، فقرأ الكتاب وانصرفا ، ثم دعا مولى السفياني فسأله عن عياض فحدّثه حديثه وإحرازه ما أحرز من الخزائن وغير ذلك من أمره .

= أم سـلاَّمَ ذكـركـمْ حيـث كنتـمْ أنـتِ دائنـي وفـي لسـانِـكِ راقـي

(١) جاء في الديوان بزيادة بيتين أخذهم من الأغاني ج : ٧ ص : ٩١ .

(٢) أعتم : أبطأ وقيل : عتّم احتبس عن فعل الشيء يريده وأصل العَتْمِ في كلام العرب المكث والاحتباس ـ اللسان ـ .

(٣) الرَّهْجُ والرَّهجُ : الغبار ـ اللسان ـ .

وكتب الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك يأمره أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وأموال ولده ويأخذ عمّاله وحشمه إلا مسلمة بن هشام ، لأنه كان يكثر أن يكلم أباه فيه ويكفّ عنه شرّه ويسأله الرفق به . فقدم العباس الرصافة فأحكم للوليد ما كتب به إليه .

وأتت أم سلمة بنت يعقوب المخزوميّة وهي امرأة مسلمة بن هشام ، فقالت : إن مسلمة لا يفيق من الشراب ولا يكترث بموت أبيه وأمر إخوته ، فأخبر العباس مسلمة بما قالت ووبّخه ، فطلّقها مسلمة ف ذلك المجلس ، فشخصت تريد فلسطين ، فتزوّجها أبو العباس أمير المؤمنين[1] .

وكتب العباس بن الوليد إلى الوليد بثبت ما أحصى من أموال هشام وما في خزائنه ، فقال الوليد : [من السريع]

ليتَ هِشاماً عاشَ حتّى يرى ... مِحْلَبَهُ الأوفَرَ قد أُتْرِعا

كِلْناك بالصَّاعِ إذْ كَالَها ... وما ظَلمناهُ بها أَصْوَعا

وما أَتَيْنا ذاكَ عن بِدْعَةٍ ... أَحلَّه القُرآنُ لي أَجْمَعَا[2]

المدائني قال : كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة أخته أو ابنته على معاوية بن هشام ، فأبى أن يزوّجه إياها . فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام بلغ هشاماً فبعث به هشام [يعني بيزيد بن عمر] إلى الوليد بن القعقاع فضربه مئة سوط

(١) راجع زواجها في كتابي الشهد المذاب فيما لذ وطاب ص : ٤ .
(٢) ذكرت هذه الأبيات في الديوان كما هي هنا ص : ٧٤ وذكرت عند الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية مع تغيير بعض الكلمات .

وحبسه ، فقال ابن طيسلة : [من البسيط]

ما قلَّ خيس رجالٍ لا عقولَ لَهُمْ مَنْ يَعدِلُونَ إلى المحبوسِ في حَلَبِ
إني امرِىءٍ لم تُصبْه الدَّهْرَ مُعضِلَةٌ إلا استَقَلَّ بها مُسترخِيَ اللَّبَبِ

فلما مات هشام كان البشير بموته إلى الوليد بن يزيد فقال له الوليد : احتكم ، فقال : ولاية قنسرين[1] والتخلية بيني وبين الوليد بن القعقاع[2] وأخيه عبد الملك بن القعقاع ، فأجابه إلى ذلك ، ويقال إنه ولاّه جند قنسرين فهرب الوليد وعبد الملك ابنا القعقاع فاستجارا بقبر مروان بن الحكم فلم يجرهما الوليد وبعث بهما إلى يزيد بن عمر ، وكان على حبسه رجل من فزاره ، يقال له نوفل من بني سكين[3] فدفعهما فحبسهما فمات أحدهما في الحبس في العذاب ويقال : ماتا جميعاً ، فقال عبد العزيز بن القعقاع : [من الطويل]

أنوفَلُ مَنْ يَضْمَنْ دَماً من دِمائنا وَشيكاً يُشَقِّقْنَ الجُيوبَ قَرابَتُهْ

وقال الشغب العبسي واسمه عِكرشة بن أربد بن عروة بن مِسحل بن شيطان بن جذيمة[4] بن جذيمة : [من البسيط]

أَمْسَتْ قُبورُ بني مروانَ مُخفرةً لا يُستجارُ ولا يَرعى لها الرّاعي

---

(١) قنسرين كانت إحدى العواصم في الدولة الأموية وهي كورة بالشام منها حلب وبينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص قرب العواصم والبعض يدخل قنسرين في العواصم ، وهي الآن قرية رسم العيس جنوب حلب .

(٢) القعقاع بن خُليد بن جزء بن الحارث بن زهير بن خديجة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس .

(٣) سكين بن حديج بن بغيض بن مالك (حممة) بن سعد بن عدي بن عمرو (فزارة) .

(٤) عن ابن الكلبي في الجمهرة شيطان بن حِذْيم بن جذيمة بن رواحة وأظن أن جذيمة بن جذيمة سهو من الناسخ .

قبرُ[1] التَّميميِّ أوفى من قُبورِهِمُ ... يَسْعَى بِذِمَّتِهِ في قومِهِ السّاعي
إنَّ البريَّةَ قالت عندَ غَدْرَتِهِ ... أفٍّ لقبرٍ به عَاذَ ابن قَعْقاعِ

وكان الكلام الذي وقع بينهما : أن الوليد قال ليزيد : يا بن الفرار يعني أباه حين هرب من سجن خالد ، فقال له يزيد : يا بن الضرّاط ، فقال الوليد : يا بن اللخناء فقال يزيد : [من البسيط]

بَلْ أنتَ نَزْوَةُ خَوَّارٍ عل أَمَةٍ ... لا يَسْبِقُ الحَلَباتِ اللُّؤمُ والخَوَرُ

فقال : يا بن الفجواء ، قال يزيد : إنما قدّمكم أعجاز النساء وقدّمتنا صدور العوالي [٦٨/٥٨٨] ، يعني أن ولادة أمّ الوليد وسليمان كانت منهم .

وكان القعقاع بن خُليدٍ ضرط عند الوليد [بن عبد الملك] وذلك أن الوليد قال لابن رأس الجالوت : تزعمون أن في ولد داود علامة يعرفون بها ، وهي أن يمدّ أحدهم يده فتنال ركبته ، فقال القعقاع : فيدي تنال ركبتي ، وقام لينال ركبته بيده فضرط ، فقال الشاعر لشيب بن الوليد بن القعقاع : [من البسيط]

شَبيبُ هَلْ لَكَ في أَلْفٍ مُدَرْهَمَةٍ ... بِضَرْطَةٍ لَيس في إرسالِها حَرَجُ
فَذاكَ شَيْخُكَ إِذْ أَهْوى لِرُكْبَتِهِ ... فخانَ فَقْحَتَهُ مِن ضَعْفِها الشَّرْجُ

أخذ البيعة للوليد بن يزيد واستعماله العمال .

١٨٧ـ الكلبي في المدائني عن الهيثم ومسلمة ، قالا : استعمل

---

(١) يقصد قبر أبي الفرزدق غالب : حيث استجارت أمرأة من أجل عودة ابنها من الجيش وكان اسمه حبيس فأرسل الفرزدق إلى قائد الجيش بأبيات يرجوه فيها بابنها لأن أمه استجارت بقبر غالب أبيه ، فلما أتاه كتاب الفرزدق لم يدر ما اسمه خنيس أم حبيس فأرسل من اسمه خنيس أو حبيس إلى الفرزدق ولذلك قبر التميمي أوفى من قبر مروان بن الحكم .

الوليد بن يزيد العمال وجاءته البيعة من الآفاق ، فأجرى على زَمْنَى[1] أهل الشام وعميانهم ونسائهم ، وأمر لكل إنسانٍ منهم بجائزة وخادم يخدمه ، وأخرج لعيالات الناس الطِّيب والكُسَى وزاد الناس في أعطياتهم عشرات فنقصهم إيّاها يزيد بن الوليد بعد ذلك . فسُمِّي يزيد الناقص .

وكان الوليد يطعم الناس ، وقال الوليد : [من الخفيف]

طابَ عَيْشي وَطابَ شربُ المُدَامهْ　　إذ تَحَسّيتُهـا بِغيـرِ مَـلامَـه[2]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

طابَ عَيْشي وطابَ شُربُ السُّلافَهْ　　إذا أَتـانـا نعـيُ مَـنْ بـالـرُّصَـافَـهْ
وَأَتـانـا البـريـد يَنْعـى هِشـامـاً　　وأَتـانـا بخـاتَـمٍ للخِـلافَـهْ[3]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

طالَ لَيْلي وَبِتُّ أُسْقَى المُداما　　إِذ أتاني البريدُ ينعَى هِشاما
وأَتـانـي بِحُلَّـةٍ وَقَضيـبٍ　　وأتـانـي بخـاتَـمٍ ثُـمَّ قَـامـا
فجعلتُ الوليَّ من بعدِ فَقْدي　　أفضـلَ النـاسِ نـاشئـاً وغُـلامـا
ذَاكُـمُ ابْنـي وذاكَ قَـرْمُ قُـريـشٍ　　خَيْرُ خَلْفٍ وخيرُهم قُدَّما[4]

وقال أيضاً: [من المجتث]

إنـي سَمِعْـتُ خليلـي　　نحـوَ الـرُّصـافَـةِ رَنَّـهْ

---

(١) زَمن : صاحب عاهة دائمة .

(٢) ذكره الديوان ص : ١٩٧ .

(٣) ذكرهما الديوان ص : ٨٢ مع بيت ثالث من مخطوط عيون التواريخ : ج : ٥ ص : ٢٤ظ١ :

فـاصطحبنـا مـن خمـرة عـانـة صـرفـاً　　ولهـونـا بقينـةٍ عـزّافـة

(٤) ذكرهم الديوان ص : ١١٠ وذكر الأول والثاني في رسائل الجاحظ : ج : ٢ ص : ٢٧٥ .

خــرجــتُ أَسحــبُ ذَيْلــي أقــولُ مــا شــأنَهُنَّــهْ
إذا بنـــاتُ هِشَــام يَنْــدُبْــنَ والِــدَهُنَّــهْ
يَنْــدُبْــنَ شَيخــاً كبيــراً قــد كــانَ يُكــرِمُهُنَّــهْ
يَقُلْــنَ وَيْلــي وَعَــوْلــي والــويــلُ حَــلَّ بِهِنَّــهْ
أَنَــا المُخَنَّــثُ حَقّــاً إن لــم أنيكُهُنَّــهْ[1]

قالوا : وكتب مروان بن محمد إلى الوليد بن يزيد : بارك الله لأمير المؤمنين فيما صار إليه من ولاية عباده وورثه بلاده ، وقد كان سكرة الولاية غشيت هشاماً ، فصغّر ما عظّم الله من حقّ أمير المؤمنين ورام من الأمر المستصعب عليه الذي أجابه إليه المدخولون في آرائهم وأديانهم ، ما حال الله بينه وبينه فزحمته الأقدار عنه بأشدّ مناكبها ، وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى ألبسه أكرم لباس الخلافة ، فنهض مستقلاً بما حمّله والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته واختصّه بوثائق عرى كرامته ، وذبّ عنه ما كاده الظالمون فيه فرفعه ووضعهم وأعزّه وأذلّهم ، فمن أقام منهم على الخطيئة أوبق نفسه وأسخط ربّه ، ومن عدلت به التوبة نازعاً عن الباطل إلى الحقّ وجد الله توّاباً رحيما .

وإني نهضت إلى منبري فأعلمتُ من قِبلي من المسلمين ما امتنّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين ؟ فاستبشروا ببيعتهم وقد بسطت يدي للبيعة فوكّدتها عليهم بالوثائق والعهود وتغليظ الأيمان ، فكلّ الناس حَسُنت إجابته وطاعته ، فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من

---

(١) ذكرها في الديوان ص : ١٢٨ مع تغيير بعض الكلمات وذكرت في مروج الذهب ٣ : ٢٢٦ . وشذرات الذهب : ١ : ١٦٨ والأغاني ٧ : ١٧ وفي رسالة الصاهل والشاحج ص : ٤٧٧ . والبيت مكسور ويصح لو قلنا : إن لم أنك بعضهن .

مال الله الذي آتاك ، فإنّك أجود الناس جوداً وأبسطهم يداً ، فقد انتظروك راجين قتلهم بفضلك ، وأوسع عليهم برفدك وعرّفهم طولك من كان قبلك . وإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في القدوم عليه لأشافهه بأمورٍ أكره الكتاب بها فعل إن شاء الله(١) .

وقال الوليد : [مجزوء الخفيف]

هَلَــكَ الأَحــوَلُ المَشُــو ... مُ فَقَــدْ أُرسِــلَ المَطَــرْ
وَمَلَكْنــا مــن بعــدِ ذا ... كَ فقــدْ أورقَ الشَجَــرُ
فَــاشكُــروا اللهَ إِنَّــهُ ... زائــدٌ كــلَّ مَــنْ شكَــرْ(٢)

ويقال إن هذا الشعر لغير الوليد .

قالوا وكتب الوليد حين ولي إلى الأطراف : [من الطويل]

ضَمِنْتُ لكمْ إنْ لَمْ تَغُلْني مَنيَّتِي ... بأنَّ سماءَ الضُرِّ عنكمُ سَتُقْلعُ
ستُؤتـونَ إلحـاقـاً معـاً وَزيـادةً ... وَأُعطِيَـةً نـأتيكـمْ تَتَسَـرَّعُ(٣)

فلما ظهر أمره وتهتّك ، قال حمزة بن بيض : [من الطويل]

وَصَلْتَ سماءَ الضُّرِّ بالضُّرِّ بعدَما ... زعمتَ سماءَ الضرِّ عنكم سَتُقْلعُ
فليتَ هِشاماً كانَ حيّاً يسوسُنا ... فكُنّـا كمـا كُنّـا نخـافُ وَنطمَـعُ

قالوا : وتهتّك الوليد في الشراب ، وقال : [من المتقارب]

أُحِـبُّ الغِنـاءَ وشُـربَ الطِّـلاءِ ... وأُنْـسَ النِّسـاءِ وربَّ السُّـوَرْ(٤)

---

(١) أعتقد هذه الرسالة من إنشاء عبد الحميد الكاتب كاتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم .
(٢) ذكرت في الديوان ص : ٥٥ .
(٣) ذكرت في الديوان ضمن خمسة أبيات ص : ٧٧ وقال في الهامش بدل تتسرع تتبرد رغم أنها تتسرع في المخطوطين ، استنبول والمغرب .
(٤) السورة الرفعة والمكانة .

ودَلَّ الغَـوانـي وعَـزْفَ القِيـانِ   بصَنْـجٍ يَمـانٍ قُبَيْـلَ السَّحَـرْ
فَـأَمّـا الصّبـاحَ فَهَمّـي القِـداحُ   وخيـلٌ شـواحٍ[1] جيـادٌ حُضُـرُ
ونِصْـفَ النَّهـارِ عِـراكُ الجـوارِ   وحَـلُّ الإزارِ إذا تَنْبَهِـرْ
فـأمَّـا العَشِـيَّ فـأمـرٌ جَلِـيٌّ   وقَتْلُ الكَمِـيِّ بِعضْـبٍ[2] ذكَـرْ
سَبَتْنـي البَغُـومُ[3] بـدَلٍّ رخيـمٍ   ووجـهٍ نَضيـرٍ شبيـهِ القَمَـرْ
ورِدْفٍ نبيـلٍ وخـدٍّ أسيـلٍ   كسيفٍ صقيلٍ يُحيرُ[4] البصَرْ

وقال أيضاً :   [من الخفيف]

عَلِّـلانـي بعـانقـاتِ الكُـروم   واسقِيـانـي بكـأسِ أمِّ حكيـم
إنَّهَـا تَشْـرَبُ المَـدامَـةَ صِـرفـاً   في إناءٍ مِنَ الزجاجِ عَظيمِ[5]

وأمُّ حكيم بنتُ يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وهي أمّ مسلمة بن هشام .

قال أبو الحسن المدائني : كسا الوليد الغُزَيّل أبا كاملٍ المغني[6] قلنسوة برودٍ كانت عليه . فكان يصونها ولا يلبسها إلا في يوم عيد ، ويقول : كسانيها أمير المؤمنين فقد أوصيت أهلي أن يضعوها إذا متّ في أكفاني ، وقال فيه الوليد :   [من السريع]

---

(١) جاءت الخيل شواحي وشاحيات : أي فاتحات أفواهها .
(٢) المعضب : السيف القاطع ، والذكر : الصارم .
(٣) البغوم : المرأة رخيمة الصوت .
(٤) يحير : يعشى .
(٥) ذكر في الديوان ص : ١١٤ ستة أبيات ذكر بعضها في تاريخ دمشق وعيون التواريخ .
(٦) اسمه الغُزَيّل . وهو مولى الوليد بن يزيد وقيل مولى أبيه وقيل كان أبوه مولى عبد الملك وكان مغنياً محسناً وطيّباً مضحكاً . ولم يسمع عنه شيء بعد أيام بني أمية ولعله مات أو قتل معهم الأغاني : ج : ٧ ص : ٨٩ .

مَـنْ مُبلِـغٌ عنّـي أبـا كـامِـلٍ إنِّـي إذا مـا غـابَ كـالهـامِـلِ
وزادَنــي شَــوْقــاً إلــى قُــرْبــهِ ما قد مضى من دهرنا الحائِلِ
إنّــــي إذا عَــــاطيْتُـــهُ مُـــزَّةً ظَلْـتُ بيـومِ الفَـرْحِ الجَـاذلِ[1]

وقال أيضاً : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إلا بمالكِ بن أبي السـ[2] ـمْـحِ فـلا تَلْحَنــي وَلا تَلُــم
مثلُ ضياءِ المصباح أو قبس الـ ـقَابس في حالكٍ من الظُّلَمِ[3]

ويقال إن البيتين لحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس .

المدائني وغيره قالوا : لما قام الوليد لم يكن له همّة إلا تزوّج سلمى ، فأرسل فخطبها فتزوّجها ، فقيل له قد كنتَ حلفت بطلاقها إذا تزوّجتها ثلاثاً ، فسأل عن يمينه فاختلفوا عليه . فقال بعضهم : طالق وقال بعضهم : لا طلاق إلا بعد نكاح ، فهمّ أن يدخل بها ، فقيل : أنت إمام وإن دخلت بها اتّخذ الناس ذلك سُنةً ، فأمسك . وزوّجها أخوها من ابن أخي الوليد ودخل بها ثم طلّقها ابن أخي الوليد ، وقيل إن أباها زوّجها من ابن أخي الوليد فلمّا زُفّت إليه وكّل به الوليد من منعه من الدخول بها حتى طلّقها ، ويقال إنه دخل بها ثم طلقها وانتظر

---

(١) ذكرت في الديوان كما هنا ص : ١٠١ والعقد الفريد ج : ٤ ص : ٤٥٨ والبيت الأول والثاني في الأغاني ج : ٦ ص : ٣٦٠ .

(٢) هو مالك بن أبي السمح (جابر) بن ثعلبة من بني درماء كانوا بالشام بقلعة الداروم وما يجاورها ودرماء أمّ عمرو بن عدي بن وائل بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء . وجدة مالك قرشية من بني مخزوم ويكنى أبا الوليد وكان مغن مشهور وكان أبوه منقطعاً إلى عبد بن جعفر وهو جابر بن سليمان بن أوس بن سماك بن سعد بن أوس بن عمر بن عدي .

(٣) ذكر في الديوان ص : ١٥٨ .

الوليد بها أن تنقضي عدّتها ، فلما انقضت خطبها إلى أبيها فتزوّجها ، وقال : [مجزوء الخفيف]

خَفَّ مِنْ دارِ جيرَتي ... يا خليلَيَّ أُنْسُها
أفلا تخرجُ العرو ... سُ فقدْ طالَ حَبْسُها
قد دنا الصُّبحُ أو بدا ... وَهْيَ لم يُقضَ لُبْسُها
خَرَجتْ كالمَهاةِ في ... ليلةٍ غابَ نَحْسُها
بينَ خمسٍ كواعِبٍ ... أكرمُ الجنسِ جِنْسُها[1]

وقال أيضا : [مجزوء الوافر]

أسلمى تلكَ في العِيرِ[2] ؟ ... قِفي إن شئتِ أو سيري
فلما أَنْ دنا الصُّبحُ ... بأَصواتِ العصافيرِ
خرجنا نَتّقي الشّمسَ ... مطايا القومِ كَالْعُورِ
إذا ما أعرضٌ حالَتْ ... سَدَدْناها بتَصديرِ[3]

قال وقالت ابنة سعيد : أبي يصلح للخلافة ، فقالت ابنة الوليد : [من الوافر]

فإنّك والخلافَةَ يا سُعَيدى ... لكالجاري وليسَ له بَعيرُ

فقالت سلمى : ولِمَ لا يطمع أبي في الخلافة وهو ابن أمير المؤمنين عثمان وغضبت ، فقال الوليد : [من المديد]

---

(١) ذكرت في الديوان ص : ٧٠ وذكرها الأغاني مع تغيير في بعض الكلمات ج : ٧ ص : ٣٠ ط : ثقافة بيروت وقال : إنها قصيدة طويلة .

(٢) العِير : القافلة ـ اللسان ـ .

(٣) ذكرت في الديوان ليست للوليد وهي ليزيد بن ضبة في مدح الوليد بن يزيد كما جاءت في الأغاني ج : ٧ ص : ٩٤ و٩٧ ولم يذكر ذلك البلاذري وأول بيت يدلّ على أنها للوليد والبقية تدل على أنها للوليد . =

غضبَتْ سلمى عليَّ سَفاهاً أنْ شتمتُ اليومَ فيها أباها[1]

قالوا : فماتت بعد دخوله عليها بأربعين يوماً ، ويقال ليلة دخلتْ عليه أو بعدها بثلاث ويقال بسنة ، فقال : [من الطويل]

أَلَمْ تعلما سَلمى أقامتْ بمهمهٍ مُضَمّنةً قبراً مِنَ الأرضِ أُلْحِدا[2]

فقال أشعار .

الوليد يعقد البيعة بعده لابنيه الحكم ومن بعده لعثمان .

١٨٨ـ قالوا : وعقد الوليد لابنه الحكم واستعمله على دمشق ، وعقد لابنه عثمان بعده واستعمله على حمص ، وضمّ إليه ربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن الفقيه .

وقال الهيثم بن عدي : وقال الوليد : [من الرمل]

وَلَقَدْ صِدْنا غَزالاً سانِحاً فأردنا ذَبْحَهُ لمّا سَنَحْ

فإذا شِبْهُكِ ما نُنكِرُهُ حين أزْجَى طرفَهُ ثمّ لَمَحْ

فتركناهُ ولولا حُبُّكُمْ فاعلمي ذاكَ لقدْ كانَ ذُبِحْ

[٦٨/٥٨٩]أنتَ يا ظبيُّ طليقٌ آمِنٌ فاغْدُ في الغزلانِ مسروراً ورُحْ[3]

قال الهيثم بن عدي : سُمِّي الوليد البيطار لأنه كان يصيدُ الحمرَ

---

(١) جاءت في الديوان ستة أبيات وعتبت بدلاً من غضبت وسببت بدلاً من شتمت وهي في الأغاني ج : ٧ ص : ٣٤ .

(٢) ذكر في الديوان وقال في الحاشية في الأصل الما ، وهو تحريف ومن الرجوع إلى مخطوط استنبول ص : ٣٢٠ فوجدتها ألم والمخطوط المكتبة العامة المغربية ص : ٦٨/٥٨٨ ألم . المهمة : المفازة الكبيرة وألحده عمل له قبراً .

(٣) ذكرها في الديوان ص : ٣٥ وقال في الأغاني ج : ٧ ص : ٤٨ مع تغيير بعض الكلمات .

الوحشيّة فيسمها بالوليد ثمّ يخلّيها فوجدت في أيام أبي العباس السفاح والمنصور حُمرٌ موسومة باسمه ، وكان يحبُّ دخول الحيرة والكوفة فخرج كالمتبدّي ثم أتى الكوفة ، فنادم شراعة بن الزندبود ومطيع بن إياس وحمّاد الرّاوية وحمّاد عَجْرد ، وبعض آل أبي معيط .

وقال يوماً لشرّاعة : أسألك عن الأشربة ؟ فقال : سلْ يا أمير المؤمنينْ ، قال : ما تقول في الماء ؟ قال : الحياة ويشركني فيه البقر والحمير والكلاب . قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته قطّ إلاّ ذكرتُ ثدي أمّي ، قال : فنبيذ التمر ؟ قال : نبيذ الباعة والمهّان ومن لا خلاق له ، قال : فنبيذ السكر ؟ قال : الخمرة المنتنة ، قال : فنبيذ الزبيب والعسل ؟ قال : مرعىً ولا كالسعدان[1] ، قال : فالخمر ؟ قال : واهاً لها تلك صديقة روحي وحياة نفسي ، قال : فعلى أي الوجوه تحبّ أن تشربها ؟ قال : على وجه السماء .

ويقال إنه لم يخرج إلى الكوفة ، ولكن أُشخص ظرفاؤها إليه وكان فيهم شُراعة بن الزندبود ، وقال حمّاد : أنشدته أشعار العرب فلم يهتزّ لها وأنشدته شعراً سخيفاً فطرب له واستعادنيه ، فقلت : هذا والله الإدبار ، ثم دخلت على أبي مسلم ، فقال : أنشدني قصيدة الأفوه[2] فأنشدته إياها

---

(١) مرعى ولا كالسَّعْدان : السعدان أخثر العشب لبناً وإذا خثر لبن الراعية كان أفضل ما يكون وأطيب وأدسم وهو من أنجع المراعي . قيل أول من قاله الخنساء عندما شوهدت تنشد رثاء من قتل ببدر أي أين هذا الرثاء من رثائها لأخيها صخر ، وقيل أول من قاله امرأة من طيء كانت تحت امرى القيس من حجر الكندي الشاعر وكان مُفرَّكاً أي مبغضاً من النساء لأنه ثقيل الصدر خفيف العجيزة سريع الإفاضة فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ، فقالت : مرعى ولا كالسعدان .

(٢) الأفوه الأودي شاعر مشهور وهو اسمه صلاءة بن عمرو بن عوف بن معاوية بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبّه بن أود (البطن) بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك (مذحج). =

وجعل يستعيدني قوله : [من البسيط]

تهدى الأمورُ بأَهْلِ الرّأيِ ما صلَحتْ فإن تَولَّتْ فبالأشرارِ تَنْقادُ

فقلت : هذا والله الإقبال .

قالوا : كان ممّا سمع الوليد بالكوفة أو ممّن أشخص إليه من أهل الكوفة فأعجبه غناء قينتين لعبد الله بن هلال الهجري ، المعروف بصديق إبليس وهو من حمير[1] ، فقال : [من الكامل]

يا أهلَ بابِلَ ما نَفَسْتُ عليكمُ من عَيْشِكُمْ إلا ثلاثَ خِلالِ

خَمْرَ الفراتِ وليلَ قيظٍ باردٍ وسماعَ مُسْمِعَتَيْنِ لابنِ هلالِ[2]

ويروى : ماء الفرات وخمرةً حيريّةً وسورية .

الوليد يأمر بأخذ عمّال هشام وحشمه .

١٨٩ـ قالوا : وكتب الوليد إلى خاله يوسف بن محمد بن يوسف وكان عامله على مكّة والمدينة : أن يأخذ ابني هشام بن إسماعيل إبراهيم ومحمداً ويحملهما إلى يوسف بن عمر ليحاسبهما ويأخذ للناس حقوقهم منهما .

وكتب في أخذ عمّال هشام وحشمه بما عندهم إلاّ مسلمة ابنه .

وقال الوليد : [مجزوء الرمل]

علِّلِ القومَ قليلاً يا بْنَ بنتِ الفارسيّهْ[3]

---

(١) عبد الله بن هلال صديق إبليس الهجري نسبة إلى هجر مدينة من ولد معدي كرب بن تبّع حسان ويصل نسبه الهميسع بن حمير .

(٢) ذكرها في الديوان من القصائد التي لم تنسب إليه كما جاء في الأغاني ج : ١ ص : ١٥٣ ونسبت إلى عمر بن أبي ربيعة مع تغيير بعض الكلمات .

(٣) ابن الفارسية : يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص ، بعد قتل فيروز بن يزادجرو بعث قتيبة بن مسلم بابنتيه إلى الحجاج فاحتفظ بواحدة وأرسل الثانية إلى =

غَنِّهِمْ أنت وبشرٌ[1] وابنُ بنتِ الهُذَليّة[2]
إنهم قد عاقروا اليو مَ عُقاراً مُقَدِيَّه[3]
عندنا مِسْكٌ وريحا نٌ وعودُ المَنْدَليّه[4]

وقال أيضاً : [مجزوء الرمل]

عَلّلاني واسقِياني من شرابٍ أَصْبَهاني
من شَرابِ الشيخ كِسْرَى أو شرابِ القيروانِ
وامْزِجِ الكأسَ ولا تُكْـ ـثِرْ مزاجَ العَسْقَلاني
إنَّ بالكأسِ لَمِسكاً أو بكفَّيْ مَنْ سَقاني
إنَّما الكأسُ رَبيعٌ يُتَعاطى بالبَنانِ[5]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

اسقنا يا زُبَيرُ بالقرْقارَهْ قد طربنا وحَنّت الزّمّارَهْ
اسْقِنِي اسْقني فإنّ ذنوبي قَدْ أحاطتْ فما لها كفّارهْ[6]

وقال أيضاً : [مجزوء الرمل]

= الوليد فأولدها يزيد الناقص واسمها شاه فريذ .

(١) بشر هو ابن الوليد بن عبد الملك لأم ولد .

(٢) لم أعرف من هو من أولاد الوليد من جدته من هُذَيل .

(٣) مقدية : قرية بالشام ينسب إليها الخمر ـ معجم البلدان ـ .

(٤) مندل : بلد بالهند يجلب منها العود ، وذكر الديوان القصيدة في ص : ١٣٩ والبيتان الأول والثالث في لسان العرب ، وتاج العروس ـ مقد ـ .

(٥) ذكر القصيدة في الديوان ص : ١٢٣ وعددها تسعة أبيات والباقي ذكر في العقد الفريد ج : ٤ ص : ٤٥٨ والأغاني ج : ٩ ص : ١٣١ .

(٦) يقول في هامش الديوان ص : ٦٨ : اسقنا يا زيد هكذا في أصل المخطوط ومن الرجوع إلى مخطوط استنبول ص٣٢١ يا زبير ومخطوط المغرب ص : ٦٨/٥٨٩ يا زبير ولا أعلم من أين أتى بزيد .

أصبـــحَ اليـــومَ وليـــدٌ هـــائمـــاً بـــالغـــانيـــاتِ
عِنْـــدَهُ طـــاسٌ وإبـــريـــــقٌ وراحٌ بـــالفـــلاةِ
أبعثـــوا خيـــلاً لخيـــلٍ ورُمـــاةً لِـــرُمـــاةِ[١]

وقال أيضاً : [مجزوء الرمل]

اسْقِنـــي يـــا زيـــد صِـــرْفـــاً اسْقِنـــي بـــالطِّـــرْجَهـــارَهْ[٢]
اسْقِنيهـــا مُـــزَّةً تـــأ خُـــذُنـــي منهـــا استِـــدارَهْ
اسْقِنيهـــا كـــي تُسَلِّـــي مـــا بقلبـــي مـــنْ حَـــرارَهْ[٣]

وقال أيضاً : [من الرمل]

امْـــدَحِ الكـــأسَ ومـــنْ أعْمَلَهـــا واهْـــجُ قـــومـــاً قتلـــونـــا بـــالعَطَـــشْ
إنمـــا الكـــأسُ ربيـــعٌ بـــاكـــرٌ فـــإذا مـــا غـــابَ عنّـــا لـــم نَعِـــشْ[٤]

وقال أيضاً : [مجزوء الرمل]

نَـــزَلَـــتْ سَلْمَـــى بقلبـــي[٥] منـــــــزلاً ذا عُـــــــدَواءِ
فـــزجَـــرْتُ النفـــسَ عنهـــا لـــو تَنَـــاهَـــتْ بـــانتهـــاء
نظـــرتْ سلمـــى وقـــالـــتْ حيـــن صـــدّتْ يـــا نِســـائـــي
نظـــرَ الظَّبْيَـــةِ رِيعـــتْ وَهْـــيَ وَسْنَـــى فـــي ظِبـــاءِ[٦]

---

(١) ذكرت في الديوان ، ص : ٣٠ مع ثلاثة أبيات أخر في الأغاني ، ج : ٧ ص : ٧٤ .
(٢) الطرجهالة : كالفنجانة معروفة وربما قالوا طرجهارة ـ اللسان ـ .
(٣) ذكرهما في الديوان ص : ٦٧ .
(٤) ذكرهما في الديوان ص : ١٥١ وقال هما في المخطوط وفي العقد الفريد ، ج : ٤ ص٤٥٩ وهما ليسا للوليد بل لنابغة بني شيبان في ديوانه ص : ٨٥ والأغاني ، ج : ٧ ص : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ .
(٥) في أصل المخطوطين بسلمى وهو سهو من الناسخ .
(٦) ذكرهم في الديوان ص : ١٣ .

وقال أيضاً : [من مجزوء الوافر]

وجـدْتُ العيـشَ يـا سلمـى مِـزاجَ الكـأسِ بـالكـاسِ
إذا مـا كـأسُنـا دارَتْ فهـزّتْ فَـرْوَةَ الـرَّاسِ
وفتيـانـاً أُنـادِمُهُـمْ كِـرامـاً غَيْـرَ أنكـاسِ[1]
فلـولا رِقْبَـةُ اللهِ[2] وأنّـي رَهْـنُ أرْمـاسِ
لقـد زُرْتُـكِ يـا سلمـى علـى خَـوفٍ وإيجـاسِ[3]
ولا واللهِ يـا سلمـا نـي مـا بـالحُـبِّ مـنْ بـاسِ[4]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

أمُّ سـلاّمَ لـو لقيـتِ مـن الـوَجْـ ـدِ عُشَيْـرَ الّـذي لَقيـتُ بَـراكِ
فـأَثيبـي بـالـوُدِّ صبّـاً عميـداً مُسْتهـامـاً لـم يَشجـهِ مـا شَجـاكِ
أَنْـتِ تَفْـديـنَ عَبْـدَ مـن كـلِّ خيـرٍ ومـنَ السُّـوءِ هِـي تكـونُ فِـداكِ[5]

وقال يرثي مؤمناً ابنه وكان مُحباً له : [من الطويل]

أتاني سنانٌ[6] بالوداعِ لمؤمنٍ فقلـتُ لـه : إنـي إلـى اللهِ راجـعُ
وكيفَ بُكائي مؤمناً ولقد أَرى بـأَنّـي لـه يـا نفسُ لا بُـدَّ تـابِـعُ

---

(١) النكس من الرجال : المقصر عن غاية النجدة والكرم .
(٢) رقبة الله : خشيته وخوفه والرمس : القبر .
(٣) إيجاس : وقوع الخوف في النفس .
(٤) ذكرت في الديوان ، ص : ٦٩ .
(٥) ذكرت في الديوان ، ص : ٨٦ والبيت الأول والثاني في الأغاني ، ج : ٧ ص : ٨٤ وعبد يعني عبدة .
(٦) سنان من كتاب الوليد بن يزيد وكان مغنياً يرافق الوليد في رحلاته الصحراوية وهو الذي نعى إليه ابنه مؤمناً ، الأغاني ، ج٧ ص : ٦٩ ، ذكرت في الديوان ص : ٧٦ مع بيت رابع ذكره الأغاني .

ألا أَيُّهـا الحـاثـي عليـهِ تُـرابَـهُ تَعِسْتَ وَشَلَّتْ من يديك الأَصابِعُ

قالوا : وبعث الوليد إلى المدينة فحُمل إليه المغنّون ، فلما قربوا منه أمر أن يدخلوا العسكر ليلاً كراهة أن يراهم الناس ، فأقاموا حتى أمسوا غير محمد بن عائشة مولى كثير بن الصلت فإنه دخل نهاراً ، فغضب عليه الوليد وأمر بحبسه حتى شرب ذات يوم وطرب فكلمه فيه معبد ، فدعا به فغناه حين دخل : [من السريع]

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ[1] البَطاحِ ولمْ تَعْطِفْ عليك الحُنُيُّ والوَلجُ[2]

فرضي عنه .

المدائني قال : قدم الأحوص[3] بن محمد الشاعر ومعبد على الوليد فنزلا في بعض طريقهما على غدير وجارية تستقي منه ، فزلقت فانكسرت جرّتها ، فجلست تغني : [من الكامل]

يـا بيـت عـاتكـة التـي أتغـزّلُ حـذر العـدى وبـه الفـؤادُ مـوكّـل
إنِّـي لأمنحـكَ الصُّـدُودَ وإنّنـي قَسَماً إليكَ مع الصدودِ لأَمْيَلُ[4]

فقالا لها : لِمنْ أنت يا جارية ؟ قالت : كنت بالمدينة لآل الوليد[5]

---

(١) مسلنطح : الفضاء الواسع .
(٢) هذا البيت لطريح بن إسماعيل ذكره ابن منظور في لسان العرب : ولج .
(٣) الأحوص شاعر أنصاري وهو عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت قيس (أبي الأقلح) بن عِصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .
(٤) هذين البيتين مطلع قصيدة للأحوص مدح بها عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة والقصيدة طويلة ذكرها الأغاني . ج : ٢١ ص : ١١٠ ط : ثقافة بيروت .
(٥) آل الوليد (في الأغاني الوليد بن عقبة) وهو ابن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أميّة الأكبر بن عبد شمس .

فاشتراني مولاي وهو من آل الوحيد[1] بن كعب بن عامر بن كلاب ، قالا : فلِمَنْ الشعر ؟ قالت : سمعت أهل المدينة يقولون : إن الشعر للأحوص والغناء لمعبد ، فقال مَعْبَدٌ للأحوص : قُلْ في هذا شيئاً أغني به ، فقال : [من الخفيف]

إنّ زين الغدير من كسر الجـ ـرَّ وغنّى غِناءَ فحلٍ مُجيدِ
قلتُ: من أنتِ باظعين؟ فقالت: كنتُ فيما مضى لآل الوليدِ
ثُمَّ صرتُ بعدَ عِزِّ قريشٍ في بني عامرٍ لآلِ الوَحيدِ
وغنائي لمَعْبَدٍ ونشيدي لفتى الناسِ الأحوصِ الصّنديدِ
فَتَضاحكْتُ ثم قلت : أنا الأحوص والشيخُ مَعبَدٌ فَأَعيدي
فأعادَتْ فأحسنت ثم وَلَّت تهادى فقلت أمّ سعيدِ
يعجز المال عنك ولكن[2] أنت في ذمَّةِ الإمام الوليدِ

وأمّ سعيد هوىً كانت للأحوص بالمدينة .

فلما قدما على الوليد غنّاه معبدٌ بهذا الشعر وحدّثاه الحديث .

وقال أشعب : قال لي الوليد : أما ترى حالي ؟ كأن المحاجم بين عينيه فإن أضحكته فاحتكم ، فقلت : أخذني بظني مرّةً فخرجت فإذا الدنيا فسطاط واحد ، فذكرت قول نبطيّ مرّةً ، قال : من هكمة فارس ، إذا أخذك بطنك فشدّ على لسانك فإن لم يسكن فشدّ فخذيك فإن جاءك أكثر من ذاك ، فانتف من شعر استك شعرتين أو ثلاثاً ففعلتُ ذلك فارتفع . فضحك وقال : أتفعل ذلك وأنت محرم ؟ قلت : نعم فضحك

---

(١) اسم الوحيد عامر بن كعب بن عامر بن كلاب .

(٢) هكذا جاء الشطر في المخطوطين وهو مكسور الوزن وإنما جاء في الأغاني : يعجز المال عن شراك ولكن وهو صحيح الوزن .

وأخذت الجائزة .

قالوا : وأرسل الوليد إلى البصرة فحُمل إليه الهيثم القارىء وعبد الله بن عمر البكراوي فاستقرأ الهيثم فقرأ ، ثم قال : غنني ، فقال : الغناء شيءٌ قد نسيتُه .

المدائني عن العلاء بن المغيرة ، قال : قلت للوليد : إني أريد العراق أفلك حاجة يا أمير المؤمنين ؟ قال : بَرْبَط من صنعة زربي .

قال : وكان محمد بن سليمان بن عبد الملك من أضرب الناس وأحسنهم صوتاً وغناءً ، وكان يدخل على الوليد فيغنيه .

وقال أبو الحسن المدائني ، قال العلاء بن المغيرة : وقف الوليد على غدير ، فأمر بضرب فسطاط له عليه ، ثم قال : والله لا أبرحه أو يشرب جميع مائه ، فجعل الناس ينقلون ماءه بالروايا والقِرَب حتى نفذ ماؤه ، فلما نظر إليه قال : أنا أبو العباس ، وأمر الناس بالرحيل بعد ثالثة .

قالوا : وكتب الوليد في إشخاص أشعب الطمع إليه ، فألبسه سراويل من جلد قردٍ له ذنب ، وقال له : ارقص وغنّني صوتاً يعجبني ، فرقص وأضحكه ، فأمر له بألف درهم ، ويقال بعشرة آلاف درهم .

وقال الكلبي ، قال حماد الراوية : دعاني الوليد فقدمت عليه ، فقال : أنشدني فأنشدته جيّداً أشعار العرب فلم يرتجْ لشيءٍ من ذلك ، حتى جرى الحديث والمزاح ، فأنشدته قول ابن أبي كبار الهمداني ، وهو عمّار بن عبيد بن يزيد بن عمرو بن ذي كبار السبيعي[1] من همدان ، وهو : [من مجزوء الخفيف]

---

(١) السبيع : بطن من همدان وهو السبيع بن سبيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن أوسلة (همدان) .

أشتهــي منــك مكــانــاً مجنبــذا جبذا ثم جبذا جبذا من شذابذا[1]

فضحك وطرب ووصلني ، ثم صرت بعد ذلك إلى أبي مسلم ، فقال : أنشدني شعر الأفوه[2] الذي يقول فيه : [٥٩٠/٦٨] [من البسيط]

تهدي الأمورُ بأهلِ الرأيِ ما صَلُحَتْ فَـإِنْ تـولَّـتْ فبـالأشـرارِ تَنْقـادُ
لا يصلُحُ القَومُ فَوضى لا سَراةَ لَهُمْ ولا سَـراةَ إذا جُهّـالُهـم سَـادوا

فقلت : هذا والله الإقبال لا إدبار الوليد .

وقال هشام بن الكلبي : لم يشخص الوليد إلى الكوفة كما قال بعض الناس ، ولكن فتيانها أشخصوا إليه مثل شُراعة بن الزندبوذ ، ومطيع بن إياس وحمّاد الراوية وفتيان آل أبي مُعَيط وأُشخصت إليه قينتان لعبد الله بن هلال الهجري الذي يقال له : صديق إبليس ، وحُمل إليه خمرٌ كثير من طيزناباد ، والفلاليج ، وسورا ، وبابل ، وفرات بادقلي ، فقال في ذلك : [من الكامل]

يا أهلَ بابلَ ما نَفِستُ عليكُمُ مـن عيشكُـمْ إلاَّ ثـلاثَ خِـلالِ
خمـرَ العـراقِ كمـاءِ قَيْـظٍ بـاردٍ وسمـاعَ مُسمِعَتَيْـنِ لابـنِ هِـلالِ

---

(١) القصيدة في الأغاني ، ج : ٧ص : ٥٦ ط ثقافة بيروت ، كالتالي :

أشتهـــي منـــك منـــك منـ ـــك مكـــانـــاً مجنبـــذا
فـــأجـــا فيـــه فيـــه فيـ ـــه بـــأيـــرٍ كمثـــل ذا
ليـــت أيـــري وحِـــرِك يـــو مـــاً جميعـــاً تجـــابـــذا
فـــأخـــذا بشعـــر ذا وأخـــذا بقعـــر ذا

(٢) الأفوه الأودي شاعر وهو صلاءة بن عمرو بن عوف بن معاوية بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود (البطن) بن صعب بن سعد العشيرة . وهذان البيتان في الشعر والشعراء ج : ١ ص : ٢٢٩ ولباب الآداب ص : ٤٠ وهما من قصيدة في الأمالي . ص : ٢٤٤ـ٢٤٥ .

وقال الحرمازي : سمعتُ من تخلف من مشايخ الكوفيين أنه قدم متنكّراً ثم انصرف ومعه ظرفاؤها .

وسئل هشام بن عمّار عن هذا ، وجرى حديث الوليد ، فقال : أما الشخوص إلى الكوفة فلا أدري ، ولكنه كان يسير في طريقها المرحلتين والثلاث ، ويُحمل إليه ما يحبّه منها .

وقال هشام بن عمّار عن أبيه : كان الوليد منهمكاً على لذّاته مشغولاً عن أمور الناس ، يصطبح الأربعين يوماً وأقلَّ وأكثر ولا يراه إلا ندماؤه وخواصّ خدمه .

وقال المدائني : قال الوليد : [من المتقارب]

لِمَنْ دِمنةٌ أقفرتْ بالجليـ ـلِ أنكرتُها بعدَ إيناسِها
كخطِّ الصحيفةِ بعد الزَّما نِ تَبْقَى حلوكَةُ أنقاسها[1]

وأمر ابن عائشة فغنى بهذا الشعر .

المدائني عن جويرية بن أسماء بن إسحاق بن محمد قال : دخلت على منصور[2] بن جمهور وعنده جاريتان من جواري الوليد ، فقال : اسمع ما يحدثانك به ، فقالت : كنا آثر جواريه عنده فوطىء هذه وجاء المؤذّن يؤذنه بالصلاة ، فأخرجها وهي جنبٌ متلثمة فصلّت بالناس .

ولاعب الوليد رياح بن عثمان المرّيّ فضربه بقضيب كان معه ،

---

(١) الجليل جبال في فلسطين ممتد إلى قرب حمص . الأنقاس : جمع نقس وهو المداد . وذُكر البيتان في الديوان ص : ٧١ .

(٢) منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن جابر بن حارثة بن العُبَيد بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

فقال : أوجعتني يا أمير المؤمنين ، وأخذ رياح القضيب منه فضربه ضربةً حمّرت خدّه ، فقال : أوجعتني ويلك يا رياح .

حدثني عبد الله بن صالح عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه ، قال : كنت عند هشام وعنده الزهري ، فذكرا الوليد فتنقّصاه وعاباه عيباً شديداً ولم أعرض لشيءٍ مما كانا فيه ، وجاء الوليد فدخل وأنا أعرف الغضب في وجهه ، فجلس قليلاً ثم قام . فلما مات هشام أرسل إليّ فحُملت إليه فرحّب بي وقال : كيف كانت حالك وألطف في المسألة ، وقال : أيذكرُنا عبد الله بن ذكوان يوم الأحول وعنده الفاسق الزهري وهما يعيباني ، قلت : أذكر ذاك ولم أعرض في شيءٍ منه ، قال : صدقت ، أرأيت الغلام القائم على رأس هشام ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه رفع إليّ ما قالا : وايم الله لو بقي الفاسق الزهري لقتلته ، قلت : قد عرفتُ الغضب في وجهك حين دخلت يومئذٍ ، ثم قال : يا بن ذكوان ذهبَ الأحولُ بعمري ، قلت : يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ويمتّع الأمّة ببقائك ، ودعا بالعشاء فتعشى ، وجاءت المغرب فصلينا ، وحدّثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس ثم قال : اسقني فجاؤوا بإناء مغطّى وجاء ثلاث جوارٍ فصففن بيني وبينه حتى شرب ثم ذهب فتحدّثنا ، ثم استسقى فصنع الجواري الثلاث مثل ذلك ، فلم يزل يتحدّث ويستسقي على ذلك حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً .

أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، يُكنى أبا عبد الرحمن ومات بالمدينة في سنة ثلاثين ومئة .

قوة الوليد بن يزيد :

١٩٠ـ قال وأرسل إلى محمد الحداد فصارعه فاحتمله محمد فوضعه على منكبيه ، ثم أتى به السرير فوضعه عليه ، فلطمه الوليد وضحك .

المدائني عن أبي محمد القرشي ، قال : كان عمر الأزرقي مولى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان صريعاً للوليد ، فقال عمر : إني لجالس يوماً على باب البيت الذي فيه الوليد وهو مضطجع ما عنده أحدٌ ، إذ قال : يا عمر ، قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ما بقي منك ؟ قلت : أغلبُ الأسد ولا تطيقني الرجال ، فضحك وسكت ، ثم وثب عن السرير فاحتملني على رأسه ثم ضرب بي الأرض وكاد يقتلني ، ثم رجع إلى السرير واستلقى فضحك ، قلت : يا أمير المؤمنين اغتررتني أما لو أعلمتني لعلمتَ ما أصنع .

قالوا : وكان الوليد شديد البطش طويل أصابع اليدين والرجلين تؤبّد له سكة حديد وفيها خيط ويشدّ الخيط في رجله ويؤتى بالدّابة فيثب عليها فينتزع السكّة ويركب وما يمسّ الدّابة بيده .

هشام بن الكلبي والمدائني قالا : خرج الوليد يتصيّد ومعه حسين بن عبيد بن برهمة بن أذينة بن حارثة بن جندلة[1] بن عبيدة بن امرء القيس بن عبد الله بن عليم بن جناب الكلبي ، فانفردا عن الناس حتى انقطعا عنهم وتعالى النهار وجاع الوليد ، فانتهى إلى قرية فرأى بها رجلاً جالساً ، فقال له : أعندك شيءٌ نأكله ؟ قال : نعم . وجاء بخبز شعير وربيثاً[2] وزيت وكراث ، وأكل الوليد وحسين بن برهمة الكلبي ، وكان ماجناً خليعاً فقال : [من الخفيف]

إِنَّ مَنْ يُطعِمُ الربيثاءَ بالزيتِ ... بهذا المكانِ والكرَّاثِ

(١) في نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي مطابق لما جاء هنا ولكن جندل بدلاً من جندلة . مشجرة رقم : ١٠٧ .

(٢) لم أجد معنى ربيثاً ولعلّها تصحيف رثيثة وهي اللبن الخاثر .

لَحَقيــــقٌ بِلَطْمَـــــةٍ أَوْ بِثِنْتَيْــــنِ   لِسُــــوءِ الصنـــــع أو بِثَــــلاثِ

فقال الوليد : ويحك إنما ينبغي أن تقول : ببدرة أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث ، وأقاما حتى لحقهما الناس ، فأمر الوليد للرجل بثلاث بدر ، ولحسين يقول الشاعر : [من الخفيف]

زَعَـــم الـــزّاعمـــون أَنّ حُسَيْـــنَ   بْـنَ عُبَيْـدِ بـنِ بـرهـمٍ زِنْـديـقُ
وَلَعَمـــري لَئِـــنْ هُـــمُ زَعَمـــوهُ   مـــا اشْتَطُّـــوا وإنـــه لَخَليـــقُ
يَشـرَبُ الخمـرَ كُـلَّ يـومٍ ويَـزْنـي   وَيُـــوازي قُمُـــدَّهُ الصُّنــــدوقُ[١]

قالوا : وكان الوليد يطأ جواري أبيه اللاتي كان وطئهنّ ، فقالت جارية منهنّ : والله لقد نالنا بما تعافه البهائم .

قال المدائني : كان للوليد مضحك يقال له زبالة فكتب الوليد بين عينيه بخضرةٍ ، حِرْ فكره الناس ذلك وتحدثوا به وعابوه .

ومن شعر الوليد : [من الكامل]

قدْ كنتُ أَحْسَبُ أَنّني جَلْدُ القُوَى حتَّـى رَأَيْـتُ كَـواعِبـاً[٢] أَتْـرابـا
يَرْفُلْنَ في وَشْيِ البُرودِ عَشِيَّةً   مثـلَ الظِّبـاءِ وقـد مُلِئْـنَ شَبَـابـا[٣]

وأنشدت مغنّية الوليد : [من الخفيف]

أَطْرَبتْني لِلشُّرب يـومَ صَبوحي   قَيْنَـــةٌ فـــي يمينهـــا إِبـــريـــقُ

قال : هو كذا فأتمي الأبيات ، فقالت : لا أعرف منه غير هذا ،

---

(١) بينما نجد في نسب معد واليمن الكبير : ج : ٢ ص : ٣٤١ قال فيه ابن أبيض :

وقبرٌ بسفـح الحيـرة الحـديثـة التـي   لفقـد حُسيـنٍ حـلّ سـاحتهـا الجـدْبُ

(٢) كواعب جمع كاعب وهي الجارية التي نهد ثديها .

(٣) وردت في الديوان ص : ١٥ مع بيتين جاء بهما من كلمات مختارة ص : ٢٦ فأصبحت أربعة أبيات .

فقال : قد كان حماد الراوية أنشدنيه مرّة .

فكتب في إشخاص حمّاد على البريد ، فلما دخل عليه ، قال : قينة في يمينها إبريق ، فأنشده :

ثـمّ نـادوا ألا أَصْبِحـونَـا فقـامَـتْ	قَيْنَـــةٌ فـــي يَمِينِهـــا إِبْـــريـــقُ
قـدّمتْـهُ علـى عُقـارٍ كعيـن الـدّيـ	ـــكِ صَفَّـى سُـلافَهـا الـرَّاووقُ
مِـــزّةٌ قبـلَ مـــزجِهـا فَـإذا مـا	مُـزِجَـتْ لـذَّ طعمُهـا مَـنْ يَـذوقُ
وَطَفَـتْ فَـوقَهـا حَـوافٍ مِـنَ اليـا	قـوتِ حُمـرٌ يُثيـرهـا التَّصفيـقُ[1]

في أبيات ، فأجازه وكساه وأمر فأقفل من ساعته .

قالوا : وكان عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك أخو الوليد يُرمى بالتأنيث ، فتزوج ابنة محمد بن الوليد بن عبد الملك فلم يصل إليها ، ففرّق هشام بينهما فخلف عليها بعده محمد بن روّاح بن الوليد ، فغضب الوليد بن يزيد ، وكان آل الوليد بن عبد الملك أعداء آل مروان فأساء بهم وتجنّى على محمد بن روح فحبسه وحبس عدّةً منهم فيهم المؤمّل بن العباس بن الوليد .

مقتل الوليد بن يزيد .

١٩١ـ قالوا : وكان الناس يتحدثون في أيام يزيد بن عبد الملك أن الوليد شهيد بني مروان .

وحدثني هشام بن عمار ، قال : سمعت مشايخنا يحدّثون أنه كان في نفس الوليد بن يزيد بن عبد الملك على سليمان بن هشام شيءٌ ، وذلك

---

(١) ذكرت هذه الأبيات في الأغاني لعدي بن زيد مع اختلاف بعض الأبيات والألفاظ : ج : ٦ ص : ٨٧ ط : ثقافة بيروت .

أنه كان يساعد أباه [٥٩١/٦٨] على ذمّة ويشير عليه بخلعة وقتله .

فلما ولّي دعابه ، فقال : ألست أعدى الناس لي ؟ ألست القائل كذا ؟ فأغلظ له سليمان ، فضربه الوليد مئة سوط ضرباً مبرحاً وحلقه وألبسه الصوف ، وثقّله بالحديد فكلّم فيه فأخرجه فكان أشدّ الناس تأليباً عليه .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جدّه ، قال : كان سليمان عدوّاً للوليد فكان يسعى في قتله لا يألو ، وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك رجلاً حسن العقل يُظهر عفافاً وتورّعاً ، إلا أنه كان ينسب إلى قول غيلان بن مسلم الذي قتله هشام في القدر ، وكان الوليد قد أقصاه وجميع إخوته وأهل بيته ، واستخفّ بهم وحرمهم وأغلظ لهم ، وحبس بعضهم فرموا الوليد بالكفر وغشيان أمّهات أولاد أبيه وباللواط ، وقالوا : قد اتخذ جوامع كتب على كل جامعةٍ منها اسم رجل من بني أميّة ليقتله .

قال المدائني عن رجاله : كان الوليد صاحب صيد وتهتّك ولهوٍ يتثقّل فيها ، فلما ولي جعل يكره المواضع التي يراه الناس فيها ، فلم يدخل مدينة من مدن الشام حتى قتل وكان يحوّل ، فثقل على الناس وعلى جنده ، واشتدّ على بني هاشم[1] حتى ضرب سليمان بن هشام مئة سوطٍ وحلق رأسه ولحيته ، وغرّبه إلى عَمّان من أرض الشام ، وأخذ الوليد جاريةً لآل الوليد بن عبد الملك ، فكلّمه عمر بن الوليد فيها ، فقال : لا أردّها ، فقال عمر : إذاً تكثر الصواهل حول عسكرك .

وقال أبو الحسن المدائني : حبس الوليد يزيد بن هشام وهو الأفقم ، وفرّق بين روح بن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدّة من ولد الوليد وعذّب بعضهم وعزم على البيعة لابنيه الحكم وعثمان ، وقال : [من المتقارب]

---

(١) هاشم في أصل المخطوطين وهو خطأ يوضحه ما بعده وصحته هشام .

نـؤمّـلُ عثمـانَ بعـدَ الـوليـدِ   أَوْ حَكمـاً ثـم نَـرجـو سَعيـدا
كمـا كـانَ مَـنْ كـانَ مِـنْ قَبْلِنـا   يَـزيـدُ يُـرجّـي لِتِلـكَ الـوَليـدا

وشاور الوليد في ذلك فأشار عليه ابن بيهس[1] بن صهيب الجَرمي ألا يفعل ، وقال : إنهما غلامان ما احتلما ، ولكن بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب عليه وحبسه حتى مات في الحبس .

قال المدائني : ودعا الوليد خالد بن عبد الله القسري إلى البيعة لابنيه ، فأبى فقال له بعض أهله : دعاك أميرُ المؤمنين فخالفته ، فقال : ويحكم كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته ؟ قالوا : فتقبل شهادة الوليد مع مجونه وفسقه ، قال : أمر الوليد أمرٌ غاب عنّي فلا أتتبّعه وإنما هي أخبار الناس ، فغضب الوليد على خالد ، وقال : كان الأحول أعرف به ، وأراد الوليد الحجّ فنهاه خالد عن ذلك لأنه خاف أن يفتك الناس به لإنكارهم أمره . فقال له : لِمَ كرهت حجّي ؟ فقال : لا تحتاج إلى أن أخبرك فازداد غضباً وأمر بحبسه واستيدائه ما عليه من أموال العراق ودفعه إلى يوسف بن عمر ، فعذّبه حتى قتله ، وكان من أمره ما ذكرناه .

المدائني عن عمر بن سعيد الثقفي ، قال : أوفدني يوسف بن عمر على الوليد ، فلما قدمت عليه ، قال : كيف الفاسق يعني الوليد ، ثم قال : إيّاك وأن يسمع هذه منك أحدٌ ، فقلت : امرأتي طالق إن سمعه مني أحد ما دمتَ حيّاً فضحك .

---

(١) ابن بيهس بن صُهيب بن عامر بن ناتل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كبير بن غالب بن عدي بن شُميس بن طرود بن قدامة بن جرم (البطن) بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

قالوا : فلما فعل الوليد ما فعل قتل خالد بن عبد الله وإبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل ، حين قال : أخذهما بحق الله عليهما وحقوق الناس وتجنّى عليهما ، وما فعل ببني هشام وبني الوليد وحبسه المؤمّل بن العباس بن الوليد وبني القعقاع واضطغنت عليه اليمانيّة لفعله بخالد بن عبد الله ، ورُمي بالزندقة وكان أشدّهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناس مائلين إلى قوله لتستّره وإظهاره النسك ، وجعل يقول : ما يسعنا الرضى بالوليد ، حتى عمل الناس على الفتك به .

المدائني : أن يزيد بن مصادٍ الكلبي قال : أخبرني عمرو بن شراحيل قال : سيّرنا هشام إلى دهلك فلم نزل بها إلى أن مات هشام وقام الوليد فكُلّم فينا فأبى ردّنا ، ثم قال : والله ما عمل هشام عملاً أرجى أن تناله به المغفرة من تسييره هؤلاء وقتله القدرية ، يعني غيلان وصاحبه .

وقد كانت جماعة من اليمانية اجتمعت إلى خالد بن عبد الله القسري من أهل دمشق قبل حبسه ، منهم شبيب بن أبي مالك الغساني ، ومنصور بن جمهور الكلبي ، وحميد بن نصر اللخمي ، والأصبغ بن ذؤالة وابن زياد بن علاقة فدعوه[1] إلى أمرهم فأبى فسألوه أن يكتم عليهم ، ففعل فلما حُبس قال بعض الكلبيين شعراً على لسان الوليد :

[من الوافر]

وهـذا خـالِـدٌ أَمْسَـى أَسيـراً ... ألا مَنَعـوهُ إن كـانـوا رجـالا

فلـو كـانَـتْ قَبـائِـلُ ذاتُ عِـزٍّ ... لمـا ذَهَبـتْ ضـائِعَـةً ضَـلالا

ولا تـركـوهُ مسلـوبـاً أسيـراً ... يُعـالـج مـن سلاسِلِنـا الثِّقَـالا

بهـا سُمْنـا البـريَّـةَ كـلَّ خَسْـفٍ ... وَهَـدَّمْنـا السُّهـولَـةَ والجِبـالا

---

(١) في أصل المخطوطين فدعوهم وهو خطأ يفسره ما بعده فسألوه .

فـلا زالـوا لنـا أبـداً عَبيـداً نسـومُهـمُ المـذلَّـةَ والنَّكـالا

فازداد الناس على الوليد حنقاً .

وقال حمزة[1] بن بيض الحنفي : [من الخفيف]

يـا وليـدَ الخَنـا تـركـتَ الطَّـريقـا وَاضحـاً وارتكبـتَ فجّـاً عَميقـا
وتَمَـادَيْـتَ واعتـدَيْـتَ وأَسْـرَفْـتَ وأغـويـتَ وانبعثـتَ فسـوقـا
أَبَـدا هـاتِ ثُـمَّ هـاتِ وهـاتـي ثـمَّ هـاتـي حتـى تخـرَّ صَعيقـا
أنـتَ سكـرانُ لا تَفيـق فمـا تـر تِـقُ فَتْقـاً وقـد فَتقْـتَ فُتُـوقـا
جـاثليـقٌ أُسْقُـفٌ كُفـرٍ وفُسـقٍ ثـمَّ فُقْـتَ الأُسْقُـفَّ والجَـاثليقـا

أول ظهور يزيد بن الوليد بن عبد الملك للخلافة .

١٩٢ـ قالوا : وأتت اليمانيّةُ يزيد بن[2] الوليد فأرادوه على أن يبايعوه ، فقال عمر بن يزيد الحكمي[3] ليزيد : إن العباس بن الوليد أخاك سيّد أهل بيتك ، فإن بايعك لم يخالفك الناس وإن أبى فالناس له أطوع ، وإن أبيت مشاورته فأظهر بيعته لك . وكانت أرض الشام في تلك الأيام وبيئة فخرج الناس إلى البوادي ، وكان الوليد بن يزيد متبدّياً ، وكان العباس بن الوليد بالقسطل[4] ، فأتى يزيد أخاه فأخبره الخبر

---

(١) حمزة بن بيض شاعر انقطع لآل المهلب وهو حمزة بن بيض بن يمن بن عبد الله بن شَمر بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العُزّى بن سُحيم بن مرّة بن الدّول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٢) كان بنو أميّة لا يبايعون منهم من كانت أمه جارية وأم يزيد جارية ولو كانت بنت كسرى يزدجر التي أهداها للوليد بن عبد الملك الحجاج .

(٣) الحكمي : يظهر يريد الحكم بن سعد العشيرة من مدحج ولا يوجد بطن من القبائل إلا ذا وهو يماني .

(٤) القسطل في لغة أهل الشام الموضع الذي تفترق منه المياه وهو موضع بين حمص =

وشاوره وعاب الوليد ، فقال له العباس : مهلاً يا يزيد فإن في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا .

فرجع يزيد إلى منزله ودبّ في الناس فبايعوه سرّاً ، ودسّ يزيد بن عنبسة السكسكي[1] رجلاً من كلب اسمه الأحنف وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرافهم يدعون الناس سرّاً ، ثم عاود يزيد أخاه العباس ومعه قطن مولاهم فشاوره وأعلمه أن قوماً يأتونه يريدونه على البيعة ، فزبره العباس . وقال : إن عُدتَ لمثلها لأشدّك وثاقاً ولأحملنّك إلى أمير المؤمنين ، فخرج يزيد وقطن وبعث العباس إلى قطن فقال له : ويحك أترى يزيد جادّاً ؟ قال : جُعلتُ فداءَك ما أظن ذلك ، ولكنّه قد دخله مما صنع الوليد بن يزيد ببني الوليد بن عبد الملك وبني هشام وما يسمع من الناس من ذكر استخفاف الوليد وتهاونه بالأمور ما ضاق به ذرعاً ، قال : أما والله إني لأظنّه أشأم[2] سخلة من بني مروان ، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشددته وثاقاً وحملته إليه ، فازجره عن أمره فإنه يسمع منك .

وسأل يزيد بن الوليد قطناً عمّا جرى بينه وبين العباس فأخبره به ، فقال : والله لا أكفّ ثم لا أكفّ .

= ودمشق وهو حتى الآن بهذا الاسم يبعد ما يقارب ٧٠ كم عن دمشق على طريق دمشق حمص بجانب مدينة النبك .

(١) السكسكي : السكسك بطن من كندة يمانية وما زال حتى الآن في حي الميدان بدمشق آل السكسكي وقسم منهم سكن عمّان في الأردن وربما يكون هم بقايا هذا البطن من كندة . وقد سمعت مرّة السيد نبيه برّي رئيس مجلس نواب لبنان يخطب وذكر قرية السكسكية في جنوب لبنان وربما تكون قد سميت بهذا البطن من كندة والله أعلم .

(٢) جاءت في أصل المخطوطين أسمّ .

وأتى معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الوليدَ ، فقال له : إنك تبسط لساني بالأنس بك ، وأنا أكفّه بالهيبة لك ، وأنا أسمع من خوض الناس ما لا تسمع وأخاف عليك ما لا أراك تأمن ، أفأتكلم ناصحاً أم أسكتُ مطيعاً ، قال : كل مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن إليه صائرون ، ولو علم بنو مروان أنهم إنما يوقدون على رضفٍ يلقونه في أجوافهم ما فعلوا ما يفعلون ، ونعود فأسمع منك .

وبلغ مروان بن محمد وهو بأرمينيّة أن يزيد يُؤلّب الناس على الوليد بن يزيد ويدعو إلى خلعه ، فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان ، وكان متألّهاً : إن الله جعل لأهل كل بيت أركاناً يعتمدون عليها ويتوقون المخاوف بها ، وأنت بحمد الله ركن من أركان أهل بيتك ، وقد بلغني أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد أسسوا أمراً إن تمّت لهم رؤيتهم فيه على ما أجمعوا عليه ، استفتحوا باباً لن يُغلق عنهم حت تسفك دماءٌ كثيرة منهم . ولولا اشتغالي [٦٨/٥٩٢] بهذا الفرج العظيم أمره الشديد شوكة أهله لرمتُ فساد أمرهم بيدي ولساني ، وأنت أقرب إليهم منّي ، فاحتلْ لعلم أمرهم بإظهار المتابعة لهم ثم تهدّدهم بإظهار أسرارهم وخذهم بلسانك ، وخوّفهم العواقب لعل الله يردّ إليهم ما عزب عنهم من دينهم وعقولهم ، فإنّ فيما شرعوا فيه تغيير النعم وذهاب الدولة فعاجل الأمر رحمك الله وحبل الأمّة مشدٌّ وفي الناس سكون ، والثغور محفوظة فإن للجماعة دولةً من الفرقة والسعة دافعاً من الفقر ، وذكر كلاماً بعد ذلك .

فبعث سعيد بكتاب مروان إلى العباس ، فدعا العباس يزيد فعذله وتهدّده ، فحذره يزيد وقال : يا أخي لم أفعل وهذا من إرجاف أهل الحسد لنا والسرور بزوال نعمتنا ، وحلف له على ترك المعارضة ، فأمسك عنه .

وخرج يزيد بن الوليد يوماً على حمارٍ وهو بناحية القريتين فرمى ذئباً فقتله . فقال له مولى له متفائلاً : قتلتَ والله الوليد إن شاء الله .

وأتى بشر بن الوليد أخاه العباس بن الوليد فكلّمه في خلع الوليد وبيعة يزيد ، فنهاه العباس وقال : يا بني مروان إني أظنّ الله قد أذن في هلاككم ، وقال : [من البسيط]

إنــي أُعيــذُكــمُ بــالله ِمــنْ فِتَــنٍ ... مثلِ الجبالِ تَسَامَى ثم تَنْدَفِعُ

إنَّ البَـرِيَّـةَ قـدْ مَلَّـتْ سيـاسَتَكُـمْ ... فأَمْسِكوا بعَمودِ الدّينِ وارْتَدِعوا

لا تَبقُـرُنَّ بِـأَيْـديكـمْ بُطـونَكُـمُ ... فَثَمَّ لا حَسْرَةٌ تُغني ولا جَزَعُ[1]

خروج يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

١٩٣ـ قالوا : فلما اجتمع ليزيد بن الوليد وهو متبدٍّ أقبل إلى دمشق وبينه وبينها أربع ليالٍ متنكراً في سبعة أنفس على حُمرٍ ، فنزلوا على مرحلة من دمشق ، فأتاهم مولى لعبّاد بن زياد بِقِرًى فتعشّوا ثم دخلوا دمشق ليلاً ، وقد بايع ليزيد أكثر أهلها سرّاً وبايع أهلُ المِزّة وأكثرهم يقولون بقول غيلان أبي مروان الذي قتله هشام ، ولم يبايع له ابن مصاد[2] وهو سيّد أهل المزّة .

فمضى يزيد من ليلته إلى معاوية ماشياً في نفرٍ من أصحابه وقد أصابهم مطر شديد ، فضربوا الباب وقالوا : يزيد بالباب ففُتح لهم فدخلوا ، فقال

(١) ذكر الأبيات الطبري ج : ٧ ص : ٢٣٩ والأغاني قال العباس بن الوليد . ج : ٧ ص : ٧٤ ط ثقافة بيروت .

(٢) ابن مصاد هو فروة بن مُصاد بن عبيد بن مُصاد بن كعب بن عُليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

ليزيد : الفراش أصلحك الله ، قال : إن في رجليّ طيناً وأكره أن أفسد بساطك وفراشك ، قال : الذي تريدني عليه أضرّ عليّ من فساد بساطي وفراشي ، وكلّمه يزيد فبايعه ، ويقال إن هشام بن مصاد بايعه أيضاً ورجع يزيد إلى دمشق على حمار فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخَشني[١] ، وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، فخاف الوباء فخرج عن دمشق واستخلف عليها ابنه وجعل على شرطته أبا العاج[٢] كثير بن عبد الله السلمي ، فقيل له إن يزيد خارجٌ عليكم فلم يصدّق .

وعزم يزيد على الخروج والظهور ، فأرسل إلى أصحابه بين المغرب والعشاء الآخرة من ليلة جمعة في سنة سبع وعشرين ومئة ، فمكثوا عند باب الفراديس بدمشق ثم دخلوا المسجد فصلّوا وفي المسجد حرسٌ قد وكّلوا فيه بإخراج الناس منه بالليل ، فلما قضى الناس الصلاة صاح بهم الحرسُ فخرجوا وتباطىء أصحاب يزيد ، فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون في آخر حتى لم يبق في المسجد غيرهم وغير الحرس فأخذوا الحرس ، ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأخذهٔ بيده وقال : قم يا أمير المؤمنين راشداً مهديّاً ، وأبشر بعون الله ونصره ، فقام وقال : اللهم إن كان هذا لك رضىً فأعنّي عليه وسدّدني له ، وإن لم يكن رضىً فاصرفه عني بموتٍ عاجلٍ ، وأقبل في اثني عشر رجلاً فلما كان عند سوق

---

(١) خُشَينة بطن من بطون العرب والنسبة إليهم خُشْني والخشني البطن الذي ينسب إليه هو وائل (خُشين) بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

(٢) أبو العاج هو كثير بن عبد الله بن فروة بن الحارث بن جُشَم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عُصيّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

الحُمر أتاه أربعون من أصحابه فانضموا إليه ، ثم لما كان عند سوق القمح لقيهم زُهاء مئتي رجل فصاروا معهم ، ثم مضى إلى المسجد وهو في مئتين ونيف وستين رجلاً فدخله ، وأتى أصحابه باب القصر فدقّوه وقالوا : رُسل أمير المؤمنين الوليد ففُتح لهم فهجموا في القصر وأخذوا أبا العاج كثير بن عبد اللهالسُّلمي وهو سكران وأخذوا خُزّان بيت المال وصاحب البريد .

وأرسل يزيد بن الوليد من ليلته إلى عامل بعلبك ، وهو مولى لسعيد بن العاص فأُخذ ، وأرسل إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فأُخذ ، وأمر يزيد أن تفتح أبواب المدينة إلاّ لمن نادى بشعاره ، وأصاب وأصحابه سلاحاً كثيراً ، وجاءه أهل المزّة ، ولم ينتصف النهار حتى تتابع الناس إلى يزيد ، وتمثّل يزيد : [من الطويل]

إذا اسْتُنْزِلوا عنهنَّ بالطَّعْنِ أَرْقَلُوا
إلى الموتِ إِرقالَ الجِمالِ المَصَاعِبِ[1]

المدائني عن عمر بن مروان الكلبي عن زرّ بن ماجدٍ ، قال : غدونا مع عبد الرحمن بن مُصاد ونحن زهاء ألف وخمسمئة ، فلما انتهينا إلى باب الجابية وجدناه مغلقاً ووجدنا عليه رسولاً للوليد ، فقال : ما هذه الجماعة والأهبة ، أما والله لأعلمنّ أمير المؤمنين يعني الوليد ، فقتله رجل من أهل المزّة ، فدخلنا من باب الجابية حتى وافينا المسجد الجامع . ودخلنا على يزيد فسلمنا عليه بالخلافة ، وكانت السكاسك في نحو ثلاثمئة فدخلوا من الباب الشرقي حتى دخلوا المسجد من باب

(١) جاء في الأغاني ج : ٤ ص : ١٤٩ هامش وهو للنابغة ، ورد في ديوانه وجاء بالطبري ج : ٧ ص : ٢٤١ .

جيرون ، وأقبل يعقوب بن عمير بن هانىء في أهل داريّا فدخلوا من الباب الصغير ، وأقبل حميد بن حبيب اللخمي[١] في أهل دير مُرّان والأرزة فدخلوا من باب الفراديس وأقبل ربعي وهاشم الحارثي[٢] في جماعة من قومه ومن بني عذرة[٣] وسلامان[٤] فدخلوا من باب توما ، وتوافت جموعهم وتتامّت ، فقال الشاعر : [من الطويل]

وَجَاءَهُمُ أنصارُهمْ حينَ أصبَحوا سكاسِكها أهل البيوتِ الصَّنَادِدِ
وكلبٌ فجاءتهم بخيلٍ وعِدَّةٍ من البيضِ والأبدانِ شُمٍّ السَّوَاعِدِ
فَأَكرِمْ بها قوماً وأنصارَ سُنَّةٍ فهمْ مَنَعُوا حَوْمَاتِها كُلَّ جاحِدِ
فما أصبَحوا إلاّ وهم أهلُ مُلكِها قَدِ اسْتَوْثَقُوا مِن كُلّ عاتٍ ومارِدِ[٥]

قالوا : وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ، وأمره أن يقف بباب الجابية ، وقال لبني الوليد بن عبد الملك : تفرّقوا في الناس وحفّوهم ، وقال : من كان له عطاء فليأت لقبض عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة .

وحدثني هشام بن عمّار عن صدقة بن خالد ، قال : دعا يزيد إلى نفسه فبايعه أهل المزّة وأكثرهم غيلانيّة وقدرية ، وبايعه أهل دمشق

---

(١) نسبة إلى قبيلة لخم اليمانية وهو مالك (لخم) بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .
(٢) الحارثي نسبة إلى قبيلة الحارث بن كعب أهل نجران اليمانية وهو الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مالك (مذحج) ابن أود بن زيد .
(٣) عذرة نسبة إلى بني عذرة بن سعد قبيلة يمانيّة وهو عذرة بن سعد هُذيم بن زيد بن لين بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .
(٤) سلامان بطن يمان وهو أخو عذرة بن سعد هُديم . وإذا لاحظنا نجد أن جميع القبائل التي مر ذكرها يمانية . نقموا على الوليد لتعذيبه خالد بن عبد الله القسري وقتله .
(٥) ذكرهم الطبري . ج : ٧ ص : ٢٤٢ .

وجميع من أنكر سيرة الوليد وشغله بلهوه ولعبه وبالشرب .

فتح يزيد بيت المال وأعطى الناس ، وجاءت أموال من الكور ففرّقها ، ووجّه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان في كثفٍ من الناس إلى الوليد وهو بالبخراء[١] ، وكان نزلها للعلاج وشرب اللبن لوجع وجده في كبده لإدمانه الشراب .

وقال أبو الحسن المدائني : أمر يزيد رجلاً فنادى : من ينتدب للفاسق الوليد وله ألف درهم ، فاجتمع أقلّ من ألف رجل على أن يأخذوا ألفاً ألفاً ، ثم أمر فنودي : من ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمئة فانتدب يومئذ ألف وخمسمئة ، ويقال إنه ندبهم إلى ألفين ألفين فأتاه ألفان .

فعقد لمنصور بن جمهور على طائفة ، وليعقوب[٢] بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي على طائفة ، ولحميد بن حبيب اللخمي على طائفة ، وعقد لغيرهم على جماعة ، وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك . فخرج عبد العزيز فعسكر بالحيرة[٣] .

قالوا : ودعاء الوليد بن يزيد السفياني وهو أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه ووجّهه إلى دمشق ، فلما انتهى أبو محمد إلى قرب

---

(١) البخراء : على مقربة من تدمر تعرف الآن باسم البخرة بسبب روائح الينابيع الكبريتية هناك .

(٢) يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم بن سوادة بن بجير بن معاوية بن خَرَاص بن عامر (الجلاح) بن عوف بن بكر بن عوف بن عامر (الأكبر) بن عوف بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

(٣) الحيرة : لم أجدها في معجم البلدان والطبري في الفهارس قال : حيرة دمشق وفي ج : ٧ ص : ٢٤٣ قال بالهامش الأغاني ج : ٧ ص : ٨٧ ومن الرجوع إلى الأغاني لم يذكر الحيرة .

دمشق وجّه إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن حمّاد ، فسالمه أبو محمد وبايع ليزيد بن الوليد ، وأتى الخبر الوليد وهو بالأزرق ، فقال :

[من البسيط]

يا وَيْحَ جُنْدِ الألى خاروا وما نَظَروا ... في غِبِّ أمرِ عمودِ الدّين لو وَقَعا

ألقحتُها ثمّ شَالَتْ عاقِداً أَنِفاً ... ما نَتَّجُوها فليلقوا تحتها ربعا

وَلا ارتَقَوْا من صَميمِ المحضِ آوِنَةً ... لكنَّهم يَحتَسِبونَ الصَّابَ والسَّلعا

ما كنتُ أجزَعَهم من عَرْكِ كَلْكَلِها ... حتى تَدِرَّ نَجيعاً أحمراً دفعا

من كُلِّ لَيْثٍ شتيمِ الوَجْهِ ذي زأرٍ ... ضَرغَامَةٍ تَحْذَرُ الآسادُ ما صَنَعا

غَضَنْفَرٍ أهرتِ[1] الشِّدْقَيْنِ قَسْوَرَةٍ ... كأنَّه طالِعٌ نَقْباً وما طَلَعا

[٦٨/٥٩٣]يَلْقَاكَ في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ مُنْفَرِداً ... كأَنَّ في رأسِهِ نجمَيْنِ قد طَلَعا

وقال الوليد أيضاً : [من الطويل]

ضَمِنْتُ لكمْ إنْ سَلَّمَ اللهُ مُهجَتي ... عَطاءً وَرِزْقاً كامِلاً في المُحرَّمِ

فلا تَعْجلوني لا أَباً لأبيكمُ ... فإني لكُمْ كالوالِدِ المُتَرحِّمِ

قتل الوليد بن يزيد :

١٩٤ـ قالوا : وقال لبيهس بن زُمَيل الطائي : سرْ حتى تنزل حمص فإنها حصينة ثم وجّه الخيل إلى يزيد فيقتل أو يؤسر ، ويقال بل قال ذلك له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص : ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وخزائنه وحُرَمه قبل أن يقاتل ويعذر ، والله مؤيّد أمير المؤمنين وناصره ، فأخذ بقول [ابن] عنبسة ، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي : تدمر حصينة وبها قوم

---

(١) الهَرَت : سعة الشدقين ـ اللسان ـ .

يمنعونك ، فقال : ما أرى أن آتي تدمر وأهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا عليّ واسمها أيضاً اسمها ، قال : فهذه البخراء فقال : ويحك ما أقبح أسماء هذه الأماكن ، ونزل البخراء في قصر النعمان بن بشير ، وهو حصن كان للأعجم ، وقال : [من الطويل]

إذا لم يكُنْ خَيرٌ مَعَ الشرِّ لم تجدْ   نَصيحاً ولا ذا حاجَةٍ حينَ تفزَعُ
إذا ما هُمُ هَمُّوا بأخذِ هَنَاتِهم   حَسَرْتُ لهم رَأْسي فلا أَتَقَنَّعُ

قال أبو الحسن : وكان بيهس بن زُمَيل أشار عليه حين كره حمص بالبخراء ، فقال : أخاف بها الطاعون ، فقال : الذي يراد بك أشدّ من الطاعون .

وندب يزيد بن الوليد الناس إلى البخراء فتلقّاهم ثقل الوليد فأخذوه ونزلوا بالقرب من الوليد ، وأتى الوليدَ بن يزيد رسولُ العباس بن الوليد بن عبد الملك أني آتيك فيمن أجابني إلى نصرتك والاعتصام ببيعتك ، فخرج في ناس من ولده ومواليه وخاصّته .

وأمر الوليد بسرير فأُخرج فجلس عليه في وسط عسكره ، وقال : أعليّ يتوثّب الرجال وأنا أثب على الأسد وأتخصّر بالأفاعي . وجعل ينتظر العباس بن الوليد بن عبد الملك .

فقاتلهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وعلى ميمنته عمرو بن حُويّ السكسكي وعلى القلب منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن المتطرّس[1] أحد بني العبيد بن عامر الكلبي ، وعلى الميسرة عمّارة بن كلثوم الأزدي أو غيره ، وركب عبد العزيز بغلاً له أدهم

---

(١) منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن جابر بن جارية بن العبيد بن عامر بن بكر . . . . .

وبعث إلى الوليد وأصحابه زيادَ بن حصين ليدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، فقتله قطري مولى الوليد فانكشف أصحاب يزيد ، فترجّل عبد العزيز وكرّ أصحابه وقد قُتل منهم عدّة وحُملت رؤوسهم إلى الوليد ، وأمر الوليد فأخرج لواء مروان بن الحكم الذي عقده بالجابية لمحاربة الضحاك بن قيس ، فجعل بباب حصن البخراء وقتل من أصحاب الوليد عدّة .

وبلغ عبد العزيز مسير العباس في خاصّته وولده ومواليه ليكون مع الوليد ، فأرسل منصور بن جمهور وخيلاً ، وقال : إنك تلقى العباس بن الوليد في الشعب ومعه جُميعة فخذهم ، فنفذ منصور في الخيل فلما صار بالشعب إذ هو بالعباس في ثلاثين فارساً ، فقال له : اعدلْ إلى عبد العزيز بن الحجاج ، فأبى فقال له منصور بن جمهور : يا بن قسطنطين[1] لئن أبيت لأضربنّ الذي فيه عيناك ، فعدل معه إلى عسكر عبد العزيز وقال : بايع لأخيك يزيد بن الوليد فبايع ووقف ، ونصبوا رايةً وقالوا هذه راية العباس وقد بايع لأخيه يزيد أمير المؤمنين ، فقال العباس : إنّا لله ، خدعةٌ من خدع الشيطان ، هلك بنو مروان ، وكان عندهم كالأسير .

قالوا : وتفرّق الناس عن الوليد بن يزيد وأتوا عبد العزيز والعباس . فظاهر الوليد بين درعين وأتوه بفرسين يقال لهما السندي والزائد[2] فقاتلهم فناداهم رجلٌ : اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط ارموه بالحجارة ،

---

(١) أم العباس رومية وقد مر سابقاً أن الوليد دخل على هشام وكان يتنقصه فقال له العباس بن الوليد : كيف حبك للروميات فإن أباك كان معجباً بهنّ فقال الوليد بن يزيد : كيف لا أحبّ من لا تزال تأتي بمثلك ، ولذلك قال له : يا بن قسطنطين لأن قسطنطين كان ملك الروم فجعله ابن ملك الروم تعظيماً له لأن أمه رومية .

(٢) في أصل المخطوطين الزايد والتصحيح من كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي ص : ١٣٣ . ط : دار الكتب المصرية .

فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب فقال : أما فيكم رجل شريف ذو حسبٍ أكلّمه ، فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي : تكلّم ، فقال : ومن أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة ، فقال : يا أخا السكاسك ، ألم أزد في أعطياتكم ؟ ألم أرفع المؤن عنكم ؟ ألم أعط فقراءكم ؟ ألم أخدم زمناكم ؟ فقال له : ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكنّا ننقم عليك انتهاك ما حرّم الله من شرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله وإتيانك الذكور ، قال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أغرقت وأكبرت فإن فيما أحلّ الله لمندوحة عمّا ذكرت ، والله لا يرتق فتقكم ولا يلمُّ شعثكم ولا تجتمع كلمتكم .

ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً ، وقال : يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ ، فعلوا الحائط وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة فنزل وسيف الوليد إلى جانبه ، فقال له يزيد : نحّ سيفك ، فقال الوليد : لو أردت السيف كانت لي ولك حال ، فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر يزيد بن الوليد فيه ، فنزل من الحائط عشرة فضربه واحدٌ على وجهه وضربه آخر على رأسه وجرّه خمسة منهم ليخرجوه ، فصاحت امرأة كانت معهم في الدار فكفّوا عنه فلم يخرجوه واحتزّ أبو علاقة القضاعي رأسه وأخذ عقباً[1] فخاط الضربة التي في وجهه ، وحمل الرأس إلى يزيد بن الوليد روح بن مقبل ، وقال : أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق ، وكان يزيد يتغدى فسجد ومن كان معه .

وأخذ يزيد بن عنبسة بيد يزيد بن الوليد ، وقال : قمْ يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وصنعه ، فاختلج يزيد يده من كفّه وقال : اللهم إن كان هذا الأمر لك رضىً فسدّدني ووفّقني .

---

(١) **العقاب : قال الأزهري : العقاب الخيط الذي يشدّ طرفي حلقة القرط ـ اللسان ـ**

قالوا : وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليد بن خالد أخي الأبرش الكلبي في بني عامر[1] ، وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فلم تقاتل الميسرة والميمنة ومالوا جميعاً إلى عبد العزيز ، وقال بعضهم : رأيت خدم الوليد وحشمه يأخذون بأيدي الرجال فيدخلونهم عليه .

وقال الهيثم بن عدي : خرج الوليد وعليه قباء خزٍّ وقد تحزّم بريطة ، فأتاه قوم من أهل حمص ينصرونه عليهم عبد الرحمن بن أبي الجنوب البهراني[2] ، وأتاه بنو سُلم بن كيسان صاحب باب كيسان بدمشق في ستة عشر فارساً ، وتلقّاه بنو النعمان[3] بن بشير الأنصاري في فوارس ، ثم صار إلى البخراء فضاق العلف على أصحابه فاسترعوا زرع القرية ، فقالوا : لا حاجة لنا بالبقل إنما نسترخي عليه دوابنا وتضعف ، أعطنا دراهم .

وأُخبر بإقبال عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك من قبل يزيد الناقص[4] فلم يكترث لذلك ، وكان العباس بن الوليد قد أقبل يريد الوليد

---

(١) يتبادر للذهن أنهم بنو عامر بن صعصعة لأنهم الأشهر والحقيقة أنهم بنو عامر الأكبر من كلب وهو عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، لأن البلاذري في عهد يزيد بن الوليد يقول : لم يكن معه أحدٌ من قيس وعامر بن صعصعة قيسية وعامر الأكبر يمانية .

(٢) البهراني : والنسب إلى بهراء بهراوي وبهراني مثل نجراني على غير قياس ـ اللسان ـ وبهراء قبيلة يمانية وهو بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٣) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خُلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج بن حارثة والخزرج قبيلة من الأنصار من الأزد يمانية .

(٤) الناقص يزيد بن الوليد لأنه أنقص الأعطيات التي كان زادها الوليد بن يزيد فسمي الناقص .

=

كراهةً لنقض بيعته ، فوجّه إليه عبد العزيز فحازه إليه ، وسمع الوليد تكبير أصحاب عبد العزيز بالبخراء ، فخرج خالد بن عثمان فعبّأ الناس ولم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس ، وكان مع أصحاب الناقص كتاب معلّق في رمح فيه : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه وأن يكون الأمر شورى فقتل عثمان الخشبي ، وكان من أولاد بعض الخشبيّة[1] الذين كانوا مع المختار بن أبي عبيد الثقفي وقتل من أصحاب الوليد زهاء ستين رجلاً ، وكان الأبرش على فرسٍ له فجعل يصيح بابن أخيه : يا بن اللخناء قدّم رايتك ، فقال : لا أجد متقدّماً إنها بنو عامر .

وقال هشام بن عمّار ، وحدّثت : أن العباس بن الوليد قاتل مع الوليد بن يزيد وفاءً ببيعته فطعنه رجل من أصحاب عبد العزيز فأرداه عن فرسه فعدل إلى عبد العزيز ، فسقط في أيدي أصحاب الوليد ومكث العباس عند عبد العزيز أسيراً ، ثم أن أخاه يزيد بن الوليد صفح عنه ، وكان به برّاً .

ما جرى للوليد بن يزيد بعد قتله :

١٩٥ـ وكان الوليد بن يزيد أرسل إلى عبد العزيز بن الحجاج يعرض عليه أن يُعطيه خمسين ألف دينار ، ويجعل له ولاية حمص طعمة ما بقي ، ويؤمّنه على كل أمرٍ كان منه على أن ينصرف ويكفّ عنه ، فلم يجبه إلى ذلك ، وجعل أصحاب الوليد يستعجلون ويشترطون عليه الشروط [٦٨/٥٩٤] فيجيبهم إلى ذلك ، فانتقض عسكر الوليد وانهزم أصحابه ودخل الوليد القصر ، وجاء رجل طُوالٌ كان على فرس له فدنا من

---

(١) الخشبية جماعة المختار الثقفي لأنهم أخذوا الأخشاب التي جمعها ابن الزبير لتحريق محمد بن الحنفية فأنجدهم المختار بجماعة فحملوا هذه الأخشاب ودخلوا بها المسجد لقتال عبد الله بن الزبير كي لا يدخلو المسجد بالسلاح فسموا الخشبية .

حائط القصر ثم تسلّقه ، وكان الوليد قد ألقى سلامه وأخذ مصحفاً يقرأ فيه ويقول : يوم كيوم أمير المؤمنين عثمان ، فوجده الرجل وعليه قميص قصب وسراويل وشيءٍ ومعه سيف في غمده ، وإذا الناس يشتمونه وهو يسمع ، فقام الوليد فضربه الرجل على رأسه ، ودخل عبد العزيز والناس حين تسلّق الرجل فتعاوروه بأسيافهم ، وأكبّ الرجل الطوال فاحتزّ رأسه .

وكان يزيد قد جعل على رأسه مئة ألف درهم ، وجاء أبو الأسود مولى خالد بن عبد الله القسري فسلخ من جلدة رأس الوليد قدر الكفّ ، فأتى بها يزيد بن خالد بن عبد الله وكان محبوساً في عسكر الوليد حبسه حين دفع أباه إلى يوسف بن عمر ، وانتهب الناس خزائن الوليد وما في عسكره .

وقال المدائني عن عمر بن مروان الكلبي : لما قُتل الوليد قُطعت كفّه اليسرى وفيها خاتمه ، وبُعث بها إلى يزيد بن الوليد فسبقت رأسه إليه بليلة ، وقُدم برأسه من الغد فنصبه للناس بعد الصلاة ، وكان أهل دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز فلما نُصبَ لهم رأس الوليد سكنوا .

قالوا : ولما أمر يزيد الناقص بنصب رأس الوليد قال له يزيد بن فروة مولى بني مروان : إنما يُنصب رأس خارجيّ وهذا لابن عمّك وخليفة من الخلفاء ولا آمن إن نصبته أن ترقّ له قلوب الناس ويغضب له أهل بيتك وتدركهم الحميّة ، فقال : والله لا ينصبه غيرك فنصبه على رمح ثم قال له : انطلق فطف به في مدينة دمشق وأدخله دار أبيه ، ففعل فصاح النساء وأهل الدار ثم ردّ إلى يزيد ، فقال : انطلق به إلى منزلك فمكث عنده قريباً من شهر ، ثم قال : ادفعه إلى أخيه سليمان بن يزيدَ ، وكان سليمان ممّن سعى على الوليد أخيه ، فغسل ابن فروة الرأس ووضعه في سفَط

وأتى به سليمان ، فقال أخوه : أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً ، ولقد أرادني على نفسي فأبيت . فخرج ابن فروة من الدار وتلقّته مولاة للوليد فقال لها : ويحك زعم أنه أراده على نفسه ، فقالت : كذب والله لو أراده على نفسه لفعل وما كان يقدر على الامتناع منه .

وقال هشام ابن الكلبي : خرج الوليد إلى البخراء لشرب الدواء والعلاج ، وكان عليل الجوف من الصبوح والغبوق ، وكان صاحب شرطه خالد بن عثمان بن بحدل[1] الكلبي وخليفته على الشرطة يزيد بن يعلى بن الضخم بن قرّة العبسي .

فلما أظهر يزيد بن الوليد أمره وبايعه أهل المزّة والغيلانيّة وأهل دمشق والناس وفتح بيت المال فأعطى الناس ، وجّه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان في كثفٍ من الناس نهضوا احتساباً وحنقاً ، حتى نزلوا بالوليد فقاتلوا أصحابه حتى قتل وكان الذي قتله مولى لهم ، يقال له وجه الفلس ، وكان طوالاً صغير الوجه .

المدائني عن عمر بن مروان ، قال : حدثني يزيد بن مَصاد عن عبد الرحمن بن مصاد ، قال : بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفياني ، وكان الوليد وجّهه حين بلغه خبر يزيد بن الوليد والياً على دمشق فلقيته فسالمني وبايع ليزيد ، فلم أفارقه حتى رفع لنا شخص مقبل من ناحية المزّة ، فبعثت إليه فأتيت به فإذا هو أبو كامل الغُزَيّل المغنّي وإذا هو على بغلة للوليد ، فأخبرنا بأن الوليد قد قُتل فأتيت يزيد فوجدت الخبر قد بلغه ، وكان

---

(١) عند ابن الكلبي في الجمهرة لوحة : ١٠٩ خالد بن عثمان بن سعيد بن مالك بن بحدل بن أُنيف بن دَلجة بن قنانة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جناب بن هُبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

يزيد بن مروان بن محمد يغزو الصائغة مع الغمر بن يزيد ، فلما قتل الوليد غلب على الجزيرة حتى قدم مروان بن محمد أرمينيّة .

وقال بشر بن هلباء الكلبي يوم قتل الوليد وقد ضرب باب البخراء بسيفه جواباً لما روي أن الوليد قاله في خالد بن عبد الله القسري :

[من الوافر]

سنبكـــي خـــالـــداً بِمُهَنَّـــدَاتٍ ولـم تَـذْهَـبْ صنـائِعُـهُ ضَـلالا[1]

المدائني قال : قال الحكم بن النعمان مولى الوليد : قَدِم برأس الوليد على يزيد الناقص منصورُ بن جُمهور العامري[2] من كلب في عشرة منهم روح بن مقبل ، فقال روح : يا أمير المؤمنين أبشر بقتل الفاسق وأسر العباس ، وكان في العشرة القادمين بالرأس عبد الرحمن بن وجه الفلس وبشر مولى كنانة من كلب ، فأعطى يزيد كل رجل منهم عشرة آلاف درهم .

قال وكان يزيد ، قال : من جاء برأسٍ فله خمسمئة درهم ، فجاء قوم برؤوسٍ فقال يزيد بن الوليد : اكتبوا أسماءهم ، فقال رجل من مواليه جاء برأسٍ : ليس هذا بيوم يُعمل فيه بنسيئة .

قالوا : وكان العباس بن الوليد لما صار يزيد إليه يستشيره ، قال : أنا أكتب إلى أمير المؤمنين الوليد بحجّتك ، فكتب إليه فقال لرسوله : أترك

---

(١) هذا البيت جواباً لبيت قيل للوليد بن يزيد من قصيدة مرّتْ سابقاً والبيت هو : [من الوافر]

فلـــو كـــانـــت قبـــائـــلُ ذات عـــزّ لمـــا ذهبـــت صنـــائعـــه ضـــلالا

(٢) منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن جابر بن حارثة بن العُبَيد بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة . =

صاحبك الصدق ، أي حجّة لمن جاهر الله بعداوة خليفته وشقّ عصا المسلمين .

قالوا : وكان مع الوليد مالك بن أبي السَّمح الطائي المغني وعمر الوادي ، فلما تفرّق أصحاب الوليد عنه وحُصر ، قال مالك لعُمَر : اذهب بنا ، فقال عمر : ليس هذا من الوفاء وليس يُعرض لنا لأنّا ليس ممّن يقاتل ، فقال مالك : ويلك والله لئن ظفروا بنا لا يقتل أحدٌ قبلنا فيوضع رأس الوليد بين رأسينا ليقول الناس انظروا من كان معه الفاسق في هذه الحال ، ولا يُعاب بشيء أشدّ من هذا ، فالنجاء عافاك الله فهربا .

المدائني عن مسلمة بن محارب . قال : قال أيوب السختياني[1] حين بلغه خبر الوليد : ليتهم تركوا لنا خليفتنا ولم يقتلوه ، وإنما قال ذلك خوفاً من الفتنة .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي ، قال : ادّعى قتل الوليد عشرة فقال أبي : رأيتُ جلدة رأس الوليد في يد وجه الفلس وقال : أنا قتلته وأخذت هذه الجلدة .

وقال أمير المؤمنين المهدي وذكر الوليد : رحمه الله ولا رحم قاتله ، فإنه كان إماماً مجتمعاً عليه ، وقيل له : إن الوليد كان زنديقاً ، فقال : إن خلافة الله أعزّ وأجلّ من أن يولّيها من لا يؤمن .

حدثني عمر بن محمد الناقد وعلي بن المديني ، ثنا سفيان بن عيينة ، قال : لما قُتل الوليد اجتمع مشيخة من مشيخة أهل الكوفة إلى الأعمش فقالوا : إنا نحب

---

(١) أيوب السختياني الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر بن أبي تميمة كَيْسان العَنَزِيّ مولاهم ، البصري عداده في صغار التابعين مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين . سير أعلام النبلاء . ج : ٦ ص : ١٥ .

أن لا نفترق إلاّ على أمرٍ نعرفه ، فقال الأعمش : اتّقى امرؤٌ ربه ، وكفّ يده ، وحفظ لسانه ، ولزم بيته ، قوموا وأنا النذير لكم .

قالوا : وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري محبوساً ، حبسه الوليد حين وجّه أباه إلى العراق مع يوسف بن عمر ، فلما تشاغل الناس وغفل عنه حفظته كسر قيده فخرج وأتى على الوليد وهو صريع ، فضربه تسع ضربات ، وقال : [من الوافر]

قتلتُـمْ خـالـداً بـالظُّلـمِ قَسْـراً وما يَنْبغـي سـوى الإسـلامِ دينـاً
قتلـتُ إمـامَكـمْ بـأبـي فَحسْبـي وقـد قَتَلُـوا سِـواهُ آخـرينـا

وحدثني داود بن عبد الحميد قاضي أهل الرقّة ، قال : سمعت أشياخنا يتحدّثون : أن الوليد خرج إلى البخراء للعلاج وشرب اللبن ، وكان في عسكر عظيم وصاحبُ شرطة خالد بن عثمان بن بحدل الكلبي ، ويقال يزيد بن يعلى ابن الضخم بن قرّة العبسي، فدعا يزيد بن الوليد إلى نفسه وأظهره، وكان يقول: والله ما أريد بهذا الأمر إلا إراحة الإسلام والمسلمين من هذا الرجل الذي لا يحلُّ تركه، والله ما أريد أن أحفر فيكم نهراً، ولا أبني قصراً، ولا أجعل أموالكم وقفاً على اللذّات والنشوات، وركوب ما لا يحلّه الله وما غايتي إلاّ الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقي إلا بالله ، فبايعه الغيلانيّة وصارت معه اليمانيّة طالباً بثأر خالد القسري ، فغلب على دمشق ، وبعث يزيد إليه عبد العزيز بن الحجاج فقاتلوا الوليد وأصحابه بالبخراء ، ودخل الوليد قصر البخراء فحصروه ورموه بالحجارة وهم يقولون يا فاسق هذه سنّة في اللوّاطين أمثالك تهيء الذكور هيئة النساء وتفسق بهم ، وترتكب العظائم ، ثم تسوّروا عليه وهو [٦٨/٨٩٥] مصبح بشرابه فعمد إلى مصحف ففتحه فلم ينفعه ذلك وقتل ، وكان ممّن تولى قتله مولى لهم يقال له وجه الفلس ، قد كان بعض ولده مع عبد الله بن طاهر .

مدة ولاية الوليد بن يزيد :

١٩٦ـ قالوا : وكانت ولاية الوليد سنةً وشهرين وأياماً ، ويقال سنة وثمانية أشهر والأول أثبت . وقُتل في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومئة وله ست وثلاثون سنة ، ويقال تسع وثلاثون سنة ، ويقال إثنان وأربعون سنة ، ويقال خمس وأربعون وأشهر ، وكان الشيب قد وخطه ولم يصلّ عليه أحدٌ ودفن بالبخراء ، ثم أنه حُمل إلى دمشق سرّاً فدفن في المقبرة التي عند باب الفراديس ليلاً ، وحُمل رأسه إلى يزيد فنُصب عند باب الفراديس .

قالوا : وتغيّب عثمان والحكم ابنا الوليد بن يزيد في سرب القصر فطلبهما عبد العزيز فوجدهما في السرب فأتى بهما يزيد ، فدفعهما إلى عمهما سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، فمكثا عنده أياماً ثم ردّهما وقال : قد كثر اختلاف الناس إليهما ، وقد كان أبوهما بايع لهما فأخاف أن أغلب عليهما فإن في الناس غواة ، فأمر يزيد بحبسهما فحبسا في الخضراء ، فدخل عليهما الأفقم وهو يزيد بن هشام السجن ، وكان الوليد قد ضربه وحلقه فشتم أباهما ولعنه فبكى الحكم فزجره أخوه عثمان وقال : اسكت وقال للأفقم : ويحك تشتم أبي ؟ قال : نعم فقال عثمان : لكني لا أشتُم عمي هشاماً ، وايم الله لو كنتَ من بني مروان ما شتمت أبي ولكنك لست من بني الحكم ، فانظر إلى وجهك في المرآة فإن رأيت حكميّاً يشبهك فأنت منهم ، ولا والله ما في الأرض حكميّ مثل وجهك .

قال أبو الحسن المدائني ، قال محمد بن راشد الخزاعي : دخلتُ على الحكم وعثمان وهما محبوسان بالخضراء فحادثتهما ساعة ، فقال الحكم : ما أصابني في هذا الأمر شيء كان أغيظ لي من ذهاب بغلي

المديزج ، قال قلت : قبّح الله رأيك قُتل أبوك وسُلبت ملكك فلم يعظم عليك ذلك وتتلهّف على بغل ذهب منك .

وقال أبو الحسن : قُتل الوليد يوم الأربعاء[1] ليومين بقيا من الشهر سنة ست وعشرين ومئة ، وكانت ولايته سنة ونصفاً ، فلما قُتل الوليد اختلف بنو مروان بينهم ، وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك محبوساً بعَمّان فخرج من السجن فأخذ جميع ما كان بعمّان من المال وأقبل إلى دمشق وجعل يلعن الوليد بن يزيد ومن يهوى هواه ويعيبه ويكفّره ، وقال ابن ميّادة[2] المرّي ، وميّادة أمه واسمه الرمّاح بن الأبرد بن ثريان بن سراقة بن سامي بن ظالم بن جذيمة : [من الوافر]

ألا يـــا لَهْفَتَـــيَّ علـــى وَليـــدٍ	غَـداةَ أصـابَـهُ القَـدَرُ المُتـاحُ[3]
ألا أبكـي الـوليـدَ فتَـى قُـريـشٍ	وأسمَحَهـــا إذا عُـــدَّ السَّمـــاحُ
وأجبـرَهـا لـذِي عظـمٍ مَهيـضٍ[4]	إذا ضَنَّـــت بـــدرَّتِهـــا اللِّقـــاحُ

---

(١) كان أهل حمص مع الوليد بن يزيد حتى أنها حاربت مع أبي محمد السفياني طالبةً بدمه رغم أنهم يمانيين مخالفين بذلك جميع اليمانية لطلب بثأر خالد بن عبد القسري وأرى أن الناس شنعوا عليهم بأن يوم الأربعاء تصيبهم لوثة من شدة حزنهم على الوليد بن يزيد وبقي هذا القول يقال لأهل حمص حتى يومنا هذا ، والله أعلم .

(٢) ابن ميادة وهي أمه أم ولد بربرية ويروى أنها كانت صقلبية وصقلب بلد في الأندلس من أعمال شنترين ، شاعر مخضرم فصيح من شعراء الدولتين وكان هجّاءً يسابّ الناس ونسبه عند ابن الكلبي في الجمهرة لوحة رقم : ١٢٧ كالتالي : الرمّاح (ابن ميّادة) بن الأبرد بن ثريان بن سُراقة بن سلمى بن ظالم بن جَذِيمة بن يربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٣) المتاح : المقدّر ، يقال أتاح الله له خيراً أو شرّاً أي قدّره .

(٤) المهيض : المكسور ، يقال : هاض العظم يهيضه هيضاً فانهاض ، أي كسره بعد الجبور .

لقد فَعَلتْ بنو مروانَ فِعلاً وأمراً ما يسوغُ بِهِ القَراحُ[1]
فَظَلَّ كأنَّهُ أَسَدٌ عَقِيرٌ تُكسَّرُ في مَنَاكِبِهِ الرِّماحُ[2]

وقال بعضهم : [من البسيط]

أُمَّ الوليدِ فَشُقِّي الجَيْبَ وانتحري إن الوليدَ وربِّ البيتِ قد قُتِلا

وقال أبو محجن مولى خالد بن عبد الله : [من البسيط]

لو شَهِدوا حدَّ سَيْفي حينَ أُدْخِلُهُ في استِ الوليدِ لماتوا عِنْدَهَا كَمَدَا

وكان أدخل سيفه في استه .

---

(١) القراح : الماء الخالص الذي لا يخالطه شيء .
(٢) وردت هذه القصيدة في الأغاني ج : ٢ ص : ٢٧٥ ط : ثقافة بيروت من دون البيت الخامس .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

١٩٧ـ قالوا : ولما قُتل الوليد بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وكان أقيل[١] ويكنى أبا خالد ، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان كسرى بن قُباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف بن أردشير ، وجعل أخاه إبراهيم بن الوليد وليّ عهده ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، لقيامه له بما قام به من محاربة الوليد ، فبويعا أيضاً في سنة ست وعشرين ومئة ، ونقص يزيد بن الوليد الناس العشرات التي كان الوليد زادهم إيّاها فسمّي يزيد الناقص .

قال المدائني : سمّي ناقصاً لأن مروان[٢] سماه ناقصاً حين ولي ، وكان ناقص العقل ، والثبت أنه نقص الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد فسمّي ناقصاً ، والله أعلم .

وقال أبو الحسن المدائني : كان يزيد بن الوليد أسمر مديد القامة صغير الرأس ، وكان جميلاً وفي فمه بعض السعة ، وأمّه أم ولد من ولد المُخْدج بن يزدجرد ، وكان المُخْدَج ولد بخراسان فلما فتح قُتَيبة[٣] بن

---

(١) القَيلة والقِيلة : الأدرة والأدرة وهو انتفاخ الخصية .

(٢) يعني مروان بن محمد بن مروان وهو الملقب بالجعدي آخر ملوك بني أمية .

(٣) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حُصين بن ربيعة بن خالد بن أَسِيد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك (باهلة) بن منبه (اعْصُر) بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

مسلم ما فتح من خراسان ، أصاب جاريةً من ولد المُخدج بن يزدجرد فبعث بها إلى الحجاج بن يوسف ، فأهداها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له يزيد بن الوليد .

وكان ليزيد بن الوليد من الولد : أبو بكر وعبد المؤمن وعلي وأمهم من كلب من ولد زبّان[1] الكلبي ، وعبد الله أمه أم ولد ، وخالد والوليد قتلهما مروان حين أسرهما . ويزيد القائل : [من الرجز]

أنـا ابـن كسـرى وأبـي مـروان   وقيصر جدّي وجدّي خاقان[2]

وليس إبراهيم أخي يزيد لأمّه ، إبراهيم لأمّ ولدٍ أخرى .

قالوا : وكان يزيد يعرف بالتنسّك والتألّه والتواضع ، وكان الوليد بن عبد الملك يذكر ولده فيقول : عبد العزيز سيدهم ، والعباس أفرسهم ، ويزيد ناسكهم . وروح عالمهم ، وعمر فحلهم ، وبشرٌ فتاهم .

قالوا : وكان الوليد بن يزيد قد حجّ في سنة ست عشرة أو سنة سبع عشرة ، وحجّ أيضاً يزيد بن الوليد في تلك السنة ، فلما رآه يزيد وهو يطوف بالبيت ، قال : وربِّ هذه البنيّة إن هذا الذي يطوف كافرٌ بهذه البنيّة ، ولئن ولي أمر هذه الأمّة وأنا حيّ لأجاهدنّه .

قالوا : ولقي يزيد بن الوليد أيوبَ السختياني في السنة الذي حجّ فيها فكتب عنه ، وكان يزيد كثير الصلاة طويل الليل .

---

(١) زبّان بن الأصبغ (أبي الزبّان) بن عمرو بن ثعلبة بن الحارس (الحرشاء) بن حصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب بن هُبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

(٢) ابن كسرى من أجداد أمه ومروان أبو جدّه ولا أعرف من أين أتى بقيصر وخاقان إلا أن تكون إحدى جداته لأمه رومية وأخرى تركية .

قالوا : وعتبته امرأته هند الكلبية ، فقالت : أوسع علينا وكانت تدعى ابنة الحضرميّة لأن أمها التي قامت عنها من حضرموت ، وذلك حين ولي فقال : قد فسدتِ عليّ فيمن فسد ، أما لو علمت أنكم تميلون إلى الدنيا هذا الميل ، لكان أن أخُرّ من السماء إلى الأرض أحبّ إليّ من أن ألتبس بما التبستُ به ، ومالك في هذا المال إلا ما لسوداء أو حمراء من المسلمين ، ولكن يا قطر ائتيني بثيابي فجاءت بتخت ، فقال لها : هذه ثياب كنتُ أتزيّن بها فشأنك فخذيها فإنه لا حاجة لي اليوم فيها ، فأما مال المسلمين ولا حقّ لي ولا لك فيه إلا مثل ما للمسلمين .

قالوا : ولما قُتل الوليد خطب يزيد فقال ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وسلم : أيها الناس إني والله ما خرجتُ بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وما أقول هذا إطراءً لنفسي إني لظلومٌ لها إن لم يرحمني ربّي ، ولكني خرجتُ غضباً لله ولدينه وداعياً إلى الله وكتابه وسنّة نبيّه ، لمّا هُدمت معالم الدين وعُفي أثر الحقّ ، وأطفىء نور الهدى وظهر الجبار العنيد المستحلُّ لكل حُرمة ، والراكب لكلّ بدعة ، مع أنه والله ما كان يصدّق الكتاب ولا يؤمن بيوم الحساب ، وإنه لابن عمي في النسب ، وكفء في الحسب ، فلما رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى غيره ، ودعوتُ إلى مجاهدته فأجابني من أجابني من أهل ولايتي ، وسعيتُ عليه حتى أراح الله منه العباد بحول الله وقوّته لا بحولي وقوّتي .

أيها الناس إن لكم ألاّ أضع حجراً على حجر ولا لبنةً على لبنةٍ ولا أكري فيكم نهراً ، ولا أبني قصراً ولا أكنز مالاً ولا أوثر به زوجةً ولا ولداً ، ولا أنقل مالاً من بلدٍ إلى بلد حتى أسدّ ثغره وخَصاصة أهله بما يعينهم ، فإن فَضل فضلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه مما هو إليه أحوج ،

ولكم عليّ ألا أجمّركم[1] فأفتنكم ولا أفقّر أهليكم ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويّكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلّيهم به عن بلادهم ولكم عندي إدرار أعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم .

فإن أنا وفيت لكم بما قلتُ فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة ، وإذا أنا لم أفِ لكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني فإن تبتُ قبلتم مني ، وإن علمتم مكان رجلٍ يُعرف بالصلاح فعليكم من نفسه ما أعطيتكم فبايعوه إن أردتم ذلك فأنا أوّل من يبايعه وندخل في طاعته .

أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

أحدهم يفضّله على عمر بن عبد العزيز :

١٩٨ـ ودعا الناس إلى البيعة فجدّد بيعة أخرى ، فكان [٦٨/٥٩٧] أوّل من بايعه يزيد الأفقم وبعضهم يقول الأشدق بن هشام بن عبد الملك ، وقام قيس بن هانىء العبسي ، فقال : يا أمير المؤمنين دُمْ على ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحدٌ من أهلك ، ولئن قالوا عمر بن عبد العزيز فإنك أخذتها بسبب صالح وأخذها بسبب سوء .

فلما بلغ مروان بن محمد قوله ، قال : قاتله الله عابنا جميعاً ، فلما ولي مروان أمر أن يُطلب في المسجد فوُجد يصلي فأتي به فقتله .

قيس لم تكن مع يزيد بن الوليد :

١٩٩ـ قالوا : وأتى يزيدُ بن عجوة[2] الغساني يزيدَ ، فقال : يا أمير

---

(١) جمّر الجند : أبقاهم في ثغر العدو ولم يقفلهم ـ اللسان ـ .

(٢) عند الطبري ج : ٧ ص : ٢٧١ يزيد بن حجرة الغساني . وأعتقد أن البلاذري أصح والله أعلم .

المؤمنين إني لا أرى أحداً من قيس غشيك ولا وفد بابك ، وما قلوبهم بالمنشرحة لك ، فقال يزيد : لولا أني أكره البسط لعاجلتُ قيساً بالمكروه والله ما عزّت قيس قطّ إلا ذلّ الإسلام .

وقالوا : ولّي يزيدُ بن الوليد منصورَ بن جمهور الكلبي العراق ، ويقال بعثه خليفة للحارث بن العباس بن الوليد ابن عبد الملك وأمره أن يحمل يوسف بن عمر إلى ما قبله ، وقال بعضهم : لم يولّه العراق ولا بعثه خليفةً لأحدٍ ولكنه وجّهه لحمل يوسف ولكنه ورّى بذكر خلافة الحارث عن أمره ، فهرب يوسف بن عمر الثقفي وكان عامل هشام والوليد من بعده على العراق وأتى دمشق فأُخذ وأُتي به يزيد فحبسه مع عثمان والحكم ابني الوليد ، وقال قوم : إن منصور أتى العراق متغلّباً فهرب منه يوسف ، وليس ذلك بثبت .

ويقال إن يوسف أتى يزيدَ حتى وضع يده في يده فقال له يزيدُ : لستُ أطالبك بحقدٍ ولا إحنةٍ ولكني أريدُ أخذك بمال المسلمين حتى أستخرج لهم حقّهم الواجب لهم ، وأمر بحبسه ومحاسبته ، وكانت اليمانيّة ويزيد بن خالد بن عبد الله حقدوا على يوسف عذابه خالداً حتى قتله ، فدعا اليمانيّةُ يزيدَ إلى الطلب بدم أبيه فوثبوا بيوسف فقتلوه ونصبوا رأسه بدمشق ، وذلك في أيام يزيد بن الوليد .

وكانت ولاية يزيد الناقص ستة أشهر ، ويقال خمسة أشهر وأياماً .

وقال الهيثم بن عديّ : خرج سليمان بن هشام من محبسه حين قُتل الوليد ، ونفذ منصور بن جمهور على حاميته في خمسة آلاف إلى العراق فهرب يوسف بن عمر إلى منزله بالبلقاء ، فوجّه إليه يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وهو على شرطة يزيد بن الوليد محمد بن سعيد الكلبي من أهل المزّة ، فوجده في قرية له بأرض البلقاء ، ففتّش داره فاستخفى بين إمائه

وبين الحائط ، فأخذ ابناً له فضربه ، فقال : ذاك أبي فأخذه وقدم به على يزيد بن الوليد ، فلم يزل محبوساً في خلافته وفي أيام إبراهيم بن الوليد أخيه ، حتى بلغ يزيد بن خالدٍ قدوم مروان بن محمد الجعدي للطلب بدم الوليد ، فأخرجه يزيد بن خالد فقتله .

قالوا : ولما قدم منصور بن جمهور العراق ، قال الناس : منصور بن جمهور ، أميرٌ غير مأمور ، أتانا بالعهد منشور ، وفيه الكذب والزّور ، وكان الصبيان والخدم يقولون هذا في الطرق .

ثم ولي يزيد بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز العراق ، وقد كتبنا خبره مع نسبه .

قالوا : وكتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق . وكان كاتبه ثابت بن سليمان بن سعيد : أما بعد فإن الله اختار الإسلام وارتضاه وأظهره وطهّره وافترض فيه حقوقاً أمر بها ونهى فيه عن أمور حرّمها ابتلاءً لعباده ، فأكمل فيه كل عَدْلٍ وختم كل فصلٍ ، ثم تولاّه الله فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده وليّاً وناصراً ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً فيأخذ بأمر الله وحقّه فيناوئه مشاق ، أو يحاول صرف ما حباه الله به باغ ، إلا كان كيده الأضعفُ ومكره الأهون حتى يتمّ الله له ما أعطاه ويتولاّه فيما ولاّه ، ويجعل عدوه الأضل سبيلاً والأخسر عملاً ، فتناسخت خلفاء الله وولاة دينه قاضين بحكمه متّبعين لكتابه ، حتى أفضى الأمر إلى عدو الله الوليد المنتهك للمحارم الراكب للعظائم ، الذي لا يأتي مثلها مسلم ولا يقدم عليها كافر تكرّماً عن غشيان مثلها ، فلما استفاض ذلك وعلن واشتدّ فيه البلاء وسفكت الدماء وأخذت الأموال بغير حقّها ، مع أمور فاحشة لم يكن الله ليُملي لمن عمل بها ، سرتُ إليه بعد انتظار مراجعته منكراً لعمله وما اجترأ عليه من معاصي الله ، راجياً من الله إتمام ما نويت في ذلك من

اعتدال عمود الدين ، والأخذ في أهله بما هو لله رضىً . حتى وافقت جنداً قد وغرتْ صدورهم على عدو الله بما رأوا منه مما لا مريّة فيه ولا شكّ ولا عليه غطاءٌ ولا به خفاءٌ ، فدعوتهم إلى تغيير ما أحدث من الأحداث التي بدّل بها أمر الله وسنن نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، فأسرعوا الإجابة ، وأحسنوا على الحقّ المعاونة ، فبعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فلاقى عدو الله ومن معه ، وهو بجانب قرية من قرى حمص تدعى البخراء فدعاه إلى أن يجعل الأمر شورى ، ينظر فقهاء المسلمين وصلحاؤهم فيه لأنفسهم فأبى ذلك متتابعاً في ضلالته ، فقتله الله على شرّ عمله وأسوء أثره بين عصبة من بطانته الخبيثة ، فأطفأ الله جمرته وأراح العباد منه ، فبعداً له ولمن كان على طريقته .

أحببت أن أعلمكم ذلك لتحمدوا الله عليه وتشكروه ، فبايعوا منصور بن جمهور لأمير المؤمنين فقد ارتضيته لكم وولّيته أمركم ، فإن العدل مبسوط لكم لا يُسار فيكم بخلافةٌ إن شاء الله ، نسأل الله ربّنا وليّنا حسن توفيقه وتسديده ، وكتب لليلتين خلتا أو بقيتا من رجب سنة ست وعشرين ومئة .

المدائني قال : كان عامل الناقص على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وعلى مكّة والمدينة عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، وعلى مصر إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز ، ويقال إنه ولاّه إياها فلم يقبل عهده على مصر .

قالوا : ولما مات يزيد الناقص بن الوليد وثب الحكم[1] بن

---

(١) الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع بن روح بن سلامة بن حُداد بن حديدة بن أميّة بن امرىء القيس بن حماية بن وائل بن مالك بن زيد مناة بن أفصى بن سعد بن إياس بن=

ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي بأرض فلسطين فخلع واستمال لخماً[1] وجذاماً ودعا لسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وأقام منصور بن جمهور بالعراق ، وكان قد انضمّ إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز حين ولاّه يزيد العراق ، فأكرمه وقدّمه وصفح عمّا صار إليه من المال .

وقال الهيثم بن عديّ : لم يصف ليزيد بن الوليد إلاّ دمشق ومات بعد أشهر .

وقال ابن الكلبي : أقام منصور مع ابن عمر ، ثم وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق فقدم واسطاً وبها ابن عمر فحاصر ابن هبيرة ابن عمر ثم أخذه وبعث به إلى مروان فحبسه بحرّان ، وخالف منصور بن جمهور[2] وجعل يجبي مال الجبل ويحمله إلى شيبان الخارجي وهو بكرمان ، ومضى إلى السند فغلب عليها حتى كانت دولة بني العباس ، وبعث أبو مسلم عامله فركب منصور المفازة حتى مات عطشاً ، وقد كتبنا قصتهم على التمام فيما تقدم من الجزء الذي قبل هذا .

وكان موت يزيد بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة ، ويقال ابن نيف وثلاثين سنة ، ويقال ابن ثلاثين سنة ، وصلى عليه إبراهيم أخوه وولّي عهده ، وكان أخوه العباس قد مات من جراحة أصابته يوم حروب الوليد ، وقيل إنه بقي بعد ذلك معتزلاً منفرداً حتى توفّي .

= حرام بن عمرو (جذام) بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

(١) لخم واسمه مالك بن عدي بن الحارث أخو جذام .

(٢) جاء في أصل المخطوطين : منصور بن مروان وهو سهو من الناسخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك

٢٠٠ـ قالوا : بويع إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ويكنى أبا إسحاق وأمه أم ولد ، وهو المخلوع بالخلافة في أول سنة سبع وعشرين ومئة بعد موت أخيه يزيد الناقص .

وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم حين قُتل الوليد قدم الجزيرة فدعا إلى نفسه سرّاً وسمّى الوليد الخليفة المظلوم ، وأظهر أنه مطالبٌ بدمه ، وقال : إنما قتلته قدريّة غيلانيّة ، فبايعه خلق من أهل الجزيرة ، ثم أظهروا أمره بعد بيعة إبراهيم بن الوليد بشهر أو أكثر منه بأيام بحرّان وقال : أمري شبيه بأمر معاوية ، حين طلب بدم الخليفة المظلوم عثمان .

ثم إنه سار بأهل الجزيرة وقِنّسرين وحمص يريد إبراهيم ، وبعث إلى الناس انهضوا لمحاربة هذا [٥٩٧/٦٨] القدري أخي القدريّ الغِيلانيّ المبتزّ لأمور الناس الآمر بالبدعة والضلالة ، فإن جهاده واجب على كل مسلم ، فقد كنتُ على مجاهدة أخيه فسبقني به أجله وصار إلى نار الله وحرّ سعيره مبتدعاً ضالاً .

فوجّه إليه إبراهيم بن الوليد أخويه بشر بن الوليد ومسرور بن الوليد ، فأسرهما وفضّ عسكرهما ، فوجّه إليه إبراهيم سليمان بن هشام بن عبد الملك في خيول أهل دمشق ، فالتقيا بعين الجرّ من البقاع من عمل بعلبك وذلك في صفر سنة سبع وعشرين ومئة فتناوشوا يومهم ، ثم بكّروا إلى الحرب فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه فانهزم سليمان ومن معه وكان محدوداً ،

فلحقوا بإبراهيم .

وكتب مروان إلى وجوه أهل دمشق كتباً يعلمهم فيها أن الذين بايعوا يزيد الناقص شرارهم ورعاعهم وغواتهم ، ويدعوهم إلى طاعته ويعدهم ويمنّيهم ويحلف لهم على الوفاء والإحسان . فانتقضوا على إبراهيم ونزل مروان بن محمد الغوطة ، فخرج إليه خلق من الناس فبايعوه .

فلما رأى ذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري أخذا عثمان والحكم ابني الوليد بن يزيد فقتلاهما في محبسهما وخافا أن يخلصا ، فكان الناس يقولون : يا معشر الفتيان أين الحكم وعثمان .

وقال بعض الرواة : إنهما قتلا يومئذ يوسف بن عمر .

وقال بعضهم : قُتل في أيام يزيد بن الوليد ، قتله يزيد بن خالد واليمانيّة .

قال أبو الوليد هشام بن عمّار : قَتْله في ولاية يزيد أثبت لأنّه بلغنا أن الناقص ، قال : عجّلتم بقتله قبل أخذ ما عليه للمسلمين من الأموال .

قال هشام بن عمار : وسمعت من يقول : إن الحكم وعثمان قُتلا حين تحرّك مروان من حرّان وقبل نزوله الغوطة والله أعلم .

وقال الشاعر حين أقبل مروان : [من الرجز]

أَتــاكَ مــروانُ شبيــهُ مــروانْ يقــود جيشــاً غضبــاً للــرحمــنْ
بِتَغْلــبَ الغَلْبَــاء وقَيْــسِ عَيْــلانْ

وقال بعض أصحاب إبراهيم :

قــد جــاءَ مــروانٌ شَبيــهُ مَــروانْ يقــودُ جيشــاً غَضَبــاً للــرّحمــنْ
بتغلِــبَ اللُّــؤمِ وقيــسِ عَيْــلانْ

قالوا : ولما بويع مروان بالغوطة وقوي أمره ووهن أمر إبراهيم استخفى إبراهيم بن الوليد حتى أُخذ له الأمان ثم ظهر ، فكان مع مروان وفي طاعته ولم يزل حيّاً حتى قتله عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس سنة اثنتين وثلاثين ومئة مع من قتل من بني أميّة .

ويقال : إنه أتى مروان خالعاً لنفسه حتى وضع يده في يده فاعتذر إليه .

ويقال أيضاً : إن مروان ظفر به فقتله وصلبهُ ، والخبر الأول أثبتُ .

وكانت أيام إبراهيم أربعة أشهرٍ ويقال ثلاثة أشهرٍ ، وبعضهم يقول : أربعين يوماً .

ولما دخل مروان دمشق طلب عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسري فظفر بهما فقتلهما بعثمان والحكم وصلبهما على باب الجابية ، ويقال على باب الفراديس بدمشق .

قال هشام بن عمار : كان الذي ظفر بهما زامل بن عمرو الجذامي عامل مروان ، وبايع مروان لابنيه عبد الملك وعبيد الله .

أمر أبي محمد السفياني بعد مقتل الوليد :

٢٠١ـ قالوا : لما قُتل الوليد غضب له مروان بن محمد بن مروان ، ومروان بن عبد الله بن عبد الملك ، وأبو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وكان مروان بن عبد الله عاملاً للوليد على حمص وكان من سادة بني مروان نبلاً وفضلاً وكمالاً ، فأكبر قتل الوليد ودعا أهل حمص إلى الطلب بدمه فأجابوه وتأهّب للمسير إلى يزيد بن الوليد الناقص ، فوقع بينه وبين أبي محمد السفياني اختلاف ، فقال أبو محمد زياد بن عبد الله السفياني : يا أهل حمص إن مروان بن عبد الله يريد

أن يُربّثكم عن الطلب بدم الخليفة ووقع فيه ، فوثب السمط[1] بن ثابت من ولد شُرحبيل بن السمط الكندي ، والصقر بن صفوان الكندي ، وغالب بن ربعي الطائي في جماعة وقتلوا مروان بن عبد الله بن عبد الملك ، فلم يشعر أبو محمد السفياني إلا برأس مروان بن عبد الله على رمح ، فاغتمَّ وقال : لم أردْ هذا قالوا : فقد كان ، فبايعوا أبا محمد السفياني وأقبل حتى نزل جوسلية وهو حصن من حصون حمص ، وبلغ يزيد بن الوليد الناقص أمرَهُ ، فوجّه إلى أهل حمص سليمان بن هشام وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فنزلا بثنيّة[2] العقاب ، وأقبل أبو محمد فنزل موضعاً يعرف بقُطيّفة هشام ، وكان هشام بن عبد الملك اتخذها فقصد سليمان بن هشام إلى أبي محمد فالتقوا بالسليمانيّة ، وكان سليمان بن عبد الملك اتخذها ، فقاتلهم أبو محمد فخذله جنده فأسر وقُدم به على يزيد الناقص ، فحبسه مع ابني الوليد الحكم وعثمان وأمر أيضاً بحبس يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان فحبس معهم .

وحدثني داود بن عبد الحميد عن أشياخه ، قالوا : لم تزل الغيلانيّة بيزيد الناقص حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده .

ومات يزيد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومئة ، ولم يتمّ لإبراهيم بن الوليد أمرٌ ، كان يسلّم عليه جُمعة بالخلافة وجمعة

---

(١) السَّمْطُ بن ثابت بن زيد بن شُرَحبيل بن السمط بن الأسود بن جَبَلَة بن عديّ بن ربيعة بن معاوية (الأكرمين) بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن عمرو (مرتع) بن معاوية بن ثور (كندة) بن عُفير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان .

(٢) هي ثنية مشرفة على غوطة دمشق أتى خالد بن الوليد من العراق فأغار على غسان في مرج راهط في يوم فصحهم ثم سار إلى الثنيّة التي تعرف بثنية العقاب فنشر رايته وهي راية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكانت تسمى العقاب علماً لها ـ معجم البلدان ـ .

بالإمارة ، وكان يقال له الصلتان وكانت أمه بربريّة ولم تكن أم يزيد الناقص ، وقال بعض الشعراء : [من الطويل]

نُبـايِـعُ إبـراهيـمَ فـي كُـلِّ جُمْعَـةٍ أَلا إِنَّ أمـراً أَنْـتَ واليـهِ ضَـائـعُ
نُبـايِـعُ إبـراهيـمَ فـي كُـلِّ جُمعـةٍ فكَمْ كَمْ إلى كم كُلِّ يومٍ نُبايِعُ

فما زال على هذه الحال حتى قدم مروان فخلع نفسه ، وقَتل مروان عبد العزيز بن الحجاج وإبراهيم الخشبي من أولاد المختاريّة .

قالوا : ولما ولي مروان بن محمد نبش قبر يزيد بن الوليد بن عبد الملك واستخرجه وصلبه ، فيزعمون أنّهم وجدوا كتاباً فيه : يا مبذّر الكنوز يا سجّاد الأسحار ، كانت ولايتك لهم رحمةً وعليهم حجةً ، أخذوك فصلبوك ، وقد ذكر بعضهم أن الناقص سئل أن يولّي أخاه إبراهيم عهده فلم يفعل ، فلما أُغمي عليه أو مات كتب قطن كتاباً وختمه بخاتم الناقص عهداً لإبراهيم بالخلافة .

يوم القاع ويوم الفلج الأول باليمامة :

٢٠٢ـ قالوا : لما قتل الوليد كان على اليمامة من قبل يوسف بن عمر الثقفي ، علي بن المهاجر بن عبد الله الكلابي ، فقال له المُهَيّر بن سُلمى بن هلال أحد بني الدّيل بن حنيفة : أَخْلِ لنا بلادنا ، فأبى ذلك فجمع له المهيّر وسار إليه وهو في قصره بقاع حَجْر[1] فالتقوا بالقاع بسوق حَجْر فهزمه المهيّر حتى أدخله قصره ، وخرج من ناحية القصر فهرب إلى المدينة ، وقتل المهير بن سلمى ناساً من اصحابه ، وكان يحيى بن أبي حفصة أشار على ابن المهاجر أن لا يقاتل فعصاه فقال : [من الوافر]

بَـذَلْـتُ نَصيحَتِـي لِبَنـي كِـلابٍ فلـم يقبَـلْ شـوارتـي وَنُصحـي

(١) حَجْر : كورة اليمامة ـ معجم البلدان ـ .

فِـدىً لبَنـي حنيفَـةَ مـن سـواهُـمْ فَــإنَّهــمُ فــوارِسُ كُــلِّ فَتْــحِ

وقال شقيق بن عمرو السدوسي : [من الطويل]

إذا أَنتَ سالمتَ المهيّر ورَهْطَهُ أَمِنْتَ من الأعداءِ والخوفِ والذُّعْرِ

بِــهِ دَفَــع اللهُ النِّفــاقَ وأهلَــهُ وَأَحيا بِهِ أَهْلَ المجاعَةِ والفَقْرِ

فَتىً راحَ يوم القاعِ روحَةَ ماجدٍ أَرادَ بها حُسْنَ السَّماعِ مَعَ الأَجْرِ

وتأمّر المهيرُ على اليمامة ، وكان على شرطه عبد الحكم بن حكّام العُبيدي ، فركب المهير والناس معه ، فشدّ قوم على عبد الحكم فقتلوه ، فقال القُحيف[1] العُقَيلي : [من الوافر]

لَقَــد جَمَــعَ المهيــرُ لَنَــا فَقُلْنَــا أَلَسْنَــا نَحْــنُ عَــرْضَتُنــا الجُمُــوعُ

ثم مات المهير واستخلف عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل .

قالوا : فاستعمل عبد الله بن النعمان المندلث بن إدريس الحنفي على الفَلْج ، والفلج قرية من قرى بني عامر بن صعصعة .

وقال عمّارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطيّة بن الخطفى ، هي لبني نُمَير ، فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ومنهم بنو عُقَيل ، وأتوا الفلج فقاتلهم المندلث بالفلج فقُتل المندلث قتله رحّال بن فروة القشيري وقتل أكثر أصحابه ، وظفرت بنو عامر ولم يقتل منهم كبير أحدٍ ، وقتل يومئذ يزيد بن[2] المنتشر ، وأمه الطثرية من طثر بن عنز بن وائل وكان

(١) القحيف العُقيلي : وعقيل بطن من بني عامر بن صعصعة وهو ابن حُمَيّر بن سُليم بن عوف بن حزن بن معاوية (خفاجة) بن عمرو بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة جاء في الأغاني ج : ٢٣ ص : ٢٤٣ ط : ثقافة بيروت ، أحد بني قُشير وهذا خطأ ليس في نسبه قشير وقشير هو أخو عقيل . وهو شاعر مقلّ من شعراء الإسلام .

(٢) جاء في المخطوطين يزيد بن يزيد وهو سهو من الناسخ وكان يلقّب مودقاً لحسن وجهه =

معهم ، فقال القُحيف : [من الرجز]

إن تقتلو منّا شهيداً صابِرا فقد تركنَا منكمُ مَجازِرا
خمسٌ متى لم يدخُلوا المقَابِرا[1]

[٦٨/٥٩٨] وقال ثور بن الطثرية يرثيه : [من الطويل]

أَرى الأَثْلَ من نحوِ العَقيقِ مُجاوري مُقيماً وقَدْ غالَتْ يزيدَ غوائلُهْ
مَضَى فَورِثْناهُ دِلاصاً مُفاضةٍ[2] وأبيضَ هندياً طويلاً حَمائِلُهْ
وقد كانَ يحمي المَحْجَرْيْنِ[3] بسيفِهِ ويبلُغُ أَقْصى حَجْرةَ الحيِّ نائلُهْ[4]

في أبيات : .

وقال القحيف : [من الوافر]

أتانا بالعقيقِ صَريخُ كَعْبٍ فَحَنَّ النَّبعُ والأَسَلُ النِّهالُ[5]

يوم الفلج الثاني

٢٠٣ـ لما أتى عبدَ الله بن النعمان خليفة المهير قتلُ المندلث ، جمع جمعاً بلغ ألفاً من حنيفة وغيرها من ساكني اليمامة فغزا الفلج ، فلما تصاف الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم[6] العُقيلي، فقال الراجز:

= وحسن شعره وحلاوة حديثه قيل إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة وعرف باسم أمّه الطثرية قيل إنها من عنز وائل وقيل إنها من جرم بن ربان . الأغاني ج : ٨ ص : ١٥٧ .

(١) ذكرها صاحب الأغاني ج : ٨ ص : ١٨٣ . ط : ثقافة بيروت .
(٢) دلاص : الدروع ، المفاخبة : الدروع الواسعة .
(٣) المحجر : الحرم وما يمنعه القوم .
(٤) ذكرها صاحب الأغاني ج : ٨ ص : ١٨٤ـ١٨٥ ط : ثقافة بيروت .
(٥) ذكرها صاحب الأغاني : ج : ٢٣ ص : ٢٥٠ .
(٦) مسلم بن ربيعة بن عاصم بن جزء بن عامر بن عوف بن عُقيل .

[من الرجز]

فَــرَّ أبــو لطيفَــةَ المنــافــق والجَعْــوَنِيّــان وَفَــرَّ طَــارِقْ
لمــا أحــاطَــتْ بهــمُ البَــوارِقْ والموتُ حيثُ الخرّقُ بِالخوانِقْ

طارق بن عبد الله القشيري ، والجعونيان من بني قُشير ، وتجلّلت بنو جعدة[1] البراذع[2] وقاتلوا حتى قتلوا إلا نفراً ، وقطعت يد زياد بن حيّان الجعدي فجعل يقول : [من الرجز]

أَنْشُــدُ كفّــاً ذَهَبــتْ وسَــاعِــدا أنْشُــدُهــا ولا أرانــي واجــدا

ثم قُتل ، وقال الأسوار بن عمرو مولى بن هَزّان[3] : [من الطويل]

سَلُوا الفَلَجَ العادِيَّ عنّا وعنكمُ وأطْمـةَ إذ سـألْـت مَـدافِعُهـا دَمَـا
عَشِيَّـةَ لـو شِئنـا سَبَيْنـا نسـاءكـمُ ولكــنْ صَفَحنــا عِفّــةً وتكَــرُّمــا

وقال بعض الربعيين : [من الطويل]

سَمَوْنَا لِكَعْبٍ بالصَّفَائِحِ والقَنَا وَبالخَيْلِ شُعْثاً تَنْتَحِي في الشَّكائِمِ
فَمَا غَابَ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى رَأَيْتَنَا نَسُوقُ بني كَعْبٍ كَسَوْقِ البَهَائِمِ
بِضَرْبٍ يزيلُ الهَامَ عَن سكَنَاتِهِ وَطَعْـن بـأفـواهِ المـزادِ الثـواجِـمِ
وَفَــرَّ أبــوكِ يــا لُطَيفــة هــاربــاً ولـم يَنْجُ من أَسْيَافِنَا وَهْوَ سالمُ

---

(١) بنو جعدة بطن من بني كعب وهو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

(٢) برذع : البرذعة : الحلس الذي يُلقى تحت الرحل والجمع البراذع ، وخصّ بعضهم به الحمار ـ اللسان ـ .

(٣) بنو هِزّان : بطن من قبيلة عنزة بن أسد بن ربيعة وهو هِزّان بن صُباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة والنسبة إلى عنزة عَنَزِيّ والنسبة إلى عنز بن وائل عَنْزِيّ .

يوم معدن الصحراء

٢٠٤ـ وأغارت بنو عُقيل وقُشير وجعدة بن كعب ونمير بن عامر بعد الفلج الثاني وقد تجمعوا عليهم بنو سهلة النميري ، على من كان من حنيفة بمعدن الصحراء ، فقتلوا من وجدوا من بني حنيفة ، وسلبوا نساءهم وكفّت بنو نمير عن النساء غير أن رياح بن جندل بن الراعي سبى امرأة واحدة مُخَصَّلةً بخصل الفضة ، فقال القحيف : [من الطويل]

وَرِثْنا أَبانَا عامِراً مَشْرَفِيَّةً   صفائح فيها اليومَ أنصافُ مآيها
ضَرَبْنَا بِها أعناقَ بكرِ بنِ وَائِلٍ   جَهاراً وجاوزْنَا بها مَنْ ورآيها

يوم النشّاش

٢٠٥ـ قالوا : ولما أوقع بالعامريين يوم الفلج الثاني ، قال عمر بن الوازع الحنفي : لستُ بدون عبد الله بن النعمان وغيره ممّن يغيروا ، هذه فترة يؤمن فيها السلطان[1] فمضى يريد أضاخ[2] فلما كان بأرض الشريف بثّ خيله فأغارت وأغار فملأ يده من الغنائم ، وأقبل ومن معه حتى نزلوا النشّاش[3] ، وأقبلت بنو عامر حاشدة حتى أغارت فلم يرع عمر بن الوازع إلا رغاء الإبل .

---

(١) عندما يضعف السلطان تعود القبائل إلى عاداتها الجاهلية فعند ضعف سلطان مروان وابنه عبد الملك أيام عبد الله بن الزبير أغارت كلب على قيس وكذلك العكس وأغارت قيس على تغلب ، والآن عندما ضعف السلطان بدأت الغارات .

(٢) أضاخ : من قرى اليمامة لبني نمير ، وأضاخ سوق وبها بناء وجماعة ناس ـ معجم البلدان ـ .

(٣) النشاش واد كثير الحمض كانت فيه وقعة بين بني عامر وبين أهل اليمامة ـ معجم البلدان ـ .

فجمع ابن الوازع النساء في فسطاط وأقام عليهنّ حرساً من ثقاته ولقي القوم فقاتلهم ، فهُزمت حنيفة ومن معها وهرب ابن الوازع فلحق باليمامة ، وتساقط منهم خلق في قلب النشّاش من العطش وشدّة الحرّ ، فطُلب ابن الوازع فلم يُقدر عليه ، ورجعوا بالأسرى والنساء ، فقال بعض بني نمير : [من الوافر]

إذا عُـدَّ الفَعَـالُ وجـدتُ قَـومـي ... نميــراً بــذَّ فعلُهُــم الفَعــالا
هُـمُ قَتَلـوا البهيـمَ بِهـا وجَـوْنـاً ... عــلانِيَــةً ومــا قُتــلا اغتِيــالا

بهيم بن عزّة ، وقال حديج النميري : [من الطويل]

كـأَنَّ أبـانـا عـامِـراً لـم يَلِـدْ لَنَـا ... أخاً غيرَ نصلِ السَّيفِ عندَ الشَّدائِدِ
فنحـنُ نـداوي بـالقَنـا صَفَحـاتِهِـمْ ... وبـالبِيضِ نُخليها مَنَاطَ القَلائِدِ

وقال دَلم بن صامت النميري : [من الرجز]

أَنَـا النّميـريُّ الّـذي يَحمـي مُضَـرْ ... يرفَعُ مِنْ أبصارِهم فوقَ البَصَرْ
مبـارَكُ الـرّايـةِ مـرزوقُ الظَّفَـرْ ... إنّ اليمـاميين فُـرسـانُ الحُمـرْ
لـم يَصْبِـروا للمشْـرَفيّـاتِ البُتُـرْ ... والطَّعـنِ بـالمُـرَّانِ أجـوافَ البُهَـرْ
لمّـا ضَـربنـاهُـمْ بصيّـاحٍ ذَكَـرْ ... طـائِـرُ عَنْـهُ القَيْـنُ شـدَّانُ الشَّـرَرْ

وقال القحيف أيضاً : [من الوافر]

وَبــالنَشَّــاشِ يــومٌ طــارفيــهِ ... لنــا ذِكــرٌ وعُــدَّ لنــا فعــالُ

وقال أيضاً : [من الوافر]

فِــداءٌ خــالَتــي لبَنــي عُقَيــلٍ ... وكَعْـب حيـنَ تـزدَحِـمُ الجـدودُ
وهُم تُركوا على الشَّاشِ صَرْعى ... بضـربٍ ثـمَّ أَهـونُـهُ شَـديـدُ

وقال حصين النميري : [من الرجز]

يــا دارَ جُمْـلٍ بلـوى مُتـالـعْ ... كـأَنَّهـا بعـد الجميـعِ الـرابـعْ

سحقُ يَمانٍ بعدَ لونٍ ناصعْ ... اللهُ لقّى عُمَرَ بنَ الوازعْ
دائرَةَ السُّوءِ بفَجعٍ فاجِعْ ... لما لقَوْنا خَلفَ الطّلائعْ
ولّوا شِلالاً كالنّعامِ الفازِعْ

وقال بعض بني نمير : [من الوافر]

فليتَ ابنَ المهيرِ رأى نُميراً ... بنشّاشٍ تُواجهنا النَّخيلُ
وفي أَيْمانِنا بيضٌ رِقاقٌ ... صوارِمُ ما يقومُ لَها قَبيلُ
غَزَا يَرْجو الغنيمَةَ مِن نُمَيرٍ ... فلم يَغْنَمْ وأعجزَهُ القُفولُ

وقال القُحيف العُقيلي : [من الطويل]

فَمَنْ مُبلغٌ عنّا قريشاً رِسالةً ... وأفناءَ قَيْسٍ حيثُ سارتْ وحَلَّتِ
بأَنّا تركْنا منْ حَنيفَةَ بعدَما ... أغارَتْ على أهلِ الحِمَىٰ ثمَّ وَلَّتِ
تَسُكُّ نميرٌ بالقَنَا صَفَحاتِهِمْ ... فكم ثَمَّ من نَذْرٍ لها قدْ أَحَلَّتِ

في أبيات ، وقال سعد بن خياش الغنوي[1] : [من الرجز]

نحنُ صَبَحنا عمر بن الوازع ... ملمومةً ذاتَ غُبارٍ ساطعْ
باكَرَهُ الوِردُ بموتٍ ناقِعْ ... تحتَ ظِلالِ الخِرَقِ اللَّوامعْ

وقال القُحيف : [من الطويل]

تركْنا على النشّاشِ بكرِ بنِ وائلٍ ... بطونَ السِّباعِ العاوياتِ قُبُورُها
قتلناهُمُ حتّى رفَعْنا أَكُفَّنا ... بمشهورَةٍ بيضٍ حِدادٍ ذكورُها
وشيبانُ قد كانتْ لحينٍ وشِقْوَةٍ ... كباحِثَةٍ عنْ شفْرةٍ تَسْتَثيرُها

قالوا : وكفّت قيسٌ يوم النشاس عن السلب ، فجاءت عُكْل[2] من

---

(١) نسبة إلى بطن غني واسمهُ عمرو بن منبّه (أعصر) بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .
(٢) قيس وعلي والحارث وسعد وجشم ابنا عوف ذي اللحية وسمي ذا اللحية لأنه كان ثطاً =

الحلّة فسلبتهم ، ولم يكن لحنيفة بعد هذا اليوم جمعٌ ، غير أن عبيد الله بن مسلم الحنفي جمع جمعاً وأغار على ماءٍ لقشير يقال له حلبان ، فقال الشاعر : [من الوافر]

لقد لاقَتْ قُشَيرُ يَوْمَ لاقَتْ عُبَيْدَ الله ِإحدى المنكراتِ
لقد لاقتْ على حلبانَ لَيْثاً هِزَبْراً لا ينامُ على التِّراتِ

وأغار على عكل وقتل منهم عشرين رجلاً ، فقال نوح بن جرير بن عطيّة : [من الطويل]

وضيّعتُمُ يا عُكْلُ بالسِّرِّ نِسْوَةً فباتَتْ عُلوجُ القَريتَينِ تكومُها

ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على اليمامة من قبل أبيه ، حين ولي العراق من قبل مروان الجعدي فوردها وهي سلم فلم يحارب ، وتشاهدت بنو عامر على بني حنيفة فتعصّب لهم المثنى بالقيسية فضرب عدّةً من بني حنيفة ، فقال بعضهم : [من الطويل]

[فـ] إنْ تضرِبونا بالسِّياطِ فإنّنا ضربْناكمُ بالمرهَفَاتِ الصَّوارِمِ
وإنْ تحلِقوا منا الرؤوسَ فإنّنا قطعْنا رؤوساً منكُمُ بالغَلاصمِ

ثم إن المثنى جعل يرفعهم إلى قاضيه طلحة بن إياس العدوي ، فلم تقبل شهادة عامري ، فهدأت البلاد وسكنت . ولم يزل عبيد الله بن مسلم الحنفي مستخفياً حتى قدم السَّريُّ بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب والياً على اليمامة من قبل العباس فدُلّ عليه فقتله لما صنع ، فقال نوح بن جرير : [من الطويل]

فلولا السَّريّ الهاشميّ وسيفه أعاد عُبيد الله شرّاً على عُكْلِ

= فهو من أسماء الأضداد بن وائل بن قيس بن عبد مناة بن أدّ بن عامر (طابخة) بن إلياس بن مضر وحضنت أولاد عوف ذي اللحية أمة له اسمها عكل فغلبت عليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر محمد بن مروان وولده

٢٠٦ـ وأما محمد بن مروان بن الحكم ويكنى أبا عبد الرحمن ، وأمه أم ولد وكان من أشدّ ولد مروان وأشجعهم في حسن خُلق ، وهو الذي حارب مصعب بن الزبير بن العوام فقتله بمسكن من أرض السواد ، وقتل إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وقد كتبا خبره .

وكان عبد الله بن يزيد بن معاوية متقدّماً محمد بن مروان عند عبد الملك ، وذلك لأنّ أخته عاتكة بنت يزيد كانت عنده وكان يحبّها ، وكان يقال إن عبد الملك كان يحسد محمداً لأنه كان يرى جلد أخيه وبأسه وعارضته ويحبّ أن يصغّر منه ، لا سيما بعد قتله المصعب .

فعزم محمد على إتيان أرمينيّة ، فأمر بإبله فرُّحلت ، فدخل على عبد الملك مودّعاً وقال : إني أريدُ الغزو بأرمينيّة ، وتمثّل : [من الوافر]

فـإنَّـكَ لـنْ تَـرى طَـرداً لِحُـرٍّ كـإلـزاقٍ بِـهِ بعـضَ الهَـوانِ

ولـو كُنّـا بمنـزِلَـةٍ جَميعـاً جَـرَيْتُ وأنـتَ مُضطرِبُ العنَـانِ

فقال عبد الملك : أقسمتُ عليك يا أخي لما أقمت في الرُّحْب [٦٨/٥٩٩] والسَّعة ، فوالله لا أقذي في عينيك ولا أقدّم عليك غيرك ، ولا ترى مني سوءاً ما بقيتُ ، وولاّه الجزيرة وأرمينيّة .

أمر مروان بن محمد بن مروان

٢٠٧ـ فولد محمد بن مروان يزيد ، وأمّه أم يزيد بنت بن عبيد الله بن شيبة بن ربيعة ، وعبد الرحمن ، وأمّه أم جميل من ولد عمر بن الخطاب ، وعبد العزيز لأمّ ولدٍ ، ومروان بن محمد وهو الجعديّ وأمّه كرديّة أخذها أبوه من عسكر ابن الأشتر ، وكان مروان يكنى أبا عبد الملك .

وقال أبو الحسن المدائني : وقوم يقولون إن أمّ مروان عربيّة من تنوخ ، وذلك باطلٌ ، ويقال كانت أمّه جاريةً لمصعب أُخذتْ وبها حَمْلٌ ، ويقال كانت جاريةً لزربيّ طبّاخ مصعب أو خبّازه .

قالوا : وبويع مروان لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومئة ، وكان أبيض أحمر أزرق أهدل الشفّة لا يخضب ، ولم يكن بالذاهب طولاً ، وكنتَ إذا استدبرته ظننت منكبيه رجلين جالسين واسع الصدر .

وكان يقول : اللهم لا تبلني بطلب ما لم تجعل لي فيه رزقاً ، وكان يقول في خطبته : اللهم إنك أعلم بوليّنا وعدونا منا فكن لنا وليّاً وحافظاً ، وكان يقول : ما كان أبو بكر ولا عمر بأعفّ من هذا منّي .

قال : وكان غيوراً ، وجد كتاباً إلى جارية له من أمها ، فقال : من أدخل هذا الكتاب ؟ فقال خصيّ له : أنا رحمت أمها لبكائها ، فقطع يد الخصيّ .

قالوا : وعرض مروان الجند فشكّوا في حلية رجلٍ فأسقطه ، فقال :

[من السريع]

هل بعينِ الجنِّ حَلَّيتَني لمّا توافا القومُ في الخندقِ

فقال : أجيزوه فأجازوه .

وكان مروان أول من حلّى الجند ، وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعيد مولى بني عامر بن لؤي ، ويقال مولى بني مروان ، ويقال كان من أهل الأنبار ، وكان على شرطه الكوثر الغنوي وكانت حرسه نوائب ، قال الشاعر : [من الرجز]

يا أيُّها السَّائِلُ عَنْ مَرْوانا دونَكَ مروانَ بِعَسْقَلانا

يُجيدُ ضَربَ القومِ والطِعانا حتى يُري قتلاهم ألوانا

وكان مروان بخيلاً .

وولد مروان بن محمد عبد الله وعبيد الله .

وقال أبو اليقظان : لا يعلم له ولد غيرهما وغير عبد الملك بن مروان وعبد الغفّار .

وولي مروان بعد خلع إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك خمس سنين ، وقتل بمصر في سنة ثلاث وثلاثين ومئة وهو ابن تسع وستين سنة .

قالوا : وكان الجعدساير يوماً مروان في أول خلافة هشام ، وقبل تولية هشام إياه أرمينية فأصابت ركبته ركبة مروان ، فقال : أعجلتني دابّتي ، فقال : على نفسك فابق .

قرأتُ على أبي الحسن المدائني وحدثني غيره من أهل العلم : قالوا كان هشام بن عبد الملك ولّى مروان بن محمد أرمينيّة وأذربيجان ، فلما ولي الوليد بن يزيد أقرّه ، فقتل الوليد ومروان بكسال من أرض أرمينية ، فأتاه خبره وهو بها ، فعزم على إتيان الجزيرة والشام ، فقيل له : إن عطلت الثغر اصطلم الخزر ومن فيه من الأمم أهله من المسلمين .

فخطب مروان ودعا الناس إلى السمع والطاعة والبيعة لمن يجتمع الناس عليه ، وأعطاهم أرزاقهم ، وفرض لعشرة آلاف من الأبناء وغيرهم ، وبعث إسحاق بن مسلم العُقيلي وثابت بن نُعيم الجذامي إلى أهل الباب والأبواب وملوك الجبال وتفليس ، يدعوهم إلى بيعة من رضي المسلمون به ، وولّى أذربيجان حميد بن عبد الرحمن اللخمي ، فلما رجع ثابت بن نُعيم من حيث وجهه إليه مروان ، فارق مروان وخالفه ودعا أهل الشام إلى الخروج معه ، وقال : قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك فسيروا على راياتكم إلى الشام قافلين ، فأجابوه وقالوا : قد قتل الخليفة فليس لأحدٍ علينا سلطان ، فالرأي أن نأتي الشام فنكون مع من يجتمع الناس عليه ويرضون به فعسكروا .

وبلغ مروان ذلك ، فقال : إنكم إنما أردتم الإغارة على أهل الأمّة فيما بينكم وبين أهل الشام ، فأجمع على قتالهم ، ودعا أهل الجزيرة إلى ذلك فأجابوه ، فترك أهل الشام ما أجمعوا عليه من أمر ثابت بن نُعيم ورفضوه وأسلموا ثابتاً ، فأخذه مروان فحبسه وحبس بنيه وهم نعيم وبكر ورفاعة وعمران ، وهمّ بقتلهم فطُلب إليه فيهم فخلّاهم ، واستخلف مروان على أرمينية هانىء بن كثير من آل ذي رعين ، ثم عزله واستخلف على أرمينية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي .

وتوجّه يريد الشام ، وقدم ابنه عبد الملك بن مروان بن محمد إلى الجزيرة ، وبلغ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري : أن مروان قد عزم على إتيان الشام ليبايع ليزيد بن الوليد ، فكتب إليه : العجب لك تبايع ليزيد وهو قتل الوليد ، فلم يبق أحد من بني مروان إلاّ وهو طامع في الخلافة وأنت سنّهم وشيخهم .

فلما قرأ الكتاب أقام بالحيرة ، فأرسل إليه يزيد بن الوليد الناقص ،

يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي وحميد بن نصر اللخمي ، وعمارة بن كلثوم بن أبي كلثوم الأزدي ليأتوه ببيعته وبيعة من قبله من أهل الجزيرة ، وضمن له إن سارع إلى بيعته ولم يقدّم ويؤخر أن يوليه أرمينيّة وأذربيجان والجزيرة .

فيقال إنه أبى ذلك ، ودسّ إلى من معه أن يأبوا بيعة يزيد ، فقالوا : لا نبايع الناقص وقد قتل خليفتنا ، فقال بعض رسل يزيد لمروان : إن هذا الأمر تحت كنفك وتدبيرك ، فقال له مروان : يا بن اللخناء لهممتُ أن أضرب عنقك . ويقال إنه كتب إلى يزيد ببيعته مع رسله ثم ردّهم ثم جاءته وفاة يزيد وقيام إبراهيم بن الوليد فردّ الرسل الذين مضوا ببيعته من قنسرين ، ودعا الناس إلى الطلب بدم الوليد وأتى أهل حمص وأهل قنسرين بيعة إبراهيم وتحرّروا ، فوجّه إبراهيم بِشراً ومسروراً ابني الوليد بن عبد الملك إلى قنسرين في خمسة آلاف ، ووجّه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك إلى قنسرين في خمسة آلاف ، ونادى عبد العزيز من وافاه فله كذا ، فقال الحنتف الضنِّي من بني ضِنّة بن سعد [هُذَيم] بن ليث بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة : [من الرجز]

لَبَّيْــكَ لَبَّيْــكَ ولــي العَهْــدِ ... أَتــاكَ قَــومــي ضِنَّــةُ بــنُ سَعْــد
قــد لبِسُــوا الــدُّروعَ فــوق الــزَّرْدِ ... وجـــرَّروا كُـــلَّ حِصـــانٍ وَرْدِ
ونَشَــروا للحــربِ كُــلَّ نَهْــدِ ... وَنَهْـــدَةٍ تــزِلُّ تحــتَ اللِّبْــدِ
إِيهـاً فِـداكـمْ طـارِفـي وتَلْـدي ... فَجـالِـدوا عــن دينكـم بِجِـدِّ
وعــنْ ذَواتِ الحِجَـلِ المُمتـدِّ ... أَتــاكَ مَــرْوانُ بكــلِّ عَبْــدِ
مُخـالِـفٍ بنُصـرِ ديـنِ الجَعْـدِ ... مُكــذِّبٍ يجحَــدُ يــومَ الــوَعْـدِ

فسار مروان بجند أهلِ الجزيرة فلقيه بشرٌ ومسرور ، ومالت قيسٌ كلّها ويزيد بن عمر بن هبيرة إلى مروان ، ومضى إلى حمص ومعه أهل

الجزيرة وقنسرين ، وكان عبد العزيز بن الحجاج محاصراً لأهل حمص ، فلما دنا منه مروان رجع عبد العزيز إلى دمشق . فوجّه إبراهيم إلى مروان سليمان بن هشام فأقبل في خلقٍ من الخلق فنزل بعين الجَرّ ورجع إليه مروان بأهل الجزيرة وقنسرين وهو في زهاء سبعين ألف فنزل بدير الأبرش وسليمان بعين الجَرّ وبينهما ثلاثة أميال ، وذلك في صفر سنة سبع وعشرين ومئة .

كيف انتصر مروان على سليمان بن هشام :

٢٠٨ـ وكتب مروان كتاباً منه إلى أهل فلسطين : إني نزلت بدير الأبرش وسليمان بعين الجرّ فطالعت عسكره بنفسي فرأيتُ جيشاً كثيفاً وأنا متوجّه إليكم في طريق كذا ، ودفع الكتاب إلى رجل وقال له تعرّض لهم ، ففعل فأُخذ وأُتي به سليمان بن هشام ، فلما قرأ الكتاب قال : أبا أيوب[1] هرب مروان والله لأحولنّ بينه وبين ذلك .

وقال مروان لابنه عبد الله : إني مرتحلٌ غدوة فإن ارتحل سليمان من هذا المنزل فانزله ، وخلّفه في غيضة هناك كامناً في ألفين، وأصبح مروان يوم الأربعاء فغدا متوجّهاً في المغرب وخرج سليمان زعم يبادره إلى الطريق التي ذكر مروان في كتابه أنه يسلكها ، وأقبل ابن مروان فنزل عسكره وسرّح إلى أبيه رسولاً يعلمه ذلك ، فلما أعلمه الرسول رجع وقد سار ستة أميال فصار في عسكر سليمان ، فقال سليمان : مكر بنا مروان ، وإنما فعل ذلك لأن عسكر سليمان أخصب وأحصن وأكثر مياهاً ، فقاتلهم مروان فظفر بهم وقتل منهم مقتلةً عظيمةً يقال عشرة آلاف ، وأخذ يزيد بن العقّار الكلبي والوليد بن مصاد فضربهما مروان بالسياط حتى ماتا، ومضى

---

(١) يظهر أنه كانت كنية سليمان بن هشام أبا أيوب ، والله أعلم .

سليمان منهزماً إلى دمشق فأخذ مالها [٦٨/٦٠٠] فقسّمه بين أصحابه.

قتل الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد ويوسف بن عمر :

٢٠٩ـ وأتى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك الخضراء في جماعة معه ، منهم يزيد بن خالد القسري وفيها الحكم وعثمان ابنا الوليد بن يزيد ، وأبو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد السفياني ، ويزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو خال عثمان بن الوليد بن يزيد ويوسف بن عمر الثقفي ، فوثب أبو الأسود مولى خالد بن عبد الله فقتل الحكم وعثمان ويوسف بن عمر ، وكان الناس قد أحجموا عن قتل ابني الوليد وقالوا : هما صبيّان ، وقيل لرجل كان محبوساً من الأعاجم : اقتلهما . فقال : أنا أقتل الفرسان ولا أقتل الصبيان .

ويقال إنه قتل ابني الوليد أبو الأسود بعمود ، ثم دخل يزيد بن خالد إلى يوسف فأخذ بلحيته وكانت طويلة فجذبه ونتره نتراً شديداً ، فقال له يوسف : ما هذا السفه يرحمك الله ، قال : أنت والله أسفه مني يا بن الحمقاء جين ضربتني بالعراق ألوف أسياط[1] ، فقال : فعلتموها والله ما فعلتم هذا حتى أخزاكم الله ولقد انهزمتم ، فأخرجه وضربه وقال : لعلّك يا بن الزانية ترى أني أقتلك بأبي وقال : ما أقتلك إلاّ بغلامنا غزوان أو طهمان ، ثم رجع فأخذ بيد خال عثمان بن الوليد فقتله ، وبقي أبو محمد السفياني فقام وردّ الباب وكان حديداً وألقى مجلسه وراءه واعتمد عليه فدُفع الباب فلم يُقدر على فتحه ، وماج الناس حين قُتل الصبيّان ابنا الوليد ، وانهزم سليمان وهرب عبد العزيز ويزيد بن خالد ومن كان معهما .

---

(١) السوط : جمعه أسواط وسياط ، وَليس أسياط .

وجاء مولى لأبي محمد السفياني يقال له مهران فنادى من خوخة من ناحية المسجد : يا أبا محمد أبشر فقد أتاك الفرج ، فقال : ويحك أما ها هنا أحدٌ ، قال : بلى ، قال : فجئني بمن قدرت عليه ، فأتى بجماعة ففتح أبو محمد الباب فاحتملوه في قيوده حتى وضعوه على المنبر فدعا لمروان وبايعه الناس ، فقال : [من الوافر]

شَدَدْنا مُلكَنا ببَني نزارٍ وقَوَّمْنا بهمْ ما كانَ مالا
وطحطحْنا بِهم قحطانَ حتّى أَقَرُّوا بالصَّغارِ لنا ذِلالا

وقال بعض شعراء بني عامر بن صعصعة : [من الطويل]

ويوماً بعينِ الجرِّ نفخَرُ جاثِماً سليمانُ كاليعفورِ جَمَّ الهَزايمِ
وطار عَلَيْهَا المخلِصونَ لربِّهمْ سِراعاً نبيعاتِ الأكفِّ السَّلايم
فلمّا تَمطَّت في الغُبارِ وواجهَتْ دمشقَ شَجَرْنا روسَها بالشَّكايمِ

يقول حبسنا شجرته عن الأمر ، حبسته .

ومن زعم أن أبا محمد قتل في محبسه فقط غلط ، قتل في أيام بني العباس .

وأقبل مروان ، وكان على اثني عشر ميلاً من دمشق وهرب سليمان بن هشام ، وقال أبو محمد السفياني : من جاء برأس عبد العزيز بن الحجاج فله عشرة آلاف درهم ، فطلبه الناس وأتوا داره فأحاطوا بها ليحرقوها ، فقال بعضهم : أنه ألقى إليهم بَدْرةً نثرها فتشاغلوا بها وخرج من باب آخر فرأته امرأةٌ فعرفته ، ومرّ بها قوم يطلبونه فدلّتهم عليه فوطؤوه حتى قتلوه ، فقال الشاعر : [من الطويل]

رَجَا أَخْذَها عبدُ العزيزِ بسيفِهِ فَصارَ قَتيلاً في الأزقَّةِ يُسْلَبُ

خلافة مروان بن محمد بن مروان :

٢١٠ـ ويقال : إن مروان أقبل فتلقّاه أبو محمد السفياني ، وعبد الله بن سفيان بن عتبة بن يزيد بن معاوية ، فسلّم عليه أبو محمد بالخلافة وعزّاه عن الوليد وابنيه ، وقال له : يا أمير المؤمنين إن الحكم وعثمان جعلا لك العهد بعدهما ، وكان مع مروان حوثرة بن سهيل الباهلي ، والكوثر الغنوي ، والوثيق بن الهذيل[١] ، وأبو الورد الكلابي[٢] ، وعبد الرحمن بن الأشهب الجعدي[٣] ، ونباتة العُقيلي[٤] ، وابن سعيد الحرشي[٥] ، فقال مروان : إن هذين الغلامين جعلا لي الأمر بعدهما ، والله يعلم أني لم أطلبها في ليلٍ ولا نهار ، ثم ارتحل فنزل مرج راهط ، فقال له ابن سراقة الأزدي : هذا والله الموضع الذي ضرب فيه جدّك مروان فسطاطه ، فنظر إليه فسرّه ذلك ، وقيل لسراقة كذبته وغررته فقال : اسكتوا من كان يقوم فيردّ عليّ قولي .

فبويع مروان ثم دخل دمشق من باب الجابية فرأى عبد العزيز مقبلاً ، فقال يا كوثر من هذا ؟ قال : السفيه عبد العزيز ، فقال مروان : لا يزال

---

(١) الوثيق بن الهذيل بن زُفر بن الحارث بن عبد عمرو بن مُعاز بن يزيد بن عمرو بن خويلد (الصعق) بن نفيل بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٢) كلاب بن ربيعة بن عامر والبقية كالسابق .

(٣) الجعدي نسبة إلى بطن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر والبقية كالسابق .

(٤) عُقيل أخو جعدة .

(٥) الحرشي نسبة إلى بطن الحريش وهو ابن سعيد بن عمرو بن أسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن معاوية (الحريش) بن كعب بن ربيعة والباقي كالسابق ويلاحظ أن كل من كان مع مروان هو قيسي بينما كل من كان مع يزيد بن الوليد هو يماني .

صبيّ من آل مروان يتعرّض للفتن ، وطلب إبراهيم وسليمان ونادى بأمانهما فأتياه ، فخلع إبراهيم نفسه فأمّنه وأمّن سليمان بن هشام .

واستعمل مروان على حمص معاويةَ بن يزيد بن حُصين بن نُمَير السكوني ، ثم اتهمه فعزله واستعمل عبد الله بن شجرة فناصحه ابن شجرة ، واستعمل على فلسطين ثابت بن نُعيم ، وكان قد رضي عنه بعد حبسه إياه واستصلحه ، ويقال ولاّه فلسطين والأردن ، والأول أثبت ، وولّى قنسرين عبد الملك بن الكوثر ، ووجّه في طلب من شايع على قتل الوليد ، فأُتي بنحو من مئتي رجل فقتل بعضهم وقطع أيدي بعض ، وأمر إسحاق بن إبراهيم بن الوليد وسليمان بن يزيد بن عبد الملك فبايعاه .

ثم حمل مروان ما كان بدمشق وترك بها زامل بن عمرو السكسكي[1] ، وخلّف معه خالد بن يزيد بن هبّار في ألف فارس ، فأقام بحرّان ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثم بلغه أن ثابت بن نُعيم بن زرعة بن روح بن زنباع بن روح بن سلامة بن حُداد بن حديدة الجذامي قد خلع وكان عامله على فلسطين ، فسار يريده . فكان من أمره دونه ما نحن ذاكروه إن شاء الله .

أمر حمص ودمشق وأمر يزيد بن خالد القسري :

٢١١ـ قالوا : سار مروان يريد ثابت بن نعيم فنزل حماة من حمص ليلة الفطر سنة سبع وعشرين ومئة . وسليمان بن هشام بن عبد الملك معه ، آثر من عنده من بني مروان ، وكان قدم عليه حرّان فأكرمه ، فصلى مروان العيد بالناس ومعه سليمان بن [هشام بن] عبد الملك ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الغفّار بنوه ، فلما صلّى أتاه رجلٌ من أهل حمص وأعلمه أن أهل حمص قد غدروا وأن كلباً دخلت المدينة وعليها الأصبغ بن ذؤالة ومعه بنوه حمزة وذؤالة وفُرافصة ، ومعه عصمة بن المقشعر مولى كلب ، وطفيل بن حارثة ومعاوية بن عبد الأعلى

---

(١) سماه في السابق ص ٥٥٠ الجذامي

السكسكي ، وقد بايع ابنَ ذؤالة من أهل حمص السمطُ بن ثابت بن يزيد بن شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة الكندي ، وغالبُ بن ربعي الطائي .

فارتحل مروان من حماة فنزل على نهر الأرنط ، ثم سار على تعبئة إلى حمص فأتاها نصف النهار وعلى الحائط جماعة من كلب ، فأرسل مروان إليهم : ما بالكم ؟ قالوا : نحن على طاعتك وهؤلاء سفهاء دخلوا مدينتنا ، فقال : افتحوا باباً ففتحوه فاقتحم عمرو بن الوضّاح في الوضّاحيّة فقاتلهم فأصيب من الفريقين وهرب الأصبغ بن ذؤالة ، واتبعتهم خيل لمروان فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون ، وأسر في المدينة رجالٌ ، منهم ذؤالة بن الأصبغ بن ذؤالة وأخوه فرافصة بن الأصبغ بن ذؤالة . وكان الأصبغ قد وجّه ابنه حمزة إلى ثابت بن نعيم يعلمه دخوله مدينة حمص ، فبلغتْهُ قبل وصوله إلى ثابت هزيمة أبيه وأمر أخويه ، فمضى إلى تدمر .

فقتل مروان الأُسَراء وقتل ابني الأصبغ أيضاً ، وكان الأسراء أربعمئة فصلبوا حول مدينة حمص وهدم مروان من حائطها مئتي ذراع وأقام بها ثمانية أيامٍ .

وروي أيضاً أن اليمانية عصت لتقدّم القيسية عليها ، فهمّ بنو مصاد بن زهير الكلبي أن يفتكوا بمروان فشاع أمرهم ، وكان معهم معاوية بن عبد الأعلى السكسكي فأتى حمص فدعا أهلها إلى خلع مروان فأجابوه وأمّروا عليهم السمط بن ثابت ويقال الأصبغ . فخرج عبد الله عامل مروان على حمص إلى السلمية فقُتل بها قتلة رجل من كلب يقال له المنهال بن عبد الملك ، وخرج رجل من حمص يقال له حُجر ومروان محاصرهم إلى القرى يستنجدهم ، فأُخذ وأُتي به مروان ، فقال مروان هيه يا حُجر

خرجت تستنجد أهل القرى ثم تأتي حمص أما إنك ستأتيها ، وأمر به فوضع في المنجنيق ورُمي به فصكّوا به حائط المدينة فتفسّخ ، وأخذ غلام من المدينة فأُتي به مروان فخرجتْ أمّه ، فقالت : يا أمير المؤمنين أذكرك الله فإنه ما لي ولد غيره . وقد نهيته عن السعي والقتال فعصاني ، فقال مروان : ذلك أحرى أن أقتله إذ عصاك وأمر به [٦٨/٦٠١] فضُربت عُنقه .

وكان أهل حمص ينادون ومروان محاصرهم : يا بن مصعب[١] فيقول شريف كريم ، وينادون يا بن الأشتر يا بن زربيّ الخبّاز يا بن الكرديّة[٢] ، فيقول : خلطتم لعنكم الله ، وكان الخوارج في أيامهم ينادونه يا بن الطنفسة[٣] .

قالوا : وآمن مروان أهل حمص إلا سعيد بن هشام والسمط بن ثابت وكان سعيد مع أهلها ، فنجا سعيد بن هشام حتى قتله عبد الله بن علي ، وثلم مروان حائط المدينة فقال بعض الحمصيين : [من السريع]

يا حمصُ يا ويحَكِ لا تجزَعي قصَّصَكِ الجَعديُّ سِكِّينَهُ[٤]

وكلم الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك وكان عامل مروان على الأردن ، مروان في السمط وعمل في أمره حتى أمّنه مروان ، وكان يختلف إلى إسحاق بن مسلم العُقَيلي ونزل عليه ، قال الحارث بن يزيد :

---

(١) يا بن مصعب : قيل فيما سبق أن محمد بن مروان أخذ جارية لمصعب بعد أن قتله وكان فيها حمل وهي أم مروان وقيل أنها لزربي خباز مصعب بن الزبير ، وقيل إنها لإبراهيم بن الأشتر .

(٢) وكانت كرديّة .

(٣) يا بن الطنفسة قيل فيما سبق إن مروان كان أبيض أحمر أزرق ، وهذه الألوان هي ألوان الطنفسة ولهذا قالوا له : يا بن الطنفسة .

(٤) في الأصل سكنينه وليس لها معنى ولعلها سِكِّينهُ .

فقال لي الوليد بن معاوية : ألا تعجب من السمط ينزل على إسحاق بن مسلم ويدعني وقد قمت بأمره ، قال الحارث : فلقيت السمط فقلت له في ذلك ، فقال : أنت عاجز أنا أدع إسحاق وهو رجل إذا غضب غضبت لغضبه عشرة آلاف ، قال : فأخبرته بذلك فأقعد للسمط رجلين فقتلاه وهو يريد مروان ، ويقال بل دسَّهما مروان ، ويقال دسَّهما عبد الله بن شجرة .

وقال الهيثم بن عدي : قتله مروان قالوا : ولما فرغ مروان من أمر حمص بلغه أن أهل غوطة دمشق دعوا إلى ثابت بن نعيم وحصروا عامله على دمشق وهو زاملٌ ، فوجّه مروان إليهم أبا الورد الكلابي وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف ، فلما وردوا دمشق أتاهم أبو علاقة السكسكي ويزيد بن خالد القسري فانضما إليهم مخالفين لمروان ، فاقتتلوا فانهزم أبو علاقة ويزيد وظفروا بعسكرهما ، ثم ظفر أبو الورد بيزيد وأبي علاقة بالمزّة ، فقتلهما وبعث برؤوسهما إلى مروان ، ويقال إن يزيد لما انهزم خرج من باب الفراديس هارباً فانتهى إلى برزة[1] فلقيه رجل من الأشعريين ، فقال له : أبغني منزلاً أكون فيه ، فأدخله منزله ثمّ فكّر فخاف فدلّ عليه فبُعث به إلى مروان ، فدفعه إلى المضريّة ، فحملوه على بغلٍ بأكافٍ وجعلوا وجهه مما يلي ذنبه وجعل رجل من محارب يقول : يا معشر الفرسان أين الحكم وعثمان .

ويقال إن مروان كتب إلى زاملٍ : إنك لتعلم مكان يزيد بن خالد ووالله لتأخذنّه أو لأقتلنّكَ ، فطلبه فأصيب في بيت لهيا[2] ، فقال رجل من

---

(١) برزة : قرية من غوطة دمشق ـ معجم البلدان ـ وهي الآن حيّ من أحياء دمشق .

(٢) بَيْتُ لِهيا والصحيح بيت الإلَهَةِ وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق ، كان آزر أبو إبراهيم ينحت بها الأصنام ويدفعها إلى إبراهيم ليبيعها فيأتي إلى حجر فيكسرها عليه ، =

موالي بني سَلُول[١] : تأتون به زاملاً وهو يمانٍ فيحبسه ثم يشفع فيه ويستوهبه فشدّ عليه فطعنه وذلك لقتله يوسف بن عمر ، وكان يزيد بن خالد لما قتل يوسف أمر بحبلٍ فشدّ في مذاكيره وجُرّ به ففُعل بيزيد مثل ذلك ، ويقال إن رجلاً من لخم أتى زامل بن عمرو فأخبره أن يزيد بن خالد يأتي زراعةً لهم بقرب الغوطة مستخفياً فأرسل زامل خيلاً فأصابته في زراعة اللخمي وعليه قميص سنبلاني[٢] فأخذوه وأقبلوا به على بغلٍ بإكافٍ وقد عرّض[٣] عليه فتلقّاهم رجل من بني نمير فقتله واحتزّ رأسه وأتى به زامل بن عمرو ، وقال : كُلْهُ بخلٍّ وخردلٍ ، فقال : الأمير أحقّ برأس ابن عمه ، وبعث زامل برأسه إلى مروان ، وعلّق الناس في رجله حبلاً فجرّوه الصبيان في السكك ، ويقال أيضاً إنّ النميريّ مر بقوم من بجيلة[٤] وقد قطع من لحم يزيد قطعاً فألقاها إليهم ، وقال : كلوا فجعلوا يأكلون قسراً والسيوف على رؤوسهم ثم مضى .

= والحجر إلى الآن بدمشق معروف يقال له درب الحجر ـ معجم البلدان ـ .

(١) سلول بطن من قيس وهو سلول واسمه مُرّة صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس .

(٢) قميص سنبلاني : قميص سابغ الطول الذي قد أسبل .

(٣) تعرّض : تعوّج وزاغ ـ اللسان ـ .

(٤) بجيلة قبيلة قحطانية وهم أولاد أنمار ما عدا أفتل وهو خثعم وأنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان . والقبائل القحطانية أما من كهلان أو من حميرٍ أخيه .

أمر ثابت بن نُعَيم بن زرعة بن رَوح بن زِنباع الجذامي

٢١٢ـ قالوا : خلع ثابت بن نُعيم ، وقال : أنا الأصغر القحطاني لستُ لنُعَيم إن لم أخْلِ الشام من أولاد قيس ، وكان مروان قد ولاّه فلسطين مستصلحاً له بعد حبسه إياه بأرمينيّة ، وذكر قوم أن سبب خلعه أن عطيّة بن الأسود مولى كلب ، قال : [من البسيط]

يا ثابتَ بن نعيم دعوةً جَزَعاً عَصَتْ أباها وعَقَّتْ أُمَّها اليَمَنُ
أَتَــارِكٌ أنــتَ مــالَ اللهِ يــأكُلُــهُ عَيْرٌ[1] الجَزِيرَةِ والأشرافُ تُمْتَهَنُ

كان يقال لمروان حمار الجزيرة .

أوقِــدْ علــى مُضَــرٍ نــاراً يمــانيّــةً تَشفي الغليلَ وتحيا بعدَها السُّنَنُ

ويقال إنه قال هذا الشعر بعد خلعه .

قالوا : فلما فرغ مروان من أهل حمص وثار ما ثار من أهل الغوطة ومعهم أبو علاقة ويزيد بن خالد القسري فانقضى أمرهم ، أقبل ثابت من فلسطين في كثفٍ من لخم وغيرهم يكونون زهاء خمسين ألفاً ، فحصر الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان عامل مروان بطبريّة مدينة الأردن فسار إليه أبو الورد ، فلما التقوا خرج إليهم الوليد بن معاوية في أهل الأردن فهزموا ثابتاً وقتلوا أصحابه وتفرّق من بقي منهم عنه ، ومضى ثابت إلى فلسطين واتبعه أبو الورد فلحقه فأسر ناساً من بنيه ثلاثة ، نُعيماً وبكراً وعمران فبعث بهم إلى مروان فحبسهم وغلب أبو الورد على فلسطين ولحق ثابت وابنه رفاعة بجبال الشراة ، فظفرت به خيل لمروان

---

(١) العَير بالفتح الحمار والعِير بالكسر الإبل .

قد كان وجّهها مادّةً لأبي الورد ، فأخذوه وأتوا به مروان وهو بدير أيوب فقتله مروان وقتل بنيه وقطع أيديهم وأرجلهم ، وأفلت ابنه رفاعة بن ثابت ، وأُخذ مع ثابت عثمان بن هلال الجهني[1] وعمرو بن يزيد اللخمي فقتلهم مروان جميعاً .

وقال بعضهم : لحق ثابت بمصر فوجّه إليه مروان الكوثر[2] فهزم أصحابه وأخذه أسيراً فبعث به إلى مروان ، فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق سَمّره بمسامير ، وقال بعض الشعراء في ذلك قصيدة له ، ويقال إنه الرمّاح بن ميّادة : [من الطويل]

حَذارِكَ أَنْ يلقاكَ يوماً بموطِنٍ ... فوارِسُ يُهديها أبو الوردِ والصَّقْرُ

فَوارِسُ صدْقٌ لا يُبالونَ مَنْ ثَوى ... يجرّونَ أرماحاً هواملُها حُمْرُ

وكوثر المُهدي لمصرٍ جيادَهُ ... وارماحَهُ حتّى استقامَتْ لهُ مِصرُ

فما لَكَ بالشّامِ المُقَدَّسِ منزِلٌ ... ولا لَكَ في نَجْدٍ ذِراعٌ ولا شِبْرُ

بنجدٍ ثبا[3] مِنّا وَبالشامِ مثلُها ... متَى تعصِنا يغضب لنا البرّ والبَحْرُ

وأقام مروان بدير أيوب إلى هلال المحرّم ، وبايع به لابنيه عبد الله وعبيد الله ، وزوّج عائشة بنت هشام من عبيد الله ابنه ، وزوّج أم بنت هشام عبد الله بن مروان ابنه ، وأقبل فنزل الرصافة فأقام بها يوماً .

---

(١) نسبة إلى جُهينة قبيلة قحطانية وهو جهينة بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

(٢) الكوثر هو أخو الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي .

(٣) بهامش الأصل . ثبا : أي جماعات .

أمر سليمان بن هشام بن عبد الملك

٢١٣ـ قالوا : ولما توجّه مروان إلى الرصافة استأذنه سليمان بن هشام في المقام ليتجهّز ، فأذن له ومضى فنزل الرقّة ، ثم أتى قرقيسياء وأقبل عبد الرحمن بن أيوب الضبّي إلى سليمان بن هشام وهو بالرصافة ومعه خيل لمروان كان ضمّها إليه ، فقال لسليمان بن هشام : أنت والله أحقّ بالخلافة من الجعدي ، وكان في نفسه على مروان أشياء في يوم عين الجَرّ وغير يوم عين الجرّ ، فخلع مروان وصار إلى حمص في كثفٍ ، فدخلها وبايع أهل حمص على الموت ، فأقبل مروان راجعاً بعد أن قرب من قرقيسياء وعلى مقدّمته ابنه فألصق بحمص ووضع عليها المجانيق حتى فتحها ، وهرب سليمان بن هشام إلى تدمر وأقام مروان حتى استقصى هدم حائط حمص .

قال أبو الحسن المدائني عن أشياخه وداود بن عبد الحميد قالا : أظهر سليمان خلع مروان وقد فارقه بالرصافة وقدم مروان الرقّة فتوفي ابنه عبد الملك ، فترك الانحدار إلى العراق ومضى سليمان في خف من أصحابه إلى حمص وبنى ثَلْماً كان مروان ثلمه في حائطها ، وكان بنهر الهني قصران يقال لأحدهما الكامل والآخر العجب ، فخلّف فيهما سليمان قوماً من الذكوانيّة وغيرهم وأكثرهم موالي هشام ، وأمرهم أن يمنعوا من أراد مروان من أصحابه ومن يأتيه بالخبر ، فبعث إليهم مروان : لئن أقمتم على ما أنتم عليه ثم ظفرت بكم لم أستبقكم فلم يقبلوا ، فأما من كان في العجب فإنهم نزلوا على حكمه فأمّنهم ، وأما أهل الكامل فأبوا أن يقبلوا أمانه ، فبعث إليهم خالد بن عُمَير بن الحباب فعرض عليهم الأمان فلم يقبلوه ورجع [٦٨/٦٠٢] مروان فمرّ بهم فشتموه ، فأمر رجلاً من اصحابه بقتالهم فنصب

عليهم المجانيق ، فلم ينتصف النهار حتى أفضى إلى القصر فطلبوا منه أماناً فأبى أن يؤمّنهم إلا على حكمه ، فقطع مروان أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وهدم الحصن .

وجعل الرجل يقول للرجل منهم : أيما أحبّ إليك ، أقتلك شدخاً أو أفقأ عينيك أم أقطع يديك ورجليك ؟ فأُتي برجل منهم فقيل له ذلك ، فضحك وقال : ما أدري ما أختار من الشرّور ، فقُتلوا بالعمد وبقطع الأيدي والأرجل ، فقال بحر بن عمرو القشيري : [من الطويل]

ظفرتَ بهمْ إذْ عانَدوكَ سَفاهَةً فَنَكِّلْ بهم حتّى تَدِرَّهُمُ العَصْبُ
فَـإِنَّـك إن تفعـلْ تجـدْهُـمْ أَذِلَّـةً إذا نُكبـوا يـومـاً أذلَّهُـمُ النَّكْـبُ

وقتل مروانُ يعقوبَ مولى هشام غدراً خرج إليه من الكامل بأمانٍ ، فقال : لا أعطي أهل الكامل الأمان إلا على حكمي فليس بيني وبينهم إلا السيف وقتله ، وبايع أهل حمص لسليمان وتبايعوا على الموت واستوثقوا من حائطهم وبنوا الثلمة .

فتوجّه إليه مروان ، فلما دنا من حمص جدّد فرسان أهل الشام ممّن مع سليمان البيعة على الموت ، وجدّدها أهل حمص ، وقالوا : اخرجوا إلى الجعدي فإمّا قُتلنا وإمّا ظفرنا به ، فانتدب منهم ستة آلاف مع معاوية بن عبد الأعلى السكسكي وثبيت البهراني .

فبلغ ذلك مروان فسار إليهم على تعبئة وتحرّزٍ ، وكمنوا لمروان في الزيتون فلم يشعر وهو يسير على تعبئته حتى ثاوروه فقاتلهم ، وصُرع معاوية بن عبد الأعلى وأسر وانهزم الآخرون وقتل منهم أربعة آلاف ، فقال مروان لمعاوية : أنتَ مُطاع في أهل حمص فادعُهم إلى بيعتي وأؤمنك ، قال : نعم ، فأرسله إليهم في خيل وأمرهم أن يحفظوه ولا يفارقوه حتى يردّوه ، فأتاهم وهم مشرفون من المدينة فدعاهم إلى بيعته ،

فقالوا : لا ولا كرامة لا نبايع لابن زربي الخباز ، فقال : أما إذا لم تفعلوا فابعثوا إليّ غلامي ميسرة الأسود وليكن معه ثيابي كلّها ، وانصرف إلى مروان ، فقال للذين كانوا معه : ماذا قال ؟ فأخبروه . فقال : أتدرون ما أراد ؟ قالوا : لا ، قال : إذا أمسيتم فالبسوا السلاح وبيّتوهم واحملوا على الميسرة ، فأمر بمعاوية[1] فقطعت يداه ورجلاه وشُدخ بالعمد ، وقال بعضهم : إن رجلاً من بني مجاشع[2] كان مع مروان يقال له جويّ أسر معاوية بن عبد الأعلى وأتى به مروان ، فقال : استبقني فإني أشدّ العرب ، فقال : الذي أسرك أشدّ منك ، وقال مروان : [من الرجز]

يـا ربَّ إبـراهيـمَ أَمتِعْنـا بِـهِ إنَّ جُـويّـاً نعـمَ مـا أبلـى بـهِ

والسَّكْسَكِـيُّ صـاغِـراً جـاءَ بِـهِ

ولما أمسى مروان صيّر الفرسان وحماة قيس في الميسرة ، فلما مضى ثلث الليل بيّتهم أهل حمص ، وقد حذّرهم مروان فاقتتلوا فلم يقدروا على ما أرادوا ، فرجعوا إلى سليمان فرأى سليمان صلابة مروان وصعوبة الأمر في محاربته فخرج من حمص وخلّف أخاه سعيد بن هشام ، وأتى تدمر فنزلها وأقام مروان على حمص فقاتلهم عشرة أشهر أو أقل وبسط لهم الأمان ، فقيل إنه أمّنهم وقيل إنهم نزلوا على حكمه ، فلم يقتل إلاّ عبداً أسود وشمّاساً نصرانيّاً كان شجاعاً ، وكان يقول : إذا السكسكي ذهب فأنا السكسكي ، فقتله ، وقال : ما كان خطر ببالي أن أُأَمّن شماساً ، ويقال إنه لم يؤمّن سعيد بن هشام ورجالاً من اليهود ، وأُتِي

---

(١) معاوية بن عبد الأعلى بن الحارث بن عقبة بن أسد بن عقيل بن الحارث بن مُدلج بن الأدوم بن السكاسك ابن أشرس بن ثور (كندة) .

(٢) مجاشع بن دارم بن مالك (غَرْف) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

بأميّة بن معاوية بن هشام أسيراً ، فقطع يديه ورجليه ثم شدخه .

فغلظ الناس على مروان ولعنوه ، وهدم مروان حائط حمص وكلّم في سعيد فأمّنه وكان معه وبقي حتى قتله ابن علي .

وقال المدائني : أمّن مروان سليمان على أحداثه ومقاتلته إياه عن الناقص وإبراهيم ، فركب سليمان يوماً مع مروان بعين الجرّ ، فقال له مروان : يا أبا أيوب ورفع حاجبيه كالمتوعد ، فقال : يا أمير المؤمنين أعرض عن هذا ، فلم يزل سليمان مضمراً له على شرّ .

قالوا : وجمع سليمان بن هشام جمعاً بتدمر وبايعه أهلها ولجأ إليها كلّ لص وخارب[١] وعامّة أهلها كلب ، فسار إليهم مروان ، فقال زُميل بن سويد : [من الكامل]

يا وَيْحَ تدمُرَ ويْحَها وَعَويلَها ماذا يرادُ بعامِريَّةِ تدمرا
يا ويحَها من كيدِ أبيضَ ماجدٍ أعطى بعَذْراء الجيوشَ وشَمّرا

فلما أناخ بها مروان سألوه الأمان وأن يضع لهم كلّ دمٍ أصابوه ، فأمّنهم على أن يهدم حائطها فلم يُمكنه ، وهرب سليمان حين قرب مروان منها فانحطَ إلى خُساف[٢] فنزلها فوجّه إليه مروانُ عوفَ[٣] بن إسحاق بن مسلم فأسرته خيل لسليمان ، فوجه إليه مروان الكوثر[٤] فقاتله سليمان

---

(١) الخارب : هو لص النوق فقط ـ اللسان ـ .

(٢) خُساف : بضم أوله مفازة بين الحجاز والشام والصواب أنها بريّة بين بالس وحلب مشهورة عند أهل حلب ـ معجم البلدان ـ .

(٣) عوف بن إسحاق بن مسلم بن ربيعة بن عاصم بن جزء بن عامر بن عوف بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٤) الكوثر بن زُفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاز بن يزيد بن عمرو بن خويلد =

وأتاهم مروان فتقاتلوا فاستعلاهم سليمان ثم إنه انهزم فاتّبعه مروان فالتقوا أيضاً بمرج خلف صفّين ، وقدّم مروانُ ابنَ الصحصح فاقتتلوا فهرب سليمان وأسر من أصحابه خلقاً ، فقتلهم مروان بالعمد بقرب ملاّحة هشام ، وسار سليمان مع الخوارج وقد كتبنا خبره بعد هذه القصص حتى قتله أميرُ المؤمنين أبو العباس .

ويقال إن مروان قتل سعيد بن هشام غيلةً ، ويقال ضربَ عنقه ، ويقال أمّنه حتى قتله عبد الله بن عليّ ، ويقال إنه بقي حتى خرج في أيام بني هاشم فقُتل ، والله أعلم ، وأُسر خالد بن هشام بن إسماعيل المخزومي أخو إبراهيم ومحمد يوم خُساف ، أصابته خِلفةٌ فنزل وستره مواليه فأُخذ فأتي به مروان فأمر به فشدخ بالعمد .

= الصعق) بن نُفيل بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

خبر يوم المنتهب في أيام مروان

٢١٤ـ قال هشام بن الكلبي ، حدّثنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن نُعيم عن معدان بن عبيد بن عدي بن عبد الله بن خيبري ابن أفلت[١] الطائي ، قال : تزوّجت امرأة من بني بدر من فزارة رجلاً منا على نبيذٍ لهم فأسرع فيهم النبيذ ، وجرت ملاحاةٌ ، فوثب رجلٌ منّا يقال له يعقوب بن سلامة فضرب شابّاً منهم فشجّه فمات من شجّته ، قال معدان : فقلت للبدريين : لكم دية صاحبكم ، فأبوا إلا أن ندفع إليهم قاتله فأبيتُ دفعه .

وكنّا حين قتل الوليد بن يزيد ووقعت الفتنة منعنا الصدقة فلم يؤدّها من طيء إلا بنو جَرم وبنو نبهان أو أكثرهم ، فأتى البدريون أميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وكان عامر الأعشار والصدقات بالمدينة وإليه صدقات الجبلين[٢] ، فأخبروه بخبر صاحبهم ، فكتب أميّة إلى مروان يخبره بمنعنا الصدقة وبقتل البدريِّ وامتناعي من دفع قاتله إليهم وأنا على خلاف ومعصية .

فكتب مروان إليّ : إن أمكن البدريين من صاحبهم ، وأدّوا الصدقة إلى أميّة وسعاته ، وإلاّ وجّهت إليك من يحملك إليّ ، فإن امتنعت عليه أتاني برأسك ، ثم والله لأبيلنّ الخيل في عرصاتكم[٣] .

قالوا : فأمر معدان بضرب عنق الرسول ، فقال : إن الرسل لا تُقتل

---

(١) ابن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غَنْم بن ثوب بن معن بن عتود بن عُنَين بن سلامان بن فعل بن عمرو بن الغوث بن طيء .

(٢) هما جبلي أجأ وسلمى غرب فيد وهما شاهقان ومنازل طيء في الجبلين .

(٣) كل أرض بين الدور ليس فيها بناء فهي عرصة ـ اللسان ـ .

والأسير فيكم يا معشر طيء يُستَحيا ، فقال : صدقت وخلّى سبيله .

وقال له : أدّيت إليّ فأدِّ عنّي . قل لابن زربي : أأنت تبيل الخيل في عرصاتنا ، وبيننا وبينك رمل عالج وخلف ظهري الجبلان وحولي عديد طيء . أجهدْ جهدك واحشدْ حشدك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ولا أرعى عليك إن رعيت ، وكتب إليه : [من الوافر]

ألا مَـــنْ مُبلِـــغٌ مَـــروانَ عَنّـــي ... علـى مـا كـانَ مِـن بُعـدِ المَـزَارِ
ألـم تَـرَ للخـلافة كيـفَ ضَـاعَـتْ ... لأَنْ صـــارتْ لأبنـــاءِ السَّـــراري

وقال غالب بن الحرّ المغنّي : [من الطويل]

لقد قلتُ للركبانِ من آلِ هَاشِمٍ ... ومن عَبْد شمسٍ والقَبائِلُ تسْمَعُ
قفـوا أيُّهـا الـركبـانُ حتّـى يجئنـا ... وإيّاكُمُ الأَمْرُ الَّذي لَيْسَ يُدْفَعُ
[و]حتَّى تَرَوا أينَ الإِمامُ وتَشْغَبُوا ... عصا الملكِ إنَّ الخَيْلَ رَثٌّ مُدَعْدعُ
أَرَى ضَيْعَـةً للمـال لَيْـسَ يضمُّـهُ ... إمامٌ وهَلْ في غيرِ أهليهِ يُوضَعُ

فأدّى رسوله إليه الرسالة والشعر ، فاستشاط ودعا عبد الحميد بن يحيى كاتبه ، وأمره أن يكتب منه إلى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك عامله على المدينة وإلى أميّة بن عبد الله عامله على الأعراض والأعشار والصدقات بها وعلى صدقات طيء بالجبلين ، أن يسيرا بأهل المدينة وأهل البوادي من قيس وغيرها إلى معدان بن عبيد حتى يأخذا صدقات قومه ، ويدفعا إلى البدريين قاتل صاحبهم ، ويوطئا الخيل بلاده حتى يحملاه إليه أو يقاتل فيقتل في المعركة .

وقال بعضهم كان الكتاب إلى [٦٠٣/٦٨] عبد الواحد بن سليمان النصري[1] فسارا بالناس حتى نزلا فَيْداً ، وبعث أميّة إلى معدان بن

(١) نصر بطن من قيس وهو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن =

عبيد بن عديّ في أداء الصدقة ، فبعث إليه وإلى عبد الواحد : إني غير دافع إليكما شيئاً مما تطلبان ، أما الصدقة فإني أحبسها حتى يستقيم أمر الناس ، وأما وضع يدي في أيديكما فذلك ما لا يكون أو أؤسر أو أقتل ، وكتب : [من الكامل]

إِنَّ الفَرائِضَ لا فرائِضَ فاصْطَبِرْ حتّى يقومَ على البِلادِ أميرُ

فسار أميّة وصاحبه في زهاء مئة ألف من أهل المدينة والبوادي من قيس وغيرها وفي ألفٍ من أهل الشام بعثهم مروان إلى عبد الواحد أعانه بهم ، وبعث عبد الواحد على مقدّمته رجل من الضِّباب[1] لحنق قيس علىٰ طيئ ، واتّبعه ، ويقال لم يتبعه وعسكروا بالمنتهب وهو من أجأ .

قال معدان : وكنتُ في اثني عشر ألفاً من بني معن بن عتود بن عُنَين بن سلامان بن ثُعل وبني جديلة وغيرهم من طيء فذهب يحيى بن الكرّوس[2] بن زيد المعقلي منهم بستة آلاف لأنه كره القتال ، فبقيت في ستة آلاف فلما انتهيت إلى عسكر الضبابي واسمه حُرَيز بن يزيد بن كثيف إذا جبال حديد وإذا عسكر القوم لا يُرى طرفاه ، فرفعت طيء النار على أجأ فاجتمعوا فنحروا الجزور وعملوا النبال والنشاب ، وقالوا : قبّح الله

= خَصَفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

(١) الضباب : بطن من قبيس وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن واسم الضباب معاوية فولد معاوية عدّة أولاد ، منهم : ضبّاً ، مضبّاً ، وضباباً وبهذه الأسماء سمّوا الضباب .

(٢) الكروس الشاعر بن زيد بن الحزم بن مصاف بن معقل بن مالك بن عمرو بن ثمامه بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فُطرة بن طيّ ، وكان الكروس أول من أتىٰ بخبر أهل الحرّة إلىٰ الكوفة وله يقول ابن الزبير الأسدي :

لعمري لقد جاءَ الكروَّس كاظماً علىٰ خُبرٍ للصالحين وجيعُ

أجزع الفريقين من الموت ، قال : فتصافقنا فلما رموا بالنبل حملنا عليهم حملة رجل واحد فما كان إلاّ كلاولا حتى قتل الضبابي وانهزم الناس أسوأ هزيمة فقتلنا وانتهبنا وكان عسكرهم أكبر عسكر رأيته وأتيت بأميّة أسيراً فخلّيت سبيله وأَتيتُ بجارية له بعد ذلك فبعثت بها إلى المدينة ، وقلت : لا تتّبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح .

قال ثم قُرئ علينا بعد ذلك كتاب مروان إليهم يأمرهم فيه : إذا نشبت الحرب أن يقتلوا ويسبوا ، ولو علمتُ ما في الكتاب قبل ذلك ما نجا منهم مخبر .

وكتب صاحب المدينة إلى مروان بالخبر ، فعزم مروان على توجيه عبدة بن رياح الغساني في عشرة آلاف من أهل الشام ، وقال : أهل المدينة أضعفُ قوم وأفشله والأعراب كذلك ما لم يوتروا ويطلبوا الطوائل[١] ، فبينا هو على ذلك إذ كتب إليه ابن هبيرة عامله على العراق بقتل ابن ضَبارة وإقبال قحطبة فقال : ما شغْلُنا عشرة آلاف بأعراب طيء ، فصرف الجيش نحو العراق فلم تُعْطِ الصدقة حتى استقام أمر الناس واستخلف أبو العباس ، والتجأ إلى معدان يومئذ عبد العزيز بن أبي دُهَيل بن يزيد بن الطفيل بن مالك بن جعفر[٢] هرباً من الحرب ، وقُتل يوم المنتهب الحُريز وسرحان مولى قيس ، ومهلهل أحد بني بدر[٣] ورجال من فزارة ، وقُتل من طيء المزرّ السنبسي[٤] وسعيد بن الخليل

(١) الطوائل : الأوتار والزّحول واحدتها طائلة ـ اللسان ـ .

(٢) بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٣) بدر بن عمرو بن جُوَيّة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن عمرو (فزارة) بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٤) سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعن بن عرو بن الغوث بن طيء .

المعنيّ[1] وحرثان بن خالد الفَرِيري[2] .

وقال معدان في انصراف يحيى بن الكرّوس عنه فيمن صرف معه من طيء كراهة القتال : [من الطويل]

أما للمولّي لا يَزَالُ كأَنَّهُ أميمٌ يـداوي رأسَـهُ بـالمجـارِفِ
لعمركَ ما المولّي بمولٍ حَفيظةً إذا لم يؤَرّقْ بالهُمومِ الصوائفِ
فـإنْ نَحـنُ أعطَيْنـا فـزارَةَ حقَّهـا بغيـرِ يميـنٍ أو قسـامَـةِ حـالِـفِ
فنحن إذاً أولادُ قَيْنٍ مُجنَّبِ اليَدَيْنِ ضـروبٍ للمُـدَى والكَثَـائِـفِ
وأنتُـم بنـو حُـرٍّ كـريـمٍ نِجـارُهُ من السّادَةِ الشُّمِّ الحُماةِ الغَطارِفِ

وقال أُنيف بن حكيم بن أنيف[3] النبهاني أرجوزة أولها : [من الرجز]

هل تعرف الدار بصحراء رَيَبْ إذ أنتَ غيداقُ[4] الصِّبا جَمُّ الطَرَبْ

يقول فيها :

لـم أَرَ يـومـا مثـلَ يـومِ المُنْتَهَـبْ أكبـرُ دَعْـوى سـالـبٌ ومُسْتَلَـبْ
لهـا تَـوافَـتْ ثـمَّ أفنـاءُ العَـرَبْ حتّى إذا الجَوْنَةُ[5] كانتْ في صَبَبْ
نـادى منـادي يحيـى يـا للحسَـبْ أين بنو البيضِ الكريماتِ النُجُبْ
يـا قـوم عـاداتكـم عنـد الغضَـبْ تُغَمْغِمُ الأبطالُ عند المُصْطَخَبْ
ضَرباً وطَعْناً بعدَ رميٍ كاللَّهَبْ يُحـرِّقُ النـارَ بِـأطـرافِ القَصَـبْ

---

(١) المعني نسبة إلى معن بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء.
(٢) نسبة إلى فرير بن عنين بن سلامان .
(٣) أُنَيف بن حكيم بن أُنيف بن منيع بن أنس بن خالد بن الأصمع بن أُبَيّ بن عُبَيدة بن ربيعة بن نصر بن سعد بن أسودان(نبهان) بن عمرو بن الغوث بن طيء .
(٤) غيداق : مخصب ـ اللسان ـ .
(٥) في هامش المخطوطين الجونة : الشمس .

وقال أنيف في قصيدة له طويلة يقول فيها : [من الطويل]

ألا هَلْ أَتى أهلَ المدينةِ عرضُنا خِلالاً من المعروفِ يُعرَفُ حالُها
على عامِلينا والسُّيوفُ مصونَةٌ بـأعمـادِهـا مـا زايلتْهـا نِصـالُهـا
عَـرَضْنـا كتـابَ اللهِ والحـقُّ سُنّـةٌ
هِيَ النّصفُ ما يَخْفَى علينا اعتدالُها
وجئنا إلى فرناجَ سمعاً وطاعَةً نـوادي زكـاةً كـانَ حـانَ عِقـالُهـا
وفي فَيْدَ صدّقْنا وجاءتْ وفودُنا إلـى فَيْـدَ حتّـى مـا تُعَـدُّ رجـالُهـا
فلـم نَـدْرِ حتّـى راعَنـا بكتيبـةٍ
تروعُ ذَوي الألبابِ والدينُ خالُها[١]
جَمَعْنا لهم من[٢] عمرو وعوف ومالك[٣] كتائبَ تُردي الظالمينَ نكالُها
ومـن دونِ مـا مُنّـىٰ أُميّـةُ نَفْسَـهُ غِمارَ حُتوفٍ ليسَ يُرجَىٰ زوالها

وكانت امرأة أبي دُهَيل وأمه من نبهان ، فقال : [من البسيط]

أصبحتُ من طَيىءٍ حَتّى يقومَ لَنا أمرُ الإمامِ وَما أصبحتُ مِنْ مُضَرِ
لجَـاعِلـيَّ بحمـدِ اللهِ إذْ شَـرَعـتْ فـيَّ الأَسِـنَّـةُ بيـنَ السَّمْـعِ والبَصَـرِ
والمانعينَ فلا يُسْطاعُ ما مَنَعُوا والمُحَمَّدَينَ إذا لم يُحَمِدِ المَطَرُ
لقد نَهَيْتُ حُرَيْراً وَهْوَ في مَهَلٍ وقَـدْ أَتَتْـهُ ولـم يُـوقَـرْ بهـا النُّـذُرُ

وقال الرمّاح بن ميّادة : [من الطويل]

---

(١) في هامش مخطوط المغرب : الخالُ : الراية ويقال ما يخيّل منها .

(٢) عمرو وعوف ومالك بطون من طيء . وعمرو هو ابن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيء . وعوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعن بن عمرو بن الغوث بن طيء ومالك هو ابن جدعاء بن ذهل . والشطر مكسور الوزن ويصح بحذف (من) .

(٣) الشعر فيه إقواء وهو تغير حركة الردي .

[و] لا تحسَبُوا أَنّا نَسِينا بِحائِلٍ[1] حُـرَيـرَ النّـدى والعَسْكَـرَ المُتَبَـدِّدا
ولا تستـريثـوا أمـرَنـا فكـأَنكـمْ بصُمِّ العَوالي فيكمُ اليومَ أَو غَدا

فرد عليه معدان بن عبيد : [من الطويل]

أَتُـوعِـدُنـا قيسـاً وإنْ تلـقَ جَمْعَنـا تكنْ كُشُفاً قيسٌ عَنِ الموتِ حُيَّدا
فـلا تَحمَـدِ القَيْسِـيَّ بـالنَّفـج كلَّمـا رأى السَّلمَ أو أضحى من الزّادِ أَكْيَدا
إذا مارأى الحربَ اتَّقى الحربَ باستِه وإنْ أَمِـنَ القَيْسِـيُّ غنّـى وَأَنْشَـدا
ونَحْنُ أسلنا مُصْعَداً بطنَ حائِلتن ولـم يُـرَ وادٍ قبلَـهُ سَـالَ مُصعـدا
وَظَلَّتْ تُمنّيكَ اسْتُ ميّادَةَ المُنى لتجمَـعَ أمـراً فـاسِـداً قـد تَبـدَّدا

وقال أبو دُهيل : [من الطويل]

وإنَّ امرَأً في الحربِ مَعْدانُ خالُهُ إذا مـا احْتَبَـى مـن دونـهِ لَمنيـعُ

صفات مروان بن محمد بن مروان :

٢١٥ـ قال المدائني : كان الناس يقولون : ما خُيِّر مروان بين أمرين إلاّ اختار أحزمهما ، فلما لقي المسوَّدة جعل لا يختار شيئاً إلا كان عليه فيه الضرر والنقص .

قالوا : وكان مروان بخيلاً شديد العقوبة مفرطاً فيها ، وقال بعض الشاميين : قال الحكم بن الوليد بن يزيد أو قيلت على لسانه أبيات منها :
[من الوافر]

أَلا فِتيـانُ مـنْ مُضَـرٍ فَيَحمـوا أَسَـارَى فـي الحـديـدِ مُكَبّلينـا

---

(١) حائل : هو الوادي بين جبلي طيء أجا وسلمى واليوم اسم مدينة كبيرة في الوادي سمّيت باسم الوادي .

أَيَذْهَبُ عامِرٌ[1] بدمي وملكي فلا غَثّاً أَصَبْتُ ولا سَمينا
فَإن أَهْلِكْ أنا وَوَليُّ عَهْدي فمروانٌ أَميرُ المؤمنينا

وكان مروان يقول : أنا أطلب الخلافة عن بيعةٍ .

المدائني عن سليمان بن المغيرة ، حدثني يزيد بن أُسَيْد ، قال : كنّا في غدير مستنقعين أنا وإسحاق بن مسلم وعبد العزيز بن محمد بن مروان ورجلٌ آخر فبرد الماء على عبد العزيز بن محمد بن مروان فخرج ، فلم أرَ خلقاً قطّ أحسن من خلقه فتعجّبت ، فقال الرجل الذي معنا : أنا والله وضعتُه في رحم أمّه ، فقال إسحاق بن مسلم : والله لأخبرنّ أمير المؤمنين ، فأتاه فأخبره ، فقال : أسمع هذا معك أحدٌ ؟ قال : سمعها يزيد بن أُسَيد ، فدعا بيزيد فسأله فأخبره ، فجعل يقرض لحيته غضباً ، ثم قال : اجعلا لي موثقاً لا يسمع هذا منكما أحدٌ فأعطيناه موثقاً ، فقال : أراد أن يفسد أخي فكذب عليه وعضهه . وقال : قوما فلا يسمعنّ هذا منكما أحدٌ ، فتفقدناه ، فلم يتغيّر للرجل في مجلس ولا لسان ولا عطيّة .

المدائني عن أبي سلمة الغفاري ، قال : أتيت مروان أطالب بدمٍ ، فقال لي : إن الوالي وكيل الغائب فإن شئتَ نازعتك ، وإن شئت كتبت لك إلى عامل المدينة آمره بالنظر فيماتدّعي بحضرة الفقهاء ، فإن ثبت لك حقّ أخذ لك به ، فقلت : نازعني . فكان ينازعني ويناظرني ، فأمر يوماً بالرحيل فرحل الناس وأبطأ خروجه ، فقيل له إن الناس قد ركبوا وقد أبطأت ، قال : ويحك قبائي يخاط فتق فيه رأيته ولا والله ما عندي غيره ،

---

(١) عامر : يقصد بذلك القبائل القيسية التي كانت مع مروان الجعدي لأن قيس مالت معه والقبائل اليسية أكثرها من ولد عامر بن صعصعة ، والله أعلم من يقصد بعامر إن كان غير هذا .

قالوا : وقسم مروان قسماً في قيس فقال رجل من كلب : إذا كان القسم ففي القيسيّة وإذا كان الطعان فالقحطانية ، فضرب مروان عنقه فما بقي قحطانيّ ولا قيسي إلا حمده وأثنى عليه لأنّ هذا تحريض منه واستدعاء للعصبيّة .

المدائني ، قال : أمر مروان مضمّراً له أن يوافي بخيله للنصف من المحرم فيجريها ، وكان اسود يقال له دُعَيج ، وقال : [من الطويل]

[و] من كانَ في شكٍّ يخادِعُ نفسَهُ فموعِدُه حَرّانُ نِصْفَ المُحرَّمِ

. [٦٨/٦٠٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

الخوارج في ولاية عبد الله بن عمر العراق ليزيد بن الوليد الناقص إلى آخر أيام مروان بن محمد

أمر بسطان الشيباني في أيام مروان بن محمد :

٢١٦ـ قال علي بن محمد وغيره : خرج بسطام الشيباني وكان يرى رأي البيهسيّة[١] وكان يقول : أقتل المخلوق فألحقه بالخالق ، وكان خروجه في شعبان سنة ست وعشرين ومئة بأذربيجان في ثلاثة عشر فارساً فقتل عاملاً لمروان ومضى إلى الموصل ، فقدم الموصل ومعه أربعون فارساً فقاتله يحيى أو سلمة بن الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة ببلد[٢] فهزمهم بسطام وأقام ببلدَ أياماً ثم أتى قَرْدَي[٣] فأقام بها ما شاء الله ، ثم سار إلى ألف فارس من أهل الشام كانوا بين نصيبين ورأس العين فبيّتهم فأصاب منهم طرفاً ، ثم أتى نصيبين وفيها المساور بن عقبة فأعطوه الرضى ثم أتى بازيدي ثم أتى الموصل فأعطوه الرضى فنزل الربض الأعلى وأقام شهراً ، وأتته رسل مروان يدعونه إلى طاعته ونصرته ، فأبى عليهم وسار بسطام إلى بلد فأقام بها شهراً فتركه

---

(١) فرقة من الخوارج تقول بقول أبي بيهس هيصم بن جابر الضبعي : حيث يقول : إن أعداءنا كأعداء رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم تحل لنا الإقامة فيهم ، كما فعل المسلمون في إقامتهم بمكة وأحكام المشركين تجري فيها ، وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الإسلام وأن حكمهم عند الله حُكْمُ المشركين . الكامل للمبرد . تحقيق الدكتور الدالي . ج :٣ ص١٢٢٠ .

(٢) بَلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينها سبعة فراسخ وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً ـ معجم البلدان ـ .

(٣) قرْدي : قرية قرب جبل الجودي بالجزيرة جزيرة ابن عمر ـ معجم البلدان ـ .

ناس من أصحابه وأتوا مروان ، فأتى بسطام أذربيجان فلقي اليمان الحميري وهو من أصحاب الضحّاك وقد اعتقد وأراد أن يأتي مروان فقتله بسطام ، فسرّع إليه عاصم بن يزيد الهلالي[1] وهو على أرمينيّة وأذربيجان رجلاً يقال له عبد الملك في ستة آلاف ، فقُتل عبد الملك وهُزم أصحابه وقُتل منهم بشرٌ ، ثم سار بسطام فأتى الحنابة من أرض الموصل في يوم سوقٍ فقتل ثمانين رجلاً وأقام عشرين يوماً ، ثم أتى شهرزور فلقي عاملاً لمروان يقال له جدار بن قيس فلم يقاتله وسار فأتى أكراداً فقتلهم ، ثم سار إلى العراق وأتى المدائن فلقي بالمدائن عاملها غوير بن المتوكّل وهو في ألفين فهزمه وسرّح إليه شجرة بن زهير أحد بني تيم بن شيبان فهزمه بسطام ، فوجّه إليه مروان الخيبري فبيّته وقتل بسطام وعامّة أصحابه وتفرّق بقيّتهم ، فقال الشاعر : [من السريع]

حيّا الإلهُ الخيبريَّ الَّذي ألحق روحَ الفاسِقِ المارِقِ
بالنارِ يَصْلاها كَما أَنَّهُ قَدْ يلحقُ المخلوقُ بالخالِقِ

أمر الضحاك بن قيس

٢١٧ ـ الضحّاك بن قيس بن عبد الله بن ثعلبة الشيباني ، من بني ذهل بن شيبان[2] .

قالوا : بويع الضحاك بن قيس بعد سعيد بن بهدل فأراد حين بايعوه أن

---

(١) الهلالي : نسبة إلى بطن من قيس وهو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

(٢) الضحاك بن قيس بن الحصين بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد مناة بن أبي عمرو بن عوف بن ربيعة بن محلّم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

يأتي الشام ، فأبى عليه أصحابه فوجّه حبناء بن عصمة الشيباني إلى تكريت فغلب عليها ، ووجّه أبا الدبس أحد بني تيم الله بن شيبان إلى حولايا وأرضها ، ورجلاً إلى الدسكرة ، فلقي أبو الدبس جُمَيع بن مقرّن وحُريث[1] بن أبي الجهم الكلبيين . فقتل جُميع بن مقرّن وانهزم حُريث حتى أتى المدائن . ولقي الرجلُ الآخر الذي وجّهه إلى الدسكرة سعيد التنوخي فقتل وانهزم أصحابه .

فوجّه عبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز الأصبغَ بن ذؤالة ، ويقال ابنه حمزة بن الأصبغ إلى المدائن ، فقاتل أبا الدبس ، وارتجز الأصبغ ، فقال : [من الرجز] .

أعدتُ للدِّبسِ وَرَهْطِ الدِّبسِ طَعناً يُنَسِّيهم سُؤالَ الحِمْسِ

وتحاجزوا . وجاء حبناء بن عصمة إلى المدائن ، فلما قدمها حبناء عبر الأصبغ دجلة وقطع الجسر وصار إلى الكوفة .

وأقبل الضحاك من شهرزور في ثلاثة آلاف ، ويقال في أربعة آلاف وعلى مقدمته عبيدة بن سوار في أربعمئة ، فانتهى عبيدة إلى جسر النهروان وعليه قائد لأهل الشام في ألفين وقد قطع القائد الجسر ، فشتموا عبيدة وأصحابه ، فقال عبيدة : إنّا لم ندع الأموال والأهلين ونحن نبالي ما قلتم ، فاختاروا واحدة من ثلاث : إما أن تجيبونا إلى أمرنا وتجنحوا إلينا ، وإمّا أن تعقدوا الجسر وتعبروا إلينا ونعطيكم موثّقاً أن لا نعرض لأحد منكم حتىٰ تتامّوا قبلنا فنحاكمكم إلىٰ الله ، أو تعطونا عهداً ،

---

(١) حُريث بن ابي الجهم بن كنانة بن أربد بن الحُباب بن سويد بن خليفة بن مالك بن عبد الله بن العُبيد بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، وكان في صحابة أبي جعفر المنصور .

وما أنتم بثقةٍ ألا تهيجوا أحداً منا حتى يعبر إليكم عشرة فيقاتلونكم فإن قتلتموهم عبر إليكم مثلهم حتى تأتوا على آخرنا أو نظفر فأبوا . وعقد الضحاك بن قيس الجسر وعبر أصحابه إلى المدائن .

فكتب إليه القُعَدُ[1] الذين بالكوفة مع أصعر بن عبد الرحمن ، وكتب إليه عاصم بن الحدثان فسرّه ذلك وقال : قد آن لهم أن يكتبوا إليّ وكان كتاب عاصم مع حُميد العجلي .

أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله الذي ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾[2] فإنه قال : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[3] واعلم يا أمير المؤمنين أن لكل عمل عبد الله جزاءً إن حسناً فحسنٌ وإن سيئاً فعقوبة إلا ما عفا الله عنه ، واذكر نعمة الله عليك وعلى المسلمين إذ أكثركم بعد القلّة ، وأعزّكم بعد الذِلّة ، كتبتُ إليك يا أمير المؤمنين ، وأنا ومَن قبلي من المسلمين في نِعَم علينا من الله سابغة ، نسأل الله تمام ذلك بكمال الإسلام والعون والنصر ، وقد وجّهت إليك مع حميد عصابةً من المسلمين نفروا رغبةً في الجهاد ، واعلم يا أمير المؤمنين أنك مسؤول عما استُرعيتَ ومحاسبٌ بما كسبتَ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملتْ من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً .

فكتب إليه الضحاك : قد قدم عليّ حُميد العجلي بكتابك وفهمتُ ما أمرت به من طاعة الله ، فنسأل الله أن يجعلنا وإياك ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسارع إلى الخيرات . وقد قدمت العصابة وهم على

---

(١) القَعَد والقَعَدَة : الذين لا يمشون إلى الحرب ، وبه سميت فرقة من الخوارج ترى التحكيم حقاً ولا تحارب .

(٢) سورة الغافر رقم : ٤٠ الآية رقم : ١٩ .

(٣) سورة النساء رقم : ٤ الآية رقم : ١٣١ .

ما وصفت في الرغبة في الخير إن شاء الله ، فجزاهم الله عن أنفسهم وإخوانهم خير ما جزى الغازين في سبيله ، ونحن ومن قبلنا من المسلمين على أحسن حال نسأل الله شكره والسلام .

وكتب بسطام بن المثنى : وأقام الضحاك بالمدائن أياماً ، فكان رجل من أصحابه ينادي في كل صباح : يا خيل الله اركبي وابشري الجنّة ، وكان في أصحابه رجل مريض ، فإذا سمع النداء قام إلى فرسه فأسرجه ، فلما كثر ذلك ، قال : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري هَل أبيتَنَّ ليلةً بعيداً عن اسمِ الله والبَرَكاتِ[1]

ثم سار الضحاك من المدائن وقدّم إلى الفرات مسكينُ بن الحسن المحلّمي[2] فلقي على الفرات عبيد الله بن العباس بن يزيد بن الأسود بن سلمة بن حجر بن وهب بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور وهو كندي[3] ، فلما رآه عبيد الله قطع الجسر ورجع إلى الكوفة ، فأراد عبد الله بن عُمَر أن يوجّه إليه الأَصْبغ بن ذؤالة ليمنعه من العبور ، فقال له عبيد الله بن العباس : عبوره أيسر علينا من طلبنا له فدعه فليعبر ، فأخذ برأيه .

وسرّح مسكين الخارجي خيلاً فصعدت بالسفن فعقدوا والجسر

---

(١) جاء في كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي ج :٢ ص :٣١ التالي : ومن بني المنتفق جهم بن عوف بن الحصين بن المنتفق ، الشاعر الذي يقول :
ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بعيداً عن اسم الله والبركات
وكانوا بالروم ، وكانوا يقولون : يا خيل الله الركبي على اسم الله والبركة .

(٢) المحلّمي نسبة إلى مُحلِّم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٣) كندي : وهو سهو من الناسخ وصحته كندة حيث أن كندة إسمه ثور ولقبه كندة .

وعبروا ، وقد خندق أهل الكوفة على أفواه السكك فاقتحم مسكين الخندق ثم رجع ، فسار الخوارج إلى النخيلة فنزلوها في سنة تسع وعشرين ومئة ، وابن عمر بن عبد العزيز يومئذٍ يقاتل النضر بن سعيد الحرشي[1] ، فعل ذلك أربعة أشهر في العصبيّة بين أهل اليمن والقيسية ، أهل اليمن مع ابن عمر والقيسيّة مع النضر بن سعيد . فلما نزل الضحاك النخيلة أرسل ابن عمر إلى النضر : إن هذا المارق يريدني ويريدك فهلمّ فلتكن اليدان عليه جميعاً ثم ننظر ، وسفر بينهما العباس بن عبيد الله بن عبد الله بَيَّة بن الحارث بن عبد المطلب فأصابه سهمٌ فقُتل ، ويقالك إنه قتل قبل ذلك وكان السفير غيره .

فصاروا جميعاً يداً على الضحاك بن قيس ، قالوا : وأصبحوا غداة أربعاء فساروا إلى الخوارج فالتقوا فقُتل من الخوارج يومئذٍ أربعة عشر رجلاً ونسوة ، ثم التقوا من الغد واشتدّ الأمر بينهم وجعل رجل من الخوارج يرتجز ويقول : [من الرجز] .

يا نفسُ منْ طولِ الحياةِ مُلِّي وَعَيْشِكِ المنقَطِعِ المَوَلّي

عَليَّ اَلْقَى عَاصِماً لَعَلِّي في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ وَظِلِّ

وَبَيْهَساً وَكَهْمَسَ المُصَلِّي

[٦٠٥/٦٨] فحمل عليه عبيد الله بن العباس بن يزيد ، فحاد عنه الخارجي ، فقال له عبيد الله : تتمنّى الجنة وتحيد فقال : أحيدُ لما هو شرٌّ لك يا عدو الله ، وأبلى يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز ، فلم يعرض

---

(١) النضر بن سعيد بن عمرو بن أسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن معاوية (الحَرِيش) بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

له فارس إلاّ قتله ، فحمل عليه البرذون بن مُوَرّق الشيباني[1] فضربه عاصم على رأسه ، وحمل رجل من الخوارج على عاصم فاختلفا ضربتين فقتل عاصم الخارجي ووقعت ضربة الخارجي في رأس عاصمٍ فأثقلته وبقي ثابتاً على فرسه ، ونظر إليه البرذون بن مورّق الشيباني فرماه بنفسه فطعنه فأرماه عن فرسه فسقط ميتاً ، وتناول البرذون عموداً كان على سرجه فإذا عليه مكتوب عاصم بن عمر ، واشتدّ عليهم الحرّ وهم يقاتلون فوضع جعفر أخو عبيد الله بن العباس بن يزيد بيضته عن رأسه يتنفّس ويتروّح ، وهو على شرطة عبد الله بن عمر ، فقال عبد الملك بن علقمة العبدي[2] الخارجي : إني لأحسب هذا من فراعنتهم وحمل عليه فطعنه جعفر في فمه فكسر ثنيته وجرحه في طرف لسانه ، فوحّش ابن علقمة برمحه وانتضى سيفه وحمل عليه فضربه على هامته فاعتنق فرسه ودعا ابن أخيه وابن عمه : يا هيثم فأقبل نحوه فعرّضه رجل من الخوارج فضربه ففلق جبين هيثم ، ثم برأ بعد فكان يقال له ذا الوجهين .

انهزام ابن عمر وحمله الأموال :

٢١٨ ـ واتّبع عبد الملك جعفراً فلحقه فعانقه فسقطا إلى الأرض فقتله . وانهزم ابن عمر وأهل الشام فانتهى أهل الشام إلى خصٍّ قد أضجعته الرحي فاقتحمه النضر بن سعيد في فوارس فلم يروا له منفذاً . فقالوا : هلكنا سيحرقونه علينا ، ثم وجدوا منفذاً فخرجوا ، ولحق

---

(١) عند ابن الكلبي في الجمهرة : ج :٢ ص :٢٣٣ برذون بن البغل بن الممكّا الخارجي وهو : برذون بن البغل بن الممكّا بن مورّق بن عَريب بن هُميز بن جندل بن خُزيمة بن عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٢) العبدي يعني عبد القيس .

الخوارج هبيرة بن عبد الرحمن بن حسّان بن المنذر بن حسان الضبّي[١] وابناً لأبي سماك[٢] فقتلوهما ، وجاء الخوارج الخندق فوقفوا ملياً ثم رجعوا إلى معسكرهم .

وحمل الناس قتلاهم ، ودفَن آل الأشعث عاصمَ بن عمر بن عبد العزيز في دورهم ، ثم التقوا يوم الجمعة ، ولقيهم الأصبغ بن ذؤالة في عشرة آلاف فهزمهم الخوارج حتىٰ دخلوا حيطان الكوفة ، فلما أمسوا خرج قوّاد من قواد ابن عمر من اليمانيّة ، منصور بن جُمهور والأصبغ بن ذؤالة ، وخرجت القيسيّة مع النضر بن سعيد إلى واسط وهو يريد أن يغلب عليها .

فأصبح ابن عمر وقد ذهب الناس عنه فحمل الأموال وارتحل فسبقته القيسية إلى واسط ، فأرسل إلى النضر بن [سعيد] شبيبَ بن مالك الغساني وهو عامل ابن عمر على واسط ، فقال : افتح لنا باب المدينة لتكون أيدينا واحدة ، فأرسل إليه : يا بن السقّاء يا بن نسعة قد كنتُ أحسب أن لك عقلاً ، كيف أفتح لك باب المدينة وقد عرفتُ غدرك ، الحق بطريق البريد مقعد أبيك هو أشبه بك .

وقدم ابن عمر بأثقاله فدخل المدينة ومات عامله شبيب بن مالك يوم دخل ابن عمر المدينة ، فقالت القيسية : لا ندعكم تعبرون به ، فسفروا بينهم حتى أذنوا لهم أن يعبروا بالجنازة قوم لا سلاح عليهم .

---

(١) هبيرة بن عبد الرحمن بن حسان بن المنذر بن حسان بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بَجَالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة .

(٢) أبو السماك الشاعر واسمه سمعان بن هبيرة بن مساحق بن بجير بن أسامة بن نصر بن معين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن عمرو (مدركة) بن إلياس بن مضر .

ودخل الضحاك الكوفة فوجد في دار النجباء قوماً من أهل الشام فمنّ عليهم ، ووجد قوماً في دار بلال بن ابي بردة فقاتلوه فقتلهم وأمّن الناس ، وبعث الرجال وحبناء بن عصمة وعكرمة فباعوا الغنيمة عند قصر الكوفة ، وذلك في أول يوم من شهر رمضان .

وكان رأي أصحاب الضحاك أن يستعرضوا أهل الكوفة فمنعهم الضحاك ذلك ، فلما دخلوا الكوفة تلقوهم بالأسوقة ، فقال الضحاك : ألم أخبركم أنَّ لكم بها إخواناً يكتمون إيمانهم في دار الكفر . فمرّ رجل من الخوارج برجل على باب داره وكان عظيم البطن ، فقال له الخارجي : أصائم أنت ؟ قال : نعم ، قال : ما بطنك ببطن مؤمن ، ولولا أني أكره أن أفسد سناني بما في بطنك لأخرجته من ظهرك .

وجنح إلى الضحاك عبيد الله بن العباس الكندي . وقال هشام بن الكلبي : شهد عبيد الخوارج بالكوفة وهم يقتتلون بين الحيرة والكوفة أيام الضحاك مع جعفر بن العباس بن يزيد الكندي أخيه ، فقتل جعفر وجنح عبيد الله إلى الخوارج ، فقال أبو عطاء السندي[1] : [من الطويل] .

ألا يا عُبَيدَ الله لو كانَ جعفرٌ ... هو الحيُّ لم يَجْنَحْ وأنتَ قَتيلُ
ولم يتبَعِ المرّاقَ والنارُ فيهمُ ... وفي كفِّهِ عَضْبُ الذُّبابِ صَقيلُ
جَنَحْتَ وقد أَرْدَوْا أخاكَ وأكفروا ... أَباكَ فماذا بعدَ ذاكَ تَقُولُ
تركتَ أخا شيبانَ[2] يسكُبُ بزّهُ[3] ... ونَجّاكَ خَوَّارُ العنانِ رَجيلُ

---

(١) اسمه أفلح بن يسار مولى بني أسد بن خزيمة ، منشأه الكوفة من مخضرمي الدولتين مدح بني أمية وبني هاشم وكان في لسانه لكنة شديدة ولثغة وكان له غلام فصيح سماه عطاء فكان يروي شعره . الأغاني ، ج : ١٧ ص :٢٤٥ .

(٢) أخو شيبان : هو البرذون بن مُوَرّق الشيباني .

(٣) البَزُّ والبزّة : السلاح يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف ـ اللسان ـ .

فلا وصَلتْكَ الرَّحْمُ من ذي قَرابَةٍ   وطـالِـبِ وِتْـرٍ والـدَّلـيـلُ ذَلـيـلُ[١]

فلما أنشده قوله : فماذا بعد ذاك تقول ؟ قال : أقول أعضّك الله ببَظْرِ أمِّك .

وقال رجلٌ من الخوارج :   [من الرجز] .

نحـنُ عَبَـرْنَـا الخنـدَقَ المُقَعَّـرا   يـومَ لَقيناكُـمْ وجُـزْنـا العَسْكَـرا
حتَّـى قَتَلْنـا عـاصِمـاً وجَعْفَـرا   وَالفـاسِـقَ الضَّبِّـيَّ لمـا أَدْبَـرَا
واليَمنيّيـــنَ وَمَـــنْ تَنَـــزَّرا   لا تحسَبـوا ضَـرْبَ الشَّـراةِ سُكَّـرا

وقال عبد الله بن عمر يرثي عاصماً أخاه :   [من الطويل] .

لَعَمري لَقَدْ نَادى المُنادي فَأَسْمَعا   بصَوتٍ رَفيعٍ حينَ نادى فَأَوجَعَا
غَداةَ نَعَى يوم النَّخيلَةِ عَاصِماً   فَأَبكى العُيونَ الجامِداتِ وَأَقْطَعا[٢]

في أبيات ، وقال خلف بن خليفة يرثي عاصماً :   [من الوافر] .

ألـم يَـكُ عَـاصِـمٌ ذُخـري فَـدلَّـتْ   مَنِيَّتُـهُ علـى ذُخـري المَنُـونـا
وكـانَ مِـنَ المَـودَّةِ نُصْـبَ عَيْنـي   فَـأَمْسَـى غـابَ فـي المُتَغَيِّبينـا
تقـدَّم صـابِـراً وثَـوى شَهيـداً   فَلَسْـــتُ أَعُـــدُّهُ فـــي الميِّتينـا

قال ابن الكلبي : كان ابن بيض الشاعر نديماً لعمر بن الغضبان بن القبعثرىٰ الشيباني[٣] وكان مع عبد الله بن عمر على شرطه ، ثم صار مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر حين خرج ، ثم أراد الجنوح إلى

---

(١) ذكرها الطبري ج : ٧ ص ٣٢٠-٣٢١ .
(٢) ذكرها الطبري بأكثر من هذه الأبيات ص : ٣٢٠ .
(٣) عمر بن الغضبان بن القبعثرىٰ بن حَوْذة بن عبّاد بن عمرو بن ثعلبة بن أسعد بن همّام بن مُرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

الضحاك ، فجاء حمزة بن بيضٍ الحنفي يستشيره والخوارج يومئذ بالكوفة فأخبره ابن عمر أنه قد عزم الخروج معهم فقال ابن بيض :

[من مجزوء الخفيف] .

عُمَـــرَ الخيـــرِ مـــا تَـــرى يـــا بْـــنَ غضبـــانَ فـــي الشَّـــرى
أتـــرى لـــي نفســـي فـــدا ؤك مـــن نـــازل الـــردى
تـــرك سِـــردابـــك المبـ ـلّـــط فـــي طيـــب الثـــرى
وشـــراب مشعشـــع جيـــد ليـــس يشتـــرى
مـــن فـــلان ولا فـــلا ن ولكـــن مـــن القـــرى
وجـــوانِ بيـــض الـــوجـــو ه دجـــوجيّـــة الـــذّرى
أنـــت خيـــرٌ مـــن أن تـــرى ذاك يـــا بـــن القبعثـــرى

قال عمر : فلم أستشرتني يا فاسق إن كان هذا رأيك ؟

وقال ابن بيحان لابن بيض حين دخل الضحاك الكوفة : لو لقيته فأخبرته عن أهل بلدك وقومك فإن لك لساناً وبياناً ، فقال ابن بيض :

[من الطويل] .

ألا لا تَلُمْنـي يـابـنَ بيحـانَ إنّنـي أَخافُ على فَخّارَتي أَنْ تَحطَّما
فَلَـوْ أَنَّنـي لَـوْ شِئْـتُ أبتـاعُ مِثْلَهـا مِنَ السُّوقِ ما باليَتُ أَنْ أَتَقَدَّما

قال أبو الكردي : لما غلب الضحاك على الكوفة ولاّها ملحان بن معروف الشيباني وخرج ابن الحرشي يريد الشام فعارضه ملحان فقتله ابن الحرشي وهو النضر بن سعيد .

قالوا : وأقام الضحاك بالكوفة إلى شوال ثم استخلف عليها ملحان بن معروف التيمي وعداده في بني شيبان ، وسار إلى واسط ، فلما بلغ النضر بن سعيد الحرشي مسيره شخص يريد مروان بالشام في نحوٍ من

ألف من أهل الشام ، ومعه أبو أميّة الثقفي وعطيّة التغلبي ، وأقام نباتة وجماعة من القيسيّة في الجانب الشرقي ووادعوا ابن عمر وأعابوه ، فعرّض ملحان له بالقادسية للنضر والقيسية فناشدوه الله وقالوا : إنا لا نريد القتال ، وكان مع ملحان قادم الذكواني[1] فقاتلهم فقُتل ملحان ورجع قادم إلى الكوفة فقال بعض الحرورية : [من الطويل]

شَفَى الله ملحاناً وبَيَّضَ وجْهَهُ كما جَاهَدَ الأَحزابَ يومَ القَوادِسِ

ورثاه حبيب بن خدرة ورثى عبد الملك بن علقمة ، فقال : [من البسيط]

كابِنْ[2] لَملحانَ فينا من أَخي ثِقَةٍ
أَو كابْنِ عَلْقَمَةَ المُسْتَشْهِدِ الشَّارِي

مِنْ صَادِقٍ كنتُ أصفيهِ مُخالَصَتي فبـاعَ داراً بـأغلـى صفقَـةِ الـدَّارِ

إخوانُ صِدقٍ أرجِّيهم وأَخْذُلُهمْ أشكـو إلـى الله خِـذْلانِـي لأَنْصـاري

أخذ البيعة للضحاك مكان مروان الجعدي :

٢١٩ ـ فلما قدم الضحاك حصر ابن عمر ، فقال ابن عمر لكاتبه الربيع بن سليمان : أعرض الناس ، فعرضهم فكانوا ثمانية آلاف ، قال : ما هؤلاء بشيء ، فما الرأي ؟ قال : إن بواسط خلقاً لا يلقاك الضحاك بمثلهم ، قال : فافرض ، ففرض لعشرة آلاف وقاتل الضحاك ، فكان نباتة[3] يوجه ابنه محد بن نباتة في القيسية فيقاتلون الضحاك ومعهم

---

(١) الذكواني : نسبة إلىٰ ذكوان بطن من سُليم وهو ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس بن الناس (عيلان) .

(٢) يقال كبنتُ عنك لساني أي : كففته ـ اللسان ـ .

(٣) نباتة بن حنظلة بن ربيعة بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن عبيد (أبي بكر) بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

إسماعيل بن عبد الله البجلي[1] في قوم من اليمانية ثم يرجعون إلى المدينة الشرقية بواسط ، وتركهم إسماعيل وشخص إلى البصرة .

فكتب نباتة إلى مروان بذلك . فكتب إليه مروان كتاباً لطيفاً أمره فيه بالاستقامة على منهاجه والمداومة على أمره ويذمّ إسماعيل على ما كان منه ، فقاتلهم الضحاك ستة أشهر ويقال سنة على باب المضمار وباب الزّاب ، وكان على قتال الخوارج منصور [٦٠٦/٦٨] بن جمهور ، ولم تكن القيسية مناصحة لابن عمر ، فقتل منصور يوماً رجلاً من عُبّاد الخوارج في المعركة يقال له عكرمة ، وجُرح منصور جراحةً خفيفةً فأمر له ابن عمر بثلاثين ألفاً ، ثم قاتلهم منصور على باب الزّاب فاستعلى الخوارج وأكثروا القتل في اليمانيّة ، وقُتل من الخوارج عبد الملك بن علقمة العبدي ، طعنه منصور فقتله وحملت عليه أمّ العشنزر وأخذت بلجام دابّته وضربته ضربةً خفيفةً ، وضربها منصور ضربةً شديدةً ، وقُتل ابنُ جحشنة أخو الضحّاك ، ودنا الخوارج من المدينة ، وأمر ابن عمر بدوابّ مقاريف[2] فألبست المشاقة[3] ثم أشعل فيها النار وأرسلت في عسكر الخوارج فذعرتهم وأحرقت فساطيطهم وأخبيتهم ، ولم تمرّ بشيء إلاّ أحرقته ، فتركوا خيولهم وتركوا عسكرهم ونزلوا على أربعة فراسخ منه ، ثم تدانوا فصاروا من ابن عمر على فرسخ أو فرسخين .

وخرج منصور بن جمهور فقاتله الخيبري وأصحابه على باب

---

(١) إسماعيل بن عبد الله البجلي : نسبة إلى بجيلة وهم أولاد أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان ما عدا أفتل بن أنمار فهو خثعم وأمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة بها يعرفون .

(٢) القَرَفُ : بالتحريك مداناة المرض ـ اللسان ـ .

(٣) الشّقّة : نصف الثوب ـ اللسان ـ .

أشدّ قتال حتى تعانقوا ، وقُتل عبد الحميد الكلبي وهو ابن عم منصور .

وقاتل ابن عمر الضحاك من ناحية باب الزاب ، ثم تحاجزوا فقال منصور لابن عمر : ما قاتلت مثل هؤلاء القوم عرباً ولا عجماً ، فقال ابن عمر : الرأي أن نعطيهم الرضى ونضرب بهم مروان ، فأجمع ابن عمر على مصالحتهم وبعث رسلاً إلى الضحاك ، فدخلوا عليه وهو يتعشى فدعاهم إلى العشاء فأبوا ، فقال : إنَّه عدسٌ طيّبٌ وخَلّ وزيت ، فكلوه وسفروا بينه وبين ابن عمر .

فاصطلحوا على أن يسير الضحاك إلى مروان ، فإن قتل الضحاك فليس لأحدٍ في عنق ابن عمر بيعة ، وإن قتل مروان صار ابن عمر مع الضحاك ، فقال الضحاك : لا بدّ من أن ألتقي مع ابن عمر ، فالتقيا مع هذا فوارس ومع هذا مثلهم .

وكان سليمان بن هشام خرج على مروان فلقيه فأوقع به وحوى عسكره وكانت وقعته بخساف أو قربها ، فصار إلى العراق ومعه قومٌ من أهل بيته ، وكان سليمان خليفة إبراهيم بن الوليد على عسكره ، ثم صار مع مروان فأكرمه، ثم خرج عليه وحاربه ، فبايع سليمان بن هشام ، وأبان بن معاوية بن هشام، وداود بن سليمان بن عبد الملك الضحاك ، وكان الذي تولّى أخذ البيعة للضحاك عبيدة بن سوّار ، قالت أم العشنزر لمنصور: قطع الله يدك ! إذ لم تدخل النار على يدي وأُرزق الشهادة على يديك .

وبايع ابن عمر واليمانية وأبت القيسية أن تبايع ، ومضى إلى الشام ابن نباتة وأصحابه ، واستعمل الضحاك على الكوفة ، المثنى بن عمران العائذي من عائذة قريش[1] ، وقال شُبَيل بن عزرة : [من الطويل] .

---

(١) عائذة قريش : بطن من قريش وهو خزيمة (عائذة) بن لؤي وأم ولده عائذة بنت =

ألـــم تَـــرَ أَنَّ الله أنـــزَلَ نصـــرَهُ وصلَّتْ قريشٌ خلفَ بكرِ بنِ وائِلِ[1]

ولم يكن شُبيل يرى رأي الخوارج ولكنه قال : هذا بالتقيّة ، بلغ الضحاك عنه شيء فخافه . وقال شُبيل ابن عزرة : [من الوافر] .

حَمــدْنــا الله ذا النعمــاءِ أَنَّــا نُحَكِّـمُ ظـاهـريـنَ ولا نُبـالـي
بِـرَغْـمِ الحـاسِـديـنَ لنـا وكُنَّـا نُسِرُّ الدينَ في الحججِ الخَوالي
مخـافَــةَ كُـلِّ جبّـارٍ عَنيـدٍ غَشُـومٍ مـن جَبـابـرةِ الـرِّجـالِ
نَدينُ بدينِ ضحاكِ بنِ قَيسٍ ومسكيـنٍ وديـنِ أبـي بِـلالِ[2]
ومـــروانَ الضعيـــفِ وخيبَـــريٍّ أولئـك منتَهـى النَّفَـر النِّبـالِ

قالوا : فأقام الضحاك بواسط إلى شهر ربيع الآخر ثم سار إلى المدائن فقدم عليه عذار بن بيهس السدوسي في وفد من خراسان فجمع لهم من أصحابه شيئاً وصلهم به .

قالوا : وكان مروان متشاغلاً بأهل حمص وكان معه رجال من البيهسية من أصحاب بسطام منهم عثعث التغلبيّ[3] وابن عم له فقالا لمروان : اندب معنا قوماً إلى الضحاك ، فندب خمسة آلاف فيهم الدبّ القيسي ، ومروان بن البختري القرشي ، وبلغ الضحاك مسيرهم فوجّه الخيبري والحسن بن منصور في خيل ، وكان القطران بن أكيمة على الموصل ، فنهى البيهسيّة من أصحاب مروان عن قتال أصحاب الضحاك فلم يقبلوا

= الخَمس بن قحافة من خثعم بها سمو عائذة قريش ولؤي بن غالب بن فهر (قريش) .

(١) ابن عمر بن عبد العزيز من قريش وقد بايع الضحاك بن قيس من شيبان وشيبان من بكر بن وائل ، لذلك قال : وصلّت قريش خلف بكر بن وائل .

(٢) أبو بلال هو مرداس بن أدية وهي أمه وأبوه حدير بن عمرو بن عبد بن كعب بن ربيعة بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، كان عابداً مجتهداً عظيم القدر في الخوارج .

(٣) تغلب واسمه دثار بن وائل أخو بكر بن وائل .

فأوقعوا بالبيهسية وأُسر الدبّ فمنّ عليه الضحاك ، وأتى الحسن بن منصور قطران فقاتله قطران ، ويقال بل قتل الحسن القطرانَ .

وكتب مروان إلى ابنه عبد الله وهو على معونة الجزيرة يأمره بنزول نصيبين ، وكتب مروان إلى الضحاك كتاباً يقول فيه : قد كان لك في نفسك شغل بإصلاح فسادها عن سفك الدماء ، فأجابه الضحاك بكتاب يقول فيه : إن أعظم الشغل وأولاه بالإيثار أداء فرض الله من جهاد الكفار والمنافقين ، وتكاتبا مرات .

وسار الضحاك وعلى مقدمته مسكين اليشكري[1] فأتى نصيبين فحصر عبد الله بن مروان وبثّ خيوله في أرض الجزيرة فضجّ أهل الجزيرة إلى مروان ، فقال إسحاق بن مسلم العُقَيلي لمروان : إن الخوارج قد انتشروا بأرض الجزيرة وأهرقوا واستعرضوا ، وأنا خائف أن يرفض من معك مراكزهم ويلحقوا بحرمهم وأنت مقيم على هؤلاء ، فقال مروان : لو أحاطت الأعداء كلها بي ما برحت أو أفتح حمص أو أقتل .

وكتب مروان إلى ابنه عبد الله : أن اكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فليأتك ، وابن هبيرة يومئذ بنهر سعيد قد وقفه مروان هناك ، فكتب إليه : لا حاجة بنا إلى ابن هبيرة ، لأنّا لا نأمن من أن يكره الناس إلى ما قِبلنا فيغلو السعر وفيمن قبلنا كفاية ، وليسر ابن هبيرة إلى العراق فإنها شاغرة وقد خرج عنها الضحاك ، فأعجب مروان ذلك من رأي أتى عبد الله ، وقال : بأبي أنت وأمّي ، فكتب إلى ابن هبيرة أن يسير إلى العراق ، ونصب مروان المجانيق على حمص حتى طلبوا الأمان ، فآمن الناس غير سعيد بن هشام والسمط بن ثابت ورجل من بني سُليم ورجل يهودي ،

---

(١) اليشكري : نسبة إلى يشكر بن بكر بن وائل .

وهدم حائط المدينة ، فقال بعض الحمصيين : [من السريع] .

يا حمصُ يا ويحَكِ لا تَجزعي قَصَّصــك الجعــديُّ سِكِّنينَــة

وارتحل مروان يريد الضحاك فنزل بحران بباب التبن ، وكتب إلى معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير السكوني بحمص وإلى زامل بن عمرو بدمشق وإلى ثعلبة بن سلامة بالأردن ، وإلى الرماحس[1] بن عبد العزيز الكناني بفلسطين أن يوجّهوا إليه فرسان أهل الشام ، ونزل مروان كفرتوثا . وقال : ما صنع أحدٌ ما صنع عبد الله بن عمر ضربني بعشرين ألف سيف واتكأ بواسط ، إنه لأدهى العرب .

قال أصحاب الضحاك له : قد اجتمع لك ما لا يجتمع لرجل على رأيك منذ اختلف الناس فلا تباشر القتال بنفسك ووجّه الخيل وكن ردءاً للمسلمين تمدّهم إن أرادوا المدد ، فقال : ما لي في الحياة أربٌ وقد أعطيت الله عهداً إن ضمّني وهذا الجبّار معسكر لا أدع جهداً ، ومع الضحاك سليمان بن هشام في ذكوانيّته ومن انضمّ إليه من أهل هشام ، ورفاعة بن ثابت وعصمة بن المقشعر الكلبي فالتقوا ، ووقف الخوارج على تلٍّ فأزالهم أهل الشام عنه ووقفوا عليه ، فقاتلهم الخيبري فأزال أهل الشام عن التل ووقف عليه سليمان بن هشام في الذكوانيّة ، فكره مروان موقفه ، وقال : تتعلم غلمان بني أميّة على الطعان وانصرف إلى عسكره . ورجع الخوارج مسرورين ، فلما أصبحوا ، قال الضحاك : أما منكم أحدٌ يشتاق إلى الجنّة ويحبّ لقاء ربه وحرّضهم وأنشدهم شعراً قيل

---

(١) الرماحس بن عبد العزيز بن الرماحس بن الرسارس بن السكران بن واقد بن وهيب بن هاجر بن عرينة بن وائلة بن الفاكه بن عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن عمرو (مدركة) بن إلياس بن مضر .

فمن مضى من الخوارج وبكى ، فاقتتلوا طويلاً والخيبري يقول :

[من الرجز] .

إيهاً بني شيبانَ طَعناً تَتَرَّى طَعْناً يُرى منهُ القَنَا مُحْمَرَّا

يَتْرُكُ ذا الضِّغْنِ بِهِ مزورّا يركَبُ رَدْعاً للرَّدى مَقَرَّا

فَلَعْنَةُ الله عَلى مَنْ فَرَّا

وباشر مروان القتال وهو يقول : [من الرجز]

أربعَةٌ تحملُ شَيخاً رائعاً مُجرَّباً قد شَهِدَ الوقائِعا

قد صادَفَتْ شيبانُ مُلْكاً ضائِعا

ويروى سمّاً ناقعاً .

وأصابت الضحاك جراحة ، فقال : ليس كل من طلب الشهادة رُزقها . وتحاجزوا ، وخرجوا في اليوم الثالث وخرج الضحاك ، فقال : لا أرجع اليوم إلا أن يأبى ربِّي ، ولست أملك إلا فرسي وسلاحي [٦٠٧/٦٨] وعليّ سبعة دراهم منها ثلاثة في كُمِّي فاقضوها عنِّي ، وقال :

[من مشطور الرجز] .

ليسَ أمير القَوْمِ بالخِبِّ الخَدِعْ

مقتل الضحاك بن قيس :

٢٢٠ـ ثم ترجّل وقال : إن قُتلت فليصل بكم شيبان بن مسلمة ، ويقاتل عدوكم الخيبري ، ولم يعهد إلى أحدٍ ، والتقوا نصف النهار ، وصبروا وصبر أهل الشام فكثرت بينهم القتلى وهزمت الميمنة التي لمروان ميسرة الضحاك واقتتلوا حتى أمسوا ، وقُتل من الخوارج خلق ، وقتل الضحاك عند المساء ، ولم يعلم مروان بقتله ، فلما كان في الليل

جاءَ مروانَ رجلٌ من عسكر الضحاك ، فأخبره بقتله فأرسل مروان من طلبه في القتلى فوجده وبوجهه ضربات فاحتزّ رأسه وأتى به مروان .

قالوا : فقال الخيبري لشيبان : يا أبا الزلفاء ، ولّني قتال القوم فإذا قتلت فالمسلمون على رأيهم ، قال : نعم . فلم يقاتلهم ثلاثة أيام وخرج في اليوم الرابع فحضّ الناس ثم لقيهم ، وعلى ميمنة مروان ابنه عبد الله وعلى ميسرته إسحاق بن مسلم ، فانهزم يومئذ مروان وضربه رجل ضربةً قطعت حمائل سيفه ، وضربه مروان فقطع يده ، ويقال : إنه قاتله في صبيحة الليلة التي قتل فيها الضحاك وكان يرتجز : [من الرجز] .

إِنْ تَـكُ مـروانَ فَـإنِّـي الخَيْبَـري أَضرِبُ بالسّيفِ على حُكْمِ النَّبي
سابغةٌ درعي حَصينٌ مِغْفَري

وهاجت ضبابة شديدة فلم يبصر بعضهم بعضاً ، ثم دخل الخيبري عسكر مروان وانجلت الضبابة وليس مروان في المعسكر ، فظن الخيبري أن مروان قد قتل واعترض العسكر في جماعة من أصحابه فقاتل ومعه أبو كتيلة ، وهو يقول : [من الرجز] .

[قـد] فـرَّ مـروانٌ عَـنِ الـرَّواقِ نجّـاهُ منّـا أَعْـوَجِـيٌّ[1] بـاقِ
يَظَلُّ يَمْرِيه بِعَظْم السَّاقِ

ونادى سليمان بن مسروح البربري مولى محمد بن مروان ، وكان في حرس مروان : كلّ عبدٍ جاءنا فهو حرّ ، فاجتمع إليه من العبيد والموالي وغيرهم خلق فقتل الخيبري ، دخلوا عليه وهو على فرش مروان فضربوه بالعمد وبُشِّر مروان بقتله ، وخرج مروان إلى الناس .

---

(١) أعوجي : نسبة إلى أعوج فرس بني هلال وهو اصل خيول العرب . نسب الخيل لابن الكلبي . ص :١٧ .

وبايعت الخوارج يعقوب التغلبي فقُتل ، فبايعوا مسكين اليشكري فقتل ، فبايعوا شيبان ويقال إنهم بايعوا شيبان حين قتل الضحاك ، فكان شيبان الذي ولّى الخيبري القتال ، وقال الشاعر في قتل الضحاك والخيبري ويعقوب : [من الوافر] .

هُمُ ضَرَبوا الجنودَ بكَفْرِتُوثا وهُمْ نَزَلوا وقد كُره الزّحامُ
شَقَى بلدٌ ، تضمَّنَ خيْبَرياً وَمسكينٌ ويعقوبُ الغمامُ
همُ ضَربوا على فَرعِ المنايا ولم يَفْزِعْهمُ الجيشُ اللِّهامُ

وكان عبد الله بن عمر وجّه أبا الرمح بن عمر فأخبره الخبر ، وقالت امرأة من الخوارج ترثي أخاها : [من الخفيف] .

من لعينٍ ريّا من الدمع عبرى وَلِنفسٍ مِنَ المَصيبةَ حَرَّى
أَفسَدَتْ عَيْشَنا صروفُ الليالي وَوِقاعٌ من الكتيبة تَتْرى
كلّما سَكَّنَتْ حَرارَةَ وجدٍ من فقيدٍ منا شَجينا بأُخرى

في أبيات ، وقالت أيضاً : [من مجزوء الكامل] .

يا عينُ جُودي بالدُّموعْ وابكي بجهدِ المُسْتَطيعْ
يا موت وَيحَكِ ما يزا لُ مغرّقاً بين الجميع
أبكي وما يُغْني التلَهفُ والبكاءُ عن الجزوعْ

وقال حبيب بن خدرة مولى بني هلال ، وقد صار بعد منهم :
[من الكامل]

أبكي الذين تبوَّؤوا الغُرَف العلا فجرتْ لهم من تحتِها الأَنهارُ
أبكي لِنَفْسِي لا لَهُمُ أبكيهُمُ لأصبرَ حيثُ تعارَفَ الأبرارُ

في أبيات ، وقد قيل فيهم شعرٌ كثير .

أمر شيبان بن سلمة الأكبر الشيباني :

٢٢١ـ قال أبو الحسن المدائني وغيره : لما قتل الخيبري غادى شيبان أهل الشام فقاتلهم حتى انتصف النهار ، ثم رجع بعضهم عن بعض ، فافترق الخوارج : فأتت فرقة منهم الجزيرة ، وفرقة العراق ، وأقام الباقون مع شيبان ، فقاتلهم مروان فانتصفوا ، ثم تحاجزوا فارتحل شيبان إلى الزابين وسليمان بن هشام معه ، فخندق شيبان فأتاهم مروان فخندق مقابلهم عشرة أشهرٍ ، ويقال تسعة أشهر ومروان في ثلاثين ألفاً وشيبان في خمسة آلاف فأوسعهم شرّاً وهزموا مروان في تلك الأشهر نيفاً وسعبين مرّةً .

وظفر يزيد بن عمر بن هبيرة بالجون بن كلاب بواسط لما توجّه من نهر سعيد والياً على العراق ، وكان الجَوْنُ بن كلاب الشيباني ، وهو الثبت ، وبعضهم يقول ابن النعمان نازلاً بالسنّ ربيئة الضحاك بها ليمدّه بالطعام والعلف .

فكتب مروان إلى ابن هبيرة يستمدّه وهو بواسط ، فأمدّه بعبيد الله بن العباس بن يزيد الكندي في أربعة آلاف ، ثم بعامر بن ضُبارة في ستة آلاف ، فأخذ عبيد الله بن العباس في شرقي دجلة ، فوجّه إليه شيبانَ بن السحاج الأزدي فواقعه ، فانهزم عبيد الله ورجع إلى ابن هبيرة فضمّ أصحابه إلى عامر بن ضُبارة ، فأتى ابن ضبارة السنَّ فقاتله الجَون بن كلاب الشيباني وخندق ابن ضبارة وقاتل الجون شهراً ، وجعل الخوارج يرتجزون : [من الرجز] .

نحـــنُ الشـــراةُ لا شـــراةُ غَـــزّهْ ولا شـــراةُ الكـــوفَـــةِ المتبَّـــرهْ

غزه بعين التمر ، ويقولون : [من الرجز] .

نحــنُ بنــو شيبــانَ أهــلُ الجَنَّــةْ   نقتلكــم علــى هُــدى لا ظِنَّــةْ

وأمد مروانُ ابنَ ضبارة بمصعب بن الصحصح في ألفين فقُتل الجون وقدم فلّه على شيبان ، وقوي مروان وقطع ابن ضبارة عن شيبان المادّة من العراق . وقطع مروان مادّة الشام ، فضاق الخوارج حتى صار الرغيف في عسكرهم بدرهم . وخاف شيبان أن يأتيه ابن ضبارة من خلفه .

فحضّ مروان أصحابه وخرج إليهم في يوم أربعاء فواقعهم ، ثم أجمع على أن يغاديهم في يوم الخميس ، وكان مع مروان رجلٌ يرى رأي الخوارج . فكتب إلى شيبان أن القوم مصبّحوك فاحذروا واستعدّ ، ففعل وزحف إليهم مروان في كراديس فشدّدوا على الحسن بن منصور اليشكري وهو في ميمنة شيبان أو في ميسرته فأزالوه وقوّاه شيبان في مدد فرجع إلى موقفه ، وكشفت الخوارج خيل مروان وداست رجالته وأكثر الخوارج فيهم القتل ، وصاروا إلى قصر مروان الذي في خندقه ، فقال حبيب بن خدرة : [من الطويل] .

فلم أنْسَهُمْ يومَ الخميسِ وَكَرّهم   عليه ويومَ القصرِ إذْ حُرِسَ القَصْرُ
ودفعَهُــمُ الجَعْــدِيَّ إذْ يطــردونَــهُ   وأدركَهُ التّحكيمُ والقُضُبُ السُّمْرُ

في أبيات . وقال سليمان بن هشام ويقال بل نُحلها : [من الطويل] .

وَسِرْتُ مَعَ الضَّحاكِ لمّا تخاذَلَتْ   معاشِرُ أهلِ الشامِ شرُّ المعاشِرِ
جَزَى الله عَنّا الحيَّ بكرَ بنَ وائلٍ   وتَغلِبَ خيراً من مُحامٍ وناصِرِ
هُمُ صَبَروا يوم الخَميسِ وقد شفَوا   غليـلَ نُفـوسٍ مـن سُليـمٍ وعـامـرِ
غداةَ غدا مروانُ في عارِضٍ لهُ   بجُــرْدٍ علينــا جــردِ أَبْلَــجَ قــادر
سَمَــوْنــا لــه منــا بجمــعٍ مُعــاوِدٍ   قِراعَ الأعادي وافتِضاضِ العَسَاكِرِ
وَفَــرَّ وَفَــرَّتْ خيلُــهُ مُبْــذَعِــرَّةً   وطــارَ بــِهِ قلــبٌ لــه غيــرُ صــابِــرِ

وقال كهمس بن عثمان الرفاعي من بني يشكر لشيبان : [من الوافر] .

وَليتَ المُسلمينَ بكَفْرٍ تُوثا على حالٍ يَزلُّ به القِيامُ

في أبيات ، وقال رجل من الخوارج : [من الرجز] .

قد عَلِمَتْ خيلُكَ يابنَ الصَّحْصَح بالزّابيَيْنِ والعيونُ تلمحْ
إنّا إذا صيحَ بنا لا نبرَحْ إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَحْ
لن نَبرَحَ المَوصِلَ حَتَّى يُفْتَحْ

وقُتِل الحُبان بن عُميرِ بن الحُباب وقتل شقيق الغنوي فقال بعض الخوارج : [من الرجز] .

قد عَلِمَتْ خيلُكَ يا شَقيقُ أنّكَ مِنْ سُكْرِكَ لا تَفيقُ[1]

وقُتل على لواء مروان سبعة عشر رجلاً .

وقال شيبان : قد ترون ما نحن فيه من الضيق ، وقد رأيت أن نأتي بلداً يتّسع لكم به المعاش ، فمن أراد الجهاد فليمض معي ، فصيّر معه قومٌ وتفرّقت جماعة من الأعراب فلحقوا بأهاليهم ، فأتى أذربيجان في أهل البصائر ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك والمعمّر بن شعبة ، وكان ذا بصيرة فيهم .

وانصرف مروان عن الموصل وولاّها عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي ، وهو الثبت ويقال زهير بن الأصمّ . وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يعلمه خبر الخوارج وأن طريقهم عليه ويأمره بطلبهم وتوجيه الجنود إليهم ، قالوا : ووجّه مروان لطلب شيبان[2] أبو سلمة مصعب بن

---

(١) ذكره الطبري ، ج : ٧ ص : ٣٥٠ .

(٢) أبو سلمة هكذا جاءت في المخطوطين وصحته أبا سلمة وهو مصعبُ بن الصحصح بن=

الصحصح الأسدي في ألفٍ وشقيقاً السلمي [٦٨/٦٠٨] في ألف وصالح بن حبيب في ألف وغطيف بن بشر السلمي في ألف ، وعليهم جميعاً عبد الله بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي(١) . ووجّه ابن هبيرة إليهم خيلاً .

وأتى شيبان العراق منصرفاً من أذربيجان فنزل المدائن ، فقال له المعمّر بن شعبة : حتى متى هذا الزوغان ، فقال شيبان : إن في مطاولتهم غيظاً لهم ووهناً عليهم ، وخالف المعمر في بعض الأحكام ففارقه وصار مع المعمّر عامّة أصحاب شيبان وقال المعمّر : [من الوافر]

رأيــتُ اليَشْكُــرِيَّ بنــا فَــرُوراً فِــرارَ العَــوُدِ لــجَّ بــهِ النّــداءُ(٢)

وأتى شيبان الأهواز ومعه سليمان بن هشام ومنصور بن جمهور ، ثم أتى فارس ومنصور معه فكانا مع عبد الله بن معاوية ، وندم المعمّر على فراق شيبان وقال لأصحابه : قد ولّيته فتولّوه فقد صدق فيما كان قال ، ولقي المعمّرُ عامرَ بن ضبارة فقاتله فأصابت مُعمّراً جراحات مات منها .

وتفرّق أصحاب ابن معاوية عنه فمضى إلى هراة ومضى سليمان إلى عُمان ومنصور بن جمهور إلى السند وتوجّه شيبان إلى جزيرة ابن كاوان فأقام بها حتى قدم عليه المسيّح بن الحواري من قبل أبي العباس فقاتله فانهزم المسيّح . وأتى شيبان عُمان فكره الجلندي بن مسعود قدومه

= عبد الله بن أكمة بن مالك (أبي مظفار) بن عوف بن معاوية بن كسر بن ناشرة بن نصر بن سواءة بن الحارث بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزيمة .

(١) عبد الله بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان بن عمرو بن جابر بن عمارة بن عبد العزى بن عامر بن عمرو بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك (باهلة) بن أعصر .

(٢) العَوْد : الجمل المسن ، والنداد : الشرود .

وقال : تركت مهاجراً الضحاك وجئت إلينا ، فقال : يا أهل عُمان ما تكرهون منّي أما والله لئن ركبت الزنوق وشددّت عليكم بسيفي لأكثرنّ فيكم القتل ، فنافره الجلندي فقاتلهم حتى قُتل ، وكان يزيد بن سالم الجحدري[1] قال له : هذا الليل فلا تقاتل ، فأبى وقاتل فرُمي وأمسكوا عن القتال فوجد ميتاً . وقيل طعنه رجل في عينه ثم جاءه سهم فمات في موضعه ، واحتزّ رأسه رجل فنظر إليه يزيد بن سالم ، فقال : ثكلتك أمّك أتدري أي رأس تحتزّ .

وكان سليمان بن هشام قد تزوّج ابنة شيبان ، فلما قُتل شيبان رجع سليمان إلى البصرة ، ثم تزوج امرأةً بالكوفة ، واستؤمن له أبو العباس فأمّنه ثم أنه قتل بعد ذلك .

المدائني قال : قال بشار بن محدوح : قدمتُ من عُمان وشيبان بجزيرة كاوان فأُخذت فأُتي به شيبان ، فإذا رجل أهتم طويل على رأسه رجل يظله ، ثم قال : ما فعل الشيخ الأزدي ، يعني الجلندي بن مسعود ؟ قلت : على ما تحب في سمعه وطاعته ، فتبسم ثم قال : لئن بقيت له لألقينّه بفتيةٍ يقولون : اللهم لا ترجعنا إلى أهلنا .

خبر يزيد بن عمر بن هبيرة والخوارج حين قدم العراق :

٢٢٢ـ قال أبو الحسن المدائني وغيره : كان الضحاك ولّى الكوفة سعداً الخصيّ ، وإنما قيل له الخصيُّ لأنه كان أثطُّ[2] وهو من الأزد ، ثم عزله وولّى الكوفة المثنى بن عمران العائذي من قريش وكان خارجيّاً ، ووجّه

---

(١) **الجحدري : نسبة إلى جحدر وهو ربيعة بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .**

(٢) **الأثط : الكوسج القليل شعر اللحية ـ اللسان ـ.**

مروان يزيدَ بن عمر بن هبيرة في ستين ألفاً وأمره أن ينزل نهر سعيد ثم أمره بإتيان العراق وولّاه إياه ، وبلغ الضحاك ذلك فوجه الضحّاك عبيدة بن سوّار إلى الكوفة والياً عليها ومعه منصور بن جمهور وغيره ، وقال قوم : وجهه إلى العراق بعد قتل الضحاك ، فبلغ عبيدة مسيره إلى العراق فسرّح إليه المثنى بن عمران ومنصور بن جمهور ومطاعن بن مطيع الأزدي وجحشنة العجلي ، فقاتلوه بالأنبار وعليهم منصور بن جمهور فهزمهم ابن هبيرة وقُتل المثنى بن عمران . وقال قوم : لم يقاتلهم بالأنبار ولكنه نزل الأنبار ثم مضى إلى عين التمر فعارضه منصور فالتقوا فقتل المثنى وانهزم منصور وأصحابه فدخلوا الكوفة فجمع منصور جمعاً من اليمانية ثم خرج إلى ابن هبيرة فالتقوا بالروحاء ، فقُتل البرذون بن مورّق وانهزم منصور فدخل الكوفة ثم خرج من ليلته فأتى عبيدة بن سوّار وهو بالبصرة .

وأقام ابن هبيرة أياماً ثم أقبل يريد الكوفة فلقيه نصر بن فراس عامل عبيدة فقتل نصر ، قتله أبو عثمان صاحب ابن هبيرة وانهزم أصحاب نصر وظهر ابن هبيرة على الكوفة ، وأقام بالنخيلة أياماً فبلغه أن عبيدة يريد أن يسير إليه فشخص من النخيلة وولّى الكوفة رجلاً ومضى يريد عبيدة .

ووجّه عبيدة مطاعن بن مطيع ، فوجه إليه يزيد بن عمر بن هبيرة عطيّة التغلبي فالتقوا على قناطر المسيِّب فقتل مطاعن وابنه مجاهد ، وقام بأمر عسكر مطاعن رجل يقال له شيبان بن عبد العزيز الصغير فقاتل عطيّة شهراً ، وأتاهم عبيدة واحتفر ابن هبيرة خندقاً بين عسكر عبيدة وشيبان وأظهر أنه يتحوّل إليه ، فغلبه عبيدة وشيبان على ذلك الخندق فنزلوه ، وعقدا جسراً على الصراة ، وعزم ابن هبيرة على تبييتهم ، فلما صار إليهم وجدهم نياماً ، فكبّر أهل الشام فثار الخوارج إليهم وهم يحكّمون ، وجعل أهل الشام يحكّمون أيضاً وقتل بعض الناس بعضاً ، ثم اقتتلوا أياماً

فقال عبيدة لأصحابه : حتى متى نحن هكذا ، قبح الله العيش بعد مطاعن ، فقال له منصور : اذكر الله في نفسك فلم يثنه وخرج هو وأصحابه وعقر أصحاب عبيدة دوابهم ، ولم يعقر عبيدة فرسه .

ثم اقتتلوا وعلى ميمنة ابن هبيرة ابنه داود بن يزيد وعلى الميسرة نباتة بن حنظلة ، فلقي أهل الشام منهم شرّاً حتى كادوا يستعلون وعبيدة على تلٍّ قد وقف على فرس له ، فقال داود بن يزيد لنباتة : يا أبا المقدام تأخّر لي قليلاً أحمل عليهم ، فقال له : يا بن أخي إن الرجوع بعد التقدّم قبيح بمثلي فتقدّم داود فحملوا عليه فولّى ، فأرسل ابن هبيرة إلى خالد بن الغزيل : اضرب داود ثلاثة أسواط فقنعه ، ودنا نباتة إلى التلّ ونزل عن فرسه فعار الفرس ، فلما رأوا الفرس عار اضطرب الناس فقاتلوا قليلاً ثم جالوا فقتل عبيدة وقتل جحشنة العجلي ، وانهزم فلّ الخوارج نحو الكوفة وهرب أبو طالب الحنفي نحو البصرة .

وقدم ابن هبيرة الكوفة ، وهرب منصور بن جمهور فأتى المدائن فنزل على عون بن عتّاب الجرمي ، فأودعه جارية له وأودع حميد الأزرق مالاً وأقام بالمدائن حتى قدم شيبان الأصغر المدائن ، ثم خرج معه إلى فارس ثم أتى منصور السند فغلب عليها ، ثم هلك بها وقال غيلان :

[من الرجز] .

لقد جَلَبْتُ الخيلَ منْ مَغَارِها	من غوطَةِ الشَّامِ وأَقْصى دَارِها
في لَجَبٍ أَرْعَنَ مِنْ جِرارِها	لا يَعرِفُ البلقَ مِنَ اعْتِكارِها
كأَنَّها الراياتُ في اَقْتارها	عُقْبَانُ دَجْنِ الطَّلِّ في أَقطارها
حتَّى بعثت الخيلَ من مَغَارِها	إلى الصَّراة وإلى أَنبارِها
لشيخ شيبانَ وأَصْلِ دارِها	ولِصّها الداعي إلى بَوارِها

وَمَن يُمنّيٰ المْلكَ منْ دُعَّارِها

في أبيات ، وقال أيضاً : [من الرجز] .

يـا صَـاحِبـي أَبشِـرْ بمـا منيتـا ... مـن مَلِـكٍ لخيـرِهِ دُعيتـا
تُـريـدُ يـا بـنَ الأربعيـنَ صيتـا ... فـي بَيْـتِ مَجْـدٍ يجمـعُ التَّشتيتا
سُمِّيـتَ بـالـزائـد إذْ سُمِّيتـا ... وآلَ مـروانُ إذ انتُضيتـا
أهـلاً لمـا ولِيـتَ إذْ وُلِّيتـا ... نقـاوَةً كنـتَ لمـا انتُقيتـا
أَبَيْـتَ إحسـانـاً ومـا أُنسيتـا ... إذْ جئـتَ بـالضـرَّاءِ مُسْتَميتـا
جنـد ابـن جُمهـورِ بهـمْ أُغـريتـا ... إذا خَبـتْ نـارُهُـم حَميتـا
حتَّـى ثَنَـواْ قَسْـراً ومـا ثَنيتـا ... يقـولُ مَـنْ مَـرَّ بِـهِ خُـزيتـا
إنْ كنتَ عطشانَ فقدْ رَويتا

وكان منصور وقع في الماء ثم أخرج ، وقال غيلان : [من الرجز] .

لمَّـا رأيـتُ المُلحـديـنَ أَسْـرَفـوا ... وقـادَهـم للحَيْـنِ ديـنٌ أحنَـفُ
رميتَهـم بـذي رَهـا تَـزَحَّـفُ ... قـواعـدُ الأرضِ لـهُ وتَـرجُـفُ
عَمْـراً أصـابـوا والمُثَنَّـى أَتْلَفُـوا ... وأمّ كـردوسٍ نَسَـاهـا يَنْطِـف[1]
ويـومَ رَوْحـاءِ العُـذَيْـبِ دفّفـوا[2] ... على ابنِ مَرزوقٍ فأضحى يَنْزِفُ
وهرب المجدولُ ركضاً يرجُفُ

يعني منصور بن جمهور ، وأم كردوس امرأة عبيدة ، وقال مسلم حاجب ابن هبيرة : [من الطويل] .

ألا هَلْ أتى قَيْساً وخندفَ وقْعُنا ... بأكتافِ عَيْنِ التمرِ في حَمَسِ الحَرْبِ
قتلنـا بهـا عَمْـرَو النِّفـاقِ بكُفـرِهِ ... وَأُبْنا بأَسرى منْ تنوخٍ ومن كَلَبِ

---

(١) النسا : العصب الوركي . ينطف : يقطر وينزف .

(٢) دففوا : تتابعُوا .

وبالجسر أردَيْنا المثنَّى وجمعَهُ على حَنَقٍ والخيلُ تجري على لَجْبِ
أَذَقْنا ابنَ سوّارٍ عبيدَةَ حَتفَهُ وأَلْحَقنَ منصوراً بمنقَطَعِ التّربِ

وقال رجل من غطفان : [من البسيط]

إذا لواءَ أبي عثمانَ صَبَّحَهُمْ ظَنُّوا بأَنَّ المنايا تَسْبِقُ القَدَرا
[٦٠٩/٦٨] لاقوا لدى الحرب آجالاً معجَّلةً
وبالنَّخيلَةِ ضرباً يجتلي القَصرا

أمر شيبان الصغير بن عبد العزيز :

٢٢٣ـ ومضى شيبان إلى فارس فسار إليه عامر بن ضبارة ، لكتاب يزيد بن عمر بن هبيرة إليه في محاربته ، فواقعه بأقاصي فارس ثم صار شيبان إلى جيرفت من كرمان ففُضّ عسكره ، فهرب شيبان إلى سجستان ثم صار من سجستان إلى خراسان ، فكتب إليه جُدَيع بن[(١)] علي ويقال ابن سعيد الأزدي ، وسعيد أثبت ، وهو المعروف بالكرماني ، وقد خالف على نصر بن سيّار[(٢)] وخلع مروان : إنك ونحن خالعون لمروان فصرْ إليّ فنجتمع على محاربة أوليائه أولياء الشيطان ، فصار إليه فكانا يحاربان نصر بن سيّار .

وأظهر أبو مسلم[(٣)] الميل إلى ابن الكرماني ، وبعث إلى نصر بن سيّار

---

(١) جديع (الكرماني) بن علي بن شبيب بن عامر بن بُراري بن صُنيم بن مُليح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد .

(٢) نصر بن سيّار بن رافع بن جُريّ بن ربيعة بن عامر بن هلال بن حارثة بن جُندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن عمرو (مدركة) بن إلياس بن مضر .

(٣) أبو مسلم الخراساني الذي قام بأمر الدعوة العباسية مولى عيسى بن إدريس أبو أبي دُلف العجلي .

وإلى ابن الكرماني وشيبان : إني رجل أدعو إلى الرضى من آل محمد ولست أعرض لكم ولا أعين منكم أحداً على صاحبه ، وقوي أمر أبي مسلم فوجّه إلى ابن الكرماني وقد كان أنسه فاغترّ به من أتاه به فحبسه ، وكان أبو مسلم قد وادع شيبان إلى مدّة . فوجّه إليه جيشاً فواقعوه فكشفوه فصار إلى ناحية أبيورد وأهلها أول من سوّد .

فكتب أبو مسلم إليه : أن بايع للرضى من آل محمد حتى لا أعرض لك ، فبعث إليه : بل بايعني أنت ، فكتب أبو مسلم إلى بسّام بن إبراهيم مولى بني ليث من كنانة وهو بأبيورد يأمره بمناهضته ، فناهضه وقتله .

أمر عمر بن سالم الشيباني :

٢٢٤ـ قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني وغيره : اعتقد عمر بن سالم بمسكن السواد وخرج إلى العامل بقطربل ، وهو الحجاج بن عُمارة فهرب فاتبعه فأخذه فقتله رجل من أصحاب عمر ، يقال له شنطير ورجع عمر إلى مسكن فأقام شهرين ، فأتاه أهل الأنبار يشكون عاملهم علي بن عمر الأسدي ، وكان ابن هبيرة استعمله عليها فسار إليه ، فلما عاينه العامل رمى بنفسه وفرسه في الفرات فهرب ، ثم أتى عمر بن سالم كرخ بادوريا وعليها رجل يقال له مروان فقاتله فانهزم فتفرّق أصحابه وقد قَتَل عمر منهم عشرين ، وأصاب عمر بالكرخ متاعاً فقسّمه وأقام بالكرخ في مئة ، فبعث إليه ابن هبيرة أبا بكر الكلاعي[1] في ألف فقاتله عمر بن سالم فقطعت يد عمر فلم يزل ينزف حتى مات وقتل من أصحابه ثلاثون وانهزم الآخرون واحتُزّ رأس عمر وحُمل إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأنفذه إلى مروان .

---

(١) الكلاعي : نسبة إلى ذي الكلاع الحميري سيّد أهل حمص وقتل مع معاوية بصفين .

خبر عبد الله بن يحيى طالب الحق :

٢٢٥ـ عبد الله بن يحيى بن عمرو بن شُرحبيل بن عمرو بن الأسود الكندي وعبد الله بن يحيى هو طالب الحق .

أبو الحسن المدائني وغيره عن رجالهم ، قالوا : كان عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمرو بن[١] معاوية ، بحضرموت ، وكان مجتهداً عابداً وكان أعور ورأيه راي الأباضيّة يقول : قومنا كفّار رحمةٍ وليسوا بكفّارٍ بالله ، نقاتلهم على بغيهم ولا نغنم لهم مالاً .

فرأى باليمن جَوْراً أو عسفاً شديداً وسيرةً في الناس قبيحةً ، فقال لأصحابه : لا يحلُّ لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا احتماله والصبر عليه ، فكتب إلى أبي عبيدة مسلم كورين مولى بني تميم وإلى غيره من أباضيّة البصرة يشاورهم في الخروج ، فكتبوا إليه : إن استطعت ألاَّ تقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، وإنك لا تدري متى يبلغ أجلك ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصر دينه ويخصّهم بالشهادة إكراماً لهم بها .

وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف بن عبد الله بن مازن بن مجاسر[٢] أحد بني سليمة ، وبلج بن عقبة وكان قبل ذلك في الشرط بالبصرة وهو حداني[٣] في رجال من الأباضيّة ، وهم أصحاب عبد الله بن

---

(١) عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن عمرو (مرتع) بن معاوية بن ثور (كندة) .

(٢) المختار (أبو حمز) بن عوف بن عبد الله بن مازن بن مجاسر بن سليمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد .

(٣) الحداني : نسبة إلى الحدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن=

أباض التميمي ، فقدموا عليه حضرموت فحثوه على الخروج حتى أتوه بكتب أصحابه ، فقال : إذا خرجتم فلا تغلّوا ولا تغدروا واقتدوا سلفكم الصالحين وسيروا سيرهم ، فقد علمتم أنه إنما أخرجهم على السطان العيب لأعمالهم .

فدعا أصحابه فبايعوه فأتى دار الإمارة بحضرموت ، وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، فأخذوه فحبسوه يوماً ثم أطلقوه ، فأتى صنعاء وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت وكثر جمعه وسمّوه طالب الحق ، ويقال بل هو سمى نفسه ، وكتب إلى من بصنعاء من أصحابه أني قادم عليكم ، ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجّه إلى صنعاء سنة تسع[1] ومئة في ألفين ، وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر الثقفي وهو عامل مروان على صنعاء سير عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل السكسكي وخرج يريد ابن يحيى والأباضيّة فلقوه بلحج وهي قرية ، وكان القاسم في عدد كبير وعدّة ظاهرة وسلاح شاك ، فقتل من أصحاب القاسم بشر كثير ومضى هو إلى صنعاء ، ثم خرج منها واستخلف عليها ابن زمل أيضاً .

وأقبل عبد الله بن يحيى فنزل على ميلين من عسكر القاسم ، فوجّه إليه القاسمُ يزيدُ بن الفيض الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل الشام واليمن فكانت بينهم مشاولة ثم تحاجزوا ، ثم قاتلهم الصلت بن يوسف وقتل في المعركة ، ثم قاتلهم يزيد بن الفيض ثم انهزم أهل صنعاء فأراد أبرهة بن

= زهران بن كعب بن الحارث . . .

(١) أظن سنة تسع وعشرين ومئة أما سنة تسع ومئة فكان الخليفة هشام بن عبد الملك وقد تولى الخلافة سنة ١٠٥هـ ومات في سنة خمس وعشرين ومئة . وهكذا فإن سنة تسع ومئة جاءت في أصل المخطوطين .

شرحبيل بن الصباح اتباعهم فمنعه عبد الله بن يحيى ، ولحق يزيد بن الفيض بالقاسم فأخبره بقتل الصلت فقال القاسم : [من الطويل] .

ألا ليتَ شعري هَلْ أذودَنَّ بالقَنا وبالهندُوانيّاتِ قبلَ مماتي
وهل أصبِحَنَّ الحارِثينِ كلاهُما بطَعْنٍ وضَيْبٍ يقطَعْ اللَّهَواتِ[1]

ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء فأخذ الضحاك بن زمل وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فحبسهما ، ثم جمع الخزائن والأموال فأحرزهما ، وأرسل إلى الضحاك وإبراهيم فأطلقهما ، وقال : إنما حبستكما مخافة عليكما من العامة وليس عليكما مكروه فأقيما أو اشخصا ، فخرجا .

ولما استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن ، خطب ، فقال :

الحمد لله المتحمّد بالآلاء المنّان بالنعماء ، ذي الأمر الغالب والدين الواصب وأحمده في الضرّاء وأشكره في السرّاء وأستعينه على احتجاجه علينا وأستهديه لما يرضيه وأومن به إسلاماً وإيماناً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى ونبيّه المرتضى أرسله بالحق على حين فترة من الرسل وكفر من الملل واختلافٍ من الدّول والتباس من الحقِّ واستحقاق من الصدق ، وظهور من الأعداء وبُعْدٍ من الإلفة ، وأنزل عليه الكتاب وشرع له الشرائع وفرض له الفرائض ، فقام بأمر الله صادعاً بالحق ناطقاً به زاجراً عن الشبهات ، داعياً إلى النجاة مجاهداً للمعاندين وفيّاً للمؤمنين عزيزاً عليه عنتهم حبيباً إليه صلاحهم حتى كمل الإيمان وخشي الشيطان وظهر النور وزهق الباطل وذلّ الكفر ، وانقطعت الأحقاد وسلمت الصدور ، فجمعهم بعد التفرّق وآمنهم بعد الخوف ، فأصبحوا على نعمٍ

---

(١) ذكر هذه الأبيات في الأغاني . ج : ٢٣ ص : ١١٤ .

مذكورة وكرامة مشهورة ودين مقبول وعلم محمول ، ثم قبضه الله إليه فقيداً واختارك ما عنده حميداً صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وعلى ذكره السلام ورحمة الله وبركاته .

أيها الناس إنكم حُذِّرتم عظيماً وخُوِّفتم لا تبلغه الصفات ولا تحيط به الأوهام ، العذاب الأليم وجهنم وسعير ولظى والهاوية والحامية وسقر التي لا تبقي ولا تذر ، نسأل الله مولانا وليّ الإحسان أن يجيرنا من عذابه الذي خوفنا .

أيها الناس إنا نخيّركم بين ثلاث خصال ، أيتها شئتم فخذوا لأنفسكم ، رحم الله امرءاً أخذ الخيار لنفسه إمّا قال امرؤٌ بقولنا ودان بالدين الذي دُنّا به ، فحملته نيّته على أن يجاهد معنا بنفسه فيكون له من الأجر ما لأفضلنا ومن قسم الفيء ما لبعضنا ، أو قال هذا القول [٦٨/٦١٠] ثم أقام في داره فدعا الناس إليه بقلبه ولسانه فعلّه ألا يكون ذلك أخسَّ منازله ، أو كرهنا فليخرج بأمانٍ إلى ماله وأهله ويكف عنّا يده ولسانه ، فإذا ظفرنا لم يكن عرّض لنا نفسه ولم يحملنا على سفك دمه ، وإن قُتلنا فيكون قد كُفِي مؤنتنا ، وعسى ألاّ يعمرْ بعدنا إلا قليلا .

ندعو إلى الله وإلى كتابه وسنّة نبيه صلّىٰ الله عليه وسلّم ، ونجيب من دعا إليها الإسلام ديننا ومحمد نبيّنا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا ، وغنينا بالحلال حلالاً لا نبغي به بدلاً ولا نشتري به ثمناً ، ولا قوّة إلا بالله وإلى الله المشتكى وعليه المعوّل ، ندعو إلى فرائض بيّنات محكمات وآثار مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادقٌ فيما وعد عدلٌ فيما حكم ، ندعو إلى توحيد الربّ واليقين بالوعيد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، وإن من رحمة الله أن جعل في كلّ فترة بقايا من أهل العلم به يدعون من ضلّ إلى الهُدى ، ويصبرون على الألم

في جنب الله يقتلون في سالف الدهر فما نسيهم ربّهم وما كانَ ربك نسيّا .

أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم بالقيام به ، فابلوا الله حسناً في أمره وزجره .

وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء اشهراً حسن السيرة ليّن الجانب كافّاً عن الناس ، فكثر جمعه وأتوه من كل وجه .

خروج عبد الله بن يحيىٰ للقتال :

٢٢٦ـ فلما كان في وقت الحجّ وجّه أبا حمزة المختار بن عوف السَّليمي[١] ، وبلج بن عقبة الأزدي ، وأبرهة بن الصباح الحميري[٢] إلى مكة في تسعمئة ، ويقال في ألف ومئة ، وأمره إذا صدر الناس أن يقيم بمكة ويوجه بلجاً إلى الشام .

فأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأمّه ابنة عبد الله بن خالد بن أسيد ، فكره قتالهم فقال لعبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب : إني لا آمن أن تفسد هذه العصابة على الناس أمرهم ، فلا يتم للناس في عامهم هذا حجّ ، فلو لقيتهم فسألتهم أن يكفّوا حتى ينقضي الموسم وأخرج لهم عن

---

(١) جاء في أصل المخطوط السلمي وهو خطأ فالسلمي نسبة إلى سُلَيم بن منصور بن قيس وأما سليمة بفتح السين وكسر اللام فهو سليمة بن مالك بن فهم . الإكمال لابن ماكولا . ج : ٤ ص : ٣٣٦ .

(٢) أبرهة بن شرحبيل بن الصباح بن لهيعة بن شيبة الحمد بن مرثد الخير بن ينكف بن ينف بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو بن الحارث (ذو أصبح) بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير .

مكة ، فأتاهم عبد الله بن الحسن في رهط معه ، فقال لأبي حمزة :

أيها الرجل إنك أتيت بلداً حراماً في يوم عظيمة حرمته ، فأمّ أصحابك ويؤمّ الوالي أصحابه ، فإذا أفاض الناس وقضوا مناسكهم رأيت رأيك في الحرب وخرج عنك . فأجابه إلى ذلك فصلى عبد الواحد ووقفت الجماعة ، وصلّى أبو حمزة بأصحابه ووقف بهم ولم يعرض لأحدٍ حتى صدر الناس ، وخرج عبد الواحد بن سليمان إلى المدينة فقال مولى لعثمان بن عفّان ، ويقال قاله موسى شهوات يعيب عبد الواحد لتركه البلاد وخروجه عنها : [من الكامل] .

جـاء الّـذيـنَ يخـالفـونَ بـدينِهـم ديـنَ الإلـهِ ففـرَّ عبـدُ الـواحِـدِ
تـركَ القِتـالَ وَمَـا بِـهِ مِـنْ عِلَّـةٍ إلا الـوهـونَ وعـرقَـهُ مـن خـالِـدِ

كان النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم دعا على آل خالد بن أسيد أن يلزمهم العجز ويحرمهم النصر .

لــو أَنَّ والــدَهُ تَخيَّــر أمَّــهُ لصَفَتْ مضاربُهُ بعرقٍ صاعِدِ[1]

وقال بعضهم : إن هذا الشعر لابنة عمر بن عبد العزيز ، وقال عبد الحميد بن يحيى بن فالج بن عباس بن مرداس السلمي : [من الطويل] .

طَوَى الخيلَ طِيَّ العضْبِ حتَّى إذا انطوت أياطِلُ منها وهيَ وارٍ نَصيدُها
فشدَّ على أهلِ الحصابِ وكاثَروا بِبَطْنِ مِنىً وَالبُدْنُ صَرْعى خُدودُها

في أبيات :

وأقام أبو حمزة بمكة ووجّه رجلاً إلى الطائف ، فخرج أهل الطائف

---

(١) ذكر هذه الأبيات الطبري بتغير في ترتيب الأبيات وبعض الكلمات . ج : ٧ ص : ٣٧٤ وذكرها الأغاني ، ج : ٢٣ ص : ١١٩ .

عن القرية والحصن ، فقال عامل الطائف : يا أهل الطائف أين رجالكم ؟ فقال له أبو وطيّة مولى بني علاج[1] : أصلحك الله رجالنا غيّب ، ونحن مغيبات فاحفظنا فيهم ، فأمّنهم وقال : هم آمنون فرجعوا إلى الطائف ، ونادى منادي أبي حمزة أربعة أيام في كل يوم : الناس آمنون إلا من حاربنا ، ولم يزل مقيماً حتى خرج إلى قُديد .

خطبة أبي حمزة بمكة :

٢٢٧ـ ولما أخذ أبو حمزة مكّة صعد المنبر متوكئاً على قوس عربية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس إن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم كان لا يقدم ولا يحجم إلاّ بأمرٍ من الله ووحيه ، أنزل عليه كتابه وبيّن له ما يأتي وما يتّقي فيه ، فلم يكن في شيء من دينه شُبْهةٌ حتى قبضه الله إليه وقد علّم المسلمين معالم دينه ، وَوَلَّى أبا بكر صلاتهم وهي عماد دينهم ، فولاّه المسلمون أمر دنياهم ، فقاتل أهل الردّة وعمل بالكتاب والسنة حاسراً عن ذراعيه حتى قبضه الله إليه رحمة الله عليه ، وولي عمر بعده فسار بسيرة من كان قبله وجبى الفيء وأعطى الأعطية ومصّر الأمصار ودوّن الدواوين . وجمع الناس على صيام شهر رمضان وجلد في الخمر ثمانين ، وغزا العدو في ديارهم ، ثم مضى لسبيله على منهاج صاحبه وقد جعلها شورى فرحمة الله عليه ، ثم ولي عثمان فسار دون سيرة صاحبيه ست سنين ، ثم أحبط فيما مضى له ومضى لسبيله ، ثم ولي علي بن أبي طالب فكان سداداً حتى حكّم في كتاب الله وشكّ في دينه ، فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع له مناراً .

---

(١) بني علاج : هو عُمير (علاج) بن أبي سلمة بن عبد العُزّى بن غيرَة بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن .

ثم ولي معاوية لعين رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وابن لعينه ، فاتخذ عباد الله خولاً ، ومال الله دولاً ودينه دغلاً ، مضى لسبيله ناكباً عن الحق مداهناً في الدين ، ثم ولي يزيد ابنه فصيص لعنه رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وفاسق في بطنه وفرجه يمضي على منهاج أبيه لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، ثم ولي مروان وبنو مروان فسفكوا الدم الحرام ، وأكلوا المال الحرام ، فأما عبد الملك فجعل الحجاج له إماماً وإلى النار قائداً ، وأما الوليد فسفيه أحمق متهوّك في الضلالة يخبطها عشواء مظلمة ، وسليمان وما سليمان ؟ همّه بطنه وفرجه ، فالعنوهم لعنهم الله[1] إلا أنه قد كان منهم عمر بن عبد العزيز همّ فلم يفعل وقصّر عما همّ به ، ثم ولي بعده يزيد بن عبد الملك فاسق لم يؤنس منه رُشدٌ ، وقال الله في اليتامى : ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[2] فأمر أمّة محمدٍ أعظم من مال اليتيم ، مأبون في بطنه وفرجه ، حِيك له بُردان فارتدى بأحدهما واتّزر بالآخر ، ثم أقعد حبّابة عن يمينه وسلاّمة عن يساره ، وقال : يا حبّابة غَنيني ويا سلاّمة اسقيني حتى تَمُل سكراً وأخذت الخمر مأخذها منه ، شقّ ثوبيه وقد اتخذ بألف دينار بعد أن ضُربتْ فيهما الأبشار وحلّقت الأشعار وهُتكت الأستار ، وأخذ ما أنفق عليهما من غير حلّه ووضع في غير حقّه ، ثم التفت إلى إحداهما فقال : ألا أطيرُ ، بلى فطرْ إلى النار .

فهكذا صفة خلفاء الله ، وقد حضرتُ كتاباً كتبه إليكم هشامٌ في حطمة كانت أرضاكم به واسخط ربّه وذكر فيه : أنه قد ترك لكم صدقاتكم فزادت

---

(١) في هامش المخطوطتين وبنس الخط الجملة التالية : اسغفر الله من سبّ الصحابة بل رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

(٢) سورة النساء رقم : ٤ الآية رقم : ٦ .

الغنيّ منكم غنىً والفقير فقراً ، فقلتم جزاه الله خيراً ، بل لا جزاه الله إلا شرّاً ، فلقد كان بخيلاً بماله سخيّاً بدينه . فهؤلاء بنو أميّة فرق الضلالة بطشهم بطش جبريّة يأخذون بالظنّ ويحكمون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ويقضون بالشفاعة ، ويأخذون الصدقة من غير موضعها ويجعلونها في غير أهلها . وقد بيّن الله أصنافها الثمانية فجاء صنف تاسع ليس له فيها شيء فأخذها كلها فهي الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله .

وأمّا هذه الشيع فشيعٌ جهلت كتاب الله وأعظمت الفِرية على الله ، لم يقاربوا الناس بعمل بالغ في الدين ، ولا ببصر نافذٍ في القرآن ، ينكرون المعصية على من عملها ويركبون أعظم منها ، يبصرون الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، ويؤمّلون الدول فيما بعد الموت ، ويؤمنون ببعث إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، جُفاةٌ عن الدين أتباع كهّان ، وقلّدوا دينهم من لم ينظر لهم . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

يا أهل مكة إنكم تعيّرونني بأصحابي وتزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم إلا شباباً ، أما إني عالم بتتابعكم فيما يضرّكم [٦٨/٦١١] في معادكم ولولا اشتغالي بغيركم ما تركتُ الأخذ فوق أيديكم ، نعم شبابٌ والله متكهلون في شبابهم غضيضةٌ عن الشرِّ أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم ، قد نظر الله إليهم في حنادس الليل مثنيّة أصلابهم بمثاني القرآن إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً ، وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شهق شهقة ، حتى كان زفير جهنم في أذنيه ، قد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مُصفرّة ألوانهم ناحلة أجسامهم أنضاء عبادةٍ مستقلّون لذلك في الله . موفون بعهده منتجزون لوعده . إذا رأوا سهام العدو وقد فوّقت ورماحهم قد أشرعت وسيوفهم قد انتضيت ، وبرقت الكتيبة ورعدت

بصواعق الموت ، استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، فمضى الشاب منهم قدماً حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه وقد رمّلت محاسن وجهه بالدماء ، وعُفّر جبينه بالثرى ، وأسرعت إليه سباع الأرض فكم من عين في منقار طائر طال ما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كفٍّ بانت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها في سجوده في جَوْن[١] الليل لله ، وكم من خدٍّ رقيقٍ وجبينٍ عتيقٍ قد فُلق بعُمد الحديد ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل الله أرواحها الجنان .

وقعة قُديدٍ[٢] :

٢٢٨ـ قالوا : وكتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من خروجه عن مكة ويخبر أن الناس خذلوه ، ويقال بل خرج إلى مروان بن محمد فشافهه بهذا ، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامله على المدينة ، يأمره أن يوجّه جيشاً إلى مكة ، فوجّه ثمانية آلاف من قريشٍ والأنصار وغيرهم من التجار ، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأمّه ابنة عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، فخرجوا في المصبّغات ومعهم الملاهي لا يكترثون بالخوارج ولا يرون إلاّ أنهم في أكفّهم ، وسقط لواء عبد العزيز حين خرج من المدينة فتطيّر الناس وغمّهم ذلك ، فقال رجلٌ من قريشٍ : لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هذه المارقة ولكنهم داهنوا ، أما والله لئن ظفرنا لنسبينّ أهل الطائف ، من يشتري مني سبي أهل الطائف ؟ فلما التقوا بقُديد حين التقوا وانهزم أهل المدينة ، قال لخادمه : غاق باق يريد أغلقي الباب

---

(١) الجون : السواد .

(٢) قُديد : تصغير القدّ من قولهم قدوت الجلد وهو موضع قرب مكة ـ معجم البلدان ـ .

دهشاً ، وذلك بعد أربعة أيام يرى أنهم خلفه ، فلما كان أهل المدينة بذي الخليفة[1] عرضهم عبد العزيز فمرّ به أميّة بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، فرحّب به وضحك في وجهه ، ومرّ به حمزة بن مصعب بن الزبير فلم يكلّمه ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع[2] : سبحان الله مرّ بك شيخ من شيوخ قريش فلم تلتفت إليه ، ومرّ بك غلام من بني أميّة فضحكت إليه وألطفته ، أما والله لئن التقى الجمعان لتعلمنّ أيهما أصبر ، فلما التقوا وانهزم الناس ، قال أمية بن عنبسة لغلامه : يا مُجْنب أَدْنِ مني فرسي ، فوالله فلعمري لئن أجررت نفسي بسبب هؤلاء الأكلب إني لعاجز ، فركب فرسه فمضى وصبر حمزة حتى قتل .

قال الهيثم : وشدّ رجل من الخوارج فجعل يقاتل وهو يقول :

[من الرجز] .

وَخَارجٍ أخرجَهُ حُبُّ الطَّمع   فَرَّ مِن الموتِ وفي الموتِ وَقَعْ

من كانَ ينوي أَهْلَهُ فلا رَجَعْ

قالوا : وبلغ أبا حمزة المختار بن عوف إقبال أهل المدينة إليه ، فاستخلف على مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميري ، وسار إليهم وعلى مقدمته بلج بن عقبة وصار بإزائهم وهم بقُديد ، فقال لأصحابه : إنكم لاقون أميرهم ابن عثمان بن عفّان أول من خالف سيرة الخلفاء وبدّل السنّة ، قد بيّن الصبح لذي عينين فأكثروا ذكر الله وتلاوة القرآن ، وصبّحهم غداة الخميس لسبع أو تسع بقين من صفر سنة ثلاثين ومئة ،

---

(١) ذي الحليفة : جبل بمكة يشرف على أجياد الكبير ـ معجم البلدان ـ .

(٢) عمران بن عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) .

فقال عبد العزيز لغلامه : ابغنا علفاً ، قال : هو غال ، قال : ويحك البواكي علينا غداً أغلى .

وأرسل المختار بن عوف إليهم بلج بن عقبة ليدعوهم ، فأتاهم في ثلاثين راكباً فذكرهم الله وسألهم أن يكفّوا أيديهم عنهم حتى يسيروا إلى مروان ، وقال : خلّوا بنا نسِرْ لنلقى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدّنا بكم فإنا لا نريد قتالكم . فشتمهم أهل المدينة وقالوا : نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض ، فقال الخوارج : يا أعداء الله ونحن نفسد في الأرض وإنما خرجنا لنكفّ الفساد ونقاتل من استأثر بالفيء عليكم ، فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة ، فإنه لا طاعة لمن عصى الله وادخلوا في السلم وعاونوا أهل الحقّ ، فقال عبد الرزاق[1] : ما تقول في عثمان ؟ قال : قد برىء منه المسلمون قبلي وأنا متّبع آثارهم ومقتدٍ بهم وبهديهم ، فقال عبد العزيز : فارجع إلى أصحابك فليس بيننا إلا السيف ، فرجع إلى حمزة فأخبره ، فقال : كفّوا عنهم حتى يبدؤوكم بالقتال ، ورمى رجل بسهم في عسكر أبي حمزة فأصاب رجلاً ، فقال أبو حمزة : شأنكم فقد حلّ قتالهم فحملوا عليهم ولاقى بعضهم بعضاً ساعةً ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم فكرّوا فاقتتلوا قليلاً ثم هزمهم أبو حمزة .

وقال رجل من الأنصار من بني زريق[2] : الحمد لله أذلّ قريشاً وإلى

---

(١) أعتقد أنه عبد العزيز يدل على ذلك سياق الحديث علماً أن عبد الرزاق لم تكن واردة في ذلك الزمان ، ولم يرد معنا عند البلاذري ولا عند ابن الكلبي هذا الإسم وهو خطأ من الناسخ .

(٢) زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو (مزيقياء) .

جنبه عمارة بن حمزة بن مصعب فضربه عمارة فقتله ، وكانت راية قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع ، وقُتل من أهل المدينة من الأنصار ثمانون ومن قريش ثلاثمئة ، ويقال أربعمئة وخمسون ، ومن القبائل والموالي ألف وسبعمئة ، ويقال كان القتلى أربعة آلاف ، وعرض أبو حمزة من أُسر في المعركة فمن كان قرشياً قتله ومن كان أنصاريّاً خلُوا سبيله .

وأتوه بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أخو عبد العزيز ، فقال أنا أنصاري وشهد له قوم من الأنصار ، فقال رجل من اليمانية : والله ما هذا بدر أنصاري وما هو إلا بدر قرشي ، وقتل من آل الزبير جماعة وهرب أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهرب عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أمير القوم ، ومضى بلج إلى المدينة فدخلوا جميعاً في طاعته وبايعوا ، فكفّ عنهم ورجع أبو حمزة إلى مكة ، وخاصم بنو زريق آل الزبير في صاحبهم الذي قتله عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، فقال لهم آل الزبير : إن حمزة قد قتل في المعركة ففيم الكلام ، ولم يبق بيت بالمدينة إلا وفيه مصيبة ، فكانوا يقولون :

لعن الله السُّراقي ولعن بلجاً العراقي ، فإنهما أهل شقاق وضلال ونفاق ، والسراقي : أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، من بني عدي بن كعب ، كان مع بلج بن عقبة ، وكان السراقي على شرطة أبي حمزة .

وقال ابن الكلبي : كان مع طالب الحق ، أبو بكر الأشلّ بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مؤمّل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وإنما قيل السراقيّ لأن سراقة كان شريراً . قال

النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم : أشد الناس عذاباً ، كلّ نعّار صخّاب في الأسواق مثل سراقة بن المعتمر ، ويقال : إن اسم السراقي أيوب بن محمد ويكنى أبا بكر ، ويقال إنه أيوب بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن سراقة بن المعتمر ، وقالت نائحة تبكيهم : [من مجزوء الكامل] .

مـــا للـــزَّمـــان وَمـــالِيَـــهْ أَفْنَـــى قُـــديـــدُ رِجَـــالِيَـــهْ
فَـــلأَبكِيَـــنَّ سُـــرَيـــرَةً وَلأَبْكِيَـــنَّ عَـــلانِيَـــهْ
ولأَبْكيَـــنَّ إذا خَلَـــوْتُ مَـــعَ الكِـــلابِ العَـــاوِيَـــه
وَلأَثنِيـــنَّ علـــى قُـــديـــدِ بسُـــوءِ مـــا أبـــلانِيَـــهْ[1]

وقال بعضهم : [من الطويل] .

أَصابُوا على وادي قُدَيْدٍ مَناسِراً أتتهـا منـايـاهـا فخفَّـتْ وفـودُهـا
جنائزُ صِدْقٍ لم تُصَبْ لجريرةٍ ولم ينتَقِضُ بعد الرسولِ عُهودُها

وقال عمرو بن الحسن مولى من أهل الكوفة ، وكان أباضيّاً :

[من الكامل] .

ما بالُ همِّكَ ليسَ عنكَ بعازِبِ يَجْري سَوَابِقَ دَمْعِكَ المُتَسَاكِبِ
وَتَبيـتُ تَبْكـي النُّجـومِ بمُقلَـةٍ عَبْـرَى تُسـرُّ بكـلِّ نجـمٍ آيِـبِ
أَخْشَـى مُعـاجَلَـةَ المنـونِ بـداهَـةً لم أَقْضِ من دَمْعِ السَّراةِ مآربي
فَـأَقـودُ فيهـم للعِـدا شَيْـخَ النّسـا مَحَضُ الشَّوَى أَشران ضمُّ الحالبِ
متجـدِّداً كـالسيِّـدِ أَخلَـصَ لـونُـهُ ماء الحشيكِ مِن الجلالِ الآتبِ
أَرْمي بِهِ من جَمْعِ قومي مَعْشَراً بُـوراً أُولـي جَبْـرِيَّـةٍ ومُعـاتِـبِ
[٦٨/٦١٤] فتَجـولُ نحـنُ وهُـمْ وفيمـا بينَنـا كـأسُ المنـونِ تقـولُ هَـلْ مِـنْ شـارِبِ

---

(١) ذكرها الأغاني ج : ٢٣ ص : ١٢٦ .

فنظَلُّ نَسْقيهم ونَشْربُ مِنْ قَنا سُمْرٍ وَمُرْهَفَةِ الشفارِ قواضِبِ
بَيْنا كذلِكَ نحنُ جالَتْ طعنَةٌ نجلاءُ بينَ رَهايبي وترايبي
جوفاءُ مُنْهَدَةٌ مَرَى تامورها ظُبَتا سِنانٍ كالشِّهابِ الثّاقِبِ
يا ربِّ أَوجبها ولا تَتَغَلَّقَنْ نَفْسي المنونُ لَدى أَكفِّ قَرابتي
في فِتيَةٍ صَبُر أكفُّهم بهمْ كفَّ القِداحِ يَدا المُفيضِ الضّارِبِ[1]

في أبيات :

وقعة وادي القرى :

٢٢٩ـ قالوا : وسار أبو حمزة إلى المدينة وولى مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصبّاح ، وبلغ مروان خبر قُديد ، فوجّه عبد الملك بن محمد بن عطيّة أحد بني سعد بن بكر[2] في أربعة آلاف وفيهم فرسان أهل الشام منهم رومي بن ماعز القيسي ، ومنهم من أهل الجزيرة ألف ، اشترطوا على مروان ، فقالوا : إذا قتلنا الأعور قفلنا إلى الجزيرة ، فقال الشاعر : [من الطويل] .

فلمَّا أَتى مروانَ بالصِّدقِ عنهمُ رَصينٌ من الأخبارِ لا يَسْتَزيدُها
دَعَا أَينَ مَنْ بحمى المساجِدَ ماعتَزتْ مَصاليتُ من قيسٍ كرامٌ جُدودُها
يُداوون داءً أو يَفيؤون مغنماً ومجداً عَلَيْها حينَ تَندى لبودُها

وسار عبد الملك وأصحابه مسرعين ، فحدا حاديهم : [من الرجز] .

حَرَّم مَروانُ عليهنَّ النَّومْ إلا قليلاً وعَلَيهنَّ القَومْ
حتَّى تَبينَ أَو يَقِلْنَ بالدّوم

---

(١) في الأغاني : عمرو بن الحصين ، قال هذه القصيدة وهي طويلة ج :٢٣ ص : ١٢٧ .
(٢) سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس (عيلان) قوم حليمة السعدية مرضعة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم .

وهاب الناس عبد الملك وأصحابه فتفرّقوا في المياه ، فلما أتى بلاد خثعم هربوا ومعهم غلام من كنانة ، فلما أمنوا قالوا : من يغنّينا ويسوق بنا ؟ قال الكنانيّ : أنا فنزل وساق وهو يقول : [من الطويل] .

أَلا إنّني بـالٍ علـى جَمَـلٍ بـالِ ... يقـودُ بنـا بـالٍ وَيحـدو بنـا بَـالِ

فتطيّروا وقالوا : قبّحك الله ويحك ما تريد بنا ؟ .

وقال أبو صخر الهذلي حين بلغهم قدوم عبد الملك بن محمد ، وسرّهم قدومه : [من الرجز] .

قُلْ للّذينَ استُضعِفوا لا تَعْجَلوا ... أتـاكـمُ النَّصـرُ وجيـشٌ جَحفَـلُ
عُشـرونَ ألفـاً كُلُّهـم مُسَـرْبَـلُ ... يقـدمُهُـم جَلْـدُ القُـوى مُسْتبَسِـلُ
دُونكُـمُ ذا يَمَـنٍ فَـأَقْبِلـوا ... وَواجِهـوا القـومَ ولا تَسْتَعجِلـوا
عبـدُ الملـك[1] الغُلَّبـيُّ الحـوَّلُ ... أَقسَـمَ لا يُفلـي ولا يُـرَجِّـلُ
حتَّـى يَبيـدَ الأَعْـورُ المُضَلِّـلُ ... ويُقْتـلُ الصَّبـاحُ والمُفَضَّـلُ[2]

الأعور : عبد الله بن يحيى طالب الحق ، وقال أبو وجزة[3] :

[من الرجز] .

قـل لأبـي وجـزة هَيْـدَ هَيْـدِ[4] ... أَتـاكَ بـالغـادِيَـةِ الصّنـديـدِ
فارْجِعْ كما قد جئْتَ من بَعيدِ

فبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمئة ليقاتل عبد الملك فلقيه بوادي القرى في جمادى الأول سنة ثلاثين ومئة .

---

(١) عبد الملك : تسكن الكاف لضرورة الوزن .
(٢) ذكر هذه القصيدة في الأغاني ، ج : ٢٣ ص : ١٤٠ـ١٤١ .
(٣) أبو وجزة : اسمه يزيد بن عبيد اصله من سليم ثم انتسب في سعد بن بكر وذكر صاحب الأغاني هذه القصيدة ؛ وهي أطول من هنا ج : ١٢ ص : ٢٤٩ـ٢٥٠ .
(٤) هاده هيداً : زجره وأفزعه وصرفه .

ذكر قتل بلج بن عقبة :

٢٣٠ـ فتواقفوا ودعاهم بلج إلى السنّة والعمل بكتاب الله ، وذكروا ظلم عبد الملك وحكمه بالهوى . فشتمهم أهل الشام ، وقالوا : أنتم أولى بما ذكرتم ، ثم حمل علهيم بلج وأصحابه فانكشف أهل الشام وصبر عبد الملك في عُصَيبة . ونادى بأهل الشام وأهل الحفاظ : ناضلوا عن دينكم وأميركم ، فكرّوا وصبروا ، وقُتل بلج بن عقبة وأكثر أصحابه ، واعتصم رجلٌ من همدان يقال له الصباح في مئة من الأباضيّة بخيلٍ ، فقاتلهم عبد الملك ثلاثة أيام فقُتل منهم سبعون ورجع إلى المدينة ثلاثون .

ونصب عبد الملك رأس بلج على رمح ، فقال أبو وجزة أحد بني ظفر : [من الرجز] .

ورأسُ بَلْـــجٍ مُختلـــىً محـــزوزُ في عَمَـدٍ مـن خَشَـبٍ مـرزوزُ

وقالوا : ندم الذين فرّوا من وادي القرى إلى أبي حمزة ، وقالوا : فررنا من الزحف . فقال أبو حمزة : أنا لكم فيئة . وخرج أبو حمزة عن المدينة إلى مكة واستخلف عليها رجلاً يقال له المُفضّل . فقاتلهم العبيد وأهل السوق فقُتل المفضل وعامّة أصحابه ، وهرب الباقون فلم يبق من الأباضيّة بالمدينة أحد فقال أبو البيضاء شميل مولى زينب من ولد الحكم بن أبي العاص : [من مجزوء الرمل]

ليـت مـروان دنـا يـو م الإثنيـــن عشيـــة
إذ غسلنـا العـار عنـا وانتضينـا المشـرفيـة

ثم إن عبد الملك بن محمد بن عطيّة قدم المدينة فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مكة والمختار بن عوف بها ، فقال : يا أهل مكة هؤلاء الذين

سألناكم عنهم فقلتم يجورون ويظلمون فلا تعينونهم علينا .

ولقي عبد الملك الخوارج من وجهين وقد جعل أصحابه فرقتين فصيّر طائفة بالأبطح ، وصار هو والطائفة الأخرى بأسفل مكة ، فاقتتلوا وهُزم أهلَ الأبطح حتى انتهوا إلى عقبة منى ثم كرّوا فقاتلوهم وصبروا فقُتل أبرهة كمن له ابن هبّار القرشي عند بئر ميمون[1] فقتله . ويقال قتله بالأبطح وتفرّق الخوارج ، ولقي أبو حمزة عبد الملك بن محمد بأسفل مكّة فاقتتلا فقُتل المختار بن عوف بن حمزة على فم الشعب وقُتلت معه امرأته وهي تقول : [من الرجز] .

أنـا ابنـة الشَّيْـخِ الكـريـم الأَعْلَـمْ من سأل[2] عن اسمي فاسمي مَرْيَمْ

بِعْتُ سِوارَيَّ بِسَيْفٍ مُخْدمْ

وتفرّق الخوارج واسر أهلُ الشام منهم أربعمئة ، فدعا بهم عبد الملك ، فقال : ما دعاكم إلى الخروج ؟ فقالوا : ضمن لنا أبو حمزة الكنّة يريدون الجنّة . فقتلهم وصلب المختار وأبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميري على فم شعب الخيف ، ودخل علي بن الحصين داراً من دور قريش ، فأحاط أهل الشام بها فأحرقوها فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار وقاتلهم ، فأسر فقتل وصلب مع المختار فلم يزل مصلوباً حتى استخلف أبو العباس أمير المؤمنين فحجّ المهلهل الهجيمي[3] فاستنزله ليلاً فدفنه ، وقال أبو وجزة : [من الرجز]

الله أَخْـــزى أَبْـــرَهـــا وَبَلْجـــا وَمَــنْ طَغـى فـي دينـه وَاعْـوَجّـا

---

(١) بئر ميمون بمكة منسوبة إلى ميمون بن خالد بن الحضرمي وعندها قبر أبي جعفر المنصور وكان ميمون حليفاً لحرب بن أمية ـ معجم البلدان ـ .

(٢) تحذف همزة سأل وتقطع همزة اسم ليستقيم الوزن .

(٣) الهجيمي : نسبة إلى الهجيم بن عمرو بن تميم ، بطن من تميم .

وتوارى السراقي فلم يظهر حتى قام أمير المؤمنين أبو العباس ، وقال بعضهم : قُتل مع أبي حمزة .

وكان بمكة مخنثان يقال لأحدهما أُسَيْلتُ وللآخر صَعْتَرَة ، فكان أسيلت يرجف بالأباضيّة فقتلوه ، وكان صعترة يرجف بأهل الشام فأُخبروا بخبره فقتلوه . وقال قبل أن يقتل : يا ويلي إنما كنّا نعبثُ ونتكاذب ، وطار دم صعترة من الفزع ، فكان يقال : أصفى دماً من صعترة لأنّ دمه كان صافياً من الفزع .

وقال المدائني : قاتل أبو حمزة وهو عليل وقد غسل رأسه واعتمّ وهو يقول : [من الرجز] .

أَحْمِلُ رَأْساً قد مَلَتْتُ حَمْلَهُ وَقَد مَلَلْتُ دَهْنَهُ وغَسْلَهُ

ألا فتىً يَطرَحُ عَنِّي ثِقَلَهُ[1]

فأجابه أبو محمد بن عطيّة : [من الرجز] .

أَصَبْتَ مَنْ يَطْرَحَ عَنْكَ ثِقَلَهُ يكفيكَ بالسَّيفِ الصَّقيلِ حَمْلَهُ

ويقال : إن الذي قال هذا طالب الحقّ نفسه ، ومضى فلّ الأباضيّة إلى اليمن ، وبعث عبدُ الملك عروةَ بن عطيّة بالفتح إلى مروان .

واقبل عبد الله بن يحيى الأباضي وهو طالب الحقّ من صنعاء ، وشخص إليه عبد الملك وقد استخلف بمكّة والطائف خلفاء ، فالتقيا بكُثَبَّة فأكثر أهل الشام في الخوارج القتل وتشاغل أهل الشام بالغنيمة ، والنهب وركبتهم الأباضيّة فذمّرهم عبد الملك ، فكرّوا وقاتلوا أشدّ قتال

---

(١) هذه الأرجوزة نسبها إحسان عباس من كتابه : شعر الخوارج إلى أم حكيم الخارجية ص٢٨ .

ثم تحاجزوا وباكروا القتال ، فترجل عبد الله بن يحيى وترجل معه ألف رجل وقاتلوا ، وجعل عبد الله بن يحيى يقاتل وهو يقول : [من الرجز] .

أَضْرِبُ قَوْماً حَبِطَتْ أَعمالُهمْ ... الله مَوْلانا ولا مَوْلَى لَهُمْ

فقُتل عبد الله بن يحيى وكان أعور وانهزم أصحابه فقتلوا في كل وجه ، ولحق فلّهم بصنعاء فقال أبو صخر الهذلي : [من الطويل] .

قَتَلْنا دُغَيشاً والّذي كُنِّيَ الكُنَى ... أَبا حَمزَةَ الغَاوي المُضِلَّ اليَمانيا

وأَبْرَهَةَ الكِنْدِي أَرْدَتْ رماحُنا ... وَبَلْجاً مَنَحْناهُ الحُتُوفَ القَواضِيا

وما تركتْ أسيافُنا يومَ جُرِّدَتْ ... لمروانَ جَبَّاراً مِنَ النَّاسِ عَادِيا[1]

خبر صنعاء وأمر يحيى بن عبد الله بن عمرو بن السيّاق الحميري :

٢٣١ـ قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : بعث عبد الملك ابنه يزيد بن عبد الملك بن محمد بن عطيّة السعدي بقتل عبد الله بن يحيى إلى مروان ، ورجع عبد الملك إلى مكّة ، فكتب مروان إلى عبد الملك يأمره بالمصير إلى صنعاء فلما كان يزيد بن عبد الملك بن محمد منصرفاً إلى أبيه هلك ، وقدم أصحابه بكتاب مروان إلى عبد الملك فاستخلف ثانية محمد بن عبد الملك [بن محمد] بن عطيّة على مكّة ، وعزل رومي بن ماعز [٦١٣/٦٨] الغطفاني أحد بني مرّة[2] ، وبعضهم يقول هو كلابي ، وأقر على المدينة الوليد بن عروة بن عطيّة وأمر محمد بن عبد الملك ابنه أن يقيم للناس الحجّ ، سنة ثلاثين ومئةِ واقفل أهل الجزيرة إلى الجزيرة

---

(١) ذكر صاحب الأغاني هذه الأبيات الثلاثة مع تغيير بعض الكلمات ، ج : ٢٣ ص : ١٤٨ ط : دار الثقافة بيروت .

(٢) بني مرّة بطن من غطفان وهو مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

ووفى لهم بما اشترطوا ، إذ أقبل الأعور وهو عبد الله بن يحيى طالب الحقّ ، فلما شارف عبد الملك بلاد صنعاء خرج عاملها الذي كان عبد الله بن يحيى ولاّه إياها يريد حضرموت ، وأتبعه جمهور بن شهاب الخولاني[1] في جماعة من أهل صنعاء فقاتلهم وأصاب حملين من مال وأثقالاً لهم وقدم بما أصاب إلى صنعاء .

وقدم عبد الملك بن محمد صنعاء فتتبع الخوارج يقتلهم فقتل ثلاثمئة منهم بصنعاء ، وبعث عماله وفرّقهم في المخاليف[2] ودرّ له الخراج أشهراً ، ثم خرج عليه يحيى بن عبد الله بن عمرو بن السيّاق الحميري من آل ذي الكلاع بالجَندَ[3] في جمع كثير ، فبعث إليه عبدُ الملك عبدَ الرحمن بن يزيد بن عطيّة فلقيه بالجَندَ فهزمه وقتل عامّة أصحابه ، ورجع عبد الرحمن إلى صنعاء ولحق يحيى بن عبد الله بعدن واجتمع إليه ألفان ، فسار إليه عبد الملك فواقعه فقتله وقتل عامّة أصحابه وتفرّق الباقون ، ورجع عبد الملك إلى صنعاء .

أمر يحيى بن كرب وعبد الله بن معيد :

٢٣٢- وخرج يحيى بن كرب الحميري ويقال هو مذجحي بساحل البحر وانضمّ إليه جمع كثير من الأباضيّة ، فبعث عبد الملك أبا أمية

---

(١) الخولاني : نسبة إلى قبيلة خولان واسمه فكل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

(٢) المخلاف : الكورة يقدم عليها الإنسان . وهو عند أهل اليمن واحدُ المخاليف وهي كورها ولكل مخلاف منها اسم يعرف به .

(٣) الجَنَد : مدينة باليمن سمّيت بجَند بن شهران بطن من المعافر ، وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة ، وال الجَنَد ومخاليفها وهو أعظمها ، ووال صنعاء ومخاليفها ، ووال حضرموت .

الكندي فالتقوا بالساحل فقتل من الأباضيّة وتحاجزوا عند المساء ، فمضت الأباضية إلى حضرموت وعليها عبد الله بن مَعْبد الحضرمي عامل عبد الله بن يحيى بن عمير الحميري فصار يحيى بن كرب معه ، ورجع أبو أميّة إلى عبد الملك بن محمد ، فاستخلف عبدُ الملك على صنعاء عبدَ الرحمن بن يزيد بن عطية وشخص إلى حضرموت .

وبلغ عبد الله بن معبد مسير عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعام وما يحتاجون إليه في مدينة شبام وفي حصن حضرموت مخافة الحصار ، ثم رأوا أن يلقوا عبد الملك في الفلاة فخرجوا فنزلوا على أربع مراحل من حضرموت ، في عدد كثير في فلاة من الأرض فوافاهم عبد الملك فقاتلوهم يومه كلّه ، فلما أمسى بلغه ما جمعوا من الطعام بشبام فحدر عسكراً في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً ، فلما أصبح قاتلهم حتى انتصف النهار ثم تحاجزوا ، فلما أمسى عبد الملك اتبع العسكر الذي وجّهه إلى شبام .

وأصبح عبد الله بن معبد والأباضيّة فلم يروا من الشاميين أحداً ، فاتبعوهم وقد سبقوهم فأخذوا ما كانوا جمعوا من الميرة ، وأخذ عليهم عبد الملك الطرق بالمسالح وقطع عنهم المادّة ، فلم يقدروا على الميرة ، وجعل يقتل من قدر عليه ويسبي ويأخذ الأموال ، فلما كان من شوال سنة إحدى وثلاثين ومئة ، كتب مروان إلى عبد الملك يأمره أن يستخلف رجلاً منهم ، فولّى على حضرموت رجلاً من أهلها ارتضوا به وردّ عليهم ما عرفوا من متاعهم وكتب عليهم كتاباً ، وكتب إلى الوليد بن عروة يأمره أن يوافي مكّة من المدينة فإن أبطأ قدومه أن يقيم أمر الموسم ويصلّي بالناس ، ووجّه بكتابه إليه رجلاً وأمر بإغذاذ السير وإجذامه وترك الفتور فيه ، فخرج الرجل يركض إلى الوليد بالمدينة .

وخلّف عبد الملك عبدَ الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء ، وخرج عبد الملك في اثني عشر [رجلاً] فلما كان بأرض مُراد[1] وكان قد أصاب منهم قوماً مع طالب الحقّ ، عرض له قومٌ منهم فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ في حضور الموسم ، فكذّبوه وقاتلوه فقتلوه وفتشوا ما معه فوجدوا كتاب أمير المؤمنين إليه في توليته الموسم ، فجاء قوم من همدان فدفنوه ، ويقال إنه خرج في أربعين فاتّبعه قوم من همدان ومراد فظنّوه منهزماً فقتلوه وكانوا خوارج ، وقالوا له قتلت عبد الله بن يحيى والمختار وبلجاً وأبرهة بن الصباح وقتلوا أصحابه أيضاً وبعثوا برأس عبد الملك إلى حضرموت .

وبلغ عبد الرحمن بن يزيد بن عطية خبره وهو بصنعاء فأرسل شعيباً البارقي[2] في الخيل فقتل الرجال والصبيان وبقر بطون النساء وأخذ الأموال وأخرب القرى ، وأقام الحج للناس أبو الوليد عروة ، واستعمل مروان على مكّة والمدينة والطائف يوسف بن عروة بن عطية ، وبعث الوليد بن عروة بن عطية إلى اليمن فقتل البريء والنطف[3] ، ووجّه إلى يحيى بن كرب وعبد الله بن مَعبد من جاء بهما فقتلهما ، ويقال إنه واقعها بنفسه فقتلهما .

ولم يزل الوليد باليمن حتى استخلف أمير المؤمنين أبو العباس ، قالوا

---

(١) مراد : أي : قبيلة مراد واسمه يحابر بن جلد بن مالك بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

(٢) البارقي : نسبة إلى سعد وهو بارق بن عدي بن حارثة (الغطريف) بن امرىء القيس (البطريق) بن ثعلبة (البُهلول) بن مازن (الزاد) بن درء (الأزد) بن الغوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان .

(٣) النطف : الرجل المريب ـ اللسان ـ.

وكان مروان لما بعث رسوله إلى عبد الملك بن محمد ، ذكره بعد أيام فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، احسبني قد قتلت عبد الملك يأتيه كتابي فيخاف أن يفوته ما ندبته له فيخرج مخفّاً في قلّةٍ التماساً للسرعة . وهو في بلاد قوم قد وترهم فيُقتل ، ثم قال : [من الرجز] .

إنْ تَنْفُري فقد وَجَدتِ نَفْراً أمَّ عُويفٍ وشِياهاً عُفْرا[1]

أمر يزيد بن عمر بن هبيرة عامل مروان على العراق :

٢٣٣ـ قالوا لما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة العراق والياً من قبل مروان أشخص إليه وفداً من أهل البصرة ، منهم داود بن أبي هند ، وسعيد بن أبي عروبة ، فقال : انظروا ما نقمتم عليّ فيه من أمرٍ فعرّفونيه أدعه ، وأيّ عامل رأيتم عزله فأشيروا بذلك عليّ فأعزله ، وكان عفيفاً متوقّياً سخيّاً شجاعاً ، وكان يعشي الناس في كل يوم إذا صلى العصر تُوضع الكراسي ، فإذا أخذ الناس مجالسهم أتى بعساس[2] اللبن والأشربة ، ثم أُتي بالأطعمة فيأكلون إلى وقت المغرب ثم يدعو بالمناديل فيتفرّقون للصلاة ، وكان سمّاره قوماً من الفقهاء ، فقال ابن شبرمة[3] :

[من الطويل] .

إذَا نَحنُ أَعْتَمنَا وَماد بنا الكَرى أَتانا بإحدى الرَّاحَتينِ عِيَاضُ

يعني حاجبه ، وكان يقضي في كل ليلة عشر حوائج ، فإذا أصبح أنفذها .

---

(١) عفرا : العفرة : غَبرة في حمرة ، والعُفر من الظباء والتي تعلو بياضها حُمرة ـ اللسان ـ .

(٢) العساس : جمع عسّ وهو القدح .

(٣) ابن شبرمة : اسمه عبد الله وكان قاضي ابن هبيرة على العراق .

حدثني عمر بن شبّة عن خلاّدٍ الأرقط عن سلم بن قتيبة ، قال : كان يزيد بن عمر بن هبيرة ربما لحن في كلامه وذلك قليل ، فقلت له يوماً : إنك ربما لحنت فلو تعهّدت أيها الأمير نفسك ، قال : نتحفّظ من ذلك ، وقال : يا سلم أكلّ العلم علمت ؟ قلتُ : ما منه شيءٌ إلاّ وقد أخذتُ منه ما يكفيني ، قال : فما تقول في ابنتين وأبوين ؟ قلتُ : للابنتين الثلثان . قال : فإن إحدى الابنتين ماتت ؟ قلت : فللأم الثلث وما بقي فللأب ، قال : يا سلم أهذا مما يكفيك من العلم ؟

قالوا وأخذ يزيدُ بن هبيرة الأصغَرَ عمرَ بن النجم بن بسطام بن ضرار بن القعقاع ورجلاً من بكر بن وائل بسبب رأي الخوارج . فأطلق البكريّ وحبس التميميّ[1] ، فلما كان يوم الفطر قام أبو نخيلة[2] فأنشد : [من الرجز] .

أطلقتَ بالأَمْسِ أَسيرَ بكرٍ فهَل إلى حَلِّ القُيودِ السُّمْرِ
عَنِ التَّميميِّ القَليلِ الغَدْرِ من سَبَبٍ أو سلّمٍ أو جِسْرِ
مَن كانَ لا يدري فإني أدري ما زالَ مجنوناً على أخبت الدَّهرِ
في حَسَبٍ ينمى وعَقْلٍ يَجري

وكان يزيد متعصّباً على صاحب خراسان ، وهو نصر بن سيّار وكان

---

(١) قال التميمي : لأن عمر هو بن النجم بن بسطام بن ضرار بن القعقاع بن مَعبد بنَ زُرارة بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك (غرف) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) أبو نخيلة : إسمه لا كنيته الشاعر ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن يثربي بن ظالم مجاشر بن حماد بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ـ الأغاني ـ ج : ٢٠ ص : ٣٦١ ط : ثقافة بيروت . وعند ابن الكلبي في الجمهرة بن مخاشن بن حمان . مشجرة رقم : ٧٥ الجزء : ٣ .

يكتب إليه مستغيثاً به لمّا ظهر أمر أبي مسلم ودعاه بني العباس فلا يغيثه حتى قال : [من البسيط] .

أَبلغْ يزيدَ وخيرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ وَقَدْ تبَيَّنَتِ ألاّ خير في الكَذِبِ
إنَّ خُراسانَ أَرضٌ قَد رأَيْتُ بها بَيْضاً لو فرّخ قد حُدِّثْتَ بالعَجَبِ

في أبيات قد ذكرناها ، وكتب إلى مروان بأبيات يقول فيها :

[من الوافر] .

فَقُلْتُ مِنَ التَّعجُّبِ لَيْتَ شِعْري أَأَيْقَاظٌ أُميَّةُ أَمْ نِيامُ

قالوا : وقال أبو عطاء السندي[1] مولى بني أسد ابن هبيرة :

[من الوافر] .

أَقَامَ على الفُراتِ يزيدُ حَوْلاً فقالَ النَّاسُ أَيُّهما الفُراتُ
فيا عَجَباً لبَحْرٍ باتَ يَسْقي جميعَ النَّاسِ لم يبللْ لَهَاتِي[2]
[٦٨/٦١٤] قَصائِدُ حُكْتَهُنَّ لقَرْمِ قَيْسٍ[3]
رَجعْنَ إليَّ صفراً خايباتِ
رَجعْنَ إليّ لم يُورينَ زَنْداً سِوَى أنِّي وُعِدتُ بتُرَّهَاتِ

فقال ابن هبيرة : يا أبا عطاءكم يبلّ لهاتك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها .

---

(١) أبو عطاء السندي إسمه أفلح بن يسار مولى بني أسد منشأه الكوفة وهو شاعر من مخضرمي الدولتين . مدح بني أمية وبني هاشم وكان أبوه سندياً أعجمياً لا يفصح والأبيات ذكرها الأغاني ج : ١٧ ص : ٢٥١ ط : ثقافة بيروت .

(٢) إقواء : بسبب الانتقال بالقافية من الضم إلى الكسر .

(٣) قرم قيس : سيد قيس ، أي : ابن هبيرة وهو من قيس لأنه يزيد بن عمر بن هبيرة بن مُعية بن سُكين بن خديج بن بغيض بن مالك (حممة) بن سعد بن عدي بن عمرو (فزارة) بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن الناس (عيلان) .

وقال أيضاً :

قصائدُ حُكتهنّ لقَرمِ قيسٍ رجوتُ بها المودَّةَ والإخَاءَ
رجعْنَ على حواجبهنَّ صوفٌ فعند الله ألتَمِسُ الجَزَاءَ

وقال بشار الأعمى في قصيدة طويلة : [من السريع] .

إلى أَميرِ النَّاسِ وَجَّهْتُها تَجْري على غارٍ من الطُّحْلُبِ
إلى فَتىً تسقي يَداهُ النَّدى حيناً وأحياناً دمَ المُذنبِ[1]

فوصله وكساه .

وقال يزيد بن عمر لأبي عطاء السندي ، وكان أبو عطاء ألثغ :
[من الوافر] .

فما صَفْراءُ تُكنَى أمَّ عَوْفٍ كَأَنَّ رُجَيْلَتيها مِنْجَلانِ

فقال : أيها الأمير :

أردتَ زرادةً وأردتَ أيضاً بما عاييتَ مِن هذا لساني[2]

ويروى أجريت من هذا .

وقد ذكرنا أخبار يزيد بن عمر في حروبه ومقتله فيما تقدم من كتابنا وبعد هذا الموضع .

وقُتل مروان ببوصير في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، وهو ابن اثنتين وستين سنة ، وورد خبر مقتله على أبي العباس بالكوفة ، وكان أول

---

(١) ذكرها الديوان من جملة قصيدة طويلة وبدلاً من أمير الناس في الديوان إمام الناس . ج : ١ ص : ١٧٣ ط : الشركة التونسية للتوزيع : تونس .
(٢) ذكرت هذه القصة في الأغاني ، ج : ١٧ ص : ٢٤٨ أنها كانت بين حماد الراوية وبين أبي العطاء والذي أغرى بينهما المعلّى بن هبيرة وفيها عدّة أبيات .

ولاته على البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، ثم عزله وولّى حفص بن عمر بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة وقصد لابن هبيرة فقتل بواسط .

مقتل مروان الجعدي بن محمد بن مروان بن الحكم :

٢٢٤ـ قالوا قوي أمر أبي مسلم بخراسان وعلا شأنه . وضعف أمر نصر بن سيّار[١] والي خراسان فيها فكتب إلى مروان بشعرٍ ، وهو :

[من الوافر] .

أرى خَلَلَ الرّمادِ وَميضَ جَمرٍ   خَليقاً أن يكونَ لهُ ضِرامُ
فإنَّ النّارَ بالعُودينِ تُذكى   وإنَّ الحربَ يَقدِمُها الكَلامُ
فقلتُ من التَّعَجُّبِ ليتَ شِعري   أأَيْقَاظٌ أُميَّةُ أمْ نيامُ

فكتب إليه مروان : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثؤلول[٢] قبلك ، فلما قرأ نصر الكتاب قال : أما هو فقد أعلمنا أنه لا نصر عنده ، وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة عامل مروان على العراق : أنشدك الله أن تضيع خراسان ، وكان يزيد حسوداً فكره أن يذهب نصر بسمعتها ولم يَبلُ كيف وقع الأمر .

وكتب إليه نصر : أمدني بألف عمامة شامية ووجّه إليّ في كل يوم رجلاً أو رجلين ليرى أهل خراسان أن لي مدداً . فلم يفعل وكان يستخفّ

---

(١) نسبة إلى كنانة وكان يجب أن يقول الليثي ثم الكناني لأن ليث بطن من كنانة وهو نصر بن سيّار بن نافع بن جُري بن ربيعة بن عامر بن هلال بن حارثة بن جُندع بن ليث (البطن) بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (القبيلة) بن خُريمة بن عمرو (مدركة) بن إلياس بن مضر .

(٢) الثؤلول : خراج يظهر في الجلد كالحمصة فما دونها ـ اللسان ـ.

بكتبه إذا كتب ، فقال نصر : والله إني لأهمّ أن أكتب إليه من نصر بن سيّار الكناني إلى يزيد بن عُمر الفزاري ، وكتب إليه : [من البسيط] .

أبلغْ يزيدَ وخيرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ وقد تَبَيَّنتَ ألاّ خير في الكَذِبِ
إنَّ خراسانَ أرضٌ قد رأيتُ بها بَيْضاً لو أفرخ[1] قد حُدِّثتَ بالعَجبِ
فِراخُ عامَيْنِ إلاّ أنّها كَبُرَتْ ولم تَطِرْ ولقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ
وإن يَطِرْنَ ولم يُحتَلْ لَهُنَّ بها يُلْهِبْنَ نيرانَ حربٍ شأنُها عَجَبِ

فكتب إليه ابن هبيرة : لا تكثرنّ فما عندي رجل واحد .

وكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبْد الملك بن مروان عامله بدمشق ، يأمره بحمل إبراهيم بن علي بن عبد الله بن عباس إلى ما قبله ، وكتب إلى نصر ألاّ يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلاّ قتله ، فقال نصر : هذا أحمق ، وفسدت الأمور على نصرٍ فهرب .

وقد كتبنا هذا الخبر فيما تقدم من كتابنا هذا عند ذكرنا أمر الدّعوة .

قالوا : استحكمت لأبي مسلم الأمور فوجّه قحطبة بن شبيب بن خالد بن مَعْدان بن شُميس بن قيس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن عمرو بن الصامت واسمه أيضاً عمرو بن غَنْم بن مالك بن سعيد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد[2] ، إلى العراق ومعه أبو غانم عبد الحميد بن رِبعي بن خالد بن مَعدان ، وغيره من وجوه أهل خراسان ، وحمل قطحبة معه مالاً عظيماً ، وكان مقدّمة قحطبة ابنه الحسن .

---

(١) تحذف همزة أفرخ ليستقيم الوزن .

(٢) في الجمهرة كما جاء هنا عمرو بن عمرو بن عمرو (العبادة) بن غنم بن مالك بن سعد بن أسودان (نبهان) بن عمرو بن الغوث بن جلهمة (طيء) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

فلقي قحطبة نُباتة بن حنظلة بجُرجان فَقُتل نُباتة وانهزم أهل الشام ، ووجّه ابن هبيرة أيضاً عامر بن ضبارة ومعه داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلقيهم قحطبة بأصبهان فقتل ابن ضبارة ، ووجّه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي من نهاوند إلى شهرزور ، فقُتل عثمان بن سفيان وكان مروان بعثه مقدّمة له ، فلما بلغه خبر مقتله أقبل مروان فنزل رأس العين ثم أتى الموصل فنزل على الزابي وحفر خندقاً ، ووجّه أبو سلمة الداعية إلى أبي عون عُيينة بن موسى بن كعب مدداً لأبي عون .

وظهر أمير المؤمنين أبو العباس فولّى عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس حرب مروان ، فلما ورد على أبي عون تحوّل له عن سرادقه بما فيه وخلّاه ، وصيّر عبد الله بن علي على شرطة حباش بن حبيب الطائي صاحب الجوية ببغداد في ظهر ربض حميد بن قحطبة ، فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الاخرة سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، سأل ابن علي عن مخاضة الزابي فدلّ عليها ، فوجه عيينة بن موسى بن كعب في خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم ورفعت النيران ثم تحاجزوا ، ورجع عيينة إلى عسكر عبد الله بن علي وخاض وأصحابه تلك المخاضة .

وأصبح مروان فعقد جسراً وسرّح ابنه عبيد الله بن مروان يحفر خندقاً أسفل من عسكر ابن علي ، فبعث عبد الله بن علي المخارق بن عفان في أربعة آلاف فسرّح إليه عبيدُ الله بن مروان الوليدَ بن معاوية فبيّت المخارق وانهزم أصحابه وأخذ أسيراً فبعث به إلى مروان مع رؤوس من قتل ، فقال مروان : أأنت المخارق ؟ قال : لا ولكني عبد من عبيد أهل العسكر ، وكان المخارق نحيفاً دميماً . فقال له مروان : أتعرف المخارق ؟ قال : نعم ، قال : فانظر رأسه في هذه الرؤوس . فأومأ إلى رأس منها ، فقال : هو هذا فخلى سبيله ، وقال رجل من أصحاب مروان ورأى

المخارق : لعن الله العبد أبا مسلم جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم ، وقال العماني وهو من بني فَقَيم[١] : [من الرجز]

صَبَّحَتْهُمْ مروانُ بالدَّهارِسْ قبلَ الصَّباحِ والصَّقيعِ الجامِسْ[٢]

دَوْسَ الجراجيرِ الحصادَ اليابِسْ

وبلغ ابن عليّ خبر المخارق ، فدعا عبد الله بن علي بن محمد بن صَوْل فاستخلفه على العسكر ، وسار على ميمنته أبو عون وعلى ميسرته موسى بن كعب ويقال عيينة ابنه .

يوم الزابي من أرض الموصل :

٢٣٥ـ قالوا : لقي عبد الله بن علي مروان وعلى ميمنة مروان عبيد الله ابنه وعلى ميسرته الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان[٣] وهو صهر مروان على ابنته . وقال مروان : إن زالت الشمس ولم يقاتلونا كنا الّذين ندفعها إلى عيسى بن مريم[٤] ، وإن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وأرسل مروان إلى ابن علي يسأله الموادعة إلى بعد صلاة الظهر ، فقال : كذبت يا بن زربى[٥] لا تزول الشمس حتى أوطئك

---

(١) بني فقيم : بطن من تميم وهو فُقَيم بن جرير بن دارم بن مالك (الغَرق) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) الجامس : جمس : جمد والماء جامس أي : جامد ـ اللسان ـ .

(٣) في السابق ذكره الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وهنا يقول : والوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك ، والصحيح كما هنا لأنه لا يوجد من اسمه معاوية من ولد عبد الملك ولكن يوجد من اسمه مروان من ولد عبد الملك جمهرة ابن الكلبي .

(٤) كأنهم يكنون عن النصر بدفع الراية إلى عيسى بن مريم .

(٥) زربى : كانت أم مروان كردية أخذها في حرب مصعب بن الزبير كانت لطباخ مصعب زربى أو خبازه وكانت حامل منه فولدت مروان على فراش محمد بن مروان .

الخيول إن شاء الله ، فقال مروان : قفوا وادفعوهم فحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك فغضب مروان وشتمه .

ونشبت الحرب ونزل الناس وأشرعوا الرماح وجثوا على الركب وقاتلوهم ، وجعل أهل الشام يتأخّرون كأنهم يدفعون ، ومشى عبد الله قُدماً وهو يقول : حتى متى نُقتل فيك يا ربّ ، ونادى أهل خراسان : يا لثارات إبراهيم الإمام يا محمد يا منصور يا لثارات الحسين وزيد ويحيى . يا منصور أمت واشتدّ بينهما القتال .

وروى قوم أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز كان مع مروان وذلك باطل ، ولكنه كان معه غيره من ولد عمر وهو عبد العزيز .

ظهور العصبية القبلية في هذه الحرب :

٢٣٦ـ وقال مروان لليمانيّة : انزلوا فقالوا : قلْ لقيس فلينزلوا ، وذلك أنهم حقدوا عليه تقديمه قيساً وقتله ثابت بن نعيم الجذامي[١] والسمط الكندي[٢] ، فقال لصاحب شرطة الكوثر الغنوي[٣] : انزلْ ، فقال : والله ما كنتُ لأجعل نفسي غرضاً ، قال : أما والله لأقتلنّك ولأسُوءنَّكَ إن لم تنزل ، فقال : وددت والله أنك تقدر على ذلك ، ثم انهزم مروان وقطع الجسر فغرق ممّن معه أكثر ممن قتل ، وقال بعضهم : عرض لمروان وجعٌ في بطنه فحرّكه للخلاء فرآه الناس مولياً [٦١٥/٦٨] فقالوا : انهزم وانهزموا فلم يقدر على ردّهم ، فلما رأى ذلك عبر الجسر الذي للزابي ، وأمر بقطعه لئلا يتّبع ، فغرق ستة عشر رجلاً من ولد مروان

---

(١) جذام قبيلة يمانية .

(٢) كندة قبيلة يمانية .

(٣) غنى قبيلة قيسية .

ابن الحكم ، ومنهم إبراهيم بن الوليد المخلوع ، ويقال : إن إبراهيم بقي حتى قتله ابن علي مع من قتل، ويقال: إنه قتل بعد موت أخيه يزيد الناقص حين ظفر به مروان، والله أعلم وأثبت ذلك أن عبد الله بن علي قتله .

وكان عبد الله بن علي في اثني عشر ألفاً . وأمر عبد الله بن علي بإخراج الغرقى فأخرجوا فقرأوا : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ وأقام في معسكره سبعة أيام ، فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعيب مروان : [من البسيط] .

لـجَّ الفِـرارُ بمـروانٍ فَقُلْـتُ لَـهُ عـادَ الظَّلـومُ ظَليمـاً همُّـهُ الهَـرَبُ
ولَّى طريداً ولم تُحمَدْ عَزيمَتُهُ لَدَى القتالِ فلا دينٌ ولا حَسَبُ

وكتب ابن علي إلى أبي العباس بالفتح وبهرب مروان وأنه قد حوى عسكره ، فسجد أبو العباس ثم صلى ركعتين وقرأ : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾[1] الآية ، وكتب إلى ابن علي يأمره أن يصوم سبعة أيام وصامها أبو العباس ، وأمر أبو العباس لمن شهد الموقعة خمسمئة خمسمئة ، ووهب ابن علي لعيينة بن موسى بن كعب جارية كانت لمروان .

وقال إسماعيل بن عبد الله القسري : قال لي مروان بحرّان حين هرب بعد يوم الزابي : أبا هاشم إني قد أجمعت على حمل عيالي وقطع الدرب حتى آتي مدينة من مدائن الروم فأنزلها ، وأكاتب صاحب الروم ولا يزال يأتيني الخائف والهارب وتتلاحق بي الناس حتى يكثر جمعنا ، وكان ذلك رأياً فكرهته لسوء صنيعه إلى أهل اليمن وقتله من قتل منهم وتقديمه قيساً ، فقلت : أعيذك بالله أن يحكم فيك أهل الشرك وتملّكهم أمرك وأمر أهلك وحرمك ، ولكن استنفر الشام وكوره حتى تصير إلى مصر فإن

---

(١) سورة البقرة رقم : ٢ الآية رقم : ٢ و ٢٤٩.

رجالها كثير وتكون بين الشام وأفريقية ، فقال : سبحان الله ، ومضى ومعه الكوثر الغنوي ومعه الحربة يسير بها بين يديه ، فمرّ بقنسرين فوثبت به تنوخ وطيء فاقتطعوا مؤخر عسكره ، ومرّ بحمص فصنعوا مثل ذلك ولم يدعوه يدخل مدينتهم ثم مرّ بدمشق ، فروى قوم ، أنهم منعوا عامله عليها من دخولها ، وهو الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك وكان معه ، والثبت أن أهل دمشق لم يمنعوا عامله الوليد منها فدخلها وأقام بها حتى قتله عبد الله بن علي ، ويقال بل أسره وبعث به إلى أبي العباس فقتله وصلبه . ومرّ مروان بالأردن فوثب عليه هشام بن عمرو القيني ، ومر بفلسطين فوثب به الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع ، ثم مضى إلى مصر .

واتبعه الحجاج بن زمل السكسكي فصار معه والراماحس بن عبد العزيز الكناني وكان عامله على الأردن ، واتبعه ثعلبة بن سلامة وكان من عماله على ناحية قريبة من الأردن .

فلما صار إلى فلسطين ، قال : يا رماحس انفرج الناس عنا انفراج الراس ، ولا سيما قيس التي وضعنا معروفنا عندهم في غير موضعه ، وأخرجناه من قوم كانت دولتنا تقوم بهم ، فما رأينا لقيس وفاءً ولا شكراً .

وصار عبد الله بن علي إلى نهر أبي فِطرس بعد أن غلب على كلّ دمشق ، ووجّه صالح بن علي بن عبد الله لمحاربة مروان ، وعلى مقدمته عامر(١) بن إسماعيل بن عامر بن نافع أحد بني مُسْلية بن عامر بن عمرو بن

(١) عامر بن إسماعيل بن عامر بن نافع بن محميّة بن حذيفة بن عوف بن صبح بن ناشرة بن الأبيض بن كنانة بن مُسْلية (البطن) بن عامر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك (مذحج) بن أدد . =

عُلة بن جلد ، فحارب عامر بن إسماعيل مروان ببوصير فقتله .

وقال الهيثم بن عدي : كان الذي قتل مروان مزاحم بن حسان الحارثي[1] ، وكان الكوثر الغنوي قد كاتب عامر بن إسماعيل ، فبلغ مروان ذلك وهو في أول حدّ مصر فقتله ، ويقال إن قوماً من أصحاب مروان تيقّنوا ذلك من فعل الكوثر فقتلوه وأتوا مروان برأسه ، فقال : أبعده الله وحمد القوم وقال لهم خيراً ، وقال قوم : إن عبد الله بن علي أتى مصر وذلك غير ثبت .

وقال المدائني عن بعض أشياخه : نزل عبد الله بن علي بباب دمشق وبها الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان وكان مع مروان بالزابي ، فلما صار مروان إلى دمشق خلّف بها الوليد وسار إلى مصر لأن أهل دمشق لم يخالفوه ، فحصرهم عبد الله بن علي وقد أغلقوا أبوابها ، ثم وقعت بينهم العصبية فسوّدت اليمانية وفتحت الأبواب فدخلها ابن علي والخراسانية فقتلوا كل مبيّض وأخذوا الوليد ، فبعث به عبد الله إلى أبي العباس فقتله وصلبه ، ويقال بل وثبت به اليمانية فقتلوه فبُعث إلى أبي العباس برأسه ، ويقال بل قتله ابن علي وبعث برأسه والله أعلم .

وقدم عبد الصمد بن علي من قبل أبي العباس في أربعة آلاف مدداً لعبد الله بن علي فوافاه بدمشق ، وهدم عبد الله حائط دمشق وصار إلى نهر أبي فطرس فسار صالح بن علي على نهر أبي فطرس إلى مصر في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومئة ومعه عامر بن إسماعيل المسلمي وأبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي ، فيقال إن عبد الله وجّه صالحاً ويقال بل ولاه أبو

---

(١) الحارثي : نسبة إلى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عله بن جلد ، وهم أصحاب نجران .

العباس مصر ، وأمر ابن علي أن يقلّده محاربة مروان ويتشاغل هو بأمور الشام حتى يحكمها ، فعدل صالح من الرملة فنزل ساحل البحر وجمع السفن وتجهّز للقاء مروان وهو بالغرما من مصر ، فجعل صالح يسير على الساحل والسفن بحياله حتى ترك العريش ، وبلغ ذلك مروان فأحرق ما حوله من الأعلاف ، وأخذ صالح بعض أصحابه ممن يحرّق تلك الأعلاف فقتلهم بالفسطاط ، ولما وافى صالح الفسطاط عبر مروان النيل وقطع الجسر ، وقدّم صالح أبا عون وعامر بن إسماعيل فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم واسروا بعضهم ، فسألوهم عن مروان فأخبروهم أنه في كنيسة ببوصير وقد جمع من بقي معه وضمهم إليه مطيفون به .

وقال عامر بن إسماعيل : لقينا مروان ببوصير في السحر ونحن في عدّة يسيرة لم يكن أصحابنا تلاحقوا بنا ولا تناموا إلينا ، فشدّ أصحاب مروان إلينا فلجأنا إلى شجر ونخل هناك ولو يعلمون بقلتنا لهلكنا ، وذكرتُ أن بُكَير بن ماهان قال لي : أنت والله تقتل مروان فكأني أسمعك تقول : دَهادَ يا جونكان دهايا أهل خراسان ، فاشتدّ قلبي فكررنا عليهم فانهزموا وحمل رجل على مروان فطعنه بسيفه ، وكان من أهل البصرة فقتله .

وقال أبو الحسن : قتله محمد بن شهاب المازني من بني كابية بن حرقوص[1] واحتزّ رأسه فحمله إلى صالح بن علي وكتب إلى عبد الله بن علي ، ويقال إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح ، وكان في كتابه : إنا اتّبعنا عدو الله الجعدي حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله فرعون شبيهه في كفره فقتله الله ببوصير ، ثم رجع صالح إلى الفسطاط .

---

(١) بنو كابية بن حرقوص بن مازن (بطن من تميم) بن مالك بن عمرو بن تميم .

وقال المدائني : يقال إنه طعن مروان رجلٌ نحيف يُكنى أبا العُود ، وهو لا يعرفه فصرعه وصاحَ صائحٌ أمير المؤمنين فابتدروه فسبق إليه رجل كوفيّ كان يبيع الرُّمان فاحتز رأسه ، ويقال أيضاً إنه قتله مزاحم بن حسان الحارثي ، ويقال بل قتله محمد بن شهاب بن عقبة بن شهاب المازني وأخذ رأسه فبعث به عامر [بن إسماعيل المسلي] إلى أبي عون وبعث به أبو عون إلى صالح بن علي وبعث به صالح إلى الخليفة ، وهذا قول من قال إن صالحاً كان من قبل أبي العباس .

قال الهيثم : وكان يقال : إذا حملت مُسلية الألوية ، دَهَتْ بني أميّة الأُدَيْهِيَةْ .

قالوا ولما نُفض راس مروان ونُقفَ [٦١٦/٦٨] ليخرج دماغه قُطع لسانه فأخذه هرٌّ . وقال صالح : لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلاّ لسان مروان في فم هرٍّ لكان في ذلك عبرة وموعظة ، ثم بعث برأسه وخاتمه مع يزيد بن هانىء الكندي إلى أبي العباس وهو بالحيرة ، فنصبه وبعث به إلى خراسان ولم يزل صالح على مصر حتى مات أبو العباس وعصى عبد الله بن علي .

وكان الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع (الجذامي) من قبل عبد الله بن علي على فلسطين . فسرّح إليه صالح أبا عون ومحمد بن الأشعث الخزاعي فهرب الحكم إلى بعلبك فدُلّ عليه بعد فأخذ وذلك في ولاية عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، ولم يخالف صالحُ المنصورَ حين خلع عبد الله بن علي وكان متمسكاً بطاعته غيرَ متابع لعبد الله بن علي على معصيته وخلافه ، فلما انقضى أمره قدم فلسطين ومعه ليث بن سعد وابن لهيعة .

وروي أن بنات مروان كُنّ في كنيسة عليهنّ خادم يقوم بأمرهنّ فخرج الخادم شاهراً سيفه ، وقال : إن مروان أمرني بقتل نسائه وبناته فمنع من

ذلك ، وأرادوا قتل الخصيّ فقال : إن قتلتموني ذهب ميراث النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم ، قيل : وما ذاك ، فدلّهم على القضيب والبرد والقعب والمخضب ، وكان مروان دفن ذلك أجمع في رملٍ في بعض المواضع كيلا يصير إلى بني العباس ، وهذا خلاف قول منٍ ذكر أن البُرد اشتُري من بعض النصارى ، والله أعلم .

أمر بني مروان بن محمد :

٢٣٧ـ قالوا لما التقى مروان وعامر بن إسماعيل ببوصير من أرض مصر فاقتتلوا ليلاً . وقف عبد الله وعبيد الله ابنا مروان في ناحية في جمع من أهل الشام ، فحمل عليهم أهل خراسان فأزالوهم عن مواقفهم ثم كرّوا عليهم فهزموهم حتى ردّوهم إلى عسكرهم وتفرّق الناس عن عبد الله وعبيد الله حين قيل قتل مروان ، وجعل أهل خراسان يقتلون من لحقوه من الفلّ فلم يكن لهما همّة إلا الخلاص فمضيا على وجوههما وذلك في السحر وتفرق الشاميون في الرمال . فرجع أهل خراسان عنهم ، وصار ابنا مروان إلى بلاد النوبة في عدّة من أحشام أبيهما ومواليه وغيرهم ، فكرّمهما صاحب النوبة وأجرى عليهما ما يصلحهما ، فأقاما بارض النوبة شهرين ثم أجمعا إتيان اليمن فيمن معهما فنهاهما صاحب النوبة عن ذلك وقال : إني لا آمن عليكما الهلكة ، فشكروه وساروا في بلاد العدو فدخلوا بلاد جاوه فلم يهجهم صاحبها ، وكان يبيعهم ملء القربة الماء بخمسين درهماً حتى أخذ منهم مالاً كثيراً ثم شخصوا عن بلاده ، فلقيهم بعض العدو فقاتلوه ونجوا فساروا فعرض لهم جبل بين طريقين فسلك عبد الله وقد باين أخاه لتنازع وقع بينهما إحدى الطريقين وسلك عبيد الله الطريق الآخر فلم يلتقوا ، وعرض لعبيد الله بعض العدو فقاتلهم بمن معه فسلبوهم ثم قتلوهم إلا جُميعة لا يبلغ عددها ثلاثين وقتل عبيد الله

وأخذت ابنته أم الحكم وهي صبيّة [وساروا] ينتكبون[1] العمران فهلكوا وهلكت دوابهم وبلغ منهم العطش حتى شربوا أبوال دوابهم وأبوال أنفسهم إلى أن وصلوا إلى البحر ، فوافاهم عبد الله بن مروان فكانوا خمسة وأربعين فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم ، فركبوا البحر وصاروا إلى مكة ، فيقال إن العامل بها لم يعرض لهم ، ويقال إنه لم يعلم بهم وخرجوا مع الحُجّاج وعليهم عمائم غلاظ وجباب الأكرباء حتى مرّوا بقوم فرقّوا لهم فحملوهم ، وفارق الحجّاجُ عبدَ الله بجدة ، ثم أتى عبد الله بن مروان ومن معه تَبالة بعد أن حجّ .

قالوا : وأتى عبد الله بن مروان اليمن مستتراً فأقام بها ما شاء الله فدُلّ عليه نصر بن محمد بن الأشعثُ الخزاعي ، وكان والياً عليها من قبل أمير المؤمنين المنصور في آخر خلافته ، فأخذه وبعث به إلى المنصور فحبسه في القصر ، فلما استخلف أمير المؤمنين المهدي أراد إخراجه إلىٰ الشام ليخلع نفسه على منابر الشام لأنّ أباه كان ولاّه عهده ، وكان أبو العباس الطوسي على المدينة والمطبق والحبوس ، فبلغه ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين من أشار عليك بهذا الرأي ، أأبو عبيد الله أم ابن رغبان أم أبو سُمَير ؟ هذا رأي لا تؤمن عواقبه ، أيدخل ابن مروان مدن الشام وله في أعناق أهلها بيعة ، ويقال : إن المهدي أراد تخلية عبد الله بن مروان ، فقال له عيسى بن علي : يا أمير المؤمنين إن له في أعناقنا بيعةً ، فأمر به المهدي فثقّل بالحديد وحوّل إلى المطبق[2] فلم يلبث أن مات ، وكان أبو عبيد الله من أهل الشام وكذلك أبو سُمير ، وكان ابن رغبان مولى حبيب بن مسلمة الفهري شاميّاً ، وهو صاحب المسجد ببغداد .

---

(١) نكب عن الشيء وعن الطريق ينكب نكباً وتنكّب : عدل ـ اللسان ـ.

(٢) المطبق : اسم سجن أبي جعفر المنصور .

حدثني حماد بن يَغْسِل الورّاق عن سلمويه أبي صالح ، قال : لما أُقيم عبد الله بن مروان بين يدي المهدي ، وكان عامل اليمن وجهه إلى أبي جعفر فوافاه ، فقال أبو جعفر : أيكم يعرف هذا ؟ فتأمّله عبد العزيز بن مسلم العُقيلي[1] فقال : آه أبا الحكم كيف كنت بعدي ؟ نعم يا أمير المؤمنين هذا عبد الله بن مروان ، فأمر به إلى المطبق فمات فيه .

قالوا وكان على عبد الله فصّ ياقوت أحمر يساوي ألف دينار ، فكان يقول وهو يمشي : ليت لي به دابّةٌ أركبها . وقال بعض من كان مع عبد الله بن مروان : ما رأينا مثله قاتل فكان أشدّ الناس ، ومشى فكان أقواهم على المشي ، وجاعوا فكان أصبرهم على الجوع .

قالوا : وبلغ مروان وهو بمصر قَتْل من قُتل بنهر أبي فطرس فبكى حتى كاد يموت ، وقال بعض آل مروان : ما كان شيء أنفع لنا في هربنا من الجوهر الخفيف الثمن ما يساوي خمسة دنانير فما دون ، كان يخرجه الصبي والخادم والأمراء فيبيعه وكنا لا نستطيع إخراج الجوهر الثمين .

وقال الحجّاج بن قتيبة : كنتُ مع نصر بن سيّار فلحقت بمروان فصرت معه ، فقال وهو هارب : لقد عزبت عنا عقولنا حين لم نزوّج نساءنا الأكفاء من قريش فنُكفى مؤنتهم في هذه الحال . وأخذ لي سلم بن قتيبة أخي الأمان ، فقال لي أمير المؤمنين : أكنتَ مع مروان ؟ فقلت : كنت مع قوم خلطوني بأنفسهم فلم يحسن لي مفارقتهم ، فقال : هذا الوفاء ، وقيل : إن المنصور أو المهدي دعا بعبد الله بن مروان وقال له :

---

(١) نسبة إلىٰ عُقيل بطن من بني عامر بن صعصعة من قيس ، وهو عبد العزيز بن مسلم بن ربيعة بن عاصم بن جزء بن عامر بن عوق بن عُقيل (البطن) بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

حدّثني حديثك فحدّثه فهمّ تخليته حتى قال عيسى بن علي فيه ما قال .

ذكر من قتل من بني أمية وأتباعهم :

٢٣٨ـ المدائني وغيره قالوا : جلس عبد الله بن علي للناس في خضراء دمشق فدخلت عليه قريش وغيرها ، فتكلم يزيد بن هشام وهو الأفقم[1] فأطرى بني هاشم وذكر فضلهم وقال : أهل السؤدد والإمامة وأطنب ، ثم تكلم بنو أمية فأثنوا ودعوا ومتّوا بالقرابة ، فقال ابن علي : صدقتم وبررتم إنّ قرابتكم لقريبة وإن حقّكم لواجبٌ أنتم ألفاؤنا وبنو عمّنا ونحن أهل وراثتكم وأنتم أهل وراثتنا لو كان الثأي[2] متلائماً ، ثم قال : ما لي لا أرى عتيق بن عبد العزيز بن الوليد ، فقيل له : ليس عنده ما تكرهه ، فقال : إن أتاني ما بينه وبين ثالثة وإلاّ فلا أمان له عندي ، فأتاه ثم إنه قتله بعد .

ودعا عبد الله بالغداء فتقدّم من حضر إلاّ محمد بن عبد الملك ، فقال له : اقترب يا محمد ، فقال : لست أطعم اليوم شيئاً ، فجعل عبد الله ينظر إليه فلما فرغوا من الغداء خرج الناس ، فقيل له : دعاك إلى الغداء فلم تفعل وتكلم أصحابك ولم تتكلم وقد نظر إليك نظراً شزراً ، وقتله بعد ودخل [٦١٧/٦٨] عليه حمزة بن الأصبغ بن ذؤالة الكلبي وكان حمزة ممن شهد قتل زيد بن علي ، فلما رآه تمثل عبد الله : [من الطويل] .

بسيفِ ابنِ عباسٍ وسيفِ ابنِ زامِلِ بَدَتْ مُقلتَاها والبَنانُ المُخضَّبُ

ثم قتل حمزة بعد أن خرج مع السفياني ، وأخذ ابن علي سليمان بن

---

(١) الفقم في الفم : أن تدخل الأسنان العليا إلى الفم ، وقيل أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه .

(٢) الثأي جميعاً : الإفساد كله وقيل هو القتل والجراحات ـ اللسان ـ .

سُليم بن كيسان فحبسه ، وقدم قوم من كلب برأس الفيّاض بن عنبسة بن عبد الملك من البادية قُتل بها ، وقتل عبد الله بن علي سليمان بن سليم وإخوته ، كلثوماً ومسلماً ونصراً وبشراً وحمّاداً وصدقة ويونس بني سُليم ، وأخذ ابن علي بدمشق يزيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان ، وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك فبعث بهما إلىٰ أبي العباس فقتلهما بالحيرة أو بعث برؤوسهما أو حمل ابن عبد الجبار فقط ، وقتل عبد الله بن علي سالم بن عجلان الأفطس مولىٰ محمد بن مروان بن الحكم سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، وكان ينزل حران ، وسالم الأفطس الذي يحدّث عن ابن حبيب ، وأمر عبدُ الله بن علي الضحاكَ بن زِمْل السكسكي[1] بقتل بعض ولد روح بن الوليد بن عبد الملك ، وكان حين دعاه بلغه أنه يريده لذلك فكسر يد نفسه ، فلم يزل الضحاك أثيراً عند أبي العباس حتىٰ مات ببغداد فحضر المنصور دفنه وقام علىٰ قبره .

وولّىٰ أمير المؤمنين أبو العباس عبدَ الله بن علي الصائفة[2] سنة خمس وثلاثين ومئة فتجهّز وشخص وأقبل أبان بن معاوية بن هشام يريده فيعترضه ، فوجّه إليه حُميد[3] بن قطحبة فالتقوا فانهزم أبان وأصحابه وانكشفوا وتحصّنوا في حصن كيسوم فحصرهم حُميد فطلبوا الأمان فأمّنهم وهرب أبان فدُلّ عليه فأُخذ في غارٍ فقطع عبد الله بن علي يديه

---

(١) الضحاك بن زِمْل بن عبد الرحمن بن كعب شُفيّ بن مانع بن صُفيّ بن مالك بن وَدْم بن صعب بن السكاسك بن أشرس بن ثور (كندة) .

(٢) الصائفة : غزو الروم في الصيف .

(٣) حُميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلب من سعد بن عمرو بن عمرو (الصامت) بن غنم بن مالك بن سعد بن أسودان (نبهان) بن عمرو بن الغوث بن طيئ .

ورجليه وقتله ، ومضىٰ لوجهه ويقال إنه كان في الغار وأمه وأخته وامرأته فدُلّ عبد الله عليه ، فوجّه إليه أربعين رجلاً فلما نذر بهم أراد قتالهم فمنعته أخته وأمه فاستسلم فقطع عبد الله يديه ورجليه وحشمه[1] وأطافه بالشام ثم حبسه فحلّ يديه حتىٰ نزف ومات ، وتحصّن عبد الصمد بن محمد بن الحجاج بن يوسف في حصن فبعث عبد الله من أخذه وأربعة عشر رجلاً من آل أبي عقيل ومع عبد الصمد سيف الحجاج ، فضرب به عنقه وأعناقهم ، ويقال إن صالح بن علي أخذهم ، وقتل ابن علي زِيخ[2] قريش وهو أبو بكر بن عبد الملك ، وقتل أبا القاسم بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

المدائني عن أبي عاصم الزبادي ، قال : قال عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس ومعه بنو أمية خرجوا معه من دمشق ، فأمر ألاّ يُدْخلوا عليه وعلىٰ أحدهم سيف فانتزعت سيوفهم وأمر بالخيل فرتّبت حول الحُجر ، فلما دخلوا من المغرب عُزلوا ناحية ونُودِي رجلٌ رجل باسمه فدخل اثنان وسبعون رجلاً ، ويقال كانوا نيفاً وثمانين ، وجاء حيّاش بن حبيب الطائي صاحب شرطة عبد الله بن علي ، فأمر بهم فنزعت ثيابهم وكتّفوا فجعل أهل خراسان ينتفّون أطراف أقبيتهم ويكتّفونهم ، فقال محمد بن عبد الملك : يا بني أمية اصبروا فهذا يومكم الذي كنتم توعدون ولم تأخذوا له أهبته ، فضربوا بالخشب والعَمد والأيدي والأرجل حتىٰ رُضّوا جميعاً .

قالوا ورأىٰ خُفاف بن منصور فرساً لسليمان بن داود بن عبيد الله بن

---

(١) حشم : استحيا وحشمه ما يستحىٰ منه وربما يعني ذكره .
(٢) الذِّيخ : الكبر ـ اللسان ـ والذئب الجريُ .

مروان فأعجبه ، فقال : لمن هذا الفرس ؟ فأخبر مولىً لسليمان سليمان بذلك ، فبعث إليه بالفرس ، فقال : ما كنت لأقبله ولكن قُلْ لصاحبك احذر أصحابنا فحضر يومئذ فقتل ، وقُتل الغمر بن يزيد وقد ذكرنا خبره ، وقتل إبراهيم بن مسلمة بن عبد الملك ، وبعث عبد الله بن علي إلىٰ البلقاء من قتل سليمان بن يزيد بن عبد الملك أخا الوليد المقتول .

وبعث عبد الله بالرؤوس إلىٰ أبي العباس مع سلمة بن محمد الطائي والوُثَيْق بن زُفر ، وكتب إلىٰ عثمان بن عبد الأعلىٰ بن سراقة وهو بدمشق ، إذا ورد علي الوُثَيق فاقتله واجعل راسه مع الرؤوس ، وأنفذْ بها سلمة بن محمد وجماعة معه يحفظونها فإن بني أمية أرادوا نقض ما جعل الله لنا في أعناقهم فألحقتهم بأمهم الهاوية والنار الحامية .

وحدثني هشام بن عمّار عن أبيه ، قال : لم يوجّه عبد الله بن علي الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان حين أخذه بدمشق إلىٰ أبي العباس ، ولكنه بعث بأخيه زيد بن معاوية فقتله أبو العباس وصلبه بالكوفة ، وقتل ابن علي الوليد وبعث برأسه إلىٰ امرأته وهي ابنة مروان بن محمد ، فقالت : والذي ابتلاني بقتله ما تبيّنت صورة وجهه قطّ .

وقال المدائني : كان يقال إنه من فتيان قريش ، وأما عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فقتله صالح بن علي ، دخل عليه وصالح يقرأ ورجل يأخذ عليه في مصحفٍ ، فقال له : ما منعك [من] إتيان أمير المؤمنين ؟ قال : كتاب أمير المؤمنين ، فقال للذي كان يأخذ عليه : اطبق المصحف ، وأمر به فضربت عنقه ، وقتل أبو العباس سليمان بن هشام ، وقد كتبنا قصته وما سبب قتله ، وقتل أبو العباس زيدَ بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان وصلبه بالحيرة .

وقال هشام بن الكلبي : قتل ابن علي بنهر أبي فطرس ثمانين أو نيفاً وثمانين من بني أمية ، فقال حفص بن أبي النعمان مولىٰ عُبيد الله بن زياد : [من الرمل]

أيـنَ ورقـا عبـد شمـسٍ أيـنَ هـمْ   أيـنَ أهـل البـاعِ منهـمْ والحَسَـبْ
قُـلْ لمَـنْ يسـأَلُ عَنْهـمْ أَنَّهـمْ   خُشـبٌ تَلْمَـعُ مـن فـوقِ الخَشَـبْ
احلبـوا مـا شئْتُـم وفـي صَحْنِكُـمْ   فَسَتلْقَـوْتَ صَـرَىٰ[1] ذَاكَ الحَلَـبْ

قال ، ويقال لبني حرب بن أميّة وبني أبي العاص بن أمية الزَّوْقان والزَوْق القَرْن .

وقال ابن الكلبي : صلب عبدُ الله بن علي عمرَ بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان الذي كتبنا خبره بالبصرة ، قال ولما افتتح ابن علي دمشق أسر زيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان وعبد الله بن عبد الجبّار بن يزيد بن عبد الملك ، فبعث بهما إلىٰ أبي العباس فصلبهما بالحيرة ، وقتل أبو العباس سليمان بن هشام وابنه وصلبهما .

قال ، وقال أبو عدي العَبْلي[2] من بني أمية : [من المتقارب] .

تَقُـولُ أُمـامـةُ لمـا رأتْ   سُهـادي لَـدى هَجْعَـةِ النَّعِـسِ
أَبـي مـا عَـراكَ فَقلـتُ : الهمـومُ   طَـرَقْـنَ أبـاكِ فَـلا تُبلِسـي
لفَقْـدِ العَشيـرة إذْ نَـالَهـا   سِهَـامٌ مِـنَ الحَـدَثِ المُـويِـسِ

---

(١) الصَرَىٰ : اللبن الذي قد بقي فتغير طعمه وصَرَىٰ اللبن يصري في الضّرع إذا لم يحلب ففسد طعمه ـ اللسان ـ.

(٢) ولد عبد شمس بن عبد مناف أمية الأصغر وعبد أمية ونوفلاً وأمهم عَبْلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، يقال لهم العَبَلات بها يعرفون .

رَمَتْهـا المنـونُ بِـلا أَنْصُـلٍ ولا طـايشـات ولا نُكُـسِ
أَفـاضَ المـدامـعَ قَتْلـى كَـرىً وقتْلـى بكـوثـةَ[1] لَـم تُـرْمَـسِ
وَقَتْلـى بِـوَجٍّ[2] وبـالـلابتيـنِ[3] مـن يَثْـرِبٍ خَيْـرُ مـا أَنْفَـسِ
وبـالـزابتيـنِ[4] نُفـوسٌ نـوكٌ[5] وقتْلـى بنَهْـرِ أَبـي فطـرِسِ
أولئِـكَ قَـومـيَ حَلّـتْ بِهِـم نَـوائِـبُ مـنْ زَمَـنٍ مُتْعِـسِ
أذلَّـتْ جبـالـي لمَـنْ رامَهـا وَأنـزلَـتِ الـرَّغْـمَ بـالمَعْطِـسِ
فمَـا أَنْـسَ لا أَنْـسَ قَتْـلاهُـمُ ولا عَـاشَ بَعْـدَهُـمُ مَـنْ نَسِـي

فقتله داود بن علي .

وقال بعض الشعراء : [من البسيط]

تَعْسـاً أميَّـةُ قـد زلّـتْ بكـم قَـدَمُ فَأَصْبَحَ المُلْكُ من أيديكمُ نُزِعا
وَنَالَها من بني العباسِ مُضْطَلِعٌ بالحِمْلِ لو حَمَّلوها غيرَهُ ظَلَعا
تُـراثُ أحمـدَ كـانـوا يلعَبـونَ بِـهِ يا رُبَّ محتصدٍ غير الّذي زَرَعا

المدائني عن عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي قال : قال لي عبد الله بن علي : ما ترىٰ فيمن قتلته من هؤلاء ؟ .

قلت : آمنتهم ولم يكن ينبغي أن تقتلهم ، قال : فما تقول فيمن قتلتُ ولم أُأمّنه ؟ قلت : لو لم تقتلهم كان أحب إليّ لك ، قال : والله لو كان

---

(١) كوثة : كوثى في ثلاثة مواضع بسواد العراق وهي كوثيان أحدهما كوثى الطريق والآخر كوثى رَبّى وبمكة وهو منزل بني عبد الدار .
(٢) وَجّ : الطائف .
(٣) اللابتين : مثنى لابة وهي الحرّة . وفي الحديث أن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم حرّم ما بين لابتيها يعني المدينة لأنها بين الحرّتين ـ معجم البلدان ـ .
(٤) الزابيان : مثنى : الزابي : رافدان للفرات .
(٥) نوك : تكسر الوزن ويصح لو قلنا : رَضَتْ .

معنا ثالث من الناس ما رأيتَ الأحبّة . قالوا : وقتل داود بن علي بالمدينة عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عبد الله بن عامر بن كريز[1] .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي وغيره ، قالوا : كان إسماعيل بن عمرو بن العاص من عبّاد الناس وخيارهم وهو صاحب الأعوص[2] [٦١٨/٦٨] فقال عمر بن عبد العزيز : لو أنّ الأمر إليّ لوليتها القاسم بن محمد[3] أو إسماعيل صاحب الأعوص ، وعرض له داود بن علي فقيل : ليست بك حاجة أن يَفرَغ إسماعيل للدعاء عليك ، فتركه ولم يعرض له ، وعرض لإسماعيل بن أمية بن عمرو بن العاص ، ولأيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد (الأشدق) فحبسهما بالمدينة .

وروى ابن أبي سبرة وسليمان بن بلال عن إسماعيل صاحب الأعوص : وقيل لصاحب الأعوص ليالي قدم داود : لو تغيّبت ، فقال : ولا طرفة عين ولم يتغيّب .

أمر حبيب بن مُرّة المرّيّ

٢٣٩ـ قالوا وخرج حبيب بن مرّة المرّيّ بحوران فكتب ابن علي إلى أبي غانم عبد الحميد بن ربعي[4] الطائي وعثمان بن سراقة البارقي وهما بدمشق ، يأمرهما بالمسير إلى حبيب فتوجّها إليه ، فغدر أصحاب عبد الحميد وتفرّقوا عنه ، وذلك لأنهم كانوا يمانيّة فقالوا : لم نكن لنقاتل

---

(١) ابن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

(٢) الأعوص : بهامش المخطوطين : الأعوص موضع .

(٣) القاسم ابن محمد يعني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وكان من فقهاء أهل المدينة .

(٤) عبد الحميد (أبو غانم) بن ربعي بن خالد بن معدان بن شمس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن عمرو بن عمرو الصامت وبقية النسب ذكر سابقاً .

إخواننا[1] فكسر ذلك سائر الجند فرجعوا إلى دمشق منهزمين ، فلما رأى ذلك أهل دمشق بيّضوا وخلعوا ، فأتاهم حبيب بن مرّة فأحاط بالمدينة فبعث أبو غانم سلمة بن محمد إلى باب الشرقي ومعه عبد الله الطائي فقاتلا أصحابَ حبيب ، وخرج أبو غانم من باب الفراديس فمضى ، فقال سلمة : غدر أبو غانم وقاتل سلمة حتى قتل وناس من أصحابه ، وطلب أصحاب حبيب أبا غانم ففاتهم بنفسه وما معه من الأموال والأثقال وأتى بيروت فنزلها ، وكتب إلى عبد الله بن علي بخبره ، فكتب ابن علي إلى أشراف ربيعة واليمن يعدهم ويمنّيهم ، ويقول : إنكم أنصارنا مذ كانت هذه الدعوة ، فاعتزلوا ورجعوا وخلّوا بينه وبين مضر . وخرج أهل دمشق وهم زهاء ثمانين ألفاً فعسكروا يريدون قتال عبد الله بن علي ، فلما نزعت اليمانيّة والربعيّة عن الحرب رجعوا وانكسروا ، وأتى عبد الله بن علي دمشق فكلّم فيهم وقيل : إنه لم يكن لهم ذنب فآمنهم ثم ارتحل في المحرم سنة ثلاث وثلاثين (ومئة) إلى حبيب بن مرّة بحوران ، فالتقوا فهرب حبيب إلى البادية ، ويقال بل هرب حين شارفه ابن علي ، وفتح عبد الله حوران ودخلها لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين ومئة ، وقدم على عبد الله بن علي محمد [بن] خالد القسري ومعن بن زائدة بفتح واسط وقتل يزيد بن عمر بن هبيرة ، ورجع أبو غانم بما حمل إلى دمشق ودسّ لحبيب فقُتل .

وكان قتل مروان بن محمد في سنة ثلاث وثلاثين ومئة ، وله تسع وستون سنة فكانت ولايته خمس سنين .

تم أمر آل أبي العاص

---

(١) يظهر من القول أن جند حبيب كانوا يمانية لأن حبيب من بني مرّة ومرّة قبيلة قيسية .

ولد أبي عمرو بن أمية

٢٤٠ـ وولد أبو عمرو بن أمية أبا مُعَيط واسمه أبان ، وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة ، ومسافر بن أبي عمرووكُميم[١] بن أبي عمرو ، ولا عقب لكميم ، وأبا وحرة[٢] واسمه تميم وزينب وصَفيّة ، أمهم ريطة بنت الحويرث ثقفيّة .

وقال أبو اليقظان : يزعمون أنه عبدٌ كان يسمى ذكوان فاستلحقه أمية فكنّاه أبا عمرو ، فخلف على آمنة بعد أميّة ، وقال بمكة دار نسبت إلى كُميم ولا عقب له .

فأما أبو وجرة فله عقب ولهم أموال بالبصرة ، وأسر الحارث بن أبي وجرة يوم بدر ، سمعه عمر بن الخطاب بعد ذلك يمدح خالد بن الوليد ، فقال له : يا بن أبي وجرة لا يسمعنّ خالد هذا منك فإنه يحبّ الفخر وحبّ الفخر مفسدة للدين .

وأما مسافر بن أبي عمرو فكان من فتيان قريش جمالاً وسخاءً وشِعراً ، وكان نديماً لأبي طالب بن عبد المطلب ، وكان أتى الحيرة حين اتّهم بامرأة يقال لها هند[٣] هارباً فأصابته الدبَيْلة من شربه الخمر صرفاً ، ويقال لما أتاه من الأسف إذ لم ينلها فكواه رجل فضرط الكاوي فقال مسافرٌ : قد يضرط العِير والمكواة في النار ، ثم خرج متوجّهاً إلى مكة

---

(١) لم يذكره ابن الكلبي في الجمهرة .

(٢) عند ابن الكلبي في الجمهرة أبو وجرة بالجيم المعجمة .

(٣) هند : في الأغاني ج : ٩ ص : ٤٩ هي بنت عتبة أم معاوية اتهم بها وحملت منه فهرب إلى الحيرة .

فمات بهُبالة[١] ، فقال أبوَ طالب حين جاءهم نعيه : [من الخفيف]

ليتَ شِعري مُسافِرَ بنَ أبي عمـ ـرٍو ولَيتٌ يقولُها المحزُونُ
رَجَعَ الركبُ سالمينَ جَميعاً وخليلي في مَرمَسٍ مدفونُ
بُورِكَ الميِّتُ الغَريب كما بو رِكَ صِنْوُ الرَّيحانِ والزيتونُ
مَيْتُ صِدقٍ على هبالَةَ قَد ما لَتْ فَيَافٍ من دونِهِ وَحُزون[٢]
مِدْرةٌ[٣] يدفَعُ الخصومَ بأَيْدٍ وبوَجْهٍ يَزينُهُ العِرْنينُ[٤]
رُبَّ خالٍ رَزيتُهُ وابنِ عمٍ وخليلٍ أتت عليهِ المنونُ
فتَعَزَّيْتُ بالجلادَةِ والصّبر وإنّي بصَاحِبي لَضَنينُ[٥]

ويقال إن هذا الشعر لضرار بن عبد المطلب ، والثبت أنه لأبي طالب .

وزعم قوم أنه كان قد زوّج هذه المرأة فلم تُهْدَ إليه وكان بينهما شيء فهرب إلى الحيرة .

وقال مسافر حين زُوّجت : [من الطويل]

أَلا إِنَّ هِنْداً أَصْبحتْ منكَ مَحْرماً وأَصبحْتَ شيخاً من حُموَّتِها حَما
وأصبحتَ كالمسلوبِ جفنُ سلاحِهِ يُقَلِّبُ بالكَفّينِ قوساً وأَسهُما

ولما مات مسافر نادم أبو طالب عمرو بن عبد وُدّ ، فلما بارزه

(١) هبالة : من مياه بني نُمير .
(٢) الحَزْنُ : ما غلظ من الأرض والجمع حُزون .
(٣) المِدْرَةُ : السيد الشريف وخطيب القوم .
(٤) عرانين القوم : سادتهم وأشرافهم .
(٥) جاءت هذه الأبيات والتي بعدها في الأغاني نفس الجزء السابق ذكره وفي ديوان شيخ الأباطح أبي طالب رواية ابن جنّي نشر المكتبة المرتضوية في النجف بتغيير كثير من الكلمات وزيادة أبيات ونقص بعضها .

عليّ[1] عليه السلام قال له : إن أباك كان لي صديقاً ، وقال مسافر :

[من مجزوء الوافر]

غَشِيتُ الدارَ مُوحِشَةً | فلم تُؤنِسْ بها أَحَدا
عَفَتْ آياتُها إلاّ | أَوَارِيّاً ومُنتَضَدا
وأشعَثَ مائِلاً خَلِقاً | وسَفْعاً حَوْلَهُ رَكَدَا[2]
لهندٍ إنَّ ذكراها | يَهيجُ لقلبِكَ الكَمَدا
مَلكتِ فأَسْجحي[3] وَعِدي | وَمَنّينا غَداً فَغَدا
فإنّا مَعْشَرٌ أُنُفٌ | نُقيمُ الدَّرْءَ والصَّيَدا[4]
وَرِثْنا المجدَ عَن آبا | ئِنا فَسَمَوْا بنَا صُعُدا

وقال مسافر لأبي أحيحة[5] :

[من الطويل]

تَمتُّ إلى الأَقصى بفضلك كُلِّهِ | وَأَنْتَ على الأدنى صَرومٌ مُحَدِّدُ
فإنَّكَ لو أَصْلَحتَ مَنْ أَنْتَ مُفسدٌ | تَوَدَّدَكَ الأقصى الّذي يتَودَّدُ
أَخوكَ الّذي إنْ تَجْنِ يوماً عظيمةً | يبيتُ ساهراً وسائر الناس رقّد
وإنّ ابنَ عمِّ المرءِ يحمي ذِمارَهُ | ويمنَعُهُ حينَ الفَرائِصُ تُرعَدُ

---

(١) يقصد بالمبارزة التي كانت يوم الخندق مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم حيث قفز عمرو بفرسه فعبر الخندق وطلب المبارزة فخرج إليه علي عليه السلام فقال لعلي إن أباك كان صاحبي فتبارزا فقتله عليّ عليه السلام .

(٢) السفع : السواد المشرب حمرة وجاءت القصيدة في كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري بأكثر من هذه القصيد مع تغيير بعض الكلمات فبدلاً من سفعاً جاءت سبعاً . ص : ١٣٥ .

(٣) في المثل يقال : ملكتَ فَأَسْجِح أي : أحسن العفو وتكرّم .

(٤) الدرء : الميل والاعوجاج والصَّيد : الكِبْر .

(٥) أبو أحيحة : هو سعيد بن العاص بن أميّة الأكبر بن عبد شمس .

وقال عُمارة[1] بن عُقبة : [من المديد]

خُلِقَ البِيضُ الحِسانُ لَنَا ... وَجِيَادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كَابِراً كُنَّا أَحَقَّ بِهِ ... حينَ صِيغَ الشمسُ والقَمرُ

فقال مسافر : [من المديد]

أعمارُ بنُ الوليدِ[2] وقَدْ ... يَذْكُرُ الشَّعَّارَ مَنْ ذكرَهْ
هَلْ أَخو كأسٍ مُخْفِضُها ... وَمُوَقٍّ صَحْبَهُ شُكْرهْ
ومُحبوهُم إذا شَربوا ... ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ
خُلِقَ البيضُ الحسانُ لنا ... وَجِيادُ الرَّيْطِ والحُبرة[3]
كابراً كنّا أحقَّ بهِ ... على حيٍّ تابعٍ كِبَرَهْ

وقال مسافر يهجو سعيد بن العاص أبا أحيحة : [من الوافر]

فنحنُ البيضُ أشْبَهْنا قُصيّاً ... وأنتُم شِبْهُ أَستاهِ المَزادِ[4]

نسبه إلى السواد .

قال أبو اليقظان : مات مسافر بالحيرة ، وموته بهبالة أثبت .

وكان عقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أمية مطعاماً للطعام . قال الشاعر : [من الكامل]

مَنْ سَرَّهُ شَحْمٌ ولحمٌ راهِنٌ ... فَلْيَأْتِ جَفْنَةَ عُقْبَةَ بنِ أَبانِ[5]

---

(١) عُمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أمية الأكبر وعمارة هو أخو عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمّه .

(٢) لا أعلم لماذا قال ابن الوليد وعمارة بن عقبة والوليد بن عقبة أخو عمارة .

(٣) الريط : كل ثوب لين رقيق . الحَبِرَة : ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن .

(٤) المزادة : الراوية التي يحمل فيها الماء وتصنع من جلدين والجمع المزاد .

(٥) عقبة بن أبي مُعيط واسم أبي معيط أبان . نسب قريش للمصعب الزبيري ص : ١٣٥ .

وقال ضرار بن الخطاب[1] : [من الخفيف]

عَيــنُ بكّــي لِعُقبَــةَ بــنِ أبــانِ قَــرْمِ فِهــرٍ وفــارِسِ الفُــرســانِ

وكان عقبة من أشدّ الكفار على رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وأسر عُقبة يوم بدر فأمر عليّاً فقتله صبراً بعرق الظُبيةَ[2] ، وقد كتبنا خبره في أوّل كتابنا .

وكانت لأبي مُعيط ابنتان حَكيمة وصفيّة وأمهما سالمة بنت أميّة بن حارثة بن الأوقص[3] السُّلَمي .

فولد عُقبة بن مُعيط الوليدَ بن عقبة ، وخالد بن عقبة وهشام بن عقبة وعُمارة وأم كلثوم وأم حكيم ، أمهم أروى بنتُ كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأبان بن الوليد ويعلى بن الوليد وعثمان .

فأما أم كلثوم فكان رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم يخرجها معه في المغازي فتداوي الجرحى ويضرب لها سهماً ، وصافح رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم يدها بيده وبين يدها ويده ثوب ، وخطبها إلى عثمان على زيد[4] بن حارثة مولاه فتكرّه ذلك عثمان وأباها فأخبرها ، فقالت : لو أمرني رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أن أتزوّج زنجياً عظيم المشافر

---

(١) ضرار بن الخطاب هو الفارس الشاعر وهو الذي نبّه خالد بن الوليد يوم أحد إلى خلو الجبل من الرماة وهو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو (آكل السقب) بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر .

(٢) عرق الظُبية بالضم هو من الروحاء على ثلاثة أميال بين مكة والمدينة وقيل هو الروحاء ـ معجم البلدان ـ .

(٣) الأوقَص بن مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُليم .

(٤) زيد بن حارثة مولى رسول الله ، هو زيد بن حارثة بن شُراحيل بن عبد العزى بن أمرىء القيس بن عامر بن النّعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب .

محدّد الأسنان لفعلت ، فتزوّجها زيد فقتل عنها فتزوّجها عبد الرحمن بن عوف الزهري[1] فهلك عنها فتزوّجها الزبير بن العوّام[2] ثم طلّقها الزبير فتزوّجها عمرو بن العاص وكانت معه بمصر .

وحدثني مصعب بن عبد الله[3] ، قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة في الهدنة بين رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وقريش ، فأراد أن يردّها ، فقالت : أتردّني يا رسول الله إلى المشركين فيفتنوني عن ديني ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ ﴾[4] الآية فلم يدفعها وزوّجها زيد بن حارثة .

وولّى عثمان الوليد الكوفة فشُهد عليه بشرب الخمر فحُدَّ ، وقد كتبنا خبره ، وكان يكنى [٦٨/٦١٩] أبا وهب ، وكان النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم بعثه إلى بني المصطلق[5] مصدقاً فأتاه فقال : منعوني الصدقة كاذباً ، فأمر رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم فغزوهم فنزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[6] ، ووقع بين الوليد وبين علي بن أبي طالب كلام في أمر هذه الدعوة التي ادّعاها على بني المصطلق ، أو غير ذلك فقال : لأنا بالكتيبة أضربُ لهامة البطل المشيح منك ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾[7] .

---

(١) الزهري : نسبة إلى زُهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) .

(٢) العوام بن خويلد بن أسيد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن لؤي .

(٣) مصعب بن عبد الله بن مصعب بن الزبير بن العوام .

(٤) سورة الممتحنة رقم : ٦٠ الآية رقم : ١٠ .

(٥) بني المصطلق : والمصطلق هو جذيمة بن سعد بن عمرو (خزاعة) بن ربيعة بن عمرو مزيقياء .

(٦) سورة الحجرات رقم : ٤٩ الآية رقم : ٦ .

(٧) سورة السجدة رقم : ٣٢ الآية رقم : ١٨ .

وتوفي رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وهو والٍ على عملٍ كان ولاّه إيّاه ، ولما استخلف عمر بن الخطّاب ولاّه صدقة تغلب ، فقال وكان شاعراً : [من الطويل]

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مِنّي بِمِشْوَذٍ فويلَكِ منّي تَغلبُ ابنةُ وائِلِ[1]

فعزله وكان جوداً سخيّاً وفيه يقول أبو زُبيد الطائي[2] : [من الوافر]

بحمدِ اللهِ ثُمَّ فَتَى قُرَيشٍ أبي وَهَبٍ غَدَتْ غُلْباً غِرارا

وقال الحُطيئة[3] : [من الطويل]

أَبَى لِابنِ أَرْوى خَلَّتانِ اصْطَفاهُما/قِتالٌ إذا يَلْقَى العدوَّ ونائِلُهْ

فَتىً يَمْلأُ الشِّيزَى[4] ويُروَى بكفِّهِ/سِنانُ الرُّدَيْنيِّ الأَصَمِّ وَعَامِلُهْ

وغزا الوليد أيام ولايته الكوفة أذربيجان فصارت إليه جارية خزريّة ، فقالت له يوماً ورأت فرساً جواداً : احملني على هذا الفرس ، ففعل فركضت ومَضتْ فلم تُلحق ، وكانت حاملاً فجاء فتىً إلى وَلد الوليد فادّعى أنه ابن الوليد من الخزريّة ، وذكر أنه نشأ بالباب ، والأبواب من أرمينيّة فأنكروه ونفوه ، فكان يُسمى الدّعيّ واسمه الحارث ويقال عقبة ، وقال لعمرو بن الوليد المعروف بأبي قَطيفة : [من الكامل]

---

(١) المِشْوَذ : العمامة وذكر البيت وبدلاً من ويلك ، فغيّك ـ اللسان ـ .

(٢) أبو زبيد الطائي شاعر مشهور خاصة بصيفة الأسد وكان نديماً للوليد واسمه حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة بن النعمان بن حيّة بن سعنة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سَفْر بن هِني بن عمرو بن الغوث بن طيء .

(٣) الحطيئة شاعر هجّاء من بني عبس واسمه جَرْول بن أوس بن مالك بن جُويّة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطيعة بن عبس بن بغيض .

(٤) الشيزى : الجفان وذكر البيتين في الديوان . ص : ١٣٢ طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة .

يا عَمرُو يا بنَ أبي تَلافُوْا أمركمْ حتّى متى ترمي بيَ الرَّجَوانِ
يا ليتَ خطّي من تُراثِ أبيكمُ أَنْ تَعرِفوا لي نسبَتي وَمكاني

وقال الحارث الدّعي ليعلى بن الوليد بن عقبة : [من الوافر]

كأَنَّ على مفارِقِ رَأسِ يَحْيى[١] خَنافِسُ مُوّتتْ زَمَنَ البِطاحِ

وللوليد أشعار قد كتبناها في مواضع من هذا الكتاب .

ولما احتُضر قال وهو بالبليخ[٢] : اللهمّ إن كان أهل الكوفة صدقوا عليّ فلا تُلقِّ روحي روحاً ولا ريحانا ، وإن كانوا كذبوا عليّ فلا تُرضهم بأَمير ولا تُرضِ عنهم أميراً وانتقمْ لي منهم ، واجعل قولهم كفّارة لما لا يعلمون من ذنوبي . وزار الوليد معاوية بالشام ، فقال له : يا أبا وهب ألست أكثر قريش مالاً ؟ قال : بلى . قال فخرج وأنشأ يقول :

[من الطويل]

أَعِفُّ وأَسْتَغْني كما قد أمرتني فَأَعْطِ سِوائي ما بدا لكَ وابْخَلِ
سَأَصْرِفُ عنكَ الذّكرَ إنَّ سَجِيَّتي إذا رابَني ريبٌ كسلَّةِ مُنْصَلِ
وَإنّي امرُؤٌ في الدّارِ منّي تَطرُّبٌ وليسَ شَبا قفلٍ عليَّ بمُقْفَلِ

ثم أتى الرقة فمات بها ، وقال بعضهم : نزل الوليد الرقة فلم يأت صفّين .

وحدّثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : اعتزل الوليد علي بن أبي طالب ومعاوية وأقام بالرقة حتى مات بها أو بالبليخ .

---

(١) هكذا جاء في أصل المخطوطين يحيى وأظن أنه خطأ ويجب أن يكون يعلى .

(٢) البليخ : اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون كثيرة في أرض حران ثم يصب في الفرات تحت الرقة وهو الآن لا يجري إلا في الشتاء لأن الأتراك قطعوه وهو على يسار طريق الرقة إلى تل أبيض .

وقال أبو اليقظان : أعجبتُه البليخ فقال : منك المحشر فمات بالبليخ .

أولاد الوليد بن عقبة .

٢٤٤ـ وولد الوليد بن عقبة عمراً كان يكنى أبا قطيفة وكان شاعراً ، وقال مصعب : كُني أبو قطيفة هذه الكنية لأنه كان كثير شعر الرأس والوجه والجسد ، وسيّره ابن الزبير من المدينة مع بني أمية إلى الشام ، فقال : [من الخفيف]

لَيتَ شِعري وأَينَ منّيَ لَيْتُ ... أَعَلى العَهْدِ يَلْبَنٌ فَبَرامُ[1] ؟
أم كعَهْدي البقيعُ أَو غَيَّرتْهُ ... بَعْدِيَ المُعْصِراتُ والأيّامُ ؟
خَشْيةً أَنْ يُصيبَهُمْ حَدَثُ الدَّهْـ ... ـرِ وحَرْبٌ يشيبُ فيها الغُلامُ
وَبِقَومي بُدّلتُ كلباً وَلَخْماً ... وجذاماً وأين منّي جذامُ[2]

وقال أبو قطيفة : [من الطويل]

بكى أُحُدٌ أنْ فارَقَ اليومَ أَهلَهُ ... فكيفَ بذي وَجْدٍ من القومِ آلِفُ
لأَجْلِ أبي بكرٍ[3] جَلَتْ عَنْ بِلادِها ... أُميَّةُ والأعلامُ عُوجٌ عَوَاطِفُ

وذكره ابن القَلَمَّس[4] الكناني فعابه عند عبد الملك ، فقال :

[من الطويل]

---

(١) برام : جبل في بلاد بني سُليم عند الحرة من ناحية البقيع . يلبن : جبل قرب المدينة .
(٢) ذكر البيتين الأولين المصعب الزبيري في كتاب نسب قريش . ص : ١٤٦ وذكر القصيدة بأكثر من هذه الأبيات ياقوت في معجم البلدان في برم .
(٣) أبو بكر : هي كنية عبد الله بن الزبير .
(٤) القلمّس الكناني هو أبو ثمامة القلمّس واسمه جنادة بن أمية بن عوف بن قُلع بن حُذيفة بن عبد بن فُقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة .

أُنْبِئْتُ أنَّ ابـنَ القَلَمَّسِ عـابَنـي ومَنْ ذا مِنَ النَّاسِ البَريءُ المُسَلَّمُ
تَبيَّـن سَبيـلَ الـرُّشْـدِ سَيِّدَ قـومِـهِ فقد يُبصِرُ الرشد الرئيسُ المُعَمَّمُ
فَمَـنْ أَنتُـمُ إِمّـا نُسِبْنـا وأَنتُـمُ وقد جعلتْ أَشْياءُ تُنْسَىٰ وتُكتَمُ

فولد عمرو بن الوليد وهو أبو قطيفة ذا الشامة وهو محمد ، وأمه ابنة أسماء بن خارجة (الفزاري) وكان صاحب قرآن ومن قراءته : إن الباقر[1] تشابه علينا ، وكان به شامة ، وولاّه مسلمة بن عبد الملك الكوفة فرماه أهلها بالزندقة ، وقدم ذو الشامة على يوسف بن عمر فأمر له بألف دينار ، فردّها وقال : [من مجزوء الكامل]

قــد قلــتُ حيــنَ تَيمَّمــتْ وَبَــدا لَهــا قَصْــدُ السَّبيــلْ
قَبَّــحَ الإلــهُ قــرابــةً تُــرجـى بــآلِ أبــي عَقيــلْ
قــومٌ إذا مــا جئتَهــمْ بــالحـقِّ والنَّسَـبِ الأَصيــلْ
لــم يَـرْغَبـوا أو يـرهَبـوا يـومــاً رَجَعْـتَ بـلا فَتيـلْ
فــإذا أَردْتَ نَــوالَهُــمْ منهــمْ فَيَعْــدِلُ أَلْــفَ ميــلْ

وأما خالد بن عقبة فاستقضاه مروان بن الحكم على المدينة في أيام معاوية ، فوثب غلمان لسعيد بن عثمان عليه فقتلوا سعيداً فقال عبد الرحمن بن سيحان حليف بني أميّة : [من الطويل]

يلومونَني في الدارِ أَنْ غِبْتُ عنهمُ وقد فرَّ عنهمْ خالِدٌ وَهُوَ دارِعُ

وقال خالد : [من الطويل]

لَعَمري لقد أبصرتَهم فَتركتَهمْ بعينيكَ إذْ ممشاكَ في الدّارِ واسِعُ

---

(١) ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة البقرة رقم : ٢ الآية رقم : ٧٠ .

فولد خالد خالداً ولقبه أجيح ويُكنى أبا العباس ، وفيه يقول عبد الله بن الحجّاج الغطفاني : [من الوافر]

كـأنّـي إذا دَخَلْـتُ علـى أجيـح دَخَلْـتُ علـى مُقَـوْقِيَـةٍ تَبيـضُ
إِوزَّةُ غَيْطَـةٍ لقحـتْ كشـافـاً لِفَقْحَتِهـا إذا رَبَضَـتْ نقيـض
فَـإنْ يَعْـرِضْ أبـو العبـاسِ عَنّـي ويَرمي بي عروضاً عَنْ عروضِ
ويجعَـلُ مـالَـه نحـلاً لغَيْـري ويُبغِضُني فـإنّي مـن بَغيـضِ[1]
فـإنَّ بمصـرَ عبـدَ اللهِ يـأْسُـو وَيَجبرُ عَظْمَ ذي الكَسْرِ المَهيضِ

عبد الله هو ابن عبد الملك بن مروان ، (تولّى مصر بعد موت عبد العزيز بن مروان) .

ومن ولد خالد بن عقبة هشام وليَ الصائفة زمن الوليد بن عبد الملك ، وفي الجيش عمر بن عبد العزيز .

قالوا ولما خرج مروان بن الحكم من المدينة ، قال خالد بن عقبة :

[من الطويل]

فـوالله مـا أدري وَإنّـي لَسَـائـلٌ تَعاجَزْتَ يا مروانُ أم أنتَ عاجِزُ
فَـرَرْتَ ولمّـا تُغـنِ شيئاً وقـد تَـرى بأَنْ سَوْفَ ينثو[2] الفِعْلَ حادٍ وراجِزُ

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ، فقال : [من الطويل]

أخـالِـدُ أكثـرتَ المـلامَـةَ والأَذى لقومِكَ لما هزّ هزّتُك الهُزاهِزُ[3]

---

(١) عبد الله بن الحجاج شاعر فاتك كان مع ابن الزبير وهو : عبد الله بن الحجّاج بن مِحصن بن جُندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنْم جِحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان .

(٢) ينث الخبر : يغشيه ـ اللسان ـ.

(٣) هذا الشطر مكسور ويصح لو قلنا : لقومِكَ : إذْ هَزَّتْكَ تِلكَ الهُزاهِزُ .

أَخالِدُ إنَّ الحربَ عَوْصَاءُ مُرَّةٌ لها كفَلٌ نابٍ عن الكِفْلِ ناشِز
تُعَجِّزُ مولاكَ الّذي لَسْتَ مِثلَهُ وأنتَ بِتَعْجيز امرِئِ الصِّدقِ عاجِزُ
هُوَ المرءُ يومَ الدَّار لا أنتَ إِذْ دَعا إلى الموتِ يمشي حاسِراً مَنْ يُبارِزُ

وقال ابن الكلبي : نزل خالد الجزيرة فولده بها اليوم ، قال : وأبو قطيفة الذي يقول : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْري هَلْ تَغيَّر بعدَنا بقيعُ المصلّى أو كعهدي القَراينُ
أَمِ الدّورُ أكنافُ البلاطِ عَوامِرٌ كما كُنَّ أم هل بالمدينَةِ ساكِنُ
لَعَلَّ قُريشاً أَنْ تريع حُلومُها وَتُزْجَرَ بعد الشُّؤمِ طيرٌ أَيَامِنُ

وأما عمارة بن عقبة بن أبي معيط فإنه كان مقيماً بالكوفة وبها ولده ، وله يقول أخوه الوليد بن عقبة : [من الطويل]

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي يا بْنَ أُمِّيَ صادِقاً عمارَةُ لم يُطْلَبْ بِذَحْلٍ ولا وَتْرِ[١]

وقد كرنا هذا الشعر في موضع آخر .

ومن ولده أمّ أيوب وأم نافع ، أمهما ابنة هانيء بن قبيصة[٢] (الشيباني) .

فأما أم أيوب فكانت عند عبيد الله بن زياد ، وكانت أم نافع عند زياد بن أبي سفيان .

وقال ابن الكلبي : ولّى عبدُ الملك أبانَ بن الوليد بن عقبة حمصَ وقنّسرين ، وولّى عثمانَ بن الوليد بن عقبة أرمينيّة .

---

(١) الذحل والوتر : الثأر .
(٢) هانيء بن قَبِيصة بن هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو (المزدلف) بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان بن ثعلبة .

وقال ابن الكلبي : كان الذي ذهب برأس يزيد بن المهلب إلى الشام ، خالد بن خالد بن الوليد بن عقبة .

وقال ابن الكلبي : ولد هشام بن الوليد معاوية فولد معاوية هشام بن معاوية بن هشام بن الوليد ، وهو أبو يعيش ولي الصوائف في زمن الوليد بن عبد الملك .

قال ابن الكلبي : قدم عقفان بن قيس بن عاصم[1] ، أو متمّم بن نويرة[2] المدينة ، فنزل على أروى بنت كُريز فأكرمته ، فقال :

[من الطويل]

[و] خَلِّفْ على أروى سَلاماً فإنَّما جـزاءُ ثَـواءٍ أَنْ تَعِـفَّ وتحمَـدا

سلاماً أتى من وامِقٍ[3] غيرِ عاشِقٍ أَرادَ رحيـلاً مـا أَعـفَّ وأمجَـدا

وكان جُسّاس[4] [٦٨/٦٢٠] المُعيطي من ولد عُمارة ويكنى أبا الوليد واسمه عَمارة شيخاً ماجناً تملأ لحيته صدره وكان يخضب ، فمرّ ومعه صديق له بين منازل أبي مُعيط فقال له صديقه : ما أشدّ الحرّ يا أبا الوليد ! قال : أوما تعلم أنك بين منازل الصبية الذين أوجب لهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم النار[5] ، ورأى امرأةً قد ضربت الحدّ وقد حُملت

---

(١) قيس بن عاصم المنقري الذي قال له رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم عندما أسلم : « هذا سيد أهل الوبر » والذي أخذ عنه الأحنف بن قيس الحلم .

(٢) متمم بن نويرة الشاعر أخو مالك بن نويرة المرتد الذي قتله خالد بن الوليد في حروب الردّة .

(٣) الوماق : محبّة لغير ريبة والعشق محبّة لريبة .

(٤) جُسّاس : بالضم هكذا جاء في أصل المخطوط بينما في كتاب مختلف القبائل ومختلفها لابن حبيب طبع غوته ص : ٢١ كل شيء في العرب جَسّاس مشدّد مفتوح الجيم إلا في تيم الرباب جِساس مكسور الجيم مخفف .

(٥) عند أسر الوليد بن عقبة يوم بدر وضربت عنقه قال لرسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم : =

على حمار وهي تنادي على نفسها : من رآني فلا يزنِ ، فدنا منها ثم قال : أي زانية إنك إذاً لمطاعَةْ . ومرّ بخمرٍ قد صُبّت وطنبور كُسر ، فقال : اللهمَّ غيّر ما ترى .

وبات مع قوم من أهل الكوفة فلما ناموا ، قام إلى غلام له مليح ليفسق به فلم يخلّ بينه وبين ذلك ، وقال له : أما تستحي من الناس ! ثم صار إلى غلام له آخر فطاوعه على ما أراد ، فلما أصبح اشترى أثواباً فجعل يقطع لنفسه منها ثوباً ولغلامه الذي طاوعه ثوباً ، فقال له الغلام الذي التوى عليه : فأنا ما لي ؟ قال : أنت يا بني تتكلّم في النوم .

قال ابن الكلبي : وكان يقال للوليد بن عقبة الأشعر بركاً ، وكان كثير شعر الصدر والجسد ، والبركُ الصدر .

وقال ابن الكلبي : كان سعيد بن عبد العزيز خُذَينة على خراسان من قبل مسلمة ، وكان مقيماً بهُراة ، فيما ذكر بعضهم ، وكان عبد الملك بن بشر بن مروان من قبله على البصرة ، وكان ذو الشامة محمد بن عمرو أبي قطيفة بن الوليد بن عقبة من قبله على الكوفة ، فقال الفرزدق حين عُزل مسلمة : [من الكامل]

عُزِلَ ابنُ عمرٍو وابنُ بِشْرٍ قَبْلَهُ وَأَخو هَراةَ لمثلِها متوقَّع[1]

قال الحرمازي : قال هَراة ولم يقل خراسان لضرورة الشعر .

= من لصبية ؟ قال له : النار . سيرة ابن هشام ج : ١ ص : ٦٤٤ طبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .

(١) ذكر هذا البيت مع ثلاثة أبيات في ديوان الفرزدق . ج : ٢ ص : ٣٢ .

من بني سفيان بن أمية الأكبر

٢٤٢ـ ومن بني سفيان بن أمية الأكبر بن عبد شمس ، حكيم بن طليق بن سفيان بن أمية ، وكان في المؤلّفة قلوبهم ، أعطاه رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم يوم حنين مئة من الإبل ، وكان لسفيان ابن يقال له المهاجر فهلك ، وكان سفيان أحد من تعلم الخط العربي من بشير أخي أكيدر[١] السكوني في الجاهلية وعلّمه غيلان بن سلمة الثقفي ، وله ابنة تزوّجها المغيرة بن زياد بن سميّة ، ويقال زياد نفسه فدرج عقب سفيان .

وقال الكلبي : كان لسفيان من الولد لصلبه طليق والحارث وحمنة وهي أم سعد بن أبي وقّاص .

من بني أبي سفيان بن أمية الأكبر

٢٤٣ـ ومن بني أبي سفيان بن أمية (الأكبر) سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن أمية ، الذي ذهب بموت علي بن أبي طالب إلى الحجاز ولا عقب له .

عمرو بن أمية الأكبر

٢٤٤ـ وأما عمرو بن أمية (الأكبر) فولد يزيد ، وأمه أم قتال بنت عبد الله بن الحارث بن زهرة درج ولا عقب لعمرو بن أمية .

وأما أبو حرب بن أمية (الأكبر) فلا عقب له .

---

(١) أكيدر صاحب دومة الجندل هو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الحيّ بن أعيا بن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن أبامة بن سلمة بن شُكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور (كندة) .

ولد حبيب بن عبد شمس

٢٤٥ـ وأما حبيب بن عبد شمس ، فولد ربيعة وأمه فاطمة بنت الحارث بن شجنة (من فهم) ، وقال أبو اليقظان : أمه فاطمة بنت عِدّ بن أبي الحارث من عدوان ، وسَمُرة بن حبيب لأم ولد سوداء يقال لها زَبيبة وأخوه لأمه أبو جمعة جدّ كثيّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الشاعر ، وعمراً وأمه من بني سهم[١] .

فأما سَمُرة بن حبيب فولد عمراً ، وأمه ريطة بنت عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، وعبد الرحمن بن سَمُرة وأمه كنانيّة .

فأما عمرو بن سمرة فقطعه النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم في سرق ، وولده ينزلون البصرة ، منهم معاوية بن معاوية السَمُري ، وأمه من ولد زياد بن سُميّة ، وكان من وجوه قريش ذوي المروءة منهم ، وهلك بالبصرة وله عقب .

عبد الرحمن بن سمرة

٢٤٦ـ وأما عبد الرحمن بن سَمُرة فكان يُسمى عبد كلال فسمّاه رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم عبد الرحمن ، وقال له النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم : « يا عبد الرحمن لا تطلب الإمارة ، فإنك إن أُتيتها من غير مسألة أُعنت عليها ، وإن أتيتها عن مسألة وُكلتَ إلى نفسك فيها » . وكانت له صحبة للنبي صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وولاّه عبد الله بن عامر سجستان فافتتحها ، وكان متواضعاً فإذا كان اليوم المطير أخذ مسحاةً وكسح الطريق ، وافتتح كابُل ثم نزل البصرة وبنى بها

---

(١) سهم واسمه زيد بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (قريش) .

منزلاً على بناء كابل ، وقد حُدّث عنه ومات بالبصرة فحضر جنازته أبو بكرة فسمع قائلاً يقول : رويدكم بالجنازة فعلاه بسوطه وقال : لقد كنّا نهرول بها على عهد رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم هرولة .

فولد عبد الرحمن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة وكان أعور ، وكان من رجال قريش وكان مع عبد الملك بن مروان فلما خرج عبد الرحمن بن (محمد بن) الأشعث خرج معه ابناه ، فقال لعبد الملك : ائذن لي حتى أخرج فأردّ ابنيّ ، فأذن له فلحق بابن الأشعث فولاّه البصرة ، وقال فيه الشاعر : [من الرجز]

يـا أعـورَ العَيْـنِ فُـديـتَ العُـورا لا تحسَبَـنَّ الخنـدَقَ المحفُـورا
يدفَعْ عنكَ القَدَر المقدورا

ثم هرب فأتى خراسان ، فقال المثنى بن عبيد الله الأزدي :
[من الكامل]

وتثعلـبَ الـروّاضُ بعـدَ مـراحِـهِ وانْسَـلَّ بيـن غِـرارتيـنِ الأَعْـوَرُ

الروّاض عبد الرحمن بن العباس الهاشمي من بني الحارث بن عبد المطلب ، وكان يركب البغال فيروّضها ، ولما بلغ الحجاج أنه بخراسان تخوّف أن يؤمّنه عبد الملك ، فبعث إلى قتيبة بخرقة وقطنة وتراب وزبيبة ، فقال قتيبة : يأمرني أن أقتل ابن زبيبة وهذا كفنه ولباسه في تربته ، فأخذه فقتله وزبيبة أم سَمُرة ، وقتل الحجاج ابنه عتبة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة بواسط ، وهو صاحب درب ابن سَمُرة بالبصرة ، وكان ولد عبيد الله أبا بكر وهو عتبة وعثمان ، وكانا خرجا مع ابن الأشعث ، ولأبي بكر عقب بالبصرة .

وأما ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فولد كُرَيزاً ، وأمه خزاعيّة .

فولد كريز عامر بن كريز وآمنة وأروى وأم طلحة وهي أرنب ، أمهم البيضاء بنت عبد المطلب وهي أم حكيم ، والحارث لأم ولد سوداء وشهل ابن كريز وعُبيس بن كريز ، أمهما من عبد القيس ، ويقال أم ولد ، وفاختة أمها هند بنت جُدعان أخت عبد الله بن جُدعان .

فأما أروى فتزوّجها عفّان بن أبي العاص بن أمية فهي أم عثمان بن عفّان ، ثم خلف عليها عقبة بن أبي مُعَيط ، وأما أم طلحة وهي أرنب فتزوّجها عامر بن الحضرمي ، وأما آمنة فتزوّجها الحكم بن كَيْسان حليف بني المغيرة ثم عبد الله بن أبي سعيد أو سعيد حليف بني أمية بن المغيرة ، وأما فاختة فتزوجها أبو العاص ابن نوفل بن عبد شمس .

وأما عامر بن كُريز فكان مضعوفاً وأُتي به عبد المطلب فمسّه فقال : وأَعظُمِ هاشم ما وُلد في بني عبد مناف مولود أحمق منه ، وفيه تقول أم حكيم : [من الوافر]

إِذَا ذُكِّـرْتُ أَمـرَكَ عـامَ عِنـدِي ... أبيــتُ بليلــةٍ وُصِلَــتْ بشَهْــرِ
فلــم تُشبــهْ أبــاكَ ولا أَبــانــا ... ولكـنْ أنـتَ هَـذْرٌ غيـرُ صفـرِ
فلــم آتيــهِ ســائِلــةً لِشَــيْءٍ ... ولا أَدعــو لَــهُ أبــداً بِغُفْــرِ

عبد الله بن عامر :

٢٤٧ـ فولد عامر عبد الله وأم رافع ، أمهما دجاجة بنت أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن سماك السلمي ، وأمها أميمة بنت الأخنس سُلميّة ، وأبا الصهباء وأمه روميّة .

فأما أم رافع فتزوّجها عبد الله بن الأسود بن عوف الزهريّ ، وأما أبو الصهباء فكانت عنده أم حبيب بنت زياد فولدت له وله عقب بالبصرة .

وأما عبد الله بن عامر بن كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فإن أباه أتى به النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم فحنّكه[1] وقال : « هذا أشبه بنا منكم فتثاءب فقال فتفل في فيه فازدرد ريقه ، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم : « إني لأرجو أن يكون مَسْقِيّاً » . وكان يُكنى أبا عبد الرحمن ، استعمله عثمان بن عفّان على البصرة وأعمالها وافتتح اصطَخر وجُورَ وكوراً من فارس وتركستان وسجستان وكابل ، واتخذ النّباج[2] في طريق مكّة وغرس بها نخلاً وحفر آباراً وعمّر منازل واتخذ حياضاً واتخذ بعرفات حياضاً وسقايات [٦٨/٦٢١] . واتخذ بالبصرة بالنحيب قصراً يعرف بقصر ابن عامر ، وحفر بالبصرة نهرين أحدهما في السوق والآخر الذي يعرف بأم عبد الله وغرس عليهما غراساً كثيراً ، وأمر ابن عامر زياداً وقد استخلفه على البصرة أن يحفر نهر الأبلّة فحفره .

وكان ابن عامر مسقيّاً لو مس صخرة لأماهها أي خرج منها الماء ، وقال ابن عامر : لو كنت تُركت لخرجت المرأة في حِدْجها[3] على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى ترد مكّة .

وكان ابن عامر أجود العرب وأسخاهم وأكرمهم ، أعطى في ولايته البصرة أربعة وثمانين ألف ألف درهم أجاز بها ، وسأل الوليد بن عقبة مروان وهو على المدينة فأعطاه عشرة آلاف درهم فلم

---

(١) التّحْنيك : أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه وفي الحديث : كان النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم يحنّك أولاد الأنصار .

(٢) النباج قرية بالبادية أحياها عبد الله بن عامر وهي على طريق البصرة بحذاء فَيْد ـ اللسان ـ .

(٣) الحدج : الحمل ومركب من مراكب النساء كالهودج أو المحفة .

يقبلها ، ومرّ بالمغيرة بن شعبة فأعطاه عشرين ألفاً على يد ابنه عروة ، وأتى ابن عامر فشكا إليه دينه فقضاه عنه ، وكان دينه مئة ألف ووهب له مئة ألفٍ أخرى ، فقال : [من الطويل]

ألا جَعَـلَ اللهُ المُغيـرةَ وابنَـهُ وَمَرْوَانَ نَعْلَي بَذْلَةٍ لابنِ عامِرِ
لكي يَقِيَاهُ الحرَّ والقرَّ والأذى ولدغَ الأفاعي واحْتِدامَ الهَواجِرِ
يَغيـضُ الفُـراتُ للَّـذيـنِ يَلَـوْنَـهُ وَسَيْبُكَ يأتي كُلَّ بادٍ وحاضِرِ

وكان يقال : أفلح سائل ابن عامر ، وقال الراجز لابنه عبد الأعلى : [من الرجز]

يا بْنَ الّذي أفلَحَ عَفْواً سَايِلُهْ وأنجَحـتْ لمّـا أَتـى وَسَـايِلُـهْ

المدائني عن مسلمة عن الجارود بن أبي سبرة ، قال : أحرم عبد الله بن عامر من نيسابور شكراً لله ، فأحدث السقايات بعرفات وعمّر النباج ، قال فالنباج يعرف بنباج ابن عامر ، وقال أبو السنابل بن عبد الله : [من الوافر]

أَنَـا ابـن مُصَـدِّر الحُجّـاجِ ريّـاً بمـــائِهِـــمُ وَأَلبــانِ اللِّقَــاحِ
وكـان إذا أصـابَ النـاسُ جهـداً يُباري الرّيحَ من فَضْلِ السَّمَاحِ

فلما قتل عثمان أتى مكّة فقدم مع طلحة والزبير وحضر يوم الجمل فقُتل ابنه عبد الرحمن ، ثم لحق بدمشق فقال الشاعر : [من الطويل]

أَتَاني مِنَ الأَنباءِ أَنّ ابْنَ عامرٍ أناخَ وأَلقى في دِمشقَ الرَّواسِيَا

فلما ولي معاوية الخلافة ولّى عبد الله بن عامر البصرة وأعمالها ، وكان عقده له عليها بالنخيلة بالكوفة وزوّج معاويةُ ابنَ عامر هنداً بنت معاوية ، وكانت ولايته لمعاوية خمس سنين ، ثم عزله معاويةُ واستعمل الحارث بن عبد الله الأزدي ، ثم استعمل زياداً فتحامل على

ابن عامر ، ثم ولّى عبيد الله بن زياد فأضرّ به في مواليه وأمواله ودوره وأنهاره، ثم أتى مكّة فمات بها ودُفن بعرفات، وأوصى إلى ابن الزبير .

وقال الواقدي : لما فتح رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم مكّة ، أتى بعبد الله بن عامر وهو ابن خمسٍ أو ستٍّ ، فقال : « إنّ شبهنا لفيه » . وتفل في فمه وقال : « لو أنه قدح حجراً أَماهَهُ »[1] .

قالوا قدم الأحنف البصرة من خراسان على فرسه الذي أبدأ عليه وبغله الذي عليه ثقله ، إلاّ أن معه شيئاً سوى ذلك أتى به ابن عامر ، فقال : هذا شيء ذُكر لي أنه هديّة النوروز ، فقال عبد الله بن عامر : هو لك ، قال : لا حاجة لي فيه ، قال : فلابنك ، قال : ما كنتُ أرضى له إلاّ بما أرضى به لنفسي . قال الحسن : فضمّ ذلك إليه رجلٌ مُضمّ .

قالوا وأراد معاوية أن يصطفي أموال ابن عامر ، فقال ابن عامر : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم : « المقتول دون ماله شهيدٌ » . والله لأقاتلنّه حتى أقتل دون مالي ، فأعرض عنه معاوية .

وقال ابن[2] الأسود في ابن عامرٍ وعِيبَ عليه : [من الطويل]

ألم تَرَ ما بَيْني وبينَ ابنِ عامِرٍ ... مِن الوُدِّ قد بالتْ عليهِ الثَّعالِبُ
فأصبَحَ باقي الوُدِّ بيني وبينَهُ ... كما لَمْ يكنْ والدَّهْرُ جَمُّ العَجائبُ
فما أنا بالباكي عليهِ صَبَابةً ... ولا بالّذي تأتيهِ عَنّي المَثالِبُ
إذا المرءُ لم يُحبِبْكَ إلا تكرُّهاً ... بَدَا لك من أخلاقِهِ ما تُجانِبُ

وقال المدائني : كانت هند بنت معاوية أبرّ الناس بابن عامر ،

---

(١) أَمَاه الحجر : أخرج منه المياه .

(٢) هكذا في المخطوطين وصحتها أبو لأنه سيذكره بعد أبو الأسود .

فجاءته يوماً بالمرآة والمشط وكان تولّي خدمته نفسها ، فنظر في المرآة فالتقى وجهه ووجهها في المرآة ، فرأى شبابها وجمالها ورأى الشيب في لحيته قد ألحقه بالشيوخ ، فرفع رأسه إليها ، وقال : الحقي بأهلك وأبيك ، فانطلقت حتى دخلت على أبيها فأخبرته . فقال : وهل يطلّق الحرّةَ حُرٌّ ! فأرسل إليه : أكرمتك بابنتي فرددتها عليّ ، فقال : إنّ الله مَنّ عليّ بفضله وجعلني كريماً لا أحبّ أن يتفضّل أحدٌ عليّ ، وإن ابنتك من أكرم صاحبة وقد أعجزتني مكانتها لحسن صحبتها ، ونظرت فإذا أنا شيخ وهي شابّة لا أزيدها مالاً إلى مالها ولا شرفاً إلى شرفها ، فرددتها عليك لتزوّجها .

وكان رجلاً سخيّاً كريماً ، وقال النابغة الجعدي : [من الطويل]

فيا لَيْتَ مَنْ يَأْتي ابنَ هِندٍ بحاجَتي ومروانَ والأبناءُ تُهدَى وتجلبُ
يُخبِّرُ عنّي ما أقولُ ابنَ عامرٍ فَنِعم الفَتى يَأوي إليهِ المُصَعَّبُ
كـريـمٌ ينـالُ الصـالحيـنَ نَـوالُـهُ وَيُروَىٰ بكفّيهِ السنان المُجَرَّبُ

وقال أبو الأسود :

يـا خليلـي مـا الـذي غيّـر لـي وُدُّه والنصـــح حتّـــى وَدَّعَـــهْ
لا تهنّـــي بعـــد أن أكـــرمتنـــي فشـــديـــدٌ عـــادةٌ منتـــزعَـــهْ

وقال ابن عامر لعبد الله بن عمر : اتخذتُ مصنعة كذا ، وحفرت بئر كذا ، وسقيتُ الناس الماء بمكان كذا ، فقال له ابن عمر : إذا طابت المكسبة زكت النفقة وسترد فتعلم .

وقال ابن الأعرابي : حدثني سعيد بن سلم عن أبيه ، قال : تخاصم رجلان من قريش إلى مروان بن الحكم بالمدينة في مالٍ ، فقال لبعض حرسه : انطلق بهما إلى عبد الله بن عامر وقل له : انظر في أمر ابني عمّيك ، فقال : ما قيمة ما تتنازعان فيه ؟ قالا : عشرة

آلاف دينار ، قال : أتعجز مروان أن يغرم عشرة آلاف دينار في إصلاح بينكما ! فغرمها فقال مروان : أردنا أن نفضحه ففضحنا .

فولد عبد الله بن عامر عبد الرحمن الأكبر ، وعبد الله الأعمى ، وعبد الملك أمهم كُبَيشة بنت الحارث بن كريز ، وعبد الحليم وعبد الواحد الأكبر وأمهم أم حبيب بنت سفيان كنانيّة ، وعبد الحميد الأصغر وعبد القدير أمهما من بني المطلب بن عبد مناف ، وعبد العزيز وعبد المجيد لأم ولد ، وأبا النضر واسمه عبد الرحمن لأم ولد ، وعبد الجبّار لأم ولد ، وعبد ربّه وأم كلثوم وأمهما أمة الله من بني عديّ بن كعب ، وكانت أم كلثوم عند يزيد بن معاوية ، وفيها يقول : [من البسيط]

إذا ظَلَلْتَ على الأَنْماطِ مُتَّكِياً بـديـرِ مُـرَّانَ عنـدي أُمُّ كُلْثُـومِ

وأم رافع وزينب ، وكان أبان بن عثمان تزوّجها ، وأمهما ثقفيّة ، وأمة الحميد وأمها هند بنت سهيل بن عمرو ، وأم عبد الملك أمها هند بنت أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس ، تزوّجها عبد الرحمن بن عتّاب بن أَسِيد بن أبي العاص بن أمية ، وعبد الكريم وعبد الرحمن أبا السنابل لأم ولد ، وعبد السلام أمه من بني عبد الدار .

فأما عبد الرحمن بن عبد الله فقتل يوم الجمل ولا عقب له ، وأما عبد الله الأعمى فولد عبد الرحمن وعبد الأعلى وأمة الرحمن لأم ولد ، وعبد القدير وعبد الحميد وعبد الواحد وعبد الجبّار وحميدة ، وأمهم خزاعيّة ، وعبد العزيز أمه ابنة الحارث بن نوفل وأمها هند بنت أبي سفيان بن حرب ، وعبد الملك وأم عبد الله أمهما من بني عُقَيل ، وعبدالغفّار وأم عبد الملك أمهما من ولد قدامة بن مظعون ، وعبد الله وعبد القدوس أمهما كلبيّة .

وأما حميدة فكانت عند محمد بن يوسف أخي الحجاج ، وأما عبد الرحمن فكان ينزل المدينة وعقبه بها ، وأما عبد العزيز فكان راويةً للشعر وكان يُرمى بالكذب على أنّه كان له قَدْر ، وأما عبد الأعلى بن عبد الله (الأعمى) بن عبد الله بن عامر فكان يُكنى [٦٢٢/٦٨] أبا عبد الرحمن ، وكان من أفصح الناس وأسخاهم ، وكان شجاعاً وشهد يوم الزاوية مع الحجاج ، ويوم رستقاباذ ، وقال فيه رؤبة بن العجّاج : [من الرجز]

لأَهــدِيَــنّ مِــدْحَــةً لا تَبلــى ... إلى ابنِ عبدِ اللهِ عَبْدِ الأعلى

قد سَرْبلَ المجدَ فَتيً وكَهْلا

ومات بالبصرة وكان سخياً وعقبه بالبصرة كثيرة .

وقال بلال بن أبي بُردة لرجلٍ : لتأتينّ صديقك اليوم ، يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله ، قال : نعم نأتيه وهو متصبّح ثم ينتبه فيقعد ، فإن حدثناه أحسن الاستماع وإن سكتنا ساقطنا أحسن الحديث ، ثم يأتي طباخه فيخبر بما عنده مما أعدّ له ثم يقدّمه ويؤتى من عند نسائه بألطاف فنأكل ونمعن ثم يأكل معنا .

قال : وقال الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب : لكرم عبد الأعلى وسخاؤه أنصع وأفضل من كرم عبد الله بن عامر ، وسعيد بن العاص وسخائهما ، لأن ذينك كانا يعتمدان في إنفاقهما على بيت المال ، وهذا يعتمد على صلب ماله .

وولّى الرشيد أمير المؤمنين عمر بن عبد الرحمن بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله البصرة وكور ودجلة .

وأما عبد الملك بن عبد الله بن عامر فكان يقال له قَفِيز ، وولي بعض

فارس للقباع وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أيام ابن الزبير .

وقال ابن الكلبي : ولي البصرة أيام ابن الزبير وولده بالبصرة .

فولد عبد الملك عبد الكبير وأم عبد الغفّار وأمهما حنفيّة ، وكان البراء بن قبيصة الثقفي خطبها فقال : [من الخفيف]

أُمَّ عبدِ الغفارِ هاتي نَوالا وَصِلي حَبْلَ عاشِقٍ أَرْسالا

فتزوجها عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر ، وولد عبد الملك بالبصرة .

وولد عبد الكريم بن عبد الله بن عامرٍ عبد الحميد ، فولد عبد الحميد عُبيد الله بن عبد الحميد بن عبد الكريم بن عبد الله بن عامر ، ولقب عُبيد الله تَرْفل قتله أبو مسلم وقتل أخاه عبد العزيز بن عبد الحميد بن عبد الكريم ، ولترفل يقول ثابت قطنة : [من الطويل]

أيذهَبُ هذا الدّهْرُ ولم نَسَقِ تَرفلا
وأشْيَاخَهُ الكأسَ الّتي صَبَّحوا جَهْما[1]

وقد ذكرنا خبر ترفل الذي قيل هذا الشعر فيه مع خبر خُدينة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص .

وعبد الحميد بن عبد الكريم بن عبد الله بن عامر هو الذي قتل ابن ناشرة الحنظلي بسجستان ، ويقال بل قتله ابنه عبد العزيز بن عبد الحميد .

قال المدائني عن أبي اليقظان : قتل ابنَ ناشرة عبدُ العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُريز ، وكان سبب ذلك ، أنّ طلحة الطلحات

---

(١) ذكر هذا البيت في الجمهرة ج : ١ ص : ٥٠ من تحقيقي .

الخُزاعي[1] لما احتُضر استخلف رجلاً من بني يشكر على سجستان فأخرجته المضرية[2] وغلب كل امرىءٍ منهم على ناحية ، فكانوا كذلك حتى قدم هذا الكريزيّ فاتّفقت عليه مُضر وصالحوه فدخل مدينة زرّنج وقاتل رتبيل ، وعاد المضريون إلى أماكنهم التي كانوا يأكلونها ، وأرسل عبد الله بن ناشرة : أن خُذْ ما في بيت المال وانصرف ، وكان ابن ناشرة على زرّنج ، وبلغ ذلك وكيع بن أبي سود التميمي[3] فلحقه فردّه وأخرج ابن ناشرة إلى مكانه ودلف إليه عبد الحميد أو عبد العزيز ابنه ومعه وكيع فتحاربا وعثر بابن ناشرة فرسه فاندقّتْ رجله وهُزم أصحابه وقتل ، فقال أبو حزابة أو حنظلة بن عرادة : [من الطويل]

لَعَمري لقد هَدَّتْ قُريشٌ عروشَنا ... بـأبيَـضَ نفّـاحِ العَشِيَّـاتِ أَزْهَـرا
فلا صُلْحَ حتّى تَخْبِطَ الخيلُ بالقَنَا ... بِنا وبِكم أو نُصدِرَ الأَمْرَ مَصْدَرا
ألا لا فَتىً بعد ابنِ ناشِرَةِ الفَتَى ... ولا شَـيءَ إلا قـد تَـوَلَّـى وأَدْبَـرا
فتـىً حنظَلِـيٌّ مـا تـزالُ يمينُـهُ ... تجـودُ بمعـروفٍ وتُنكِـرُ مُنكَـرا
[فـ] أكانَ حَصاداً للمنايا اذرعنه ... فهلّا تركْنَ النَّبتَ ما كانَ أَخْضَرا

في أبيات .

ولم يزل هذا الكُريزيّ على سجستان حتى قتل مصعب فولّى عبد

---

(١) طلحة الطلحات هو طلحة بن عبد الله بن خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مُليح بن عمرو (خزاعة) بن ربيعة (لحيّ) بن حارثة بن عمرو مزيقياء .

(٢) وذلك لأن بني يشكر من ربيعة وهو يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٣) وكيع بن حسّان بن قيس بن أبي سود بن كلب بن عوف بن مالك بن غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . في الجمهرة . ج : ١ ص : ٣١٩ وذكر البيت الأول في الجمهرة . ج : ١ ص : ٤٩ .

الملك مكانه رجلاً .

وقال الكلبي : هذا الكُريزي عبد الحميد .

وقال المدائني : هو عبد العزيز ابنه أخو تَرفل .

وقال ابن الكلبي : اسم تَرفل عُبيد الله ، وقال غيره : اسمه عبد الحميد وقول الكلبي أثبت .

وأما أبو السنابل وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر ، فولد عبد المجيد ، أمّه أم سلمة من ولد أسد بن عبد العُزّى ، وعبد الله لأم ولد ، وأمة الواحد لأم ولد ، ولأبي السنابل عقب وحضر أبو السنابل وكان شاعراً سيل الجحاف[١] .

وأما عبد الجبَّار بن عبد الله بن عامرٍ فولد أولاداً ، وكذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن عامرٍ ، وكذلك عبد الحميد بن عبد الله بن عامرٍ .

وأما الحارث بن كُريز وأمه سوداء ، فولد عبد الله وعثمان ، أمهما من بني سامة بن لؤي ، وكبشة أمها عبدريّه[٢] فتزوّج كبشة مسيلمة الكذاب[٣] ، ثم تزوجها عبد الله بن عامر .

وأما عُبَيْس بن كُريز فولد مسلم بن عُبيس وكان له قدر بالبصرة ، فقتله الخوارج من الأزارقة وقد كتبنا خبره .

---

(١) سيل جُحاف : جارف يذهب بكل شيء .

(٢) أي من بني عبد الدار بن قصيّ .

(٣) مسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوة بعد وفاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وقتله خالد بن الوليد في حروب الردّة وهو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . =

محاورة بين معاوية وابن عامر وذكر الأمهات :

٢٤٨ـ وحدثني عباس بن هشام بن الكلبي عن أبيه وذكره المدائني ، قائلاً : كان يقع بين ابن عامر وبين مروان الكلام ، فيظفر به ابن عامر ، فقال معاوية لعبد الله بن عامر : إنه يكون بينك وبين مروان الشيء فتظفر به ، فقال : إنه يجدني عضّاً شديد الخصومة ، فقال : لو لقيت رجلاً عرّفك نفسك ، فقال ابن عامر : فكن أنت ذلك الرجل يا أمير المؤمنين ، قال : أنا ابن هند بنت عتبة ، قال : وأنا ابن أم حكيم بنت عبد المطلب ، قال : ارتفعت جدّاً ، قال : وانخفضت يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : اذكر دجاجة بنت الصلت ، قال : وأنت فاذكر حمامة ، وحمامة امرأة من بني غفار نالت معاوية ولادتها ، وكان يقال فيها [قولٌ سيء] .

قالوا وضعف أمر ابن عامر ، فكتب إليه معاوية في القدوم عليه ، وذلك في سنة أربع وأربعين ، فاستخلف على البصرة قيس بن الهيثم وقدم فردّه على عمله ، فلما ودّعه قال له معاوية : إني سائلك ثلاثاً ، قال : هي لك وأنا ابن أم حكيم ، قال معاوية : تردّ عليّ عملي ولا تغضب ، قال : قد فعلت ، قال : وتهب لي مالك بعرفة ، قال : قد فعلتُ . قال : وتهب لي دارك بمكة ، قال : قد فعلت ، قال : وصلتك رحم ، فقال ابن عامر : يا أمير المؤمنين إني سائلك ثلاثاً ، قال : هي لك وأنا ابن هند ، قال : تردّ علي مالي بعرفة ، قال : قد فعلت ، قال : ولا تحاسب لي عاملاً ، قال : قد فعلت ، قال : وأنكحني هنداً ابنتك ، قال : قد فعلت .

ويقال إن معاوية قال له : اختر بين أن أردّك إلى عملك وأحاسبك وأتتبّع عليك ، وبين أن أسوّغك ما أصبت وأعزلك ، فاختار أن يسوّغه ذلك .

المدائني عن مسلمة وغيره ، قالوا : كان ابن عامر ليّن الولاية لا يقطع في ولايته ولا يعاقب ، وكان أبوه أحمق[1] ، وشكا ابن عامر إلى زياد فساد الناس ، فقال : جرّد فيهم سيفك ، فقال : أأصلحهم بفساد نفسي .

بنو ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف

٢٤٩ـ ولد ربيعة بن عبد شمس عتبة وشيبة وريطة وعاتكة ، أمهم خناس من بني عامر بن لؤي وأبا عتبة وصفية وعاتكة الصغرى وهالة ، وأمهم من بني زُهرة يقال له ضيزنة .

فأما هالة فكانت عند الأفقم بن أبي عمرو النصري .

وأما عتبة فكان سيد قريش في زمانه وكان من المطعمين يوم بدر ، رُوي عن عبد الله بن عمر أنه قال : كان عتبة سيد قريش في الجاهلية ، وقيل ما ساد قريشاً مُملقٌ غير عتبة وأبي طالب ، وقتل عتبةَ عُبيدةُ بن الحارث يوم بدر ، ويقال إنه شرك في قتله علي بن أبي طالب ، ويقال قتله حمزة وقد كتبنا خبره فيما تقدّم .

فولد عتبة الوليد قتل يوم بدر ، وأبا هاشم بن عتبة وكان صالحاً فقيهاً ومات بالشام ، وهاشماً ، وآمنة ، وأبا الحكم ، والمغيرة ، وعبد شمس ، وهنداً ، وفاطمة ، وعاتكة ، وفاختة ، وأمهم من ولد الأوقص السلمي ، وأبا حذيفة بن عتبة ، وحفص بن عتبة ، وأمهما أم حفصٍ

---

(١) كان عامر بن كريز أبو عبد الله بن عامر من حمقى قريش ، فنظر إلى ابنه عبد الله وهو يخطب فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : إنه والله خرج من هذا وأشار إلى ذكره . عيون الأخبار : ج : ٢ ص : ٤١ . ٢٥٧ ط : دار الكتب المصرية .

ويقال أم صفوان بنت صفوان ، كنانيّة ، ونعمان ، وربيعة ، أمهما برّة دوسيّة ، والفارعة . وقد كتبنا خبر هندٍ [٦٨/٦٢٣] بنت عتبة ومن تزوّجها ، وهي أم معاوية .

وتزوّج أم أبان بنت عتبة يزيد بن أبي سفيان فهلك عنها ، فخطبها عمر بن الخطاب ، فقالت : لا أتزوجه لأنه يدخل عابساً ويخرج عابساً يُغلق أبوابه ويقلّ خيره ، ثم خطبها الزبير بن العوام ، فقالت : يدٌ له على قروني ويدٌ له على السوط ، ثم خطبها علي بن أبي طالب ، فقالت : ليس للمرأة منه حظّ إلاّ أن يقعد بين شعبها الأربع ، ثم خطبها طلحة بن عُبيد الله فتزوّجها . فدخل عليها علي ، فقيل رددت هذا وتزوّجت ابن بنت الحضرمي ، فقالت : القضاء والقدر ، فقال لها : قد تزوّجت أجملنا أمراً وأجودنا كفّاً وأكثرنا خيراً على أهله .

وأما عاتكة فتزوجها أبو أمية بن المغيرة المخزومي ، وأما فاطمة فتزوجها القاسم بن حبيب الثقفي ، وأما الفارعة فكانت عند جندب بن عمرو بن حممة الدوسي ، وأما صفية فكانت عند شماس بن الشريد المخزومي . وكان عتبة نديماً لمطعم بن عدي .

أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة

٢٥٠ـ وأما أبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة فأسلم ، واسمه هُشيم ، ويقال مهشم ، أم أبي حذيفة أم صفوان وهي فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرّث الكناني ، وبعضهم يقول أم حفص والأول أثبت .

حدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد ، قالا ثنا محمد بن عمر الواقدي عن محمد بن صالح عن يزيد بن رومان ، قال : أسلم أبو حذيفة بن عتبة قبل دخول رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم دار الأرقم .

وقال الواقدي : نزل أبو حذيفة وسالم مولى أبي حذيفة بالمدينة على عبّاد بن بشر وآخى رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم بين أبي حذيفة وعباد ، وقتلا جميعاً باليمامة[1] .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، قال : شهد أبو حذيفة بدراً فدعا أباه عتبة بن ربيعة إلى البراز فقالت هند أخته :

الأحول الأثعل الملعون طائره أبو حذيفة شرّ الناس في العين أما شكرت أباً ربّاك في صغر حتى شببت شباباً غير محجون .

وكان عتبة قد حُمل على الخروج مع قريش ، فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم : « إن يكن عند أحدٍ منهم خير فعند صاحب الجمل الأحمر » .

فذكر غير الواقدي أن عتبة دعا للبزار فتعرّض أبو حذيفة للنبي صلّىٰ الله عليه وسلّم ليأمره بمبارزته فأعرض عنه ، فلما قتل بكى أبو حذيفة ، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم : « ألم أركَ تعرّضت لمبارزته ، فما بالك تبكي » . أو كما قال ، فقال : لو أمرتني لفعلت فعلاً يَعجب الناس منه ، ولكن سمعتك تقول ما قلت فيه ، وكان رجلاً عاقلاً ، فلما قتل جزعتُ له من النار ، وكان له قول في أمر العباس قد ذكرناه في خبر العباس .

قال وكان أبو حذيفة رجلاً طوالاً حسن الوجه مترادف الأسنان وهو الثعل ، وكان أحول شهد بدراً وأحداً والخندق ، والمشاهد كلّها وقتل يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة ، وكان أبو حذيفة من مهاجرة الحبشة في المرتين جميعاً ، ومعه امرأته سهلة بنت

---

(١) أي في حرب مسيلمة الكذاب في الردّة .

سهيل بن عمرو ن بني عامر بن لؤي . فولد له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة ، وأمه سهلة ، وعاصم بن أبي حذيفة وأمه بنت عمر بن حرب بن أمية ولا عقب له ولا لمحمد أيضاً ، فلما قُتل أبو حذيفة . كفله عثمان بن عفّان وأحسن إليه ومانه وأنفق عليه ، فلما خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح[1] إلى مصر فغزوا في البحر سنة أربع وثلاثين[2] ، فصلى عبد الله بن سعد فكبّر محمد بن أبي حذيفة خلفه تكبيراً أفزعه فنهاه ، وقال : لولا أنك حدث أحمق لقاربت بين خطاك ، وكان يعيبه ويعيب عثمان بتوليته إياه ، ويقول : ولّىٰ عثمان رجلاً أباح رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم دمه يوم الفتح ، ونزل القرآن بكفره ، ثم أظهر الطعن على عثمان ، وذمّ سيرته فكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان : أن محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة قد أنغلا عليك المغرب وأفسداه ، فقال عثمان : اللهم إنّي ربّيته رحمة له وصلة لقرابته ، وكتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح :

أما محمد بن أبي بكر فإني أدعه لأبي بكرٍ وعائشة ، وأما محمد بن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي وأنا ربّيته وهو فرخ قريش . فكتب عبد الله بن سعد : إن هذا فرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن يطير .

فبعث عثمان إلى محمد بن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم ، وبجمل عليه كسوة ، فأمر بذلك فوضع في المسجد ثم قال : يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه ، فازداد الناس طعناً

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي السرح أسلم ثم ارتدّ وكان كاتب وحي فأباح رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم دمه يوم فتح مكة ثم أمّنه بواسطة عثمان بن عفان .

(٢) في أصل المخطوطتين وثمانين وهو خطأ ظاهر فكيف يكون محمد بن أبي حذيفة حدثاً في هذه السنة وقد ولد في الحبشة وفي الطبري ثلاثين .

على عثمان واجتمعوا على ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم ، وكتب إليه عثمان يذكره برّه به ويقول :

لقد كنت أنكث المخّ على المائدة فأوثرك به فقد عاد ذلك بالمكروه عليّ وأحوج ما كنت إلى شكرك ، فلم يزل ابن أبي حذيفة يحرّض أهل مصر على عثمان حتى سرّبهم إلى المدينة ، فاجتمعوا مع أهل الأمصار إليه .

فلما حوصر عثمان وثب هو على عبد الله بن سعد بن أبي سرح فطرده عن مصر وصلّى بالناس ، فلما قتل عثمان وبويع لعلي بن أبي طالب ولّى قيس بن سعد بن عبادة مصر ، فقال ابن أبي سرح : أبعد الله ابن أبي حذيفة بغى على ابن عمّه وسعى عليه ، فجهّز الرجال عليه ووثب بعماله ، ثم وُلي عليه من هو أبعد رحماً فلم يمتّعه بسلطان بلده حولاً ولا شهراً ولم يره لذلك أهلاً ، وخرج ابن أبي سرح حتى صار إلى معاوية ، ثم أن علي بن أبي طالب اتهم قيس بن سعد بالميل إلى معاوية ، لكفّه عن قتال مسلمة بن مخلّد الأنصاري ثم الخزرجي وكان قد جمع وطلب بدم عثمان فولّى محمد بن أبي بكر مصر .

فلما مضت صفين بلغ عليّاً التباس[(١)] الأمر على ابن أبي بكر فولّى مصر الأشتر فهلك بالقلزم ، وكان من أمر ابن أبي بكر ومقتله ما قد ذكرناه فيما مضىٰ : وأصيب محمد بن أبي حذيفة فبعثوا به إلىٰ معاوية وكان ابن خال معاوية بفلسطين فوبّخه وعنّفه ، ثم حبسه في سجن له مرفّهاً موسّعاً عليه ، فهرب وكان معاوية يهوى خلاصه ويكره إظهار ذلك لأهل الشام .

وكان عثمان حدّ محمد بن أبي حُذيفة في الشراب ضربه ثمانين .

---

(١) يقال : التبس عليه الأمر : أشكل واختلط .

وقال أبو مخنف وغيره : فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام ، وكان عثمانيّاً : أنا أتبع محمداً ، فخرج في خيل فلحقه بحوران وقد دخل غاراً ، فكره أن يأتي به معاوية فيعفو عنه فضرب عنقه .

وقال هشام بن الكلبي عن أميّة : هرب محمد بن أبي حذيفة من سجن معاوية ، بعد قتل معاوية حِجر بن عدي الكندي(١) فطلبه مالك بن هبيرة بن خالد الكندي ثم السكوني(٢) ووضع الأرصاد عليه فقتله غضباً لحجر وقد كان التمس خلاص حِجر فألفاه وقد قُتل .

وقال ابن الكلبي : قد انقرض ولد أبي حذيفة وانقرض ولد عتبة بن ربيعة إلا ولد المغيرة بن عمّار بن عاصم بن الوليد بن عتبة ، وهم بالشام .

سالم مولى أبي حُذيفة

٢٥١ـ أسلم سالم مولى أبي حذيفة ، وهو في رواية موسى بن عقبة سالم بن نبتل ونبتل من أهل اصطخر ، وذُكر أن سالماً مولى ثُبَيتة بنت يعار من الأنصار من الأوس ، فسالم يذكر مع الأنصار لأن ثبيتة أعتقته ويذكر في المهاجرين لولاء أبي حذيفة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن

---

(١) هو حِجر الخير بن عدي (الأدبر) بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية (الأكرمين) بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن عمرو (مرتع) بن معاوية بن ثور (كندة) ، قتله معاوية بمرج عذراء وكان أول من نبحته كلابها يوم فتحها في الإسلام بوشاية زياد .

(٢) في أصل المخطوطين السلولي وهو تصحيف من الناسخ وهو مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث بن المِخْصف بن مالك (حاجّ) ابن بكر بن ثعلبة بن عقبة بن السكون بن أشرس بن ثور (كندة) .

الحصين ، قال : كان سالم لثبيتة بنت يعار الأنصارية وكانت تحت أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فأعتقته سائبة[1] ، فتولّى أبا حذيفة وتبنّاه أبو حذيفة ، فقالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة : جئت إلى النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم بعد نزول هذه الآية ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2] [الأحزاب : ٥] فقلتُ : يا رسول الله إنما كان سالم عندنا ولداً ، قال : « فأرضعيه خمس رضعات ويدخل عليك . قالت : فأرضعته وهو كبير وزوّجه [٦٨/٦٢٤] أبو حُذيفة ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة .

فلما قُتل سالم يوم اليمامة أرسل أبو بكر بميراثه إلى مولاته فأبت أن تقبله وقالت : إني سيّبته ، فجعله أبو بكر في بيت المال .

قال الواقدي : فحدّثت ابن أبي ذئب بهذا الحديث ، فقال : أخبرني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن المسيّب ، قال : كان سالم سائبة فأوصى بثلث ماله في سبيل الله وثلثه في الرقاب وثلثه لمواليه .

حدثني محمد بن سعدٍ وروح بن عبد المؤمني ، قالا ، ثنا عارم بن الفضل ، ثنا حماد بن زيد ، وحدثني أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا أيوب عن محمد بن سيرين : أن سالماً مولى أبي حذيفة أعتقته امرأة من الأنصار سائبة وقالت : والِ من شئت فوالى أبا حذيفة ، فكان يدخل على امرأته فذكرت ذلك للنبي صلّىٰ الله عليه وسلّم وقالت : إني أرى ذلك في وجه أبي حذيفة ، فقال : « أرضعيه » قالت : إنه ذو لحيةٍ ، قال : « قد علمتُ أنه ذو لحيةٍ » . قال : فقُتل يوم اليمامة فدُفع ميراثه إلى المرأة .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا الفضل بن دُكين أبو نعيم ، ثنا معقل بن عبيد الله عن ابن أبي مُليكة عن القاسم بن محمد : أن سهلة بنت سُهيل بن عمرو أتت رسول الله

---

(١) السائبة : العبد يعتق على أن لا ولاء له ـ اللسان ـ .
(٢) سورة الأحزاب رقم : ٣٣ الآية رقم : ٥ .

صلّىٰ الله عليه وسلّم ، فقالت : يا رسول الله سالم مولى أبي حذيفة معي وقد أدرك مدرك الرجال ، فقال : « أرضعيه فإذا فعلت فقد حَرُم عليك » .

حدثني محمد بن سعدٍ عن الواقدي عن معمر عن الزهري ، قال : قالت أم سلمة أبى سائر أزواج النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم أن يدخل عليهنّ أحدٌ بعد الرضاعِ وقلن إنما هذه رخصة من النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم لسالم خاصةً .

وقال الزهري : حدثني عروة عن عائشة : أنها أخذت بذلك من بين أزواج النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم .

حدثني محمد بن سعد والحسين بن الأسود ، قالا ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن منصور عن مالك بن الحارث ، قال : كان زيد بن حارثة معروف النسب ، وكان سالم مولى أبي حذيفة غير معروف النسب .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش بن سفيان عن مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خذوا القرآن عن أربعة ، عبد الله بن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة » .

وحدثني عمرو الناقد والحسين بن الأسود عن أبي معاوية : بهذا الإسناد مثله .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبد الله بن نُمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر : أن المهاجرين الأولين لما قدموا من مكة إلى المدينة نزلوا إلى جنب قباء فأمّهم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً ، وفيهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد .

وقال الواقدي : كان سالم يؤمّ المهاجرين من مكة إلى المدينة ويؤمّهم

بقباء إلى قدوم النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم المدينة لأنه كان أقرأهم لكتاب الله .

حدثني محمد بن حاتم المروزي ، ثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، قال : لما قدم المهاجرون الأولون من مكة مقدم رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم المدينة نزلوا العصبة[1] فكان سالم مولى أبي حُذيفة يؤمّهم لأنه كان أكثرهم قرآناً فيهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد ، قال وآخى رسول الله ﷺ بين سالم بن أبي حُذيفة وبين أبي عبيدة بن الجرّاح ، وآخى بينه وبين معاذ بن ماعص من الأنصار وهو أحد من استشهد يوم بئر معونة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يونس بن محمد الظفري عن يعقوب بن عمر بن قتادة ، قال : أخبرني محمد بن ثابت بن شمّاس ، قال : لما انكشف المسلمون يوم اليمامة ، قال سالم مولى أبي حُذيفة بن عتبة : ما هكذا كنّا نفعل مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ، فحفر بنفسه حفرةً وقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ ثم قاتل حتى قتل شهيداً ، وذلك في سنة اثنتي عشرة .

وقال الواقدي : وقال غير يونس : فوُجد رأس سالم عند رجلي أبي حذيفة ، أو رأس أبي حُذَيفة عند رجلي سالم .

حدثني أبو موسى إسحاق الفروي ، ثنا أبو معاوية الضرير عن أبي إسحاق الشيباني عن ابن أبي الجعد عن عبد الله بن شدّاد : أن سالماً مولى أبي حذيفة قُتل يوم اليمامة فباع عمر ميراثه بعدُ فبلغ مئتي درهم فأعطاه أمه وقال : كُليها .

وقال ابن الكلبي : كان لأبي حُذيفة من الولد عاصم بن أبي حذيفة ،

---

(١) العَصَبة : موضع بقباء ويروى المعصّب ـ معجم البلدان ـ .

وأمه آمنة بنت عمر بن حرب بن أمية ، وقد انقرض ولد أبي حذيفة وانقرض ولد عتبة بن ربيعة ، إلا ولد المغيرة بن عمّار بن عاصم بن الوليد بن عتبة وهم بالشام .

قال أبو اليقظان : أسلم أبو هاشم بن عتبة وغزا بعض الشام .

وقال أبو اليقظان : ولد أبو هاشم عبدَ الله وأمه ابنة شيبة بن ربيعة ، وأمّ خالد أمّها خثعمية ، وسالماً لأم ولد ، فكانت أم خالد عند يزيد بن معاوية . ثم خلف عليها مروان بن الحكم ، وهي التي قتلته غمّاً ، ولا عقب لأبي هاشم بن عتبة .

وأما الوليد بن عتبة فقتل يوم بدر ، فادّعت هند بنت عتبة رجلاً يقال له عاصم أنه ابنه ، فولاه معاوية المدينةَ يسيراً ، فقال الشاعر : [من الكامل]

كـانـت إمـارَةُ عـاصِـمٍ كسَحَـابَـةٍ   بَرَقتْ ولم تُمطِرْ بنَوْءِ العَقْرَب

ولا عقب للوليد .

وأما هاشم بن عتبة ، فولد دُرَّة وأمها صفيّة من بني كنانة .

وأما شيبة بن ربيعة ويكنى أبا هاشم ، فكان يؤذي رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أذىً كثيراً ، ولا يتولاه بنفسه وإنما كان يدسّ من يتولاه ، فقتله عُبيدَة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر ، ودفّف[1] عليه حمزة وعليّ ، ويقال قتله حمزةُ وقد كتبنا خبره فيما تقدّم .

فولد شيبة عبيد الله ، وزينب أمهما الفارعة بنت حرب بن أمية ، ورملة أمها من بني عامر بن لؤي ، وكانت رملة عند عثمان بن عفّان ،

---

(١) ومن الرجوع إلى جمهرة النسب لابن الكلبي ج : ١ ص : ٥١ من تحقيقي وجدت هذا القول صحيحاً .

وقتل عنها ، وأما عبيد الله فولد يزيد وأمه ثقفيّة ، وعبد الرحمن وأمه ابنة المطلب بن الحويرث من بني أسد بن عبد العزى . وأما عبد الرحمن فولد أبا يسار وأمه مخزوميّة ، وكان أبو يسار يتيماً لعثمان بن عفّان تبنّاه ، فدخل عليه الزبير بن العوّام يوماً فسبّه أبو يسار ، فقال له الزبير : سُبَّة يعني عثمان ، فقال : هذا أبي فأوجعه الزبير ضرباً ثم أنه تزوج ابنة الزبير واسمها خديجة ، فولدت من أبي يسار عبد الرحمن ، وأم عبد الله وعقب أبي يسار بالشام . وأما يزيد بن عبيد الله بن شيبة ، فولد فاطمة تزوّجها علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، ورملة تزوجها محمد بن مروان بن الحكم .

وقال ابن الكلبي : منهم أبو يسار وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن شيبة وولده بالبلقاء .

بنو عبد العُزّى بن عبد شمس

٢٥٢ـ وُلد لعبد العُزّى بن عبد شمس ربيع وربيعة ، أمهما أم المُطاع بنت أسد بن عبد العزى بن قُصيّ ، وقال الشاعر : [من الوافر]

فَـأَدّى اللهُ خَفْـرَتَهـا إليهـا ... وأَدّاهـا كِنـانَـةُ والـرَّبيـعُ

همـا لا أشْعَـرَانِ إذا أكبّـا ... ولا هَبـرانِ لحمُهمـا يَضيـعُ

يعرّض بشيبة وعتبة يعني خفرة زينب بنت النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم حين سار معها هٰذان[1] .

---

(١) يقصد أن زينب حفرها كنانة والربيع ومنعاها من هبار وغيره ، أما عتبة وشيبة قتلا ببدر وضاع دمهما .

أبو العاص بن الربيع .

٢٥٣ـ فولد الربيع بن عبد العزى أبا العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وابن خالتها هالة بنت خويلد ، وكان أبو العاص يلقّب جرو البطحاء أي ابن البطحاء ، واسمه لقيط وذلك الثبت ، وبعضهم [٦٢٥/٦٨] يقول اسمه القاسم ، وزعم بعض البصريين أن جرو البطحاء ربيعة بن عبد العزّى وأبو العاص معاً ، وقد كتبنا خبره فيما تقدّم من ذكر أزواج رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وأولاده ، فكان إسلام أبي العاص قبل الحديبية بخمسة أشهر ، ثم رجع إلى مكة ، ولم يشهد مع النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم شيئاً ، ومات في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة .

فولد أبو العاص عليّاً قتل يوم اليرموك شهيداً ، وأمامة تزوجها علي بن أبي طالب فقتل عنها ، ويقال إن عليّاً مات صغيراً ، ولا عقب للربيع .

ومن ولد عبد العزى بن عبد شمس كنانة بن عدي بن عبد العزى وهو الذي بعث معه زينب بنت رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم إلى أبيها ، فعرض لها هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، ونافع بن قيس ، وقد ذكرت خبرهما فيما تقدّم أيضاً .

وكان ولد ربيعة بن عبد العزى عدياً وحارثة ويزيد[١] ، أمهم سلمى بنت عمرو بن سفيان الثقفي ، فأما عدي بن ربيعة فولد العلاء وكنانة الذي ذكرناه وسعيداً وربيعة بن ربيعة[٢] ، أمهم من ولد الغوث ابن مر ، وعلياً

---

(١) لا يوجد يزيد عند ابن الكلبي في الجمهرة .

(٢) كيف يقول في أول ولد عدي بن ربيعة العلاء . . . . وهنا يقول : ربيعة بن ربيعة . وهناك خلاف كبير في ولد عبد العزى بن عبد شمس كما ذكر هنا وفي الجمهرة ، ج : ١ ص : ٥١ كما ذكره ابن الكلبي .

أمه كريمة كنانيّة ، وأوفى أمه هالة بنت خويلد وهو أخو أبي العاص بن الربيع لأمه .

وأما حارثة فولد محرزاً وحريزاً وحرازاً ، وأمهم من بني الغوث بن مرّ وهي أمّ عدي بن ربيعة الأربعة ، وبقية ولد محرز بن حارثة بالكوفة ، واستخلف عتّاب بن أَسِيد محرزاً على مكة في سفرةٍ سافرها ، وكان من ولد محرز العلاء بن عبد الرحمن بن محرز وكان على الربع أيام ابن الزبير ، وموضع داره بالكوفة دار عيسى بن موسى اليوم .

ومن ولد يزيد بن ربيعة عبد الله بن الوليد بن يزيد بن ربيعة قتل يوم الجمل مع عائشة .

وقال أبو اليقظان : كان ولد محرز بن حارثة عبد الله وعبد الرحمن وحَرّازاً وأم السائب ، أمهم هند بنت ربيعة بن عبد شمس وبقيتهم بالكوفة ، يقال لهم بنو محرز وسكّتهم سكّة محرزٍ ، واستعمل عثمان بن عفان علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى ، وهو ابن الكنانيّة على مكة وشهد الجمل مع عائشة فقالت امرأة منهم : [من الرجز]

يـــا ربِّ اعقِــرْ بعَلــيٍّ جَملَــهْ ولا تُبــارِكْ فــي بَعيــرٍ حَملَــهْ

إلاّ عليَّ بنَ عديٍّ ليسَ لَهْ

فقتل يوم الجمل .

وكان عبد الله بن علي بن عديّ هذا عاملاً لعبد الملك على سجستان ، وكان كزّاً[1] بخيلاً سَيّء الخلق لم يغن ولم يأمر بخير ، فقال فيه أبو حزابة الحنظلي : [من الرجز]

---

(١) رجل كزّ : قليل المؤاتاة والخير ـ اللسان ـ .

يــا بــنَ علــيٍّ بَــرِحَ الخَفَــاءُ قــد علــم الجيــرانُ والأكفــاءُ
إنّــكَ أنــتَ البَـذِلُ اللقــاءُ أنــت لقبــرِ طلحــةَ الفِــداءُ
بَنــو علــيٍّ كلّهــم سَــواءُ كــأنَّهــمْ زَنيئَــةٌ[1] جِــراءُ

وقال أيضاً : [من الرجز]

يـا طَلْـحَ يـا ليتَـكَ عَنّـا تُخبِـرُ حين أتانا الجَعْظريّ[2] الحَيْدَرُ
أقصرُ مـن شِبـريـنِ حيـنَ يُشْبَـر أنْكَــرَهُ سَــريــرُنَــا والمِنبــرُ
ودارُنــا والمَسْجِــدُ المُطَهَّــرُ مثلُ أبي الفَغْواءِ[3] لا بَلْ أَقْصَرُ

وولدَ العلاء بن عدي محمداً ويعلى وبنات ، وأمهم أم الحكم بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وولد كنانة بن عدي محمداً وعبد الملك وعليّاً وعثمان الأكبر وعقبة وعمراً وعثمان الأصغر وبناتٍ .

وقال ابن الكلبي : ومن بني علي بن عدي ، عبدُ الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ، الشاعر الذي يقول لهشام بن عبد الملك و[قد] حجّ فقسم في أخواله من بني مخزوم مالاً : [من الخفيف]

حُسّ حَظِّي إذْ كنتُ من عَبْدِ شَمْسٍ/ليتَنـي كنـتُ مـن بَنـي مَخـزُومِ
فــأفــوز الغــداةَ منــهُ بِقِسْــمٍ وَأَبيــعُ السنــاءَ منّــي بِلُــومِ

(١) الزينيّة : الكلاب الصينية ، وهي كلاب قصيرة القوائم . والبيت الأخير ذكره ابن الكلبي في الجمهرة . الزنيء : القصير المجتمع والمؤنث : الزنيئة أو الزنيّة : بقلب الهمزة ياء .
(٢) الجعظار : القصير الرجلين الغليظ الجسم ، فإذا كان مع غلظ جسمه أكولاً قوياً سمّي جعظرياً ـ اللسان ـ .
(٣) امرأة فغواء : إذا كان في فمها ميل ولعله كنية رجل مشهور بالقصر .

بنو أميّة الأصغر بن عبد شمس

٢٥٤ـ وولد أميّة الأصغر بن عبد شمس الحارث ، وأمه عاتكة بنت عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة ، وكان الحارث شاعراً وهو الذي يُقال له ابن عَبْلَة ، وقال في عبد الله بن جدعان : [من الطويل]

عَطاؤُكَ زَيْنٌ لامرِئٍ إنْ حَبَوْتَهُ بِنَيْـلٍ ومـا كـلُّ العَطـاءِ يَـزيـنُ
وليسَ بِشَيْنٍ لامرِئٍ بَذْلُ وجهِهِ إليـكَ كمـا بَعـضُ العَطـاءِ يَشيـنُ

فولد الحارث عبد الله ، أمه زينب بنت نوفل بن عبد شمس ، وأدرك عبد الله معاوية وهو شيخ كبير ، وكان ورث دار عبد شمس بمكة لأنه كان أقعدهم[1] ، فلما حجّ معاوية دخل الدار لينظر إليها فوثب عبد الله بن الحارث إليه بحجر ليضربه وقال : لا أشبع الله بطنك ، أما تكفيك الخلافة حتى تقلّب هذه الدار ، فخرج وهو يضحك ، قالوا ودخل على معاوية وكان بذيّاً فقال : والله لقد شججت أخاك حنظلة فما أعطيت عقلاً ولا أرشاً[2] ، فقال معاوية : إنك هربت إلى أخوالك بالطائف ، قال : إنه إذا مال بي أحد شِقيّ عدلته بالآخر . وولد أيضاً عبد الرحمن بن الحارث وأمه بنت أُسَيد من ثقيف وعتبة وعبد الله الأصغر وحكيماً ، أمهم من بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفَة وعقبة أمه ثقفيّة .

فمن بني أمية الأصغر أبو جِراب ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، قتله داود بن علي بمكة ،

---

(١) أقعدهم : أي أقربهم إلى الجدّ الأول وهو عبد شمس .
(٢) الأرش من الجراحات : ما ليس له قدر معلوم ـ اللسان ـ .

وقال بعضهم : كان أبو جِراب ينزل الفتق على ثلاث ليال من مكة فبلغ العَرْجيَّ[1] أن أبا جِراب بمكة فأقبل إلى قصره ، فخرجت إليه جارية لأبي جراب بدويّة فدفعته وجعلتْ ترميه ، واستسقاها ماءً فلم تسقه ، فقال : ستعلمين فقال أبياتاً منها : [من البسيط]

تَمْشِي كما حَرَّكَتْ ريحٌ يَمانِيَّةٌ غُصناً من البَانِ رطباً طَلَّهُ الوَهَمُ
قالَتْ رَضِيتُ ولكنْ حيثُ في قَمَرٍ ألا تَلَبَّثَتَ حتّى يَدخُلَ الظَّلَمُ[2]

فاتَّهمها عند أبي جراب حتى حلفت له بين الركن والمقام على براءتها .

وقال أبو اليقظان : كان أبو جِراب من أفضل قرشيٍّ بمكّة وقد وليها في أيام بني مروان ، وقتله داود بن علي وهو على مكة ، وقال الشاعر لابن أبي جراب : [من الوافر]

ثلاثُ طوابح وَلهنّ جينا فيَسِّرُهُنَّ يا بنَ أبي جِرابِ
فإنَّكَ ماجِدٌ في بَيْتِ مَجدٍ بَقِيَّةُ مَعْشرٍ تَحْتَ التُّرابِ

وله يقول الشاعر : [من الطويل]

إِذا مِتُّ لم يُوصَلْ بعُرفٍ قرابَةٌ ولم يبقَ في الدّنيا رَجاءٌ لِسائِلِ

وكانت أمّ أبي جراب رملة بنت العلاء بن المرقع الكناني ، وهو الذي كان بناته يقلن : [من مجزوء الرجز]

---

(١) العَرجي : هو شاعرٌ غزل واسمه عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وإنما لُقّب بالعَرْجي لأنه كان يسكن عَرْجَ الطائف .

(٢) هذان البيتان من جملة قصيدة طويلة ذكرها في الأغاني ج : ١ ص : ٣٦٧ ط : دار الثقافة ببيروت .

نحنُ بنات طارق[1]

ويقال إنهنّ أردن نحن بنات النجم .

الثريّا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية

٢٥٥ـ ومنهم الثريّا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية ، التي كان عمر بن أبي ربيعة المخزومي[2] يشبب بها وفيها يقول : [من الخفيف]

أَحْسَنُ النَّجمِ في السَّما الثُّريّا　　والثُّريّا في الأَرْضِ زَيْنُ النِّساءِ

وتزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فقال عمر : [من الخفيف]

أَيُّها المنكحُ الثُّريا سُهيلاً　　عَمْركَ اللهَ كيفَ يَلْتَقيانِ
هِيَ شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ　　وَسُهَيْلٌ إذا استقَلَّ يماني[3]

والثريا مولاة الغريض المغنّي ، وكان يعرف بمولى العَبَلات ، وكان يسمى عبد الملك ويكنى أبا زيد .

بنو عبد أمية بن عبد شمس

٢٥٦ـ وولد عبد أميّة بن عبد شمس مَعقلاً ، وعقيلاً وكنود ولدت أبا محجن[4] بن حبيب الثقفي الذي يقول : [من البسيط]

---

(١) والشطر الثاني : نفرش النمارق تمثّلت به هند بنت عتبة في غزوة أحد ذكره الأغاني ج : ١٥ ص : ١٤٧ .

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، واسم أبي ربيعة حُذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أشهر الشعراء في الغزل في عصره .

(٣) ذكرهما الأغاني ج : ١ ص : ١٢٥ ، ويضرب المثل في الثريا وسهيل النجمين المعروفين .

(٤) أبو محجن هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عَنزة بن عوف بن قَسيّ (ثقيف) والبيتان من جملة قصيدة ذكرها الأغاني ، ج : ١٨ ص : ٢٩٨ .

لا تَسْأَلي القَوْمَ عَنْ مالي وكَثْرَتِهِ وَسَائِلِي القَوْمَ ما مَجْدي وما خُلُقي
هَلْ أطعَنُ الطَّعْنَةَ النّجلاءَ عَنْ عَرَضٍ وأكتُمُ السِّرَّ فيه ضربَةُ العُنُقِ

والأحوص بن عبد أمية ، كان عاملاً على البحرين في أيام معاوية بن أبي سفيان .

وقال ابن الكلبي : من ولد عبد أمية بن شمس منصور بن عبد الله بن الأحوص بن عبد أمية وهم بالشام .

وقال بعض العلماء : أن بعضهم بمكة ، وقال بعضهم : كان الأحوص بن عبد أمية على البحرين وسعىٰ بمروان بن الحكم .

بنو نوفل بن عبد شمس

٢٥٧ـ وولد نوفل بن عبد شمس ، وهو من العَبَلات أبا العاص وأمه فُطَيمة مخزوميّة ، وقُتل أبو العاص يوم بدرٍ كافراً .

فولد أبو العاص بن نوفل حاجباً ، وعثمان ، وهبّاراً ، وحَزْناً ، وحزاماً ، وعبيداً ، وعبداً ، وأمهم فاطمة بنت وهب مخزوميّة .

ومن ولد هبّار خالد بن يزيد بن عثمان بن هبّار بن أبي العاص بن نوفل ، قتله عبد الله بن علي بالشام .

وكانت أم أميّة الأصغر وعبد أمية ونوفل بني عبد شمس عَبْلَة بنت عبيد بن جاذل من البراجم من بني تميم ، فلذلك سُمّي هؤلاء العَبَلات

انتهى نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

وبذلك انتهى الجزء السابع من كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ويليه الجزء الثامن

الفهارس العامة

١ـ فهرس الآيات الكريمة

* * *

٢ ـ فهرس الأعلام

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
لولا دفاعك يوم العقر صاحيةً	تلتهبُ	البسيط	الفرزدق	(٥)	٢٧١
ولا واضعٌ عن مطيِّ الحمد أرجله	منتدبُ	البسيط	الكميت بن زيد	(٢)	٤٣٣
إذا كنتَ تَحفظ ما يليك فإنما	ذئابُ	الكامل	كعب بن معدان	(٤)	٧٢
وأرىٰ المدينة إذ وَليتَ أمورَها	المذنبُ	الكامل	الأحوص الشاعر	(١)	٦٨
أقتيبُ قد كسبتْ يداكَ خطيئةً	المهربُ	الكامل	الحضين بن المنذر	(٢)	٢٣٤
أتانا أميرٌ شديدالنكال	حاجبُ	المتقارب	الشاعر	(١)	٤٦٣
أتيناك في حاجةٍ فاقضها	المرحبُ	المتقارب	حمزة بن بيض	(٤)	٢٣٩
من عبد شمس لك السنام ومن	الطنُبُ	المنسرح	الكميت بن زيد	(٣)	٣٤٤
فإن تسلُ عنك النفس أو تدع الصبا	بالتَجّلدِ	الطويل	كثير عزّة	(١)	٤٠٣ ، ٢٠٤
ألا هل أتىٰ قيساً وخندف وقعُنا	الحربِ	الطويل	مسلم حاجب ابن هبيرة	(٤)	٦١٧
رماني سليمان بأمرٍ أظنه	مركبِ	الطويل	قتيبة بن مسلم	(٣)	٢٣٣
وناسٍ لأبناء الملوك هديتُهمْ	كوكبِ	الطويل	عمارة الكلبي	(٣)	٢٢٩
وباكية هبّت بليلٍ فراعني	المهلبِ	الطويل	معمر بن عودة	(٣)	٢٨٦
لقد بيّنتْ بنتُ الملاءة من نعىٰ	المهلبِ	الطويل	الفرزدق	(١)	٢٨٤
حليمٌ إذا ما شاء عاقب محملاً	يثربِ	الطويل	كثيّر عزّة	(٣)	٢٨٢
لئن مالكٌ أمسىٰ قد انشعبت به	ذاهبِ	الطويل	الفرزدق	(٢)	٣٩٠
بكىٰ الخزّ من ابطَيْ سعيد بن راشد	المواكبِ	الطويل	الشاعر	(٢)	٤٦٩
وزهّدني في شرطة المِصْر أنّني	الكلبِ	الطويل	الفرزدق	(٢)	٣٩٣
إذا استنزلوا عنهن بالطعن أرقلوا	المَصاعبِ	الطويل	تمثل به الوليد	(١)	٥٢٣
إنّ الإمام الذي ترجىٰ فواضله	أيوبِ	البسيط	جرير ين عطية	(١)	٤١
من يك جاراً لقومٍ لا وفاء لهم	أيوبِ	البسيط	الفلتان من بني دارم	(١)	٤١
ما قلَّ خيسُ رجالٍ لا عقول لهم	حلَبِ	البسيط	ابن طيسلة	(٢)	٤٩٢
أبلغ يزيد وخير القول أصدقه	الكذبِ	البسيط	نصر بن سيار	(٢) و(٤)	٤٤٥، ٤٤٨
غريبٌ في ديار بني تميمٍ	اغترابي	الوافر	غضياء بن عياش	(١)	٣١٧
كأنك بالمبارك بعد شهرٍ	الكلابِ	الوافر	الموج التغلبي	(٢)	٤٠٩
ثلاث طوابحٍ وبهنّ جينا	جرابِ	الوافر	الشاعر	(٢)	٧١١
لما رأوني في الكتيبة مُعلماً	الكوكبِ	الكامل	هُريم بن أبي طمحة	(٢)	٢٦٦
ما بال همّك ليس عنك بعازبِ	المتساكبِ	الكامل	عمرو بن الحسن	(١٢)	٦٣٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
أبا سعيد أراك الله عاقبةً	تيسيرُ	البسيط	عبد الله بن عبد الأعلىٰ	(٢)	٣٠٦
قد ضيّع السجن والتضييع عادتُهُ	عمرُ	البسيطُ	الفرزدق	(٢)	٣٨٢
نشأ الصغير علىٰ أخلاق والده	الشجرُ	البسيط	تمثل به خالد بن الوليد	(١)	٤٤٢
بل أنت نزوةُ خوّار علىٰ أمةٍ	الخورُ	البسيط	يزيد بن عمر	(١)	٤٩٣
لقد ولدت جديحة من قريشٍ	الأمورُ	الوافر	الأخطل	(٢)	٢٧
إذا كان الأمير عليك خصماً	الأميرُ	الوافر	سعيد بن خالد	(٢)	٤٧
فإنك والخلافة يا سعيدى	بعيرُ	الوافر	ابنة الوليد	(١)	٤٩٩
خُلق البيضُ الحسان لنا	الأزرُ	المديد	عمارة بن عقبة	(٢)	٦٧١
أبني بهلّة إنما أخزاكما	الأزهرُ	الكامل	نهار بن وسعة	(٧)	٢٢٨
إنا أناسٌ ميّتٌ ديواننا	يُنْشر	الكامل	علباء بن منظور	(١)	٣١٤
أبلال إني رابني من أمركم	منكرُ	الكامل	أبو نوفل	(٣)	٣٩٨
حُرّاً أموتُ ولم يشنّي مطمعٌ	الأطماع	الكامل	الطرمّاح	(١)	٤٣٧
إنّ الفرائضَ لا فرائضَ فاصطبر	أميرُ	الكامل	معدان الطائي	(١)	٥٨٣
أبكي الذين تبوّؤوا الغرف العلا	الأنهارُ	الكامل	حبيب بن خدرة	(٢)	٦٠٩
وتثعلب الروّاض بعد مراحِهِ	الأعورُ	الكامل	المثنىٰ بن عبيد الله	(١)	٦٨٤
جاؤوا علىٰ أدبارهم كشفاً	الأمرُ	السريع	عثمان بن حيان	(١)	١٩٣
سلاّم هل لي منكمُ ناصرُ	زاجرُ	السريع	القسّ سلامة	(٢)	١٩٩
أليس عجيباً بحق الإله	المنبرُ	المتقارب	الشاعر	(٢)	٢٧٧
أين كسرىٰ كسرىٰ الملك أنوشر	سابورُ	الخفيف	عدي بن زيد	(٤)	٣٣٥
كيف ترىٰ الشيخ أبا الزبير	الأمير	الرجز	سعيد المازني	(١)	٧٣
إنّ بنيَّ صِبْيةٌ صغارُ	كبارُ	الرجز	عبد الملك بن مروان	(٢)	٩٢
يا طلحَ يا ليتك عنّا تخبرُ	الحيدرُ	الرجز	أبو حزابة	(٣)	٧٠٩
وجدوا جَوْنة سوءٍ	الأصافرُ	مجزوء الرمل	سهيل بن أبيض	(٤)	٣١٦
إلىٰ الله أشكو صوت فتيان غارةٍ	والنهرِ	الطويل	داود بن عقبة	(٤)	٥٩
فلو كنتَ مثلي ياخيارُ تعسّفتْ	داعرِ	الطويل	الفرزدق	(٢)	٢٣٣
أبا خالدٍ قد هجت حرباً فلا تُقِمْ	فشمّرِ	الطويل	يزيد بن الحكم	(٣)	٢٦٤
فلو كنتَ مثلي ياخيارُ حزمتها	فاقِرِ	الطويل	الفرزدق	(٧)	٢٩٤
أتينا به ما يُسمع الصوت في السُّرىٰ	قَبْرِ	الطويل	سالم بن وابصة	(٢)	٢٩٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
إليّ هلمَّ دون أبي فراسٍ	مراسِ	الكامل	حكم القرد	(١)	٢١١
تقول أمامةُ لما رأت	النّعْسِ	المتقارب	أبو عدّي العَبْلي	(١٠)	٦٦٤
إلىٰ ابن مروان قريح الأنسِ	عبسِ	الرجز	رؤبة بن العجّاج	(١)	٢٢
لبئس ما أبلتْ تميمُ أمسِ	البأس	الرجز	الشاعر	(٣)	٢٥٨
أعدتُ للدّبسِ ورهط الدبسِ	الحمسِ	الرجز	الأصبع بن ذؤالة	(١)	٥٩٢
وجدت العيش يا سلمىٰ	بالكاسِ	مجزوء الوافر	الوليد بن يزيد	(٦)	٥٠٥
لقد فتنتْ ريّا وسلّامة القسّا	نفسا	الطويل	ابن قيس الرقيات	(٣)	١٩٩
إنّ تميم ساء ما تمارسْ	دارسْ	الرجز	بعضهم	(١)	٢٥٠
أنا غلام الأزدا واسمي دارس	تمارسْ	الرجز	دارس مولىٰ حبيب	(١)	٢٤٩
صبحّتم مروان بالدهارسْ	الجامسْ	الرجز	العماني الفقيمي	(١)	٦٥٠
أتاني من الأنباء أنّ ابن عامرٍ	الرواسيا	الطويل	الشاعر	(١)	٦٨٧
خفّ من دار جيرتي	أُنْسُها	مجزوء الخفيف	الوليد بن يزيد	(٥)	٤٩٩
لمن دمنةٌ أقفزت بالجليـ	إيناسها	المتقارب	الوليد بن يزيد	(٢)	٥١٠

(ش)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
امدحِ الكأس ومن أعملها	بالعطشْ	الرمل	الوليد بن يزيد	(٢)	٥٠٤

(ص)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
أميرَ المؤمنين وأنت عفٌّ	الحريصِ	الوافر	الفرزدق	(٤)	٣٧٩

(ض)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
إذا نحن اعتمنا وماد بنا الكرىٰ	عياضُ	الطويل	ابن شبرمة	(١)	٦٤٣
كأني إذا دخلتُ علىٰ أجيحٍ	تبيضُ	الوافر	عبد الله بن الحجّاج	(٥)	٦٧٨
أمسلمُ يا منسوبَ كل خليفةٍ	الأرضِ	الطويل	أبو نخيلة السعدي	(٣)	٣٠٥
بلالُ يا ابن الشرف الأمحاضِ	الأدحاضِ	الرجز	رؤبة بن العجّاج	(٢)	٣٩٤

(ط)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
كيف وجدتَ ضربَهُ فلاطا	انحطاطا	الرجز	شاعر	(٢)	٣٠٢

(ف)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
كنت لنا إنساناً ففارقتنا	المذاقْ	السريع	سليمان بن عبد الملك	(١)	٥٧
أنا مسكين لمن يعرفني	نَطقْ	الرمل	تمثل به بلال	(٢)	٣٩٨
ألا أيهذا الذي نفسه	تائفَهْ	المتقارب	يحيىٰ بن نوفل	(٤)	٤١٩

(ك)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
أقول لنفسي حين غصّت بريقها	مالكُ	الطويل	الفرزدق	(٣)	٣٩٢
كفىٰ حزناً أني تذكرّت جابراً	الملائكِ	الطويل	أيوب بن خولي	(٢)	٣٠٠
وأنفقت مال الله في غير حقّهِ	المباركِ	الطويل	الفرزدق	(١)	٣٥٤
وأهلكت مال الله في غير حقّهِ	المباركِ	الطويل	الفرزدق	(١)	٤١٠
أراني الله يا سلمىٰ حياتي	أراكِ	الوافر	الوليد بن يزيد	(٦)	٤٨٨
أمُّ سلاّم لو لقيت من الوجـ	براكِ	الخفيف	الوليد بن يزيد	(٣)	٥٠٥
ألم ترَ أنّ الله ربّي بَحْولِهِ	مالكاً	الطويل	الفرزدق	(٣)	٣٩٠
ضاق صدري وعيل صبري فلا	أتاكا	الخفيف	ذو الشامه المعيطي	(٣)	٣٠٨
يا أيها البكر لقد أراكا	ممشاكا	الرجز	حادي من عذرة	(٢)	٢٤
يا ربّنا ربّ العباد مالكاَ	بدالكا	الرجز	أعرابي	(١)	٤٥
أنا ابن يزيد بن عبد الملك	لَكْ	المتقارب	الوليد بن يزيد	(٣)	٤٨٩

(ل)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
وعند الوليد إن أردنا عطاؤه	يقفلُ	الطويل	خالد بن خيّار	(٢)	٢٧
فقلْ لعبيد الله لو كان جعفرٌ	قتيلُ	الطويل	أبو العطاء السندي	(٢)	١٧٦
هلمّ فقدْ ماتت جبابَةُ وسامني	الكواهلُ	الطويل	المقتاع بن خليد	(٣)	٢١٠
رأيت المعيطيّن خاضوا دماءنا	الوَجْلُ	الطويل	حاجب بن ذبيان	(٤)	٢٧٦
لعمري لقد خاضت معيطٌ دماءنا	الوجلُ	الطويل	حاجب بن ذبيان	(٢)	٣٠٧
إذا أنت لم تعص الهوىٰ قادك	مقالُ	الطويل	هشام بن عبد الملك	(١)	٣١٨
ولو كنتُ عونيّاً لأدنيتَ مجلسي	فحلُ	الطويل	يحيىٰ بن نوفل	(٤)	٤١٨
إلىٰ الأبرش الكلبيَّ أسندتُ حاجةً	وائلُ	الطويل	الفرزدق	(٤)	٤٢٦
ألا يا عبيد الله لو كان جعفرٌ	قتيلُ	الطويل	أبو العطاء السندي	(٥)	٥٩٨
وبشْر أهل مصر فقد أتاهم	نيلُ	الوافر	أيمن بن خريم	(٢)	٦٢
ومظلمةٍ عليَّ من الليالي	بلالُ	الوافر	الفرزدق	(٣)	٣٩٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
أفي حُمّىٰ بلالٍ زُرتَ جرماً	بلالُ	الوافر	يزيد بن طلحة	(١)	٣٩٥
أتانا بالعقيق صريخ كعبٍ	النَّهالُ	الوافر	القُحيف العقلي	(١)	٥٥٤
وبالنشّاش يوم طار فيه	فعالُ	الوافر	القحيف العقيلي	(١)	٥٥٧
فليتَ ابن المهير رأىٰ نميراً	النخيلُ	الوافر	بعض بني نمير	(٣)	٥٥٨
الشمسُ إذ تكُ إلاّ أنها امرأةٌ	رجل	البسيط	الكميث بن زيد	(٣)	٣٥٨
فأرىٰ المدينة حين كنت أميرَها	الأعزلُ	الكامل	الأحوص الشاعر	(٢)	٦٨
ما كنتُ أدري ما السيوفُ ووقعها	البهلولُ	الكامل	رجل من الشاميين	(٢)	٣٧٣
يا بيت عاتكة التي أتغزّل	موكَّلُ	الكامل	الأحوص الأنصاري	(٢)	٥٠٦
قل للذين استُضعفوا لا تعجلوا	جحفَل	الرجز	أبو صخر الهذلي	(٥)	٦٣٥
صمعتَ هواناً يا بن بيضاءَ حُرَّةٍ	بالقوابلِ	الطويل	كثيرّ عزّة	(١)	٢٩
وكيف ترىٰ للنوم طعماً ولذة	الحبائلِ	الطويل	الأحوص الشاعر	(٣)	١٢٩
ألم تر أن الله أنزل نصره	وائلِ	الطويل	بعض الخوارج	(١)	١٧٥
حبا الجامَ عمالُ العراق وحبوتي	الشواكلِ	الطويل	أعرابي من فزارة	(٣)	٢١٥
إذا ما المزونيّات أصبحْنَ حُسَّرا	بابلِ	الطويل	الفرزدق	(٢)	٢٨٥
سقىٰ الله يا خوصاء قبراً وحشوَهُ	يترحّلِ	الطويل	الضحاك الخارجي	(٢)	٣٠١
أعياش قد ذاق القيون مياسمي	فاصطلِ	الطويل	جرير بن عطية	(١)	٣١٧
خرجتُ خروج القدح قدح ابن مقبلٍ	المشلي	الطويل	الكميث بن زيد	(٤)	٣٤٢
ألا أنّ بحر الجود أصبح ساجياً	السلاسلِ	الطويل	رجل من عبس	(٢)	٤٥١
ولما رأيت الدهر يقلب ظهره	الرَّمل	الطويل	الكميث بن زيد	(٢)	٤٦٠
أليس عظيماً أن أرىٰ كلَّ واردٍ	بالنوافلِ	الطويل	الوليد بن يزيد	(٤)	٤٨٥
فلولا السَّريَّ الهاشميّ وسيفه	عُكْلِ	الطويل	نوح بن جرير	(١)	٥٥٩
ألم ترَ أن الله أنزل نصره	وائلِ	الطويل	شُبيل بن عزرة	(١)	٦٠٤
ألا إنني بالٍ علىٰ جملٍ بالِ	بالِ	الطويل	غلام من كنانة	(١)	٦٣٥
إذا ما شددتُ الرأس مني بمعَوذٍ	وائلِ	الطويل	الوليد بن عقبة	(١)	٦٧٤
أعفُّ وأستغني كما قد أمرتني	وأبخلِ	الطويل	الوليد بن عقبة	(٣)	٦٧٥
إذا مِتُّ لم يوصلْ بعرفٍ قرابةٌ	لسائل	الطويل	الشاعر	(١)	٧١١
من كن يكره أن يلقىٰ منيّته	العسلِ	البسيط	بُهلول الخارجي	(٢)	٣٧٢، ٣٧٤
جرجرتَ إلىٰ النشراة وأنتَ حربٌ	هلالِ	الوافر	رجل من الخوارج	(٣)	١٥٨

٤ ـ فهرس الأماكن

المحتوىٰ

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة